UNIVERSAL
LIBRARY

OU_232260

UNIVERSAL
LIBRARY

هذا كتاب بنانيطق عليكم بالحق

الحمد لله الذي وفقنا بعظيم منه وواسع كرمه لطبع هذا الجزء الرابع من التفسير المسمى



بمعهد دولة الرئيسة المكرمة حضرتنا نواب شاهجهان بيكم دام مجدها وقد اهتم بطبعه المولوي محمد عبد الحميد خان

في المطبع الكبير الواقع في دار الخلافة شاهجهان آباد المحمية

فهرس الجزء الرابع من التفسير المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن

صفحه	سورة	جزء
٢	ص	٢٣ وما لي لا أعبد
٤٤	الزمر	″
٩٠	غافر	٢٤ فمن أظلم
١٢٥	حم السجدة	″
١٥٦	حم عسق	٢٥ إليه يرد
١٨٨	الزخرف	″
٢٢١	الدخان	″
٢٣٨	الجاثية	″
٢٥٠	الأحقاف	٢٦ حم
٢٧١	محمد صلعم	″
٢٩٣	الفتح	″
٣١٧	الحجرات	″
٣٣٦	ق	″
٣٥٤	الذاريات	″
٣٧١	الطور	٢٧ قال فما خطبكم
٣٨٥	النجم	″
٤٠٩	القمر	″
٤٢٦	الرحمن	″
٤٥٢	الواقعة	″
٤٧٦	الحديد	″
٥٠٠	المجادلة	٢٨ قد سمع الله
٥١٧	الحشر	″
٥٣٧	الممتحنة	″
٥٥٠	الصف	″
٥٥٨	الجمعة	٢٨ قد سمع الله
٥٦٧	المنافقون	″
٥٧٤	التغابن	″
٥٨١	الطلاق	″
٥٩٧	التحريم	″
٦٠٩	الملك	٢٩ تبارك الذي
٦١٧	القلم	″
٦٣٨	الحاقة	″
٦٥١	المعارج	″
٦٦١	نوح عليه السلام	″
٦٧١	الجن	″
٦٨٠	المزمل	″
٦٩٠	المدثر	″
٧١٥	القيامة	″
٧٢٩	الدهر	″
٧٤٤	المرسلات	″
٧٥٣	النبأ	٣٠ عم يتساءلون
٧٦٥	النازعات	″
٧٧٩	عبس	″
٧٨٧	كورت	″
٧٩٧	الانفطار	″
٨٠١	المطففين	″
٨١١	الانشقاق	″
٨١٨	البروج	″
٨٣٨	الطارق	″
٨٣٣	الأعلى	″
٨٤٠	الغاشية	″
٨٤٧	الفجر	٣٠ عم يتساءلون
٨٦١	البلد	″
٨٦٨	والشمس	″
٨٧٥	والليل	″
٨٨١	والضحى	″
٨٨٩	ألم نشرح	″
٨٩٣	والتين	″
٨٩٨	اقرأ	″
٩٠٥	القدر	″
٩٠٨	البينة	″
٩١٤	الزلزال	″
٩١٩	العاديات	″
٩٢٣	القارعة	″
٩٢٥	التكاثر	″
٩٣٠	العصر	″
٩٣١	الهمزة	″
٩٣٤	الفيل	″
٩٣٧	قريش	″
٩٤٠	الماعون	″
٩٤٣	الكوثر	″
٩٤٧	الكافرون	″
٩٥١	النصر	″
٩٥٥	تبت	″
٩٥٨	الإخلاص	″
٩٦٣	الفلق	″
٩٦٩	الناس	″
٩٧٣	خاتمة الكتاب للمؤلف دام مجده	

ترجمة المؤلف دام مجده

وهو السيد السند الامام العلامة + الاصولي المتكلم المحدث الفهامة + البليغ السني المتبحر فريد العصر نادرة الدهر خاتمة النقاد + حامل لواء الاسناد + بقية الاعلام الاجتهاد بلا خلاف وعناد + كشاف اصداف الفرائد + قطاف ازهار الفوائد + فاتح اقفال العلوم + ماتح انهال المنطوق منها والمفهوم + ضحاك كمائم النكت من نواجده + مفتح نواظر الظرف في موارده ومصادره + عز الاسلام والمسلمين محيي المائة من سنن سيد المرسلين + الجوهر الجوهر النضار التضاد الشريف الشريف **ابو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري القنوجي الحسيني** نسبا على السماك عاليا ومذهبا الى الصواب هاديا اوكاه الله تعالى خلعة العناصر والوجود + واراه بعين عنايته عالم المظاهر في مناظر شهود + يوم الاحد وقت الضحى لعله التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ثمان واربعين ومائتين والف الهجرية على صاحبها الصلوة والتحية + ببلدة بريلي موطن جده القريب من جهة الام ثم جاءت به امه الكريمة من بريلي الى قنوج موطن اباءه الرقاة الى سماء العلى والاوج + ولما طعن في السنة السادسة من عمره انتقل والده الشريف الى جوار رحمة الله وبقي في حجر امه يتيما + وتجل الزمان باتيان مثله في السيادة والشرافة كانه صار عقيما + الى ان ترعرع فقرأ من الفارسية والصرف والنحو بعض رسائلها + واتقن نبذة من مسائلها + ونزل ببلدة كانپور وتعلم هناك الفوائد الضيائية ومختصر المعاني وغيرها من كتب المعاني والمباني ثم شمر عن ساق الجد لتحصيل العلوم وشد الرحل الى دهلي واخذ عن الشيخ محمد صدر الدين خان المفتي بها واتم الدرس واكمل مراتب التفنون ومقاصدها بذهنه الثاقب وناظره الحدس + وعاد من دهلي الى قنوج وسافر منها الى بلدة بهوپال والقى بها عصا التسيار طالبا للرزق الحلال وكان تسلم الحكومة اذ ذاك بيد اقتدار الملكة العالية المهيمة **نواب سكندر بيگم** غفر الله لها واجزل لها الاجر الاعظم ومحمد بهذه البلدة المحمية الشيخ حسين بن محسن اليمني حماه الله تعالى واتمام سلسلة الاسانيد لكتب الحديث الشريف فاستحصل سند القرآن الكريم عن

الشيخ محمد يعقوب الدهلوي المهاجر المتوفى بمكة المكرمة رحمه الله تعالى في سنة ١٢٨١ وأخذ الاجازة عن الشيخ المعمر عبد الحق الهندي تلميذ الشوكاني رحمهما الله تعالى واستكتب اسناد الامهات الست والمسانيد والمعاجم وغير ذلك ومن كتب التفاسير والاصول والفقه وغير ذلك وأجاز له كل واحد من هؤلاء الائمة بما هو مذكور في ثبتهم الجامع لجميع اصناف العلوم وانواع الفنون واشتغل بالدرس والتاليف وصار راسا في المعقول والمنقول واماما في علمي الفروع والاصول وجد واجتهد في اتقان القرآن والسنة وتدوين علومهما واشاعة ذلك وبذل المال الكثير في اذاعتها بالطبع والتقسيم وما هنالك وله مصنفات عديدة ومجموعة مفيدة منها ما كتب في اوان التحصيل ومنها ما الف بعد ذلك وهي كلها نافعة جدا مشتملة من الحقائق والفوائد على ما لم يشتمل عليه كتاب من كتب علماء هذا العصر من العرب والعجم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ذوي الهمم والكرم ومن ذلك هذا التفسير المسمى بفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب الروضة الندية في شرح الدرر البهية ونيل المرام من تفسير آيات الاحكام وبلوغ السؤل من اقضية الرسول والجنة في الاسوة الحسنة بالسنة والحطة بذكر الصحاح الستة والبلغة الى اصول اللغة ونقف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من الاغلاط وحصول المامول من علم الاصول الى غير ذلك من الكتب والرسائل المحررة باللسان العربي ومسك الختام شرح بلوغ المرام وحجج الكرامة في آثار القيامة وهداية السائل الى ادلة المسائل ومنهج الوصول الى اصطلاح احاديث الرسول وهي باللسان الفارسي وحلية القاري في شرح تلاثيات البخاري ونميمة الصبي في ترجمة الاربعين من احاديث النبي وفتح المغيث بفقه الحديث وغير ذلك وهي باللسان الهندية وله حماه الله تعالى في كل من هذه الالسنة يد صالحة وجارحة عاملة وفي الكتابة سرعة عجيبة وفي التاليف ملكة غريبة يكتب الكراريس العديدة في يوم واحد ويصنف الكتب الضخمة في ايام قليلة ويمر على الدواوين مر السحاب ويطالع المجاميع في طرفة عين مع امعان النظر في كل باب وله عافاه الله تعالى اولاد صلحاء ذكور واناث وذرية كثيرة وامتعة واثاث لم يلهه عن الدين وعلومه التكاثر بل اكتسب الهند واهلها من جوده انواع التفاخر فهو شمس بازغة والعلماء كالنجوم وهو سماء رفيعة والامراء

كالرسوم له نسب عال يتصل الى سيد الانبياء وحسب غال من جهة الاجداد والآباء عالم بن عالم وفاضل بن فاضل + وباذل للعلم والخير واي باذل اكرم له من اثار على الف القبول مرفوعة وثمارا لا مقطوعة ولا ممنوعة + يعرفه العجم والعرب + ويخضع له الامم مع الادب + من انكر فضله فهو عن اللب محروم + ومن جهله فهو في ضلاله يدوم + جعله الله محسد ابين الاقران من الفضلاء والاعيان + ولم يجعله حاسد الاحد من نوع الانسان + وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ويعطيه من يريد ما اراد ومن تقمر رحمة الله على عباده ورام البلوغ الى مقاصده فدونه خرط القتاد ومن حين ارتقى الى هذه المعارج + وبلغ تيك المدارج ظهرت في ايامه السعيدة العادلة محسنات بديعة طائلة وانشاءات بالمنافع حافلة وتقدم الناس في فنون العرفان + وخلعوا عنهم رداء التقليد وفازوا بمقاصد الحديث والقرآن ولقد طال ما اعطى فاقنى + وانطى فاغنى فجميع الناس يقصدون مغناه + ويرتوي من جدواه + هو البحر الخضم الطامي والطود الاشم السامي + الذي لم يجب قط ذا امل + ولم نله يوما عما زكا من الاعمال وجل + البر شعاره والتقوى دثاره + وفي طاعة الرحمن افكاره + حاوي محاسن الشيم والشمائل + جامع شتات الفضل والفضائل + الذي له الايادي المثل والمآثر الحسنى افتخرت بهوپال بسياسته وكياسته + بل تهللت وجه الاسلام برياسته فكم له في عزته يد بيضاء ومآثر غراء قد ابتهج الكون بوجوده + فكل ايامه بر سعيدة وسارت في الآفاق مكارمه فكل يحمد وجوده وجوده + ذو طلعة يجلو غياهب الحزن مرآها + وهمة يعنولها من عراقيل الامور اقصاها + لا يحيل خاطره المنير في امر الا سددة ولا يرى وجها لفعل الخير الا ابتدره وورّده + فانه مطبوع على الكرم والاحسان + ومجبول على نفع كل انسان فكانه والمعالي توامان + او صنوان متلازمان + ادام الله فخره ونصل هذا التفسير مما يجدد على طول المدى ذكره وكان تاليفه في بلدة بهوپال المحمية في سنة ١٢٨٩ الهجرية القدسية + في عهد دولة ذات الهمة العلية + صاحبة المكارم الجلية + عين هذا الزمان الاخر ويمينه + لو حلف الدهر لياتين بمثلها حنثت يمينه فهي درة يتيمة كلها كرم وجود + وما من فضل الا وهو في ذاتها الكريمة مشهود وموجود + موارد كرمها سائغة + وملابس نعمها سابغة + مع ايادٍ رواتع ونعم عوادي + كنسائم الحدائق

غب الامطار الغوادي + فان المحاسن المركومة فيض بنانها + واين الرياض المعطورة بمجرجنانها
اعني بها وليدة النعم حضرتنا نواب شاهجهان بيگم المخاطبة من تلقاء الحكام
الانگليسية بريئس دلاور اعظم طبقة اعلاى هند ادام الله بركات عهدها ومحامد بلادها
على ملازميها ورعيتها + وعمها الجميع المسلمين ونفع بها كافة المؤمنين المتبعين تهي التي
بعنت جناب المؤلف ادام الله بركاته وعمر مجده وافاداته على تاليف هذا التفسير للقرآن الكريم وامرت
بادارة مطبع جديد لطبع هذا الرقيم + الذي ينسب الى اسمه الشريف + ويقال له المطبع
الصديقي عند الحد والتعريف + راعاني بانواع المكرمات وجاءت باصناف الصالحات
الباقيات + احيت ما طمس من السنن الغراء البيضاء + وافنت ما كان شائعا من البدع
المضلة والمحدثات الظلماء + طهرت هذه الارض الحرورة عن ادناس الاشراك والمعاصي
وزينتها بلباس التقوى حتى اقر بها كل حران وقاصي + فعصرها عروس الدهر لدى ذي
العينين + وعهدها قرة اعين الاسلام والمسلمين + كم عمرت من مدارس العلم + وكم اجارت
العلماء مع كمال الحزم والحلم + لا يطيق لساني القاصر ابراز مكارمها المشهورة + ولا يهتدي
خاطري الفاتر الى كشف محامدها المأثورة + فلله درها فيما عملت وعملت + وعلى الله اجرها
حيثما حملت من اعباء البرايا واثقال الرعايا ما حملت + كان الله لها مدى الزمان وكانت له
ما ترنم البلابل على الاغصان + واخر دعوانا ان الحمد لله رب الملوك والاعيان ورازق
الانسان والحيوان + وموفقهم للخير والاحسان في كل زمان ومكان بحسب الاستطاعة والامكان
وصلى الله وسلم على رسوله محمد سيدنا في الوجود والاكوان + وعلى آله وصحبه بركات الاسلام وغرة جباه الايمان
نمقه مصححه هذا التفسير في دار الطباعة + الراجي رحمة ربه العالي السيد ذو الفقار احمد
النقوي البوفالي وفقه الله تعالى وتبارك للعمل على كتابه العزيز الكبير ورزقه اتباعه

هذا كتاب ينطق عليكم بالحق

الحمد لله على ما وفقنا لطبع هذا الجزء الرابع من التفسير المسمى

مقاصد القرآن في فتح البيان

بعهد دولة الرئيسة المكرمة حضرتنا نواب شاهجهان بيكم دامت اقبالها وافاضاتها بمطبعة المولوي محمد عبد المجيد خان

في المطبع الواقع في دار الامارة بهوپال المحمية
في ذي القعدة سنة ١٢٩٣



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص آياتها ست وثمانون وقيل خمس وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعنه قال لما مرض ابو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم ابو جهل فقال ان ابن اخيك يشتم الهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين ابي طالب قدر مجلس رجل فخشي ابو جهل ان يجلس الى ابي طالب ويكون ادنى اليه فوثب فجلس في ذلك المجلس فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له ابو طالب اي ابن اخي ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم الهتهم وتقول وتقول قال واكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم اني اريد منهم كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وابيك عشرا قالوا فما هي قال لا اله الا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب فنزل فيهم ص

والقرآن ذي الذكر الى قوله بل لما يذوقوا عذاب اخرجه الترمذي وصححه والنسائي واحمد وابن ابي شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر

بسم الله الرحمن الرحيم

ص . قرأ الجمهور صاد بسكون الدال كسائر حروف التهجي في اوائل السور فانها ساكنة الا واخر على الوقف وقرئ بكسرها من غير تنوين لالتقاء الساكنين وهذا اقرب وقيل وجه الكسر انه من صادى يصادي اذا عارض والمعنى صادِ القرآن بعملك اي عارضه وقابله فاعمل به وهذا حكاه النحاس عن الحسن البصري وقال انه فسر قراءته هذه بهذا وعنه ان المعنى ائته وتعرض لقراءته وقرئ صادَ بفتح الدال والفتح لالتقاء الساكنين وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صادف محمد قلوب الخلق واستمالها حتى امنوا به ورويت هذه القراءة عن ابي عمرو وروي عن ابن ابي اسحق ايضا انه قرأ صادِ بالكسر والتنوين تشبيها لها بالحرف مما هو غير متمكن من الاصوات وقرئ صادُ بالضم من غير تنوين على البناء نحو منذ وحيث كما قرئ به في قٓ ونٓ وقد بسط السمين الكلام على توجيه الكل وقال الحفناوي يجوز السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتانيث باعتبار ان هذا الاسم علم على السورة والجر مع التنوين نظرا الى كون السورة قرانا ويقال لها سورة داود وقد اختلف في معنى ص فقال الضحاك معناه صدق الله وقال عطاء صدق محمد وقال سعيد بن جبير هو بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله وقال قتادة هو اسم من اسماء الله وعنه هو اسم من اسماء الرحمن وقال محمد هو فاتحة السورة وقال ابن عباس ص محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو مما استاثر الله بعلمه وهو اعلم بمراده به وهذا هو الحق كما قدمنا في فاتحة سورة البقرة قيل وهو اسم للحرف صرود على نمط التعديد اما اسم للسورة او خبر مبتدا محذوف او منصوب باضمار اذكر او اقرا والقرآن هي واو القسم والاقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله ومعنى ذي الذكر انه مشتمل على الذكر الذي فيه بيان كل شيء وقال مقاتل معنى ذي الذكر ذي البيان فقال الضحاك وابن عباس ذي الشرف والعظمة كما في قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم او الشهرة وقيل ذي الموعظة وقيل فيه ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين وقيل فيه ذكر

اسماء الله تعالى وتمجيده وقيل فيه ذكر العقائد والشرائع والمواعيد وجواب القسم قوله ان ذلك لحق قاله الزجاج والكسائي والكوفيون وقال الفراء لا نجده مستقيما لتاخره جدا عن قوله والقرآن وزجح هو وثعلب ان الجواب قوله كم اهلكنا وقال الاخفش الجواب هو ان كل الا كذب الرسل وقيل هو صاد لان معناه حق فهو جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله وجب والله ذكره ابن الانباري وروي ايضا عن ثعلب والفراء وهو مبني على ان جواب القسم يجوز تقدمه وهو ضعيف وقيل الجواب محذوف والتقدير لتبعثن ونحو ذلك وقال الحوفي تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقال الزمخشري انه لمعجز والمعنى انك لمن المرسلين وقال ابن عطية تقديره ما الامر كما يزعم الكفار من تعدد الآلهة والقول بالحذف اولى وقيل ان قوله ص مقسم به وعلى هذا القول تكون الواو في والقرآن للعطف عليه ولما كان الاقسام بالقرآن دالا على صدقه وانه حق وانه ليس بمحل للريب قال سبحانه بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ فاضرب عن ذلك وكانه قال لا ريب فيه قطعا ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه بل هم في عزة عن قبول الحق اي تكبر وتجبر وشقاق اي امتناع عن قبول الحق يعني ليس الحامل لهم عليه الدليل بل مجرد الحمية والخصام والتقليد والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال من عز بز اي من غلب اخذ السلب ومنه وعزني في الخطاب اي غلبني والشقاق ماخوذ من الشق وهو الخلاف والعداوة وقد تقدم بيانه والتنكير فيهما للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق والاول اولى ثم خوفهم سبحانه وهددهم بما فعله من قبلهم من الكفار فقال كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ يعني الامم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل اي كم اهلكنا الذين كانوا امنع من هؤلاء واشد قوة واكثر اموالا وكم هي الخبرية الدالة على التكثير وهي في محل نصب باهلكنا على انها مفعول به ومن قرن تمييز ومن في من قبلهم هي لابتداء الغاية فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ النداء هنا هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس الحين حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتاخر ولات بمعنى ليس بلغة اهل اليمن وقال النحاة هي لا التي بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما في قولهم ربت

وثم وثمت قال الفراء الوص التاخر والشد قول امرء القيس ٥ امن ذكر ليلى اذ نأتك تنوص + فتقصر عنها خطوة وتبوص + قال يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اي فر وراغ قال الفراء ويقال ناص ينوص اذا تقدم وقيل المعنى انه قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال سيبويه والخليل لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر اي ليس حينا حين مناص وقال الزجاج التقدير وليس اوانا قال ابن كيسان والقول قول سيبويه والوقف عليها عند الكسائي بالهاء وبه قال المبرد والاخفش وقال الاخفش انها لاء النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان قال الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والاخفش والتاء تكتب منقطعة عن حين وكذلك هي في المصاحف وقال ابو عبيد تكتب متصلة بحين فيقال ولاحين وقد يستغنى بحين عن المضاف اليه قال ابو عبيد ثم نجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين ووان والآن قلت قد يزيد ونها في غير ذلك ايضا قال ابن عباس ليس بحين نزو ولا فرار وخرج ابن ابي مليكة عن طريق عكرمة عنه قال نادوا والنداء حين لا ينفعهم فر وانشد ٥ تذكرت ليلى حين لات تذكر + وقد بنت منها والمناص بعيد + وعنه قال ليس هذا حين نزال وعنه قال لا حين فرار وقرأ الجمهور لات بفتح التاء وقرئ بكسرها كجير وحملة لات حين مناص في محل نصب على الحال من ضمير نادوا وعجبوا ان جاءهم منذر منهم اي عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بانهم في عزة وشقاق ان جاءهم رسول من انفسهم ينذرهم بالعذاب ان استمروا على الكفر وان وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض اي من ان جاءهم وهو كلام مستانف مشتمل على ذكر نوع من انواع كفرهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قالوا هذا القول لما شاهدوا ما اجله به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر اي هذا المدعي للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات كذاب فيما يدعيه من ان الله ارسله قيل ووضع الظاهر موضع المضمر لاظهار الغضب عليهم وان ما قالوه لا يجاسر على مثله الا المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ الكفر اغلظ من ان يصدر من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج ثم انكروا ما جاء به صلى الله عليه وسلم من التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا اجعل الآلهة

اي صيرها الها واحدا وقصرها على الله سبحانه ان هذا لشيء عجاب اي لامر بالغ في العجب الى الغاية تعجبوا من هذا القصر والحصر وقالوا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ومنشاوه ان القوم ما كانوا اصحاب نظر واستدلال بل كانت الهتهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد ان الفاعل الواحد لا يتفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وان اسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا ان كونهم على هذه الحال محال ان يكونوا مبطلين فيه ويكون الانسان الواحد محقا فلعمري لو كان التقليد حقا كانت هذه الشبهة لازمة قاله الكرخي قال الجوهري العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد اكثر منه قرء الجمهور عجاب بالتخفيف وقرئ بتشديد الجيم قال من قال بالتخفيف لغة ازد شنوءة قيل والعجاب بالتخفيف والتشديد يدل على انه قد يجاوز الحد في العجب كما يقال الطويل للذي فيه طول والطوال للذي قد تجاوز حد الطول وكلام الجوهري يفيد اختصاص المبالغة بعجاب مشدد الجيم لا بالمخفف وقد قدمنا في صدر هذه السورة سبب نزول هذه الايات وانطلق الملا منهم المراد بالملا الاشراف كما هو مقرر في غير موضع من تفسير الكتاب العزيز عن ابن عباس قال نزلت حين انطلق اشراف قريش الى ابي طالب فكلموه في النبي صلى الله عليه وسلم قائلين بعضهم للبعض ان امشوا اي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه واصبروا على الهتكم اي اثبتوا على عبادتها وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على الهتكم وان هي المفسرة للقول المقدر او لقوله وانطلق لانه مضمن معنى القول ويجوز ان تكون مصدرية معمولة للمقدر او للمذكور اي بان امشوا وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها اي اجتمعوا واكثروا وهو بعيد جدا وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشي بحقيقتهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول وجملة ان هذا لشيء يراد تعليل لما تقدمه من الامر بالصبر اي يريد محمد بنا والهتنا ويوجه تمامه من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ليعلو علينا ونكون له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا مخرج التحذير منه والتنفير عنه وقيل ان هذا الامر يريده الله سبحانه وما اراده وحكم بامضائه فهو كائن لا محالة ولا ينفع فيه الا الصبر فاصبروا على عبادة الهتكم وقيل المعنى ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان هذا الامر شيء من

نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او امر يراد باهل الارض والاول اولى ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الاخرة وهي ملة النصرانية فانها اخر الملل قبل ملة الاسلام كذا قال محمد بن كعب القرظي وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي وبه قال ابن عباس وقال مجاهد يعنون به ملة قريش اي التي ادركنا عليها اباءنا وعن قتادة مثله وقال الحسن المعنى ما سمعنا ان هذا يكون في آخر الزمان وقيل ان المعنى ما سمعنا من اليهود والنصارى ان محمدا رسول الله إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ اي ما هذا الا كذب اختلقه محمد وافتراه من تلقاء نفسه وافتعله ثم استنكروا ان يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم فقالوا ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ق الاستفهام للانكار اي كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والاشراف قال الزجاج قالوا كيف انزل على محمد القرآن من بيننا ونحن اكبر سنا واعظم شرفا منه وهذا مثل قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فانكروا ان يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء ولما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم دونهم بين السبب الذي لاجله تركوا التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به فقال بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي اي من القرآن او الوحي لاعراضهم عن النظر الموجب لتصديقه واهمالهم للادلة الدالة على انه حق منزل من عند الله بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ اي بل السبب انهم لم يذوقوا عذابي فاغتروا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابي على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا لما جئت به من القرآن ولم يشكوا فيه وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين وفيه اشارة الى ان قوله بل لما يذوقوا اضراب عن الاضراب الاول خلاف ما يفهم من الكشاف من تعلقه بالكلامين قبله أَمْ اي بل اعِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ اي مفاتيح نعم ربك وهي النبوة وما هو دونها من النعم حتى يعطوها من شاؤا فانهم ولا انكار ما تفضل الله به على هذا النبي واختاره له واصطفاه لها والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب القاهر الذي لا يغلب الوهاب المعطي بغير حساب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا اي بل الهم ملك هذه الاشياء

حتى يعطوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ويعترضوا على اعطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء والمعنى انه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها وقوله فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في الاسباب اي المعارج والمناهج والطرق التي توصلهم الى السماء والى العرش حتى يستووا عليه ويحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويدبروا امر العالم بما يشتهون او فليصعدوا وليمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم والاسباب ابواب السموات التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال الربيع بن انس الاسباب احق من الشعر واشد من الحديد ولكن لا نرى قال السدي في الاسباب في الفضل والدين وقيل فليعملوا في اسباب القوة ان ظنوا انهم لما نعته وهو قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الحبال اي ان وجدوا حبلا يصعدون فيها الى السماء فعلوا والاسباب عند اهل اللغة كل شيء يتوصل به الى المطلوب كائنا ما كان وفي هذا الكلام تهكم بهم وتعجيز لهم قال ابن عباس الاسباب السماء اي لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب هذا وعد من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم بالنصر عليهم والظفر وجند مرتفع على انه خبر مبتدء محذوف اي هم جند حقير يعني الكفار مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم ولا تظن انهم يصلون الى شيء مما يضمرونه بك من الكيد وما في قوله ما هنالك هي صفة لجند لافادة التعظيم او التحقير اي جند اي جند وقيل هي زائدة يقال هزمت الجيش كسرته وهزمت القربة اذا كسرتها وهذا الكلام متصل بما تقدم وهو قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا تحزن لعزهم وشقاقهم فاني اسلب عزهم واهزم جمعهم وقد وقع ذلك ولله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله وهو اخبار بالغيب وقيل مشار به الى نصرة الاسلام وقيل الى حفر الخندق يعني الى مكان ذلك قال الرازي والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصيرون مهزومين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة وما ذاك الا في يوم الفتح كذبت قبلهم استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال امثالهم الطغاة الذين هؤلاء جند من جلسهم بما فعلوا من الكفر والتكذيب وفعل بهم من العقاب والعذاب

قوم نوح اي كذبوا رسولهم نوحا وكذا يقدر فيما بعده وتانيث قوم باعتبار المعنى وهو انهم امة وطائفة وجماعة وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال المفسرون كانت له اوتاد يعذب بها الناس وذلك انه كان اذا غضب على احد وتد يديه ورجليه وراسه على الارض وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وما ابرد هذا القول وقيل ذو القوة والبطش وقيل المراد بالاوتاد الجموع والجنود الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون امره ويشدون سلطانه كما يقوى الاوتاد ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا قال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز ثابت وملك ثابت الاوتاد ويريدون ملكا دائما شديدا واصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد وقيل المراد بالاوتاد هنا البناء المحكم اي ذو فرعون ذو الابنية المحكمة قال الضحاك والبنيان يسمى اوتادا والاوتاد جمع وتد وفيه لغات افصحها فتح الواو وكسر التاء ويقال وتد بفتحهما ووِدّ بادغام التاء في الدال بوزن وجّ ووُدٌ وهي لغة اهل نجد قال الاصمعي ويقال وتد واتد مثل شغل شاغل وثمود وقوم لوط واصحاب الْأَيْكَةِ اي الغيضة وهي الاشجار الملتفة المجتمعة وقد تقدم تفسيرها في سورة الشعراء في قصة اولئك الاحزاب انهم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولهم فلان هو الرجل وقريش وان كانوا احزابا كما قال الله تعالى فيما تقدم جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ولكن هؤلاء الذين قصصهم الله علينا من الامم السالفة هم اكثر منهم عددا واقوى ابدانا واوسع اموالا واعمارا وقيل ان المعنى ان مشركي قريش من اولئك الاحزاب وهم هم ومنهم وجد التكذيب وهذه الجملة مستانفة او خبر والمبتدأ قوله وعاد كذا قال ابو البقاء وهو ضعيف بل الظاهر ان عادا وما بعده معطوفات على قوم نوح فلا اولى ان تكون هذه الجملة خبر المبتدأ محذوفا او بدلا من الامم المذكورة إِنْ كُلٌّ اي ما كل حزب من هذه الاحزاب إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ لان تكذيب الحزب لرسوله المرسل اليه تكذيب لجميع الرسل لان دعوتهم واحدة وهي التوحيد او هو من مقابلة الجمع بالجمع والمراد تكذيب كل حزب لرسوله والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان احد من الاحزاب في جميع احواله الا وقع منه تكذيب الرسل وفي تكرير التكذيب ايضاحه بعد ابهامه والتنويع في نكيره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد انواع من المبالغة المستحقة عليها استحقاق اشد العقاب وابلغه

ثم قال فحق عقاب اي فحق عليهم عقابي بتكذيبهم ومعنى حق ثبت ووجب وان تاخر فكانه
واقع بهم وكل ماهو آت قريب قرئ عقاب باثبات الياء وحذفها مطابقة لرؤس الاي وفي الاية
زجر وتخويف للسامعين وما ينظر اي ينتظر هؤلاء اي كفار مكة الا صيحة واحدة وهي النفخة
الثانية عند قيام الساعة وقيل هي النفخة الثانية وعلى الاول المراد من عاصر نبينا صلى الله عليه وسلم
من الكفار وعلى الثاني المراد كفار الامم المذكورة اي ليس بينهم وبين ما اعد الله لهم من عذاب
النار الا ان ينفخ في الصور النفخة الثانية وقيل المراد بالصيحة عذاب يفجأهم في الدنيا وجملة ما لها
من فواق في محل نصب صفة لصيحة قال الزجاج فواق بفتح الفاء وضمها لغتان بمعنى واحد وهو
الزمان الذي بين حلبتي الحالب وضغثي الراضع وهو مشتق من الرجوع ايضا لانه يعود اللبن الى
الضرع بين الحلبتين ويقال افاق من مرضه اي رجع الى الصحة ولهذا قال مجاهد ومقاتل ان
الفواق الرجوع وقال قتادة مالها من مثنوية وقال السدي مالها من افاقة وقيل مالها من مرد قال الجوهري
مالها من نظرة وراحة وافاقة وقال ابن عباس مالها من رجعة والفيقة اسم اللبن الذي يجمع
بين الحلبتين وجمعها فيق وافواق واما افاويق فجمع الجمع قال الفراء والسدوسي وابو عبيدة وابن زيد
والسدي الفواق بفتح الفاء الراحة والافاقة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه وما
الانتظار ومعنى الاية ان تلك الصيحة هي ميعاد عذابهم فاذا جاءت لم ترجع ولا ترد عنهم ولا تصرف
ولا تتوقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي الحالب لها وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وكما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب قالوا
استهزاء وسخرية ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب والقط في اللغة النصيب من الشيء وهو القطع
وبهذا قال قتادة وسعيد بن جبير قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل
للصك قط قال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز والجمع القطوط واصله من قط الشيء
اي قطعه ومنه قط القلم ومعنى الاية سؤالهم لربهم ان يعجل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب
وهو مثل قوله ويستعجلونك بالعذاب وقال السدي سألوا ربهم ان يعجل لهم منازلهم من الجنة
ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسماعيل بن ابي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وبه
قال سعيد بن جبير والسدي وقال ابو العالية والكلبي ومقاتل لما نزل قوله

واما من اوتي كتابه بشماله فالت قريش زعمت يا محمد انا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب قال ابن عباس سألوا الله ان يعجل لهم وقال قطنا نصيبنا من الجنة ثم امر الله سبحانه نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يصبر على ما يسمعه من اقوالهم فقال اصبر على ما يقولون من اقوالهم الباطلة
التي هذا القول المحكي عنهم من جملتها وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل
اذاهم قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة وهو الصحيح ولما فرغ من ذكر قرون الضلالة
واسم الكفر والتكذيب وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليته وتاسيته بذكر
قصة داؤد وما بعدها فقال واذكر عبدنا داؤد ذا الايد اي اذكر قصته فانك تجد فيها ما تتسلى
به والايد القوة قاله ابن عباس ومنه رجل ايد اي قوي وتايد الشيء تقوى والايد مفرد بوزن
البيع وهو مصدر وليس جمع يد يقال آد الرجل يئيد ايدا وايادا بالكسر اذا قوي واشتد فهو ايد
مثل سيد وهين ومنه قولهم ايدك الله تاييدا والمراد ما كان فيه عليه السلام من القوة على
العبادة قال الزجاج وكانت قوة داؤد على العبادة اقوى قوة ومن قوته ما اخبرنا به نبينا صلى الله
عليه وسلم انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو وجملة
انه اواب تعليل لكونه ذا الايد والاواب الرجاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه الى ما يحبه ولا
يستطيع ذلك الا من كان قويا في دينه وقيل معناه كلما اذكر ذنبه استغفر منه وتاب عنه و
وهذا داخل تحت المعنى الاول يقال اب يؤب اذا رجع وقال ابن عباس الاواب المسبح بلغة الحبشة
واخرج الديلمي عن مجاهد قال سألت ابن عمر عن الاواب فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال
هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله وعن ابن عباس قال الاواب الموقن انا سخرنا الجبال معه
استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين وكونه رجاعا الى مرضاته تعالى وايثار مع على اللام لما
اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه كتسخير
الريح وغيرها لسليمان بل بطريق التبعية له والاقتداء به قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا اراد سيرها
الى حيث يريد يسبحن ولم يقل مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا فشيئا وحالا بعد حال
اي يقدس الله سبحانه وينزهه حالا يليق به ويسبحن في محل نصب على الحال وفي هذا بيان ما اعطاه الله من
البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان اذا ذكر الله ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال

وقال محمد بن اسحٰق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن فهذا معنى تسبيح الجبال والاول اولى ومعنى يسبحن يصلين ومعه متعلق بسخرنا بالعشي اي وقت صلوة العشاء والاشراق اي وقت صلوة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها والمعنى كان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وغروبها وقال الكلبي اي غدوة وعشية يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وذلك وقت الضحى واما شروقها فطلوعها قال الزجاج شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال لم ينزل في نفسي من صلوة الضحى حتى قرأت هذه الآية وعنه قال لقد اتى علي زمان وما ادري وجه هذه الآية حتى رايت الناس يصلون الضحى اخرجه ابن المنذر وابن مردويه واخرج الطبراني في الاوسط وابن مردويه عنه قال كنت امر بهذه الآية فما ادري ما هي حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الفتح فدعى بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق والاحاديث في صلوة الضحى كثيرة جدا وقد ذكرها الشوكاني في شرح المنتقى والطير محشورة اي وسخرنا له الطير حال كونها محشورة اي مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله معه قيل كانت تجمعها اليه الملائكة وقيل كانت تجمعها الريح كل له اواب اي كل واحد من داود والجبال والطير رجاع الى طاعة الله وامره والضمير في له راجع الى الله عز وجل وقيل الى داود اي لاجل تسبيح داود مسبح فوضع اواب موضع مسبح والاول اولى وقد قدمنا ان الاواب الكثير الرجوع الى الله سبحانه وشددنا ملكه اي قويناه وثبتناه بالنصر في المواطن على اعدائه والقاء الرعب منه في قلوبهم وقيل بكثرة الجنود كان يبيت حول محرابه كل ليلة ستة او ثلثة وثلاثون الف رجل يحرسونه وكان اشد ملوك الارض سلطانا واخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال استعدى رجل من بني اسرائيل عند داود على رجل من عظمائهم فقال ان هذا غصبني بقرا لي فسال داود الرجل عن ذلك فجحده فسال الاخر البينة فلم تكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فقاما من عنده فاتي داود في منامه فقيل له اقتل الرجل الذي استعدى فقال ان هذه رؤيا ولست اعجل حتى اثبت فاتي الليلة الثانية في منامه فامر ان يقتل الرجل فلم يفعل ثم اتي الليلة الثالثة فقيل له اقتل الرجل او تابى العقوبة من الله فارسل داود الى الرجل فقال له اسامرني ان اقتلك قال نعم والله انك

ولا تشتط قال نعم والله لا نعذلك امر الله فيك فقال الرجل لا تجعل علي حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبته في بني اسرائيل وشد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة والمراد بها النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به وقال مقاتل الفهم والعلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل الاصابة في الامور وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وقال مجاهد العدل وقال ابو العالية العلم بكتاب الله وقال شريح السنة ولا مانع من حمل الآية على الكل وفصل الخطاب المراد به الفصل في القضاء وبه قال الحسن والكلبي ومقاتل وحكى الواحدي عن الاكثرين فصل الخطاب الشهود والايمان لانها انما تقطع الخصومة بهذا وبه قال ابي بن كعب وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه البينة على المدعي واليمين على من انكر وقيل الفصل بين الحق والباطل وقاله شريح والشعبي وقتادة ايضا وقيل هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل وقيل بيان الكلام وقيل علم الحكم والتبصر بالقضاء والمعاني متقاربة وعن ابي موسى الاشعري قال اول من قال اما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب اخرجه ابن ابي حاتم والديلمي وعن الشعبي انه سمع زياد بن ابيه يقول فصل الخطاب الذي اوتيه داود اما بعد اخرجه سعيد بن منصور ولما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره اردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الاخبار العجيبة وقال وهل اتاك نبؤا الخصم ومعنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق الى استماع ما بعده لكونه امرا غريبا كما تقول لمخاطبك هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع قال مقاتل بعث الله الى داود ملكين جبريل وميكائيل ليبنهه على التوبة فاتياه وهو في محرابه قال النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير ان المراد بالخصم هنا الملكان والخصم مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة ومعنى قوله اذ تسوروا المحراب اتوه من اعلى سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع وجاء بلفظ الجمع في تسوروا مع كونهما اثنين نظرا الى ما يحتمله لفظ الخصم من الجمع والمحراب الغرفة لانهم تسوروا عليه وهو [illegible] قال عيسى بن سلام وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقيل انهما كانا انسيين ولم يكونا ملكين والعامل في اذا النبأ اي هل اتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم وبهذا قال ابن عطية ومكي وابو البقاء وقيل العامل فيه اتاك وقيل معمول للخصم وقيل معمول لمحذوف

وقف لازم

اي وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم وقيل معمول لتسوروا وقيل هو بدل مما قبله وقال الفراء ان احد الظرفين المذكورين بمعنى لما عن ابن عباس ان داود حدث نفسه اذا ابتلي انه يستعصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم الذي تبتلى فيه فتخل حذرك فقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فاخذ الزبور ودخل المحراب واغلق باب المحراب واخذ الزبور في حجره واقعد منصفا يعني خادما على الباب وقال لا تاذن لاحد علي اليوم فبينما هو يقرء الزبور اذ جاء طائر مذهب كاحسن ما يكون للطير فيه من كل لون فجعل يدور بين يديه فدنا منه فامكن ان يأخذه فتناوله بيده ليأخذه فاستوفز من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه ليأخذه فطار فوقع على كوة المحراب فدنى منه ليأخذه فاضى فوقع على حص فاشرف عليه لينظر اين وقع فاذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما رأت ظله حركت راسها فغطت جسدها باجمع بشعرها وكان زوجها غازيا في سبيل الله فكتب داود الى راس الغزاة انظر اوريا واجعله في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما ان يفتح عليهم واما ان يقتلوا فوجهه في حملة التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة من بعده واشهدت عليه خمسين من بني اسرائيل وكتب عليه بذلك كتابا فما شعر بفتنته انه افتتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور عليه الملكان المحراب وكان شانهما ما قص الله في كتابه وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف وابن ابي حاتم واخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب قال ما اصاب داود وما اصابه بعد القدر الا من عجب عجب بنفسه وذلك انه قال يا رب ما من ساعة من ليل ولا نهار الا وعابد من آل داود يعبدك يصلي لك اويسبح اويكبر وذكر اشياء فكره الله ذلك فقال يا داود ان ذلك لم يكن الا بي فلولا عوني ما قويت عليه وعزتي وجلالي لاكلنك الى نفسك يوما قال يا رب فاخبرني به فاخبره فاصابته الفتنة ذلك اليوم واخرج اصل القصة الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابن جرير وابن ابي حاتم عن السدي مرفوعا باسناد ضعيف واخرج ابن جرير من وجه اخر عن ابن عباس مطولة واخرجها جماعة عن جماعة من التابعين فقال الخفاجي بعد ذكره هذه القصة هذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من اقناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء انتهى وقال القاضي عياض لا يجوز ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون

من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك
ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في
قصة داود واوريا خبر ثابت وهذا هو الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود قال الرازي
حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم
فلا يليق بعاقل ان يظن بداود عليه السلام هذا وقال غيره ان الله اثنى على داود قبل هذه القصة
وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين
ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستهجنه العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص كيف تجري ذكره
اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كتابه القدير وروى سعيد بن المسيب والحارث
الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء ورويا انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل
من اهل الحق فكذب الخ به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها
واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي اظهارها
عليه فقال عمر سماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس قال النسفي والذي يدل عليه المثل
الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى الزوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب وانما
جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان الناطق اذا اسند
الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم انافه مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة انتهى قال ابو السعود واما ما يذكر من انه عليه السلام تزوج امرأة
اوريا فهو افك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه
وتبا لمن اخترعه واذاعه وسيأتي الكلام على ذنب داود عليه السلام في آخر هذه القصة اذا بدل
من الاولى دخلوا على داود ففزع منهم لانهما اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم ودخلوا
عليه بغير اذنه ولم يدخلوا من الباب الذي يدخل منه الناس قال ابن الاعرابي وكان محراب
داود من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي اليه الا ذو حيلة قالوا لا تخف جملة مستأنفة كانه
قيل فماذا قالوا لداود لما فزع منهم خصمان اي نحن خصمان وجاء فيما سبق بلفظ الجمع وهنا بلفظ

التثنية لما ذكرنا ص لان لفظ الخصم يحمل المفرد والمثنى والمجموع فالكل جائز قال الخليل هو كما تقول نحن فعلنا لان اقل ما تكلمتا اثنتين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة اخبر الاثنان عن انفسهما فقالا خصمان وقوله بغى بعضنا على بعض هو على سبيل الغرض والتقدير او على سبيل التعريض لان من المعلوم ان الملكين لا يبغيان ثم طلبا منه ان يحكم بينهما بالحق ونهياه عن الجور فقالا فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في حكمك يقال شط الرجل واشط شططا واشطاطا اذا جار في حكمه وتجاوز الحد قال ابو عبيد شططت عليه واشططت فيه اي جرت فهو مما اتفق فيه فعل وافعل وقال الاخفش معناه لا تسرف وقيل لا تفرط وقيل لا تمل والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شطت الدار اذا بعدت قال ابو عمرو والشطط مجاوزة القدر في كل شيء واهدنا الى سواء الصراط اي وسطه ومحجته اي العدل والصواب والمعنى ارشدنا الى الحق واحملنا عليه ثم لما اخبرا عن الخصومة اجمالا شرعا في تفصيلها وشرحها فقالا إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً المراد بالاخوة هنا اخوة الدين قاله ابن مسعود او الصحبة او الالفة او اخوة الشركة والخلطة والنعجة هي الانثى من الضان وقد يقال للبقر الوحشي نعجة ويعبر بها عن المرأة لما هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والعجوز والناقة لان الكل مركوب قال الواحدي النعجة البقرة الوحشية والعرب تكني عن المرأة بها وتشبه النساء بالنعاج من البقر قرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء وقرئ بفتحها قال الخفاش وهي لغة شاذة وانما عني بهذا داود لانه كان له تسع وتسعون امرأة وعني بقوله وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ او يا زوج المرأة التي اراد ان يتزوجها او كما تقدم بيان ذلك فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا اي ضمها الي وانزل لي عنها حتى اكفلها وما صير بعلا لها قال ابن كيسان اجعلها كفلي ونصيبي قال ابن مسعود ما زاد داود على ان قال اكفلنيها وعن ابن عباس قال ما زاد داود على ان قال تحول لي عنها وهذا يخالف ما سبق عنه وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ اي غلبني يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه وفي المثل من عز بز اي من غلب اخذ السلب والاسم العزة وهي القوة قال عطاء المعنى ان تكلم كان افصح وان حارب كان ابطش مني لقوة مملكته فالغلبة كانت له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل وقرئ وعازني اي غالبني من المعازة وهي المغالبة قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه اي

بسؤاله نعجتك ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين ان كان الامر على ما تقول واللام هي الموطئة للقسم وهي وما بعدها جواب القسم المقدر وجاء بالقسم في كلامه مبالغة في انكار ما سمعه من طلب صاحب التسع والتسعين النعجة ان يضم اليه النعجة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها ويمكن انه انما قال بهذا بعد ان سمع الاعتراف من الآخر قال النحاس ويقال ان خطيئة داود هي قوله لقد ظلمك لانه قال ذلك قبل ان يتثبت وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال لَيَبْغِي اللام لام التوكيد وقعت في خبر ان اي يتعدى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ويظلمه غير مراع لحقه إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فانهم يتحامون ذلك ولا يظلمون خليطا ولا غيره والاستثناء متصل وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ اي وقليل هم وما زائدة لتوكيد القلة والتعجيب وقيل هي موصولة وهو مبتدء وقليل خبره عن ابن عباس قال يقول قليل الذي هم فيه وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ قال ابو عمرو والفراء ظن بمعنى ايقن ومعنى فتناه ابتليناه وقال ابن عباس اختبرناه والمعنى انه عند ان خاصما اليه وقال ما قال علم عند ذلك انه المراد وان مقصودهما التعريض به ويصاحبه الذي اراد ان ينزل له عن امرأته قال الواحدي قال المفسرون فلما قضى بينهما داود ونظر احدهما الى صاحبه فضحك فعند ذلك علم داود بما اراد اه قرء الجمهور فتناه بالتخفيف للتاء وتشديد النون وقرئ بالتشديد للتاء والنون وهي مبالغة في الفتنة وقرء الضحاك افتناه وقرئ فتناه بتخفيفهما واسناد الفعل الى الملكين فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ لذنبه وَخَرَّ رَاكِعًا اي ساجدا وعبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل خر ساجدا بعد ما كان راكعا قال ابن العربي لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع هنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء واحدهما يدخل في الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئته ثم جاء هذا على تسمية احدهما بالآخر وقيل المعنى للسجود راكعا اي مصليا وقيل بل كان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا وَأَنَابَ اي رجع الى الله بالتوبة من ذنبه قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام اربعين لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة ثم انزل الله له التوبة والمغفرة وقد اختلف المفسرون في ذنبه او للذي

استغفر له وتاب عنه على القول الاول انه نظر الى امراة الرجل الذي اراد ان تكون زوجة له
كذا قال سعيد بن جبير وغيره قال الزجاج ولم يتعمد داود النظر الى المرأة لكنه عاود النظر
اليها وصارت الاولى له والثانية عليه الثاني انه ارسل زوجها في حملة الغزاة الثالث انه توفي
ان مات زوجها ان يتزوجها الرابع ان اوريا بن حنان كان خطب تلك المراة فلما غاب خطبها داود
فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها الخامس انه لم يجزع
على قتل اوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك كان
ذنوب الانبياء وان صغرت في عظيمة السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع من الاخر
كما قدمنا واقول الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضا لداود عليه السلام انه
طلب من زوج المرأة الواحدة ان ينزل له عنها ويضمها الى نسائه ولا ينافي هذا العصمة الكائنة
للانبياء فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بارسال ملائكته اليه ليتخاصموا في مثل قصته
حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر وتاب عنه وقد قال تعالى وعصى آدم ربه فغوى
وهو ابو البشر واول الانبياء ووقع لغيره من الانبياء ما قصه الله علينا في كتابه وفي الآية ما
يدل على صدور الذنب منه وهي قوله وظن داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله
وانا به وقوله فغفرنا له ذلك والجواب عن هذا بان حسنات الابرار سيئات المقربين ليس
كما ينبغي والاولى ما ذكرناه ثم اخبر سبحانه انه قبل استغفاره وتوبته فقال فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ
الذنب الذي استغفر منه قال عطاء الخراساني وغيره ان داود بقي ساجدا اربعين يوما
حتى نبت الرعي حول وجهه وغمر راسه قال ابن الانباري الوقف على قوله ذلك تام ثم يبتدئ
الكلام بقوله وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ والزلفى القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه
قال مجاهد الزلفى الدنو من الله عز وجل يوم القيامة والمراد بحسن المآب حسن المرجع وهو الجنة
واخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر يوم القيامة فعظم
شانه وشدته قال ويقول الرحمن عز وجل لداود عليه السلام مر بين يدي فيقول داود يا رب
اخاف ان تدحضني خطيئتي فيقول خذ بقدمي فياخذ بقدمه عز وجل فيمر قال فتلك الزلفى التي
قال الله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واخرج احمد والبخاري وابو داود والترمذي والنسائي

وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها واخرج النسائي وابن مردويه بسند جيد عنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود ونسجدها شكرا واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وعن انس مثله مرفوعا اخرجه ابن مردويه واخرج الدارمي وابو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابي سعيد قال قرء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم اخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود فقال انما هي توبة ولكني رايتكم تهيأتم للسجود فنزل فسجد يا داود انا جعلناك خليفة في الارض لما تم سبحانه قصة داود اردف ذلك ببيان تفويض امر خلافة الارض اليه والجملة معللة لقول مقدر معطوف على غفرنا له وقلنا له يا داود انا استخلفناك على الارض او جعلناك خليفة لمن قبلك من الانبياء لتقوم بالعدل وتنهى عن المنكر وتدبر امور الناس وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس افضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك الحاكم ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكم بين العباد وفيه تنبيه لداود عليه السلام ان الذي عوتب عليه ليس بعدل وان فيه شائبة من اتباع هوى النفس فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي والفاعل هو الهوى ويجوز ان يكون الفعل مجزوما بالعطف على النهي وانما حرك لالتقاء الساكنين فعلى الوجه الاول يكون المنهي عنه الجمع بينهما وعلى الثاني يكون النهي عن كل واحد منهما على حدة وسبيل الله هو طريق الحق او طريق الجنة او دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد تعليل للنهي عن اتباع الهوى والوقوع في الضلال بما نسوا يوم الحساب الباء للسببية ومعنى النسيان الترك قال الزجاج اي بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وان كانوا يذكرون ويذكرون ولو ايقنوا بيوم الحساب لأمنوا في الدنيا وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتاخير والتقدير

ع ١٢

ولهم عذاب يوم الحساب بما نسوا اي تركوا القضاء بالعدل والاول الاعلى وما خلقنا السماء و
الارض وما بينهما باطلا مستانفة مقررة لمضمون ماقبلها من امر البعث والحساب اي ما خلقنا
هذه الاشياء خلقا باطلا لاخارجا عن الحكمة الباهرة بل خلقناها للدلالة على قدرتنا فانتصاب
باطلا على المصدرية او على الحالية او على انه مفعول لاجله والاشارة بقوله ذلك الى المنفي قبله
وهو مبتدء وخبره ظن الذين كفروا اي مظنونهم فانهم يظنون ان هذه الاشياء خلقت لا
لغرض ويقولون انه لا قيامة ولا بعث ولا حساب وذلك يستلزم ان يكون خلق هذه المخلوقات
باطلا فويل للذين كفروا من النار الفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل
اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار
بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل ثم الويل ثم وبخهم ويكتهم فقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة كما نعطوا
فنزلت وام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب
والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار
التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل الذين امنوا بالله وصدقوا
رسله وعملوا بفرائضه كالكفرة المفسدين في اقطار الارض بالمعاصي قال ابن عباس في الاية الذين
امنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحارث والمفسدون في الارض عتبة وشيبة والوليد ثم اضرب
سبحانه اضرابا آخر وانتقل عن الاول الى ما هو اظهر استحالة منه فقال ام نجعل المتقين كالفجار
اي بل انجعل اتقياء المؤمنين كاشقياء الكافرين والمنافقين وحمل الفجار على المنهمكين في
معاصي الله سبحانه من المسلمين مما لا يساعده المقام وقيل المراد بالمتقين الصحابة ولا وجه للتخصيص
بغير مخصص والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين
ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين
كتاب اي القرآن كتاب انزلناه اليك يا محمد مبارك اي كثير الخير والبركة ليدبروا آياته
اي التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع وهو متعلق بانزلناه وفي
الآية دليل على ان الله سبحانه انما انزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون تدبر

قال الحسن قد قرء هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده قرء الجمهور ليدبروا بالادغام وقرئ لتدبروا بالتاء الفوقية على الخطاب وهي قراءة علي رضي الله تعالى عنه والاصل لتتدبروا وليتذكر اولوا الالباب اي ليتعظ اهل العقول والبصائر والالباب جمع لب وهو العقل ووهبنا لداود سليمان اخبر سبحانه بان من جملة نعمه على داود انه وهب له سليمان ولذا تم مدح سليمان فقال نعم العبد اي سليمان فالمخصوص بالمدح محذوف وقيل ان المدح هنا بقوله نعم العبد هو لداود والاول اولى وجملة انه اواب تعليل لما قبلها من المدح والاواب الرجاع الى الله بالتوبة كما تقدم بيانه اذ عرض عليه بالعشي اي اذكر ما صدر عنه وقت ان عرض عليه الصافنات الجياد وقيل هو متعلق بنعم وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقييده بذلك الوقت وقيل متعلق باواب ولا وجه لتقييد كونه اوابا بذلك الوقت والعشي من الظهر او العصر الى آخر النهار والصافنات جمع صافن وقد اختلف اهل اللغة في معناه فقال الفتيبي والفراء الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل او غيرها وقال قتادة ومنه الحديث من احب ان يقتل له الناس صفوفا فليتبوء مقعده من النار اي يديمون القيام له وقال الزجاج هو الذي يقف على احدي اليدين ويرفع الاخرى ويجعل على الارض طرف الحافر منها حتى كانه يقوم على ثلث وهي الرجلان واحدى اليدين وقد يفعل ذلك باحدى رجليه وهي علامة الفراهة وقال ابو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسوبهما واما الذي يقف على سنبكه فاسمه المتحيم والجياد جمع جواد يقال للفرس ذكرا كان او انثى اذا كان شديد العدو وقيل انها الطوال الاعناق ماخوذ من الجيد وهو العنق وقيل الذي يجود في الركض قيل كانت مائة فرس وقيل كانت عشرين الفا وقيل كانت عشرين فرسا وعن ابراهيم التيمي قال كانت عشرين الف فرس ذات اجنحة فعقرها وقيل انها خرجت له من البحر وكانت لها اجنحة وعن ابي هريرة قال الصافنات الجياد خيل خلقت على ما شاء وعن مجاهد قال صفونها الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على اطراف الحافر والجياد السراع لا انه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون في الجحان واظاهر في العرب وقيل وصفها بالصفون والجود ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها

واذا حرت كانت سراعا خفافا في جريها قيل ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة فقال اعترافا بما صدر منه فندما عليه وتهييدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اخر العرض الممتد ومن ابتدائه اني احببت حب الخير عن ذكر ربي انتصاب حب على انه مفعول احببت بعد تضمينه معنى اثرت قال الفراء يقول اثرت حب الخير وكل من احب شيئا فقد اثره وقيل انتصابه على المصدرية بحذف الزوائد والناصب له احببت وقيل هو مصدر تشبيهي لان احببت وحببت مثل حب الخير والاول اولى والمراد بالخير ههنا الخيل قاله الزجاج وقال الفراء الخير والخيل في كلام العرب واحد وانها تعاقب بين الراء واللام فتقول اهملت العين واهمرت وختلت وخترت قال النحاس وفي الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير فكانها سميت خيرا لهذا وقيل لما فيها من المنافع وعن بمعنى على اي اثرت حب الخيل على ذكر ربي يعني صلوة العصر وبه قال علي وقال ابن عباس الخير المال وقيل احببت بمعنى لزمت وقيل بمعنى قعدت من احب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء وقيل بمعنى اردت حتى توارت بالحجاب يعني الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك قال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء او دليل الذكر وقد جرى ههنا الدليل وهو قوله بالعشي والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب ما يحجبها عن الابصار قال قتادة وكعب الحجاب جبل اخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف وسمي الليل حجابا لانه يستر ما فيه ويقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وفيه بعد وبرودة وعن ابن مسعود قال توارت من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها وعن ابن عباس قال كان سليمان لا يكلم اعظاما لله فلقد فاتته صلوة العصر وما استطاع احد ان يكلمه وقيل الضمير للخيل اي حتى توارت في المسابقة عن الاعين والاول اولى وقوله ردوها علي من تمام كلام سليمان اي اعيدوا عرضها علي مرة اخرى قال الحسن ان سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلوة العصر غضب لله وقال ردوها علي اي اعيدوها وقال ابن عباس ردوها اي الخيل وقيل الضمير يعود الى الشمس ويكون ذلك معجزة له وانما امر برجاعها بعد مغيبها لاجل ان يصلي العصر والاول اولى فطفق مسحا بالسوق والاعناق الفاء في الفصيحة التي تدل على محذوف في الكلام

والتقدير هنا فردوها عليه قال ابو عبيدة طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو مثل ظل وبات وانتصاب مسحا على المصدرية بفعل مقدر اي يمسح مسحا لان خبر طفق لا يكون الا فعلا مضارعا وقيل هو مصدر في موضع الحال والاول اولى والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والمراد انه طفق يضرب اعناقها وسوقها بالسيف يقال مسح علاوته اي ضرب عنقه قال الفراء المسح هنا القطع قال والمعنى انه اقبل يضرب سوقها واعناقها لانها كانت سبب فوت صلاته وكذا قال ابو عبيدة قال الزجاج ولم يكن يفعل ذلك الا وقد اباحه الله له وجائز ان يباح ذلك لسليمان ويحظر في هذا الوقت وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فقال قوم المراد بالمسح ما تقدم وقال آخرون منهم الزهري وقتادة ان المراد به المسح على سوقها واعناقها لكشف الغبار عنها حبا لها والقول الاول اولى بسياق الكلام فانه ذكر انه آثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلوة العصر ثم امرهم برجعها عليه ليعاقب نفسه بافساد ما الهاه عن ذلك وما صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه ولا يناسب هذا ان يكون الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها واعناقها بالمسح عليها بيده او بثوبه ولا متمسك لمن قال ان افساد المال لا يصدر عن نبي فان هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر في شرعنا مع جواز ان يكون في شرع سليمان ان مثل هذا مباح على ان افساد المال المنهي عنه في شرعنا انما هو مجرد اضاعته لغير غرض صحيح واما الغرض الصحيح فقد جاز مثله في شرعنا كما وقع منه صلى الله عليه وسلم من اكفاء القدور التي طبخت من الغنيمة قبل القسمة ولهذا نظائر كثيرة في الشريعة ومن ذلك ما وقع من الصحابة من احراق طعام المحتكر قال ابن عباس مسحا عقرا بالسيف اي قطع سوقها واعناقها بالسيف قال الرازي التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لاحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه امر باعادتها واجرائها حتى توارت بالحجاب ثم امر برد الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه

في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل واوصافها وعيوبها من غيره فكان يمسح حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم شيء من تلك المنكرات والمحظورات انتهى وما ابرد هذا التفسير عن الرازي وابعده عن النظم القرآني والحق ما ذكرناه فان اللغة تشهد بصوابه والسوق والاعناق ولا وجه للعدول عنه الى تاويل ركيك وتوجيه بعيد بناء على عصمة الانبياء عليهم السلام ولقد فتنا سليمان اي ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه قال الواحدي قال اكثر المفسرين تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته عن ذلك وقيل ان ذلك كان منه انه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حبا شديدا فاختصم اليه فريقان احدهما من اهل جرادة فاحب ان يكون القضاء لهم ثم قضى بينهم بالحق وقيل السبب انه احتجب عن الناس ثلثة ايام لا يقضي بين احد وقيل انه تزوج جرادة هذه وهي مشركة لانه عرض عليها الاسلام فقالت اقتلني ولا اسلم وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه في شيء من حيض او غيره وقيل انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم وقيل ان بسبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح انه قال لاطوفن الليلة على تسعين امرأة تاتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وقيل غير ذلك والمصير الى الحديث متعين قال النسفي ولما مايروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فمن اباطيل اليهود انتهى اقول حديث الخاتم اخرجه النسائي وغيره وقواه السيوطي كما سياتي فكونه من اباطيل اليهود ليس على ما ينبغي ثم بين سبحانه ما فتن به فقال وألقينا على كرسيه جسدا قال اكثر المفسرين هذا الجسد الذي القاه الله على كرسي سليمان هو شيطان اسمه صخر وكان متمردا عليه غيورا داخلا في طاعته الى ان الله شبه سليمان عليه وما زال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان وذلك عند دخول سليمان الكنيف لانه كان يلقيه اذا دخل الكنيف فجاء صخر في صورة سليمان فاخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان فقعد على سرير سليمان واقام اربعين يوما على ملكه وسليمان هارب وكان ملكه مرتبا على لبسه فاذا لبس سخرت له الجن والانس والرياح وغيرها واذا نزعه زال عنه الملك قيل وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم

كما نزل بعصا موسى والحجر الاسود وبعود البخور وباوراق التين وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله

وادم معه انزل العود والعصا ٭ لموسى من الاس النبات الكرم ٭ واوراق تين واليمين بسلة

وختم سليمان النبي المعظم ٭ لكن يفتقر ذلك الى دليل يدل له من الاخبار المرفوعة الصحيحة وقال

مجاهد ان شيطانا قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك فلما اعطاه

اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن

وكان سليمان يستطعم فيقول انا سليمان فيكذبونه حتى اعطته امرأة يوما حوتا فشق

بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وهو معنى قوله ثم اناب اي رجع على ملكه بعد ان

يوما وقيل معنى اناب رجع الى الله بالتوبة من ذنبه وهذا هو الصواب قيل فتن سليمان

بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة اخرج الحاكم وصححه والفريابي والحكيم

الترمذي عن ابن عباس قال الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس اربعين يوما وكان

لسليمان امرأة يقال لها جرادة وكان بين بعض اهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم الحق

الا انه وقال الحق كان لاهلها فاوحى الله اليه ان سيصيبك بلاء فكان لا يدري ياتيه من

السماء ام من الارض واخرج النسائي وابن جرير وابن ابي حاتم بسند قال السيوطي قوي عن ابن عباس

قال اراد سليمان ان يدخل الخلاء فاعطى الجرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته وكانت احب نسائه

اليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فاعطته فلما لبسته انت له الانس و

الجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال هاتي خاتمي قالت قد اعطيته سليمان قال انا

سليمان قالت كذبت لست سليمان فجعل لا ياتي احدا يقول انا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه

بالحجارة فلما رأى ذلك عرف انه من امر الله وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما اراد الله ان يرد

على سليمان سلطانه القى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان فاتوا الى نساء سليمان فقالوا

لهن تنكرن من امر سليمان شيئا قلن نعم انه ياتينا ونحن نحيض وما كان ياتينا قبل ذلك فلما

رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان امره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت

كرسي سليمان ثم اثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس وعليهم فانكر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه ويعيبونه بذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقفته سمكة

فاخذته وكان سليمان يعمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعى سليمان فقال تحمل لي هذا السمك قال نعم بكم قال بسمكة من هذا السمك فحمل سليمان السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى باب داره اعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فاخذها سليمان فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فاخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فارسل سليمان في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت الا انبا طمعه الرصاص فاخذوه فاوثقوه وجاؤا به الى سليمان فامر به فنقرله تحت من رخام ثم ادخله في جوفه ثم شد بالنحاس ثم امر به فطرح في البحر فذلك قوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان سلط عليه واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته قال سليمان رب اغفر لي وما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لاجله وطلب المغفرة دأب الانبياء والصلحاء هضما للنفس واظهارا للذل والخشوع وطلبا للترقي في المقامات ثم لما قدم التوبة والاستغفار جعلها وسيلة الى اجابة طلبته فقال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل معناه لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا ينبغي لاحد ان يسلبنيه بعد هذه السلبة اولا يصح لاحد من بعدي لعظمته وليس هذا من سؤال نبي الله سليمان عليه السلام الدنيا وملكها والشرف بين اهلها بل المراد بسؤاله الملك ان يتمكن به من انفاذ حكم الله سبحانه والاخذ على يد المتمردين من عباده من الجن والانس ولو لم يكن من المقتضيات لهذا السؤال منه الا امارأه عند قعود الشيطان على كرسيه من الاحكام الشيطانية الجارية في عباد الله لكفى وجملة انك انت الوهاب تعليل لما قبلها مما طلبه من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده الا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا قاله ابو السعود واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جعل يتفلت علي البارحة

ليقطع علي صلاتي وان الله امكنني منه فلقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد
حتى تصبحوا فتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فرده الله خاسئا ثم ذكر سبحانه اجابته لدعوته واعطاءه لمسألته فقال فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ
اي ذللناها له وجعلناها منقادة لامره ثم بين كيفية التسخير لها بقوله تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً
اي لينة الهبوب ليست بالعاصفة مأخوذ من الرخاوة والمعنى الجارية لينة لا تزعزع ولا تعصف
مع قوة هبوبها وسرعة جريها ولا ينافي هذا قوله في اية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري
بامره لان المراد انها في قوة العاصفة ولا تعصف وقيل انها كانت تارة رخاء وتارة عاصفة
على ما يريده سليمان ويشتهيه وهذا اولى في الجمع بين الايتين حَيْثُ أَصَابَ قال الزجاج
اجماع اهل اللغة والمفسرين على ان معنى حيث اصاب حيث اراد وحقيقته حيث قصد وقال
الاصمعي وابن الاعرابي العرب تقول اصاب الصواب واخطأ الجواب وقيل معنى اصاب بلغة
حمير اراد وليس من لغة العرب وقيل هو بلسان هجر والاول اولى وهو ماخوذ من اصابة
السهم للغرض ومختاله الشَّيَاطِينَ وقوله كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ بدل من الشياطين اي كل
بناء منهم وغواص منهم يبنون له ما يشاء من المباني ويغوصون في البحر فيستخرجون له
الدر منه وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ معطوف على
كل داخل في حكم البدل وهم مردة الجن والشياطين سخرهم الله حتى قرنهم في الاصفاد يقال
قرنهم في الجبال اذا كانوا اجماعة كثيرة والاصفاد الاغلال واحدها صفد قال الزجاج
هي السلاسل فكل ما شددته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد صفدته قال ابو عبيدة
صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته فهو مصفد قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك
الا بكفارهم فاذا امنوا اطلقهم ولم يسخرهم هذا اي ما تقدم من تسخير الريح والشياطين له
او من الملك والمال والبسطة وهو بتقدير القول اي وقلنا له هذا عَطَاؤُنَا الذي اعطيناكه
من الملك العظيم الذي طلبته فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ اي فاعط من شئت وامنع من شئت قاله
الحسن والضحاك وغيرهما وقال ابن عباس اعتق من الجن من شئت وامسك منهم من شئت
بِغَيْرِ حِسَابٍ لا حساب عليك في ذلك الاعطاء والامساك او عطاؤنا لك بغير حساب للكثرة وعظمه

وقال قتادة ان قوله هذا عطاؤنا اشارة الى ما اعطيه من قوة الجماع وهذا لا وجه لقصر الآية
عليه لو قدرنا انه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات فكيف يدعي اختصاص الآية به
مع عدم ذكره وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى اي قربة في الآخرة وَحُسْنَ مَآبٍ اي حسن مرجع وهو
الجنة وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ عطف بيان وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال
الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام حتى كان قصتيهما قصة واحدة وايوب هو ابن عيص
بن اسحق إِذْ نَادَى رَبَّهُ بدل اشتمال من عبدنا أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ قرء الجمهور بفتح الهمزة
على انه حكاية لكلامه الذي نادى به ولو لم يحكه لقال انه مسه وقرئ بكسرها على اضمار القول
وفي ذكر قصة ايوب ارشاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقتداء به في الصبر على المكاره بِنُصْبٍ
قرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد فقيل هو جمع نصب بفتحتين نحو اسد واسد وقيل هو
لغة في النصب نحو رشد ورشد وقرئ بضمتين وبفتح وسكون وهذه القراءات كلها بمعنى
واحد وانما اختلفت القراءات باختلاف اللغات وقال ابو عبيدة ان النصب بفتحتين التعب
والاعياء وعلى بقية القراءات الضر والبلاء وَعَذَابٍ اي الم قال قتادة ومقاتل النصب في
الجسد والعذاب في المال قال النحاس وفيه بعد كذا قال والاولى تفسير النصب بالمعنى اللغوي
وهو التعب والاعياء وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الالم وكلاهما راجع الى البدن
وقد اخرج احمد في الزهد وابن ابي حاتم وابن عساكر عن ابن عباس خبرا طويلا في قصة ايوب اولها
ان الشيطان عرج الى السماء فقال يا رب سلطني على ايوب قال الله تعالى لقد سلطتك على ماله
وولده ولم اسلطك على جسده الحديث بطوله وفيه نكارة شديدة فان الله سبحانه لا يمكن
الشيطان من نبي من انبيائه ويسلطه عليه هذا التسليط العظيم واسند المس الى الشيطان مع
ان الله سبحانه هو الذي مسه بذلك اما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب
والعذاب فقد قيل انه اعجب بكثرة ماله وقيل استغاث مظلوما فلم يغثه وقيل انه قال ذلك على
طريقة الادب وقيل انه قال ذلك لان الشيطان وسوس الى اتباعه فرفضوه واخرجوه من ديارهم
وقيل المراد به ما كان يوسوسه الشيطان اليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم
الصبر على المصيبة وقيل غير ذلك ارْكُضْ بِرِجْلِكَ اي قلنا له اركض كذا قال الكسائي والركض الدفع

بالرجل يقال ركض الدابة اذا ضربها برجله وقال المبرد الركض التحريك قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك الدابة برجليه وقال ابو علي ذلك وكما سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر هذا مغتسل بارد وشراب هذا ايضا من مقول القول المقدر وفي الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل الخ وظاهر النظم الكريم ان الاغتسال والشرب كانا من عين واحدة والمغتسل هو الماء الذي يغتسل به والشراب الذي يشرب منه وقيل ان المغتسل هو المكان الذي يغتسل فيه قال قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها الجابية فاغتسل من احداهما فاذهب الله ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه وكذا قال الحسن وقال مقاتل نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها ماء عذبا باردا ووهبنا له اهله معطوف على مقدر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا عنه بذلك ما به من ضر ووهبنا له اهله قيل احياهم الله بعد ان اماتهم وقيل جمعهم بعد تفرقهم وقيل غيرهم مثلهم ثم زاد مثلهم معهم وهو معنى قوله ومثلهم معهم فكانوا امثالهم ما كانوا من قبل ابتلائه رحمة منا وذكرى لاولي الالباب اي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله اولوا الالباب فيصبروا على الشدائد كما صبر ويلجئوا الى الله كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وقد تقدم في سورة الانبياء تفسير هذه الاية مستوفى فلا نعيده وخذ معطوف على اركض او على وهبنا او التقدير وقلنا له خذ بيدك ضغثا هو عثكال النخل يشماريخ وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها بيابسها وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان واصل المادة تدل على جمع المختلطات قال الواحدي الضغث ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ وعن ابن عباس قال الضغث هو الاسل وقال ايضا الضغث القبضة من المرعى الرطب وقال ايضا الحزمة فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك والحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على فعله لانهما سببان فيه وكان ايوب قد حلف في مرضه ان يضرب امرأته مائة جلدة واختلف في سبب ذلك فقال سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت تاتيه به من الخبز فحاز خيانتها فحلف ليضربنها وقال يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان

اعواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه فانه اذا فعل ذلك برئ فحلف ليضربنها اذا عوفي مائة جلدة وقيل باعت خوابتها برغيفين اذلم تجد شيئا وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام فلهذا حلف ليضربنها واخرج احمد في الزهد عن ابن عباس قال ان ابليس قعد على الطريق واخذ تابوتا يداوي الناس فقالت امراة ايوب يا عبد الله ان ههنا مبتلى من امره كذا وكذا فهل لك ان تداويه قال نعم بشرط ان انا شفيته ان يقول انت شفيتني لا اريد منه اجرا غيره فاتت ايوب فذكرت له ذلك فقال ويحك ذاك الشيطان لله علي ان شفاني الله ان اجلدك مائة جلدة فلما شفاه الله امره ان ياخذ ضغثا فيضربها به فاخذ عدد قافيه مائة شمراخ فضربها به ضربة واحدة واخرج احمد والطبراني عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال حملت وليدة في بني ساعدة من زنا فقيل لها ممن حملك قالت من فلان المقعد فسئل المقعد فقال صدقت فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذوا عثكولا فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة واحدة وله طرق اخرى وقد اختلف العلماء هل هذا خاص بايوب او عام للناس كلهم وان من حلف خرج من يمينه بمثل ذلك قال الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا فلم يقل ضربا شديدا ولم ينو بقلبه فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الاية حكاه ابن المنذر عنه وعن ابي ثور واصحاب الرأي وقال عطاء هو خاص بايوب ورواه ابن القاسم عن مالك ثم اثنى الله سبحانه على ايوب فقال إِنَّا وَجَدْنَاهُ اي علمناه صَابِرًا على البلاء الذي ابتليناه به فانه ابتلي بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وولده واهله فصبر ولم يشك الى الله احد بذلك فانه ليس جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء والشكاية المذمومة انما هي اذا كانت للمخلوقين قال ابن مسعود ما فوق راس الصابر بن يوم القيامة نِعْمَ الْعَبْدُ اي ايوب إِنَّهُ أَوَّابٌ اي رجاع الى الله تعالى بالاستغفار والتوبة وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ اي اذكر صبرهم على ما اصابهم تتاسى بهم قرء الجمهور عبادنا بالجمع وقرئ بالافراد فعلى قراءة الجمهور يكون ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان وعلى القراءة الاخرى يكون ابراهيم عطف بيان وما بعده عطف على عبدنا لا على ابراهيم وقد يقال لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز ابدال الجماعة منه وقيل ان ابراهيم وما بعده بدل او النصب بفعل محذوف وعطف البيان اظهر وقراءة الجمهور ابين وقد اختارها ابو حاتم وابو عبيد

أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ الايدي جمع اليد اما الجارحة فكني بها عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما يزاول باليد وقيل جمع اليد التي بمعنى القوة والقدرة قال قتادة اعطوا قوة في العبادة ونصر في الدين قال الواحدي وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون قال النحاس اما الابصار فمتفق على انها البصائر في الدين والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب النعم الذين انعم الله عز وجل عليهم وقيل هم اصحاب النعم على الناس والاحسان اليهم لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا واختار هذا ابن جرير قرء الجمهور الايدي باثبات الياء وقرئ بغير ياء فقيل معناها معنى الاولى وانما حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها وقيل الايد القوة الا ان الزمخشري قال وتفسيره بالايد من التاييد قلق غير متمكن انتهى وكانه انما قلق عنده لعطف الابصار عليه فهو غير مناسب للايد من التاييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل احد كذلك انما المراد الكناية من العمل الصالح والتفكر ببصيرته فلم يقلق حينئذ اذ لم يرد حقيقة الابصار وكانه تميل اولى القوة والتفكر بالبصيرة وقد نحا الزمخشري الى شيء من هذا قبل ذلك قاله السهيلي قال ابن عباس القوة في العبادة والابصار الفقه في الدين وعنه قال الايدي النعم وقيل اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالآية عن الاعمال وبالابصار عن المعارف لانها القوى مبادئها إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل قرء الجمهور بخالصة بالتنوين وعدم الاضافة على انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكرى منصوبا به او بمعنى الخلوص فيكون ذكرى مرفوعا به او يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى بدل منها او بيان لها او منصوبة باضمار اعني والدار مفعول به للذكرى او مرفوعة على اضمار مبتدء والدار مفعول به بذكرى او ظرف اما على الاتساع او على اسقاط الخافض وعلى كل تقدير فخالصة صفة لموصوف محذوف والباء للسببية اي بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى على ان الاضافة للبيان لان الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله شهاب قيس لان الشهاب يكون قيسا وغيره او على ان خالصة مصدر مضاف الى المفعول والفاعل محذوف اي بان اخلصوا ذكرى الدار وتناسوا عند ذكرها ذكر الدنيا او مصدر بمعنى الخلوص مضاف الى الفاعل قال مجاهد معنى الآية استصفيناهم

بذكر الاخرة فاخلصناهم بذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الاخرة والى الله وقال السدي
اخلصوا بخوف الاخرة قال الواحدي فمن قرء بالتنوين في خالصة كان المعنى جعلناهم لنا
خالصين بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكر
اي خلص لهم تذكر الدار وهو انهم يذكرون التاهب لها ويزهدون في الدنيا وذلك من
شان الانبياء واما من اضاف فالمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة مصدر
مضاف الى الفاعل والذكرى على هذا المعنى الذكر قال ابن عباس اخلصوا بذكر دار الاخرة ان يعملوا
لها وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد اخلصهم به فليس يذكر غيرهم في
الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا قاله النسفي وفيه بعد
وقال ابن جزي معناه انا جعلناهم خالصين لنا او خصصناهم دون غيرهم واما الباء على الاول
فهي للتعليل وعلى الثاني هي لتعدية الفعل انتهى وَاِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْاَخْيَارِ
الاصطفاء الاختيار والاخيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كاموات في جمع ميت مشددا ومخففا
والمعنى انهم عندنا لمن المختارين من ابناء جنسهم من الاخيار وَاذْكُرْ اِسْمٰعِيْلَ قيل وجه ذكره
مفردا بعد ذكر ابيه واخيه وابن اخيه الاشعار بانه عريق في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير هنا
وَالْيَسَعَ هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبي وَذَا الْكِفْلِ اختلف في
نبوته ولقبه وهو ابن عم اليسع او هو بشر بن ايوب بعثه الله بعد ابيه وسماه ذا الكفل وكان
مقيما بالشام حتى مات وعمر خمس وسبعون سنة قد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه في الانعام
وتقدم ذكر ذي الكفل والكلام فيه في سورة الانبياء والمراد من ذكرهؤلاء انهم من جملة من صبر
من الانبياء وتحمل الشدائد في دين الله امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بان يذكرهم ليسلك مسلكهم في
الصبر وَكُلٌّ اي كل المتقدمين من داود الى هنا مِنَ الْاَخْيَارِ الذين اختارهم الله سبحانه
لنبوته واصطفاهم من خلقه هذا ذكر اشارة الى ما تقدم من ذكر اوصافهم الناطقة بمحاسنهم
اي هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به ابدا جملة حيي بها ايذانا بان القصة قد تمت واخذ
في اخرى وَاِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مع هذا الذكر الجميل لَحُسْنَ مَاٰبٍ في الاخرة والماب المرجع وهذا شروع في
بيان احوال الجزيل الاجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب اخر من ابواب التنزيل

والمعنى انهم يرجعون في الآخرة الى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته ثم بين حسن المرجع فقال جَنَّاتِ عَدْنٍ بدل او عطف بيان لحسن مآب وهو في الاصل الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام فيه وقيل هو اسم لقصر في الجنة وقيل هي جنات عدن مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ الابواب مرتفعة باسم المفعول كقوله وفتحت ابوابها والرابط بين الحال وصاحبها ضمير مقدر اي منها او الالف واللام لقيامه مقام الضمير اذ الاصل ابوابها وقيل ارتفاع الابواب على البدل من الضمير في مفتحة العائد على جنات وبه قال ابو علي الفارسي اي مفتحة هي الابواب قال الفراء المعنى مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة وقال الزجاج المعنى مفتح لهم الابواب منها قال الحسن ان الابواب يقال لها انفتحي فتنفتح اغلاقها فتنغلق وقيل يفتح لهم الملائكة الابواب حال كونهم مُتَّكِئِينَ فِيهَا اي في الجنات يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ اي بالوان متنوعة متكاثرة من الفواكه وَشَرَابٍ كثير فحذف كثيرا لدلالة الاول عليه والاقتصار على ادعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي قيل الجملة مستانفة لبيان حالهم فيها او حال مما ذكر وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اي قاصرات طرفهن على ازواجهن وحابسات العين لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى بيانه في سورة صافات اتْرَابٌ اي متحدات في السن والشباب او متساويات في الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى انهن متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن بنات ثلث وثلثين سنة وقيل لدات لهم اي متقاربات في الولادة لان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن كبعض او نصف لا عجوز فيهن ولا صبية قال الشهاب اللدات جمع لدة كعدة اصلها ولد وهو كالترب من يولد معك في وقت واحد كانهما وقعا على التراب في زمن واحد وقيل اتراب للازواج والاتراب جمع ترب واشتقاقه من التراب لانهم سمين في وقت واحد لاتحاد مولدهن والمعاني متقاربة هَذَا مَا تُوعَدُونَ ليوم الحساب اي هذا الجزاء الذي وعدتم به لاجل يوم الحساب فان الحساب علة للوصول الى الجزاء والمعنى في يوم الحساب قرء الجمهور توعدون على الخطاب التفاتا او قرئ بالفوقية على الخبر واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم لقوله ان المتقين فانه خبر ان هذا المذكور من النعم والكرامات والجنات واوصافها إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا الذي انعمنا به عليكم واعطيناكموه مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ اي لا ينقطع ولا يفنى ابدا ومثله قوله عطاء

منه دام ظله

غير مجذوذ فنعم الجنة لا تنقطع عن اهلها هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكرا وهذا ذكر فيوقف
على هذا قال ابن الانباري وهذا وقف حسن قال ابن الامير هذا في هذا المقام من الفصل
الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام اخر اي خذ
هذا كيت وكيت وفيه بحث اذ يلزم حينئذ عطف الاخبار على الانشاء ولذا لم يذكر الزمخشري
هذا التقدير ثم ذكر سبحانه مآل الاهل الشر بعد ان ذكر مآل اهل الخير فقال وَاِنَّ لِلطّٰغِيْنَ الذين
طغوا على الله وكذبوا رسله لَشَرَّ مَاٰبٍ اي لشر منقلب ينقلبون اليه ثم بين ذلك فقال
جَهَنَّمَ بدل او عطف بيان يَصْلَوْنَهَا اي يصلون جهنم ويدخلونها فَبِئْسَ الْمِهَادُ اي
بئس ما مهدوا لانفسهم وهو الفراش ماخوذ من مهد الصبي والمراد بالمهد الموضع المخصوص
بالذم محذوف اي بئس المهاد هي كما في قوله لهم من جهنم مهاد شبه الله سبحانه ما اتخذوه من
نار جهنم بالمهاد هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيْمٌ وَّغَسَّاقٌ اي هذا حميم وغساق فليذوقوه قاله
الفراء والزجاج اي يقال لهم في ذلك اليوم هذه المقالة والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره و
الغساق ما سال من جلود اهل النار من القيح ومن الصديد من قولهم غسقت عينه اذا انصبت
والغسقان الانصباب قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا او ارتفاع حميم وغساق على
انهما خبران لمبتدء محذوف اي هو حميم وغساق ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار
فعل يفسره ما بعده اي ليذوقوا هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون حميم مرتفعا على الابتداء وخبره
مقدر قبله اي منه حميم ومنه غساق وقيل الغساق ما قتل برده ومنه قيل لليل غاسق
لانه ابرد من النهار وقيل هو الزمهرير وقيل الغساق المنتن وقيل هو عين في جهنم يسيل منه
كل ذوب حية وعقرب وقال قتادة هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم
الكفرة وجلودهم وقال محمد بن كعب هو عصارة اهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل
من دموع اهل النار يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي
قد انتهى برده وتفسير الغساق بالبارد انسب بما تقتضيه لغة العرب وانسب ايضا بمقابلة الحميم
قرأ اهل المدينة واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من غساق وقرئ بالتشديد
وهما لغتان بمعنى واحد كما قال الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم مثل عذاب

وجواب وصواب ومن شدد قال اسم فاعل للمبالغة نحو ضراب وقتال وقال ابن عباس غساق الزمهرير واخرج احمد والترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق يهرق في الدنيا لانتن اهل الدنيا قال الترمذي بعد اخراجه لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قلت ورشدين فيه مقال معروف وآخر من شكله قرء الجمهور واخر مفردا مذكرا وقرئ اخر بضم الهمزة على انه جمع وانكر الاولى لقوله ازواج وانكر عاصم الجحدري الثانية وقال لو كانت اخر لقال من شكلها وارتفاع اخر على انه مبتدء وخبره ازواج ويجوز ان يكون من شكله خبرا مقدما وازواج مبتدءا مؤخرا والجملة خبر اخر ويجوز ان يكون خبرا اخر مقدرا اي ولهم اخر من شكله ازواج جملة مستقلة ومعنى الاية على الاولى وعذاب اخر او مذوق اخر او نوع اخر من شكل ذلك العذاب او المذوق او النوع الاول والشكل المثل وعلى الثانية ومذوقات اخر وانواع اخر من شكل ذلك المذوق او النوع المتقدم وافراد الضمير في شكله على تاويل المذكور اي من شكل المذكور ومعنى ازواج اجناس وانواع واشباه وحاصل معنى الاية ان لاهل النار حميما وغساقا وانواعا اخر من العذاب مثل الحميم والغساق قال الواحدي قال المفسرون هو الزمهرير ولا يتم هذا الذي حكاه عن المفسرين الا على تقدير ان الزمهرير انواع مختلفة واجناس متفاوتة ليطابق معنى ازواج او على تقدير ان لكل فرد من اهل النار زمهريرا وجملة هذا فوج حكاية لقول الملائكة هم خزنة النار وذلك ان القادة والرؤساء اذا دخلوا النار ودخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنون الاتباع مقتحم معكم اي داخل معكم النار بشدة والاقتحام الالقاء في الشيء بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع وقيل الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها وفي المختار وقحم في الامر رمى بنفسه فيه من غير روية وبابه خضع وقحم فرسه النهر فاقتحم اي ادخله فدخل واقتحم الفرس النهر دخله وقوله لا مرحبا بهم من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا لا مرحبا بهم اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم وهذا اخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار وان المودة التي كانت بينهم تصير عداوة وجملة لا مرحبا بهم دعائية لا محل لها من الاعراب وقال السمين في مرحبا وجهان اظهرهما

انه مفعول بفعل مقدر اي لا اتيتم مرحبا او لا سمعتم مرحبا والثاني انه منصوب على المصدر
قال ابو البقا اي لا رحمتكم دارکم مرحبا بل ضيقا والبجاة المنفية اما مستانفة سيقت للدعاء عليهم
بضيق المكان وقوله بهم بيان للمدعو عليهم واما حالية وقد يعترض عليه بانه دعاء والدعاء
لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول اي مقولا في حقهم لا مرحبا بهم وقيل انها من تمام قول الخزنة
والاول اولى كما يدل عليه جواب الاتباع الآتي انهم صالوا النار تعليل من جهة القائلين لا مرحبا
بهم اي انهم صالوا النار كما صليناها ومستحقون لها كما استحققناها قالوا بل انتم لا مرحبا
بكم مستانفة جواب سؤال مقدر قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم بل انتم احق بما قلتم
لنا ثم علموا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا اي العذاب او الصلي لنا او قعتمونا فيه دعوتمونا
اليه بما كنتم تقولون لنا من ان الحق ما انتم عليه وان الانبياء غير صادقين فيما جاؤا به فبئس
القرار اي بئس المقر جهنم لنا ولكم ثم حكى عن الاتباع ايضا انهم اردفوا هذا القول بقول آخر وهو
قالوا ربنا من قدم لنا هذا اي من دعانا اليه وسوغه لنا قال الفراء المعنى من سوغ لنا هذا
وسنه وقيل معناه من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى الكفر فزده عذابا ضعفا في النار
اي عذابا بكفره وعذابا بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفا ومثله قوله سبحانه ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب والضعف ان
يزيد عليه مثله وقيل المراد بالضعف هنا الحيات والعقارب قال ابن مسعود اي افاعي وحيات
وقالوا اي كفار مكة كابي جهل واضيه بن خلف واصحاب القليب وهم في النار مالنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار اي الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى وقيل انما سموهم اشرارا لانهم
كانوا على خلاف دينهم قيل هو من قول الرؤساء وقيل من قول الطاغين المذكورين سابقا
قال الكلبي ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها فعند ذلك
قالوا هذا القول وقيل يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسالم وسلمان
وقيل اراد وا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على العموم اتخذناهم سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت
عنهم الابصار فلم نعلم مكانهم قاله مجاهد والانكار المفهوم من الاستفهام متوجه الى كل
واحد من الامرين قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم

قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب وقرئ بحذف همزة الاستفهام ذاهم في الوصل وعلى هذا يحتمل ان يكون الكلام خبرا محضا وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لوجلا او ان يكون المراد الاستفهام وحذفت اداته لدلالة ام عليها فتكون ام على الوجه الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة اي بل ازاغت عنهم الابصار على معنى توبيخ انفسهم على الاستخبار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وعلى الثاني ام هي المتصلة وقرئ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والاصل الجملة حينئذ وفيه التوبيخ لانفسهم على الامرين جميعا لان ام على هذه القراءة هي المتسوية وقرئ سخريا بضم السين وبكسرها قال ابو حبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله من التسخر

إِنَّ ذٰلِكَ اي ما تقدم من حكاية حالهم حَقٌّ اي لواقع ثابت في الدار الاخرة لا يتخلف البتة تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وهذا على قراءة الجمهور برفع تخاصم ع والمعنى ان ذلك الذي حكاه الله عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به وهو تخاصم اهل النار فيها وما قالته الرؤساء للاتباع وما قالته الاتباع لهم والجملة بيان لاسم الاشارة وفي ابهامها اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له قرئ ابن ابي عبلة بنصب تخاصم على انه بدل من ذلك او باضمار اعني وقرئ تخاصم بصيغة الماضي فتكون جملة مستانفة وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول قولا جامعا بين التخويف والارشاد الى التوحيد فقال قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ اي مخوف لكم من عذاب الله وعقابه لا ساحر ولا شاعر كما ادعيتم وبشير وانما اقتصر على الانذار لان كلامه معهم وهم انما ابوا سماع الانذار وَمَا مِنْ إِلٰهٍ يستحق العبادة إِلَّا اللّٰهُ الْوَاحِدُ الذي لا شريك له الْقَهَّارُ لكل شيء سواه رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا من المخلوقات الْعَزِيزُ الذي لا يغالبه مغالب الْغَفَّارُ لمن اطاعه وقيل معنى العزيز المنيع الذي لا مثل له ومعنى الغفار الستار للذنوب خلقه ثم امره الله سبحانه ان يبالغ في انذارهم ويبين لهم عظم الامر وجلالته فقال قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ اي ما انذركم به من العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خبر عظيم ونبأ جليل من شانه العناية به والتعظيم له والاحتفاء به امرا واتماما وعدم الاستخفاف به ومثل هذه الاية قوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم وقال مجاهد وقتادة ومقاتل هو القرآن فانه نبأ عظيم لانه كلام الله قال الزجاج قل النبأ الذي انا نذركم به عن الله

نبأ عظيم يعني ما انبأهم به من قصص الاولين وذلك دليل على صدقه ونبوته لانه لم يعلم ذلك الا بوحي من الله انتم عنه معرضون صفة ثانية للنبأ او جملة مستأنفة وهذا توبيخ لهم وتقريع لكونهم اعرضوا عنه ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه ويستدلوا به على ما انكروه من البعث ما كان لي من علم بالملأ الاعلى استيناف مسوق لتقرير انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك وان الانبياء لا يعلمون الغيب اصلا الا ما يوحى اليهم من جهته سبحانه وتعالى والملأ الاعلى هم الملائكة وزاد ابو السعود وادم عليه السلام وابليس عليه اللعنة اذ يختصمون اي ما كان لي فيما سبق علمه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت اختصامهم والضمير راجع الى الملأ الاعلى والخصومة المكائنة بينهم هي في امر ادم قال ابن عباس قال الملائكة حين شوروا في خلق آدم فاختصموا فيه وقالوا لا تجعل في الارض خليفة وعنه قال هي الخصومة في شأن آدم حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اخرج عبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن نصر في كتاب الصلوة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة ربي في احسن صورة احسبه قال في المنام قال يا محمد هل تدري فيم تختصم الملأ الاعلى قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت برد انامها بين ثديي او في نحري فعلمت ما في السموات والارض ثم قال لي يا محمد هل تدري فيم تختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات وابلاغ الوضوء في المكاره الحديث واخرج الترمذي وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه من حديث معاذ بن جبل نحوه باطول منه وقال واسباغ الوضوء في السبرات واخرج الطبراني وابن مردويه من حديث جابر بن سمرة نحوه باخصر منه واخرجا ايضا من حديث ابي هريرة نحوه وفي الباب احاديث وقيل الضمير لقريش اي يختصمون فيهم بعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك والاول اولى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين جملة معترضة بين اختصامهم المجمل وبين تفصيله بقوله اذ قال ربك للملائكة والمعنى ما يوحى الي الا اني نذير لكم ما تاتون من الفرائض والسنن وما تذرون من الحرام والمعصية قاله الفراء وقال كأنك قلت ما يوحى الي الا الانذار قرء الجمهور بفتح همزة انما على انها وما في حيزها

في محل رفع لقيامها مقام الفاعل اي ما يوحى الي الا الانذار او الا كوني نذير امبينا او في محل نصب اوجر بعد اسقاط لام العلة والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور وقرء ابو جعفر بكسر الهمزة لان في الوحي معنى القول وهي بالقائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كانه قيل ما يوحى الي الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين والقصر هنا اضافي اي لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم وخصه بالذكر لان الكلام مع المشركين وحاله معهم مقصور على الانذار ولما ذكر سبحانه خصومة الملائكة اجمالا فيما تقدم ذكرها هنا تفصيلا فقال اذ قال ربك للملائكة اذ هذه بدل من اذ يختصمون لاشتمال ما في حيز هذه على الخصومة وقيل هي منصوبة باضمار اذكر ولا اول اولى اذا كانت خصومة الملائكة في شان من يستخلف في الارض ولما اذا كانت في غير ذلك مما تقدم ذكره فالثاني اولى اني خالق اي فيما سياتي من الزمن بشرا اي جسما من جنس البشر وهو ادم عليه السلام ما خوذ من مباشرته الارض او من كونه يادي البشرة اي ظاهر الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر وقوله من طين متعلق بمحذوف هو صفة لبشرا او بخالق وقيل حال فاذا سويته صورته على صورة البشر وصارت اجزاؤه مستوية واتممته ونفخت اي اجريت فيه من روحي اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيري وقيل هو تمثيل ولا نفخ ولا منفوخ فيه وباباه ظاهر النظم الكريم فالاول اولى والمراد جعله حيا بعد ان كان جمادا لا حياة فيه وقد مر الكلام عليه في سورة النساء والنفخ اجراء الروح الى تجويف جسم صلب لامساكها واضافة الروح اليه تشريف لادم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيى به الانسان بنفوذه فيه وبه قال جمهور المتكلمين قاله الكرخي قال النووي في شرح مسلم انه الاصح عند اصحابنا وهو مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه ووافقهم على ذلك الغزالي والراغب واحتج الاول بوصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ انتهى وقيل جوهر شريف تدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء او كسريان النار في الفحم ذكره الخازن واقول علم الروح مما استاثر الله تعالى به علمه ولا يعلمه احد من خلقه كائنا من كان والخوض في معرفته من فضول الاعمال ولغو الكلام

وقد قال الله عز وجل قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع والسجود هنا هو سجود التحية لا سجود العبادة وفيه دليل
على ان المامور به ليس بحرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين وقد مضى تحقيقه في سورة
البقرة فسجد الملائكة فالكلام محذوف تدل عليه الفاء والتقدير فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه
فسجد له الملائكة كلهم يفيد انهم سجدوا جميعا اولم يبق منهم احد وقوله اجمعون يفيد انهم
اجتمعوا على السجود في وقت واحد فالاول لقصد الاحاطة والثاني لقصد الاجتماع قال في الكشاف
فافاد اسما انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد
غير متفرقين في اوقات وفيه نظر بل الاجتماع في الفعل وقيل انه اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
وكان هذا السجود قبل دخول آدم الجنة او بعده قولان الا ابليس الاستثناء متصل على تقدير
انه كان متصفا بصفات الملائكة داخلا في عدادهم فغلبوا عليه او منقطع على ما هو الظاهر
من عدم دخوله فيهم اي لكن ابليس استكبر اي انف من السجود جهلا منه بانه طاعة لله وكان
استكباره استكبار كفر فلذلك كان من الكافرين اي صار منهم لمخالفته لامر الله
واستكباره عن طاعته او كان من الكافرين في علم الله سبحانه وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى
في سورة البقرة والاعراف وبني اسرائيل والكهف وطه ثم ان الله سبحانه سأله عن سبب تركه
للسجود الذي امره به فقال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقرئ بالافراد اي
ما حملك وصدك عن السجود حتى توليت خلقه من غير واسطة او ام واضاف خلقه الى نفسه
تكريما له ونسر بفامع انه سبحانه خالق كل شيء كما اضاف اليه الروح والبيت والناقة والمساجد
قال مجاهد اليد هنا بمعنى التاكيد والصلة مجاز كقوله ويبقى وجه ربك وقيل اراد بالبد القدرة
يقال مالي بهذا الامر يد ومالي به يدان اي قدرة وقيل التثنية في اليد للدلالة على انها ليست
بمعنى القوة والقدرة بل للدلالة على انهما صفتان من صفات ذاته سبحانه وهو الاولى وقيل التثنية
لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصد الى تاكيد الانكار و
تشديد التوبيخ وما في قوله لما خلقت هي المصدرية او الموصولة وقرئ لما بالتشديد مع فتح اللام على
انها ظرف بمعنى حين كما قال ابو علي الفارسي وعن عبد الله بن عمر قال خلق الله اربعا بيده العرش

وجنة عدن والقلم وادم اخرجه ابن جرير وابو الشيخ في العظمة والبيهقي وعن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلثة اشياء بيده خلق ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس الفردوس بيده اخرجه ابن ابي الدنيا في صفة الجنة وابو الشيخ في العظمة والبيهقي في الاسماء والصفات أَسْتَكْبَرْتَ هو استفهام توبيخ وتقريع اي اتركت السجود لاستكبارك الحادث امر لاستكبارك القديم المستمر أَمْ كُنْتَ ام متصلة او منقطعة والمعنى استكبرت عن السجود الذي امرت به بل كنت مِنَ الْعَالِينَ اي المستحقين للترفع عن طاعة امر الله المتعالين عن ذلك وجملة قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ مستأنفة جواب سؤال مقدر اذ حتى اللعين نفسه انه خير من ادم اي ولو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه وفي ضمن كلامه هذا ان سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ وَّخَلَقْتَهٗ مِنْ طِيْنٍ وفي زعمه ان عنصر النار اشرف من عنصر الطين وافضل منه لان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها منه وايضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية وهما خير منهما وذهب عنه ان النار انما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين ان احتيج اليها استدعيت كما يستدعى الخادم وان استغني عنها طردت وايضا الطين يستولي على النار فيطفيها وايضا فهي لا توجد الا بما اصله من عنصر الارض وان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام نابت كالانسان والشجرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا يوازيها شيء من شرف العناصر وذلك ان الله تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه امر بالسجود له والجواهر في انفسها متجانسة وانما تشرف بعارض من عوارضها قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا مستأنفة كالتي قبلها اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وقيل من الخلقة التي كنت عليها انه كان يخلق خلقة غير خلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وفيه بعد لان الله تعالى اجل عنده الاستكبار عن السجود وفيه تعليل على انه صار كافرا حين لم يسجد ذكره الطيبي ثم علل امره بالخروج بقوله فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ اي مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير ملعون بترك امره وَاِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيْ اِلٰى يَوْمِ الدِّيْنِ اي طردي اياك عن الرحمة وابعادي اياك منها الى

يوم الجزاء فاخبر الله سبحانه وتعالى ان تلك اللعنة مستمرة له دائمة عليه ما دامت الدنيا ثم في الآخرة يلقى من انواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق وليس المراد ان اللعنة تزول عنه في الآخرة بل هو ملعون ابدا ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسى عنده اللعنة ويذهل عند الوقوع فيه منها صارت كانها لم تكن بجنب ما يكون فيه قال رَبِّ فَأَنظِرْنِي مستانفة كما تقدم فيما قبلها اي امهلني واخرني ولا تعاجلني الى ـــ يَوْمِ يُبْعَثُونَ يعني ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثارة قال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ اي الممهلين الى اليوم الوقت المعلوم الذي قدره الله لفناء الخلائق وهو عند النفخة الاخرة وقيل هو النفخة الاولى قيل انما طلب ابليس الانظار الى يوم البعث ليتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء البعث لا يموت فيخلص من الموت فاجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده وهو الانظار الى يوم الوقت المعلوم وهو الذي يعلمه الله ولا يعلم غيره فلما سمع اللعين انظار الله له الى ذلك الوقت قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فاقسم بعزة الله انه يضل بني ادم بتزيين الشهوات والمعاصي لهم واد خال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه انما هو من آثار قدرته تعالى وعزته وحكمه من احكام قهره وسلطنته فان الاشياء كلها واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخرى ثم لما علم ان كيده لا ينجع الا في اتباعه واحزابه من اهل الكفر والمعاصي استثنى من لا يقدر على اضلاله ولا يجد السبيل الى اغوائه فقال إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ اي الذين اخلصتهم لطاعتك وعصمتهم مني وقد تقدم تفسير هذه الآيات في سورة الحجر وغيرها قال فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ مستانفة كالجمل التي قبلها قرء الجمهور بنصب الحق في الموضعين على انه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصبا وهما منصوبان على الاغراء اي الزموا الحق او مصدران مؤكدان لمضمون قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ وقرئ برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول على انه مبتدء وخبره مقدر اي فالحق مني او فالحق انا او خبره لأملأن او هو خبر مبتدء محذوف واما نصب الثاني فبالفعل المذكور بعده اي وانا اقول الحق واجاز الفراء وابو عبيد ان يكون منصوبا بمعنى حقا لأملأن جهنم واعترض عليهما بان ما بعد اللام مقطوع عما قبلها وروي عن الفراء وسيبويه ايضا ان المعنى فالحق ان املأ جهنم وروي عن ابن عباس ومجاهد انهما قرءا برفعهما فرفع

الاول على ما تقدم ورفع الثاني بالابتداء وخبره الجملة المذكورة بعده والعائد محذوف وقرئ بخفضهما على تقدير حرف القسم قال الفراء كما يقول الله عز وجل لافعلن كذا وغلطه ابو العباس ثعلب وقال لا يجوز الخفض بعد مضمر وجملة لاملأن جواب القسم على قراءة الجمهور وجملة والحق اقول معترضة بين القسم وجوابه منك اي من جنسك ومن الشياطين ومن تبعك منهم اي من ذرية آدم فاطاعوك اذ دعوتهم الى الضلال والغواية واجمعين تاكيد للمعطوف والمعطوف عليه اي لاملأنها من الشياطين واتباعهم اجمعين لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس ثم امر الله سبحانه رسوله ان يخبرهم بانه انما يريد بالدعوة الى الله امتثال امره لا عرض الدنيا الزائل فقال قل ما اسألكم عليه من اجر الضمير في عليه راجع الى تبليغ الوحي ولم يتقدم له ذكر ولكنه مفهوم من السياق وقيل هو عائد الى ما تقدم من قوله اءنزل عليه الذكر من بيننا وقيل الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الدعاء الى الله على العموم فيشمل القرآن وغيره من الوحي ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما اطلب منكم من جعل تعطونيه على قال ابن عباس قل يا محمد ما اسألكم على ما ادعوكم اليه من اجر عرض دنيا وما انا من المتكلفين اي المتصفين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة والقول القرآن من تلقاء نفسي واقول ما لا اعلم واد عوكم الى غير ما امرني الله بالدعوة اليه والتكلف التصنع وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال بينما رجل يحدث في المسجد فقال فيما يقول يوم تاتي السماء بدخان مبين قال دخان يكون يوم القيامة يأخذ باسماع المنافقين وابصارهم وياخذ المؤمنين كهيئة الزكام قال فنما حتى دخلنا على عبد الله وهو في بيته وكان متكئا فاستوى قاعدا فقال يا ايها الناس من علم منكم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول العالم بما لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين واخرج البخاري عن عمر قال نهينا عن التكلف واخرج الطبراني والحاكم والبيهقي عن سلمان قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتكلف للضيف ان هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القرآن او الوحي او ما ادعوكم اليه الا ذكر من الله عز وجل للجن والانس العقلاء دون الملائكة لان المراد بالذكر الموعظة والتخويف وتذكير العواقب هذا انما يناسب المكلفين وهم الثقلان فقط انا ولتعلمن ايها الكفار نبأه اي نبأ ما في القرآن من الوعد والوعيد وغيرهما او ما اخبر به من الدعاء الى الله

وتوحيده والترغيب الى الجنة والتحذير من النار بعد حين قال قتادة والزجاج والفراء بعد الموت وقال عكرمة وابن زيد يوم القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك لما ظهر امره وعلا ومن مات علم بعد الموت وقال السدي وذلك يوم بدر وقيل عند ظهور الاسلام وفشوه وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وفيه من التهديد ما لا يخفى

سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف وهي اثنتان وسبعون اية وقيل خمس وسبعون اية

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد واخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال نزلت بمكة سوى ثلث ايات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الثلث الايات وقال اخرون الى سبع ايات من قوله قل يا عبادي الذين الى اخر السبع واخرج النسائي عن عائشة قالت كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نقول ما يريد ان يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد ان يصوم وكان يقرء في كل ليلة بني اسرائيل والزمر واخرجه الترمذي عنها بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرء الزمر وبني اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ارتفاعه على انه خبر مبتدء محذوف هو اسم اشارة اي هذا تنزيل وقال ابو حيان ان المبتدء المقدر لفظ هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الخ وقيل ارتفاعه على انه مبتدء وخبره الجار والمجرور بعده اي تنزيل الكتاب من الله العزيز والى هذا ذهب الزجاج والفراء واجاز الفراء والكسائي النصب على انه مفعول به لفعل مقدر اي اتبعوا او اقرؤا تنزيل الكتاب وقال الفراء يجوز نصبه على الاغراء اي الزموا الكتاب هو القرآن مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ صلة للتنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدء محذوف او متعلق بمحذوف على انه حال عمل فيه اسم الاشارة المقدر إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ اي انزلناه بسبب الحق واثباته واظهاره او متلبسين بالحق او متلبسا بالحق او بداعية الحق واقتضائه للانزال والمراد كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وانواع التكاليف قال مقاتل يقول لم ننزله باطلا

لغير شئ وهذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب والمراد بالثاني هو الاول واظهاره لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشانه فاعبد الله مخلصا له الدين الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي محض له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه والدين العبادة والطاعة وراسها توحيد الله وانه لا شريك له وفي الآية دليل على وجوب النية واخلاصها عن الشوائب لان الاخلاص من الامور القلبية التي لا تكون الا باعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة ان ملاك الامر في الاقوال والافعال النية كما في حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل الا بالنية الا لله الدين الخالص مستانفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص اي ان الدين الخالص من شوائب الشرك وغيره هو لله وما سواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذي امر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقد اخرج ابن مردويه عن يزيد الرقاشي ان رجلا قال يا رسول الله انا نعطي اموالنا التماس الذكر فهل لنا في ذلك من اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فقال يا رسول الله انما نعطي التماس الاجر والذكر فهل لنا اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل الا ما اخلص له ثم تلا هذه الآية وقال الحسن لدين الاسلام فلما امر سبحانه بعبادته على وجه الاخلاص وان الدين الخالص له لا لغيره بين بطلان الشرك الذي هو مخالف للاخلاص وقال والذين اتخذوا من دونه اولياء الموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله ان الله يحكم بينهم وجملة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى في محل نصب على الحال بتقدير القول والاستثناء مفرغ من اعم العلل والمعنى والذين لم يخلصوا العبادة لله بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبد هم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تقريبا فالزلفى اسم اقيم مقام المصدر والضمير في نعبدهم راجع الى الاشياء التي كانوا يعبدونها من الملائكة وعيسى والاصنام وهو المراد دون بالاولياء والمراد بالزلفى الشفاعة كما حكاه الواحدي عن المفسرين قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن خلق السموات والارض ومن انزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم للاصنام قالوا ليقربونا الى الله زلفى ويشفعوا لنا عند الله فقال الكلبي جواب هذا الكلام قوله في سورة الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ان الله يحكم بينهم اي بين اهل الاديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحقه فيدخل

وقفة لازمة

وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ عبر بالانزال لما يروى انه خلقها في الجنة ثم انزلها فيكون الانزال حقيقة كما قيل في قوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان آدم لما اهبط الى الارض انزل معه الحديد ويحتمل ان يكون مجازا لانها لما لم تعش الا بالنبات والنبات انما يعيش بالماء والماء منزل من السماء كانت الانعام كانها منزلة لان سبب سببها منزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا يعمل ان انزل بمعنى انشأ وجعل او بمعنى اعطى وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق انما يكون بامر ينزل من السماء ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ هي ما في قوله من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين وبعني بالاثنين في الاربعة المواضع الذكر والانثى والزوج ما معه آخر من جنسه زاوجه ويحصل منهما النسل فيطلق لفظ الزوج على المفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه ويحصل منهما النسل وكذا يطلق على الاثنين فهو مشترك والمراد هنا الاطلاق الاول وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الانعام ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته البديعة فقال يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ قرأ حمزة بكسر الهمزة والميم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم انما قال هذا التغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق خَلْقًا كائنا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ الجملة استينافية لبيان ما تضمنته من الاطوار المختلفة في خلقهم وخلقا مصدر مؤكد للفعل المذكور ومن بعد خلق صفته قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما وقال ابن زيد خلقكم خلقا في بطون امهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل وقال ابو عبيدة ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الاعرابي يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحذف الهاء ومشائم ويقال لها من غير السلا والاشارة بقوله ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ اليه سبحانه باعتبار افعاله السابقة والاسم الشريف خبره وربكم خبر آخر لَهُ الْمُلْكُ الحقيقي في الدنيا والآخرة لا شركة لغيره فيه وهو خبر ثالث وقوله لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خبر رابع فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ اي فكيف تنصرفون عن عبادته وتقلبون عنها الى عبادة غيره او تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ولما ذكر سبحانه النعم التي انعم بها على عباده وبين لهم من بديع صنعه وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل ان يؤمن به عقبه بقوله

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ اي غير محتاج اليكم ولا الى ايمانكم ولا الى عبادتكم له فانه الغني المطلق ومع كون كفر الكافر لا يضره كما انه لا ينفعه ايمان المؤمن فهو ايضا لا يرضى لعِبَادِهِ الْكُفْرَ اي لا يرضى لاحد من عباده الكفر ولا يحبه ولا يامر به ولا يفعل فعل الراضي بان ياذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدح بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ لا يخرج شيء عنها قال ابو السعود عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضررٍ تعالى به انتهى ومثل هذه الآية قوله ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد ومثلها ما ثبت في صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب افجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا وقد اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي على عمومها وان الكفر غير مرضي لله سبحانه على كل حال كما هو الظاهر وهي خاصة والمعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وقد ذهب الى التخصيص جبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنه وتابعه على ذلك عكرمة والسدي وغيرهما ثم اختلفوا في الآية اختلافا آخر فقال قوم انه يريد كفر الكافر ولا يرضاه وقال آخرون انه لا يريده ولا يرضاه والكلام في تحقيق مثل هذا يطول جدا وقد استدل القائلون بتخصيص هذه الآية والمثبتون للارادة مع عدم الرضاء بما ثبت في آيات كثيرة من الكتاب العزيز انه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما تشاؤن الا ان يشاء الله ونحو هذا مما تؤدي معناه كثير في الكتاب العزيز قال ابن عباس في قوله ان تكفروا الخ يعني الكفار الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فيقولون لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم عباده المخلصون الذين قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فالزمهم شهادة ان لا اله الا الله وحببها اليهم اخرجه ابن جرير فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وقال عكرمة لا يرضى لعباده المسلمين الكفر وعن قتادة قال والله ما رضي الله لعبدٍ صلوته ولا امره بها ولا دعاه اليها ولكن رضي لكم طاعته وامركم بها ونهاكم عن معصيته ثم لما ذكر سبحانه انه لا يرضى لعباده الكفر بين انه يرضى لهم الشكر فقال وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ اي يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله وان تشكروا يثبكم عليه وانما رضي لهم سبحانه الشكر لانه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم لا انتفاعه به قرئ باسكان الهاء من يرضه وباشباع الضمة على الهاء واختلس الباقون

والقرأت كلها سبعية ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره اصلا وقد تقدم تفسير هذه الاية مستوفى ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون من خير وشر وفيه تهديد شديد انه عليم بذات الصدور اي بما تضمره القلوب وتستره فكيف بما تظهره وتبديه وهذا تعليل بالتنبئة بالاعمال واذا مس الانسان ضر اي ضر كان في جسمه او ماله او اهله او ولده من بلاء ومرض او فقر او خوف او شدة لان اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده والمس في الاعراض مجاز وجواب اذا قوله دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مستغيثا به في دفع ما نزل به تاركا لما كان يدعوه ويستغيث به من ميت او حي او صنم او غير ذلك في حال الرخاء لعلمه بانها بمعزل عن القدرة على كشف ضره ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه وملكه يقال خوله الشيء اي ملكه اياه ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي نسي الضر الذي كان يدعوه الى كشفه عنه من قبل ان يخوله ما خوله وقيل نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركه او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه ثم جاور ذلك الى الشرك بالله وهو معنى قوله وجعل لله اندادا اي شركاء من الاصنام او غيرها يستغيث بها ويعبدها وقال السدي يعني اندادا من الرجال يعتمد عليهم في جميع اموره ليضل عن سبيله اي ليضل الناس عن طريق الله التي هي الاسلام والتوحيد قرء الجمهور بضم الياء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان واللام للعاقبة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يهدد من كان متصفا بتلك الصفة فقال قل تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا لافتناء الدنيا قليل قال الزجاج لفظه لفظ الامر ومعناه التهديد والوعيد وفيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة اي مصيرك اليها عن قريب وانك ملازمها ومعدود من اهلها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من التهديد امر عظيم قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر وهو الاوفق بقواعد الشريعة ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند ارتفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين فقال أمن هو قانت الخ هذا الى اخره من تمام الكلام المامور به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اذلك الكافر احسن حالا ام من هو قائم بطاعات الله في السراء والضراء في ساعات الليل مستمر

على ذلك غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضر به قرئ امن بالتشديد وبالتخفيف فعلى القراءة الاولى امر داخلة على من الموصولة وادغمت الميم في الميم وامر في المتصلة ومعادلها محذوف اي الكافر خير امن الذي هو قانت وقيل هي المنقطعة مقدرة ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كالكافر وعلى الثانية الهمزة للاستفهام والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف اي امن هو قانت كمن كفر وقال الفراء ان الهمزة في هذه القراءة للنداء ومن منادى وهي عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم المامور بقوله قل تمتع بكفرك قليلا والتقدير يا من هو قانت قل كيت وكيت وقيل يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة ومن القائلين بان الهمزة للنداء الفراء وضعف ذلك ابو حيان وقال هو اجنبي عما قبله وعما بعده وقد سبقه الى هذا التضعيف ابو علي الفارسي واعترض على هذه القراءة من اصلها ابو حاتم والاخفش ولا وجه لذلك فانها اذا ثبتت الرواية بطلت الدراية وقد اختلف في تفسير القانت هنا فقيل المطيع وقيل الخاشع او القائم في صلاته وقيل الداعي لربه قال النحاس اصل القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو داخل في الطاعة آناء الليل جمع انى بكسر الهمزة والقصر كمعى وامعاء وقيل واحدها انو يقال مضى من الليل انيان وانوان والمراد بآناء الليل ساعاته واوقاته وقيل جوفه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل اوله واوسطه واخره ساجدا او قائما منصوبان على الحال اي جامعا بين السجود والقيام في الصلوة وقدم السجود على القيام لكونه ادخل في العبادة والاية دلت على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلوة ومعرفة من يصليله وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر قال ابن عباس من احب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليرد الله في ظلمة الليل ذكره القرطبي يحذر الاخرة اي يحذر عذاب الاخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل ويرجو رحمة ربه فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتمعا في قلب رجل الا فاز قيل وفي الكلام حذف تقديره كمن لا يفعل شيئا من ذلك كما يدل عليه السياق وقيل الرحمة هنا المغفرة وقيل الجنة وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى وعن ابن عمر انه تلى هذه الاية وقال ذاك عثمان بن عفان وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان وعن

ابن عباس قال نزلت في عمار بن ياسر واخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن انس قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله
لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجو وامنه الذي يخاف اخرجوه
من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال الترمذي غريب وقد رواه
بعضهم عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا لما ذكر امر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم قولا اخر يتبين
به الحق من الباطل فقال قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ان ما وعد الله به من البعث والثواب
والعقاب حق وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذلك او الذين يعلمون ما انزل الله على رسله والذين لا يعلمون
ذلك والمراد العلماء والجهال ومعلوم عند كل من له عقل انه لا استواء بين العلم والجهل
ولا بين العالم والجاهل قال الزجاج اي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي
المطيع والعاصي وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم فانهم المنتفعون به لان من لم
يعمل بمنزلة من لم يعلم وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم
من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للانسان حمل الحالة على كماله وفضله إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الْأَلْبَابِ اي انما يتعظ بوعظ الله ويتدبر ويتفكر فيه اصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم ع ٩
المؤمنون لا الكفار فانهم وان زعموا ان لهم عقولا فهي كالعدم وهذه الجملة ليست من جملة الكلام
المامور به بل من جهة الله سبحانه بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان
عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لما نفى سبحانه
المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم وبين انه انما يتذكر اولوا الالباب امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان
يامر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والايمان به والمعنى يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا
ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وامتثال اوامره واخلاص الايمان له ونفي الشركاء عنه والمراد قل
لهم قولي هذا بعينه ثم لما امر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم ما في هذه التقوى من الفوائد فقال
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا اي عملوا الاعمال الحسنة فِي هَذِهِ الدُّنْيَا على وجه الاخلاص حَسَنَةٌ عطية وهي الجنة
وقوله في هذه الدنيا متعلق باحسنوا وقيل بحسنة على انه بيان لمكانها فيكون المعنى للذين احسنوا
في الاعمال حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنيمة والاول اولى ثم لما كان بعض البعاة قد تقسم

عليه فضل الطاعات والاحسان في وطنه ارشد الله سبحانه من كان كذلك الى الهجرة فقال ﴿ارض الله واسعة﴾ وبلاده كثيرة فليهاجر الى حيث تمكنه طاعة الله والعمل بما امر به والترك لما نهى عنه كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر لك في التفريط اصلا ومثل هذا قوله سبحانه الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقد مضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء وقيل المراد بالارض الواسعة هنا ارض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما في قوله جنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى ارضا قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء والاول اولى وقيل ارتحلوا من مكة وتحولوا الى بلاد اخر وافتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من امر بالمعاصي في بلد فليهرب منه ثم لما بين سبحانه ما للمحسنين اذا احسنوا او كان لابد في ذلك من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات اشار الى فضيلة الصبر وقدم عظيم مقداره فقال ﴿انما يوفى الصابرون﴾ على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تحرج الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير ﴿اجرهم﴾ في مقابلة صبرهم وما كابدوه من العسر ﴿بغير حساب﴾ اي بما لا يقدر على حصره حاصر ولا يستطيع حسبانه حاسب وان كان معلوما محصيا عند الله قال عطاء بما لا يهتدي اليه عقل ولا وصف وقال مقاتل اجرهم الجنة وارزاقهم فيها بغير حساب وليتأمل الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق الهجرة والحاصل ان الاية تدل على ان ثواب الصابرين واجرهم لا نهاية له لان كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي ان كل راغب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير ان يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده فان الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيرا قد سلب ولا يدفع مكروها قد وقع واذا تصور العاقل هذا حق تصوره وتعقله حق تعقله علم ان الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الاجر العظيم وظفر بهذا الخير الجسيم وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء ام ابى ومع ذلك فانه مس الاجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه فضم الى مصيبته مصيبة اخرى ولم يظفر بغير الجزع وما احسن قول من قال

ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ذلك اي ما تقدم ذكره من وصف عذابهم في النار وهو مبتدأ وخبره قوله يخوف الله به عباده المؤمنين اي يعلمهم بما توعد به الكفار من العذاب ليخافوه فيتقوه وهو معنى يا عباد فاتقون اي اتقوا هذه المعاصي الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين ان الغالب في القرآن اطلاق لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار واهل المعاصي وقيل هو عام للمسلمين والكفار والذين اجتنبوا الطاغوت هو بناء مبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت وهو الاوثان والشيطان وقال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل هو اسم اعجمي مثل طالوت وجالوت وقيل انه اسم عربي مشتق من الطغيان الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز ان يكون واحدا مؤنثا والمعنى اعرضوا عن عبادته وخصوا عبادتهم بالله عز وجل وقوله ان يعبدوها في محل نصب على البدل من الطاغوت بدل اشتمال كانه قال اجتنبوا عبادة الطاغوت وقد تقدم الكلام على تقدير الطاغوت مستوفى في سورة البقرة وانابوا الى الله معطوف على اجتنبوا والمعنى رجعوا اليه بالكلية واقبلوا على عبادته معرضين عما سواه لهم البشرى بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى اما على السنة الرسل او على السنة الملائكة عند حضور الموت او عند البعث او من الله تعالى لقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله ومن الملائكة فان فضل الله واسع وقيل لهم البشرى في الدنيا بالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند الوضع في القبور وفي الآخرة عند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان فبشر عباد المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون بالاجتناب والانابة اليه دخولا اوليا وانما اتى به ظاهرا توصلا لوصفهم بما ذكر الذين يستمعون القول الحق من كتاب الله وسنة رسوله فيتبعون احسنه اي محكمه ويعملون به قال السدي يتبعون احسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه وقيل هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون

الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص وقيل ياخذون بالعفو ويتركون العقوبة
وعن ابن عمر قال كان سعيد بن زيد وابو ذر وسلمان يتبعون في الجاهلية احسن القول الكلام
لا اله الا الله قالوا بها فانزل الله على نبيه يستمعون القول فيتبعون احسنه الآية ثم اثنى الله سبحانه
على هؤلاء المذكورين فقال أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ اي هم الذين
اوصلهم الى الحق وهم اصحاب العقول الصحيحة لانهم الذين انتفعوا بعقولهم ولم ينتفع من عداهم بعقولهم
واخرج ابن مردويه عن ابي سعيد قال لما نزلت فبشر عباد الذين الآية ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منادياً فنادى من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة فاستقبل عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فرده فقال
يا رسول الله خشيت ان يتكل الناس فلا يعملون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس قدر
رحمة ربي لاتكلوا ولو يعلمون قدر سخط ربي وعقابه لاستصغروا اعمالهم وهذا الحديث اصله في
الصحيح من حديث ابي هريرة وفي الآية اشارة الى ايثار الاتباع وترك التقليد لان الله قد اثنى على
المتبعين بكونهم مهديين وسماهم اولي الالباب ولم يثن على التقليد ولا على اهله في موضع من القرآن
الكريم بل ذمهم في غير موضع كما تقدم مراراً ثم ذكر سبحانه من سبقت له الشقاوة وحرم
السعادة فقال أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ من هذه موصولة في محل رفع على الابتداء وخبرها
محذوف اي كمن يخاف او فانت تخلصه او تتاسف عليه او شرطية وجوابه قوله أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي
النَّارِ بالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء واعيدت الهمزة الانكارية لتاكيد معنى الانكار وقال
سيبويه انه كرر لاستفهام لطول الكلام وقال الفراء المعنى افانت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب
والمراد بها قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله لمن تبعك منهم لاملان
جهنم منكم اجمعين وقيل قوله هؤلاء في النار ولا ابالي ومعنى الآية التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه كان حريصاً على ايمان قومه فاعلمه الله ان من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينقذه من النار وان يحمله مؤمناً قال عطاء يريد ابا لهب وولده ومن تخلف
من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان وفي الآية مجاز باطلاق المسبب وارادة السبب وتنبيه على ان المحكوم
عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار واصل
الكلام افانت تهدي من هو منغمس في الضلال فوضع النار موضع الضلال وضع المسبب موضع السبب

بقوة لمرة ثم حقب للمجاز بما ينا سبه من قوله تتقلد بدل تهدي فهو ترشيح ولما ذكر سبحانه فيما سبق
ان لاهل الشقاوة ظللا من فوقهم من النار ومن تحتهم ظللا استدرك عنهم من كان من اهل
السعادة فقال لكن الذين اتقوا ربهم وهم الذين خوطبوا بقوله يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من
الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية
وقيل لكن ليست للاستدراك لانه لم يات قبله نفي بل هو اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى
لهم غرف من فوقها غرف اي منازل في الجنة رفيعة فوقها منازل هي ارفع منها وذلك لان
الجنة درجات بعضها فوق بعض وقوله لهم غرف في معنى وعدهم الله بذلك وعدا لا يخلفه وانها
مبنية بناء المنازل في احكام اساسها وقوة بنائها وان كانت منازل الدنيا ليست بشيء بالنسبة
اليها تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية وفي ذلك كمال بهجتها و
زيادة لروقها وانتصاب وعد الله على المصدرية المؤكدة لمضمون الجملة لان قوله لهم غرف في معنى
وعدهم الله ذلك وجملة لا يخلف الله الميعاد مقررة للوعد اي لا يخلف الله ما وعد به الفريقين من
الخير والشر عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراؤن
اهل الغرف من فوقهم كما يتراؤن الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا
يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا
المرسلين متفق عليه ولما ذكر سبحانه الجنة ووصفها بوصف يوجب الرغبة والشوق اليها اتبعه بذكر
الدنيا ووصفها بوصف يوجب الرغبة عنها والنفرة منها فذكر تمثيلا لها في سرعة زوالها وقرب
اضمحلالها مع ما في ذلك من ذكر نوع من انواع قدرته الباهرة وصنعه البديع فقال ألم تر أن الله
أنزل من السماء ماء اي من السحاب مطرا فسلكه ينابيع اي عيونا ومسالك ومجاري وركايا في
الأرض اي فادخله واسكنه فيها كالعروق في الجسد والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع والينبوع
عين الماء والامكنة التي ينبع منها الماء من خلال الارض او نفس الماء الجاري والمعنى ادخل الماء النازل
من السماء في الارض وجعله فيها عيونا جارية او جعله في ينابيع اي في امكنة ينبع منها الماء فهو على
الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض قال مقاتل فجعله ركايا وعيونا في الارض وقال ابن عباس ما في
الارض ماء الا وهو من السماء ولكن عروق في الارض تغيره فذلك قوله فسلكه ينابيع في الارض فمن سره ان يعود

الملح عن باقليصعد الشجر يخرج به اي بذلك الماء من الارض وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ذرعا
مختلفا الوانه من اصفر واخضر وابيض واحمر او من بر وشعير وغيرهما اذا كان المراد بالالوان الاصناف
وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى المقلت ثم يهيج اي يجف ويبيس يقال هاج النبت يهيج هيجا
اذا توجفافه وحان له ان ينتشر عن منبته قال الجوهري يقال هاج النبت هيجا اذا يبس وارض
هايجة يبس بقلها او اصفر واهاجت الريح النبت ايبسته قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض
تهيج اذا ادبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت فتر به بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه
مصفرا قد ذهبت خضرته وزالت نضارته ثم يجعله حطاما اي متفتتا متكسرا من تحطم العود
اذا تفتت من اليبس ويقال للدابة اذا اسنت حطمته وتعدى بالحركة فيقال حطمته حطما من باب
ضرب فانحطم وحطمته بالتشديد مبالغة قرأ الجمهور ثم يجعله بالرفع عطفا على ما قبله وقرئ بالنصب
باضمار ان والاوجه ان ذلك ان في ذلك المذكور من الافعال الخمسة التي اولها انزل لذكرى لاولي الالباب
اي لتذكيرا لاهل العقول الصحيحة فانهم الذين يتعقلون الاشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون
ويعلمون بان الحيوة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضي وذهاب بهجتها ورونقها ونضارتها فاذا انتجح لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها والميل اليها
وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة ولم يبق معهم شك في ان الله قادر
على البعث والحشر لان من قدر على هذا اقدر على ذلك وقيل هو مثل ضربه الله للقرآن ولصدور من
في الارض والمعنى انزل من السماء قرانا فسلكه في قلوب المؤمنين فيخرج به دينا بعضه افضل من بعض
فاما المؤمن فيزداد ايمانا ويقينا واما الذي في قلبه مرض فانه يهيج كما يهيج الزرع وهذا بالتغيير اشبه
منه بالتفسير ثم لما ذكر سبحانه ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب ذكر شرح الصدر للاسلام لان الانتفاع
الكامل لا يحصل الا به فقال افمن شرح الله صدره للاسلام اي وسعه لقبول الحق وفتحه للاهتداء
الى سبيل الخير قال السدي وسع صدره للاسلام ففرح به والطمانينة اليه وشرح الصدر للاسلام
عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل القلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام
فانشراحه مستدع لانشراح القلب والكلام في الهمزة والفاء كما تقدم في افمن حق ومن خبر
محذوف تقديره كمن قسي قلبه وطبع الله عليه وحرج صدره فلم يهتد ودل على هذا الخبر المحذوف قوله

فويل للقاسية قلوبهم والمعنى افمن وسع الله صدره للاسلام فقبله واهتدى بهديه قال ابن عباس من شرح الله صدره للاسلام ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قلنا يا نبي الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت واخرج ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي مرفوعا مرسلا واخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن ابن عمر ان رجلا قال يا نبي الله اي المؤمنين اكيس قال اكثرهم ذكرا للموت واحسنهم له استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع فقالوا فما اية ذلك يا نبي الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت واخرجه عن ابي جعفر عبد الله بن المسور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وزاد فيه ثم قرء افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اي فهو بسبب ذلك الشرح على بيان وبصيرة ويقين وهداية من ربه فيفيض عليه كمن قسى قلبه لسوء اختياره فصار في ظلمات الضلالة وبليات الجهالة قال قتادة النور كتاب الله به ياخذ واليه ينتهي قال الزجاج تقدير الآية افمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله قال الفراء والزجاج اي عن ذكر الله كما تقول اتخمت عن طعامك اكلته ومن طعامك اكلته والمعنى انه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله والقسوة جمود وصلابة تحصل في القلب يقال قسى القلب اذا صلب وقلب قاس اي صلب لا يرق ولا يلين وقيل المعنى من اجل ذكره الذي من حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب والمعنى انه اذا ذكر الله اشمأزوا والاول اولى ويؤيد قراءة من قرأ عن ذكر الله اي اذا ذكر الله عندهم او اياه ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها للذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كما ان الشمس يلين الشمع ويعقد الطين فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة واخرج الترمذي وابن مردويه وابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي والاشارة بقوله

أولئك الى القاسية قلوبهم في ضلال مبين اي غواية ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض اوصاف كتابه العزيز فقال الله نزل احسن الحديث يعني القرآن الذي فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وبسماه حديثا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه وفيه بيان ان احسن القول المذكور سابقا هو القرآن وفي ايقاع الاسم الشريف مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لشأن احسن الحديث والوصف بهذا لوجهين احدهما من جهة اللفظ لان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه والثاني من جهة المعنى لانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصصهم الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وغير ذلك كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه متشابها صفة الكتاب اي يشبه بعضه بعضا في الحسن والاحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه الى اعلى درجات البلاغة والدلالة على المنافع العامة وقال قتادة يشبه بعضه بعضا في الامر والحض وقيل يشبه كتب الله المنزلة على الانبياء عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل احسن الحديث الآية مثاني صفة اخرى لكتاب وهو جمع مثنى او مثنى وانه من التثنية بمعنى التكرير اي تثنى فيه القصص وتتكرر فيه المواعظ والاحكام وقيل يثنى في التلاوة فلا يمل سامعه ولا يسأم قارئه قرأ الجمهور مثاني بفتح الياء وقرئ بسكونها تخفيفا واستثقالا لتحريكها او على انها خبر مبتدأ محذوف اي هو مثاني قال ابن عباس القرآن كله مثاني وعنه قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه الى بعض وعنه قال الكتاب كله مثاني ثني فيه الامر مرارا وصح وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا خبر لا ترى تقول القرآن اسباع واخماس وسور وايات فكذلك تقول احكام واقاصيص ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عروق وعظام واعصاب او منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه قال الرازي في تبيين معنى مثاني ان اكثر الاشياء المذكورة في القرآن مكررة زوجين زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل واحوال السموات والارض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسي والوعد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من ذلك البيان ان كل شيء ما سوى الحق زوج وان الفرد لا احد الا الحق هو الله ولا يخفى ما في كلامه هذا من التكلف والبعد عن مقصود التنزيل تقشعر منه جلود الذين

يخشون ربهم اي تضطرب وتحزن وتشمئز صفة لكتاب او حال منه وان كان نكرة فقد تخصص بالصفة او مستأنفة لبيان ما يحصل عند سماعه من التأثر لسامعيه والاقشعرار التقبض يقال اقشعر جلده اذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره ومنه القشعريرة والمعنى انها تأخذهم منه قشعريرة قال الزجاج اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والويل والخوف وقيل المراد بالجلود القلوب والاول اولى لذكرها فيما بعد قال الواحدي وهذا قول جميع المفسرين وقيل المعنى ان القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه اعظاما له وتعجبا من حسنه وبلاغته عن عبد الله بن الزبير قال قلت لجدتي اسماء كيف كان يصنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرئ القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قلت فان ناسا ههنا اذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عدي تلين بالي لتضمينه فعلا يتعدى بها كأنه قيل سكنت واطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة ومفعول ذكر الله محذوف والتقدير الى ذكر الله رحمته وثوابه وجنته وحذف للعلم به قال بعض العارفين اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذه نعت اولياء الله نعتهم بانها تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم الى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروي ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وعنه قال ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد ذكر الكناية الموصوف بتلك الصفات هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه من عباده وقيل الاشارة الى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذاب ربهم

قوله ومن يضلل الله اي يجعل قلبه مظلما قاسيا غير قابل للحق فسأله من هاد يهديه الى الحق
ويخلصه من الضلال قرء الجمهور من هاد بغير ياء وقرئ بالياء ثم لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم
في الدنيا وهو الضلال حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب فقال أفمن يتقي بوجهه الاستفهام
للانكار وقد تقدم الكلام فيه وفي هذه الفاء الداخلة على من في قوله افمن حق عليه الخ ومن مبتدأ
والخبر محذوف لدلالة المقام عليه والمعنى افمن شأنه ان يقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه
سوء العذاب يوم القيامة لكون يده قد صارت مغلولة الى عنقه كمن هو امن لا يعتريه شيء من ذلك
ولا يحتاج الى الاتقاء قال الزجاج المعنى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة قال عطاء
وابن زيد يرمى به مكتوفا في النار فاول شيء تمس النار منه وجهه وقال ابن عباس يطرح في النار
مكتوفا ثم يرمى به فيها فاول ما يمس وجهه النار وقال مجاهد يجر على وجهه في النار قال الاخفش المعنى
افمن يتقي بوجهه سوء العذاب افضل ام من سعد مثل قوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي
امنا يوم القيامة ثم اخبر سبحانه عما يقوله الخزنة للكفار فقال وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون
وهو معطوف على يتقي اي ويقال لهم وجاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ووضع الظاهر موضع المضمر
للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله ذوقوا قال عطاء اي جزاء ما كنتم تعملون ومثل هذه الآية
قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد تقدم الكلام على معنى الذوق في غير موضع
ثم اخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار فقال كذب الذين من قبلهم اي من قبل الكفار المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كذبوا رسلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من جهة لا
يحتسبون اتيان العذاب منها وذلك عند امنهم وغفلتهم عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم فاذاقهم
الله الخزي اي الذل والهوان في الحياة الدنيا بالمسخ والخسف والقتل والاسر والجلاء وغير ذلك
ولعذاب الآخرة اكبر مما كانوا فيه في غاية الشدة مع دوامه لو كانوا يعلمون اي لو كانوا ممن يعلم الاشياء
ويتفكر فيها ويعمل بمقتضى علمه لآمنوا او ما كذبوا قال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد فاتته
اي وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الى الذائق لهما قال والخزي المكروه واللام موطئة للقسم
ضربنا للناس في هذا القرآن اي جعلنا واوجدنا ولينا من كل مثل قد قدمنا تحقيق المثل وكيفية
ضربه في غير موضع ومعنى من كل مثل ما يحتاجون اليه في امر دينهم وليس المراد ما هو اعم من ذلك فهذا

كما في قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء اي من شيء يحتاجون اليه في امر دينهم وقيل المعنى ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء لعلهم يتذكرون يتعظون فيعتبرون قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا او نسمي هذه حالا موطية لان الحال في الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطية له كجاءني زيد رجلا صالحا كذا قال الاخفش ويجوز ان ينتصب على المدح قال الزجاج عربيا منتصب على الحال وقرآنا توكيد غير ذي عوج اي لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه قال الضحاك اي غير مختلف قال النحاس احسن ما قيل في معناه قول الضحاك وقيل غير متضاد وقيل غير ذي لبس وقيل غير ذي لحن وقيل غير ذي شك كما قال الشاعر ٥ وقد اتاك يقين غير ذي عوج ٥ من الاله وقول غير مكذوب ٥ وقال ابن عباس غير مخلوق وقيل معناه صحيح مستقيم يقيم ولا يلتبس بخلافه من الباطل لعلهم يتقون علة اخرى بعد العلة الاولى وهي لعلهم يتذكرون اي لكي يتقوا الكفر والكذب فالاول سبب للثاني ثم ذكر سبحانه مثلا من الامثال القرآنية للتذكير والايقاظ فقال ضرب الله مثلا اي تمثيل الحالة عجيبة باخرى مثلها او اضرب يا محمد لقومك مثلا تعرف به المثل فقال رجلا فيه شركاء متشاكسون قال الكسائي نصب رجلا لانه تفسير للمثل وقيل منصوب بنزع الخافض اي ضرب الله مثلا برجل وقيل ان رجلا هو المفعول الاول ومثلا هو المفعول الثاني وآخر المفعول الاول ليتصل بما هو من تمامه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة يس وجملة فيه شركاء في محل نصب صفة لرجلا والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسرة وهو سبب التخالف والتشاجر ويقال للتشاحن بالحاء المهملة قال الفراء اي مختلفون وقيل متنازعون فتحال البرد متعاسرون من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر وشكس بكسر الكاف هو القياس قال الجوهري التشاكس الاختلاف وقال ويقال رجل شكس بالتسكين اي صعب الخلق وهذا مثل من اشرك بالله وعبد آلهة كثيرة ثم قال ورجلا سلما لرجل اي خالصا له وهذا مثل من يعبد الله وحده قرأ الجمهور سلما بفتح السين واللام وقرئ بكسر السين وسكون اللام وقرأ ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن كثير ويعقوب سالما اسم فاعل من سلم له فهو سالم واختارها ابو عبيد قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب فلا موضع للحرب هنا واجيب عنه بان الحرف اذا كان له معنيان اجمل الاعلى اولاهما فالسلم وان كان ضد الحرب فله معنى آخر بمعنى سالم من سلم له كذا اذا خلص له وايضا يلزمه في سالم ما التزم به لانه يقال شيء سالم اي لا عاهة به واختار ابو حاتم القراءة الاولى قال النحاس اصل ان قراءة الجمهور هي على الوصف

بالمصدر للمبالغة او على حذف مضاف اي ذا سلم ومثلها قراءة سعيد بن جبير ومن معه قال ابن عباس رجلا سلما اي ليس لاحد فيه شيء ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا وهذا الاستفهام للانكار والاستبعاد والمعنى هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاء اخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة يستخدمه كل واحد منهم فيتعب وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمة وهذا الذي يخدم واحدا لا ينازعه غيره اذا اطاعه رضي عنه واذا عصاه عفى عنه فان بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل ان يتفوه باستوائهما ان احدهما في اعلى المنازل والاخر في ادناها وانتصاب مثلا على التمييز المحول عن الفاعل لان الاصل هل يستوي مثلهما اي حالهما وصفتهما وافرد التمييز ولم يثنه لان الاصل في التمييز الافراد لكونه مبينا للجنس وقال السمين وافرد التمييز لانه مقتصر عليه او لاني قوله ضرب الله مثلا وقرئ مثلين فطابق حالي الرجلين وجملة الْحَمْدُ لِلَّهِ مقررة لما قبلها من نفي الاستواء بطريق الاعتراض والايذان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به اي الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين وقيل الجملة اعتراضية فان قوله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اضراب انتقالي مرتبط بقوله هل يستويان من يعلم ان مدار الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون فانهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه فيقعون في ورطة الشرك والضلال قال الواحدي والبغوي والمراد بالاكثر الكل والظاهر خلاف ما قالا فان المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شانه وعلو مكانه وان الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه ولا يساويه في وصف من الاوصاف ويعلمون ان الله سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة وان الحمد مختص به ثم اخبر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بان الموت يدركهم لا محالة فقال إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم الموت فاخبر ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وهذا تمهيد لما يعقبه من الخصام يوم القيامة قرء الجمهور ميت وميتون بالتشديد وقرئ ميت وميتون وبها قرء عبد الله ابن الزبير وقد استحسن هذه القراءة بعض المفسرين لكون موته وموتهم مستقبلا ولا وجه للاستحسان فان قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى قال الفراء والكسائي لميت بالتشديد من لم يمت ويموت وللميت بالتخفيف من قد مات وفارقته الروح قال الخليل انشدنا ابو عمرو ؎ وتسألني تفسير ميت وميت + فدونك قد فسرتان كنت تعقل + فمن كان حيا روح فذاك ميت + وما الميت الا من الى القبر يحمل + وقال السمين والاختلاف بين القراء في تثقيل مثل هذا قال

قتادة نعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت اليهم انفسهم ووجه هذا الاخبار الاعلام للصحابة بانه
يموت فقد كان بعضهم يعتقد انه لا يموت مع كون فيه توطية وتمهيد لما بعده اخرج النسائي وغيره
عن ابن عمر قال لقد ابتنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتاب من
قبلنا حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا ثم انكم ايها الناس جميعا
مؤمنكم وكافركم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما بينكم من المظالم قيل يعني الحق والمبطل و ع ١٠
قيل تخاصمهم بما يحتج عليهم بانك قد بلغتهم وانذرتهم وهم يخاصمونك او يخاصم المؤمن
الكافر والظالم المظلوم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض او
مال فليتحلله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم
يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه رواه البخاري وعنه قال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المفلس من ياتي يوم القيامة بصلوة وزكوة وصيام وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال
هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته
قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار اخرجه مسلم وعن ابن عمر
قال نزلت علينا هذه الاية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذي وعدنا
ربنا ان نختصم فيه وعن الزبير بن العوام قال لما نزلت انك ميت الى قوله تختصمون قلت يا رسول
الله ايكرر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم ذلك حتى يؤدى
الى كل ذي حق حقه قال الزبير فوالله ان الامر لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وعن ابي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الاية كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن
ابراهيم لما نزلت هذه الاية قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا الان خصومتنا
ثم بين سبحانه حال كل فريق من المختصمين فقال

فَمَنْ اي لا احد **أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ**

فزعم ان له ولدا او شريكا او صاحبة وكذب بالصدق اذ جاءه وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دعاء الناس الى التوحيد وامرهم بالقيام بفرائض الشرع ونهيهم عن محرماته واخبارهم بالبعث
والنشور وما اعد الله للمطيع والعاصي وقوله اذ جاءه ظرف للكذب بالصدق اي كذب بالقرآن في
وقت مجيئه اي فاجأه بالتكذيب لما سمعه من غير وقفة ولا اعمال روية بتمييز بين حق وباطل
كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون ثم استفهم سبحانه استفهاما تقريريا فقال اليس في جهنم
مثوى للكافرين اي اليس لهؤلاء المفترين المكذبين بالصدق والمثوى المقام وهو مشتق من ثوى
بالمكان اذا اقام به يثوي ثواء وثويا مثل مضى مضاء ومضيا وحكى ابو عبيد انه يقال اثوى وانكره
الاصمعي وقال لا اعرف اثوى ثم ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدقين فقال والذي جاء بالصدق و
صدق به الموصول في موضع رفع بالابتداء وهو عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعه وقيل الذي
جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر قاله علي بن ابي طالب وعن ابي هريرة مثله
وقال مجاهد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به علي بن ابي طالب وقال السدي
الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة ومقاتل وابن زيد
الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم والذي صدق به المؤمنون وقال النقاش الذي جاء بالصدق
وصدق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة وقيل ان ذلك عام في كل من دعا
الى توحيد الله وارشد الى ما شرعه لعباده واختار هذا ابن جرير وهو الذي اختاره من هذه الاقوال
ويؤيده قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ صدق به بالتخفيف اي صدق
به الناس قال ابن عباس الذي جاء بالصدق يعني بلا اله الا الله وصدق به يعني برسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء
بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع والكل صحيح قالوا والوجه في العربية ان يكون جاء وصدق
لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضمار الذي وذا غير جائز واضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذكر بعيد
ولفظ الذي كما وقع في قراءة الجمهور وان كان مفردا فمعناه الجمع لانه يراد به الجنس كما يفيده قوله
اولئك هم المتقون اي المتصفون بالتقوى التي هي عنوان النجاة قال ابن عباس يعني اتقوا الشرك
ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدقين في الآخرة فقال لهم ما يشاؤن عند ربهم اي

لهم كل ما يشاؤنه من رفع الدرجات ودفع المضرات وتكفير السيئات وجلب المنافع وفي هذا ترغيب عظيم وتشويق بالغ ذلك اي ما تقدم ذكره من جزائهم وهو مبتدء وخبره جزاء المحسنين اي الذين احسنوا في اعمالهم وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتعريف سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم فقال ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا فان ذلك هو اعظم ما يرجونه من دفع الضر عنهم لان الله سبحانه اذا غفر لهم ما هو الاسوء من اعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقة الاولى واللام متعلقة بيشاؤن او بالمحسنين او بمحذوف قرء الجمهور اسوء على انه افعل تفضيل وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سيئ الذي عملوا وبهذا الاعتبار عم الاسوء جميع معاصيهم وقرئ اسواء بالف بين الهمزة والواو بزنة اجمال جمع سواء ولما ذكر الله سبحانه ما يدل على دفع المضار عنهم ذكر ما يدل على جلب اعظم المنافع اليهم فقال ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اضافة الاحسن الى ما بعده ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه قصد الى التنويه من غير اعتبار تفضيل قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي وعم الاحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التاويل لاقتضى النظم انه يكفر عنهم اقبح السيئات فقط ويجزيهم على افضل الحسنات فقط اليس الله بكاف عبده قرء الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع فعلى الاولى المراد النبي صلى الله عليه وسلم او الجنس ويدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولا اوليا وعلى الثانية المراد الانبياء او المؤمنون او الجميع واختار ابو عبيد الاولى لقوله عقبه ويخوفونك والاستفهم للانكار لعدم كفايته سبحانه على ابلغ وجه كانها بمكان من الظهور لا يتيسر لاحد ان ينكره وقيل المراد بالعبد والعباد ما يعم المسلم والكافر قال الجرجاني ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب وقرئ بكاف عباده بالاضافة وبكافي بصيغة المضارع وقوله ويخوفونك بجوز ان يكون في محل نصب على الحال اذ المعنى اليس كافيا حال تخويفهم اياك بالذين من دونه هي المعبودات التي يعبدونها قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كان المعنى انه كافيك في كل حال حتى في هذه الحال ويجوز ان تكون مستانفة ومن يضلل الله اي من حق عليه القضاء بضلاله حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوف بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشد ويخلصه من الضلالة ومن يهد الله فما له من مضل يخرجه من الهداية ويوقعه في الضلالة اليس الله

بعزيز اي غالب لكل شيء قاهر له ذي انتقام ينتقم من عصاته بما يصبه عليهم من عذابه وما يتزايد بهم من سوط عقابه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموت والارض ليقولن الله ذكر سبحانه اعترافهم اذا سئلوا عن الخالق بانه الله سبحانه لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية مع عباداتهم للاصنام والاوثان واتخاذهم الالهة من دون الله وفي هذا اعظم دليل على انهم كانوا في غفلة شديدة وجهالة عظيمة لانهم اذا علموا ان الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة وقد كانوا يذكرون بحسن العقول وكمال الادراك والفطنة التامة ولكنهم لما قلدوا اسلافهم واحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال قل افرءيتم ما تدعون من دون الله ان اراداني الله بضر هل هن كشفت ضره اي اخبروني عن الهتكم هذه هل تقدر على كشف ما اراده الله بي من الضر والضر هو الشدة والبلاء او اراداني برحمة هل هن ممسكات رحمته عني بحيث لا تصل الي والرحمة النعمة والرخاء قرء الجمهور كاشفات وممسكات في الموضعين بالاضافة وقرأهما ابو عمرو بالتنوين واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة ابي عمرو لان كاشفات اسم فاعل في معنى الاستقبال وما كان كذلك فتنوينه اجود وبها قرء الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الاية سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيئا من قدر الله ولكنها تشفع فانزل قل حسبي الله في جميع اموري في جلب النفع ودفع الضر عليه يتوكل المتوكلون اي عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون ثم امر الله سبحانه ان يهددهم ويتوعدهم فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي على حالتكم التي انتم عليها وتمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان اني عامل على حالتي التي انا عليها وتمكنت منها وحذف ذلك للعلم به مما قبله فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي يهينه ويذله في الدنيا فيظهر عند ذلك انه المبطل وخصمه المحق والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والاسر والقهر والذلة ثم ذكر عذاب الاخرة فقال ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم مستمر في الدار الاخرة وهو عذاب النار وهو مجاز في الظرف او في الاسناد واصله مقيم صاحبه ثم لما كان يعظم

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ انتصاب وحدة على الحال عند يونس وعلى المصدر عند الخليل و سيبويه والاشمئزاز في اللغة النفور قال ابو عبيدة اشمأزت نفرت وقال المبرد انقبضت والاول قال قتادة والثاني قال مجاهد والمعنى متقارب وقال المورج انكرت وقال ابو زيد اشمأز الرجل ذعر من الشيء والمناسب للمقام تفسيره باشمأزت بالنقبضت وهو في الاصل الازورار وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله انقبضوا كما حكاه الله عنهم في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال ابن عباس في الآية اشمأزت قست ونفرت قلوب هؤلاء الاربعة الذين لا يؤمنون بالآخرة ابو جهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وابي بن خلف واذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ اللات والعزى إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ اي يفرحون بذلك ويبتهجون به والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الله الفعل الذي بعدها وهو اشمأزت والعامل في اذا في قوله واذا ذكر الذين الخ الفعل العامل في اذا الفجائية والتقدير فاجؤا الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه وذلك لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غضبا وغما حتى ينقبض اديم وجهه ولما لم يقبل المتمردون من الكفار ما جاء هو به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء الى الخير وصمموا على كفرهم امره الله سبحانه ان يرد الامر الى الله سبحانه ويلتجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحير في امرهم وعجز في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها فقال قُلِ اللَّهُمَّ اصله يا الله عوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه ولذا لم يجمع بينهما فلا يقال يا اللهم في فصيح الكلام وما سمع من قوله + اني اذا ما حدث ألما + اقول يا اللهم يا اللهما ضرورة قاله الكرخي فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي مبدعهما عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اي ما غاب وشوهد وهما منصوبان على النداء أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من الهدى والضلالة والمعنى تجازي المحسن باحسانه وتعاقب المسيء باساءته فانه بذلك يظهر من هو المحق ومن هو المبطل ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله تعالى وعن ابن المسيب لا اعرفانية قرئت في حي عند هلا اجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه اوقد فعلوا وقرأ هذه الآية

واخرج مسلم وابو داود والبيهقي في الاسماء والصفات عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم لما حكى عن الكفار ما حكاه من الاشمئزاز عند ذكر الله والاستبشار عند ذكر الاصنام ذكر ما يدل على شدة عذابهم وعظم عقوبتهم فقال وَلَوْ اَنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا اي جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر وَمِثْلَهٗ مَعَهٗ اي منضما اليه لَافْتَدَوْا بِهٖ اي بالمذكور من الامرين اي لجعلوه فدية لانفسهم مِنْ سُوْٓءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى تفسير هذا في ال عمران وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُوْنُوْا يَحْتَسِبُوْنَ اي ظهر لهم من فنون عقوبات الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم ولا يحدثون به في نفوسهم وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها وقال مجاهد عملوا اعمالا توهموا انها حسنات فاذا هي سيئات وكذا قال السدي وقال سفيان الثوري ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء هذه آيتهم وقصتهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا الجزع قال اخاف آية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي ما لم اكن احتسب وَبَدَا لَهُمْ سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله ومما تحتمل ان تكون مصدرية اي سيئات كسبهم وان تكون موصولة اي سيئات الذي كسبوه حين تعرض صحائف اعمالهم وكانت خافية عليهم او عقاب ذلك وَحَاقَ بِهِمْ اي احاط بهم ونزل بهم مَّا كَانُوْا بِهٖ يَسْتَهْزِءُوْنَ من الانذار الذي كان ينذرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فَاِذَا مَسَّ الْاِنْسَانَ المراد هنا بالانسان الجنس باعتبار بعض افراده او غالبها وقيل المراد به الكفار فقط والاول اولى ولا يمنع من حمله على الجنس خصوص سببه لان الاعتبار بعموم اللفظ وفاء بحق النظم القراني ووفاء بحق المعنى ان شان غالب النوع الانسان انه اذا مسه ضُرٌّ من مرض او فقر او غيرهما دَعَانَا وتضرع الينا في رفعه ودفعه ثُمَّ اِذَا خَوَّلْنٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا اي اعطيناه نعمة كائنة من عندنا قَالَ اِنَّمَآ اُوْتِيْتُهٗ عَلٰى عِلْمٍ مني بوجوه المكاسب او على خير عندي او على علم من الله بفضلي وقيل ان كان ذلك سعادة في المال او عافية في النفس يقول انما حصل ذلك بجدي واجتهادي

وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وان حصل ما لا يقول حصل بكسبي وهذا تناقض ايضا لانه لما كان عاجزا لمحة اجاضاف الكل الى الله تعالى وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح وقال الحسن على علم علمني الله اياه وقيل قد علمت اني اذا اوتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة وجاء في اوتيته بالضمير مذكرا مع كونه راجعا الى النعمة لانها بمعنى الانعام وقيل ان الضمير عائد الى الوهم موصولة الاول اولى بل هي فتنة هذا رد لما قاله اي ليس ذلك الذي اعطيناك لما ذكرت بل هو محنة لك واختبار لحالك اتشكر ام تكفر قال الفراء انث الضمير في قوله هي لتانيث الفتنة ولو قال بل هو فتنة لجاز وقيل تانيث الضمير باعتبار لفظ الفتنة وتذكير الاول في قوله اوتيته باعتبار معناها وقال النحاس بل عطية فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر او الكفر قد قالها الذين من قبلهم اي قال هذه الكلمة التي تالوها وهي قوله انما اوتيته على علم الذين من قبلهم كقارون وغيره فان قارون قال انما اوتيته على علم عندي فانما نسب اليهم قوله باعتبار رضاهم به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما نافية اي لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا او استفهامية اي اي شيء اغنى عنهم ذلك فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء سيئات كسبهم او اصابهم سيئات هي جزاء كسبهم وسمي الجزاء سيئات لوقوعها في مقابلة سيئاتهم فيكون ذلك من باب الازدواج والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه رمز الى ان جميع اعمالهم كذلك ثم اوعد سبحانه الكفار في عصره فقال والذين ظلموا من هؤلاء الموجودين من الكفار سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب من قبلهم وقد اصابهم في الدنيا ما اصابهم من القحط والقتل والاسر والقهر والسين للتاكيد وما هم بمعجزين اي بفائتين على الله بل مرجعهم اليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة او لم يعلموا الضمير للقائلين انما اوتيته على علم فالمعنى اقالوها ولم يعلموا او غفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط اي يوسع الرزق لمن يشاء ان يوسعه له وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا ويقدر اي يقبضه على من يشاء ان يقبضه ويضيقه عليه وان كان قويا شديد الحيلة ابتلاء وقيل يجعله على اقدر قوت قال مقاتل وعظهم الله ليعتبروا في توحيده ذلك حين مطروا بعد سبع سنين فقال اولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب وذلك السبب ليس

هو عقل الرجل وجهله فانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق والجاهل الضعيف في اعظم السعة ان في ذلك المذكور من التوسيع والتضييق لآيات اي لدلالات عظيمة وعلامات جليلة لقوم يؤمنون بالله وانما خص المؤمنين لانهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر سعة رحمته وعظيم معرفته وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبشرهم بذلك فقال قل يا عبادي قرئ باثبات الياء وصلا ووقفا وبغير الياء وهما سبعيتان الذين اسرفوا اي افرطوا على انفسهم في الكفر والمعاصي واستكثروا منها لا تقنطوا بفتح النون وبكسرها اي لا تيأسوا من رحمة الله اي من مغفرته وفي هذه الآية من انواع المعاني وابيان اشياء حسنة منها اقباله تعالى عليهم ونداءهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله الآتي ان الله قاله السمين وقال عبد الله وغيره هذه الآية ارجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على اعظم بشارة فانه اولا اضاف العباد الى نفسه لقصد تشريفهم ومريد تبشيرهم ثم وصفهم بالاسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الاولى وبقوى الخطاب قيل وهذه عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب فتحتم توبته ذنبه والمراد منها التنبيه على انه لا ينبغي للعاصي ان يظن انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى اذ لا احد من العصاة الا وانه متى تاب نال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة والحق ان الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على اطلاقها ولما نهاهم عن القنوط اخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط وجاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال ان الله يغفر الذنوب فالالف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق افراده فهو في قوة ان الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان الا ما اخرجه النص القرآني وهو الشرك ثم لم يكتف بما اخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل اكد ذلك بقوله جميعا فيما لها من بشارة تزتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين اليه في طلب العفو الملتجين به في مغفرة ذنوبهم وما احسن ما علل به سبحانه هذا الكلام قائلا انه هو الغفور الرحيم اي كثير المغفرة والرحمة عظيمها

بليغهما واسعهما فابرز لكلمة موكدة بان والفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة
فمن ابى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن ان تقنيط عباد الله وتاييسهم من رحمته اولى لهم
مما بشرهم الله به فقد ركب اعظم الشطط وغلط اقبح الغلط فان التبشير وعدم التقنيط هو الذي جاءت
به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه من قوله يسروا
ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا واذا تقرر لك هذا فاعلم ان الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هو ان كل ذنب كائنا ما كان ما عدا الشرك بالله
مغفور لمن شاء الله ان يغفر له على انه يمكن ان يقال ان اخباره لنا بانه يغفر الذنوب جميعا يدل على
انه يشاء غفرانها جميعا وذلك يستلزم انه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين
الآيتين تعارض من هذه الحيثية وامامايزعمه جماعة من المفسرين من تقييد هذه الآية بالتوبة
وانها لا تغفر الا ذنوب التائبين وزعموا انهم قالوا واذا كان الجمع بين الآيات فهو جمع بين الضب والنون و
بين الملاح والكماة وعلى تقديرها براقش تحمي ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها
كثير موقع فان التوبة من الشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك باجماع المسلمين ولذا قال ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كانت التوبة قيدا في المغفرة لم يكن للتخصيص
على الشرك فائدة وقد قال سبحانه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الواحدي المفسرون كلهم
قالوا ان هذه الآية في قوم خافوا ان اسلموا ان لا يغفر لهم ما جوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس
ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هب انها في هؤلاء القوم فكان ماذا فان الاعتبار بما اشتملت عليه من
العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين اهل العلم ولو كانت الآيات القرانية والاحاديث النبوية
مقيدة باسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت اكثر التكاليف عن الامة ان لم ترتفع كلها وللازم باطل
بالاجماع فالملزوم مثله وفي السنة المطهرة من الاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما في هذا الباب
ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقية ما حررناه
قاله الشوكاني وعن ابن عمر قال كنا نقول ليس لمفتن توبة وما الله يقابل منه شيئا عرفوا الله وآمنوا
به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء اصابهم وكانوا يقولونه لانفسهم فلما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة انزل الله فيهم قل يا عبادي الذين اسرفوا الآيات قال ابن عمر فكتبتها بيدي ثم

بعثت بها الى هشام بن العاصي وعن ابي سعيد قال لما اسلم وحشي انزل الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق قال وحشي واصحابه قد ارتكبنا هذا كله فانزل الله قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية واخرج البخاري في الادب المفرد عن ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله وسلم على رهط من اصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم انصرف وابكى القوم واوحى الله اليه يا محمد لم تقنط عبادي فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا وسددوا وقاربوا وعن عمر بن الخطاب انها نزلت فيمن افتن وعن ابن عباس انها نزلت في مشركي مكة لما قالوا ان الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل النفس وغير ذلك واخرج احمد وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ثوبان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فقال رجل ومن اشرك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات واخرج احمد وابو داود والترمذي وحسنه وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن اسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا ابالي انه هو الغفور الرحيم وعن ابن مسعود انه مر على قاص يذكر الناس فقال يلمذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرء يا عبادي الآية وعن ابن سيرين قال قال علي اي آية اوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن من يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية ونحوها فقال علي ما في القرآن اوسع من يا عبادي الآية واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في الآية قال قد دعى الله الى مغفرته من زعم ان المسيح بن الله ومن زعم ان عزير بن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلثة يقول هؤلاء افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم ردعى الى توبته من هو اعظم قولا من هؤلاء من قال انا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس ومن ايس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وحديث ابي سعيد الخدري في رجل قتل تسعة وتسعين انسانا في الصحيحين بطوله وكذا حديث رجل قال وذروني في الريح فيهما بطوله عن ابي هريرة وعنه في سنن ابي داود حديث رجلين متحابين وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان

منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم لو انك اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي والعنان السحاب والقراب بضم القاف هو ما يقارب ملأها وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ اي ارجعوا اليه بالطاعة لما بشرهم سبحانه بانه يغفر الذنوب جميعا امرهم بالرجوع اليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وليس في هذا ما يدل على تقييد الآية الاولى بالتوبة لا بطابقة ولا تضمن ولا التزام بل غاية ما فيها انه بشرهم بتلك البشارة العظيمة ثم رد عاهم الى الخير وخوفهم من الشر على انه يمكن ان يقال ان هذه الجملة مستانفة خطابا للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله وَأَسْلِمُوا لَهُ جاء بها التحذير الكفار وانذارهم بعد ترغيب المسلمين بالآية الاولى وتبشيرهم وهذا وان كان بعيدا ولكنه يمكن ان يقال به والمعنى على ما هو الظاهر ان الله جمع لعباده بين التبشير العظيم والامر بالانابة اليه والاخلاص له والاستسلام لامره والخضوع لحكمه وقوله مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ اي عذاب الدنيا كما يفيده النظم فليس في ذلك ما يدل على ما زعمه الزاعمون وتمسك به القانطون المقنطون والحمد لله رب العالمين ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ اي لا تمنعون من العذاب ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم يعني القرآن يقول احلوا حلاله وحرموا حرامه والقرآن كله حسن قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معاصيه وقال السدي الاحسن ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل الناسخ دون المنسوخ وقيل العفو دون الانتقام بما يحق فيه الانتقام وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية ومثله قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ اي من قبل ان يفاجئكم العذاب وانتم غافلون عنه لا تشعرون به وقيل اراد انهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب الاول اولا ان الذي يأتيهم بغتة هو العذاب في الدنيا بالقتل والاسر والخوف والقهر والجدب لا عذاب الآخرة ولا الموت لانه لم يسند الاتيان اليه أَن تَقُولَ نَفْسٌ قال البصريون اي حذر ان تقول وقال الكوفيون اي لئلا تقول قال المبرد بادروا خوف ان تقول او حذرا من ان تقول وقدره الزمخشري كراهة ان تقول وابن عطية وانيبوا من اجل ان تقول وابو البقاء والحوفي انذركم مخافة ان تقول قال الحلبي عقب نقل بعض هذه التقادير ولا حاجة

الى اضمار هذا العامل مع وجود انيبوا وانكر نفس لان المراد بها بعض الانفس وهي النفس الكافرة المتميزة بالعناد الشديد في الكفر او بالعذاب الاليم وقيل المراد به التذكير كما في قوله علمت نفس ما احضرت اي نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة المؤمنون وقال الزجاج خوفان تصير الى حال تقولون فيها يا حسرتي قرأ الجمهور يا حسرتي بالالف بدلا من الياء المضاف اليها وقرأ ابن كثير يا حسرتا بهاء السكت ووقفا وقرأ ابو جعفر يا حسرتي بالياء على الاصل والحسرة الندامة والاغتمام والحزن على ما فات وعلى ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري فما مصدرية في جنب الله اي طاعته قاله الحسن والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشيء المحسوسة واطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجامع تعلق كل لها تعلق بالله كما ان الجهة لها تعلق بصاحبها وقال الضحاك في ذكر الله ويعني به القرآن والعمل به وقال ابو عبيدة في ثواب الله وقيل في حق الله او في امر الله او في ذات الله وقال الفراء الجنب القرب والجوار الى في قرب الله وجواره ومنه قوله والصاحب بالجنب والمعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنة وبه قال ابن الاعرابي وقال الزجاج اي في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده والاقرار بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب اي قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضي الله يقال انا في جنب فلان وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه وهذا من باب الكناية قال ابن عباس في الآية اخبر الله ما العباد قائلون قبل ان يقولوا وعلمهم قبل ان يعلموا وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ اي وما كنت الا من المستهزئين بدين الله في الدنيا وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قال قتادة لم يكفهم ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها والجملة حالية اي فرطت وانا ساخر أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ اي لو ان الله ارشدني الى دينه لكنت ممن يتقي الشرك والمعاصي وهذا من جملة ما يحتج به المشركون من الحجج الزائفة ويتعللون به من العلل الباطلة كما في قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا في كلمة حتى يريدون بها ابطال قال ابو المنصور هذا الكافر اعترف بهداية الله من المعتزلة وكذا اولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا ثم ذكر سبحانه مقالة اخرى مما قالوه فقال أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ والتعبير بالرؤية للاشارة على ان النفس لا تخلو عن هذه الاقوال الحسراوية تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته فالمتنوع

لما تقوله النفس في ذلك اليوم ويصح ان تكون مانعة خلو فتجوز الجمع لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين المؤمنين بالله الموحدين له المحسنين في اعمالهم ثم ذكر سبحانه جوابه على هذه النفس المتمنية المتعللة بغير علة فقال بلى اي فيقال له من قبل الله بلى الخ كانه قال اما هداني الله فيقال بلى قد جاءتك آياتي مرشدة لك والمراد بالآيات هي الآيات التنزيلية وهو القرآن فكذبت بها وهو قوله انها ليست من عند الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت مع ذلك التكذيب والاستكبار من الكافرين بالله وجاء سبحانه بخطاب المذكر في قوله جاءتك وكذبت واستكبرت لان النفس تطلق على المذكر والمؤنث قال المبرد تقول العرب نفس واحد اي انسان واحد او التذكير باعتبار كونها شخصا كافرا قرئ على الجمهور بفتح التاء في هذه المواضع وقرئ بكسرها في جميعها وهي قراءة امير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبنته عايشة وام سلمة وروت عن ابن كثير ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان له شريكا وصاحبة وولدا وجوههم مسودة لما احاط بهم من العذاب لما شاهدوه من غضب الله ونقمته والجملة في محل النصب على الحال قال الاخفش ترى غير عامل في وجوههم مسودة انما هو مبتدأ وخبر والاولى ان ترى ان كانت من الرؤية البصرية فجملة وجوههم مسودة حالية وان كانت قلبية فهي مفعول ثان لترى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين الاستفهام لتقرير اسوداد وجوههم وتعليل له كانه قال لان ظهر في جهنم مقرا ومقاما والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما ثبت في الحديث الصحيح وينجي الله الذين اتقوا الشرك ومعاصي الله من جهنم متلبسين بمفازتهم اي بمكان فوزهم من الجنة بان يجعلوا فيه قرئ الجمهور بالافراد على انه مصدر ميمي والفوز الظفر بالخير والنجاة من الشر قال المبرد المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وان جمع نحسن كقولك السعادة والسعادات في المعنى ينجيهم الله بفوزهم اي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وقرئ بمفازاتهم جمع مفازة وجمعها مع كونها مصدرا لاختلاف الانواع وقيل ثم مضاف محذوف والتقدير بدواعي مفازتهم او باسبابها والمفازة المنجاة وقيل لا حاجة لذلك اذ المراد بالمفازة الفلاح وجملة لا يمسهم السوء الخ مفسرة لمفازتهم كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم الخ او منصوبة على الحال من الذين اتقوا وقيل الباء للسببية اي بسبب فوزهم مع انتفاء مساس السوء لهم وعدم وصول الحزن الى قلوبهم لانهم رضوا بثواب الله وامنوا من عقابه الله

خالق كل شيء من الاشياء الموجودة في الدنيا والاخرة كائنا ما كان من غير فرق بين شيء وشيء فيه رد على المعتزلة والثنوية وهو على كل شيء وكيل اي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك له له مقاليد السموات والارض جملة مستأنفة والمقاليد واحدها مقليد ومقلاد اولا واحد له من لفظه كاساطير ويقال ايضا اقليد واقاليد او الكلمة اصلها فارسية والكلام من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبرها هو الذي يملك مفاتيحها فهو كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء محرز في السموات وفي الارض والحمل على الظاهر اولى وهي هنا مفاتيح الرزق والرحمة قاله مقاتل وقتادة وغيرهما قال ابن عباس اي مفاتيحها وقال الليث المقلاد الخزانة ومعنى الاية له خزائن السموات والارض وبه قال الضحاك والسدي وقيل خزائن السموات المطر وخزائن الارض النبات وقيل هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها والاول اولى قال الجوهري الاقليد المفتاح ثم قال والجمع المقاليد وقيل هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله واخرج ابن يعلى ويوسف القاضي في سننه وابو الحسن القطان وابن السني وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله له مقاليد السموات والارض فقال لي يا عثمان لقد سألتني عن مسئلة لم يسألني عنها احد قبلك مقاليد السموات والارض لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله الذي لا اله الا هو الاول والاخر والظاهر والباطن يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم ذكر فضل هذه الكلمات له طرق عن عثمان وقيل غير ذلك والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يصرفها ويجعل وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اي بالقرآن وسائر الايات الدالة على الله سبحانه وتوحيده اولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لانهم صاروا بهذا الكفر الى النار متصل بقوله ويجي الله الخ وما بينهما اعتراض وان كان المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية فهذا لا يمنع صحة العطف غايته انه حال عن حسنه قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون الاستفهام للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر كنظائره والاصل افتأمروني اي بعد مشاهدة الايات الدالة على انفراد هو بتوحيده ان اعبد غير الله قاله الكسائي وغيره وقيل افلا تنهوني عن عبادة غير الله وامرتموني ان اعبد غير الله امر الله سبحانه ان يقول هذا للكفار لما دعوه الى ما هم عليه من

ع ١١

عبادة الاصنام وقالوا هو دين ابائك وعن ابن عباس ان قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطوه مالا يكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء ويطئون عقبه فقالوا له هذا لك يا محمد وانكف عن شتم الهتنا ولا تذكرها بسوء قال حتى انظر ما يأتيني من ربي فجاء بالوحي قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة وانزل الله عليه قل افغير الله تأمروني الى قوله من الخاسرين ولقد هذه اللام دالة على قسم مقدر اي والله لقد أوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل لئن جواب القسم وهذه اللام الضا دالة على قسم مقدر اي والله لئن اشركت يا محمد فرضا ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وكل من هاتين اللامين واقعة في جواب القسم الثاني والثاني وجوابه جواب الاول وجواب الشرط محذوف لدخول جواب القسم عليه وهذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لان الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك ووجه ايراده على هذا الوجه التحذير والانذار للعباد من الشرك لانه اذا كان موجبا لاحباط عمل الانبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من امتهم بطريق الاولى قيل وفي الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولقد اوحي اليك لئن اشركت الخ واوحي الى الذين من قبلك كذلك قال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل افراد الخطاب في لئن اشركت باعتبار كل واحد من الانبياء كانه قيل اوحي اليك والى كل واحد من الانبياء هذا الكلام ولئن اشركت وهذه الاية مقيدة بالموت على الشرك كما في الاية الاخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقيل هذا خاص بالانبياء لان الشرك منهم اعظم ذنبا من الشرك من غيرهم والاول اولى ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بتوحيده فقال بل الله فاعبد وفي هذا رد على المشركين حيث امروه بعبادة الاصنام ووجه الرد ما يفيده التقديم من القصر قال الزجاج لفظ اسم الله منصوب باعبد قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين وقال الفراء هو منصوب باضمار فعل وعن الكسائي مثله والاول اولى قال الزجاج والفاء في فاعبد للمجازاة وقال الاخفش زائدة قال عطاء ومقاتل معنى فاعبد وحد الله عبادته لانصرا لابتوحيده وكن من الشاكرين لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد والدعاء الى حبه واختصاصك به من الرسالة وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وقال للمبرد اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره من خلقه فلان عظيم القدر واذا وصفتهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وامر ما رسوله بان يكون مثلهم في الشرك وقيل

قدروا بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيامة القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك فاخبر سبحانه عن عظيم قدرته بان الارض كلها مع عظمها وكثافتها في مقدوره كالشئ الذي يقبض عليه القابض بكفه كما يقولون هو في يد فلان وفي قبضته للشئ الذي يهون عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله الآتي والسموات ولان هذا التاكيد لا يحسن اذا خاله الا على الجمع ولان الوضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والمعنى الارضون جميعا ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة وقدر الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انا نجد ان الله يحمل السموات يوم القيامة على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة وانما خص يوم القيامة بالذكر وان كانت قدرته عامة وشاملة لزوال الدنيا ايضا ان الدعاوي تنقطع في ذلك اليوم كما قال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين وكذلك قال في الحديث ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض والسموات مطويات بيمينه ذكر اليمين للمبالغة في كمال القدرة كما يطوى الواعي منا الشئ المقدور له طيه بيمينه والطي ضد النشر واليمين في كلام العرب قد يكون بمعنى القدرة والملك قال الاخفش يمينه يقول في قدرته نحو قوله او ما ملكت ايمانكم اي ما كانت لكم قدرة عليه وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة وليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب والمراد بذلك الفناء والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاء ناغرة وانطوى عنا وهو بمعنى المضي والذهاب قال الخازن اليمين ليس عندنا بمعنى الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها ونفوض الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه اهـ ومعنى الآية ما عظموه حق تعظيمه والحال انه متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة والمقصود الاشارة الى ان القلوب لا بقاء السموات والارض في هذه الدار هو المتولي لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته العظيمة

على الايجاد والاعدام وانه غني على الاطلاق فانه اذا احاول بقبض الارض بقبضها وبزيلها وبقبض
السموات بجمعها كالسجل المطوي اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك
الارض وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلعم يقول يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون اين ملوك الارض اخرجه الشيخان
وفي الباب احاديث واثار تقتضي حمل الاية على ظاهرها من دون تكلف لتاويل ولا تعسف بقال
وقيل تنزه سبحانه نفسه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ به من المعبودات التي يجعلونها
شركاء له مع هذه القدرة العظيمة والحكمة الباهرة وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ هذه هي النفخة الاولى والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وقد تقدم غير
مرة وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم ان صاحبي
الصور بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر حتى يؤمرا اخرجه ابن ماجة وفي ابي داود
عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل
ذكره القرطبي ومعنى صعق زالت عقولهم فخروا مغشيا عليهم وقيل ماتوا قال الواحدي قال المفسرون
مات من الفزع وشدة الصوت اهل السموات والارض قرء الجمهور الصور بسكون الواو وقرئ بفتحها
جمع صورة إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وحده والاستثناء متصل والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت وقيل رضوان وحملة العرش وخزنة الجنة والحور العين والنار وقيل الباري تعالى قاله الحسن
وفيه نظر من حيث قوله من في السموات والارض فانه لا يتجزء فجعل هذا يتعين ان يكون منقطعا
وقيل الزبانية وقيل عقارب اهل النار وحياتها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال
قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده
فلطمه وقال اتقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال الله
ونفخ في الصور الى قوله ينظرون فاكون اول من يرفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم
العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الا من
شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة الحديث

اخرجه ابو يعلى والدارقطني في الافراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث واخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من قول ابي هريرة وعن انس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله الا من شاء الله فقال جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل وحملة العرش اخرجه الفريابي وابن جرير وابو نصر السجزي في الابانة وابن مردويه واخرج ابن المنذر عن جابر قال هو موسى لانه كان صعق قيل ههنا اشكال اورده بعض السلف وهو ان نص القرآن يدل على ان هذا الاستثناء بعد نفخة الصعق وهي النفخة الاولى التي مات فيها من بقي على وجه الارض والحديث المتقدم يدل على انها نفخة البعث وما قيل انه يحتمل ان موسى ممن لم يمت من الانبياء باطل لصحة موته وقال القاضي عياض يحتمل ان تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق الارض والسموات فتوافق الآيات والاحاديث قال القرطبي ويرده ما مر في الحديث من اخذ موسى بقائمة العرش فانه انما هو عند نفخة البعث وايضا تكون النفخات اربعا ولم ينقله الثقات قال الشهاب فمن سمع الصعق على غشي يكون من نفخة بعد نفخة البعث للارهاب والارعاب فكلام مردود بما عرفت ومن الغريب ان بعضهم جعلها بحديث ابي هريرة خمسا وقد سمعنا من زاد في الطنبور نغمة ولم نسمع من زاد في الصور نفخة قال القرطبي والذي يزيح الاشكال ما قاله بعض مشايخنا ان الموت ليس بعدم محض بالنسبة الى الانبياء والشهداء فانهم موجودون احياء وان لم نر هم فاذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض وصعق غير الانبياء موت وصعقهم غشي فاذا كانت نفخة البعث حي من مات وافاق من غشي عليه ولذا وقع في الصحيحين فاكون اول من يفيق والاحاديث الواردة في كيفية نفخ الصور كثيرة وقد ذكر سليمان الجمل في هذا المقام عن ابن الوردي وغيره ما جاء في صورة الصور وهيئته وتعداد نفخاته ولا تعلق له بالتفسير ثم نُفِخَ فِيهِ نفخة أُخْرَى فَإِذَا هُمْ يعني الخلق كلهم قِيَامٌ على ارجلهم يَنْظُرُونَ ما يقال لهم او ينتظرون ذلك والاستثناء ملاحظ في هذا ايضا ان لم يمت كالحور فلا يقال له ذلك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة اخرجه الشيخان وزاد

الآية على ان النفخة اثنتان فالاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ الاشراق الاضاءة يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت واراد بالارض عرصات القيامة اي الارض الجديدة التي يوجدها الله في ذلك الوقت ليحشر الناس عليها وليس المراد بها ارض الدنيا بِنُورِ رَبِّهَا اي بعدل ربها قاله الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى ان الارض اضاءت وانارت بما اقامه الله من العدل بين اهلها وما قضى به من الحق فيهم فالعدل نور والظلم ظلمات وقيل ذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في يوم الصحو وقيل ان الله سبحانه يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق به غير نور الشمس والقمر ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي فان الله سبحانه هو نور السموات والارض قرأ الجمهور اشرقت مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وَوُضِعَ الْكِتَابُ قيل هو اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي فيها اعمال بني آدم فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وكذا قال مقاتل وقيل هو من وضع المحاسبة كتاب المحاسبة بين يديه اي وضع الكتاب للحساب وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ الى الموقف فسألوا عما اجابتهم به اممهم وَالشُّهَدَاءِ الذين يشهدون على الامم من امة محمد صلى الله عليه وسلم كما في قوله كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن دعا الى دين الله قاله السدي وقيل هم الحفظة كما قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قاله ابن زيد قال ابن عباس النبيون الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الامم اياهم ولما بين سبحانه انه يوصل الى كل ذي حق حقه عبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولاها قوله وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ اي قضي بين العباد بالعدل والصدق والثانية وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اي والحال انهم لا ينقصون من ثوابهم ولا يزاد على ما يستحقونه من عقابهم ختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل والثالثة وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ من خير وشر اي جزاءه والرابعة وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ في الدنيا لا يحتاج الى كاتب ولا حاسب ولا شاهد لانه عالم بمقاديرها اصالها وبكيفياتها فامتنع دخول الخطاء عليه قاله الكرخي وقال القرطبي ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة انتهى فيما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة وقطع المعذرة ع

ثم ذكر سبحانه تفصيل ما ذكره من توفية كل نفس ما كسبت فقال وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا اي سيق الكافرون سوقا عنيفا الى النار حال كونهم جماعات متفرقة بعضها يتلو بعضا قال ابو عبيدة والاخفش زمرا جماعات متفرقة بعضها اثر بعض واحدتها زمرة واشتقاقه من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه غالبا حَتَّىٰ هي الابتدائية التي يبتدأ الجمل بعدها إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا اي ابواب النار ليدخلوها وهي سبعة ابواب وكانت قبل ذلك مغلقة وقد مضى بيان ذلك في سورة الحجر وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا جمع خازن نحو سدنة وسادن أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ اي من انفسكم ومن جنسكم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ التي انزلها عليكم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا اي يخوفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم فيه والمراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعة قال الزمخشري وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات المدة قالوا لهم هذا القول تقريعا وتوبيخا فاجابوا بالاعتراف ولم يقدروا على الحيل الذي كانوا يتعللون به في الدنيا لانكشاف الامر وظهوره وهذا قَالُوا بَلَىٰ اي قد اتتنا الرسل بآيات الله وانذرونا مما سنلقاه وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ وهي لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين جيء بالظاهر مقام المضمر لبيان سبب استحقاقهم العذاب وهو كفرهم فلما اعترفوا هذا الاعتراف قِيلَ لهم من قبل الملائكة الموكلين لعذابهم ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ التي قد فتحت لكم لتدخلوها خَالِدِينَ اي مقدرين الخلود فيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ جهنم واللام فيه للجنس وجيء بالظاهر لبيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب وقد تقدم تحقيق المثوى في غير موضع ولما ذكر فيما تقدم حال الذين كفروا وسوقهم الى جهنم زمرا ذكر هنا حال المتقين وسوقهم الى الجنة فقال وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا اي ساقتهم الملائكة سوق اعزاز وتشريف وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك والمراد بالسوق المتقدم طردهم الى العذاب بالهوان كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل فشتان ما بين السوقين وهذا من بدائع انواع البديع وهوان يأتي سبحانه وتعالى بكلمة في حق الكفار فتدل على هوانهم وعقابهم ويأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في حق المؤمنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من انزله معجزا لمباني متكفلة لمعاني عذب الموارد والمثاني قبل الكلام على حذف مضاف اي سيقت مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين وقد سبق معنى الزمر

اي جماعات اهل الصلوة على حدة واهل الصوم كذلك الى غير ذلك حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
جواب اذا محذوف تقديره سعدوا وفتحت وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف
على تقدير حتى اذا جاؤها وكانت هذه الاشياء التي ذكرت دخلوها فالجواب دخلوها وحذف لان في
الكلام دليلا عليه وقال الاخفش والكوفيون الجواب فتحت والواو زائدة وهو خطأ عند البصريين لان
الواو من حروف المعاني فلا تزاد وقيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان ياتوا
لكرامتهم على الله والتقدير حتى اذا جاؤها وابوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب
وحذفت الواو في قصة اهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذ لا راد لقولهم ذكره معنا النحاس
منسوبا الى بعض اهل العلم قال ولا اعلم انه سبقه اليه احد وعلى هذا القول تكون الواو واو الحال بتقدير قد
اي جاؤها وقد فتحت لهم الابواب وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم كانوا
يقولون في العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وقد مضى القول في هذا في سورة براءة مستوفى وفي
سورة الكهف ايضا وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء اشد كوكب
دري في السماء اضاءة واخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله الا الصائمون وقد ورد في كون ابواب
الجنة ثمانية احاديث في الصحيحين وغيرهما وكتابنا مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام هو
احسن ما جمع في احوال الجنة فليرجع اليه وليعول عليه ثم اخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون
على المؤمنين فقال وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي سلامة لكم من كل آفة لا يعتريكم بعدها مكروه
طبتم وطهرتم في الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي قال مجاهد طبتم بطاعة الله وقيل العمل
الصالح والمعنى واحد وقيل طاب لكم المقام وقيل طابت حالكم وحسنت وجعل دخول الجنة
مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس
وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا من اتسم بطهارة موصوف بصفتها قال مقاتل ان اقطعوا جسر جهنم
حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فتقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا
وطيبوا قال لهم رضوان وافجابه سلام عليكم الآية وقد اخرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه من

حديث ابي سعيد الخدري وهو طويل جدا فادخلوها اي الجنة خالدين اي مقدرين الخلود وقالوا اي فعند ذلك قال اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب بالجنة في قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا واورثنا الارض اي ارض الجنة قاله قتادة وابو العالية كانها صارت من غير هم الهم فملكوها وتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما يرثه ففي الكلام تجوز وقيل انهم ورثوا الارض التي كانت لاهل النار لو كانوا مؤمنين قاله اكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا وفي الكلام تقديم وتاخير نتبوء من الجنة حيث نشاء اي نختار فيها من المنازل ما نشاء حيث نشاء فلا يختار احد مكان غيره وقيل يخير كل واحد من امة محمد صلى الله عليه وسلم ان ينزل تكرمة له وان كان لا يختار الا ما قسم له واما بقية الامم فيدخلون بعد امة محمد صلى الله عليه وسلم فينزلون فيما فضل عنهم في الكرسي الجنة نوعان الجنات الجسمانية وهي لا تحتمل المشاركة والجنات الروحانية وحصولها لواحد لا يمنع من حصوله لاخرين فنعم اجر العاملين في الدنيا الجنة وهذا من تمام قول اهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه وترى يا محمد الملائكة حافين اي محيطين ومحدقين قائمين بجميع ما عليهم من الحقوق من حول العرش اي جوانبه التي يمكن الحفوف بها فيسمع لحفوفهم صوت التسبيح والتمجيد والتقديس وادخال من يفهم انهم مع كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله لا يملؤن حوله وهذا اولى من قول البيضاوي ان من مزيدة وبه قال الاخفش وللابتداء اي ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله والمعنى ان الرائي يراهم بهذه الصفة في ذلك اليوم والحافين جمع حاف قاله الاخفش وهو المحدق بالشيء من حففت بالشيء اذا احطت به وهو ماخوذ من الحفاف وهو الجانب وقال الفراء وتبعه الزمخشري لا واحد له من لفظه اذ لا يقع لهم هذا الاسم الا مجتمعين يسبحون بحمد ربهم اي حال كونهم مسبحين لله متلبسين بحمده اي يقولون سبحان الله وبحمده وقيل معنى يسبحون يصلون حول العرش شكرا لربهم وهذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وذلك يشعر بان ثوابهم هو عين ذلك التسبيح وافهم ان منتهى درجات المقربين ولذاتهم الاستغراق في صفاته تعالى اللهم ارزقنا وقضي بينهم اي بين جميع العباد والخلائق بالحق اي بالعدل باخراج بعضهم الجنة وبعضهم النار وقيل بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين امتهم وقيل بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم والاول اولى وقيل الحمد لله رب العالمين القائلون هم المؤمنون

حمد والله على قضائه بينهم وبين اهل النار بالحق كما قال وأخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل القائلون هم الملائكة حمد والله تعالى على عدله في الحكم وقضائه بين عباده بالحق وبدم سبحانه هذه السورة بالحمد وختمها بالحمد للتنبيه على تحميده في بداية كل امر ونهايته والحمد الاول على صدق الوعد وايراث الجنة وهذا على القضاء بالحق فلا تكرار فيه وروي من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرء على المنبر اخر الزمر فتحرك المنبر مرتين ٨

سورة غافر وهي سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وهي خمس وثمانون اية

وقيل اثنتان وثمانون اية قاله القرطبي وهي مكية في قول عطاء وجابر وعكرمة قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة الا اية نزلت بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وكذا نص عليه السيوطي في الاتقان وفي باب الاصول في اسباب النزول قال ابن عباس انزلت حم المؤمن بمكة وعن سمرة بن جندب قال نزلت الحواميم جميعا بمكة واخرج محمد بن نصر وابن مردويه عن انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطاني السبع الحواميم مكان التوراة واعطاني المائين الى الطواسين مكان الانجيل واعطاني ما بين الطواسين الى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرهن نبي قبلي وقال ابن عباس ان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن حم وقال ابن مسعود الحواميم ديباج القرآن وعنه قال اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات اتأنق فيهن وعن سعد بن ابراهيم قال الحواميم تسمى العرائس رواه الدارمي في مسنده وقال الجوهري آل حميم سور في القرآن فاما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وبه قال الحريري في درة الغواص وقال ابو عبيدة الحواميم على غير قياس والاولى ان تجمع بذوات حم انتهى ملخص من مجموع هذه الاخبار ان هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافا لمن انكر الاول منها واخرج البيهقي في الشعب عن خليل بن مرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحواميم سبع وابواب النار سبع يجيء كل حم منها يقف على باب من هذه الابواب يقول اللهم لا يدخل من هذا الباب من كان بي من بي ويقرأ ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حٰمٓ قرء الجمهور بفتح الحاء مشبعا وقرئ بامالته امالة محضة وبامالته بين بين وقرء الجمهور بسكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرء الزهري بضمها على انها خبر مبتدء مضمر او مبتدء والخبر ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الثقفي بفتحها وهي تحتمل وجهين احدهما انها منصوبة بفعل مقدر اي اقرء حٰمٓ وانما منعت من الصرف للعلمية والتانيث او للعلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل والثاني انها حركة بناء تخفيفا كاين وكيف وقرء ابن ابي اسحق وابو السماك بكسرها لالتقاء الساكنين او بتقدير القسم وقرء الجمهور بوصل الحاء بالميم وقرء ابو جعفر بقطعها وقد اختلف في معناه فقيل هو اسم من اسماء الله قاله ابو مالك وقيل اسم من اسماء القران قاله قتادة وقال الضحاك والكسائي معناه قضي وجعلاه بمعنى حراي وقع وقضى وقيل مفاتيح خزائنه وقيل اسم الله الاعظم وقيل بدء اسماء الله تعالى كحميد وحليم وحكيم وحنان وكمالك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومؤمن ومهيمن وقيل معناه حكم الله اي رب نصره لاوليائه وانتقامه من اعدائه وهذا كله تكلف لا موجب له وتعسف لا ملجئ اليه والحق ان هذه الفاتحة لهذه السورة وامثالها من المتشابه الذي استاثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة واخرج الترمذي والحاكم وصححه وابو داود وغيرهم عن المهلب بن ابي صفرة قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليلة الخندق ان اتيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم تلقون عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون اخرجه النسائي والحاكم وابن ابي شيبة تَنْزِيلُ الْكِتٰبِ هو خبر المبتدء على تقدير انه مبتدء او خبر لمبتدء مضمر اي هذا تنزيل او هو مبتدء وخبره مِنَ اللّٰهِ قال الرازي المراد بالتنزيل المنزل والمعنى ان القران منزل من عند الله ليس بكذب عليه الْعَزِيزِ المنيع بسلطانه الغالب القاهر في ملكه الْعَلِيمِ الكثير العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين غَافِرِ الذَّنْبِ اي ذنب المؤمنين وعن ابن عمر قال سائر الذنب لمن يقول لا اله الا الله وَقَابِلِ التَّوْبِ اي توبة الراجعين او عمن يقول لا اله الا الله والتوب والتوب والاوب اخوات في معنى الرجوع مصدر وقال الاخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة وادخال الواو في هذا الوصف لافادة الجمع المذنب التائب بين قبول توبته ومحو حوبته قاله العمادي او لتغاير الوصفين اذ رما يتوهم الاتحاد قاله البيضاوي شَدِيدِ الْعِقَابِ اي مشدده لمن لا يقول لا اله الا الله او على المخالفين والكافرين وقيل قابل التوب لاولياءه

شديد العقاب لاعدائه وقيل قابل التوب من الشرك وشديد العقاب لمن لا يوحده ذي الطول
اي السعة والمن والغنى والفضل على العارفين او الغني عن كل العالمين واصل الطول الانعام والتفضل
اي ذي الانعام على عباده والتفضل عليهم وقال مجاهد وابن عباس ذي الغنى والسعة ومنه قوله
تعالى لم يستطع منكم طولا اي غنى وسعة وقال عكرمة ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال
منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي التفضل قال الماوردي والفرق
بين المن والتفضل ان المن عفو عن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والله سبحانه موصوف على
الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخير وقال السمين فيها ثلاثة اوجه
احدها انها كلها صفات للجلالة الثاني ان الكل ابدال لان اضافتها غير محضة الثالث ان غافر وقابل
نعتان وشديد العقاب بدل انتهى ثم ذكر ما يدل على توحيده وانه الحقيق بالعبادة فقال لا اله الا
هو استيناف او حال لازمة وقال ابو البقاء صفة قال ابن عادل وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون
صفة للمعارف ويمكن ان يريد بانه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة اليه لا الى غيره
اليه المصير اي مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله فيدخل النار
ذلك في اليوم الآخر قال الكرخي حال من الجملة قبله اخرج ابو عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر وابن
مردويه والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم
المؤمن الى اليه المصير واية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما
حتى يصبح ثم لما ذكر الله سبحانه ان القرآن كتاب الله انزله ليهتدى به في الدين ذكر احوال من يجادل فيه
لقصد ابطاله فقال ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا اي ما يخاصم في دفع ايات الله وتكذيبها
بالطعن فيها الا الكفار والمراد الجدال بالباطل والقصد الى حض الحق كما في قوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاما الجدال لاستيضاح الحق وايضاح الملتبس وحل المشكل وكشف المعضل واستنباط
المعاني وردّ اهل الزيغ بها ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به
المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال الى المحكم فهو من اعظم ما يتقرب به المتقربون وافضل
ما يجاهد في سبيله المجاهدون وبذلك اخذ الله الميثاق على الذين اوتوا الكتاب فقال واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات

الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال وقولوا لهم
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فتلخص ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل
اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح يا نوح جادلتنا واما الثاني
فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية فجدال الكفر في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة شعر ومرة هو قول
الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا قاله الكرخي واخرج عبد بن حميد
وابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مراء في القرآن كفر اخرجه ابو داود وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج يعرف في وجهه الغضب
فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب اخرجه مسلم قال ابو العالية اينان ما اشدهما
على الذين يجادلون في القرآن هذه الآية وقوله ان الذين اختلفوا في الكتاب الخ شقاق بعيد وتلك
حكمة سيجانه على المجادلين في آيات الله بالكفر نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن ان يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية
فقال فلا يغرك تقلبهم في البلاد اي فلا يغرك ما يفعلونه من التجارة النافقة في البلاد كالشام واليمن ولم يحصلوا
من المكاسب والارباح وما يجمعونه من الاموال سالمين غانمين فانهم معاقبون عما قليل وان امهلوا فانهم
لا يهملون قال الزجاج لا يغرك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وهذا تسلية له صلى الله
عليه وسلم ووعيد لهم والفاء لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت
منه عند الله ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة قرء الجمهور لا يغرك بفك الادغام وقرئ بالادغام وهو جواب
لشرط مقدر اي اذا تقرر عندك ان المجادلين في آيات الله كفار فلا يغرك الخ ثم بين حال من كان قبلهم
وان هؤلاء سلكوا سبيل اولئك في التكذيب فقال كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح والاحزاب من
بعدهم اي وكذبت الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود وغيرهما وهمت كل امة
من تلك الامم للكرة برسولهم الذي ارسل اليهم ليأخذوه اي ليتمكنوا منه فيحبسوه ويعذبوه او
يصيبوا منه ما اراد واو قال قتادة والسدي ليقتلوه والاخذ قد يرد بمعنى الاهلاك كقولهم فاخذهم فكيف كان
نكير والعرب تسمي الاسير اخيذا والاخذ بمعنى الاسر وجادلوا اي خاصموا رسولهم بالباطل من القول ليدحضوا
اي ليزيلوا به الحق ومنه مكان حضر اي مزلقة ومزلة اقدام والباطل ما حض الله عز وجل ورسوله فلا يستقر

قال يحيى بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم اي فاخذت هؤلاء المجادلين
بالباطل فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به وحذف ياء المتكلم اجتزاء بالكسرة عنها وصلا و
وقفا لانها راس اية وكذلك حقت كلمة ربك اي وجبت وثبتت ولزمت يقال حق الشيء اذا لزم
وثبت والمعنى وكما حقت على الامم المكذبة لرسلهم كلمة العذاب حقت كلمة ربك اي وعيده على الذين
كفروا بك وجادلوك بالباطل وتحزبوا عليك وهو ايمانهم بالهتهم الى اخر ما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره
صلى الله عليه وسلم فان ذلك لاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من جملتها نصرته
على اعدائه وتعذيبهم قاله ابو السعود وقرء الجمهور كلمة بالتوحيد وقرئ كلمات بالجمع وجملة انهم
اصحاب النار للتعليل اي لاجل انهم مستحقون للنار قال الاخفش اي لانهم او بانهم وقال الحلبي بدل من
كلمة اي بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى ثم ذكر احوال حملة العرش ومن حوله فقال
الذين يحملون العرش ومن حوله الموصول مبتدا وخبره قوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به و
يستغفرون للذين امنوا والجملة مستانفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان هذا الجنس
من الملائكة الذين هم اعلى طبقاتهم واطهرهم وجودا يضمون الى تسبيحهم لله والايمان به الاستغفار للذين
امنوا لله ورسوله وصدقوا وفيه دليل على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة
والشفقة وان تباعدت الاجناس وشطت الامكان والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به
مهللين مكبرين وهم الكروبيون وهو في محل رفع عطفا على الذين الخ وهذا هو الظاهر وقيل يجوز ان يكون في
محل نصب عطفا على العرش والاول اولى والمعنى ان الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول
العرش ينزهون الله متلبسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله بمصائرهم ويستغفرون الله لعباده المؤمنين
به واخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك وهم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة ازرد فهم الله تعالى باربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم
اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال والعرش فوق ظهورهم
ذكره القشيري واخرجه الترمذي من حديث ابن عباس واستفيد منه ان حمل الملائكة العرش على
ظهورها وقد ورد في بيان مسافة اطلافهم الى ركبهم وارجلهم واقدامهم وما بين شحمة اذنهم الى عاتقهم
والفاظ تسبيحهم اخبار واثار وكذا في صفة العرش وبعد ما بين السماء السابعة وبين العرش والمعول عليه

وقوله لازم

منها ما ورد في الصحيح ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال حاكيا عنهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء وتقدير الرحمة على العلم لانها المقصود هنا قاله البيضاوي وقيل ابو السعود لان المقام مقام الاستغفار والاقالعلم متقدم ذاتا فاغفر للذين تابوا اي اوقعوا التوبة عن الذنوب او عن الشرك وان كان عليهم ذنوب واتبعوا سبيلك وهو دين الاسلام وقهم عذاب الجحيم اي احفظهم منه واجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشاء وان الخلق عبيدك ربنا وادخلهم جنات عدن اي اقامة معطوف على قولهم ووسط الجملة الندائية لقصد المبالغة بالتكرير ووصف جنات عدن بانها هي التي وعدتهم اياها وادخل من صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم المراد بالصلاح هنا الايمان بالله والعمل بما شرعه الله فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة ويجوز عطف ومن صلح على الضمير في يدخلهم اي وعدتهم ومن صلح والاولى عطفه على الضمير الاول في وادخلهم لان الدعاء لهم بالادخال صريح وعلى الثاني ضمني فالمعنى سارعوا بتنهم ليتم سرورهم قرء الجمهور بفتح اللام من صلح وذرياتهم على الجمع وقرء ابن ابي عبلة بضم اللام وقرء عيسى بن عمر على الافراد انك انت العزيز الحكيم اي الغالب القاهر الكثير الحكمة الباهرة وقهم السيئات يقال وقاه يقيه وقاية اي حفظه والمعنى احفظهم عن العقوبات او جزاء السيئات على تقدير مضاف محذوف وقال قتادة وقهم ما يسوءهم من العذاب وهذا دعاء يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال وقوله وقهم عذاب الجحيم مقصور على ازالة عذاب النار فيكون تعميما بعد تخصيص والاول دعاء للاصول والثاني للفروع والضمير راجع للمعطوف وهو الاباء والازواج والذرية افاده ابو السعود ومن تق السيئات يومئذ اي يوم القيامة والتنوين عوض عن جملة غير موجودة في الكلام بل مقصودة من السياق وتقديرها يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار والمسببة عن السيئات وهو يوم القيامة وقيل التقدير يوم اذ تواخذ بها وجواب من فقد رحمته من عذابك وادخلته جنتك وذلك اي ما تقدم من ادخالهم الجنات ووقايتهم السيئات هو الفوز العظيم اي الظفر الذي لا ظفر مثله والنجاة التي لا نجاة بها حيث وجد وباعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وباعمال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلالته قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق

ع ١

لهم هم الشياطين ثم لما ذكر سبحانه تحاجهم النار وانها حمت عليهم كلمة العذاب ذكر احوالهم بعد دخول
النار فقال ان الذين كفروا ينادون قال ابو احمدي قال المفسرون انهم لما رأوا اعمالهم ونظروا
في كتابهم ادخلوا النار ومقتوا انفسهم بسوء صنيعهم نادام حين عاينوا عذاب الله مناد لمقت الله اياكم
في الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم او من مقت بعضكم بعضا اليوم قال الاخفش هذه اللام
هي لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والنداء قول قال الكلبي يقول كل انسان
من اهل النار لنفسه مقتك يا نفسي فتقول الملائكة لهم وهم في النار لمقت الله اياكم اذ انتم في الدنيا
اشد من مقتكم انفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الى سيئاتهم مقتوا انفسهم
فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اذ عاينتم
النار واللام في لمقت الله منصوب بمقدر محذوف دل عليه المذكور اي مقتكم وقتح عائكم وقيل هو اذكر واذ قيل
بالمقت المذكور والمقت اشد البغض والمراد هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم قاله ابو السعود
وقال الكرخي المراد منه هنا اشد الانكار والزجر فتكفرون اي فتصرون على الكفر اتباعا لانفسكم
الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء باخلائكم المضلين وقبولكم اباسلافكم المتقدمين استحبابا
لاراءهم ثم اخبر سبحانه عما يقولون في النار فقال قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين نعتان
لمصدر محذوف اي امتنا اماتتين اثنتين واحييتنا احياءتين اثنتين والمراد بالاماتتين انهم
كانوا نطفا لا حياة لها في اصلاب آبائهم ثم اماتهم بعد ان صاروا احياء في الدنيا والمراد بالاحياءتين
انه احياهم الحياة الاولى في الدنيا ثم احياهم عند البعث ومثل هذه الآية قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم قاله ابن مسعود اي كانوا امواتا في اصلاب آبائهم ثم اخرجهم فاحياهم ثم اماتهم ثم
يحييهم بعد الموت وقيل معنى الآية انهم اميتوا في الدنيا عند انقضاء اجالهم ثم احياهم الله في قبورهم
للسؤال ثم اميتوا ثم احياهم الله في الآخرة ووجه هذا القول ان الموت سلب الحياة والاحياة للنطفة ووجه
القول الاول ان الموت قد يطلق على عادم الحياة من الاصل وقد ذهب الى التفسير الاول جمهور السلف وقال
ابن زيد المراد بالآية انه خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم واحياهم واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم
في الدنيا ثم اماتهم وقال ابن عباس قال كنتم ترابا قبل ان يخلقكم فهذه ميتة ثم احياكم فخلقكم فهذه حياة
ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة اخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة اخرى فهما موتتان وحياتان

كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الآية ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد ان صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا فقال حاكيا عنهم فاعترفنا بذنوبنا التي اسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل والاشراك بالله وترك توحيده فاعترافا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا حيث لا ينفعهم الندم والمعنى لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا ان الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم فهل الى خروج لنا عن النار ورجوع لنا الى الدنيا لنطيع ربنا من سبيل اي من طريق سريع او بطيء لنتخلص منها ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا اجاب الجواب على حسب ذلك ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم فهل الى مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقولهم ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية ثم اجاب الله سبحانه عن قولهم هذا بقوله ذلكم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلكم او مبتدأ خبره محذوف اي ذلكم العذاب الذي انتم فيه بأنه اي بسبب انه اذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده وان يشرك به غيره من الاصنام وغيرها تؤمنوا بالاشراك وتصدقوا به ويجيبوا الداعي اليه فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم اجابتهم الى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من اشراك غيره به في العبادة التي راسها الدعاء وترك توحيده فالحكم لله وحده دون غيره وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها فعذبه لكم عدل نافذ العلي المتعالي سلطانه عن ان يكون له مماثل في خلقه وصفاته فلا يرد قضاؤه الكبير الذي كبر عن ان يكون له مثل او صاحبة او ولد او شريك فلا يعجز اولياؤه وقيل كان الحرورية احدث قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي من هؤلاء قيل المحكمون اي يقولون لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها الباطل هو الذي يريكم آياته اي دلائل توحيده وعلاماته قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق وغيرها وينزل لكم من السماء رزقا يعني مطرا فانه سبب الارزاق جمع سبحانه بين اظهار الآيات وانزال الارزاق لان باظهار الآيات قوام الاديان وبالارزاق قوام الابدان وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وارضه وما فيهما وما بينهما قرأ الجمهور ينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف وصيغة المضارعة في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وما يتذكر الا من ينيب اي ما يتعظ بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على

التوحيد وصدق الوعد والوعيد والامر يرجع الى طاعة الله بما يستفيده من النظر في آيات الله ويتوب من الشرك ويرجع اليه في جميع اموره فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الادلة على التوحيد امر عباده بدعائه واخلاص الدين له فقال فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي امركم بها ولو كَرِهَ الْكَافِرُونَ ذلك فلا تلتفتوا الى كراهتهم ودسوهم بموتوا بغيظهم وهلاكهم بحسرتهم رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ مرفوع على انه خبر آخر عن المبتدأ المقدم اي هو الذي يريكم آياته وهو رفيع الدرجات وكذلك ذُو الْعَرْشِ خبر ثالث ويجوز ان يكون رفيع مبتدأ وخبره ذو العرش ويجوز ان يكونا خبرين لمبتدأ محذوف ورفيع صفة مشبهة والمعنى رفيع الصفات عظيمها او رفيع درجات ملائكته اي معارجهم او رفيع درجات انبيائه واوليائه في الجنة وقال الكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع وعلى هذا الوجه يكون رفيع بمعنى رافع وقيل هو تفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه ومعنى ذو العرش مالكه وخالقه والمتصرف فيه خلقه مطافا للملائكة وجعله فوق سمواته وذلك يقتضي علو شانه وعظم سلطانه ومن كان كذلك فهو الذي تحق له العبادة ويجب له الاخلاص وجملة يُلْقِي الرُّوحَ في محل رفع على انها خبر آخر للمبتدأ المتقدم او للمقدر اي ينزل الوحي وسمي الوحي روحا لان الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيى الابدان بالارواح ومثل هذه الآية قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل الروح جبريل كما في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله مِنْ أَمْرِهِ متعلق بيلقي ومن للابتداء الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح او المعنى من اجل امره او بامره او من اضافته عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وهم الانبياء لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ قرأ الجمهور مبنيا للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله سبحانه او الرسول او من يشاء والمنذر به محذوف اي لينذر العذاب يوم التلاق وقرئ لتنذر بالفوقية على ان الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول او ضمير يرجع الى الروح لانه يجوز تانيثها وقرئ على البناء للمفعول ورفع يوم على النيابة والتلاق بحذف الياء واثباتها وقفا ووصلا وتوجيه ذلك وذكره الفاسي في شرح الشاطبية فليراجع والمعنى يوم يلتقي اهل السموات والارض في المحشر وبه قال قتادة وقال ابو العالية ومقاتل يوم يلتقي العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي الخلق والحاكي

وقيل الاولون والآخرون وقيل جزاء الاعمال والعاملون قال ابن عباس يوم التلاق يوم القيامة يلتقي فيه آدم وآخر ولده وعنه قال هو يوم الآزفة ونحو هذا من اسماء يوم القيامة عظمه الله وحذر عباده منه يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم لا يستترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا ثياب عليهم وانما هم عراة مكشوفون كما في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وهو بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويوم ظرف مستقبل كاذا مضاف الى الجملة الاسمية على طريقة الاخفش وحركة يوم حركة اعراب على المشهور وقيل حركة بناء كما ذهب اليه الكوفيون ويكتب هنا وفي الذاريات منفصلا وهو الاصل افاده السمين ونحوه في شرح الجزرية للشيخ الاسلام لان هم مرفوع بالابتدا فالمناسب القطع وما عداها نحو يومهم الذي يوعدون وحتى يلاقوا يومهم موصول لان هم فيها مجرور فالمناسب الوصل وجملة لا يخفى على الله منهم شيء مستانفة مبينة لبروزهم اي لا يخفى عليه سبحانه شيء من ذواتهم واحوالهم واعمالهم التي عملوها في الدنيا او حال من ضمير بارزون او خبر ثان للمبتدا وقوله لمن خبر مقدم وقوله الملك اليوم مبتدا موخر والجملة مستانفة جواب سوال مقدر كانه قيل فاذا يقال عند بروز الخلائق في ذلك اليوم فقيل يقال لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات والارض فيقول الرب تبارك وتعالى هذا القول خلا يجيبه احد فيجيب تعالى نفسه فيقول لله الواحد القهار خبر مبتدا محذوف قال الحسن هو السائل وهو المجيب حين لا احد يجيبه فجيب نفسه وقيل انه سبحانه يامر مناديا ينادي بذلك فيقول اهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار قال النحاس وهذا اصح ما قيل فيه وقيل الاول ظاهر جدا وقيل انه يجيب المنادي بهذا الجواب اهل الجنة دون اهل النار افاده الزمخشري وقيل هو حكاية لما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم لانقطاع دعاوى المبطلين كما في قوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقال القرطبي وذلك عند فناء الخلق وقيل يقوله تعالى بين النفختين ويجيب نفسه بعد اربعين سنة اليوم تجزى كل نفس بما كسبت هذا من تمام الجواب على القول بان المجيب هو الله سبحانه واما على القول بان المجيب هم العباد كلهم او بعضهم فهو مستانف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم اي اليوم تجزى كل نفس بما عملت في الدنيا من خير وشر لا ظلم اليوم على احد منهم بنقص من ثوابه او بزيادة في عقابه ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه لانه سبحانه لا يحتاج الى تفكر في ذلك كما يحتاجه غيره لاحاطة علمه بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة

قيل يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من ايام الدنيا لانه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق في وقت واحد لحديث ورد بذلك عن ابن مسعود قال يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد بأرض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم ان ينادي مناد لمن الملك اليوم الى قوله للحساب اخرجه عبد بن حميد فاول ما يبدء به من الخصومات الدماء وقال ابن عباس ينادي مناد بين يدي الساعة يا ايها الناس اتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات وينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الآية واخرج ابن ابي الدنيا في البعث والديلمي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ثم امر الله سبحانه رسوله باندار عباده فقال وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ اي يوم القيامة سميت بذلك لقربها يقال ازف فلان او الرحيل اي قرب يازف ازفا من باب تعب وازوفا دنا وقرب ومنه قوله تعالى ازفت الآزفة اي قربت الساعة ودنت القيامة وقيل ان يوم الآزفة هو يوم حضور الموت والاول اولى قال الزجاج وقيل لها ازفة لانها قريبة وان استبعد الناس امرها وعلمه كائن فهو قريب إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ وذلك انها تزول عن مواضعها وترتفع عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحنجرة وتلصق بحلوقهم فلا تعود فيستريحوا بالنفس ولا تخرج فيستريحوا بالموت كقوله وبلغت القلوب الحناجر جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى او جمع حنجرة وهي الحلقوم كَاظِمِينَ بمعنى مغمومين مكروبين ممتلئين غما قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم قال قتادة وقعت قلوبهم في الحناجر من الخوف فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وقيل هو اخبار عن غاية الجزع وانما قال كاظمين باعتبار اهل القلوب لان المعنى اذ قلوب الناس لدى حناجرهم فيكون حالا منهم وقيل حالا من القلوب وجمع الحال منها جمع العقلاء لانه اسند اليها ما يسند الى العقلاء فجمع جمعه ثم بين سبحانه انه لا ينفع الكافرين في ذلك اليوم احد فقال مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ اي قريب ومحب ينفعهم وحميمك قريبك الذي تهتم لامره وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ في شفاعته لهم قال الكرخي حقيقة الاطاعة لا تتأتى هنا لان المطاع يكون فوق المطيع رتبة فمقتضاه ان الشافع يكون فوق المشفوع عنده وهذا محال هنا لان الله تعالى لا شيء فوقه فهو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع اي يؤذن له في الشفاعة او تقبل شفاعته وقال الجلال المحلي لا مفهوم للوصف اذ لا شفيع لهم اصلا اي لا مطاع ولا غيره ثم وصف سبحانه شمول علمه بكل شيء وان كان في غاية الخفاء فقال يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل

النظر اليه والخائنة مصدر كالعافية والكاذبة اي يعلم خيانة الاعين والجملة خبر آخر لقوله هو الذي يريكم او خبر رابع عن المبتدء الذي اخبر برفيع وما بعده عنه والاول هو الظاهر وقيل غير ذلك قال الملورج فيه تقديم وتاخير اي يعلم الاعين الخائنة وقيل الاضافة على معنى من اي الخائنة من الاعين قال قتادة خائنة الاعين الغمز بالعين فيما لا يحب الله وقال الضحاك هو قول الانسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى وقال السدي انه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وبه قال الفراء والاول اولى وبه قال مجاهد قال ابن عباس في الآية الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه يغض بصره عنها واذا غفلوا نظر اليها واذا نظروا غض بصره عنها وقد اطلع الله من قلبه انه ود ان ينظر الى عورتها اخرجه سعيد بن منصور وابن ابي شيبة وابن المنذر وابن ابي حاتم واخرج الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عنه في الآية قال اذا نظر اليها يريد الخيانة ام لا وما تخفي الصدور قال اذا قدر عليها ايزني بها ام لا الا اخبركم بالتي تليه والله يقضي بالحق قادر على ان يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة واخرج ابو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة امن النبي صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وامرأتين وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح فاختبى عند عثمان بن عفان فلما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلثا كل ذلك يابى بيعته ثم بايعه ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك هلا اومأت الينا بعينك فقال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين وما تخفي الصدور اي القلوب من الضمائر وتستره وتكنه وتضمره من معاصي الله او من امانة وخيانة او النظرة الاولى او هل يزني بها لو خلا بها الا والله يقضي بالحق فيجازي كل احد بما يستحقه من خير وشر والذين يدعون من دونه اي يعبدونهم من دون الله قرأ الجمهور بالفوقية يعني الظالمين وقرئ بالتحتية على الخطاب لهم وهما سبعيتان لا يقضون بشيء لانهم لا يعلمون شيئا ولا يقدرون على شيء فكيف يكونون شركاء لله وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة كالجماد لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور

ع ١١

ولقضائه بالحق ووعيدهم بيانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر ولما خوفهم سبحانه باحوال الآخرة اردفه ببيان تخويفهم باحوال الدنيا فقال أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ لان العاقل من اعتبر بحال غيره اي اغفلوا ولم يسيروا في الارض فيعتبروا بمن قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم والعاقبة بمعنى الصفة او بمعنى المآل ارشدهم الله سبحانه الى الاعتبار بغيرهم فان الذين مضوا من الكفار كانوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً اي من هؤلاء الحاضرين من الكفار وهذا بيان للتفاوت بين حال هؤلاء واولئك وفي قراءة منكم اي التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقع ضمير الفصل هنا بين معرفة ونكرة مع انه لا يقع الا بين معرفتين لكون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث امتناع دخول ال عليها لان افعل التفضيل المقرون بمن لا يدخل عليه ال وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ بما عمروا فيها من الحصون المتينة والمصانع الحصينة والقصور المشيدة وغالبهم من العدد والعدة فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ اي عاقبهم واهلكهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسلهم وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ اي دافع يدفع عنهم العذاب ويقيهم وقد مر تفسير هذه الآية في مواضع ذلك اي ما تقدم من الاخذ بالذنوب ذَٰلِكَ اي الاخذ بِأَنَّهُمْ اي بسبب انهم كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ اي بالحجج الواضحة والمعجزات الظاهرة فَكَفَرُوا بما جاؤوهم به فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ يفعل كل ما يريده لا يعجزه شيء شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن عصاه ولم يرجع اليه ثم ذكر سبحانه قصة موسى ليعتبروا فقال وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا اي متلبسا بها وهي التسع التي تقدم ذكرها في غير موضع وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ اي حجة بينة واضحة وهي التوراة وقيل المراد به اما الآيات نفسها والعطف لتغاير العنوانين واما بعضها اي المشهور منها كاليد والعصا وافردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات اعتناء بها الى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ خصهم بالذكر لانهم رؤساء المكذبين بموسى فرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال والكنوز وكان مدار التدبير في عداوته كان عليهم فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فيما جاءهم به القائل فرعون وقومه واما قارون فلم يقل ذلك ففي الكلام تغليب كذا يقال في قوله قالوا اقتلوا وقال الخطيب كان هذا قول قارون وان لم يقله بالفعل فانه طبع على الكفر فعصاه اخرا فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا وهي معجزاته الظاهرة الواضحة قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قال قتادة هذا قتل

غير القتل الاول الان فرعون قد كان امسك وكف عن قتل الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث الله
موسى واحس بانه قد وقع ما وقع اعاد القتل على بني اسرائيل غيظا وحنقا فكان يامر بقتل الذكور وترك
الاناث ومثل هذا قول فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم والمعنى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه
اولا زعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بزوال
ملكهم على يده فشغلهم الله عن ذلك بما انزل عليهم من انواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان
الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم الله تعالى واستحيوا اي ليستبقوا نساءهم للخدمة ومآ كيد الكافرين
الا في ضلال اي في خسران وضياع ووبال لانه يذهب باطلا ولا يغني عنهم شيئا ويحيق بهم ما يريده
الله عز وجل وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا بل ينفذ عليهم لا محالة القدر
المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة
الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء بها في تضاعيف ما حكي عنهم من
الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه واضمروه الا بالمرة وقال فرعون ذروني اقتل موسى
اي اتركوني ان اقتله والظاهر من حال اللعين انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به حق ولكن
كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وانما قال ذلك تمويها وايهاما انهم هم المانعون له
من قتله ولولاهم لقتله مع انه ما منعه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله وليدع ربه جملة
منه واظهار لعدم المبالاة ولكنه اخوف الناس منه وفي منعه من قتله وجوه ذكرها الخطيب ايليدع الذي
يزعم انه ارسله الينا فليمنعه من القتل ان قدر على ذلك اي لا هو لينكر ذلك فانه لا رب له حقيقة
بل اربكم لا على تذكر العلة التي لاجلها اراد ان يقتله فقال اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم
الذي انتم عليه من عبادة غير الله ويدخل في دينه الذي هو عبادة الله وحده او ان يظهر في
الارض الفساد اي يوقع بين الناس الخلاف والفتنة جعل اللعين ظهور ما دعى اليه موسى وانتشاره
في الارض واعتداء الناس اليه فسادا وليس الفساد الا ما هو عليه هو ومن تابعه والمعنى انه لا بد من وقوع
احد الامرين او وقوع الامرين جميعا وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب لما شاهده فرعون بالقتل لم يأت في دفع شدة اللعين الا بان استعاذ بالله عز وجل
من كل متعظم عن الايمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور واعتمد عليه فلا حرم صانه الله عن كل بلية

ويدخل فرعون في هذا العموم دخولا اوليا ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة
لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم ايمانه قال الحسن ومقاتل والسدي كان قبطيا وهو ابن عم فرعون وهو الذي نجى مع موسى وهو المراد
بقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل كان من بني اسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما
في الآية وقد تحمل لذلك بان في الآية تقديما وتاخيرا والتقدير وقال رجل من بني اسرائيل يكتم
ايمانه من آل فرعون قال القشيري ومن جعله اسرائيليا ففيه بعد لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال
كتم منه كما قال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان فرعون يحتمل من بني اسرائيل مثل هذا القول
وقد اختلف في اسم هذا الرجل فقيل حبيب وقيل شمعان وهو الاصح كما في مبهمات القرآن وقيل
حزقيل وبه قال ابن عباس واكثر العلماء وقال وهب كان اسمه جبريل وقيل غير ذلك قال ابن عباس
لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره وغيرامه فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى الذي قال ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك قال ابن المنذر اخبرت انه حزقيل وعن ابي اسحق قال اسمه حبيب قرأ الجمهور
رجل بضم الجيم وقرئ بسكونها وهي لغة تميم وبغد والاولى هي الفصيحة وقرئ بكسر الجيم أتقتلون
رجلا الاستفهام للانكار أن يقول اي لان يقول او كراهة ان يقول وقال الزمخشري اي وقت ان يقول
ورد ذلك النص النحاة على خلافه وقال الامام تاج الدين ابن مكتوم اجاز ابن جني ذلك والاول اولى
ربي الله وهو بكر ايضا لا ربه وحده وهو اشارة الى التوحيد وهذا انكار منه عظيم كانه قيل اترتكبون
الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة من غير روية وتامل في امره واطلاع على سبب يوجب قتله
وما اكبر علة في ارتكابكم الا كلمة الحق وهو قوله ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اي والحال
ان قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته والمعنى انه لم يحضر
لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسبت اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف
به اخرج البخاري وغيره من طريق عروة قال قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرنا باشد شيء صنعه
المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي
معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ
بمنكبيه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم

واخرج البزار وابو نعيم في فضائل الصحابة عن علي بن ابي طالب انه قال يا ايها الناس اخبروني من اشجع الناس قالوا انت قال اما اني ما بارزت احدا الا انتصفت منه ولكن اخبروني عن اشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال ابو بكر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذته قريش فهذا يضربه وهذا يتلتله وهم يقولون انت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنى منا احد الا ابو بكر يضرب هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم رفع برده كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال انشدكم بالله مؤمن آل فرعون خير ام ابو بكر فسكت القوم فقال الا تجيبون فوالله لساعة من ابي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل اعلن ايمانه ثم تلطف الرجل المؤمن لهم في الدفع عن موسى واحتج عليهم بطريق التقسيم فقال وَاِنْ يَّكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كِذْبُهٗ اي ضرر كذبه وَاِنْ يَّكُ صَادِقًا يُّصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِيْ يَعِدُكُمْ هذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا وانما خوفهم به اقتصارا على ما هو اظهر احتمالا عندهم ولم يقل قوله هذا الشك منه فانه كان مؤمنا كما وصفه الله ولا يشك المؤمن والمعنى اخاف ان يصيبكم كله فلا اقل من ان يصيبكم بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وقال ابو عبيدة وابو الهيثم بعض ههنا بمعنى كل اي يصيبكم كل الذي يعدكم والبعض قد يستعمل في لغة العرب بمعنى الكل قال النسفي وتفسير البعض بالكل مزيف انتهى نعم ولا ضرورة تلجئ الى الحمل على ذلك فانه اراد التنزل معهم وايهامهم انه لا يعتقد صحة نبوته كما يفيده قوله يكتم ايمانه قال اهل المعاني وهذا على المظاهرة في الحجاج كانه قال لهم اقل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فكان الحاصل بالبعض هو الحاصل بالكل وقال الليث بعض ههنا صلة يريد يصيبكم الذي يعدكم وقيل يصيبكم هذا العذاب الذي يقوله في الدنيا وهو بعض ما يتوعدكم به من العذاب وقيل انه وعدهم بالثواب والعقاب فاذا كفروا اصابهم العذاب وهو بعض ما وعدهم به وحذفت النون من يكن في الموضعين تخفيفا لكثرة الاستعمال كما قال سيبويه اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ هذا من تمام كلام الرجل المؤمن وهو احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولا ايده بالمعجزات وثانيهما انه اذا كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله والمسرف المتجاوز عن المعاصي المستكثر منها والكذاب المفتري يا قوم لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ذكرهم ذلك والرحمل المؤمن ما هم

من الملك ليشكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم ومعنى ظاهرين الظهور على الناس والغلبة لهم والاستعلاء
عليهم في الارض اي ايض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي من يمنعنا من عذابه ويحول
بيننا وبينه عند مجيئه وفي هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وانزال عذابه عليهم وانما نسب ملك
من الملك والظهور في الارض لهم خاصة ونظر نفسه في سلكهم فيما يهمهم من مجيء باس الله تطييبا لقلوبهم
وايذانا بانه مناصح ساع في تحصيل ما يعود بهم ودفع ما يرديهم ليتأثروا بنصحه فلما سمع فرعون ما قاله
هذا الرجل من النصح الصحيح جاء بمراوغة يوهم بها قومه انه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين وانه لا يسلك
بهم الا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم ولهذا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير
عليكم الا بما ارى لنفسي قاله ابن زيد وهذا تفسير لمال المعنى والتفسير المطابق بجوهر اللفظ ما قال الضحاك
ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب وهو قتل موسى والرؤية هنا هي القلبية الاعتقادية لا البصرية العينية
فتتعدى لمفعولين ثانيهما الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد اي ما اهديكم ولا ادعوكم بهذا
الرأي الا الى طريق الحق والهدى قرأ الجمهور بتخفيف الشين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه بتشديدها
على انها صيغة مبالغة كضراب قال النحاس هي لحن ولا وجه لذلك ثم كرر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم وحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم فقال الله حاكيا عنه وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
اي مثل يوم عذاب الامم الماضية الذين تحزبوا على انبيائهم وافرد اليوم لان جمع الاحزاب قد اغنى
عن جمعه والاحزاب لم ينزل بها العذاب في يوم واحد بل نزل بها في الدنيا في ايام مختلفة متربة
ثم فسر الاحزاب فقال مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم اي مثل حالهم في
العذاب او مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب ومثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب وما
الله يريد ظلما للعباد اي لا يعذبهم ولا يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام او لا يزيد على
قدر ما يستحقون من العذاب او لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ونفي الارادة للظلم يستلزم نفي
الظلم بفحوى الخطاب وتفسير للعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة قالوا اذا قال الرجل
لآخر لا اريد ظلمك معناه لا اريد ان اظلمك ثم زاد الرجل المؤمن في الوعظ والتذكير فقال ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد قرأ الجمهور بتخفيف الدال وحذف الياء والاصل التنادي وهو التفاعل
من النداء يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا وقرئ باثبات الياء على الاصل وقرأ ابن عباس و

الضحاك وعكرمة قال بعض اهل اللغة هو لحن لانه من ينادي الخامر على وجهه هاربا قال الضحاك وهذا غلط والقراءة حسنة على معنى التنافر قال الضحاك في معناه اذا سمعوا بزفير جهنم ندروا هاربا فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا وجدوا صفوفا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله يوم التناد وعلى قراءة الجمهور المعنى يوم ينادي بعضهم بعضا او ينادي اهل النار اهل الجنة واهل الجنة اهل النار او يوم ينادي فيه كل الناس بامامهم ولا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني وهو ما حكاه الله تعالى في سورة الاعراف ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادي منادا الان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا والان فلانا شقي شقاوة فلا يسعد بعدها ابدا وينادى حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه يوم تولون مدبرين اي منصرفين عن الوقف الى النار او فارين عنها غير معجزين قال قتادة ومقاتل المعنى الى النار بعد الحساب ما لكم من ثم من عاصم يعصمكم من عذاب الله ويمنعكم منه ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق الرشاد قرئ هاد باثبات الياء وحذفها في الوقف وحذفها في الوصل مع حذفها خطا ولقد جاءكم يوسف هذا من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبياء وقيل ان هذا من قول موسى عليه السلام والاول اولى من قبل اي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر الزمن موسى قاله المحلي اي عاش واستمر يوسف بن يعقوب الى زمن موسى الكليم قال سليمان الجمل وهذا القول لم يقله غيره من المفسرين وانما غاية ما وجد بعد التفتيش ما نقله الشهاب بقوله وفي بعض التواريخ ان وفاة يوسف قبل مولد موسى باربع وستين سنة قال القاري الصحيح ان المعمر هو فرعون موسى ادرك يوسف وعاش الى ان ارسل اليه موسى وعمر اربعمائة سنة والا بعين سنة انتهى وقال السيوطي في التحرير وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبين يوسف وموسى اربعمائة سنة انتهى وقيل هو فرعون اخر بالبينات اي انه جاءهم بالمعجزات الظاهرات والآيات الواضحات من قبل مجيء موسى اليهم اي حاكما الى اباء تكرر فحمل المجيء على الاباء مجيئا الى الابناء وقال ابن جريج المراد بالبينات رؤيا يوسف وقيل المراد بها قوله ءاربابا متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقيل المراد بيوسف يوسف بن افراثيم بن يوسف بن يعقوب وكان اقام فيهم اي في القبط نبيا عشرين سنة وحكى القشاش

عن الضحاك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف قال الشوكاني وهو الاولى فما زلتم اي ما زال اسلافكم في شك مما جاءكم به من البينات ولم تؤمنوا به حتى اذا هلك يوسف قلتم اي قال اسلافكم لن يبعث الله من بعده رسولا فكفروا به في حياته وكفروا من بعده من الرسل بعد موته وظنوا ان الله لا يبعث عليهم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان ليكون لهم اساس في تكذيب الرسل الذين ياتون بعده وهذا ليس اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم الى الشك في رسالته والتكذيب برسالة من بعده افاده الخطيب والخازن كذلك الضلال الواضح يضل الله من هو مسرف في معاصي الله مستكثر منها او مشرك مرتاب في دين الله شاك في وحدانيته ووعده ووعيده وقوله الذين يجادلون في آيات الله بدل من من والجمع باعتبار معناها او بيان لها او صفة او في محل نصب باضمار اعني او خبر مبتدا محذوف اي هم الذين او مبتدا وخبره يطبع قال ابن جرير الذين يجادلون يعود وقيل الضمير يعود الى من في من هو مسرف مرتاب والاول اولى قيل هذا من كلام الرجل المؤمن ايضا وقيل انه ابتداء كلام من الله سبحانه بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان ساطع اتاهم صفة لسلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا يحتمل ان يراد به التعجب والاستعظام وان يراد به الذم كبئس وفاعل كبر ضمير يعود الى الجدال المفهوم من يجادلون قال المحلي كبر خبر المبتدا انتهى وهذا اولى واحسن الاعاريب العشرة التي ذكرها السمين واليه نحا ابو حيان كذلك يطبع الحكم البليغ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار مستانف قرء الجمهور باضافة قلب الى متكبر واختارها ابو حاتم وابو عبيد وفي الكلام حذف والتقدير كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فحذف كل الثانية لدلالة الاولى عليها والمعنى انه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين وقرئ بتنوين قلب على ان متكبر صفة له فيكون القلب مرادا به الجملة لان القلب هو محل التكبر وسائر الاعضاء تبع له في ذلك وهما سبعيتان وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر وتقديره عند الزمخشري على كل ذي قلب متكبر قال الشيخ ولا ضرورة تدعو الى اعتبار الحذف قلت بل ثم ضرورة الى ذلك وهي توافق القراءتين ثم لما سمع فرعون هذا رجع الى تكبره وتجبره معرضا عن الموعظة نافرا عن قبولها وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي قصرا مشيدا كما تقدم بيان تفسيره في سورة القصص وقيل صرحا اي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر وفي المصباح الصرح بيت واحد بني مفردا طويلا ضخما وفي السمين

الصرح القصر او صحن الدار او بلاط يتخذ من زجاج واصله من التصريح وهو الكشف لعلي ابلغ الاسباب
اي الطرق من السماء الى السماء قال قتادة والزهري والسدي والاخفش هي الابواب اي ابوابها الموصلة
اليها اسباب السموات بيان للاسباب لان الشيء اذا ابهم ثم فسر كان اوقع في النفوس والفخم للسان اويدل
منها واستشهد الاخفش عند تفسير الاية ببيت زهير ٥ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ٠ ولو رام
اسباب السماء بسلم ٠ وقيل اسباب السموات الامور التي يستمسك بها وكل ما اداك الى شيء فهو
سبب اليه كالرشا ونحوه فاطلع الى اله موسى اي انظر اليه واطلع على حاله قرء الاعرج السلمي و
عيسى بن عمر وحفص بالنصب على جواب الامر في قوله ابن لي وهذا راي البصريين او على جواب الترجي
كما قال ابو عبيد وغيره وهذا راي الكوفيين قال النحاس معنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت
الاسباب اطلعت وقرأ الجمهور بالرفع عطفا على ابلغ فهو على هذا داخل في حيز الترجي ومعناه لعلي ابلغ
ولعلي اطلع بعد ذلك وقيل غير ذلك وفي هذا دليل على ان فرعون كان بمكان من الجهل عظيم
وبمنزلة من فهم حقائق الاشياء سافلة جدا وانى لاظنه اي موسى كاذبا في ادعائه بان له الها
غيري مستويا على العرش فوق السموات او فيما يدعيه من الرسالة قال فرعون ذلك توريها وتلبيسا
وتخليطا على قومه والا فهو يعرف ويعتقد حقيقة الاله وانه في جهة العلو ولكنه اراد التلبيس على
قومه توصلا لبقائهم على الكفر فكانه يقول لو كان اله موسى موجودا كان له محل ومحاله اما الارض
واما السماء ولم يرد في الارض فيبقى ان يكون في السماء والسماء لا تتوصل اليها بسلم وكذلك زين
زين لفرعون سوء عمله من الشرك والتكذيب فتمادى في الغي واستمر على الطغيان والمزين هو الشيطان
وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والهدى قرأ الجمهور وصد بفتح الصاد والدال اي صد فرعون الناس عن
السبيل وقرأ الكوفيون وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم
ولعل وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما اجمعوا عليه في زين من البناء للمفعول والقراءتان
سبعيتان وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة صد بكسر الصاد وقرأ ابن ابي اسحق وعبد الرحمن بن ابي بكر بفتح الصاد
وضم الدال منونا على انه مصدر معطوف على سوء عمله اي زين له الشيطان سوء العمل وصد الصد
وما كيد فرعون في ابطال ايات موسى الا في تباب اي خسار وهلاك قال ابن عباس
التباب الخسران ومنه تبت يدا ابي لهب ثم ان ذلك الرجل المؤمن اعاد التذكير والتحذير كما حكى الله عنه بقوله

وقال الذي آمن يقوم اتبعون بانبات الياء وحذفها في الوصل والوقف والقراءتان سبعيتان وهذا بالنظر للفظ واما في الرسم فهي محذوفة لانها من يا ات الزوائد اي اقتدوا بي في الدين واعلموا نصيحتي اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى والصواب وهو الجنة وهو ضد الغي وفيه تعريض شديد بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي وقيل هذا من قول موسى والاول اولى يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع يتمتع بها اياما ثم تنقطع وتزول لان التنوين للتقليل فالاخلاد اليها اصل الشر ومنبع الفتن وراس كل بلاء وافتة وان الاخرة هي دار القرار اي الاستقرار والثبات فلا انتقال ولا تحول عنها لكونها دائمة لا تنقطع ومستمرة لا تزول والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق قال ابن عباس الدنيا جمعة من جمع الاخرة سبعة الاف سنة واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحيوة الدنيا متاع وليس من متاعها شيء افضل من المراة الصالحة التي اذا نظرت اليها سرتك واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها من عمل سيئة من كلام الرجل المؤمن والمعنى من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت فلا يجزى الا مثلها ولا يعذب الا بقدرها والظاهر شمول الاية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة وقيل هي خاصة بالشرك ولا وجه لذلك ومن عمل عملا صالحا قيل هو لا اله الا الله من ذكر او انثى وهو مومن اي معكونه مؤمنا بما جاء به رسله فاولئك الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس سبعيتان يرزقون فيها رزقا واسعا بغير حساب اي بغير تقدير ومحاسبة قال مقاتل يقول لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير ثم كرر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم الى الله وصرح بايمانه ولم يسلك المسالك المتقدمة من ايهامه لهم انه منهم وانه انما تصدى لتذكيرهم كراهة ان يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى كما يقوله الرجل المحب لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه فقال وترك العطف في النداء الثاني لانه تفصيل لاجمال الاول وهنا عطف لانه ليس تلك المثابة لانه كلام مباين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ونحوه قال الزمخشري يا قوم ما لي تكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من ال فرعون والمعنى اخبروني عنكم كيف هذه الحال ادعوكم الى النجوة من النار ودخول الجنة بالايمان بالله واجابة

النصف

رسله وتدعونني الى النار بما تريدونه مني من الشرك وقيل المعنى ما لكم ادعوكم كما تقول مالي اراك حزينا اي مالك ثم فسر الدعوتين فقال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم ابيه ما لا علم لي بكونه شريكا لله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم بدل من تدعونني الاولى على جهة البيان لها واتى بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفي قوله وانا ادعوكم بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وثبوتها الى العزيز الغالب على امره وفي انتقامه ممن كفر الغفار لذنب من امن به وتاب لا جرم قد تقدم تفسير هذا في سورة هود وجرم فعل ماض بمعنى حق ولا الداخلة عليه لنفي ما ادعوه ورد ما زعموه وفاعل هذا الفعل هو قوله انما تدعونني اليه اي حق ووجب بطلان دعوته وما بمعنى الذي فكان حقها ان تكتب مفصولة من النون كما هو القاعدة لكنها رسمت في المصحف الامام موصولة بالنون كما اشار ابن الجزري ليس له دعوة قال الزجاج معناه ليس له استجابة دعوة تنفع وقيل ليس له دعوة توجب له الالوهية في الدنيا ولا في الاخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة وان مردنا الى الله اي مرجعنا ومصيرنا اليه بالموت اولا وبالبعث اخرا فيجازي كل احد بما يستحقه من خير وشر وان المسرفين اي المستكثرين من معاصي الله قال قتادة وابن سيرين يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاكون للدماء بغير حقها وبه قال ابن مسعود وقال عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله والمعنى حق ان المسرفين هم اصحاب النار اي اهل جهنم ولما بلغ ذلك المؤمن في باب النصيحة الى هذا الكلام ختم كلامه بمخاتلة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم اذا نزل بكم العذاب وتعلمون اني قد بالغت في نصحكم وتذكيركم وهو كلام مجمل مبهم وفي هذا الابهام والاجمال من التخويف والتهديد ما لا يخفى وافوض امري الى الله مستانف اي اتوكل عليه واسلم امري اليه قيل انه قال هذا المراد الايقاع به قال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل القائل هو موسى والاول اولى ان الله بصير بالعباد ويعلم المحق من المبطل فوقاه الله سيئات ما مكروا اي ما اراد وابه من المكر السيئ وما هو به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قال قتادة نجاه الله مع بني اسرائيل من الغرق وحاق بال فرعون اي احاط بهم ونزل عليهم سوء العذاب قال الكسائي يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم قال الكلبي غرقوا في البحر ودخلوا النار والمراد بال فرعون فرعون وقومه وترك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه اولى بذلك

منهم او المراد بآل فرعون فرعون نفسه وانما اوثر الاول لانهم قد عذبوا في الدنيا جميعا بالغرق وسيعذبون في الآخرة بالنار ثم بين سبحانه ما اجمله من سوء العذاب فقال النار يعرضون اي تعرض ارواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة عليها غدوا وعشيا اي صباحا ومساء فارتفاع النار على انها بدل من سوء العذاب وقيل على انها خبر مبتدء محذوف او مبتدء وخبره يعرضون والاول اولى ويرجحه الزجاج وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره يعرضون من حيث المعنى اي يصلون النار يعرضون عليها او على الاختصاص واجاز الفراء الخفض على البدل من العذاب واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم بها في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس اخر او يفتر عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام واحتج بعض اهل العلم على اثبات عذاب القبر بهذه الآية اعاذنا الله تعالى عنه بمنه وكرمه وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم قال القرطبي ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها انتهى وقد حققنا ذلك في كتابنا ثمار التنكيت في شرح ابيات التثبيت بالفارسية فليعلم ثم ذهب الجمهور الى ان هذا العرض هو في البرزخ قال الفراء ويكون في الآية تقديم وتاخير اي ادخلوا آل فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ولا ملجئ الى هذا التكلف فان قوله ويوم تقوم الساعة الخ يدل دلالة واضحة على ان ذلك العرض هو في البرزخ ادخلوا اي يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب هو عذاب النار فانه اشد مما كانوا فيه وقيل انواع من العذاب بعضها اشد من بعض غير الذي كانوا يعذبون بها منذ اغرقوا اقرأ حمزة والكسائي ونافع وحفص ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء وهو على تقدير القول كما ذكر وقرأ الباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل على امر الآل فرعون بالدخول بتقدير حرف النداء اي ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احسن محسن مسلم او كافر الا اثابه الله قلنا يا رسول الله ما اثابة الكافر قال المال والولد والصحة وانما ساه ذلك

قلنا وهاتا بتة في الاخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اخرجه البزار وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان وَاِذْ يَتَحَآجُّوْنَ فِي النَّارِ اي اذكر لقومك وقت تخاصمهم في النار تعريبين سبحانه هذا التخاصم فقال فَيَقُوْلُ الضُّعَفٰٓؤُا لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْٓا عن الانقياد للانبياء والاتباع لهم وهم رؤساء الكفر اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فكبر تعد الناس بنا والتبع جمع تابع كخادم وخدام او مصدر واقع موقع اسم الفاعل اي تابعين او ذي تبع قال البصريون التبع يكون واحدا ويكون جمعا وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له فَهَلْ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنَّا نَصِيْبًا مِّنَ النَّارِ اي هل تدفعون عنا نصيبا منها او تحملونه معنا وجملة قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْٓا اِنَّا كُلٌّ فِيْهَآ مستانفة جواب سؤال مقدر قرأ الجمهور كل بالرفع على الابتداء وخبره فيها والجملة خبر ان قاله الاخفش وقرأ ابن السميفع وعيسى بن عمر كلا بالنصب قال الكسائي والفراء على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه وقيل على الحال ورجحه ابن مالك والمعنى انا نحن وانتم جميعا في جهنم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا اِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ اي قضى بينهم بان فريقا في الجنة وفريقا في السعير فلا يغني احد عن احد شيئا فعند ذلك يحصل اليأس الانتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما قال وَقَالَ الَّذِيْنَ فِي النَّارِ من الامم الكافرة مستكبرهم وضعيفهم جميعا لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ جمع خازن وهم القوام بتعذيب اهل النار وانما لم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا او لبيان محلهم فيها فان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتذار الكفار واطماعهم فاعل الملائكة الموكلين لعذاب الله ادْعُوْا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ اي شيئا منه مقدار يوم من ايام الدنيا لانه ليس في الاخرة ليل ولا نهار قَالُوْٓا اَوَلَمْ تَكُ تَاْتِيْكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مستانفة جواب سؤال مقدر والاستفهام للتقريع والتوبيخ قَالُوْا بَلٰى اي اتونا بها فكذبناهم ولم نؤمن بهم ولا بما جاءوا به من الحجج الواضحة فلما اعترفوا قَالُوْا اي قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم هكما بهم فادعوا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فانا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة ثم اخبرهم بان دعاءهم لا يفيد شيئا فقالوا وَمَا دُعٰٓؤُا الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ اي في ضياع

وبطلان وخسار وتبار وانعدام وفيه اقناط لهم عن الاجابة وهو من قول الله تعالى اخبارا لنبيه
وهو انسب بما بعده وعليه جرى المحلي والشهاب ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة انا لننصر رسلنا
والذين امنوا استانفت من جهة الله سبحانه اي بخذلهم الغالبين لاعدائهم القاهرين لهم والوصول
في محل نصب عطفا على رسلنا اي لننصر رسلنا وننصر الذين امنوا معهم في الحيوة الدنيا اعداء
الله من الانتقام عنهم بالقتل والسلب والاسر وقيل بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام لهم
من الاعداء بالاستيصال وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله عز وجل والعاقبة
لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين الفا وكما نصر الحسين بن علي الشهيد فانه قتل
به سبعين الفا ايضا اخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ابي الدنيا والطبراني وابن مردويه والبيهقي
في الشعب عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه نار
جهنم يوم القيامة ثم تلا انا لننصر رسلنا والذين امنوا واخرج ابن مردويه من حديث ابي هريرة
مثله ويوم يقوم الاشهاد هو يوم القيامة قال زيد بن اسلم الاشهاد هم الملائكة والنبيون و
المؤمنون وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملائكة يشهدون للانبياء بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب
وقيل الحفظة يشهدون على بني ادم بما عملوا من الاعمال وكذا الجوارح تشهد عليهم بما فعلوا
قال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب قال النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على
افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء منه مسموحا ادي على ما سمع فهو على هذا جمع شهيد مثل
شريف واشراف ومعنى نصرهم يوم القيامة ان الله يجازيهم باعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم اكراما
ويجازي الكفار باعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار وهو معنى قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
قرأ نافع والكوفيون بالتحتية وقرأ الجمهور بتنفع بالفوقية والكل جائز في اللغة وانما لم تنفعهم المعذرة
لانها معذرة باطلة وتعلة داحضة وشبهة زائغة ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم
سوء الدار اي النار ولقد اتينا موسى الهدى هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريبا من نصره
لرسله اي اتيناه التوراة والنبوة كما في قوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور قال مقاتل
الهدى من الضلالة يعني التوراة واورثنا بني اسرائيل اي بعد ما كانوا فيه من الذل الكتاب
اي التوراة والمعنى ان الله سبحانه لما انزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم وقارنوها خلفا عن سلف

وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على انبياء بني اسرائيل بعد موت موسى هدى وذكرى اي لاصلهما اوهاديا ومذكرا ومرشدا لاولي الالباب اي لهل العقول السليمة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على الاذى فقال فاصبر اي اصبر على اذاء المشركين كما صبر من قبلك من الرسل قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر ان وعد الله الذي وعد رسله به حق لا خلف فيه ولا شك في وقوعه كما في قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ثم امره الله سبحانه بالاستغفار لذنبه فقال واستغفر لذنبك قيل المراد ذنب امتك فهو على حذف مضاف وقيل المراد الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وقيل هو مجرد تعبد له صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لزيادة الثواب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي دم على تنزيه الله متلبسا بحمده والعشي هو من بعد الزوال وفيه اربع صلوات والابكار من الفجر الى الزوال وفيه صلوة واحدة وقيل المراد صل في الوقتين صلوة العصر وصلوة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هما صلاتان ركعتان غدوة وركعتان عشية وذلك قبل ان تفرض الصلوات الخمس ان الذين يجادلون عام في كل مجادل وان نزل في مشركي مكة قاله ابو السعود في آيات الله اي القران بغير سلطان اتاهم اي بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم من الله سبحانه تقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان المتكلم في امر الدين لابد من استنادة الى السلطان مبين ان في صدورهم الا كبر اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق يحملهم على تكذيبك ما هم ببالغيه صفة لكبر قال الزجاج بالغي اراد تهم فيه فحمله على حذف المضاف فقال غيره بالغي اكبرهم وقال ابن قتيبة كبراي تكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يبلغوه وما هم ببالغي ذلك وقيل المراد بالكبر الامر الكبير اي يطلبون النبوة او يطلبون امرا كبيرا يصلون به اليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك وقال مجاهد معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمراد بهذه الاية المشركون وقيل اليهود عن ابي العالية قال ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الدجال يكون منا في اخر الزمان ويكون له امره فعظم امره وقالوا يصنع كذا ويصنع كذا فانزل الله هذه الاية قال لامبلغ الذي يقول فاستعذ بالله فامر نبيه ان يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الدجال اخرجه عبد بن حميد وابن ابي حاتم قال السيوطي بسند صحيح وعن كعب الاحبار قال هم اليهود نزلت فيهم فيما يتطاولون من

امر الدجال وقال مجاهد الاكبر اي عظمة قريش ثم امر الله سبحانه بان يستعيذ بالله من شرورهم فقال فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك انه هو السميع لاقوالهم البصير بافعالهم لا يخفى عليه من ذلك خافية ثم بين سبحانه عظيم قدرته فقال لخلق السموات والارض ابتداء من غير سبق مادة اكبر من خلق الناس اي اعظم في النفوس واجل في الصدور لعظم اجرامها واستقرارها من غير عمد وجريان الافلاك بالكواكب من غير سبب واشق بحسب عادة الناس في مزاولة الافعال من ان علاج الشئ الكبير اشق من علاج الصغير وان كان بالنسبة الى الله لا تفاوت بين الصغير والكبير فكيف ينكرون البعث واحياء ما هو دونهما من كل وجه كما في قوله اولیس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم قال ابو العالية المعنى لخلق السموات والارض اعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري البعث اي هما اكبر من اعادة خلق الناس ولكن اكثر الناس اي كفار مكة لا يعلمون بعظم قدرة الله وانه لا يعجزه شئ فهم كالاعمى ومن يعلمه كالبصير وقد وردت احاديث صحيحة كثيرة في ذكر الدجال وصفته وانذار الرسل منه لامتهم وخروجه في آخر الزمان ومايقع منه ومن يتبعه من اليهود كما حققناه في حجج الكرامة في آثار القيامة وليس هذا موضع ذكرها وبسطها والیه ذهب جميع اهل السنة والمحدثين والفقهاء خلافا لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي وموافقيه في انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا انها مخاريف وخيالات لا حقائق لها والاخبار الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا مشبعا ثم لما ذكر سبحانه الجدال بالباطل ذكر مثالا للباطل والحق وانهما لا يستويان فقال وما يستوي الاعمى والبصير اي الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق او الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات اي ولا يستوي المحسن بالايمان والعمل الصالح ولا المسيئ بالكفر والمعاصي وزيادة لا للتاكيد والتقابل يجيئ على ثلث طرق احداها ان يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية ان يتاخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قليلا ما تتذكرون بالتحتية على الغيبة لان قبلها وبعدها

على الغيبة لا على الخطاب واختارها ابو عبيد وابو حاتم وبالفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات
وفائدته في مقام التوبيخ هي اظهار الصقع الشديد والانكار البليغ افاده الكرخي ان الساعة لآتية
لا ريب فيها اي لاشك في مجيئها وحصولها وقيامها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد
بوقوعها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بذلك ولا يصدقونه لقصور افهامهم وضعف عقولهم عن ادراك الحجة والمراد باكثر الناس الكفار
الذين ينكرون البعث ثم لما بين سبحانه ان قيام الساعة حق وليس بمرتاب فيها ولا شبهة في مجيئها
ارشد عباده الى ما هو الوسيلة الى السعادة في دار الخلود فامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحكي عنه امره
بابلاغه وهو وقال ربكم ادعوني استجب لكم قال اكثر المفسرين المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل
عبادتكم واغفر لكم واجبكم وانبكم وقيل هذا الوعد بالاجابة مقيد بالمشية اي استجب لكم ان شئت
كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقيل المراد بالدعاء السوال بجلب النفع ودفع الضر قيل الاول
اولى لان الدعاء في اكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة قلت بل الثاني اولى لان معنى الدعاء حقيقة
وشرعا هو الطلب فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز على ان الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو
عبادة بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح فالله سبحانه قد امر عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة
ووعده الحق وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد وعن ابن عباس قال وحدوني اغفر لكم وقال جابر بن
عبد الله اعبدوني وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء الاستغفار اخرجه ابن مردويه وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله يغضب عليه اخرجه احمد والحاكم وابن ابي شيبة
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما
لم ينزل فعليكم بالدعاء اخرجه احمد وابو يعلى والطبراني وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدعاء مخ العبادة اخرجه الترمذي والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وعن ابن عباس قال افضل
العبادة الدعاء وقرأ هذه الآية واخرج البخاري في الادب عن عايشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي
العبادة افضل فقال دعاء المرء لنفسه ثم صرح سبحانه بان هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو
الطلب هو من عبادته فقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم قرأ الجمهور
بفتح الياء وضم الخاء وقرئ بالعكس مبنيا للمفعول داخرين اي ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد

لمن استكبر عن دعاءه وفيه لطف بعباده عظيم واحسان اليهم جليل حيث توعد من ترك
طلب الخير منه واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة فاعبدوا الله
وحده رغبة منكم وعولوا في كل طلباتكم على من امركم بتوجيهها اليه وارشدكم الى التعويل عليه وكفل
لكم الاجابة باعطاء الطلبة فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويغضب على من
لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاجه من امور الدنيا والدين وعن النعمان بن بشير
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني الى قوله داخرين اخرجه
الترمذي وقال حسن صحيح والبخاري في الادب وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم
والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب واحمد وابن ابي شيبة
وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبراني ثم ذكر سبحانه بعض ما انعم به على عباده فقال الله
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلما باردا فانا سبب
الراحة الظاهرية بالسكون والنوم الذي هو الموت الاصغر الراحة الحقيقية بالعبادة التي هي
الحياة الدائمة والنهار مبصرا اي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معايشكم وهو من
الاسناد المجازي اي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار ان الله لذو فضل على الناس
بتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصر ولم يقل المفضل او المتفضل لان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا
لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة ولكن اكثر الناس لا يشكرون النعم ولا يعترفون بها اما
لجحودهم لها ولكفرهم بها كما هو شان الكفار او لاغفالهم للنظر والتامل لما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون
ولم يقل ولكن اكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم
الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار
ذلكم اي الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو بين سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده فاني تؤفكون اي كيف
تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده وتصرفون عن الايمان مع قيام البرهان كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون
لتوحيده ثم ذكر لهم سبحانه نوعا آخر من نعمه التي انعم بها عليهم مع ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرته

وتفرد بالالهية فقال اللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا اى موضع قرار مع كونها في غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرة الله وفيها تحيون وفيها تموتون وَالسَّمَاءَ بِنَاءً اى سقفا قائما ثابتا مع كونها افلاكا دائرة بنجوم طول الزمان سائرة بنشأ عنها الليل والنهار والاظلام والاضاءة ثم بين بعض نعمه المتعلقة بانفس العباد فقال وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ اى خلقكم في احسن صورة لم يخلق حيوانا احسن منكم وقيل لم يخلقكم منكوسين كالبهائم قيل خلق ابن ادم قائما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغيره يتناول بفيه وقال الزجاج خلقكم احسن الحيوان كله قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرأ الاعمش وابو رزين بكسرها قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور بضمها وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ اى المستلذات من المآكل والمشارب من غير رزق الدواب ذٰلِكُمُ المنعوت بهذه النعوت الجليلة اللّٰهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ اى كثر خيره وبركته هُوَ الْحَيُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ اى الباقي الذي لا يفنى المتفرد بالالهية وهذا التركيب يفيد الحصر وفيه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة فَادْعُوهُ اى اعبدوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اى الطاعة والعبادة من الشرك الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قال الفراء هو خبر وفيه اضمار اى قولوا الحمد لله وروى احمد وه عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وعلى هذا هو من كلام الماءورين بالعبادة ويجوز ان يكون من كلامه تعالى على انه استيناف لحمد ذاته بذاته ثم امر الله سبحانه رسوله ان يخبر المشركين بان الله نهاه عن عبادة غيره وامره بالتوحيد فقال قُلْ لهم يا اعلى مهم فيما طلبوه منك وهو عبادة الهتهم إِنِّي نُهِيتُ نهيا عاما بباهين العقول ونهيا خاصا بادلة النقول أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ اى تعبدون مِنْ دُونِ اللّٰهِ وهي الاصنام ثم بين وجه النهي فقال لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وهي الادلة العقلية والنقلية فانها توجب التوحيد وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ اى استسلم له بالانقياد والخضوع والاخلاص ثم اردف هذا بذكر دليل من الادلة الدالة على التوحيد فقال هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ اى خلق اباكم الاول وهو ادم وخلقه مِنْ تُرَابٍ يستلزم خلق ذريته منه ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ قد تقدم تفسير هذا في غير موضع ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا اى اطفالا وافرده لكونه اسم جنس او على معنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وهي الحالة التي تجتمع فيها القوة والعقل من الثلثين سنة الى الاربعين وقد سبق

بيان الاشد مستوفى فى الانعام والتقدير لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا غاية الكمال ثم يبقيكم لتكونوا شيوخا بضم الشين وكسرها سبعيتان وقرئ شيخا على الافراد كقوله طفلا والشيخ من جاوز اربعين سنة يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلث الطفولية وهى حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم ينتاقص بعد ذلك وهى الشيخوخة ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل الاشد ومن قبل الشيخوخة ولتبلغوا جميعا اجلا مسمى اى وقت الموت او يوم القيامة واللام هى لام التعليل او العاقبة ولعلكم تعقلون اى لكى تعقلوا توحيد بكمال قدرته البالغة فى خلقكم على هذه الاطوار المختلفة الى الاجل المذكور هو الذى يحيى ويميت اى يقدر على الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا من الامور التى يريدها فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شئ من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته فى المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاصه بالاحياء والاماتة به سبحانه وتعالى قاله ابو السعود وقد تقدم تحقيق معناه فى البقرة وفيما بعدها الم تر الى الذين يجادلون فى ايات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وارائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القران وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون فى ايات الله الخ بيان لابتناء حدالهم على مبنى فاسد لا يجادل فى تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكترث فيه اى انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين فى ايات الله تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقيام الادلة الدالة على صحتها وانها فى انفسها متجهة للتوحيد قاله ابو السعود وقال النسفى ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلثة مواضع فجاز ان يكون فى ثلثة اقوام او ثلثة اصناف للتاكيد انتهى قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الا الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا قال القرطبى وقال اكثر المفسرين نزلت فى القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت فى القدرية فلا ادرى فيمن نزلت ويجاب عن هذا بان الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدل على غير ما قالوه فقال الذين كذبوا بالكتاب وهذا وصف لا يصح ان يطلق على فرقة من فرق الاسلام والمراد بالكتاب اما القران او جنس الكتب المنزلة من عند الله والموصول اما فى محل جر

علما انه نعت الموصول الاول او بدل منه ويجوز ان يكون في محل نصب على الذم وبكتابنا ارسلنا رسلنا معطوف على قوله بالكتاب ويراد به ما يوحى الى الرسل من غير كتاب ان كانت اللام في الكتاب للجنس او سائر الكتب ان كان المراد بالكتاب القران فسوف يعلمون عاقبة امرهم ووبال كفرهم وفي هذا وعيد شديد والظرف في قوله اذ الاغلال في اعناقهم متعلق بيعلمون اي فسوف يعلمون وقت كون الاغلال في اعناقهم او اذكرهم وقت الاغلال ليخافوا وينزجروا والسلاسل جمع سلسلة معروفة قال الراغب تسلسل الشيء اضطرب كانه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظة تنبيه على تردد معناه وما سلسل متردد في مقره معطوف على الاغلال والتقدير اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم ويجوز ان يرفع السلاسل على انه مبتدا وخبره محذوف دلالة في اعناقهم عليه ويجوز ان يكون خبره يسحبون في الحميم بحذف العائد اي يسحبون بها في الحميم وهذا على قراءة الجمهور برفع السلاسل وقرئ بنصبها وقرأ ابو السمال يسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فتكون السلاسل مفعولا بمقدر اي وقرئ بجر السلاسل قال الفراء وهذه القراءة محمولة على المعنى اذ المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل وقال الزجاج المعنى على هذه القراءة في السلاسل يسحبون واعترضه ابن الانباري بان ذلك لا يجوز في العربية لانك لا تعطف الجر على الجر بعد في السحاب من ذلك لان الريح تجره او لانه يجر الماء والحميم هو المتناهي في الحر وقيل الصديد الحر وقيل جهنم وقيل الماء الحار الذي يكسب الوجوه سوادا او الاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا وقد تقدم تفسيره قال ابن عباس يسحبون في الحميم فيسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه جمر ان محمد قدر طوله وطوله ستون ذراعا ثم يكسى جلدا اخر ثم يجر في الحميم ثم في النار يسجرون يقال سجرت التنور اي اوقدته وسجرته ملأته بالوقود ومنه والبحر المسجور اي المملوء فالمعنى توقد بهم النار وتملأ بهم والواحاتهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب قال مجاهد ومقاتل في قدر بحر النار فصارا وقودها عن عبد الله بن عمرو قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الاغلال الى قوله يسجرون فقال لوان رصاصة مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها او قال قعرها اخرجه احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور ثم قيل لهم على سبيل التوبيخ اين ما كنتم تشركون

مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ هذا توبيخ وتقريع لهم اي اين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وهي الاصنام وغيرها وتسمية ان مفصولة من ما كما اشار اليه ابن الجزري قَالُوْا ضَلُّوْا عَنَّا اي يقولون ذهبوا وغابوا وفقدناهم فلا نراهم فنحن اضربوا عن ذلك وانتقلوا الى الاخبار بعدمهم وانه لا وجود لهم فقالوا بَلْ لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُوْا مِنْ قَبْلُ شَيْـًٔا اي لم نكن نعبد شيئا قالوا هذا لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وانهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكارا منهم لوجود الاصنام التي كانوا يعبدونها بل اعترافا منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك وقال المحلي انكروا عبادتهم اياها وهذا بعيد في مقام الحساب والعرض على رب العالمين كَذٰلِكَ الضلال الفظيع يُضِلُّ اللّٰهُ الْكٰفِرِيْنَ حيث عبدوا هذه الاصنام التي اوصلتهم الى النار ذٰلِكُمْ اي ذلك الاضلال المدلول عليه بالفعل او العذاب بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُوْنَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اي تظهرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه وقيل بما كنتم تفرحون به من المال والاتباع والعصبة وقيل من انكار البعث والعذاب وقيل المراد بالفرح هنا البطر والتكبر وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُوْنَ المراد بالمرح الزيادة في البطر وقال مجاهد وغيره تبطرون وتاشرون وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وقال مقاتل المرح البطر والخيلاء وقيل المرح اشد من الفرح اُدْخُلُوْٓا اَبْوَابَ جَهَنَّمَ السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم حال كونكم خَالِدِيْنَ فِيْهَا اي مقدرين الخلود فيها فَبِئْسَ مَثْوَى اي مأوى الْمُتَكَبِّرِيْنَ عن قبول الحق جهنم وكان الظاهر ان يقال مدخل وعبر عنه بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود قاله ابو السعود وقال السمين لم يقل مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما ثم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر تسلية له فقال فَاصْبِرْ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ اي وعده بالانتقام منهم حق كائن لا محالة اما في الدنيا او في الاخرة ولهذا قال فَاِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ من العذاب في الدنيا بالقتل والاسر والقهر وما زائدة عند المبرد والزجاج والاصل نرك وحذفت بالفعل نون التاكيد اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ معطوف على نريناك اي قبل انزال العذاب بهم فَاِلَيْنَا يُرْجَعُوْنَ يوم القيامة فنعذبهم اشد العذاب وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلًا وانبياء مِّنْ قَبْلِكَ الى امم مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ اي انبأناك باخبارهم في القرآن ما لقوه من قومهم وهم خمسة وعشرون ومنهم مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ فيه خبره ولا اوصلنا اليك علم

ماكان بينه وبين قومه وعن علي بن ابي طالب في الآية قال بعث الله عبدا حبشيا فهو ممن لم يقصص
على محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي ذر قال قلت يارسول الله كم حد الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا
الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا اخرجه احمد وصححه في المكشاف ويقيل وما كان اي
ما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي بآية اي معجزة دالة على نبوته الا باذن الله لامن قبل نفسه
فان للمعجزات عطايا قسمها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار
بعضها والاستبداد باتيان مقترحاتهم الاهم عبيد مربوبون فاذا جاء امر الله اي الوقت المعين لهذا
في الدنيا وفي الاخرة قضي بالحق فيما بين الرسل ومكذبيهم فينجي الله بقضائه الحق عباده المحقين ويخسر
هنالك اي في ذلك الوقت المبطلون الذين يتبعون الباطل ويعملون به وهم خاسرون في كل وقت ع ١٠
قبل ذلك ختمه بقوله المبطلون وختم السورة بقوله الكافرون لان الاول متصل بقوله قضي بالحق
ونقيض الحق هو الباطل والثاني متصل بايمان غير ناضم ونقيض الايمان الكفر افادة الكرخي ثم امتن
الله سبحانه على عباده بنوع من انواع نعمه التي لاتحصى فقال الله الذي جعل لكم الانعام اي خلقها
لاجلكم قال الزجاج الانعام ههنا الابل خاصة وقيل الازواج الثمانية والاول هو الظاهر لانها هي التي
توجد المنافع الاتية كلها وقوله لتركبوا منها تفصيل لهذا الاجمال ومن للتبعيض وكذا في قوله
ومنها تاكلون او الابتداء الغاية في الموضعين ومعناها ابتداء التركيب وابتداء الاكل اولا او
والمعنى لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل من الوبر والصوف
والشعر والزبد والسمن والجبن والدر والنسل وغير ذلك ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
قال مجاهد ومقاتل بقتادة تحمل اثقالكم من بلد الى بلد وقد تقدم بيان هذا مستوفى في سورة النحل
وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر وقيل المراد بالحمل على
الانعام هنا حمل الولدان والنساء في الهوادج وهو السرير فخصله عن الركوب وفي الجمع بينهما من
المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر ونظير هذه الاية قوله تعالى في سورة النحل والانعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع الاية لكن هذه اجمع منها ويريكم اياته اي دلالاته الدالة على كمال قدرته
ووحدانيته فاي اية من ايات الله تنكرون فانها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لاينكرها
منكر ولايجحدها جاحد وفيه تقريع لهم وتوبيخ عظيم وتذكير اي اشهر من تاتيته فلذلك لم يقل

غاية ايات الله لان التفرق بين المذكر والمؤنث في الاسماء الجامدة نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامها ونصب آيات بتنكرون وانما قدم على العامل فيه لان له صدر الكلام ثم ارشدهم سبحانه الى الاعتبار والتفكر في ايات الله فقال افلم يسيروا في الارض اي في اطرافها ونواحيها فينظروا بابصارهم وبصائرهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم التي عصت الله وكذبت رسلها فان الآثار الموجودة في ديارهم تدل على ما نزل بهم من العقوبة وما صاروا اليه من سوء العاقبة ثم بين سبحانه ان تلك الامم كانوا فوق هؤلاء في الكثرة والقوة فقال كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة اي اقوى منهم اجسادا واوسع منهم اموالا واظهر منهم آثارا في الارض بالعمائر والمصانع والحصون والصهاريج والحرث فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يجوز ان تكون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به اي اي شيء اغنى عنهم اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات فرحوا بما عندهم من العلم اي باظهر الكفار الفرح بما عندهم مما يدعون انه من العلم من الشبه الداحضة والدعاوى الزائغة والفنون الفاسدة والعلوم الكاسدة وسماه علما تهكما بهم او على ما يعتقدونه وقال مجاهد قالوا نحن اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل المراد من العلم علم احوال الدنيا لا الدين كما في قوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا قال النسفي او علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع عيسى وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا او المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين انتهى وقيل الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم الرسل وذلك انهم لما كذبهم قومهم احلهم الله بانه مهلك الكافرين ومنجي المؤمنين فرحوا بذلك وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي احاط بهم جزاء استهزائهم فلما رأوا بأسنا اي عاينوا حل بنا النازل بهم في الدنيا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند معاينة عذابنا لان ذلك الايمان ليس بالايمان النافع لصاحبه فانه انما ينفع الايمان الاختياري

لا الايمان الاضطراري والفاءات من قوله فما اغنى الى هنا اربع الاولى لبيان عاقبة تكذيبهم وشدة قوتهم اي ان عاقبتها خلاف وضد ما كانوا يؤملونه منها وهو نفعها فلم يترتب عليها بل ترتب ضده كقولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسيرية لتفصيل ما ابهم واجمل من عدم الاغناء والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله فلما جاءتهم الخ انهم كفروا فكانه قيل فكفروا ثم لما رأوا باسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ اي مضت فِي عِبَادِهِ المعنى ان الله سبحانه سن هذه السنة في الامم كلها انه لا ينفعهم الايمان اذا رأوا العذاب وقد مضى بيان هذا مستوفى في سورة النساء وسورة التوبة وانتصاب سنة على انها مصدر مؤكد لفعل محذوف بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وقيل منصوب على التحذير اي احذروا يا اهل مكة سنة الله في الامم الماضية والاول اولى وَقَدْ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ اي وقت رؤيتهم باس الله ومعاينتهم لعذابه على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف تفاقا قاله ابو السعود وقال السمين لا يحتاج لهذا بل يصح ابقاؤه على اصله قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت لكنه يتبين لهم خسرانهم اذا رأوا العذاب

سورة حم السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة المصابيح وهي اثنتان وخمسون آية

وقيل ثلث وخمسون قال القرطبي وهي مكية في قول الجميع قال ابن عباس انها نزلت بمكة وأخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا ايت يا ابا الوليد فاتاه فقال يا محمد انت خير ام عبد الله انت خير ام عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبد والآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك فوالله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم

بعضنا الى بعض بالسيوف يا رجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء قريش شئت فلنزوجنك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون فقال حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت شيئا ارى انكم تكلمونه به الا كلمته قالوا فهل اجابك قال والذي نصبها بنيه ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة وأخرج ابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عمر قال لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة حم الى اصحابه فقال اطيعوني في هذا اليوم واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت اذني قط كلاما مثله وما دريت ما ارد عليه وفي هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وارسالها عتبة بن ربيعة وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم اول هذه السورة عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

حم قد تقدم الكلام على اعرابه ومعناه في السورة التي قبل هذه السورة فلا نعيده والله اعلم بمراده به وكذلك تقدم الكلام على معنى قوله تنزيل من الرحمن الرحيم واعرابه وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان الخلق في هذا العالم كالمرضى المحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية على ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النفع من الله على هذا العالم انزال القرآن الناشيء عن رحمته ولطفه بخلقه كتاب فصلت اي بينت وميزت باعتبار اللفظ والمعنى وجعلت آياته اساليب وتفاصيل مختلفة من احكام وامثال ومواعظ وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان وتهذيب الاخلاق ورياضة النفس وتواريخ الماضين وصفات التنزيه والتقديس وشرح غرائب الملكوت والملك وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في بدء الخلق وغايته كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن فتبارك الله رب العالمين واحسن الخالقين قال قتادة فصلت بيان

حلالا له من حرامه وطاعته من معصيته وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب والعقاب ولا مانع من الحمل على الكل وقرئ فصلت بالتخفيف اي فرقت بين الحق والباطل والجملة في محل نصب صفة للكتاب وانتصاب قرآنا عربيا على الاختصاص او على المدح قاله الاخفش اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت اياته حال كونه قرآنا وقيل على المصدرية اي يقرؤه قرآنا وقيل مفعول ثان لفصلت وقيل على اضمار فعل يدل عليه فصلت اي فصلناه قرآنا عربيا لقوم يعلمون معانيه ويفهمونها وهم اهل اللسان العربي وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونها ابلا واسطة لكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا يفهمها الا بواسطتهم قال الضحاك اي يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد اي يعلمون انه الله واحد في التوراة والانجيل واللام متعلقة بمحذوف صفة اخرى لقرآنا او متعلقة بفصلت والاول اولى لكنه بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآن او حالان من كتاب والمعنى بشيرا بالجنة لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعاصي وقرئا بالرفع على انهما صفة لكتاب او خبر عن محذوف فاعرض اكثرهم اي الكفار عما اشتمل عليه من الانذار فهم لا يسمعون سماع ينتفعون به لاعراضهم عنه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاكنة جمع كنان وهو الغطاء اي في اغطية مثل الكنانة التي فيها السهام في لا تفقه ما تقول من التوحيد ولا يصل اليها قولك قال مجاهد الاكنة للقلب كالجنة للنبل وقد تقدم بيان هذا في البقرة وفي اذاننا وقر اي صمم يمنع من استماع قولك واصل الوقر الثقل قرئ وقر بكسر الواو وقرئ بفتح الواو والقاف ومن بيننا وبينك حجاب اي ساتر من لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدء منا وابتدء منك فالمسافة المتوسطة بين جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب ولم تزد لفظة من لكان المعنى ان الحجاب حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جيء بمن وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وتقبله واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها وصمم اسماعهم له كان بها صماعنه ولتباعد المذهبين والدينين وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعمل اي استمر على دينك وهو التوحيد انا عاملون اي مستمرون على ديننا وهو الاشراك وقال الكلبي اعمل في هلاكنا فانا عاملون

في هلاكك وقال مقاتل اعمل لالهك الذي ارسلك فانا نعمل لالهتنا التي نعبدها وقيل فاعمل لاخرتك فانا عاملون لدنيانا او فاعمل في ابطال امرنا فانا نعمل في ابطال امرك ثم امره الله سبحانه ان يجيب عن قولهم هذا فقال قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ اي انما انا واحد منكم لولا الوحي ولم اكن من جنس مغايركم حتى تكون قلوبكم في الكنة مما ادعوكم اليه وفي اذانكم وقر ومن بيني وبينكم حجاب لم ادعكم الى ما يخالف العقل وانما ادعوكم الى التوحيد قرأ الجمهور يوحى مبنيا للمفعول وقرأ الاعمش والنخعي مبنيا للفاعل اي يوحي الله الي قيل ومعنى الآية اني لا اقدر على ان احملكم على الايمان قسرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز لي عنكم الا اني اوحي الي التوحيد والامر به فعلي البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان ابيتم هلكتم وقيل المعنى اني لست بملك لا يرى وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصرت بالوحي نبيا ووجب عليكم اتباعي وقال الحسن في معنى الآية ان الله سبحانه علم رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يتواضع فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ عداه بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله وَاسْتَغْفِرُوهُ لما فرط منكم من الذنوب والشرك وما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هدد المشركين وتوعدهم فقال وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ثم وصفهم بقوله الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ اي يمنعونها ولا يخرجونها الى الفقراء وقال الحسن وقتادة لا يقرون بوجوبها وقال الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وقيل معنى الآية لا يشهدون ان لا اله الا الله لانها زكوة الانفس وتطهيرها قاله ابن عباس وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم وكان يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها جاز ومن تخلف عنها هلك وقال الفراء كان المشركون ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمون فحرم مواذاك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وانما جعل منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة لان احب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيته ونصوح طويته وماخذ المؤلفة قلوبهم كان بسطة من الدنيا نفرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بمنع الزكوة فتعصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وهم

بالآخرة هم كافرون معطوف على لا يؤتون الزكوة داخل معه في حيز الصلة اي منكرون للآخرة جاحدون لها والمجيء بضمير الفصل لقصد الحصر ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع عنهم يقال منت الحبل اذا قطعته وقيل الممنون المنقوص قاله ابن عباس وقطرب قال الجوهري المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون وقيل غير محسوب وقيل معنى الآية لا من عليهم به لانه انما من بالتفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقال السدي نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر مثل ما كانوا يعملون في الصحة قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين والهمزتان الجمهور بهمزتين الثانية بين بين وقرئ بهمزة بعدها ياء خفيفة وآن واللام اما للتاكيد لان الانكار وقد دخلت الهمزة لاقتضائها الصدارة واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين والمعنى لتكفرون بمن شانه هذا الشان العظيم وقدرته هذه القدرة الباهرة قيل اليومان هما يوم الاحد ويوم الاثنين وقيل خلقهن في نوبتين كل نوبة اسرع مما يكون في يوم وقيل المراد مقدار يومين لان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجود الارض والسماء ذكرهما تعليما للاناءة ولو اراد ان يخلقهما في لحظة لفعل وتجعلون له اندادا اي اضدادا وشركاء والجملة معطوفة على تكفرون داخلة تحت الاستفهام ذكر عنهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله والثاني اثبات الشركاء له ذلك المتصف بما ذكر رب العالمين جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف انواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء ومن جملة العالمين ما تجعلونها اندادا لله فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت معطوف على خلق وقيل مستانفة لوقوع الفصل بينهما بالاجنبي الاول ولان الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها فكانت بمنزلة التاكيد ومعنى من فوقها انها مرتفعة عليها لانها من اجزاء الارض وانما خالفتها عتبار الارتفاع فكانت من هذه الحيثية كالمغايرة لها وانما اختار رساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصروا ان الارض والجبال اثقال على الثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله العزيز المتعال القادر المختار وبارك فيها اي جعلها مباركة كثيرة الخير لما خلق فيها من المنافع للعباد قال السدي انبت فيها شجرها وقدر فيها اقواتها قال الحسن وعكرمة والضحاك قدر فيها ارزاق اهلها

وما يصلح معايشهم من التجارات والاشجار والمنافع جعل في كل بلدة مما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد وقيل قدر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزرع اكثر الحرف بركة لان الله وضع الاقوات في الارض وقال ابن عباس ايي شق الانهار وغرس الاشجار ووضع الجبال واجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما ليس في هذه وقال قتادة ومجاهد خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها في تتمة اربعة ايام اي في يوم الثلاثاء والاربعاء باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره قال ابن الانباري ومثاله قول القائل خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما اي في تتمة خمسة عشر يوما فيكون المعنى ان حصول جميع ما تقدم من خلق الارض وما بعدها في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق الارض في يومين ويومان في الاخير وهو قوله الآتي فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في الوسط وقال ابو البقاء ولعل زيادة مدة الارض على مدة السماء جريا على ما يتعارف من ان بناء السقف اخف من بناء البيت وقيل للتنبيه على ان الارض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين وكثرة المنافع وقيل لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالجات عن ابن عباس ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض في يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والحجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة ايام فقال تعالى قل ائنكم لتكفرون الى قوله للسائلين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق من اول ساعة من هذه الثلث الآجال حين يموت من مات وفي الثانية القى فيها من كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فانزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون اخرجه ابن جرير والنحاس في ناسخه وابو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات ولكن في حديث مسلم عن ابي هريرة

قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر الى الليل واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس ايضا قال ان الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وذكر نحو ما تقدم واخرج ابو الشيخ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرغ من خلقه في ستة ايام وذكر نحو ما تقدم وانتصاب سواء على انه مصدر مؤكد لفعل محذوف هو صفة للايام اى استوت الاربعة سواء بمعنى استواء ويجوز ان يكون منتصبا على الحال من الارض او من الضمائر الراجعة اليها قرأ الجمهور بنصب سواء وقرء زيد بن علي والحسن وغيرهما بخفضه على انه صفة للايام وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قال الحسن المعنى في اربعة ايام مستوية تامة لا تزيد ولا تنقص وقوله للسائلين متعلق بسواء اي مستويات للسائلين او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر للسائلين في كم يوم خلقت الارض وما فيها او متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين المحتاجين اليها قال الفراء في الكلام تقديم وتاخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سواء للمحتاجين في اربعة ايام واختار هذا ابن جرير ثم لما ذكر سبحانه انه خلق الارض وما فيها ذكر كيفية خلقه للسموات فقال ثم استوى الى السماء اى عمد وقصد نحوها قصدا سويا وتعلقت ارادته بخلقها قال الرازي هو من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلتفت معه الى عمل اخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض وما فيها قال الحسن المعنى صعد امره الى السماء ويفهم من هذه الآية ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس وقوله والارض بعد ذلك دحيها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء واجيب بان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فالمعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء وعلى هذا يزول الاشكال والجواب المشهور انه خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم دحى الارض ومدها والاول اولى قال الشوكاني بعد ذكر هذا الاستشكال ان ثم ليست للتراخي الزماني بل للتراخي الرتبي فيندفع الاشكال من اصله وعلى تقدير انها

للتراخي الزماني فالجمع بمعنى ان الارض خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو امر زائد على مجرد خلقها فهي متقدمة خلقا متاخرة دحوا وهذا ظاهر انتهى ولعله يأتي عند تفسير القوله والارض بعد ذلك دحاها زيادة ايضاح للمقام ان شاء الله تعالى وقد تقدم هذا الجمع في سورة البقرة ولكن خلق ما في الارض لا يكون الا بعد دحوها فالاشكال باق وعلى هذا لا ينقضي عن الاشكال الا بما ذكر في ثم او ان بعد بمعنى قبل او بمعنى مع وقوله دُخَانٌ هو ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الارض قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء وقياس جمعه في القلة ادخنة وفي الكثرة دخيان وهي من باب التشبيه الصوري لان صورتها صورة الدخان في رأي العين وخص سبحانه الاستواء الى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجها اليها والى الارض لكم لما يفيده قوله فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا استغناء بما تقدم من ذكر تقديرها وتقدير ما فيها ومعنى ائتيا افعلا ما امركما به وجيئا به كما يقال ائته ما هو الاحسن اي افعله وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا وممهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه قال لها انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك واما انت يا ارض فشققي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك قاله ابن عباس قرأ الجمهور ائتيا امرا من الاتيان وقرئ اتيا قالتا اتينا بالمد فيهما وهو من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزمخشري او من الايتاء وهو الاعطاء قاله ابن عباس فوزنه على الاول فاعلا كقاتلا وعلى الثاني افعلا كاكرما طوعا وكرها مصدران في موضع الحال اي طائعتين او مكرهتين وقرئ كرها بالضم قال الزجاج اطيعا طاعة او تكرها ان كرها قيل ومعنى هذا الامر لهما التسخير والحصول للوقوع اي كونا فكانتا كما قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالكلام من باب التمثيل لتاثير قدرته واستحالة امتناعهما او من باب الاستعارة التخييلية قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ اي اتينا امرك منقادين وجمعهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء وجمع الامر لهما في الاخبار عنه لا يدل على جمعهما في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا قال القرطبي قال الكثر اهل العلم ان الله سبحانه خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما اراد سبحانه وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة منهما وتاثير القدرة فيهما والاول اولى قال ابو نصر السكسكي فتق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بحيالها فوضع الله عليه حجره

فَقَضٰىهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ اي خلقهن واحكمهن واتمهن وفرغ منهن والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها اسبع سموات او مبهم مفسر بسبع سموات وانتصاب سبع على التفسير او على البدل من الضمير وقيل على انه مفعول ثان لقضاهن لانه مضمن معنى صيرهن وقيل على الحال اي قضاهن حال كونهن معدودات بسبع ويكون قضى بمعنى صنع وقيل على التمييز وهو تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مرتب على تكوينها اي خلقهن خلقا بديعا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة فِي يَوْمَيْنِ الخميس والجمعة وفرغ منها في ساعة منه وفيها خلق آدم قال المحلي ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والارض في ستة ايام والمعنى انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدار يومين والمشهور ان الايام الستة بقدر ايام الدنيا وقيل بقدر ستة آلاف سنة حكاه القرطبي قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وَأَوْحٰى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا قال قتادة والسدي اي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وافلاكها وما فيها من الملائكة والبحار والجبال والشجر وقيل المعنى اوحى فيها ما اراده وما امر به والايحاء قد يكون بمعنى الامر كما في قوله بان ربك اوحى لها وقوله واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم وهو امر تكوين قال ابن عباس ولله على كل سماء بيت حي اليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا اي التي تلي الارض بِمَصَابِيحَ اي بكواكب مضيئة متلألئة عليها كالتلألؤ المصابيح وفيه التفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالتزيين المذكور وَحِفْظًا اي وحفظناها حفظا او خلقنا المصابيح زينة وحفظا والاول اولى قال ابو حيان في الوجه الثاني هو تكلف وعدول عن السهل البين والمراد بالحفظ حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع ذٰلِكَ اي ما وقع وتقدم ذكره تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ اي البليغ القدرة الكثير العلم الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا عن التدبر والتفكر في هذه المخلوقات وعن الايمان بعد هذا البيان وفيه التفات من خطابهم بقوله انكم الى الغيبة لفعلهم الاعراض عن خطابهم وهو تناسب حسن فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ اي خوفتكم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ اي عذابا مثل عذابهم والمراد بالصاعقة العذاب المهلك من كل شيء قال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شيء كان والصاعقة في الاصل هي الصيحة التي يحصل بها الهلاك او قطعة نار تنزل من السماء

معها رعد شديد والمراد بها ههنا مطلق العذاب لكن بالنظر الى الصاعقة الاولى واما الثانية فالمراد بها حقيقتها قرأ الجمهور صاعقة بالالف في الموضعين وقرئ صعقة فيهما وقد تقدم بيان معنى الصاعقة والصعقة في البقرة إِذْ جَاءَتْهُمُ اي الى عاد وثمود وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم الرُّسُلُ اي هود وصالح ومن قبلهما كان هود وصالح بين نوح وابراهيم وليس بينهما غيرهما من الرسل وان الذين تقدموا عليهما من الرسل اربعة نوح وادريس وشيث وادم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ اي اتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة والظرف متعلق بانذرتكم او بالصاعقة لانها بمعنى العذاب او حال من صاعقة عاد وهذا اولى من الوجهين الاولين لان الانذار لم يقع وقت مجيء الرسل فلا يصح ان يكون ظرفا له وكذلك الصاعقة لا يصح ان يكون الوقت ظرفا لها ومن في الموضعين متعلقة بجاءتهم اي من جميع جوانبهم او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى على الكفار او من جهة المستقبل بالتحذير عما يحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على التذييل بمجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق بمجيء انفسهم فكان الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقولهم أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ اي بان لا تعبدوا على انها مصدرية او تفسيرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف ثم ذكر سبحانه ما اجابوا به على الرسل فقال قَالُوا اي عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ اي لارسل الينا مَلَائِكَةً ولم يرسل الينا بشرا من جنسنا فصرحوا بالكفر ولم يتلعثموا فقالوا فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ اي كافرون بما تزعمونه من ان الله ارسلكم الينا لانكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف اختصكم برسالته دوننا وقد تقدم دفع هذه الشبهة الداحضة التي جاؤا بها في غير موضع وفيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هودا وصالحا على من قبلهما من الرسل فكانهم قالوا فانا كافرون بكما وبمن دعوتمونا الى الايمان به ممن قبلكما من الرسل ولما ذكر عادا وثمود اجمالا ذكرهم المختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلا فقال فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اي بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر والتجبر ثم ذكر سبحانه بعض ما صدر عنهم من الاقوال الدالة على الاستكبار فقال وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً وكانوا

ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقوة شديدة فاغتروا بذلك حين تهددهم هود بالعذاب ومرادهم بهذا القول انهم قادرون على دفع ما نزل بهم من العذاب وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ويحملها حيث يشاء فرد الله عليهم بقوله أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً الاستفهام للاستنكار عليهم والتوبيخ اي اولم يعلموا بان الله اشد منهم قدرة واوسع منهم قوة فهو قادر على ان ينزل بهم من انواع عقابه ما شاء فقوله كن فيكون وقال خلقهم ولم يقل خلق السموات والارض لان هذا ابلغ في تكذيبهم في ادعاء انفرادهم بالقوة فانهم حيث كانوا مخلوقين فبالضرورة ان خالقهم اشد قوة منهم وَكَانُوا بِآيَاتِنَا اي بمعجزات الرسل التي خصهم الله بها وجعلها دليلا على نبوتهم او بآياتنا التي انزلناها على رسلنا او بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم وجعلناها حجة عليهم او بجميع ذلك يَجْحَدُونَ ثم ذكر الله سبحانه ما انزل عليهم من عذابه فقال فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا الصرصر الريح الشديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة قال ابو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة وقال الفراء هي الباردة تحرق كما تحرق النار وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة هي الباردة وقال مجاهد هي الشديدة السموم والاول تفسيرها بالبرد لان الصر في كلام العرب البرد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد ومن صرصر الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه واقبلت امرأته في صرة ثم بين سبحانه وقت نزول ذلك العذاب عليهم فقال فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ اي نكدات مشومات ذوات نحوس عليهم قال مجاهد وقتادة كن اخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما قيل وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاه الثعلبي وقيل متتابعات وقيل شداد وقيل ذوات غبار وتراب ثم لا يكاد يبصر فيه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس قرأ الباقون بكسرها واختار ابو حاتم الاول لقوله في يوم نحس مستمر واختار ابو عبيد الثانية لِنُذِيقَهُمْ اي لكي نذيقهم عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا والخزي هو الذل والهوان بسبب ذلك الاستكبار وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة فهو من اضافة الموصوف الى صفته اي العذاب الخزي ولهذا جاء وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى اي اشد اهانة وذلا فلو لم يكن من اضافة الموصوف الى صفته لم يات افعل اخزى الذي يقتضي المشاركة

هُمْ لَا يُنْصَرُونَ اي لا يمنعون من العذاب النازل بهم ولا يدفعه عنهم دافع ثم ذكر حال الطائفة الاخرى فقال وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ اي بينا لهم سبيل النجاة ودللناهم على طريق الحق بارسال الرسل اليهم ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله وانزال الآيات التشريعية فانها توجب على كل عاقل ان يؤمن بالله ويصدق رسله قال الفراء معنى الآية دللناهم على مذهب الخير بارسال الرسل قال الشيخ ابو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين وخلق الاهتداء فيهم لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق فيكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت اليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول رددته فارتد فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازاح علتهم وابقى لهم عذرا فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى وانما تحمل بهذا لانه لا يمكن من ان يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد قرأ الجمهور ثمود بالرفع وصنع الصرف وقرئ بالرفع والصرف وقرئ بالنصب والصرف وقرئ بالنصب والمنع فاما الرفع فعلى الابتداء وهو الفصيح واما النصب فعلى الاشتغال واما الصرف فعلى تفسير الاسم بالاب او الحي واما المنع فعلى تاويله بالقبيلة فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى اي اختاروا الكفر على الايمان قال ابو العالية اختاروا العمى على البيان وقال السدي اختاروا المعصية على الطاعة فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ قد تقدم ان الصاعقة اسم للشيء المهلك ولاي شيء كان والهون الهوان والاهانة فكانه قال اصابهم مهلك العذاب في الهوان او الاهانة ويقال عذاب هون اي مهين كقوله مالبثوا في العذاب المهين بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ الباء للسببية اي بسبب الذي كانوا يكسبونه او بسبب كسبهم وهو شركهم وتكذيبهم صالحا وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وهم صالح ومن معه من المؤمنين فان الله نجاهم من ذلك العذاب وكانوا اربعة آلاف ثم لما ذكر سبحانه ما عاقبهم به في الدنيا ذكر ما عاقبهم به في الآخرة فقال وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ اي الكفار مطلقا الاولين والآخرين إِلَى النَّارِ اي اذكر لقريش المعاندين لك حال الكفار يوم القيامة لعلهم تنزجروا وينزجروا وفي وصفهم بكونهم اعداء الله مبالغة في ذمهم قرأ الجمهور يحشر بالتحتية مضمومة وفتح اعداء على النيابة وقرأ نافع بالنون ونصب اعداء ومعنى حشرهم الى النار سوقهم اليها ع

اوالى موقف الحساب لانه يتبين عنده فريق الجنة وفريق النار فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا ويجتمعوا كذا قال قتادة والسدي وغيرهما وبه قال ابن عباس اي يستوقف سوابقهم حتى
يلحق بهم توالبهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار واصله من وزعته اي كففته وقد سبق تحقيق
معناه في سورة النمل مستوفى وعن ابن عباس قال يدفعون وقيل يساقون حتى اذا ما جاؤها
اي النار التي حشروا اليها وصاروا بحضرتها او موقف الحساب وما مزيدة للتوكيد شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من المعاصي وفي كيفية هذه الشهادة ثلثة اقوال
اولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها
انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك
الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال
العالم يشهد بتغيرات احواله على حدوثه وقال الكرخي يخلقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وليس
نطقها باغرب من نطق اللسان عقلا وايضاحه ان البنية ليست شرطا للحياة والعلم والقدرة
فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء قال مقاتل
تنطق جوارحهم بما كتمت السنتهم من عملهم بالشرك والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول اكثر
المفسرين وقال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء اراد بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات كما
قال تعالى لا تواعدوهن سرا اراد النكاح وقال تعالى او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة
في الحديث اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيدا شديدا في اتيان
الزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالفخذ والكف الاول اولى ووجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون
غيرها مع ان الحواس خمسة هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد مما ذكره الرازي ان
الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتاتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم
الطعام وكذلك الشم لا يتاتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا داخلين في حس اللمس
انتهى واذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود
بالسؤال كما قال وقالوا لجلودهم لانها قد اشتملت على ثلث حواس فكان تاتي المعصية من جهتها
اكثر واما على قول من قال بالفرج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر لان ما يشهد به الفرج من الزنا

اعظم قبحا واجلب للخزي في العقوبة والمراد بالجلود ههنا المعنى الاعم فلبين في سؤالهم ترك سؤال السمع والبصر بل هما داخلان في الجلود بالمعنى الذي علمته لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا سؤال توبيخ وتعجب من هذا الامر الغريب لكونها ليست مما ينطق ولكونها كانت في الدنيا مساعدة لهم على المعاصي فكيف تشهد الآن عليهم فلذلك استغربوا شهادتها وخاطبوها بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدر من العقلاء عنها وهو الشهادة قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ مما ينطق من مخلوقاته فنشهد نا عليكم بما علمتم من القبائح وقيل المعنى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله والاول اولى والمعنى ان نطقنا الذين يعجبكم قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قيل هذا من تمام كلام الجلود وقيل انه من كلام الملائكة وقيل مستأنف من كلام الله والمعنى ان من قدر على خلقكم وانشائكم ابتداء قدر على اعادتكم ورجعكم اليه وانما صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما ان المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بل ما يعمه ويعم ما يترتب عليه من العذاب الحال المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواقع وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ هذا تقريع لهم وتوبيخ من جهة الله سبحانه او من كلام الجلود اي ما كنتم تستخفون عند الاعمال القبيحة وارتكاب الفواحش بالحيطان والحجب حذرا من شهادة الجوارح عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا وهو قول اكثر العلماء ولما كان الانسان لا يقدر على ان يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية وقيل معنى الاستتار الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة ومعنى ان تشهد لاجل ان تشهد او مخافة ان تشهد وقيل ان الاستتار متضمن معنى الظن اي ما كنتم تظنون ان تشهد وهو بعيد واخرج عبد الرزاق واحمد والنسائي وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن معاوية بن حيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون ههنا واومى بيده الى الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله وعلى افواهكم الفدام واول ما يعرب عن احدكم فخذه وكفه وتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنتم تستترون الخ واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فجاء ثلثة نفر قرشي وثقفيان او ثقفي وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم اسمعه

ل الضمائر ما موضع من قوله من الانس والجن يعني ما فيه الضمير الراجع الى من الموصولة بالنصب على التشبيه بالمفعول به او بنزع الخافض اي في امم قد خلت من قبلهم من الامم الانس والجن ح

فقال احدهما اترون ان الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخر اذا رفعنا اصواتنا سمعه واذا اخذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعه كله قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم الى قوله من الخاسرين ولكن ظننتم عند استتاركم من الناس مع عدم استتاركم من اعضائكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من المعاصي فاجترأتم على فعلها قيل كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكن يعلم ما نظهره من ما نسر قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقيل اريد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما هو فوقه من العلم وذلكم اي ما ذكر من ظنكم مبتدأ ظنكم بدل منه الذي ظننتم بربكم نعت والخبر اردكم اي اهلككم وطرحكم في النار وقيل ظنكم الخبر والموصول بدل او بيان او اردكم حال وقد مقدرة او غير مقدرة اي ذلكم ظنكم مردديا اياكم فاصبحتم من الخاسرين اي الكاملين في الخسران قال المحققون الظن قسمان احدهما حسن والآخر قبيح فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي واخرج احمد وابو داود الطيالسي وعبد بن حميد ومسلم وابو داود وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما قاردهم سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظنكم الآية والظن القبيح ان يظن انه تعالى يغرب عن علمه بعض هذه الافعال وقال قتادة الظن نوعان مردود ومنجز فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمردي هو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اردكم ثم اخبر عن حالهم فقال فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل استقرارهم واقامتهم لا خلاص ولا خروج لهم منها صبروا او لم يصبروا على كل حال وقيل المعنى فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين يقال اعتبني فلان اي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت منه ان يرضى والمعنى انهم ان يسألوا ان يرجع بهم الى ما يحبون لم يرجع لانهم لا يستحقون ذلك قال الخليل تقول استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني ومعنى الآية ان يطلبوا الرضاء لم يقع الرضاء عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجمهور يستعتبوا بفتح الفوقية وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيا للفاعل ومن المعتبين بفتح الفوقية اسم مفعول وقرئ يستعتبون مبنيا للمفعول وقرئ

من المعتبين اسم فاعل اي انهم ان قالوا لهم ايسة ورجوهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيضنا اصل التقييض التيسير والتهيئة اي هيأنا لهم اي للكفار وقرشنا وخيلنا لهم قرناء من الشياطين بمنزلة الاخلاء لهم جمع قرين بمعنى نظير كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الزجاج سببنا لهم قرناء حتى اضلوهم وقيل سلطنا عليهم قرناء وقيل قدرنا والمعاني متقاربة اي يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض والقيض قشر البيض الاعلى وقيل ان الله قيض لهم قرناء في النار والاولى ان ذلك في الدنيا لقوله فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم فان المعنى زينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا وشهواتها وحملوهم على الوقوع في معاصي الله بانها مكارم فيها وزينوا لهم ما خلفهم من امور الاخرة فقالوا لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وقال الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على ان يعملوه وروي عنه ايضا انه قال ما بين ايديهم من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا بان الدنيا قديمة والاصابع الاطبائع والافلاك وحق عليهم القول اي وجب وثبت عليهم العذاب وتحقق مقتضاه وهو قوله سبحانه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين في امم اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع اي مع امم من الامم الكافرة ولا حاجة الى ابدال حرف من حرف مع امكان بقائه على بابه والمعنى الامم التي قد خلت ومضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب قاله الكرخي وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن اي قال بعضهم لبعض لا تسمعوه ولا تنصتوا له وقيل المعنى لا تطيعوا يقال سمعت لك اي اطعتك والغوا فيه اي عارضوه باللغو والباطل اوارفعوا اصواتكم ليتشوش القاري له وقال مجاهد الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه قرأ الجمهور الغوا بفتح الغين من لغى اذا تكلم باللغو وهو لا فائدة فيه او من لغا يلغى بالفتح ايضا كما حكاه الاخفش وكان قياسه الضم كغزا يغزو ولكنه فتح لاجل حرف الحلق او من لغى يلغى اذا رمى به فتكون في بمعنى الباء اي ارموا به وقرئ بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو وفي الحديث فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجمهور وقد تقدم الكلام في اللغو في سورة البقرة لعلكم تغلبون اي لكي تغلبوا

ع ٣

فيسكتوا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة اذا قرء القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكان اذا اخفى قراءته لم يسمع من يحب ان يسمع القرآن فانزل الله لا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اخرجه ابن ابي حاتم ثم قال هو سبحانه على ذلك فقال فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين السياق معهم دخولا اوليا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اي ولنجزينهم في الاخرة جزاء اسوء اعمالهم التي عملوها في الدنيا قال مقاتل وهو الشرك وقيل المعنى انه يجازيهم بسوء اعمالهم لا بحاسنها كما يقع منهم من صلة الارحام واكرام الضيف لان ذلك باطل لا اجر له مع كفرهم وفي هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعا خاشعا متفكرا متدبرا وتهديد ووعيد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القاري ويخلط عليه القراءة فالنظر الى عظمة القرآن وتامل في هذا التغليظ والتشديد واشباهه لمن عظمه واجل قدره والقى اليه السمع وهو شهيد بالفوز العظيم والاجر الكبير ذَلِكَ اي العذاب الشديد واسوء الجزاء جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ بدل او عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك او خبر مبتدا مضمر او مبتدا خبره لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ اي دار الاقامة المستمرة التي لا انقطاع لها او لا انتقال عنها جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ اي يعرفون جزاء بسبب جحدهم بايات الله قال مقاتل يعني القرآن يجحدون انه من عند الله وعلى هذا يكون التعبير عن اللغو بالجحود لكونه سببا له اقامة للسبب مقام المسبب وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قالوا هذا وهم في النار وذكره بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه والمراد انهم طلبوا من الله سبحانه ان يريهم من اضلهم من فريقي الجن والانس من الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر ومن الشياطين الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وارضاه وهو ابن آدم الذي قتل اخاه وابليس اي لانهما سنا المعصية لبني آدم قرء الجمهور ربنا بكسر الراء وقرى بسكونها وهما لغتان بمعنى واحد وقال الخليل اذا قلت اريني ثوبك بالكسر فمعناه بصريه وبالسكون اعطنيه نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ

اقدامنا في النار اي نذوسهما باقدامنا لنشتفي منهم وليكونا وقاية بيننا وبينها فتخف عنا حرارتها
نوع خفة وليكونا من الاسفلين فيها مكانا اوليكونا من الاذلين المهانين وقيل ليكونا اشد عذابا
منا قال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل ومن هود ونمنا ثم لما ذكر سوء عقاب الكافرين وما اعد لهم
ذكر حسن حال المؤمنين وما انعم به عليهم فقال ان الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له ثم
استقاموا اي داموا ولم يلتفتوا على التوحيد ولم يلتفتوا الى اله غير الله وثم للتراخي في الزمان من حيث
ان الاستقامة امر يمتد زمانه افاده ابو السعود وقال الخطيب ثم للتراخي الرتبة في الفضيلة فان
الثبات على التوحيد وتصحيحاته الى الممات امر في علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاكرام
قال جماعة من الصحابة والتابعين معنى الاستقامة اخلاص العمل لله تعالى وقال قتادة وابن زيد ثم
استقاموا على طاعة الله وقال الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه و
قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال الثوري علموا
على وفاق ما قالوا وقال الربيع اعرضوا عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية و
رغبوا في الباقية عن انس قال قرء علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية قال قد قالها ناس من الناس
ثم كفر اكثرهم فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها اخرجه الترمذي والنسائي والبزار وابو يعلى
وغيرهم وقال ابو بكر الصديق الاستقامة ان لا يشركوا بالله شيئا وعنه قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان
قال ابو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وعن بعض الصحابة قال ثم استقاموا على
فرائض الله وعن عمر بن الخطاب قال استقاموا بطاعة الله ولم يروغوا روغان الثعلب واخرج احمد
وعبد بن حميد والدارمي والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة
عن سفيان بن عبد الله الثقفي ان رجلا قال يا رسول الله مرني بامر في الاسلام لا اسأل عنه احدا
بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى الى لسانه قال الترمذي حسن صحيح تتنزل
عليهم الملائكة من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع او دفع ضر او رفع حزن
قال ابن زيد ومجاهد تتنزل عليهم عند الموت وقال مقاتل وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال
وكيع البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث قال البيضاوي او في جميعها
فيما يعرض لهم من الاحوال تاتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن ان لا تخافوا

ولا تحزنوا ان هي المخففة او المفسرة او الناصبة ولا على الوجهين الاولين ناهية وعلى الثالث نافية والمعنى لا تخافون مما تقدمون عليه من امور الاخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من امور الدنيا عن اهل وولد ومال قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطاء لا تخافوا عاقبة ذنوبكم فانه مغفور ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم والظاهر عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين وعدم تقييد نفي الخوف والحزن بحالة مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلق في الجميع والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه في المستقبل والحزن غم يلحقها لفوات نفع في الماضي وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها على السنة الرسل في الدنيا فانكم واصلون اليها مستقرون بها خالدون في نعيمها ثم بشرهم سبحانه بما هو اعظم من ذلك كله فقال نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة اي نحن الملازمون لحفظكم ومعونتكم في امور الدنيا وامور الاخرة ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب ونجى من كل مخافة وقيل ان هذا من قول الملائكة قال مجاهد يقولون لهم نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا وانصاركم واحباؤكم واولياؤكم في الاخرة وقيل انهم يشفعون لهم في الاخرة ويتلقونهم بالكرامة وقال النسفي حكما ان الشياطين قرناء العصاة والكافرين فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من صنوف الكرامات واللذات وانواع النعم ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب وقد تقدم بيان معنى هذا في قوله ولهم ما يدعون مستوفى والفرق بين الجملتين ان الاولى باعتبار شهوات انفسهم والثانية باعتبار ما يطلبونه اعم من ان يكون مما تشتهيه انفسهم او لا اذ لا يلزم ان يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية وان كان الاول اعم ايضا من وجه بحسب حال الدنيا فالمريض لا يريد ما يشتهيه بل يضر مرضه الا ان يقال التمني اعم من الارادة وقال الرازي الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية وانتصاب نزلا من غفور رحيم على الحال من الموصول او من عائده او من فاعل تدعون او هو مصدر مؤكد لفعل محذوف اي انزلنا لكم نزلا والنزل ما يعد لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة قال النسفي هو رزق النزيل وهو الضيف وقد تقدم تحقيقه في سورة ال عمران

ع ٤

قال اهل المعاني كل عدد ذكر في هذه الآية جاء مجرى النزل الكريم اذا اعطى هذا النزل ما طلب فما زاده من الالطاف والكرامة ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيده وطاعته قال الحسن هو المؤمن اجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله فيه من طاعته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال اني من المسلمين لربي وليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيه تقديره من الاسلام مع التلفظ اي قال ذلك بلسانها جاباً بالاسلام وفرحا به واعتقاد الدين وهذه الاية ناسخة لما قبلها قال ابن سيرين والسدي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي هذا ايضا عن الحسن وقال عكرمة وقيس بن ابي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قالت عائشة الداعي الى الله المؤذن والعمل الصالح ركعتان فيما بين الاذان والاقامة وعنها قالت ما ارى هذه الاية نزلت الا في المؤذنين ويجاب عن هذا بان الاية مكية والاذان انما شرع بالمدينة والاولى حمل الاية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سببا لنزولها دخولا اوليا فكل من جمع بين دعاء العباد الى ما شرعه الله وعمل عملا صالحا وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه الله كان من المسلمين دينا لا من غيرهم فلا شيء احسن منه ولا اوضح من طريقته ولا اكمل من اتباعه فيما يدعو الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تبق غير الانبياء المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف والسنان فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله وطاعته ثم بين سبحانه الفرق بين محاسن الاعمال ومساويها فقال ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي لا تستوي الحسنة التي يرضى بها الله ويثيب عليها ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من انواع الطاعات ولا تخصيص السيئة بنوع من انواع المعاصي فان اللفظ اوسع من ذلك وقيل الحسنة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الحسنة الغيرة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقيل الحسنة العلم والسيئة الفحش وقيل غير ذلك قال الفراء لا في ولا السيئة زائدة والجملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيبا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان ادفع بالتي هي
احسن استيناف مبين لعاقبة الحسنى اي ادفع السيئة اذا جاءتك من المسيء باحسن ما يمكن دفعها
به من الحسنات ومنه مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر والاغضاء
عن الفوات والاحتمال للمكروهات قال ابن عباس امر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل
والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم
وقال ابن عباس القه بالسلام وقال مجاهد وعطاء بالتي هي احسن يعني بالسلام اذا لقي من يعاديه
وقيل بالمصافحة عند التلاقي والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي
هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك
كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته
اليك مثل ان يذكرك فتذكره او يقتل ولدك فتعفو عن قاتل ولده من يد عدوه ووضع التي هي احسن موضع
الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع: بادونها فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ هذه الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي احسن
والمعنى انك اذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق والبعيد عنك كالقريب منك وقال مقاتل
نزلت في ابي سفيان بن حرب كان معاديا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بالمصاهرة التي وقعت بينه
وبينه ثم اسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالصهارة وقيل غير ذلك والاولى حمل الاية على العموم
وَمَا يُلَقَّاهَا قال الزجاج اي ما يلقى هذه الفعلة وهذه الحالة وهي دفع السيئة بالحسنة إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا على كظم الغيظ واحتمال المكروه وتجرع الشدائد وترك الانتقام وقال انس الرجل ليشتمه فيقول
ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ في الثواب
الجزيل ومن الخلق الحسن وكمال النسب وهذا النسب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اي ما يلقاها الا من
وجبت له الجنة وقيل الضمير في يلقاها عائد الى الجنة وقيل راجعة الى كلمة التوحيد قرأ الجمهور
يلقاها من التلقية وقرئ تلاقاها من الملاقات ثم امر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان فقال
وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ النزغ شبيه النخس شبه به الوسوسة لانها تبعث على الشر
وجعل النزغ نازغا على سبيل المجاز العقلي كقولهم جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصف

للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عن شيء مما شرعه الله لك او عن الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك ولا تطعه وجملة انه هو السميع العليم تعليل لما قبلها اي السميع لكل ما يسمع منه استعاذتك والعليم بكل ما يعلم منه فعلك واحوالك ومن كان كذلك فهو يعيذ من استعاذ به وقال هنا بزيادة هو وال وفي الاعراف بدونها لان ما هنا متصل به بالتكرار وبالحصر فناسب التاكيد بما ذكر وما في الاعراف خلي عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند اليه معرفة والمسند نكرة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستد غضب احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل اترى بي جنون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما يترغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم شرع سبحانه في بيان بعض آياته الباهرة الدالة على كمال قدرته وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال ومن آياته الليل والنهار في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم والشمس والقمر في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقدر هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر وانما تعرض للاربعة مع انهم لم يعبدوا الليل والنهار لانهم لا يذهبون بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما في الخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته ثم لما بين ان ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر وامرهم ان يسجدوا لله عز وجل فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان من مخلوقاته وان كثرت منافعهما فلا يصحان ان يكونا شريكين له في ربوبيته واسجدوا لله الذي خلقهن اي هذه الاربعة المذكورة لان جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الاناث او الآيات او الشموس والقمرون الاثنين جمع عند جماعة من الائمة قال للسيبن وانما عبر عن الاربع بضمير الاناث مع ان فيهما ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لانه لما قال ومن آياته فنظم الاربعة في سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبر عنها بضمير الاناث في قوله خلقهن ان كنتم اياه تعبدون قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود انما السجود لله فنهوا عن ذلك فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالنهي عنه وقيل وجه تخصيصه انه اقصى مراتب العبادة وهذه الآية من آيات السجود بلا خلاف وانما اختلفوا في موضع السجدة فقيل موضعها عند

قوله ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وقيل عند قوله وهم لا يسأمون لانه تمام الكلام
وعن ابن عباس انه كان يسجد باخر الايتين من اخر السجدة وكان ابن مسعود يسجد باولى منهما
وعن ابن عمر انه كان يسجد بالاولى ويسجد بالاية الاخيرة فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ثم ان استكبر هؤلاء عن الامتثال فلا عليهم في شأنهم
فان لله عبادا يعبدونه كالملائكة يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار او يصلون له وهم لا يملون
ولا يفترون يعني ان الله لا يعدم عابدا ابدا بل من خلقه من يعبده على الدوام والعناية عنده مكانة
وتشريف وفي الحديث انا عند ظن عبدي بي وانا عند المنكسرة قلوبهم ومن اياته الدالة على
قدرته ووحدانيته انك الخطاب لكل عاقل او لكل من يصلح له او لرسول الله صلى الله عليه وسلم ترى
الارض اي بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياسا على ما ابصرت خاشعة يابسة لا نبات
فيها متطامنة وهي اشبه بلفظ خاشعة والخاشعة اليابسة الجدبة الجامدة وقيل الغبراء التي لا
تنبت قال الازهري اذا يبست الارض ولم تمطر قيل قد خشعت والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير
لحال الارض اذا كانت مخطئة لانبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف
وصفها بالاهتزاز والربو كما قال فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اي ماء المطر وغيره اهْتَزَّتْ تحركت بالنبات
حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه يقال اهتز الانسان اذا تحرك وربت انتفخت
علت قبل ان تنبت قاله مجاهد وغيره اي تصدعت عن النبات بعد موتها وعلى هذا ففي الكلام تقديم و
تاخير وتقديره ربت واهتزت وقيل الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات من الارض وقد يكونان
بعده ومعنى الربو لغة الارتفاع كما يقال للموضع المرتفع ربوة وربية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه
بالكبر طولا وعرضا وقد تقدم تفسير هذه الاية مستوفى في سورة الحج وقيل اهتزت استبشرت بالمطر
ربت انتفخت بالنبات وقيل تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسمي الحر مغطيا لوجهها وتشعيث
عرقه وغلظت سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة وتزخرف بذلك النبات كانها
بمنزلة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل وقرأ ابو جعفر وخالد رأت إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُحْيِ الْمَوْتَى بالبعث والنشور إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء كائنا ما كان إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
آيَاتِنَا اي يميلون عن الحق والاستقامة في ايماننا بالطعن والتحريف والتاويل الباطل واللغو فيها والالحاد

الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه اميل الى ناحية منه يقال لحد في دين الله اي مال عنه وعدل
يقال لحد وهو لغة فيه وقد تقدم تفسير الالحاد ويقال لحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في
شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في تاويل ايات القرآن عن جهة الصحة و
الاستقامة قال مجاهد معنى الاية يميلون عن الايمان بالقرآن وقال ايضا يميلون عند تلاوة القرآن بالمكاء
والتصدية واللغو والغناء وقال قتادة يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال
ابن زيد يشركون والمعاني متقاربة وقال ابن عباس في الاية هو ان يضع الكلام في غير موضعه لا يخفون
علينا بل نحن نعلمهم فنجازيهم بما يعملون قيل نزلت في ابي جهل ثم بين كيفية الجزاء والتفاوت بين
المؤمن والكافر فقال أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة الاستفهام للتقرير و
الغرض منه التنبيه على ان الملحدين في الايات يلقون في النار وان المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة
وظاهر الاية العموم اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهو تمثيل للكافر والمؤمن وقيل المراد بمن يلقى
في النار ابو جهل ومن يأتي آمنا النبي صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد
الاسود المخزومي وقال ابن عباس ابو جهل بن هشام ومن يأتي آمنا يوم القيامة ابو بكر الصديق وعن بشير
بن تميم قال نزلت في ابي جهل وعمار بن ياسر وعن حكرمة مثله وكان الظاهر ان يقال ام من يدخل الجنة وعدل
عنه للتصريح باسمهم وانتفاء الخفي عنهم قاله الكرخي وترسم ام مفصولة من ما قبلها لانها منقطعة
اعملوا هذا امر تهديد اي اعملوا من اعمالكم التي تلقيكم في النار ما شئتم فهو مجازيكم على كل ما تعملون
قال الزجاج لفظه لفظ الامر ومعناه الوعيد وقال ابن عباس هذا الاهل بدر خاصة انه بما تعملون
بصير لا يخفى عليه منه خافية فيجازيكم عليه ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الجملة مستانفة
مقررة لما قبلها اي ان الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم اوها الكون او يعذبون وقيل
هو قوله ينادون من مكان بعيد وهذا بعيد وان رجحه ابو عمرو بن العلاء وذكر السمين في خبر ان
اعاريب ووجوها لا نطول بذكرها وانه اي القرآن الذي كانوا يلحدون فيه لكتاب عزيز عن ان
يعارض او يطعن فيه الطاعنون منيع عن كل عيب محمي بحماية الله وقيل عديم نظيره وذلك ان الخلق
عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه اي ممتنع عن قبول الابطال والتحريف ثم وصفه بانه
حق لا سبيل للباطل اليه بوجه من الوجوه فقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الزجاج

معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه وبه قال قتادة والسدي ومعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله وبه قال الكلبي وسعيد بن جبير وقيل الباطل هو الشيطان اي لا يستطيع ان يزيد فيه ولا ينقص منه وقيل لا يزاد فيه ولا ينقص منه لامن جبريل ولا من محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لا يأتيه التبديل والتناقض بوجه من الوجوه وقيل لا يأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تاخر وقيل ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع والعموم اولى تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ خبر مبتدا محذوف او صفة اخرى للكتاب ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان يتأثر له من اذية الكفار فقال مَا يُقَالُ لَكَ مِن هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون إِلَّا مِثْلُ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ فان قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء وقيل المعنى ما يقال لك من التوحيد واخلاص العبادة لله الا ما قد قيل للرسل من قبلك فان الشرائع كلها متفقة على ذلك وقيل هو استفهام اي اي شيء يقال لك إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لمن يستحق مغفرته من الموحدين الذين تابعوك وتابعوا من قبلك من الانبياء وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ للكفار المكذبين المعاندين لرسل الله وقيل لذو مغفرة للانبياء وذو عقاب لاعدائهم وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا اي لو جعلنا هذا القران الذي نقرؤه على الناس بغير لغة العرب لاحجة فيه لابي حنيفة في جواز الصلوة اذا قرأ بالفارسية كما زعمه النسفي وغيره لان التركيب خارج مخرج الفرض والتقدير ردوا الوقوع والتحقيق لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ اي بينت بلغتنا فانا عرب لا نفهم لغة العجم والاستفهام في قوله ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ للانكار وهو من جملة قول المشركين اي لقالوا كلام اعجمي ورسول عربي والاعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب او من العجم والياء للمبالغة في الوصف كاحمري والنسبة فيه حقيقية وقال الرازي في لوامحه هي كياء كرسي وبختي وفرق بينهما الشيخ والاعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق اعجم وقيل المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا وبعضها عربيا لافهام العرب قال ابن عباس يقول لو جعلنا القران اعجميا ولسانك يا محمد عربي لقالوا اعجمي وعربي ناتينا به مختلفا او مختلطا هلا بينت آياته فكان القران مثل اللسان يقول لم نفعل

لئلا يقولوا فكانت حجة عليهم قرء ابو بكر وحمزة والكسائي الاعجمي بهمزتين مخففتين وقرئ بهمزة واحدة وقرئ بتسهيل الثانية بين بين بين فوامر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم فقال قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ اي يهتدون به الى الحق ويستشفون به من كل شك وشبهة ومن الاسقام والآلام قال النهاب رد عليهم بانه هاد لهم شاف لما في صدورهم كاف في دفع الشبهة فاذا ورد بلسانهم معجز ابين في نفسه مبين لغيره وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ اي صمم عن سماعه وفهم معانيه ولهذا تواصوا باللغو فيه والموصول مبتدء خبره في آذانهم وقرا والموصول الثاني عطف على الاول وقر عطف على هدى عند من جوز العطف على عاملين مختلفين والتقدير هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه وقال السدي عميت قلوبهم عنه والمعنى وهو عليه ذو عمى ووصف بالمصدر للمبالغة وقيل المعنى والوقر عليهم عمى اي ظلمة وشبهة قرء الجمهور عمى بفتح الميم منونة على انه مصدر وقرء ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاص وابن عمر بكسر الميم منونة على انه اسم منقوص على انه وصف به مجازا قرئ بكسر الميم وفتح الياء على انه فعل ماض واختار ابو عبيدة القراءة الاولى أُولَٰئِكَ اي الذين لا يؤمنون يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ مثل حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادى من مسافة بعيدة لا يسمع من يناديه منها كما قال الفراء تقول للرجل الذي لا يفهم كلامك انت تنادي من مكان بعيد ففيه استعارة تمثيلية وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأقبح اسمائهم من مكان بعيد وقال مجاهد من مكان بعيد من قلوبهم وابصارهم وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ كلام مستانف يتضمن تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يحصل له من الاغتمام بكفر قومه وطعنهم في القرآن فاخبره ان هذه عادة قديمة في امم الرسل غير مختصة بقومك فانهم يختلفون في الكتب المنزلة اليهم والمراد بالكتاب التوراة وضمير فيه راجع اليه وقيل يرجع الى موسى والاول اولى يعني قال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك فمصدق به ومكذب وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ في تاخير العذاب عن المكذبين بالقرآن من امتك واجلهم كما في قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بتعجيل العذاب لمن كذب منهم قال قتادة اي سبق لهم من الله حين واجلهم بالغوه وَإِنَّهُمْ لَفِي

ع ١٢

شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ اي من كتابك المنزل عليك وهو القرآن ومعنى الشك المريب الموقع في الريبة والشديد الريبة وقيل ان المراد اليهود وانهم في شك من التوراة مريب والاول اولى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ اي من اطاع الله وآمن برسله ولم يكذبهم فثواب ذلك راجع اليه ونفعه خاص به وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا اي عقاب اساءته عليه لا على غيره وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ فلا يعذب احدا الا بذنبه ولا يقع منه الظلم لاحد كما في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا وظلام صيغة تنسب كثيرا وبقال وخبازا لصيغة مبالغة وهذا التقرير احسن من غيره وقال الكرخي ليس بذي ظلم اشارة الى ان ظلاما ليس على بابه وقد تقدم الكلام على معنى هذه الآية في سورة آل عمران عند قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وفي سورة الانفال ايضا ثم اخبر سبحانه ان علم القيامة ووقت قيامها لا يعلمه غيره فقال

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ

اي علم سؤال الساعة اي السؤال عنها اي علم جواب هذا السؤال فاذا وقع السؤال عنها وجب على المسئول ان يرد علمها اليه لا الى غيره واخذ الحصر من تقديم المعمول وقد روي ان المشركين قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى تقوم الساعة فانزلت هذه الآية وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ما نافية ومن الاولى للاستغراق والثانية لابتداء الغاية وقيل ما موصولة اي علم الساعة وعلم التي تخرج والاول اولى وأكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة ويطلق على كل ظرف لمال وغيره قال ابو عبيدة اكمامها اوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال الراغب الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة وجمع اكمام وهذا يدل على ان الكم بضم الكاف لانه جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم ويمكن ان يقال ان في الكم الذي هو وعاء الثمر لغتين قرأ الجمهور من ثمرة بالافراد على ارادة الجنس وقرئ بالجمع للاختلاف في انواع الثمار قال قتادة من اكمامها حين تطلع وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ حملا في بطنها وَلَا تَضَعُ ذلك الحمل إِلَّا بِعِلْمِهِ اي علم الله سبحانه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع في حال من الاحوال ملابسا لشيء من الاشياء الا كائنا بعلم الله فاليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم هذه الامور الحادثة وفيه دليل على ان اصحاب الكشف والكهان واهل النجوم لا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غاية

اذ عاظر ضعيف او وهو خفيف قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه
احد ويوم يناديهم اي ينادي الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة فيقول لهم اين شركائي الذين
كنتم تزعمون انهم شركائي في الدنيا من الاصنام وغيرها فادعوهم الآن فليشفعوا لكم او يدفعوا عنكم العذاب
وهذا على طريقة التهكم والتقريع لهم واضافهم الى نفسه على زعمهم الباطل قالوا اي يقولون فالماضي
بمعنى المضارع اذنّاك اي اعلمناك قاله ابن عباس يقال آذن يؤذن اذا اعلم اي اعلمناك وقيل
اخبرناك قال النسفي وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم
بالشيء ليحقق به علمه به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة
لانه اذا علم من قلوبهم فكأنه اعلمهم انتهى ما منّا من شهيد يشهد بان لك شريكا وذلك انهم
لما عاينوا القيامة تبرؤا من الشركاء وتبرأت منهم تلك الاصنام التي كانوا يعبدونها وقيل ان القائل
بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين والاول
اولى وضل عنهم اي غاب وزال وبطل في الآخرة ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا من الاصنام
ونحوها وظنوا ما لهم من محيص اي ايقنوا وعلموا انه لا مهرب لهم من العذاب يقال حاص يحيص حيصا
اذا هرب وقيل الظن على معناه الحقيقي لانه يقع هنا في تلك الحال ظن ورجاء والاول اولى ثم ذكر سبحانه
بعض احوال الانسان فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير اي لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه
اليه ولا يزال يسأل ربه المال والخير هنا المال والصحة والسلطان والرفعة قال السدي والانسان هنا
يراد به الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية بن خلف والاول احمل
الآية على العموم باعتبار العالم فلا ينافيه خروج خلص العباد وقرأ ابن مسعود من دعاء المال وان
مسه الشر اي البلاء والشدة والفقر والمرض فيؤس من روح الله فنوط من رحمته والياس
من صفة القلب وهو قطع الرجاء والقنوط اظهار اثاره على ظاهر البدن وصيغ المحل يقتضي ترادفهما وبه قال
بعضهم فالجمع بينهما للتأكيد وقيل يؤس من اجابة دعائه قنوط بسوء الظن بربه وقيل يؤس من
زوال ما به من المكروه قنوط مما يحصل له من ظن دوامه وهما صيغتا مبالغة تدلان على انه شديد
الياس عظيم القنوط ويبالغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول كما اشرنا ومن طريق التكرير والقنوط
ان يظهر عليه اثر الياس فيقنط ويسكر لي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر

بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن لام قسم اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته اي ولئن اتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقر ليقولن
جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده هذا لي اي هذا شيء استحقه على الله ارضا
بعملي فظن ان تلك النعمة التي صار فيها وصلت اليه باستحقاقه لها ولم يعلم ان الله يبتلي عباده بالخير والشر
ليتبين له الشاكر من الجاحد والصابر من الجزع قال مجاهد معناه هذا بعملي وانا محقوق به او هذا لي
دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة اي ما اظنها تقوم كما يخبر بها الانبياء او لست على يقين من
البعث وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالانسان المذكور في صدر الاية الجنس باعتبار
غالب افراده لان اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره والشك في البعث لا يكون الا من الكافرين او
المتزلزلين في الدين المتظهرين بالاسلام المبطنين للكفر ولئن لام قسم رجعت الى ربي على تقدير
صدق ما يخبر نابه الانبياء من قيام الساعة وحصول البعث والنشور ان لي عنده للحسنى جواب
القسم لسبقه الشرط اي للحالة الحسنة من النعمة والكرامة فظن انه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير
واستحق خير الاخرة بذلك الذي اعتقده في نفسه واثبته لها وهو اعتقاد باطل وظن فاسد
وقد تضمن الكلام مبالغات حيث اكد بالقسم وان وتقديم الظرفين والعدول الى صيغة التفضيل
اذ الحسنى تابنث الاحسن فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنخبرهم به يوم القيامة وهذا جزاء
لقول الكافر ولئن رجعت الى اخره اي ليس الامر كما يزعم واعماله العقاب الشديد كما قال ولنذيقنهم
من عذاب غليظ بسبب ذوقهم واللام هذه والتي قبلها هي الموطئة للقسم واذا انعمنا على الانسان
اي على هذا الجنس من حيث هو باعتبار غالب افراده اعرض عن الشكر ونأى بجانبه اي ترفع عن
الانقياد للحق وتكبر وتجبر وثنى عطفه متبخترا كناية عن الاعراض وقيل انحرف عنه او ذهب بنفسه
وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب هنا مجاز عن النفس ونأى بمعنى بعد يقال نأيت وتنائيت اي بعدت
وتباعد والمتنأى الموضع البعيد وقرئ نأء بالالف قبل الهمزة واذا مسه الشر اي البلاء والجهد والفقر
المرض فذو اي فهو ذو دعاء عريض اي كثير والعرب تستعمل العرض والطول في الكثرة مجازا يقال
اطال فلان في الكلام واعرض في الدعاء اذا اكثر فهو مستعار محالة عرض متسع للاشعار بكثرته
فان العريض يكون ذا اجزاء كثيرة والاستعارة تخييلية شبه الدعاء بامر يوصف بالامتداد تحقيقا

له العرض قاله الكرخي والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله افاده ابو السعود والمعنى انه اذا مسه الشر تضرع الى الله واستغاث به ان يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك فذكره في الشدة ونسيه في الرخاء واستغاث به عند نزول النقمة وتركه عند حصول النعمة وهذا صنيع الكافرين ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين قال الشهاب فان قلت كونه يكثر الدعاء طويلا عريضا ينافي وصفه قبل هذا بانه يؤس قنوطا لان الدعاء فرع الطمع والرجاء وقد اعتبر في القنوط ظهور اثر اليأس فظهور ما يدل على الرجاء يأباه قلت يمكن دفع المنافاة بحمله على عدم اتحاد الاوقات والاحوال انتهى ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكى عنه اليأس والقنوط او شأن الكل في بعض الاوقات ذكره ابو السعود ثم رجع سبحانه الى مخاطبة الكفار ومحاجتهم فقال قُلْ أَرَأَيْتُمْ اي اخبروني عن حالتكم العجيبة واستعمال ارايتم بمعنى الاخبار مجاز ووجه المجاز انه لما كان العلم بالشيء سببا للاخبار عنه او ابصاره به طريقا الى الاحاطة به علما والى صحة الاخبار عنه استعملت الصيغة التي لطلب العلم او لطلب الابصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب ففيه مجازان استعمال رأى التي بمعنى علم او ابصر في الاخبار واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الاخبار قاله الشهاب إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كما قلتم ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ اي كذبتموه ولم تقبلوه ولا عملتم بما فيه مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ خلاف بَعِيدٍ عن الحق اي لا احد اضل منكم لفرط شقاقكم وشدة عداوتكم والاصل اي شيء اضل منكم فوضع من هو في شقاق موضع الضمير لبيان حالهم في المشاقة وانها السبب الاعظم في ضلالهم سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا اي دلالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله فِي الْآفَاقِ جمع افق بضم الهمزة والفاء كذا قال اهل اللغة كاعناق وعنق وهو الناحية ونقل الراغب انه يقال افق بفتحهما كجبل واجبال والمعنى سنريهم آياتنا في النواحي على ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية واثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وقال القرطبي اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق يعني خراب منازل الامم الماضية وربوع القرون الخالية وَفِي أَنْفُسِهِمْ قال ابن زيد في الآفاق آيات السماء وفي انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الآفاق فتح القرى التي يسر الله فتحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا

من الفتوح التي لم يتيسر مثلها لاحد من خلفاء الارض قبلهم او من الظهور على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة عن المعهود خارقة للعادات وفي انفسهم فتح مكة وبه قال ابن جرير واختاره المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الآفاق وقائع الله في الامم وفي انفسهم في يوم بدر وقال عطاء في الآفاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغائط والبول فان الرجل ياكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى في عينيه اللتين ينظر بهما من السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام وفي اذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه فان قيل قوله سنريهم الخ يقتضي انه الى الان ما اطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك ومعلوم ان الآيات المذكورة قد اطلعوا عليها وهي منهم نصب العين والجواب ان المراد على هذا سنريهم اسرارنا يتناهى فالآيات وان اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليه قاله الكرخي وعن ابن جريج في الآية قال امسك المطر عن الارض كلها وفي انفسهم قال البلايا التي تكون في اجسامهم وقال ابن عباس كانوا يسافرون فيرون آثار عاد وثمود فيقولون والله لقد صدق محمد صلى الله عليه وسلم وما اراهم في انفسهم قال الامراض وقيل في كونهم نطفا الى غير ذلك ومن انتقال احوالهم كما تقدم في المؤمنون ببيانه حتى يتبين لهم انه الحق الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الاسلام الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الى ما يريهم الله ويفعل من ذلك وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم انه الرسول الحق من عند الله والاول اولى وقد حرف الوجودية هذه الآية الكريمة بحملها على اتحاد الخلق والخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الجملة مستانفة لتوبيخهم وتقريعهم على تردد هم في شان القرآن وعنادهم المحوج الى ايراد الآيات وعدم اكتفاءهم باخبار الله تعالى والمعنى اولم يغنهم ولم يكفهم عن الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن انه سبحانه شهيد على جميع الاشياء وقيل المعنى اولم يكف بربك انه شاهد على اعمال الكفار والباء زائدة وهذا هو الراجح وقيل اولم يكف بربك شاهدا على ان القرآن منزل من عنده والشهيد بمعنى العالم او هو بمعنى الشهادة

التي هي الحضور قال الزجاج ومعنى الكناية ههنا ان الله عز وجل قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة المعنى
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد شاهد للاشياء لا يغيب عنه شيء ما الا انهم في مرية من لقاء
ربهم اي في شك من البعث والحساب والثواب والعقاب الا انه تعالى بكل شيء محيط احاط علمه ع
بجميع المعلومات واحاط قدرته بجميع المقدورات يقال احاط يحيط احاطة وحيطة وفي هذا
وعيد شديد لان من احاط بكل شيء لا يخفى عليه شيء جازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته

سورة الشورى وتسمى سورة حم عسق وسورة سوى من غير الف وهي ثلاث وخمسون وهي مكية

وهي مكية كلها قاله ابن عباس وابن الزبير وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وروي عن ابن عباس
وقتادة انها مكية الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى الى آخرها
وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم ونعيم بن حماد والخطيب عن ارطاة بن المنذر حديثا طويلا في تفسير
حم عسق وهو حديث لا يصح ولا يثبت بما اظنه الا من الموضوعات المكذوبات والحامل لواضعه عليه ما
يقع لكثير من الناس من عداوة الدول والحط من شانهم والازراء عليهم وكذا ما اخرجه ابو يعلى وابن
عساكر عن ابي معاوية قال السيوطي بسند ضعيف قلت بل بسند موضوع ومتن مكذوب وقد قال
ابن كثير في الحديث الاول انه غريب عجيب منكر وفي الثاني انه اغرب من الاول وعندي انهما موضوعان مكذوبان

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق قد تقدم الكلام في امثال هذه الفواتح قال عبد المؤمن سالت الحسن بن الفضل لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها بين سور اولها حم فجرت مجرى نظائرها قبلها و
بعدها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانها عدتا آيتين وعدت اخواتها مثل كهيعص والمر والمص
اية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها في المعنى واحد من حيث انها اس البيان وقاعدة الكلام تكرره
الجرجاني وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فقيل
معناها حم اي قضى ما هو كائن ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل وبين ما لا يقدر وقيل ان ح حلمه وم
مجده وع حلمه وس سناه وق قدرته اقسم الله بها وقيل هما اسم واحد فالفصل بينهما كالفصل بين سائر الحروف

له وفي نسخة حسين بن الفضل

وقيل غير ذلك مما هو متكلف ومتعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك مما لا اصل له والحق ما قدمناه لك في فاتحة سورة البقرة كذلك كلام مستأنف غير متعلق بما قبله اي مثل ذلك الايحاء الذي اوحى الى سائر الرسل من كتب الله المنزلة عليهم المشتمل على الدعوة الى التوحيد والنبوة والبعث وهذا هو وجه المشابهة يوحي اليك يا محمد في هذه السورة وقيل ان حم عسق اوحيت الى من قبله من الانبياء فتكون الاشارة بقوله كذلك اليها والاول اولى والى الذين من قبلك اي الى الرسل الله كانه قيل من يوحي فقال الله العزيز في ملكه الغالب بقهره الحكيم بصنعه المصيب في قوله وفعله له ما في السموات وما في الارض ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملك جميع ما فيهما للدلالة على كمال قدرته ونفوذ تصرفه في جميع مخلوقاته وهو العلي في ذاته وشأنه على خلقه العظيم الكبير مكانه وبرهانه تكاد السموت يتفطرن من فوقهن ق الجمهور تكاد بالفوقية وكذلك تنفطرن قرأوه بالفوقية مع تشديد الطاء وقرأ نافع والكسائي وابن وثاب يكاد ينفطرن بالتحتية فيهما وقرأ ابو عمرو والمفضل وابو بكر وابو عبيد ينفطرن بالنون من الانفطار كقوله اذا السماء انفطرت والتفطر التشقق قال الضحاك والسدي يتفطرن يتشققن من عظمة الله وجلاله وقيل المعنى يكاد كل واحدة منهن ينفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقيل معنى من فوقهن من فوق الارضين والاول اولى وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة وقيل يكدن ينفطرن من علو شان الله وعظمته ويدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم ومن لابتداء الغاية اي يبتدي التفطر من جهة الفوق وقال الاخفش الصغير ان الضمير يعود الى جماعات الكفار اي من فوقهم وهو بعيد جدا ووجه تخصيص جهة الفوق انها اقرب الى الآيات العظيمة والمصنوعات الباهرة او على طريق المبالغة كان كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التحت اثرت في جهة الفوق فتاثيرها في جهة التحت بالاولى والملئكة يسبحون بحمد ربهم كلام مستأنف اي ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده وقيل ان التسبيح موضوع موضع التعجب اي يتعجبون من جرأة المشركين على الله وقيل للذين يصلون بامر ربهم قاله السدي ويستغفرون اي يشفعون لمن في الارض من عباد الله المؤمنين كما في قوله ويستغفرون للذين امنوا او يطلبون هدايتهم وقيل الاستغفار منهم بمعنى السعي

فيما يستدعي المغفرة لهم وتاخير عقوبتهم طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الاية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وان كانوا داخلين فيها دخولا اوليا واليه ذهب البيضاوي بل ولو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع لعم الحيوان بل الجماد والمراد بالملائكة هنا حملة العرش وقيل جميع الملائكة وهو الظاهر من قول الكلبي وقيل هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين امنوا وقال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص بالمؤمنين وقال ابو الحسن بن الحصار ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين ولله ملائكة اخر يستغفرون لمن في الارض قاله الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان احدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل والثاني انه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي وهو الاظهر لان من في الارض يعم الكافر وغيره فحمله على قول مقاتل لا يدخل الكافر وقال مطرف وجدنا الناصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا الغش عباد الله لعباد الله الشياطين ألا إن الله هو الغفور الرحيم اي كثير المغفرة والرحمة لاهل طاعته واوليائه او لجميع عباده فان تاخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من انواع مغفرته ورحمته والذين اتخذوا من دونه أولياء اي اصناما يعبدونها وجعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم اي يحفظ اعمالهم لا يغيب عنه منها شيء ليجازيهم بها وما أنت عليهم بوكيل اي لم نوكلك بهم حتى تواخذهم ولا وكل اليك هدايتهم وانما عليك البلاغ قيل وهذه الاية منسوخة باية السيف وكذلك الايحاء البديع المبين المفهم أوحينا إليك اي انزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان ملكي لا لبس فيه عليك ولا على قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه لتنذر ام القرى اي مكة والمراد اهلها ومن حولها من الناس اي لتنذرهم العذاب وتنذر يوم الجمع اي يوم الجمع وهو يوم القيامة لانه مجمع الخلائق وقيل المراد جمع الارواح بالاجساد وقيل جمع الظالم والمظلوم وقيل جمع العامل والعمل لا ريب فيها اي لا شك فيه والجملة معترضة مقررة لما قبلها او صفة ليوم الجمع او حال منه فريق في الجنة وفريق في السعير قرأ الجمهور برفع فريق في الموضعين اما على انه مبتدء وخبره الجار والمجرور وساغ الابتداء بالنكرة لان المقام مقام تفصيل او على ان الخبر مقدر قبله اي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير او انه خبر مبتدء محذوف وهو ضمير عائد الى المجموع من المدلول عليهم بذكر الجمع اي هم فريق في الجنة وفريق في السعير وقرئ فريقا بالنصب في الموضعين على الحال من جملة محذوفة اي

افترقوا حال كونهم كذلك واخرج الفراء والكسائي انه نصب على تقدير لينذر فريقا وقد اخرج الترمذي وصححه واحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن عمر وقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا الا ان تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير قال الترمذي بعد اخراجه هذا حسن صحيح غريب ورواه ابن جرير طرفا منه عن ابن عمر وموقوفا عليه قال ابن جرير وهذا الموقوف اشبه بالصواب قلت بل المرفوع اشبه بالصواب فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوى الرفع ما اخرجه ابن مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده كتاب ينظر فيه قالوا انظروا اليه كيف وهو امي لا يقرأ قال فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء قبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقال فريق في الجنة وفريق في السعير فرغ ربكم من اعمال العباد ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال الضحاك اهل دين واحد اما على هدى واما على ضلالة ولكنهم افترقوا على اديان مختلفة بالمشية الازلية وهو معنى قوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي في الدين الحق وهو الاسلام والظالمون اي المشركون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام ومثل هذا قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وهذا مقابل لقوله يدخل من يشاء في رحمته فكان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء في غضبه لكن عدل عنه الى ما ذكر للمبالغة في الوعيد فان نفي من يتولاهم وينصرهم دال على ان كونهم في العذاب امر معلوم مفروغ منه افاده الكرخي وقال الشوكاني وههنا مخاصمات بين المتمذهبين المحاماين على ما درج عليه اسلافهم فذابوا عليه من بعدهم وليس بنا الى ذكر شيء

من ذلك فائدة كما هو عادتنا في تفسيرنا هذا فهو تفسير سلفي يمشي مع الحق ويدور مع
دلالات النظم الشريف واما يعرف ذلك من رسخ قدمه وتبرد من التعصب قلبه ولحمه ودمه
ام اتخذوا من دونه اولياء مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون الظالمين وليا ونصيرا
وامر هذه هي المنقطعة المقدرة ببل المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للانكار اي بل اتخذ الكافرون
من دون الله اولياء من الاصنام يعبدونها فالله هو الولي اي هو الحقيق بان يتخذوه وليا فانه
الخالق الرازق الضار النافع والفاء لمجرد العطف قاله الكرخي وغرضه بهذا الرد على الزمخشري في
قوله انها جواب شرط مقدر اي ان اراد وا ان يتخذوا اولياء فالله هو الولي الحق قال ابو حيان
لا حاجة الى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه وهو اي ومن شانه انه يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير اي يقدر على كل مقدور فهو الحقيق بتخصيصه بالالوهية وافراده بالعبادة وما اختلفتم
فيه من شيء فحكمه الى الله هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من امر الدين فان حكمه مفوض
الى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه وعند ذلك يظهر الحق من الباطل
ويتميز فريق الجنة وفريق النار قال الكلبي وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى
الله يقضي فيه وزاد البيضاوي او امر الدنيا واريد بذكر الدنيا في الكشاف وذكره المحلي وقال من الدين
وغيره والغير كالخصومات في الدنيا والاول اولى اذ لا يلزم ان تكون بينهم وبين الكفرة ولا يقال في مثله
التحاكم الى الله افاده الشهاب قال مقاتل ان اهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم فنزلت
هذه الآية والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويمكن ان يقال ان معنى حكمه الى الله انه مردود
الى كتابه فانه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه فذكر الآية عامة في كل اختلاف يتعلق بامر
الدين انه مردود الى كتاب الله ومثله قوله وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقد حكم
سبحانه بان الدين هو الاسلام وان القرآن حق وان المؤمنين في الجنة والكافرين في النار ولكن لما
كان الكفار لا يذعنون لكون ذلك حقا الا في الدار الآخرة وعدهم الله بذلك يوم القيامة وقيل تحاكموا
فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه حكم الله ولا تنزاعوا حكومة غيره على حكومته ذلكم مبتدأ اي الحاكم
العظيم الشان بهذا الحكم الله خبر اول ربي خبر ثان عليه توكلت خبر ثالث اي اعتمدت عليه في جميع
اموري لا على غيره وفوضته في كل شئوني واليه انيب لا الى غيره اي ارجع في كل شيء يعرض لي وهذا خبر

ع ٩

رابع فاطر السموات والارض الفاطر الخالق المبدع وقد تقدم تحقيقه وهذا خبر ثان
او مبتدأ وخبره ما بعده او نعت لربي لان الاضافة محضة ويكون عليه توكلت واليه انيب معترضا
بين الصفة والموصوف وقرأ زيد بن علي فاطر بالجر على انه نعت للاسم الشريف في قوله الى الله وما
بينهما اعتراض او بدل من الهاء في عليه واليه واجاز الكسائي النصب على النداء واجازه غيره على المدح
جعل لكم من انفسكم ازواجا خبر سادس اي خلق لكم من جنسكم نساء والمراد حوى لكونها
خلقت من ضلع آدم وقال مجاهد نسلا بعد نسل ومن الانعام ازواجا اي خلق لهم من جنسها اناثا
او وخلق لكم من الانعام اصنافا من الذكور والاناث وهي الثمانية التي ذكرها في الانعام يذرؤكم فيه
اي يبثكم من الذرء وهو البث او يخلقكم وينشئكم والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب
عليه العقلاء قال الزمخشري وهي من الاحكام ذات العلتين قال الشيخ وهو اصطلاح غريب والمعنى
ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا وضمير فيه راجع الى الجعل المدلول عليه بالفعل او للخلق
وقيل راجع الى ما ذكر من التدبير وقال الفراء والزجاج وابن كيسان معنى يذرؤكم فيه يكثركم به
اي يكثركم بجعلكم ازواجا لان ذلك سبب النسل وقال ابن قتيبة يذرؤكم فيه اي في الزوج وقيل
في البطن وقيل في الرحم ليس كمثله شيء خبر سابع والمراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية
فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى كقولهم مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود وقيل ان الكاف
زائدة للتوكيد لانه تعالى لا مثل له وهو المشهور عند المعربين وقيل ان مثل زائدة قاله ثعلب وغيره كما
في قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به وهذا ليس بجيد بل الاول اولى فان الكناية باب مسلوك للعرب
ومهيع مألوف لهم قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا اي انا لا يقال لي
وقيل المراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقولهم مثل الجنة فيكون المعنى
ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهو محمل سهل قال الراغب المثل اعم الالفاظ الموضوعة
للمشابهة وذلك ان الند يقال لما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط
والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط
والمثل في جميع ذلك ولهذا لما اراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكر فقال تعالى ليس كمثله شيء
وقال ابو البقاء صرح بالزيادة الكاف انها لو لم تكن زائدة لاقتضى ذلك الى المحال اذ يكون المعنى ان له مثلا

وليس لمثله مثل وفي ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فله مثل ومثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله سبحانه محال وهذا تقرير حسن ولكنه يندفع بما اوردناه من كون الكلام خارجا مخرج الكناية ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها علم شيئا عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة اذا تامل معنى قوله وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فان هذا الاثبات بعد ذلك النفي المماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فانك تحطم بها كثيرا من البدع وتهشم بها رؤسا من الضلالة وترغم بها انوف طوائف من القاصرين المتكلفين والمتكلمين المتاولين ولا سيما اذا ضممت اليه قول الله سبحانه ولا يحيطون به علما فانك حينئذ قد اخذت بطرف حبل ما يسمونه علم الكلام وعلم اصول الدين ودع عنك ما صح وما لم يصح وما جرى انه مروي وما لم يجر لان حديث الرواحل وهو السميع الخ خبر ثابت وقوله لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ خبر ناسع جمع مقلاد او مقليد او اقليد وهو المفتاح جمع على خلاف القياس اي خزائنها او مفاتيحها والمراد المطر والنبات وغيرهما كالجواهر المستخرجة من الارض قال النحاس والذي يملك المفاتح يملك الخزائن وقد تقدم تحقيقه في سورة الزمر ثم لما ذكر سبحانه ان بيده مقاليدهما ذكر بعده البسط والقبض فقال يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ خبر عاشر اي يوسعه لمن يشاء كالروم والفرس ويضيقه على من يشاء كالعرب اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ من الاشياء عَلِيمٌ فلا تخفى عليه خافية واحاطة علمه بكل شيء يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصي فهو يجازي كلا بما يستحقه من خير وشر شَرَعَ لَكُمْ اي بين واوضح وسن واظهر طريقا واضحا وهو خبر حادي عشر مِنَ الدِّينِ اي دينا تطابقت على صحته الانبياء والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم مَا وَصّٰى بِهٖ نُوحًا من التوحيد ودين الاسلام واصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب انما خص نوحا لانه اول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصينا نوحا واياك يا محمد دينا واحدا وقد ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان آدم اول رسول نبي بغير اشكال الا ان آدم لم يكن معه الا نبوة ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان شرعه تنبيها على بعض الامور والقصار اعراض وذلك ان آدم اخذ ابو خلائف الحياة والبقاء واستمر الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات

والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات واوضح له الآداب الدينية ولم يزل خلفه ويتأكد بالرسل
ويتناصر بالانبياء عليهم السلام واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها بخير الملل ملتنا على
لسان اكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذي اوحينا اليك من القرآن وشرائع الاسلام المبرأة
من الشرك والتعبير عنه بالموصول لتفخيم شانه صلى الله عليه وسلم من تلك الحيثية وخص ما شرعه لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم بالايحاء مع كون ما قبله وما بعده مذكورا بالتوصية للتصريح برسالته القامع لانكار
الكفرة وفيه التفات من الغيبة الى التكلم بون العظمة لكمال الاعتناء بالايحاء اليه وهو السر في تقدم
على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا
قديما وتوجيه الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرع لهم على لسانه
عليه الصلوة والسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ما تطابقت عليه الشرائع وانما
خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة واولو العزم
وليل قلوب الكفرة اليهم لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرق اليهود في موسى والنصارى في عيسى وكل من هؤلاء المذكورين له
شرع جديد ومن عداهم من الرسل انما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فشيث والخضر يبعثان بتبليغ شرع آدم ومن
بين نوح وابراهيم هما هود وصالح يبعثان بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى يبعثون بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين
موسى وعيسى يبعثون بتبليغ شرع موسى كما تأمل ثم بين ما وصى به هؤلاء فقال ان اقيموا الدين اي توحيد الله والايمان
به وطاعة رسله وقبول شرائعه والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ
او مواظبة عليه والتشمير له وقال السدي اي اعملوا به وقيل المراد سائر ما يكون المرء باقامته مسلما
ولم ترد به الشرائع فانها مختلفة قال تعالى ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا قال مجاهد لم يبعث الله
نبيا قط الا وصاه باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والاقرار بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم
قال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام قال القرطبي الاصول التي لا تختلف فيها الشرائع هي التوحيد
والصلوة والزكوة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد واداء الامانة
وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق كيفما تصورت والاعتداء على الحيوان كيفما
دار وافتحام النار وما يعود بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة واحدة لم تختلف
عن السنة الانبياء وان اختلفت احدادهم وذلك قوله تعالى ان اقيموا الدين الخ ثم لما امرهم سبحانه

باقامة الدين نهاهم عن الاختلاف فيه فقال ولا تتفرقوا فيه اي لا تختلفوا في التوحيد والايمان
بالله وطاعة رسوله وقبول شرائعه فان هذه الامور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها
الاديان فلا ينبغي الخلاف في مثلها وليس هذا من فروع المسائل التي تختلف فيها الادلة وتتعارض
فيها الامارات فتتباين فيها الافهام فانها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف قال القرطبي في
الاية اي اجعلوه دائما قائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من
وفى بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرائع وراء هذا في
احكامه حسبما اراد الله مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه في الازمنة على الامم والله اعلم
قال قتادة في الاية اعلموا ان الفرقة هلكة وان الجماعة نقة وقال علي الجماعة رحمة والفرقة
عذاب ثم ذكر سبحانه ان ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال كبر اي عظم وشق
على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة اشتد عليهم شهادة
ان لا اله الا الله وحده وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله الا ان ينصرها ويعليها ويظهرها و
يظفرها على من ناواها والاولى التعميم لان السياق لا يمنعه تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى
ثم خص اولياءه فقال الله يجتبي اليه استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب
الى الدعوة والاجتباء الاختيار والمعنى يختار لتوحيده والدخول في دينه افتعال من الجباية وهي
الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه اياه بفيض الهي يتحصل له انواع النعم بلا
سعي منه من يشاء من عباده قال قتادة يخلص لنفسه من يشاء ويهدي اليه من ينيب اي
يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع الى طاعته ويقبل الى عبادته

ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من اقامة الدين وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع من
التفرق والاختلاف فقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم اي ما تفرقوا الا عن علم
بان الفرقة ضلالة متوعد عليها او العلم بمبعث الرسول او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم
يلتفتوا اليها وفعلوا ذلك التفرق قيل المراد قريش وهم الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم وهو محمد
صلى الله عليه وسلم بغيا منهم عليه وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن
جاءهم نذير الاية وبقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل المراد امم الانبياء المتقدمين وانهم فيما

بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فامن قوم وكفر قوم وقيل اليهود والنصارى خاصة كما في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة بغيا بينهم اي بغيا من بعضهم على البعض طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا والجاه والحمية ولولا كلمة سبقت من ربك وهي تاخير العقوبة الى اجل مسمى وهو يوم القيامة كما في قوله والساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذي قضاه الله لعذابهم في الدنيا بالقتل والاسر والذل والصغار لقضي بينهم اي لوقع القضاء بينهم بانزال العقوبة بهم عاجلة وقيل يقضي بين من امن منهم ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين وان الذين اورثوا الكتاب اي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم من بعدهم اي من بعد من قبلهم من اليهود والنصارى المختلفين في الحق وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى وقيل المراد كفار المشركين من العرب الذين اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم ووصفهم بانهم لفي شك منه اي من القرآن او من محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من اعتدال النقيضين وتساويهما في الذهن بل المراد به ما هو اعم اي مطلق التردد وقال القرطبي نفي شك من الذي اوصى به الانبياء مريب موقع في الريبة وهي قلق النفس واضطرابها ولذلك لم يؤمنوا فلذلك اي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك او الكتاب او العلم الذي اوتيته او فلاجل انه شرع من الدين ما شرع فادع الى الله والى توحيده والى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القويمة والاتباع لما اوتيته وعلى هذ اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل قال الفراء والزجاج المعنى فالى ذلك فادع كما تقول دعوت الى فلان ولفلان وذلك اشارة الى ما اوصى به الانبياء من التوحيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع واستقم على ما دعوت اليه فسر الراغب الاستقامة بلزوم المنهج المستقيم فلا حاجة الى تاويلها بالدوام على الاستقامة قال قتادة استقم على امر الله وقال سفيان استقم على القرآن وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة كما امرت بذلك من جهة الله تعالى ولا تتبع اهواءهم الباطلة وتعصباتهم الزائغة في ترك التوحيد ولا تنظر الى خلاف من خالفك في دين الله وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي بجميع الكتب التي انزلها الله على رسله لا كالذين امنوا ببعض منها وكفروا ببعض

وفيه تحقيق الحق وبيان لاحقاق الكتب في اصول الدين وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض لهم
وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ في احكام الله اذا تراضيتم الي ولا احيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله او
بنقصان منه وابلغ اليكم ما امرني الله بتبليغه كما هو واللام لام كي اي امرت بذلك الذي امرت به لكي
اعدل بينكم وقيل هي زائدة والمعنى امرت ان اعدل وقيل بمعنى الباء وان المصدرية مقدرة اي
بان اعدل والاول اولى قال ابو العالية امرت لاسوي بينكم في الدين فاومن بكل كتاب وبكل رسول
والظاهر ان الآية عامة في كل شيء والمعنى امرت لاعدل بينكم في كل شيء اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اي الهنا و
الهكم وخالقنا وخالقكم لَنَا أَعْمَالُنَا اي ثوابها وعقابها خاص بنا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ اي ثوابها وعقابها
خاص بكم فكل يجازى بعمله لَا حُجَّةَ اي لا خصومة بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لان الحق قد ظهر ووضح ولم يبق للمحاجة
مجال وليس في الآية ما يدل على المتاركة في المقاولة والمحاجة لا مطلقا حتى تكون منسوخة وانما اخبر عن
اباطيلهم بالحجة مجاراة لهم على زعمهم الباطل قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود وقيل للكفار على
العموم اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا في المحشر لفصل القضاء وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ اي المرجع يوم القيامة فيجازي كلا بعمله
وهذا منسوخ بآية السيف وقيل ليست بمنسوخة لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العناد
وبعد العناد لا حجة ولا جدال وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ اي يخاصمون في دين الله مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ
اي استجاب الناس لَهُ اي لدين الله ودخلوا فيه وقيل الضمير راجع الى الله وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم
المعلوم من السياق الدال حالية الفعل والاول اولى قال مجاهد من بعد ما اسلم الناس قال وهؤلاء قوم
توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة هم اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا
قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة بانهم اهل كتاب وانهم اولاد الانبياء وكان المشركون يقولون
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هم اهل الكتاب كانوا يجادلون
المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله وقال هم قوم من اهل الضلالة وكانوا يتربصون
بان تاتيهم الجاهلية وعن عكرمة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال المشركون لمن بين اظهرهم من
المؤمنين قد دخل الناس في دين الله افواجا فاخرجوا من بين اظهرنا فنزلت هذه الآية والموصول
مبتدا وخبره الجملة بعده وهي حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ اي لاثبات لها كالشيء الذي يزول عن
موضعه يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وباطله خضع ولاد خاض الازلاق ومكان دحض اي زلق

ودحضت رجاه اي زلقت وباءه قطع وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة وعليهم غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل ولهم عذاب شديد في الآخرة الله الذي انزل الكتاب الوحي بالجنس فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل وقيل المراد به القرآن خاصة بالحق متعلق بمحذوف اي متلبسا بالحق وهو الصدق والميزان اي العدل كذا قال اكثر المفسرين قالوا وسمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق فالميزان مستجوز به عنه استعمالا للسبب في المسبب وقيل الميزان ما بين في الكتب المنزلة مما يجب على كل انسان ان يعمل به وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقال قتادة الميزان العدل فيما امر به ونهى عنه وانزال العدل هو الامر والتكليف به وقيل انه الميزان على نفسه انزله الله من السماء في زمن نوح عليه السلام وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس كما في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقضي بينكم بكتاب الله وقال مجاهد هو الذي يوزن به وما يدريك لعل الساعة قريب اي اي شيء يجعلك داريا بها عالما بوقتها لعلها شيء قريب او قريب مجيئها او ذات قرب او اتيانها قريب وقال قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي قال الزجاج المعنى لعل البعث او لعل مجيء الساعة قريب وقال الكسائي قريب نعت يعت به المؤنث والمذكر كما في قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال الكرخي ولا يقال ان قريب يستوي فيه المؤنث والمذكر لان فعيلا هنا بمعنى فاعل ولا يستوي فيه ما ذكروا الاستفهام انكاري اي لا سبب يوصلك للعلم بقربها الا الوحي الذي ينزل عليك قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا متى تقوم تكذيبا لها فانزل الله هذه الآية ويدل على هذا قوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال استهزاء منهم بها وتكذيبا بمجيئها فلا يشفقون منها والذين آمنوا مشفقون منها اي خائفون وجلون من مجيئها اي فلا يستعجلونها ففي الآية احتباك حيث ذكر الاستعجال اولا وحذف الاشفاق وذكر الاشفاق ثانيا وحذف الاستعجال قال مقاتل لانهم لا يدرون ما يجيء عليه وقال الزجاج لانهم يعلمون انهم محاسبون ومجزيون ويعلمون انها الحق اي انها آتية لا ريب فيها وكائنة لا محالة ومثل هذا قوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ثم بين ضلال الممارين فيها فقال الا ان الذين يمارون في الساعة اي يخاصمون فيها مخاصمة شاك في

من المماراة وهي المخاصمة والمجادلة او من المرية وهي الشك والريبة لفي ضلال بعيد عن الحق لانهم
لم يتفكروا في الموجبات للايمان بها من الدلائل التي هي مشاهدة لهم منصوبة لاعينهم مفهومة لعقولهم
ولو تفكروا لعلموا ان الذي خلقهم ابتداء قادر على الاعادة وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقل
تشهد على انه لابد من دار جزاء والبعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو ابعد
عن الاهتداء لما وراءه الله لطيف بعباده اي كثير اللطف بهم بالغ الرافة لهم قال مقاتل لطيف بالبر
والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم قال عكرمة بارهم وقال السدي يرفق بهم وقيل حفي بهم وقال
القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة وقيل في ايصال المنافع وصرف البلاء وقيل لطف بالغوامض
علمه وعظم عن الجرائر حلمه وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب او يعفو عمن يهفوا او
يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وقال الجنيد لطف اوليائه ضمنوه ولو لطف
باعدائه لما جحدوه وقال جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك
من الطيبات الثاني انه لم يدفع اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم
في القرآن وتفصيله وتفسيره وقيل اللطيف الذي لا يخاف الاعدام ولا يرجى الا فضاله وقيل هو الذي
يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي
لا يرد سائله ولا يؤيس امله وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي اودع العلماء من
الكتاب والسنة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم والدين القيم منهاجا وانزل لهم من عجائب
بره ومنه ولطفه وكرمه واحسانه ماء ثجاجا وقيل غير ذلك وحاصل المعنى انه يجري لطفه
على عباده في كل امورهم ومن جملة ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا وهو معنى قوله
يرزق من يشاء منهم كيف يشاء فيوسع على هذا ويضيق على هذا وفي تفضيل قوم بالمال
حكمة لتحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وكان هذا لطفا بالعباد ليمتحن الغني
بالفقير والفقير بالغني وقيل ما يشاء من انواع الرزق فهو ان كان يرزق كل ذي روح لكنه فاوت
بين المرزوقين في الرزق قلة وكثرة وجنسا ونوعا لحكمة يعلمها هو وهو القوي العظيم القوة الباهر
القدرة العزيز الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه
الحرث في اللغة الكسب يقال هو يحرث لعياله ويحترث اي يكتسب ومنه سمي الرجل حارثا ومعنى اصل الحرث

القاء البذر في الارض فاطلق جزاء الاعمال وفوائدها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور والمعنى من كان يريد باعماله كسب ثواب الاخرة يضاعف الله له تلك الحسنة بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف وقيل معناه نزد له في توفيقه واعانته وتسهيل سبل الخير له ومن كان يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا اي من كان يريد باعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها وما يرزق الله به عباده منها موثرا لها على الاخرة نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قضت به مشيتنا او قسم له في قضائنا ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه قال قتادة المعنى نقدر له ما نشاء لمن نريد كما قال عجلنا له فيها ما نشاء وقال ايضا ان الله يعطي على نية الاخرة ما شاء من امر الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا قال القشيري والظاهر ان الاية في الكافر وهو تخصيص بغير مخصص ثم بين سبحانه ان هذا الذي يريد بعمله الدنيا لا نصيب له في الاخرة فقال وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ لانه لم يعمل للاخرة فلا نصيب له فيها وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة الاسراء وقال ابن عباس في الاية حرث الاخرة عيش الاخرة وقال من يرد نياه على اخرته لم يجعل الله له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يزد بذلك من الدنيا شيئا الا رزقا فرغ منه وقسم له رواه احمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب وفي اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يريد حرث الاخرة الاية ثم قال يقول الله ابن ادم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك وعن علي قال الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الاخرة الباقيات الصالحات ولما بين سبحانه القانون في امر الدنيا والاخرة اراد ان يبين ما هو الذنب العظيم الموجب للنار فقال أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ام منقطعة وتقدير بل الهم شركاء وقيل الهمزة للتعادل لا لقصد الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره ايقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم الهة شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ وقيل ام بمعنى بل التي للانتقال والهمزة التي للتوبيخ والتقريع وضمير شرعوا عائد الى الشركاء وضمير لهم الى الكفار وقيل العكس والاول اولى مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ من الشرك والمعاصي والشرائع المضلة وانكار البعث والعمل للدنيا والاية بعمومها تشمل كل شيء لم يامر به الله سبحانه او رسوله

فيدخل فيه التقليد لانه مما لم يأذن به الله بل ذمه في كتابه في غير موضع ولم يأذن به رسوله ولا امام من ائمة الدين ولا احد من سلف الامة وسادتها وقادتها بل نهى عنه المجتهدون الاربعة ومن كان بعدهم من اهل الحق بر الايمان واتباع السنة المطهرة وانما احدثه من احدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير فرحم الله امرءا سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وادمغه و بالله التوفيق ولولا كلمة الفصل وهي تاخيرهم الى يوم القيامة لقضي بينهم لقضي بينهم في الدنيا فعوجلوا بالعقوبة والضمير في بينهم راجع الى المؤمنين والمشركين او الى المشركين وشركائهم وان الظالمين اي المشركين الكافرين والمكذبين لهم عذاب اليم مؤلم في الدنيا والاخرة قرأ الجمهور بكسر ان على الاستيناف وقرئ بفتحها عطفا على كلمة الفصل ترى الظالمين خطاب لكل من تتاتى منه الرؤية مشفقين اي خائفين وجلين مما كسبوا من السيئات وذلك الخوف والوجل يوم القيامة وهو الضمير راجع الى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله الزجاج اي وجزاء ما كسبوا واقع بهم حتما نازل عليهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حالية ولما ذكر الله سبحانه حال الظالمين ذكر حال المؤمنين فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدء وخبره في روضات الجنات جمع روضة قال ابو حيان اللغة الكثيرة تسكين الواو ولغة هذيل فتحها والروضة الموضع الذي الكثير الخضرة وقد مضى بيان هذا في سورة الروم في روضة الجنة اطيب مسالكها كما انها في الدنيا احسن امكنتها وفيه تنبيه على ان عصاة المسلمين من اهل الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة والبقاع التي دون تلك لا حصاص لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم ما يشاءون عند ربهم من صنوف النعم وانواع المستلذات وعند ظرف ليشاءون او للاستقرار العامل في لهم العندية مجازا وحقيقة ذلك اي ما ذكر للمؤمنين هو الفضل الكبير اي الذي لا يوصف ولا تهتدي العقول الى كنه صفته ومعرفة حقيقته لان الحي اذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره ذلك اي الفضل الكبير الذي يبشر الله به عباده قرئ يبشر مخففا ومثقلا وهما سبعيتان ثم وصف العباد بقوله الذين امنوا وعملوا الصالحات فهؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل بما امر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك البشارة ثم لما ذكر سبحانه ما اخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الاحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه امره بان يخبرهم بانه لا يطلب منهم بسبب

هذا التبليغ ثوابا منهم فقال قل لا اسألكم عليه اجرا اي قل يا محمد لا اطلب منكم الان ولا في مستقبل الزمان على تبليغ الرسالة بشارة او نذارة جعلا ولا نفعا وان قل والخطاب اما لقريش و للانصار لانهم اخواله او لجميع العرب لان نفعها قاربه في الجملة الا المودة العظيمة الواسعة في القربى اي مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شيء من محبتكم عنها والاستثناء متصل اي الا ان تودوني لقرابتي بينكم او تودوا اهل قرابتي ويجوز ان يكون منقطعا قال الزجاج المودة استثناء ليس من الاول اي الا ان تودوني لقرابتي تحفظوني والخطاب لقريش وهذا قول عكرمة ومجاهد وابي مالك والشعبي فيكون المعنى على الانقطاع لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة في القربى التي بيني وبينكم ان ترقبوني فيها ولا تعجلوا الى ودعوني والناس وبه قال قتادة ومقاتل والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم وهو الثابت عن ابن عباس كما سيأتي وقال سعيد بن جبير وغيره هم آل محمد وسيأتي ما استدل به القائلون بهذا وقال الحسن وغيره معنى الآية الا التودد الى الله عز وجل والتقرب بطاعته وقال الحسين بن الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك ان هذه الآية منسوخة قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكف الاذى عنه ومودة اقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أقول في الآية ثلثة اقوال الاول ان القربى بمعنى القرابة اي الرحم والثاني بمعنى الاقارب والثالث بمعنى القرب والتقرب والزلفى وسيأتي ما يتضح به الصواب ويظهر به معنى الآية عن ابن عباس انه سئل عن قوله الا المودة في القربى قال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعنه قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسألكم عليه اجرا الا ان تودوني في نفسي لقرابتي وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وعن الشعبي قال لم تكن الناس حليفا في هذه الآية قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسطة النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وله فيه قرابة فقال الله قل الخ ان تودوني لقرابتي منكم وتحفظوني بها وعن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة من جميع قريش فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه قال يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ولا يكون غيركم من العرب اولى بحفظي ونصرتي منكم وعنه قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكانهم فخروا فقال

العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبون قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك الم يكذبوك فصدقناك الم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ورسوله فنزلت هذه الآية وفي اسناده يزيد بن ابي زياد وهو ضعيف والاولى ان الآية مكية لا مدنية وقد اشرنا فيما سبق ان هذه الآية مدنية وهذا متمسكهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية تحفظوني في اهل بيتي وتودوهم بي اخرجه الديلمي وابو نعيم وعنه قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وولداهما اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعنه قال نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل لهم يا محمد لا اسألكم عليه اي على ما ادعوكم اليه اجرا عوضا من الدنيا الا المودة في القربى الا الحفظ في قرابتي فيكم فلما هاجر الى المدينة احبان يلحقه اخوته من الانبياء فقال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله يعني ثوابه وكرامته في الآخرة كما قال نوح وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستثنوا اجرا كما استثنى النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليهم وهي منسوخة وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قل لا اسألكم على ما اتيتكم به من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله وان تتقربوا اليه بطاعته هذا حاصل ما روي عن حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية والمعنى الاول هو الذي صح عنه ورواه عنه الجم الغفير من تلامذته فمن بعدهم ولا ينافيه ما روي عنه من النسخ فلا مانع من ان يكون قد نزل القرآن في مكة بان يودوه كفار قريش لما بينه وبين القرشيين من القربى ويحفظوه بها شرع ينسخ ذلك ويذهب هذا الاستثناء من اصله كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على انه لم يسأل على التبليغ اجرا على الاطلاق ولا يقوي ما روي من حملها على آل محمد صلى الله عليه وسلم على معارضته ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة وقد اغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة وقد بينا ذلك عند تفسيرنا لقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وكما لا يقوي هذا على المعارضة فكذلك لا يقوي ما روي عنه ان المراد بالمودة ان يودوا الله وان يتقربوا اليه بطاعته ولكنه يشد من عضد

هذا انه تفسير مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يقترف اي يكتسب واصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله من باب ضرب اي يكسب والاقتراف الاكتساب ماخوذ من قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا حسنة اي طاعة نزد له فيها اي في هذه الحسنة او في الجنة حسنا بمضاعفة ثوابها قال مقاتل المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسنا نضاعفها بالواحدة عشرا فصاعدا وقيل المراد بهذه الحسنة هي المودة في القربى والحمل على العموم اولى ويدخل تحته المودة في القربى دخولا اوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى وقال ابن عباس انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي انها نزلت في ابي بكر ومودته فيهم والظاهر العموم ان الله غفور شكور اي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور لذنوب آل محمد صلى الله عليه وسلم شكور للقليل فيضاعفه ام منقطعة اي بل يقولون افترى اي اختلق على الله كذبا بادعاء النبوة ونسبة القرآن الى الله تعالى والانكار للتوبيخ فرد الله سبحانه عن قولهم هذا فقال فان يشأ الله يختم على قلبك اي لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه وختم على قلبه بحيث لا يخطر بباله شيء مما كذب فيه كما تزعمون قال قتادة يختم على قلبك فينسيك القرآن فاخبرهم انه لو افترى عليه لفعل به ما اخبرهم به في هذه الآية وقال مجاهد ومقاتل ان يشأ يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل الخطاب له والمراد الكفار اي ان يشأ يختم على قلوب الكفار ويعاجلهم بالعقوبة ذكره القشيري وقيل المعنى لو حدثتك نفسك ان تفتري على الله كذبا بالطبع على قلبك فانه لا يجري على الكذب الا من كان مطبوعا على قلبه والاول اولى والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ويمح الله الباطل استيناف مقرر لما قبله من نفي الافتراء غير داخل في جزاء الشرط قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وما بعده مستأنف وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير اي والله يمحو الباطل وقال الزجاج ويمحو الله الباطل استئناف رد على من انكر ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم اي لو كان ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين وسقطت الواو من يمحو في بعض المصاحف كما حكاه الكسائي ويحق الحق اي الاسلام فينسخه بما انزله من القرآن وقد فعل الله تعالى ذلك فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور اي عالم بما في قلوب العباد وهو الذي يقبل التوبة عن عباده المذنبين

اي يقبل توبتهم اليه مما عملوا من المعاصي واقترفوا من السيئات والتوبة الندم على المعصية و
القلع عنها والعزم على عدم المعاودة لها وهذه ثلثة شروط فيما بينه وبين الله تعالى فاذا
حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح واما فيما
يتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلثة والرابع ان يبرء من حق صاحبها وقيل يقبل
التوبة عن اوليائه واهل طاعته والاول اولى فان التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم
وكافرهم اذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة والاحاديث في ذكر التوبة وحكمها
كثيرة في الصحيحين وغيرهما ويَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ على العموم لمن تاب عن سيئة ويعفو لمن يشاء بلا
توبة ايضا اذا كان ما دون الشرك ويَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ من خير وشر فيجازي كلا بما يستحقه قرأ
حمزة وغيره تفعلون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر وهما سبعيتان واختار الثانية
ابو عبيد وابو حاتم لان هذا القول وقع بين خبرين وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
اي يعطيهم ما طلبوه منه يقال اجاب واستجاب بمعنى وقيل المعنى تقبل عبادة المخلصين وقيل
التقدير ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي كالوا لهم وقيل ان الموصول
في محل رفع اي يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم واستظهره السفاقسي
قال المبرد المعنى يستدعي الذين امنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استفعل فالذين في موضع رفع و
الاول اولى وَيَزِيدُهُمْ على ما طلبوه مِنْ فَضْلِهِ او على ما يستحقونه من الثواب تفضلا منه وقيل
يشفعهم في اخوانهم وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ هذا للكافرين مقابلا لما ذكره للمؤمنين
فيما قبله وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ جميعهم اي لو وسع الله لهم رزقهم لَبَغَوْا اي لعصوا وطغوا
جميعهم فِي الْأَرْضِ ويطروا النعمة وتكبروا وطلبوا ما ليس لهم طلبه وقيل المعنى لو جعلهم سواء
في الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون و
فرعون عبرة والاول اولى والظاهر عموم انواع الرزق وقيل هو المطر خاصة وذكروا في كون بسط
الرزق موجبا للطغيان وجوها لا نطول بذكرها واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية
او كيفية وفي القرطبي بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد
ملبس وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بالتشديد وضده سبعيتان بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ اي ينزل من الرزق لعباده بتقدير

على حسب مشيته وما تقتضيه حكمته البالغة انه بعباده اي باحوالهم خبير بصير بما يصلحهم من
من توسيع الرزق وتضييقه فيقدر لكل احد منهم ما يصلحه ويكفه عن الفساد بالبغي في الارض
ويقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويبسط ويقبض ولو اغناهم جميعا لبغوا
ولو افقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل ولا شك
ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب عن ابي هانئ الخولاني قال سمعت عمرو بن حريث غير
يقولون انما انزلت هذه الآية في اصحاب الصفة وذلك انهم قالوا لو لنا فتمنوا المال نيا قال السيوطي
سنده صحيح وعن علي مثله وهو الذي ينزل بالتشديد والتخفيف سبعيتان الغيث اي المطر الذي
هو اعم انواع الرزق واعمها فائدة واكثرها منفعة ومصلحة من بعد ما قنطوا اي ايسوا عن خلك
فيعرفون بهذا الانزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لطفه ويشكرون له ما يجب الشكر عليه والمعنى
على فتح النون وقرئ بكسرها وهي لغة وعليها قرئ لا تقنطوا بفتح النون في المتواتر ولم يقرأ بالكسر في
الماضي الا شاذا وما مصدرية اي من بعد قنوطهم وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في
كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وما يحصل به من الخصب او رحمته الواسعة المنتظمة
لما ذكر انتظاما اوليا والمراد بالرحمة المطر فذكر المطر باسمين الغيث لانه يغيث من الشدائد والرحمة
لانه رافة واحسان وهو الولي للصالحين من عباده بالاحسان اليهم وجلب المنافع لهم ودفع الشرور عنهم
الحميد المستحق للحمد منهم على العموم خصوصا وعموما ثم ذكر سبحانه بعض اياته الدالة على كمال القدرة
الموجبة لتوحيده وصدق ما وعد به من البعث فقال ومن اياته خلق السموت والارض اي
خلقهما على هذه الكيفية العجيبة والصنعة الغريبة الدالة على وجود صانع حكيم قادر وفيه اشارة الى
ما قرر في الكلام من المسالك الاربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهي حدوث الجواهر
وامكانها وحدوث الاعراض القائمة بها وامكانها ايضا وفيه اشارة ايضا الى ان خلق السموات
والارض من اضافة الصفة الموصوف اي السموات المخلوقة والارض المخلوقة وما بث فيهما من دابة
يجوز عطفه على خلق بتقدير مضاف ويجوز عطفه على السموات وقدمه القاضي على الاول والدابة اسم
لكل ما دب قال الفراء اراد ما بث في الارض دون السماء كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان انما
يخرج من الملح دون العذب وقال ابو علي الفارسي تقديره وما بث في احدهما فحذف المضاف

قال زجاج هذا يدخل في هذا الملائكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الكرخي وما جوزه الزمخشري من ان يكون الملائكة مشيى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الاناسي ويخلق الله تعالى في الحيوان حيوانا يعفون فيها مشيى الاناسي على الارض بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام لان الشيء انما يكون آية اذا كان معلوما ظاهرا مكشوفا ومن ثم اهمل القاضي ذكره وهو على جمعهم اي حشرهم يوم القيامة في الضمير تغليب العاقل على غيره لانه راجع الى الدابة ولو لاه لكان يقال على جمعها اذا اي في وقت يشاء قدير والظرف متعلق بجمعهم لا بقدير فان المقيد لا يتقيد جمعه تعالى لاقدرته قال ابو البقاء لان ذلك يؤدي الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قدير اذا يشاء فتتعلق القدرة بالمشية وهو محال قال شهاب الدين والسميين ولا ادري ما وجه كونه محالا على مذهب اهل السنة فان كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشأ الله تمشى كلامه ولكنه مذهب ردي لا يجوز اعتقاده وما اصابكم من مصيبة من المصائب كائنة ما كانت فبما اي بسبب ما كسبت ايديكم من المعاصي وما هي الشرطية ولذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه وجوز الاخفش وبعض البغداديين الحذف كما في قوله وان اطعتموهم انكم لمشركون وبه قال ابو البقاء وقيل هي الموصولة فيكون الحذف والاثبات جائزين والاول اولى قال الزجاج اثبات الفاء اجود لان الفاء مجازاة جواب الشرط وفي حذف الفاء ضعف ان ما في معنى الذي والمعنى الذي اصابكم وقع بما كسبت ايديكم وعبر بالايدي لان اكثر الافعال تزاول بها وتعالج وتحصل قال الحسن المصيبة هنا الحدود على المعاصي والاولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ودخول من الاستغراقية عليها قال الضحاك ما نعلم الرجل القرآن ثم ينسيه الا بذنب ثم قرأ هذه الآية وقال اي مصيبة اعظم من نسيان القرآن قلت ويلحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها واثبار الرأي عليها ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال لا اخبركم بافضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الآية وما فسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعود بعد عفوه اخرجه احمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابو يعلى وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم قيل المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والبلاء

والغرق والصواعق وغير ذلك من الذنوب والمعاصي وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا والحق ان الآية مخصوصة بالمكلفين بالسياق والسباق وهو يعفو عن كثير اي من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها وعن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة فمعنى الآية انه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفو عن كثير من الذنوب وقد ثبتت الاحاديث الصحيحة ان جميع ما يصاب به الانسان في الدنيا يوجر عليه او يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى ان ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير ان يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا للثواب ويترك عفو بعضهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم في الدنيا بما يهلكهم الى الدار الآخرة والاولى حمل الآية على العموم والعفو يصدق على تاخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطاء به قال الواحدي وهذه ارجى آية في كتاب الله لانه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يعجل له في الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وعن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصيب عبدا نكبة فما فوقها او دونها الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقرأ وما اصابكم الآية اخرجه الترمذي وعبد بن حميد وعن عمران بن حصين انه دخل عليه بعض اصحابه وكان قد ابتلي في جسده فقال انا لنبتئس لك لما نرى فيك قال فلا تبتئس لما ترى فان ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه اكثر ثم تلا هذه الآية الى آخرها وعن معاوية بن ابي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يوذيه الا كفر الله به عنه من سيئاته اخرجه احمد وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود الا بما قدمت ايديكم وما يعفو الله اكثر اخرجه ابن مردويه وما انتم بمعجزين في الارض اي بفائتين عليه هربا في الارض ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم وما لكم من دون الله من ولي يواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله ولا نصير ينصركم من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكر سبحانه آية اخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده وصدق ما وعد به فقال ومن آياته الجوار بحذف الياء من الخط لانها من ذوات الزوائد وباثباتها وحذفها في اللفظ في كل من الوصل والوقف فوائد سبعة وهي السفن واحدتها جارية اي سائرة في البحر كالاعلام اي الجبال جمع علم وهو الجبل

قال الخليل لكل شيء مرتفع عند العرب شموخ وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم ان يشأ قرأ الجمهور بالجزم وقرئ بالاهمز يُسْكِنِ الرِّيحَ قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمعنى يسكن الريح التي تجري بها السفن فيظللن اي السفن الجواري العامة على فتح اللام التي في عين الفعل وهو القياس لان الماضي بكسرها وقرئ بكسرها وهو شاذ وقال الزمخشري من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل قال الشيخ وليس كما ذكر لان يضل بفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعني ان كلا منهما له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فانه ماضيه مكسور العين فقط وظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط افاده السمين رَوَاكِدَ اي سواكن ثوابت وقوفا يقال ركد الماء ركودا سكن وكذلك ركدت الريح وركدت السفينة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد الميزان استوى وركد القوم هدأوا والمركد الموضع التي يركد فيها الانسان وغيره عَلَى ظَهْرِهِ اي ظهر البحر لان الجري انما هو على ظهره قال ابن عباس يحركن ولا يجرين في البحر إِنَّ فِي ذَٰلِكَ الذي ذكر من امر السفينة لَآيَاتٍ دلالات عظيمة لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ اي لكل من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء فجعل الايمان نصفان نصف صبر عن المعاصي ونصف شكر وهو الاتيان بالواجبات فقال قطرب الصبار الشكور الذي اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قال عون بن عبد الله فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر أَوْ يُوبِقْهُنَّ اي يهلكهن بالغرق قاله ابن عباس والمراد اهلهن يقال او يقدر اي اهلكهن بِمَا كَسَبُوا من الذنوب وقيل بما اشركوا والاول اولى فانه يهلك في البحر المشرك وغير المشرك وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ من اهلها بالتجاوز عن ذنوبهم فينجيهم من الغرق قرأ الجمهور يعف بالجزم عطفا على جواب الشرط قال القشيري وفي هذه القراءة اشكال لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد او يهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لانه يصير المعنى ان يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو اذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم يعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى قال ابو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى لانه تعالى ان يشأ اهلاكهم اهلكهم بما اكتسبوا ويعف عن كثير منهم على طريق العفو عنهم فهو معفو عنه وقرئ بالنصب باضمار ان بعد الواو وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا قرأ الجمهور بنصب يعلم قال الزجاج على الصرف قال ومعنى الصرف صرف العطف على اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على

مصدر الفعل الذي قبله ولا يتأتى ذلك الا باضمار ان ليكون مع الفعل في تاويل اسم وكما قال الزجاج قال المبرد وابو علي الفارسي واعترض على هذا الوجه بما لا طائل تحته وقيل النصب على العطف على تعليل محذوف والتقدير ليبتقم منهم ويعلم واعترضه ابو حيان بانه ترتب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير ليبتقم منهم وقرأ نافع وابن عامر برفع يعلم على الاستيناف اي على انه جملة اسمية او فعلية فعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلا وعلى كونها اسمية يكون مبتدأ والفاعل ضمير مستتر يعود على مبتدأ مقدر اي وهو يعلم الذين وهي قراءة ظاهرة وانحة اللفظ وقرئ بالجزم عطفا على الجزم وعلى قبله على معنى وان يشأ يجمع بين الاهلاك والنجاة والتخذير ومعنى قوله ما لهم من محيص عما لهم من فرار ولا مهرب من العذاب قاله قطرب وقال السدي ما لهم من ملجأ وهو ما خوذ من قولهم حاص به البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق اي يميل عنه ثم لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التنفير عن الدنيا فقال فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا اي ما اعطيتم ايها الناس من الغناء والسعة في الرزق واثاث الدنيا فانما هو متاع قليل يتمتع بها في ايام قليلة تنقضي وتذهب وتزول ـ انما الدنيا فناء ـ ليس الدنيا بثبوت ـ انما الدنيا كبيت ـ نسجته العنكبوت ـ ثم رغبهم في ثواب الاخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال وما عند الله من ثواب الطاعات والجزاء عليها بالجنات هو خير من متاع الدنيا وابقى لانه دائم لا ينقطع ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ثم بين سبحانه لمن هذا فقال للذين امنوا اي صدقوا وعملوا على ما يوجبه الايمان وعلى ربهم لا على غيره يتوكلون اي يفوضون اليه امورهم ويعتمدون عليه في كل شيء منهم قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق بجميع ماله واسلامه الناس والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الموصول في محل جر معطوف على الذين امنوا او بدل منه او في محل نصب على اضمار اعني والاول اولى والمراد الكبائر من الذنوب وقد قدمنا تحقيقها في سورة النساء وقرأ الجمهور كبائر بالجمع وقرئ كبير بالافراد وهو يفيد مفاد كبائر لان الاضافة للجنس كاللام والرسم الكريم يحتمل القراءتين والفواحش هي من الكبائر ولكنها مع وصفها فاحشة كانها في قبحها وذمها كالقتل والزنا ونحو ذلك وقال مقاتل الفواحش موجبات الحدود وقال السدي هي الزنا فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل اذ الكبائر قد لا توجب الحد

كالغيبة والبهتان اما غضبوا هم يغفرون اي يتجاوزون عن الذنب الذي اغضبهم ويكظمون الغيظ ويحلمون على من ظلمهم وخص الغضب بالغفران لان استيلاءه على طبع الانسان وغلبته عليه شديدة فلا يغفره عند سورة الغضب الا من شرح الله صدره وخصه بمزيد الحلم وهذا اثنى الله سبحانه عليهم بقوله في آل عمران والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنفا يعفون عن ظلمهم قبل ان ذكرهم وصنفا ينتصرون من ظالمهم وهم الذين سيأتي ذكرهم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة اي اجابوه الى ما دعاهم اليه واقاموها اوجبه عليهم من فريضة الصلوة قال ابن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين انفذ اليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل الهجرة واقاموا الصلوة لمواقيتها بشروطها وهيأتها قاله القرطبي ونحوه في البيضاوي وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا ينفردون بالرأي والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى قال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد النقباء اليهم حين اجتمع رأيهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة له وقيل المراد تشاورهم في كل امر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأي قال ابن العربي الشورى الفة للجماعة وسياسة للعقول وسبب الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا وامدح الله تعالى المشاورة في الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وما احسن ما قاله بشار بن برد اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح او نصيحة حازم ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فرئيس القوم في فوق السهام وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه في اموره وامره الله سبحانه بذلك فقال وشاورهم في الامر وذلك في الاراء كثير ولم يكن يشاورهم في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فاما الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم فكانوا يتشاورون في الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة واول ما تشاوروا فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها وتشاوروا في اهل الردة فاستقر رأي ابي بكر على القتال وشاور عمر رضي الله عنه الهرمزان حين وفد عليه وقد مضى في آل عمران كلام في الشورى ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير ويتصدقون به على الخلايق ثم ذكر سبحانه الطائفة التي تنتصر ممن ظلمها فقال والذين اذا اصابهم البغي اي بغي من بغى عليهم بغير الحق هم ينتصرون اي ينتقمون من ظالمهم من غير تعد ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح

كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح لان التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فالانتصار عند البغي فضيلة كما ان العفو عند الغضب فضيلة قال ابن العربي ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما رافعا للآخر او يكون ذلك راجعا الى حالتين احداهما ان يكون الباغي معلنا بالبغي مؤديا للصغير والكبير فيكون الانتقام منه افضل الثانية ان يقع ذلك ممن لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو ههنا افضل وهكذا ذكر الكيا الطبري في احكامه وقال النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم السفهاء والفساق لكن هذا الانتصار مشروط بالاقتصار على ما جعله الله له وصدا مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فبين سبحانه ان العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة وظاهر هذا العموم وقال مقاتل والشافعي وابو حنيفة وسفيان ان هذا خاص بالمجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال شخص اخزاك الله يقول اخزاك الله من غير ان يعتدي واذا انتصر فقد استوفى ظلامته وبرئ الاول من حقه وبقي عليه اثم الابتداء والاثم لحق الله تعالى وتسمية الجزاء سيئة اما لكونها تسوء من وقعت عليه او على طريق المشاكلة للتشابههما في الصورة اخرج النسائي وابن ماجة وابن مردويه عن عائشة قالت دخلت علي زينب وعندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت علي فسبتني فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال لي سبيها فسببتها حتى جف ريقها في فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سرورا واخرج احمد ومسلم وابو داود والترمذي وابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم ثم قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى الفاء للتفريع اي اذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة وهي عسرة جدا فالاولى العفو والاصلاح اذا كان قابلا للاصلاح فلا يرد انه غالبا قوله الحلم على العاجز محمود وعلى المستغلب مذموم والمعنى من عفى عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه فأجره على الله اي يأجره على ذلك لا محالة والاجر الاجر تعظيما لشأنه وتنبيها على جلالته قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة وقد رغبنا هذا في سورة آل عمران والمقصود من الآية الترغيب على العفو فذكر التوفيق بينه وبين الانتصار اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم

القيامة نادى مناد يا ايها الذين كان لهم على الله اجر فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وذلك قوله فمن عفى الآية واخرج البيهقي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد من كان له اجر على الله فليدخل الجنة مرتين فيقوم من عفى عن اخيه قال الله تعالى فمن عفى لآية ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محجته التي هي سبب الفوز والنجاة فقال إنه لا يحب الظالمين يعني من يبدأ بالظلم قاله مقاتل وبه قال سعيد بن جبير وقيل لا يحب من يتعدى في الانتصاص ويجاوز الحد في المجازاة ظلم ولمن انتصر بعد ظلمه مصدر مضاف الى المفعول اي بعد ان ظلمه الظالم واللام هي لام الابتداء وقال الحوفي وابن عطية هي لام القسم وليس بجيد بل الاول اولى ومن هي الشرطية وجوابه فأولئك ما عليهم من سبيل بمؤاخذة وعقوبة لانهم فعلوا ما هو جائز لهم وقيل من موصولة والاول اولى وفي القرطبي الآية دليل على ان له ان يستوفي ذلك بنفسه وهذا ينقسم ثلثة اقسام وذكرها في حاشية الجمل لانطول ببسطها فمحلها كتب الفقه دون التفاسير ولما نفى سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال إنما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الاكثر وقال ابن جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الأرض اي يعملون في النفوس والاموال بغير الحق كذا قال الاكثر قيد به لان البغي قد يكون محقا بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه وقال مقاتل يغيرهم عملهم بالمعاصي وقيل يتكبرون ويتجبرون وقال ابو مالك هو ما يرجوه اهل مكة ان يكون بمكة غير الاسلام دينا أولئك اي الذين يظلمون الناس لهم بهذا السبب عذاب أليم شديد الالم ثم رغب سبحانه في الصبر والعفو فقال ولمن صبر وغفر كرره اهتماما بالصبر وترغيبا فيه والصبر هنا هو الاصلاح المتقدم فاعبد هنا وعبر عنه بالصبر لانه من شان اولي العزم واشارة الى ان العفو المحمود ما نشأ عن التحمل لا عن العجز والعنز ومن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه لوجه الله ولم ينتصر وهذا فيمن ظلم مسلما ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رض فكان المسبوب يكظم ويعرض فمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذا ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجح ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الكف زيادة البغي وقطع مادة الاذى إن ذلك الصبر والمغفرة منه وحذف الراجح لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم لمن عزم الأمور قال مقاتل اي من الامور التي امر الله بها ولذا ايها

ع ٤

او مما ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه قال ابو سعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه بصبيه ولم يجزع اورثه الله تعالى حال الرضاء وهو اجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكى وكله الله تعالى الى نفسه فلم تنفعه شكواه وقال الزجاج الصابر يوفى بصبره ثوابا فالرغبة في الثواب اتم عزما قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وانه خاص بالمشركين وقال قتادة انه عام وهو ظاهر النظم القرآني وقال هنا بلام التوكيد وفي لقمان بدونها لان الصبر على مكروه حدث بظلم اكثر من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم كموت ولد ونحو ذلك والعزم على الاول اكد منه على الثاني وهاهنا من القبيل الاول فكان انسب بالتوكيد وما في لقمان من القبيل الثاني فكان انسب بعدمه افاده الكرخي وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ اي يخذله فما له مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ اي فما له من احد يلي هدايته وينصره وظاهر الآية العموم وقيل هي خاصة بمن اعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بما دعاه اليه من الايمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القربى اي فمن اضله الله عن هذا الاشياء فلا يهديه هذا جملة القرطبي والاول اولى وترى الخطاب لكل من تاتى منه الرؤية والرؤية فيهما بصرية والجملة الواقعة بعد كل منهما حالية الظَّالِمِينَ اي المشركين المكذبين بالبعث لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ اي حين نظروا النار وقيل نظروا ما اعد الله لهم عند الموت واختير لفظ الماضي للتحقيق يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ اي هل الى الرجعة الى الدنيا من طريق وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا اي على النار خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ اي ساكنين متواضعين من جملة يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ اي ذليل قاله ابن عباس ومن هي لابتداء الغاية اي يبتدي نظرهم الى النار ويجوز ان تكون تبعيضية وقال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف ضعيف من الذل والخوف وبه قال الاخفش والطرف الخفي الذي يخفي نظره كالمصبور ينظر الى السيف لما لحقهم من الذل والخوف والوجل قال مجاهد وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف خفي وقال قتادة وسعيد بن جبير والسدي والقرظي ومحمد بن كعب يسارقون النظر الى النار من شدة الخوف وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ اي ان الكاملين في الخسران هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الانفس والاهلين بتخليدهم في النار يَوْمَ الْقِيَامَةِ اما ظرف الخسران فالقول في الدنيا او لقال فالقول في القيامة

ويكون عبرة عنه بالماضي للدلالة على تحقق وقوعه قاله ابو السعود واما خسرانهم لانفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها واما خسرانهم لاهليهم فلانهم ان كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم وان كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو امنوا كان لهم في الجنة اهل من الحور العين اَلَآ اِنَّ الظّٰلِمِيْنَ فِيْ عَذَابٍ مُّقِيْمٍ هذا من تمام كلام المؤمن او من كلام الله سبحانه اي هم في عذاب دائم لا ينقطع وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ اَوْلِيَآءَ يَنْصُرُوْنَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اي لم يكن لهم اعوان يدفعون عنهم العذاب او انصار ينصرونهم في ذلك الموطن من دون الله بل هو المتصرف سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهٗ مِنْ سَبِيْلٍ اي من طريق يسلكها الى النجاة ثم امر سبحانه عباده بالاستجابة وحذرهم فقال اِسْتَجِيْبُوْا لِرَبِّكُمْ اي استجيبوا دعوته لكم الى الايمان به وبكتبه ورسله مِّنْ قَبْلِ اَنْ يَّاْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهٗ مِنَ اللّٰهِ اي لا يقدر احد على رده ودفعه على معنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد ولا يرده الله بعد ان حكم به على عباده ووعدهم به والمراد به يوم القيامة او يوم الموت مَا لَكُمْ مِّنْ مَّلْجَاٍ يَّوْمَئِذٍ تلجاون اليه وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيْرٍ اي انكار يعني بل تعترفون بذنوبكم لانها مدونة في صحائفكم وتشهد بها عليكم جوارحكم وقال مجاهد ما لكم من ناصر ينصركم وقيل النكير بمعنى المنكر كاليم بمعنى المولم اي لا تجدون يومئذ منكرا لما يترل بكم من العذاب حكاه ابن ابي حاتم وقاله الكلبي وغيره والاول اولى قال الزجاج معناه انهم لا يقدرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها فَاِنْ اَعْرَضُوْا فَمَآ اَرْسَلْنٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا اي حافظا تحفظ اعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلا بهم رقيبا عليهم لتقهرهم على امتثال ما ارسلناك به اِنْ اي ما عَلَيْكَ اِلَّا الْبَلٰغُ امرت بابلاغه وليس عليك غير ذلك وهذا منسوخ بآية السيف لانه قبل الامر بالجهاد وَاِنَّآ اِذَآ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً اي اذا اعطيناه رخاء وصحة وفرحا بها بطرا وبعض الدنيا وان كانت عظيمة لا انها بالنسبة الى سعادة الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر ولهذا سمي الانعام اذاقة والمراد بالانسان الجنس ولهذا قال وَاِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ اي بلاء وشدة ومرض وفقر بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيْهِمْ من الذنوب وعبر بالايدي لان اكثر الافعال تزاول بها فَاِنَّ الْاِنْسَانَ كَفُوْرٌ اي كثير الكفران فمهما يصيبه من نعمه غير شكور له عليها وهذا باعتبار غالب جنس الانسان ولم يقل فانه كفور بل وضع الظاهر موضع المضمر ليشعر بعلة ان هذا الجنس موسوم

بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويفعليها ثم ذكر
سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال لله ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما بما يريد
لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع والملك بالضم الاستيلاء على الشيء والتمكن من التصرف فيه وفي الصحاح
وملك على الناس امرهم ملكا من باب ضرب اذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم يخلق
ما يشاء من الخلق يهب لمن يشاء اناثا بدل مفصل من مجمل اي لا ذكور معهن قاله مجاهد والحسن
والضحاك وابو مالك وابو عبيدة وقال ابن عباس يريد لوطا وشعيبا لانهما لم يكن لهما الا البنات ويهب
لمن يشاء الذكور اي لا اناث معهم يريد ابراهيم لانه لم يكن له الا الذكور قاله ابن عباس قيل وانما عرف
الذكور بالالف واللام للدلالة على شرفهم على الاناث ويمكن ان يقال ان التقديم للاناث قد عارض ذلك
فلا دلالة في الآية على الفاضلة بل هي مسوقة لمعنى آخر وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله وغير ذلك من الادلة الدالة على شرف الذكور على الاناث وقيل تقديم الاناث
للتزهين بالنسبة الى المذكور وقيل لتطييب قلوب آبائهن وقيل لغير ذلك مما لا حاجة الى التطويل بذكره
اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بركة المرأة استكارها بالانثى
لان الله قال يهب لمن يشاء اناثا الخ او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يقرن بين الاناث والذكور ويجعلهم
ازواجا فيهبهما جميعا لبعض خلقه يريد محمد صلى الله عليه وآله كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم
وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة قاله ابن عباس قال مجاهد
هو ان تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد
توأما غلاما وجارية وقال القتيبي التزويج هنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت الابل
اذا جمعت بين الصغار والكبار ومعنى الآية اوضح من ان يختلف في مثله فانه سبحانه اخبر انه يهب لبعض
خلقه اناثا ويهب لبعض خلقه ذكورا ويجمع لبعض بين الذكور والاناث ويجعل من يشاء عقيما
لا يولد له ذكر ولا انثى والعقيم الذي لا ولد له يريد يحيى وعيسى قاله ابن عباس وقال اكثر المفسرين
هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء
كيف يشاء فلا معنى للتخصيص يقال رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة تعقم عقما واصله القطع ويقال
نساء عقم وعقام وعقام انه عليم قدير يرى اي بليغ العلم عظيم القدرة وما كان لبشر اي ما صح لفرد

من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا بان يوحي اليه فيلهمه في المنام ويقذف في قلبه ذلك قال مجاهد نفث في قلبه فيكون الهاما منه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم في ذبح ولده والوحي الاشارة والرسالة والكتابة وكل ما القيته الى غيرك ليعلمه وحي كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحى اليه يحي من باب دعى واوحى اليه بالالف مثله ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقى الى الانبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية اوحى بالالف او من وراء حجاب كما كلم موسى يريد ان كلامه يسمع من حيث لا يرى وهو تمثيل بحال الملك المحجب الذي يكلم خواصه من وراء حجاب قال ابن عباس في الآية الا ان يبعث ملكا يوحي اليه من عنده او يلهمه فيقذف في قلبه او يكلمه من وراء حجاب وقيل المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا او يرسل رسولا اي ملكا يقرب ذلك الملك الى الرسول من البشر باذنه اي بامر الله وتيسيره ما يشاء ان يوحي اليه قال الزجاج المعنى ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى او برسالة ملك اليهم وتقدير الكلام ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي وحيا او يكلمه من وراء حجاب او يرسل رسولا ومن قرأ يرسل رفعا اراد وهو يرسل فهو ابتداء واستيناف انتهى وقرأ الجمهور بنصب يرسل وينصب فيوحي على تقدير يلهمه ويكون ان وما دخلت عليه معطوفين على وحيا ودحيا في محل الحال والتقدير الا موحيا او مرسلا ولا يصح عطف ويرسل على ان يوحي لانه يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا وهو مرسل لفظا ومعنى وقد قيل في توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف وقرئ بالرفع وكذلك فيوحي باسكان الياء على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير وهو يرسل كما قال الزجاج وغيره وجملة انه علي حكيم تعليل لما قبلها اي متعال عن صفات النقص حكيم في كل احكامه قال المفسرون سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا يكلم الله ونتظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى فنزلت وكذلك اي كالوحي الذي اوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا اليك روحا من امرنا المراد به القرآن قاله ابن عباس وقيل النبوة قال مقاتل يعني الوحي بامرنا ومعناه القرآن لانه يهتدى به ففيه حياة من الكفر وقيل رحمة وقيل جبريل ومن تبعيضية لان الموحى اليه لا ينحصر في القرآن ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل ان يوحي اليه فقال ما كنت تدري ما الكتاب اي اي شيء هو لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك ادخل في الاعجاز وادل على صحة نبوته ومعنى ولا الايمان انه كان صلى الله عليه وسلم لا يعرف

تفاصيل الشرائع ومعالمها ولا يهتدي الى معانيها كالصلوة والصوم والزكوة والحنان وايقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر وهذا هو الحق وخص الايمان لانه راسها واساسها وقيل اراد بالايمان هنا الصلوة قال بهذا جماعة من اهل العلم منهم امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة واحتج بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني الصلوة فسماها ايمانا وذهب جماعة الى ان الله لم يمت نبيا الا وقد كان مؤمنا به وقالوا معنى الاية ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرء القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقيل كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفي المهد وقال الحسين بن الفضل انه على حذف المضاف اي ولا اهل الايمان وقيل المراد بالايمان دين الاسلام وقيل الايمان هنا عبارة عن الاوامر لكل ما كلف الله به العباد وقال الكواشي ويجوز ان يراد بالايمان نفس الكتاب وهو القران وعطف عليه لاختلاف لفظيهما اي ما كنت تعرف القران وما فيه من الاحكام ويدل على هذا التاويل توحيد الضمير في جعلناه وقيل المراد بالايمان الكلمة التي بها دعوة الايمان والتوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله والايمان بهذا التفسير انما علمه بالوحي لا بالعقل قاله الكرخي وعن علي قال قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القران وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا اي جعلنا الروح الذي اوحيناه اليك ضياء ودليلا على التوحيد والايمان نهدي به المراد به الهداية الموصلة بدليل قوله من نشاء من هدايته من عبادنا ومرشدة الى الدين الحق وانك لتهدي اي كل مكلف فالهداية فيه اعم من التي قبلها قرا الجمهور لتهدي على البناء للفاعل وقرى على البناء للمفعول وقرئ بضم التاء وكسر الدال من اهدى وفي قراءة ابي وانك لتدعو الى صراط مستقيم قال قتادة والسدي ومقاتل وانك لتدعو الى الاسلام فهو الصراط المستقيم ثم بين الصراط المستقيم بقوله صراط الله بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة وفي هذه الاضافة للصراط الى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشانه ما لا يخفى الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وعبيدا والمعنى انه المالك لذلك والمتصرف فيه الا الى الله تصير الامور ترجع الامور يوم القيامة لا الى غيره اي جميع امور الخلائق بارتفاع الوسائط والتعلقات وعلى هذا المضارع على ظاهره وقيل المراد بهذا المضارع الدعوة كقولك زيد يعطي ويمنع اي

ع ١٠ ٥

من شأنه ذلك وليس المراد حقيقة المستقبل لان الامور منوطة به تعالى كل وقت وفيه وعيد بالبعث للستار للمجازاة ووصف بنعيم الجنان فيشمل المحسن ويعاقب المسيء قال سهيل بن الجعد احترق مصحف ولم يبق منه الا قوله الا الله تصير الامور وغرق مصحف فمحى كله الا قوله تبارك والله اعلم ذكره القرطبي

سورة الزخرف وهي تسع وثمانون آية

قال القرطبي هي مكية بالاجماع وبه قال ابن عباس قال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا يعني فانها نزلت بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام ههنا كالكلام الذي قدمناه والله اعلم بمراده به والكتاب المبين اقسم بالقرآن الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين الواضح للمتدبرين وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاده بما فيها من الدلالة على المقسم عليه وجواب القسم إنا جعلناه قرآنا عربيا وهذا عند من البلاغة وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد ان اريد بالكتاب القرآن وان اريد به جنس الكتب المنزلة لم يكن من ذلك والضمير في جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني يعود على القرآن وان لم يصرح بذكره والجعل ههنا تصيير ولا يلتفت لخطأ الزمخشري في تجويزه ان يكون بمعنى خلقناه والمعنى سميناه وصيرناه ووصفناه ولذلك تعدى الى مفعولين وقال السدي اي انزلناه قرآنا وقال مجاهد قلناه وقال سفيان الثوري بيناه وكذا قال الزجاج اي انزل بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان قومه وقال مقاتل لان لسان اهل الجنة عربي لعلكم تعقلون اي لكي تفهموه وتتعقلوا معانيه وقيل بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون وإنه اي وان القرآن في أم الكتاب لدينا اي عند نا لعلي حكيم اخبر عن منزلته وشرفه وفضله اي ان كذبتم يا اهل مكة فانه عندنا شريف رفيع القدر محكم النظم في اعلى طبقات البلاغة وذو جزالة الفصاحة لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخلة تحت معنى القسم وصيانة

مقرر قبلها قال الزجاج ام الكتاب اصل الكتاب واصل كل شيء امه والقرآن منسوخ عند المحفوظ اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال ابن جريج المراد بقوله وانه اعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية عن ابن عباس قال ان اول ما خلق الله من شيء القلم وامره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة عنده ثم قرأ هذه الآية واخرج ابن مردويه نحوه عن انس مرفوعا أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا يقال ضربت عنه واضربت عنه اذا تركته وامسكت عنه كذا قال الفراء والزجاج وغيرهما وانتصاب صفحا على المصدرية او على الحال اي صافحين والصفح مصدر قولهم صفحت عنه اذا اعرضت عنه وذلك انك تولية صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر هنا القرآن والاستفهام للانكار والتوبيخ قال الكسائي المعنى افنضرب عنكم الذكر طيا فلا تؤمرون ولا تنهون وقال مجاهد وابو صالح والسدي افنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على اسرافكم وكفركم وقال قتادة المعنى افنهملكم ولا نأمركم ولا ننهاكم وروي عنه انه قال المعنى افنمسك عن انزال القرآن من قبل انكم لا تؤمنون به وقيل الذكر التذكير كانه قال انترك تذكيركم ان كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ قرئ ان بالكسر على انها الشرطية والجزاء محذوف للالة ما قبله عليه وبفتحها على التعليل اي لان كنتم قوما منهمكين في الاسراف مصرين عليه مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة قال ابن عباس في الآية لحبتم ان نصفح عنكم ولم تفعلوا ما امرتم به ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم فقال وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ كم هي الخبرية التي معناه التكثير والمعنى ما اكثر ما ارسلنا من الانبياء في الامم السابقة وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كاستهزاء قومك بك فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا اي من هؤلاء القوم بطشا اي قوة تمييزا وحالا اي باطشين والاول احسن والبطش شدة الاخذ وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل لشهرتها وقال قتادة عقوبتهم وقيل صفتهم في الاهلاك والمثل الوصف والخبر وفي هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد شديد لهم لانه يتضمن ان الاولين اهلكوا بتكذيب الرسل وهؤلاء ان استمروا على تكذيبك والكفر بما جئت به هلكوا مثلهم وَلَئِنْ لام قسم سَأَلْتَهُمْ اي هؤلاء الكفار من قومك مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ اي هذه الاجرام العلوية والسفلية لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ جواب القسم لاجواب الشرط وهذا

على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر منهما وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين وكرر الفصل للتوكيد اذ لولا هاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا والمعنى اقروا بان الله خالقهن ولم ينكروا ذلك وهذا اسوء حالهم واشد لعقوبتهم لانهم جعلوا بعض مخلوقات الله وجعلوه شريكا له بل عمدوا الى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات يعني الاصنام فجعلوها شركاء لله ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم نعمته على عباده وكمال قدرته في مخلوقاته فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي فراشا كالمهد الصبي ولو شاء لجعلها مزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية فالانتفاع بها انما حصل لكونها مسطحة قارة ساكنة وقد تقدم بيانه قرأ الجمهور مهادا وقرأ الكوفيون مهدا وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله ولو كان متصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا الذي جعل لنا الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكونها الى حيث تريدون ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك وقيل معايش تعيشون بها لعلكم تهتدون بسلوكها الى مقاصدكم ومنافعكم في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زراعتكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق ولا دونها حتى تحتاجوا الى الزيادة وعلى حسب ما تقتضيه مشيته في ارزاق عباده بالتوسيع تارة والتقتير اخرى فانشرنا به بلدة ميتا اي احيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات وفيه التفات قرأ الجمهور ميتا بالتخفيف وقرئ بالتشديد كذلك اي مثل ذلك الاحياء للارض باخراج نباتها بعد ان كانت لا نبات بها تخرجون اي تبعثون من قبوركم احياء فان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى بيان هذا في آل عمران والاعراف قرأ الجمهور تخرجون مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والذي خلق الازواج كلها اي الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود قال سعيد بن جبير الاصناف كلها وقال الحسن الازواج الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والارض والجنة والنار وقيل ازواج الحيوان من ذكر وانثى وقيل ازواج النبات كقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم وهذا القول يعم الاقوال ويضمها

بعمومه وقيل الاول اولى قال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو لموجد كالفوق والتحت والربيع والخريف واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والمثل والمقابل والمعاضد وجعل لكم من الفلك السفن والانعام ما تركبون اي ما تركبونه في البحور والمراد بالانعام هنا ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله في سورة النحل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فخص في الانعام هنا تغليبا اذ الانعام هي الابل والبقر والغنم قال الشوكاني المراد بالانعام ههنا الابل خاصة وقيل الابل والبقر والاول اولى انتهى لتستووا اللام لام العلة وهو الظاهر او للصيرورة وجوز ابن عطية ان تكون لام الامر وفيه بعد لقلة دخولها على امر المخاطب على ظهوره الضمير راجع الى ما قاله ابو عبيدة وقال الفراء اضاف الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجمع الظهر لان المراد ظهور هذا الجنس الاستواء الاستعلاء اي لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اي التي انعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر اذا استويتم عليه اي على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما ايضا قال مقاتل والكلبي هو ان تقول الحمد لله الذي رزقني هذا وحملني عليه وتقولوا اي بالسنتكم جمعا بين القلب واللسان سبحان الذي سخر لنا هذا وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه سبحان من سخر لنا هذا وقال قتادة قد علمكم كيف تقولون اذا ركبتم والمعنى ذللها لنا هذا المركب الذي ركبناه سفينة كان او دابة قاله الخطيب وصرح غيره بانه خاص بالدابة واما السفينة فيقول فيها بسم الله مجريها ومرساها ويؤيده وما كنا له مقرنين فان الامتناع والتعاصي والتوحش لو لا تسخير الله وازالته انما يتاتى في الدواب واما السفن فهي من عمل ابن آدم فليس لها امتناع بقوتها كامتناع الدابة قال ابن عباس والكلبي مقرنين مطيقين يقال انا قرن هذا البعير اذا اطاقه وقال الاخفش وابو عبيدة مقرنين ضابطين يقال فلان مقرن لفلان اي ضابط له وقيل مماثلين له في القوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون اليه وهذا تمام ما يقال عند ركوب الدابة او السفينة وفيه اشارة الى الرد عليهم في انكار البعث اخرج مسلم وابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان اخاسافر ركب راحلته ثم كبر ثلثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يمضي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الله وفيهم رجل على ناقة لا تحمل هزالا فقال اني مقرن لهذا فسقط لوثبتها واندقت عنقه وينبغي ان لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتامل عند انه هالك لا محالة وينقلب الى الله غير منفلت من قضائه قال القرطبي علمنا سبحانه وتعالى ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا في اية اخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول اذا ركبنا السفن فكم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق فلما كان الركوب بمباشرة امر محوف واتصالا بسبب من اسباب التلف اعلمنا ان لا ينسى عند اتصاله به موته ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعد القضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه وقال ابن العربي ليس بواجب ذكره باللسان بل يستحب وانما الواجب اعتقاده بالقلب والاول اول والجمع افضل ثم رجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وجعلوا له اي بعد ذلك الاعتراف كما قاله القاضي او معه كذا في الكشاف والجملة حالية والجعل تصيير قولي اي حكموا واثبتوا له او معنى سموا واعتقدوا من عبادة جزءا اي ولدا وسماه جزء دلالة على استحالته على الواحد في ذاته لان المركب لا يكون واحد الذات قال قتادة جزء اي عدلا يعبد من دون الله وقال الزجاج والمبرد الجزء هنا البنات والجزء عند اهل العربية البنات يقال قد اجزأت المرأة اذا ولدت البنات وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير وصرح بانه مكذوب على العرب ويجاب عنه بانه قد رواه الزجاج والمبرد وهما امامان اللغة العربية وحافظاها ومن اليهما المنتهى في معرفتها ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سياتي من قوله ام اتخذ مما يخلق بنات وقوله اذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل المراد بالجزء هنا الملائكة فانهم جعلوهم اولاد الله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الازهري ومعنى الاية انهم جعلوا لله من عباده نصيبا كما جعلوا نصيب الله من الولد ان الانسان الفاظ ما تقدم لكفور مبين اي ظاهر الكفران مبالغ فيه قيل المراد بالانسان هنا الكافر فانه الذي يجحد نعم الله عليه بجعل ما ابتدعه له الى الشيطان ما يضاف بنات هذا استفهام تقريع وتوبيخ وادخ

هي المنقطعة وقد رها بعضهم ببل التي للانتقال وبعضهم بهما وكل صحيح لان فيها مذاهب ثلاثة كما نقله ابو حيان والمعنى اتقولون اتخذ ربكم لنفسه البنات وَأَصْفَاكُمْ اخلصكم وخصكم بالبنين فجعل لنفسه الفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما يقال اصفيته بكذا اي اثرته به واصفيته الود اخلصته له ومثل هذه الآية قوله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وهذه الجملة معطوفة على اتخذ داخلة معها تحت الانكار تقرر في تقريعهم وتوبيخهم فقال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ استيناف او حال بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا اي بما جعله للرحمن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات والالتفات الى الغيبة للايذان بان قبائحهم اقتضت ان يعرض عنهم ونحكي لغيرهم ليتعجب منها والمثل بمعنى الشبه اي المشابه لا بمعنى الصفة الغريبة العجيبة والمعنى اذا بشر احدهم بانها ولدت له بنت اغتم لذلك وظهر عليه اثره وهو معنى قوله ظَلَّ اي صار وَجْهُهُ مُسْوَدًّا بسبب حدوث الانثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرا مكانها وَهُوَ كَظِيمٌ اي والحال انه شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه قال قتادة حزين وقال عكرمة مكروب وقيل ساكت ثم زاد في توبيخهم وتقريعهم فقال أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ النشو التربية والحلية الزينة ومن عبارة عن الانثى اي يجعلون لله الانثى التي تتربى في الزينة لنقصها اذ لو كملت في نفسها لما كملت بالزينة قرأ الجمهور ينشأ بفتح الياء واسكان النون وقرأ ابن عباس والضحاك وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين واختار القراءة الاولى ابو حاتم واختار الثانية ابو عبيد وقال الهروي المفعل على القراءة الاولى لازم وعلى الثانية متعد والمعنى يربى ويكبر في الحلية وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ اي عاجز عن ان يقوم بامر نفسه واذا خوصم لا يقدر على اقامة حجته وتقرير دعواه ودفع ما يجادل به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعدها في الجار المتقدم عليها لانها بمعنى النفي قال المبرد تقدير الآية ويجعلون لله من ينبت في الزينة واذا احتاج الى مجاراة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان وفيه انه جعل النشأة في الزينة من المعائب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ولا يتزين بلباس النقوى قال قتادة قلما تكلم امرأة بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وقال ابن زيد والضحاك الذي ينشأ في الحلية اصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة قال ابن عباس في الآية هو النساء فرق بين زيهن وزي الرجال ونقصهن من الميراث وبالشهادة وامرهن بالقعود وسماهن الشيطان

وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول
جعلت زيدا افضل الناس اي قلت ذلك وحكمت له به اي سموهم وحكموا وقالوا انهم اناث وجعلوا
في كفرهم ثلث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوا ملائكته
المكرمين اناثا فاستخفوا قرأ الجمهور عباد بالجمع وبها قرأ ابن عباس وقرأ الباقون عند بنون ساكنة
واختار الاولى ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلى ولان الله انما اكذبهم في قولهم انهم بنات الله فاخبر هم
بانهم عباده قال النسفي وهو الزم في الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولادة انتهى وتؤيد
هذه القراءة قوله بل عباد مكرمون واختار ابو حاتم الثانية قال وتصديق هذه القراءة قوله الذين
عند ربك عن سعيد بن جبير قال اقرأ هذا الحرف الذين هم عند الرحمن اناثا فسألت ابن عباس
فقال عباد الرحمن قلت فانها في مصحفي قال فامحها واكتبها عباد الرحمن نحر وبخمسر وفرعصفر قال اشهدوا
خلقهم اي احضروا خلق الله اياهم فهو من الشهادة التي هي الحضور وفي هذا تهكم بهم وتجهيل لهم قرأ
الجمهور ستكتب شهادتهم بضم الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ بالنون وبناء
الفعل للفاعل ونصب شهادتهم وقرئ شهاداتهم بالجمع والمعنى سنكتب هذه الشهادة التي شهدوا
بها في ديوان اعمالهم لنجازيهم على ذلك قال البقاعي يجوز ان يكون في السين استعطاف الى التوبة قبل
كتابة ما قالوا والاعلم لهم به ويسألون عنها يوم القيامة والاخرة وهذا وعيد قال سليمان الجمل
وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم العظيم انتهى وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم هذا فن الحزن فنون كفرهم بالله جاؤا به للاستهزاء والسخرية ومعناه لو
شاء الرحمن في زعمكم عدم عبادة الملائكة ما عبدنا هذه الملائكة فاستدلوا بمشيئة عدم العبادة
على امتناع الشيء عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض ما موا
كان او منهيا حسنا كان او غيره وبالجملة هذا الكلام حق يراد به باطل وقد مضى بيانه في الانعام وتعلقت
المعتزلة بظاهر هذه الاية في ان الله لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله
شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام فرد الله عليهم قولهم واعتقادهم وبين جهلهم
بقوله ما لهم بذلك اي بما قالوه من ان الله لو شاء عدم عبادتهم للملائكة ما عبدوهم من علم
بل تكلموا بذلك جهلا وارادوا بما صورته صورة الحق باطلا وزعموا انه اذا شاء فقد رضي وقيل

الاشارة بذلك الى قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن جريج اي ما لهم بعبادة الاوثان من علم ثم بين انتفاء علمهم بقوله ان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون فيما قالوا ويتحملون تحملا باطلا قال هنا يخرصون وفي الجاثية يظنون لان هذا كذب فناسبه الخرص وما هناك صدق مخلوط بالكذب فناسبه الظن ام آتيناهم كتابا من قبله ام هي المنقطعة بمعنى همزة الاستفهام الانكاري اي بل اعطيناهم كتابا من قبل القرآن بما ادعوه او من قبل قولهم هذا بان يعبد واغير الله وقيل ان الضمير في من قبله يعود الى ادعائهم اي ام آتيناهم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه والاول اولى اوام معادلة لقوله اشهدوا فتكون متصلة والمعنى احضروا ام آتيناهم كتابا الخ والاول ارجح واولى كما افاده الشهاب فهم به مستمسكون يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلون لهم دليلا تزيين سبحانه انه لا حجة بايديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اي على طريقة ومذهب قال ابو عبيدة هي الطريقة والدين وبه قال ابن عباس وقتادة وعمرة قال الجوهري والامة الطريقة والدين يقال فلان لا امة له ولا نحلة اي لا دين له وقال الفراء وقطرب على قبلة وقال الاخفش على استقامة قرأ الجمهور امة بالضم وقرئ بكسرها قال الجوهري الامة بالكسر النعمة والامة ايضا الغة في الامة وانا ماشون على آثارهم مهتدون بهم وكانوا يعبدون غير الله اعترفوا بانه لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع والبيان سوى تقليد آبائهم قال الخازن جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة انتهى وعبارة ابي السعود ولم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بانه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم انتهى وقال هنا مهتدون وفيما بعد مقتدون لان الاول وقع في محاجتهم النبي صلى الله عليه وسلم وادعائهم ان آباءهم كانوا مهتدين وانهم مهتدون كآبائهم فناسبه مهتدون والثاني وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسبه مقتدون افاده الكرخي ثم اخبر سبحانه ان غير هؤلاء الكفار قد سبقهم الى هذه المقالة وقال بها فقال وكذلك اي الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك

دال على ان التقليد فيما بينهم متسلسل قد بمر ليس لاسلافهم ايضا مستند غيره قاله ابو السعود و المترفون الاغنياء والرؤساء والمتنعمون جمع مترف اسم مفعول ترف كفرح تنعم والترفه النعمة الطفته قال الاكثرون هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان من تقلدهم ايضا لم يكن لهم مستند منظور اليه وتخصيص المترفين الاشعار بان التنعم هو الذي اوجب البطر وصرفهم عن النظر الى التقليد انتهى والامة هي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد ومقتدون اي متبعون قاله قتادة قال النسفي وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الاباء داء قديم انتهى قال الرازي في تفسيره ولو لم يكن في كتاب الله الا هذه الآية لكفت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في اثبات ما ذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ثم بين انهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الاباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتجهيل وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه ايضا من حيث العقل ان التقليد امر مشترك فيه بين المبطل وبين المحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم اقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل وانه تعالى بين ان الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا مترفوها والمترفون هم الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق انتهى ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم فقال قال اَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِاَهْدٰى مِمَّا وَجَدْتُّمْ عَلَيْهِ اٰبَآءَكُمْ اي اتتبعون اباءكم وتقلدونهم ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم قال الزجاج المعنى قل لهم اتتبعون ما وجدتم عليه اباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وان جئتكم باهدى منه قرأ الجمهور قل وقرئ قال وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم اي قال كل منذر من اولئك المنذرين لامته وقيل ان كلا القراءتين حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم اي قال كل منذر من اولئك المنذرين لامته المقلدين كأنه قال لكل نبي قل بدليل قوله قَالُوْٓا اِنَّا بِمَآ اُرْسِلْتُمْ بِهٖ كٰفِرُوْنَ قال الشوكاني وهذا من اعظم الادلة الدالة على بطلان التقليد

وفجه فان هؤلاء المقلدة في الاسلام انما يعملون بقول اسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم فاذا رام الداعي الى الحق ان يخرجهم من ضلالة اراد فهمهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن اسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة بل لمجرد قيل وقال لشبهة داحضة وحجة زائفة وهي مقالة باطلة قالوا بمثل قالة المترفون من هذه الملل انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ولي بما يلاقي معناه معنى ذلك فان قال لهم الداعي الى الحق قد جمعتنا الملة الاسلامية وشملنا هذا الدين المحمدي ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم ولا تعبد آباءكم من قبلكم الا بكتابه الذي انزله على رسوله وعما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم فانه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله كما امرنا الله بذلك في كتابه بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فان الرد اليهما اهدى لنا ولكم من الرد الى ما قاله اسلافكم ودرج عليه آباؤكم نفروا نفور الوحش ورموا الداعي لهم الى ذلك بكل حجر ومدر كانهم لم يسمعوا قول الله سبحانه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ولا قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فان قال لهم القائل هذا العالم الذي تقتدون به وتتبعون اقواله هو مثلكم في كونه متعبدا بكتاب الله وسنة رسوله مطلوبا منه ما هو مطلوب منكم واذا عمل برايه سدى علم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحل ان يتبعه غيره عليها ولا يجوز له العمل بها وقد وجد الدليل الذي لم يجده وها انا اوجدكموه في كتاب الله او فيما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك اهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم قالوا لا نعمل بهذا ولا نسمع لك ولا طاعة وجعل في صدورهم اعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ولم يسلموا لذلك ولا اذعنوا له وقد وهب لهم الشيطان عصبية يتوكأون عليها عند ان يسمعوا من يدعوهم الى الكتاب والسنة وهي انهم يقولون ان امامنا الذي قلدناه واقتدينا به اعلم بكتاب الله وسنة رسوله وذلك لان اذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورا عظيما بسبب تقدم العصر وكثرة الاتباع وما علموا ان هذا منقوض عليهم بمثل ما وقع به في وجوههم فانه لو قيل لهم ان في التابعين من هو اعظم قدرا واقدم عصرا من صاحبكم فان كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء

فتعالوا حتى اريكم من هو اقدم عصرا واجل قدرا فان ابيتم ذلك ففي الصحابة رضي الله عنهم من هو اعظم قدرا ممن صاحبكم علما وفضلا وجلالة قدر فان ابيتم ذلك فانا ادلكم على من هو اعظم قدرا واجل خطرا واكثر اتباعا واقدم عصرا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم صلى الله عليه وسلم ورسول الله الينا واليكم فتعالوا فهذه سنته موجودة في دفاتر الاسلام ودواوينه التي تلقتها جميع هذه الامة قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين اظهرنا موجود في كل بيت وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ونحن وانتم نفهم الفاظه ونتعقل معانيه فتعالوا نأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه فهو مما وجدنا عليه اباءكم قالوا لا سمع ولا طاعة اما بلسان المقال او بلسان الحال فتدبر هذا وتأمله ان بقي فيك بقية من انصاف وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد اوضحت هذا غاية الايضاح في كتابي الذي سميته ادب الطلب ومنتهى الارب وقد اوضح حافظ ابن القيم في اعلام الموقعين عن رب العالمين فارجع اليهما ان رمت ان تجلي عنك ظلمات التعصب وتنقشع لك سحائب التقليد فانتقمنا منهم وذلك الانتقام ما اوقعه الله بقوم نوح وعاد وثمود بما استحقوه على اصرارهم على التقليد فانظر كيف كان عاقبة المكذبين للانبياء من تلك الامم فان آثارهم موجودة ولا تكاد ترى بتلك البقاع قوما لك قرما بين في الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الا تقليد الآباء والاسلاف وبين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل اولى من الاعتماد على التقليد اردفه بهذه الآية وَاذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ اي الذي هو اعظم آبائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن غيرهم لِاَبِيهِ اي واذكر لهم وقت قوله لابيه من غير ان يقلده كما قلدتم انتم آباءكم وقومه اي الذين قلدوا الآباء هم وعبدوا الاصنام اِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ تبرء مما هم عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال والبراء مصدر نعت به للمبالغة وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وقال الجوهري وتبرأت من كذا وانا منه براء وخلاء لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل وبه قال الكسائي والمبرد والزجاج ثم استثنى خالقه من البراءة فقال اِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي اي خلقني والاستثناء منقطع اي لكن الذي فطرني او متصل من عموم ما فهم

النصف ع

كانوا يعبدون الله والاصنام او الاصفة بمعنى غير وما نكرة موصوفة قاله الزمخشري وانه سيهدين
اي سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته ويثبتني على الحق واخباره بانه سيهديه جزم المتقصباته
سبحانه وقوة يقينه والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على
الاستمرار وجعلها كلمة باقية في عقبه الضمير في جعلها عائد الى قوله الا الذي فطرني وهو بمعنى
التوحيد كانه قال وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم وهم ذريته فلا يزال فيهم من
يوحد الله وفاعل جعلها ابراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وامرهم ان يدينوا به كما في قوله
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الاية وقيل الفاعل هو الله عز وجل اي وجعل الله سبحانه كلمة
التوحيد باقية في عقب ابراهيم والعقب من بعد قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله لا يزال
من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة ويوحده ويدعو الى توحيده وقال عكرمة هي الاسلام قال
ابن زيد الكلمة هي قوله اسلمت لرب العالمين قال ابن عباس كلمة باقية لا اله الا الله وعقب
ابراهيم ولده لعلهم يرجعون تعليل للجعل اي جعلها باقية رجاء ان يرجع اليها من يشرك منهم
بدعاء من يوحد وقيل الضمير في لعلهم يرجع الى اهل مكة اي لعل اهلها يرجعون الى دينك والذي
هو دين ابراهيم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها
قال السدي لعلهم يتوبون فيرجعون عما هم عليه الى عبادة الله قال الرازي في تفسيره والمقصود
من هذه الاية ذكر وجه اخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الاول انه تعالى حكى
عن ابراهيم عليه السلام انه تبرء عن دين اباءه بناء على الدليل فنقول اما ان يكون تقليد الاباء
في الاديان حرما او جائزا فان كان حرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فمعلوم ان
اشرف اباء العرب هو ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من اولاده واذا كان
كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الاباء اولى من تقليد سائر الاباء واذا ثبت ان تقليد الاولى
من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء فاذا
كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الاباء ووجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت
هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجوب التقليد يوجب المنع من التقليد وما افضى ثبوته
الى نفيه كان باطلا فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد

وهو المراد من هذه الآية الوجه الثاني في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل اولى في الدنيا والدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لاجرم جعل الله دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيامة واما الحيوان اباءه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمودا الى ان تقوم الساعة وان التقليد الاصرار ينقطع اثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا اثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد اولى فهذا بيان المقصود الاصلي من هذه الآية انتهى ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين له فقال بل متعت هؤلاء اي اهل مكة عقب ابراهيم وآباءهم اضرب سبحانه عن الكلام الاول الى ذكر ما متعهم به من الانفس والاهل والاموال والمدن والاعمار وانواع النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم وما متع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة فاغتروا بالمهلة واكبوا على الشهوات وشغلوا بالتنعم عن كلمة التوحيد وبطروا وتمادوا على الباطل حتى جاءهم الحق يعني القرآن ورسول مبين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ظاهر الرسالة واضحها لا مبين لهم ما يحتاجون اليه من امر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما انزل عليه في هذه الغاية خفا بينه في الكتاب وشروحه وهو ان ما ذكر ليس غاية للتمتيع اذ لا مناسبة بينهما مع ان مخالفة ما بعدها لما قبلها غير مرضي فيها والجواب ان المراد بالتمتيع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم فكانه قال اشتغلوا به حتى جاءهم الحق ورسول مبين وهو غاية في نفس الامر لانه مما يلزمهم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا فجعلوه مانعا من الاقرار بالكتاب الامن بعد ما جاءتهم البينة افادة الشهاب ثم بين سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون اي جاحدون فسموا القرآن سحرا وجحدوه واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الآباء والاسلاف لم يتفكروا في الدليل واغتروا بطول الامهال وامتاع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسيء وقالوا متحكمين بالباطل لولا هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما والمراد بهما مكة والطائف قاله ابن عباس وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة

وغيره وقال مجاهد وغيره عتبة بن ربيعة من مكة وعمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس عمير بن مسعود وخيار قريش وقال ايضا العظيم الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب بن عمير الثقفي وعنه قال يعنون اشرف من محمد الوليد بن المغيرة من اهل مكة ومسعود الثقفي من اهل طائف وقيل غير ذلك وظاهر النظم ان المراد رجل من احدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسود في قومه والمعنى انه لو كان قرآنا انزل على رجل من عظماء القريتين فهؤلاء المساكين قالوا منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فاجاب الله سبحانه عنهم بقوله أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ يعني النبوة او ما هو اعظم منها والاستفهام للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة وترسم هذه التاء مجرورة اتباعا لرسم المصحف الامام كما نص عليه ابن الجزري ثم بين انه سبحانه هو الذي قسم بينهم ما يعيشون به من امور الدنيا فقال نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ولم نفوض ذلك اليهم وليس لاحد من العباد ان يتحكم في شيء بل الحكم لله وحده واذا كان الله سبحانه هو الذي قسم بينهم ارزاقهم فكيف لا يقنعون بقسمته في امر النبوة وتفويضها الى من يشاء من خلقه قال مقاتل يقول أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا قرأ الجمهور معيشتهم بالافراد وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن معايشهم بالجمع ومعنى رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ انه فاضل بينهم فجعل بعضهم افضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا اي ليستخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغني الفقير والرئيس المرؤس والقوي الضعيف الحر العبد والعاقل من دونه في العقل والعالم الجاهل وهذا في غالب احوال الدنيا وبه تتم مصالحهم وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم الى مطلوبه فان كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين فجعل البعض محتاجا الى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا ويحتاج هذا الى هذا ويصنع هذا لهذا ويعطيه هذا هذا وقال السدي وابن زيد سخريا خولا وخدما يسخر الاغنياء الفقراء

فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به وضحكت منه وهزئت به وهزئت منه وهذا وان كان مطابقا للمعنى اللغوي ولكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو مقصود السياق وعلى هذا القول تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للعلة والسببية وَرَحْمَتُ رَبِّكَ يعني بالرحمة ما اعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة وقيل هي النبوة لانها المرادة بالرحمة المتقدمة في قوله اهم يقسمون رحمة ربك ولا مانع من ان يراد كل ما يطلق عليه اسم الرحمة اما شمولا او بدلا خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ اي مما يجمعونه من الاموال وسائر متاع الدنيا لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابدا الآبدين ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً اي لولا ان يجتمعوا على الكفر ميلا الى الدنيا وزخرفها او يرغبوا فيه اذا رأوا الكفار في سعة ونعمة لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ جمع الضمير في بيوتهم وافرده في يكفر باعتبار معنى من ولفظها ولبيوتهم بدل اشتمال من الموصول واللام للاختصاص والسقف جمع سقف قرأ الجمهور بضم السين والقاف كرهن ورهن قال ابو عبيدة ولا ثالث لهما وقال الفراء هو جمع سقيف نحو كثيب وكثب ورغيف ورغف وقيل هو جمع سقف فيكون جمع الجمع وقرئ بفتح السين واسكان القاف على الافراد ومعناه الجمع لكونه الجنس قال الحسن معنى الآية لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الآخرة لاعطينا اهل الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عندنا وقال بهذا اكثر المفسرين وقال ابن زيد لولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا لهوانها وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ المعارج من فضة جمع معرج بفتح الميم وكسرها وسميت المصاعد من الدرج المعارج لان المشي عليها مثل مشي الاعرج ومعاريج جمع معراج والمعراج السلم وهي لغة بعض تميم وهذا كمفاتح جمع مفتح ومفاتيح جمع مفتاح قال الاخفش ان شئت جعلت الواحدة معرج ومعرج مثل مرقا ومرقا والمعنى جعلنا لهم معارج من فضة عليها اي على المعارج يَظْهَرُونَ يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على البيت اي علوت سطحه وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة وتكرير لفظ

البيوت لزيادة التقرير عليها اي على السرر وهو جمع سرير وقيل جمع اسرة فيكون جمعا لجمع يتكئون الاتكاء والتوكؤ التحامل على الشيء ومنه اتوكأ عليها واتكى على الشيء فهو متكئ والموضع متكا وزخرفا اي وجعلنا لهم زخرفا ليجعلوه في السقف والمعارج والابواب والسرر ليكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب لانه ابلغ في الزينة وقيل النصب بنزع الخافض اي لبيوتا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف الخافض انتصب والزخرف الذهب وقيل الزينة اعم من ان يكون ذهبا او غيره قال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في مناظرهم من الامتعة والاثاث وقال الحسن النقوش واصله الزينة يقال زخرفت الدار زينتها وتزخرف فلان اي تزين قال ابن عباس في الاية يقول لولا ان يفعل الناس كلهم كفارا لجعلنا لبيوت الكفار سقفا من فضة ومعارج من فضة وهي درج عليها يصعدون الى الغرف وسررا فضة وزخرفا وهو الذهب واخرج الترمذي وصححه وابن ماجة عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن المسور بن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها اخرجه الترمذي وحسنه وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اخرجه مسلم قال البقاعي ولا يبعد ان يكون ما صار اليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بان يكون الناس امة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله او في زمن الدجال الا من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد له في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه ثم اخبر سبحانه ان جميع ذلك لا يتمتع به في الدنيا فقال وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قرأ الجمهور لما بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الاولى ان هي المخففة من الثقيلة وعلى الثانية هي النافية ولما بمعنى الا اي ما كل ذلك الا ما يتمتع به في الدنيا وقرئ بكسر اللام من لما على ان اللام للعلة وما موصولة والعائد محذوف اي للذي هو

النصف ع ٣

متاع والآخرة اي الجنة عند ربك للمتقين اي لمن اتقى الشرك والمعاصي وآمن بالله وحده وعمل بطاعته وترك الدنيا واثر الآخرة فانها الباقية التي لا تفنى ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع ومن يعش يقال عشوت الى النار قصدتها وعشوت عنها اي اعرضت عنها كما تقول عدلت الى فلان وعدلت عنه اي ملت اليه وملت عنه كذا قال الفراء والزجاج وابو الهيثم والازهري وقال الخليل لعشو النظر الضعيف وقال ابو عبيدة والاخفش ان معنى ومن يعش ومن تظلم عينه وهو نحو قول الخليل وهذا على قراءة الجمهور من يعش بضم الشين من عشا يعشو وقرئ بفتح الشين يقال عشي الرجل يعشى عشيا اذا عمي وقال الجوهري العشا مقصور مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمرأة عشواء وقرئ يعشو بالواو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض ويتعامى ويتجاهل ويتغافل عن ذكر الرحمن ولم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يولي ظهره عن القرآن نقيض له شيطانا قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وقرأ ابن عباس بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع شيطان على النيابة والمعنى نسبب له جزاء على كفره شيطانا فهو له قرين اي ملازم له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية ولا يفارقه وقيل في الآخرة اذا قام من قبره قاله سعيد الجريري وقيل فيهما قال القشيري وهو الصحيح وهو ملازم للشيطان لا يفارقه بل يتبعه في جميع اموره ويطيعه في كل ما يوسوس به اليه وقال الزجاج معنى الآية ان من اعرض عن القرآن وما فيه من الحكم الباطل المضلين يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه وبلازمه قرينا فلا يهتدي مجازاة لاثر الباطل على الحق البين اخرج ابن ابي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي ان قريشا قالت قيضوا لكل رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رجلا ياخذه فقيضوا لابي بكر طلحة بن عبيد الله فاتاه وهو في القوم فقال ابو بكر الى ما تدعوني قال ادعوك الى عبادة اللات والعزى قال ابو بكر وما اللات قال الله قال وما العزى قال بنات الله قال ابو بكر فمن امهم فسكت طلحة فلم يجبه فقال لاصحابه اجيبوا الرجل فسكت القوم فقال طلحة قم يا ابا بكر اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فانزل الله هذه الآية وثبت في صحيح مسلم وغيره ان مع كل مسلم قرينا من الجن وانهم اي وان الشياطين الذين يقيضهم الله لكل احد ممن يعشو عن ذكر الرحمن كما هو معنى من يصدون وهم عن السبيل

اي يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ويوسوسون لهم انهم على الهدى حتى يظنوا صدق ما يوسوسون به وهو معنى قوله وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ اي يحسب الكفار ان الشياطين مُهْتَدُونَ فيطيعونهم او يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة انهم في انفسهم مهتدون وفي صيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا قاله ابو السعود قرئ جاءانا بالافراد اي الكافر او جاء كل واحد منهما وقرأ الجمهور بالتثنية اي الكافر و الشيطان المقارن له قَالَ الكافر مخاطبا للشيطان يَا لَيْتَ كان في الدنيا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ اي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب المشرق على المغرب قال مقاتل ويتمنى الكافران بينهما بعد مشرق اول يوم في السنة من مشرق اقصر يوم في السنة والاول اولى وبه قال الفراء فَبِئْسَ الْقَرِينُ اي انت ايها الشيطان وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ هذا حكاية لما سيقال لهم يوم القيامة إِذ ظَّلَمْتُمْ اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا وقيل ان اذ بدل من اليوم لانه مبين في ذلك اليوم انهم ظلموا انفسهم في الدنيا أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ قرأ الجمهور بفتح ان على انها وما بعدها في محل رفع على الفاعلية اي لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب قال المفسرون لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب لان لكل احد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر منه وقيل انها للتعليل لنفي النفع اي لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويقوي هذا اللمعنى قراءة ان بالكسر ثم ذكر سبحانه انهم لا ينفع الدعوة والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ الهمزة لانكار التعجب اي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخبار له بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ عطف على العمي للتغاير العنواني والا فالمصداق واحد اي انك لا تهدي من كان كذلك ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يعقلون ما حدثت به وبمنزلة العمي الذين لا يبصرون لافراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ اي ان توفينك قبل ان ننتقم منهم بالموت قبل ان ننزل بهم العذاب وقيل المعنى فخرجنك من مكة فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ اما في الدنيا او في الآخرة قال علي كرم الله وجهه طلب الله بدمه صلى الله عليه وسلم وبقيت بقية في عدة

أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون من شئنا اهلكنا هم
قال كثير من المفسرين قد اراه الله ذلك يوم بدر وبه قال ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي
في اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم فتنة
شديدة فاكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم يره في امته شيئا من ذلك والاول اولى فاستمسك
بالذي اوحي اليك من القران وان كذب به من كذب انك على صراط مستقيم اي طريق
واضح تعليل للاستمساك اولا مر به وانه اي وان القران لذكر لك ولقومك اي شرف لك
ولقريش اذ نزل عليك وانت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
وقيل بيان لك ولامتك فيما لكم حاجة وقيل تذكرة تذكرون بها امر الدين وتعملون به وعن علي
وابن عباس قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور فاذا قالوا
لمن الملك بعدك امسك فلم يجبهم بشيء لانه لا يؤمن في ذلك بشيء حتى نزلت وانه لذكر لك و
لقومك فكان اذا سئل بعد قال لقريش فلا يجيبوه حتى قبلته الانصار على ذلك وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان اخرجه الشيخان وعن
معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله تعالى
على وجهه ما اقاموا الدين اخرجه البخاري وسوف تسألون عما جعله الله لكم من الشرف كذا
قال الزجاج والكلبي وغيرهما وقيل يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به وعن تعظيمه له
وشكرهم لهذه النعمة يوم القيامة واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن اي غيره الهة يعبدون قال الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد ان جبريل قال
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لما اسري به فالمراد سؤال الانبياء في ذلك الوقت عند ملاقاته لهم به
قال جماعة من السلف وقال المبرد والزجاج وجماعة من العلماء ان المعنى واسأل امم من قد
ارسلنا وبه قال ابن عباس ومجاهد والسدي والضحاك وقتادة وعطاء والحسن وفائدة
ايقاع السؤال على الرسل مع ان المراد امهم التنبيه على ان المسؤل عنه عين ما نطقت به
السنة الرسل لا ما تقوله علماؤهم من تلقاء انفسهم وعلى الاول هي مكية وعلى الثاني مدنية
ومعنى الاية على القولين سؤالهم هل اذن الله بعبادة الاوثان في ملة من الملل وهل سوغ ذلك

ع ١٠

لاحد منهم والمقصود تقريع مشركي قريش بان ما هم عليه لو يأت في شريعة من الشرائع وقيل لئن اريد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه عجاز عن النظر في ادبارهم والفحص عن مالهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه فحصا ونظرا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخباره فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها ولما اعلم الله سبحانه نبيه بانه منتقم له من عدوه وذكر اتفاق الانبياء على التوحيد اتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون وقومه من النقمة فقال ولقد ارسلنا موسى بآياتنا التسع التي تقدم بيانها الى فرعون وملائه اي القبط فقال اني رسول رب العالمين ارسلني اليكم فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية اذا هم منها يضحكون استهزاء وسخرية وجواب لما هو اذا الفجائية لان التقدير فاجئوا وقت ضحكهم وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها اي كل واحدة من اليات موسى اكبر مما قبلها وان اعظم قد اصبح كون التي قبلها عظيمة في نفسها وقيل المراد بهذا الكلام الخبر موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس هما اخوان كل واحد منهما اكبر من الاخر وقيل المعنى ان الاولى تقتضي علما والثانية تقتضي علما فاذا اضمت الثانية الى الاولى ازداد الوضوح ومعنى الاخوة بين الآيات انها متشاكلة متناسبة في دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال هذه صاحبة هذه اي هما قرينتان في المعنى وقيل المعنى ان كل واحدة من الآيات اذا انفردت ظن الظان انها اكبر من سائر الآيات فاخذناهم بسبب تكذيبهم بتلك الآيات بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس كما قال تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآية ثم بين سبحانه ان العلة في اخذه لهم بالعذاب هو رجاء رجوعهم فقال لعلهم يرجعون اي لكي يرجعوا عن الكفر الى الايمان فلما عاينوا ما جاء هنه به من الآيات البينات والدلالات الواضحات طلبوا ان دلك من قبيل السحر فقالوا يا ايه الساحر وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة ذم عندهم قال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر اونادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم والاظهر ان النداء كان باسمه العلم كما في الاعراب في قوله قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ولكن حكى الله سبحانه هنا كلامهم لابعاد تقريبا على وفق ما اضمرته قلوبهم من اعتقاد هو انه ساحر لا تقتضيه

مقام التسلية ذلك فان قريشا سموه ساحرا وسموا ما اتى به سحرا افاده الكرخي والمعنى ادع الله بما اخبرنا من عهده اليك انا اذا اضنا كشف عنا العذاب الذي نزل بنا انا لمهتدون اي فنحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان ومؤمنون بما جئت به فلما كشفنا عنهم العذاب في الكلام حذف في التقدير فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فلما كشف عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجئوا بنكثهم للعهد الذي جعلوه على انفسهم من الاهتداء والتنكث النقض وكانوا ينقضونه في كل مرة من مرات العذاب ونادى فرعون افتخارا بقومه قيل لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم الى موسى فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم او امر منادیا ينادي بقوله قال يا قوم اليس لي ملك مصر لا ينازعني فيه احد ولا يخالفني فيه مخالف وهذه الانهار تجري من تحتي اي والحال ان الانهار تجري من تحت قصري والمراد انهار النيل وقال قتادة المعنى تجري بين يدي وفي بساتيني قال الحسن تجري بأمري اي تجري تحت امري وقال الضحاك اراد بالانهار القواد والرؤساء والجبابرة والمعنى يسيرون تحت لوائه وقيل اراد بالانهار الاموال والاول اولى افلا تبصرون ذلك وتستدلون به على قوة ملكي وعظم قدري وضعف موسى عن مقاومتي وعن الرشيد انه لما قرأها قال لا ولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندكم من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هي المنقطعة المقدرة ببل التي للاضراب دون الهمزة التي للانكار اي بل انا خير قال ابو عبيدة ام بمعنى بل والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير وقال الفراء ان شئت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بام لاتصاله بكلام قبله وقيل هي زائدة وحكى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون ثم ابتدى فقال انا خير وروي عن الخليل وسيبويه نحو قول الاخفش ويؤيد هذا ان عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي وقفا على ام على تقدير ام تبصرون فحذف لدلالة الاول عليه وعلى هذا فتكون ام متصلة لا منقطعة والاول اولى وحكى الفراء ان بعض القراء قرأ اما انا خير اي الست خيرا من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير مستهين في نفسه لا عز له لانه يتعاطى امور بنفسه وليس له ملك

ولا قوة يجري بها نهرا او ينفذ بها امرا ولا يكاد يبين الكلام لما في لسانه من العقدة وقد تقدم بيانه في سورة طه قال ابن عباس في الآية كانت بموسى لثغة في لسانه واللثغة بالضم ان تصير الراء غينا او لاما او السين ثاء وقد لثغ من باب طرب فهو الثغ وقيل المعنى لا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يريدوا به انه لا قدرة له على الكلام ولا اول اولى فلولا ألقي عليه من عند مرسله الذي يدعي انه الملك بالحقيقة أساورة جمع سوار وبها قرأ حفص وقرأ الجمهور اساورة جمع اسورة جمع سوار وقال ابو عمرو بن العلاء واحد الاساورة والاساور الاساوير اسوار وهي لغة في سوار وقرأ ابي اساور وابن مسعود اساوير قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته اراد والقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه اي فهلا حلي باسورة من ذهب ان كان عظيما مقدما سيدا او جاء معه الملائكة مقترنين اي هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين ان كان صادقا يعينونه على امره ويشهدون له بالنبوة ويمشون معه فاوهم اللعين قومه ان الرسل لابد ان يكونوا على هيئة الجبابرة ومحفوفين بالملائكة فاستخف قومه اي حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله وكيده واستفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الاسراع قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه الفرح اي ازعجه واستخفه اي حمله ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقيل استخف قومه اي وجدهم خفاف العقول وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعزروه وصيغة الاستفعال للوجدان وفي نسبته الى القوم تجوز فاطاعوه فيما امرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله فلما آسفونا اي اغضبونا قاله المفسرون والاسف الغضب وقيل اشد الغضب وقيل السخط وقيل المعنى اغضبوا رسلنا قال ابن عباس فلما استخطونا اغضبونا اي بالافراط في الفساد والعصيان انتقمنا منهم ثم بين العذاب الذي وقع به الانتقام فقال فاغرقناهم اجمعين في البحر وانما اهلكوا بالغرق ليكون هلاكهم مما تعرفه ابه وهو الماء في قوله يهدى به الانهار تجري من تحتي ففيه اشارة الى ان من تعزز بشيء دون الله اهلكه الله به وقد استضعف اللعين موسى وعابه بالفقر والضعف فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه لا يستضعف احدا شيئا الا غلبه فاذا هو القهار

اخرج احمد والطبراني والبيهقي في الشعب وابن ابي حاتم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له وقرأ فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين وعن طاؤس بن شهاب قال كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجاءة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر فلما اسفونا انتقمنا منهم فجعلناهم سلفا اي قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب لاجل الاعتبار بهم قرأ الجمهور سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخادم وخدام ورصد وراصد وحرس وحارس يقال سلف يسلف اذا تقدم ومضى قال الفراء والزجاج جعلناهم متقدمين سابقين ليتعظ بهم الآخرون اللاحقون وقرئ سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سليف نحو سرير وسرر وقال ابو حاتم هو جمع سلف نحو حشب وخشب وقرئ بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهم الفرقة المتقدمة نحو غرف وغرفة كذا قال النضر بن شميل وقال ابن عباس سلفا اهواء مختلفة ومثلا للآخرين اي عبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم او قصة عجيبة تجري مجرى الامثال وتسير سير الاقوال ولما قال سبحانه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد صلى الله عليه وسلم الا ان يتخذه الها كما اتخذ النصارى عيسى بن مريم فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال قتادة ومجاهد وقال الواحدي اكثر المفسرين صلى ان هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم فضحوا به وضحكوا او ارتفعت اصواتهم فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية المذكورة هنا وقد مضى هذا في سورة الانبياء ولا يخفاك ان ما قاله ابن الزبعرى مندفع من اصله وباطل برمته فان الله سبحانه قال انكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل في ذلك العقلاء كالمسيح وعزير والملائكة قال الشهاب ابن الزبعرى هو عبد الله الصحابي المشهور وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل اسلامه اذا قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم منه اي من ذلك المثل المضروب يصدون يضجون ويعجبون فرحا بذلك المثل المضروب

ع ١١

ضم الزاي وكسرها والكسر اشهر والضم لغة بني اسد والفتح لغة الحجاز والزبعرى بكسر الزاي وسكون الموحدة وفتح العين وبالراي المهملة والالف المقصورة

والمراد بقومه هنا كفار قريش اذ ظنوا انه الرمز والمحرض النبي صلى الله عليه وسلم به وانما سكت انتظار الوحي
قرأ الجمهور يصدون بكسر الصاد وقرئ بضمها وهما سبعيتان قال الكسائي والفراء والزجاج والاخفش
هما لغتان ومعناهما يضجون قال الجوهري صد يصد صدودا اي ضج وقيل انه بالضم الاعراض وبالكسر
من الضجيج قاله قطرب قال ابو عبيد لو كانت من الصدود عن الحق يقال اذا اقوى عنه يصدون
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش انه ليس احد يعبد من دون الله فيه خير
قالوا السنت تزعم ان عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا وقد عبدته النصارى فان كنت
صادقا فانه كالهتهم فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا الاية قلت ومما يصدون قال يضجون
وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ عندك أم هُوَ اي المسيح قال السدي وابن زيد خاصموه وقالوا ان كان
كل من عبد غير الله في النار فنحن نرضى ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة وقال قتادة يعنون
محمد صلى الله عليه وسلم اي الهتنا خير ام محمد صلى الله عليه وسلم ويقوي هذا قراءة ابن مسعود الهتنا خير
ام هذا مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا اي واضربوا لك هذا المثل في عيسى الا لجاجا لك لا لطلب الحق حتى
يرجعوا اليه عند ظهوره وبيانه على ان بلا منتصب على العلة او مجادلين على انه مصدر في موضع
الحال وقرئ جدلا الا كل هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ اي شديدو الخصومة كثيروا اللدد عظيمو الجدال فاخرج
سعيد بن منصور واحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر و
الطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلى هذه الاية وقد ورد في ذم الجدل
بالباطل احاديث كثيرة ثم بين سبحانه ان عيسى ليس برب وانما هو عبد من عباده اختصه بنبوته
فقال إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بما اكرمناه به من النبوة وانعمنا عليه برفعة المنزلة والذكر
وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ اي اية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه فانه كان من غير
اب وكان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وكل مريض باذن الله فمن اين يدخل في قولهم انكم و
ما تعبدون اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ان المشركين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ارايت من يعبد من دون الله ابن هو قال في النار قالوا الشمس والقمر قال والشمس والقمر قالوا افعيسى بن
مريم قال قال الله ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ

مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ الخطاب لقريش اي لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلكم في الارض ملائكة مكرمين يعمرونها ويعبدوننا فهذا تهديد وتخويف لقريش قال السمين في من هذه اقوال احدها انها بمعنى بدل اي لجعلنا بدلكم وضنه قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اي بدلها والثاني وهو المشهور انها تبعيضية وتاويل الاية عليه لولدنا منكم بارحام ملائكة في الارض يخلفونكم كما تخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى دون ذكر ذكره الزمخشري والثالث انها تبعيضية قال ابو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة وقال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم ومقصود الاية انا لو نشاء لاسكنا الملائكة الارض وليس فيها اسكاننا اياهم السماء شرف حتى يعبدوا وانه لعلم للساعة قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة ان المراد المسيح وان خروجه اي نزوله مما يعلم به قيام الساعة اي قربها لكونه شرطا من اشراطها لان الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من اعلام الساعة وقال الحسن وسعيد بن جبير المراد القرآن لانه يدل على قرب مجيء الساعة وبه يعلم وقتها واهوالها واحوالها وقيل المعنى ان حدوث المسيح من غير اب واحيائه للموتى دليل على حسن البعث وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والاول اولى قال ابن عباس اي خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة واخرجه الحاكم وابن مردويه عنه مرفوعا وعن ابي هريرة نحوا اخرجه عبد بن حميد قرأ الجمهور لعلم بصيغة المصدر جعل المسيح علما مبالغة لما يحصل من العلم بحضوره عند نزوله وقرأ جماعة من الصحابة بفتح العين واللام اي خروجه علم من اعلامها وشرط من شروطها وقرئ للعلم بلامين مع فتح العين واللام اي للعلامة التي يعرف بها قيام الساعة فلا تمترن بها اي فلا تشكن في وقوعها ولا تكذبن بها فانها كائنة لا محالة واتبعون قرأ الجمهور باثبات الياء وصلا ووقفا وقرئ بحذفها وصلا ووقفا وقرئ بحذفها في الوصل دون الوقف اي اتبعوني فيما امركم به من التوحيد وبطلان الشرك وفرائض الله التي فرضها عليكم هذا اي الذي امركم به ادعوكم اليه صراط مستقيم اي طريق قيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان اي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم فيمنعكم ذلك من اتباعي او من الايمان بالساعة فان الذي ادعوكم اليه هو دين الله الذي اتفق عليه رسله وكتبه ثم علل نهيهم عن ان يصدهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال انه لكم عدو مبين اي مظهر لعداوته لكم غير محتاش عن ذلك ولا متكتم به كما يدل عليه ذلك

ما وقع بينه وبين أدم وما الزمه نفسه من اغواء جميع بني أدم الا عباد الله المخلصين ولما
جاء عيسى الى بني اسرائيل بالبينات اي بالمعجزات الواضحة والشرائع النيرة قال قتادة البينات
ههنا الانجيل قال قد جئتكم بالحكمة اي النبوة وقيل الانجيل وقيل ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح
وجئتكم لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من احكام التوراة ولم يترك العاطف ليتعلق
بما قبله ليوذن بالاهتمام بالعلة حتى جعلت كانها كلام براسه والبعض هو امر الدين قال قتادة
يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل اغلبه هو
بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم في هذا الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل ان بني اسرائيل اختلفوا
بعد موت موسى في اشياء من امر دينهم وقال ابو عبيدة ان بعض ههنا بمعنى كل كما في قوله يصبكم
بعض الذي يعدكم وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني ما احل في
الانجيل مما كان محرما في التوراة كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت ثم امرهم
بالتقوى والطاعة فقال فاتقوا الله اي اتقوا معاصيه واطيعون فيما امركم به من التوحيد و
الشرائع وابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا بيان لما امرهم بان يطيعوه فيه
هذا اي عبادة الله وحده والعمل بشرائعه صراط مستقيم وهذا تمام كلام عيسى عليه السلام
او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب من بينهم قال مجاهد
والسدي الاحزاب هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال الكلبي ومقاتل هم فرق النصارى
اختلفوا في امر عيسى قال قتادة المعنى انهم اختلفوا فيما بينهم وقيل اختلفوا من بين من بعث اليهم من
اليهود والنصارى والاحزاب هي الفرق المتحزبة قيل هم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية
وهذا ملبي على انه بعث لجميع بني اسرائيل فتحزبوا في امره وقيل المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى
عليه وسلم وكذبوه وهم المرادون بقوله هل ينظرون الا الساعة والاول اولى فويل للذين ظلموا من
هؤلاء المختلفين وهم الذين اشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه وقالوا في عيسى ما كفروا به من عذاب
يوم اليم اي اليم عذابه وهو يوم القيامة هل ينظرون اي هل يترقب وينتظر هؤلاء الاحزاب
او الكفار الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون اي لا يفطنون بذلك
لاشتغالهم بامر دنياهم وانكارهم لها كقوله تاخذهم وهم يخصمون الاخلاء في الدنيا اي

المتحابون فيها يومئذ اي يوم ترتابهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون حال كونهم بعضهم لبعض عدو الا اي يعادي بعضهم بعضا لانها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ووجد واتلك الامور التي كانوا فيها اخلاء اسبابا للعذاب فصاروا اعداء ثم استثنى المتقين فقال الا المتقين فانهم اخلاء في الدنيا والاخرة لانهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من اسباب الخير والثواب فبقيت بينهم على حالها عن علي بن ابي طالب في الاية قال خالدان مؤمنان وخليلان كافران توفي احد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم ان خليلي فلانا كان يامرني بما اعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني اني ملاقيك اللهم لا تضله بعدي حتى تريه ما اريتني وترضى عنه كما رضيت عني فيقال له اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيرا ولبكيت قليلا ثم يموت الاخر فيجمع بين ارواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل واذا مات احد الكافرين بشر بالنار فذكر خليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يامرني بمعصيتك وبمعصية رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني اني غير ملاقيك اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما اريتني وتسخط عليه كما سخطت علي فيموت الاخر فيجمع بين ارواحهما فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل اخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وسعيد بن منصور في تفسيره وابن جرير والبيهقي وابن مردويه وابن ابي حاتم يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون اي يقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله بهذه المقالة تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم الذين امنوا بايتنا وكانوا مسلمين لله منقادين له مخلصين في امر الدين ادخلوا الجنة اي يقال لهم ذلك قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى منادا يا عبادي لا خوف عليكم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين امنوا بايتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاوثان رؤسهم غير المسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المراد بها نساؤهم المؤمنات وقيل قرناؤهم من المؤمنين وقيل زوجاتهم من الحور العين تحبرون تكرمون او تنعمون او تفرحون او تسرون او تجبون او تلذذون بالسماع والاول تفسير ذلك بالفرح والسرور اللائقين عن الكرامة والنعمة اذا هو باربعة امور الاول نفي الخوف الثاني نفي الحزن الثالث الامر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهي القصعة

الواسعة العريضة قال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة وهي تشبع عشرة ثم الصحفة وهي تشبع الخمسة ثم الكيلة وهي تشبع الرجلين او الثلاثة والمعنى ان لهم في الجنة اطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب وَأَكْوَابٍ اي وطواف بأشربة يطاف عليهم بها في الاكواب وهي جمع كوب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع اكواب قال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة او الابريق المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الابارق التي لا خراطيم لها وقال قطرب هي الابارق التي ليست لها عرى والعروة ما يمسك منه وليس اذنا قال ابن عباس الاكواب الجرار من الفضة وَفِيهَا اي في الجنة مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ اي انفس اهل الجنة من فنون الاطعمة والاشربة والاشياء المعقولة والمسموعة والملموسة ونحوها مما تطلبه النفس وتهواه كائنا ما كان جزاء لهم بما صنعوا انفسهم من الشهوات في الدنيا وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ من كل المستلذات التي يستلذ بها ويطلب مشاهدتها واعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق يقال لذ الشيء يلذ لذاذا ولذاذة اذا وجد لذته والتذ به قرأ الجمهور تشتهي وتلذ وفي مصحف ابن مسعود تشتهيه اي نفسي وتلذه الاعين باثبات الضمير العائد الى الموصول وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات في القلوب او مستلذات في العيون عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لا تموتون ولا تخرجون منها وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا اي يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة اي صارت اليكم كما يصير الميراث الى الوارث بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدنيا من الاعمال الصالحة وتلك مبتدأ والجنة صفته والموصول مع صلته صفة للجنة والخبر بما كنتم الخ وقيل الخبر الموصول مع صلته والاول اولى وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب للتشريف والمخاطب كل واحد من اهل الجنة فلذلك افرد الكاف ولم يقل وتلكم الذي هو مقتضى اورثتموها اي انا بان كل واحد مقصود بالذات اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في

الجنة ومنزل في النار هالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة
وذلك قوله وتلك الجنة التي اورثتموها لكم فيها سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة اي
كثيرة الانواع والاصناف والفاكهة معروفة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها منها تاكلون وكل
ما يوكل يخلف بدله ومن تبعيضية او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ثم شرع سبحانه في الوعيد
بعد ذكر الوعد كما هو دأب القرآن الكريم فقال إن المجرمين اي اهل الاجرام الكفرية كما يدل عليه
ايرادهم في مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا في عذاب جهنم خالدون
لا ينقطع عنهم العذاب ابدا لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب جملة حالية وكذلك
وهم فيه مبلسون اي ايسون من النجاة وقيل ساكتون سكوت يأس وقد مضى تحقيق معناه
في الانعام ولا يشكل على هذا قوله الآتي ونادوا الخ لان تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة
تختلف بهم الاحوال فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويشتد عليهم العذاب
تارة فيستغيثون وقرأ عبد الله بهم فيها اي في النار لدلالة العذاب عليها وما ظلمناهم اي ما
عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه ولكن كانوا هم الظالمين لانفسهم بما فعلوا لهم الذنوب
قرأ الجمهور الظالمين بالنصب على انه خبر كان والضمير ضمير فصل وقرئ الظالمون بالرفع على ان
الضمير مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر كان ونادوا يا مالك اي نادى المجرمون هذا النداء و
الاتيان بالماضي على حد اتى امر الله ومالك هو خازن النار قرأ الجمهور بغير الترخيم وقرئ يا مال بالترخيم
قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم ليقض علينا ربك
بالموت من قضى عليه اذا اماته قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه توسل ابمالك خازن النار الى
الله سبحانه ليسأله لهم ان يقضي عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب وقال البيضاوي وجه كونه ابلاسهم فانه جواب عن الموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون اي مقيمون في العذاب هانت
والله دعوتهم على مالك وعلى ربه مالك قيل سكت عن اجابتهم اربعين سنة قاله الخازن والسنة
ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون قاله القرطبي وقيل ثمانين سنة وقيل مائة سنة
وقال ابن عباس يمكث عنهم الف سنة ثم اجابهم بهذا الجواب لقد جئناكم بالحق يحتمل ان
يكون هذا من كلام الله سبحانه او من كلام مالك والاول اظهر والمعنى انا ارسلنا اليكم الرسل

وانزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدقوا وهو معنى قوله وَلَٰكِنَّا أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ اي لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب قيل معنى الذكر كلكم وقيل اراد الرؤساء والقادة ومن عداهم اتباعهم والمراد بالحق كل ما امر الله به على لسن رسله وانزله في كتبه وقيل هو خاص بالقران أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ كلام مستانف ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام هي المنقطعة التي بمعنى بل والهمزة اي بل ابرموا امرا وفي ذلك انتقال من توبيخ اهل النار وحكاية حالهم الى حكاية ما يقع من هؤلاء والابرام الاتقان والاحكام يقال ابرمت الشيء احكمته واتقنته وابرم الحبل اذا احكم فتله والمعنى بل احكموا كيدا للنبي صلى الله عليه وسلم فانا محكمون لهم كيدا قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ومثل هذا قوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقيل المعنى ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم امرنا بالعذاب قاله الكلبي أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ اي بل ايحسبون انا لا نسمع ما يسرون في انفسهم او ما يتحادثون به سرا في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم بلى نسمع ذلك ونعلمه وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ اي الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول او فعل عن يحيى بن معاذ قال من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق اخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال بينا ثلاثة بين الكعبة واستارها قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم ترون ان الله يسمع كلامنا فقال واحد اذا جهرنا يسمع واذا اسررنا لم يسمع فانزلت هذه الاية ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للكفار قولا يلزمهم به الحجة ويقطع ما يوردونه من الشبهة فقال قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ أو صح ذلك ببرهان صحيح او ان كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ اي اول من عبد الله وحده لان من عبد الله حقا فقد قطع ان يكون له ولد قاله ابن قتيبة وقال الحسن والسدي ان المعنى ما كان للرحمن ولد ويكون قوله فانا اول العابدين ابتداء كلام قال ابن عباس في الاية يقول ان يكن للرحمن ولد فانا اول العابدين اي الشاهدين وعن زيد بن اسلم قال هذا معروف من كلام العرب ان كان هذا الامر قط اي ما كان وعن قتادة نحوه وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فانا اول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون نبوته ولكنه يستحيل ان يكون له

ولد وفيه نفي الولد على ابلغ وجه واتم عبارة واحسن اسلوب وهذا هو الظاهر من النظم القراني لان هذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ومن هذا القبيل قوله تعالى انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره ان ثبت ما تقوله بالدليل فانا اول من يعتقده ويقول به فتكون ان في ان كان شرطية ورجح هذا ابن جرير وغيره وقيل معنى العابدين الآنفين من العبادة وهو تكلف لا ملجئ اليه ولكنه قرئ العبدين بغير الف من عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا انف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة ولعل الحامل على هذه القراءة الشاذة البعيدة لمن قرأها هو استبعاد معنى فانا اول العابدين وليس بمستبعد ولا مستنكر وقد حكى الجوهري عن ابي عمرو في قوله فانا اول العابدين انه من الانف او الغضب وحكاه الماوردي عن الكسائي والقتيبي وبه قال الفراء وكذا قال ابن الاعرابي ان معنى العابدين الغضاب الآنفين وقال ابو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدني حقي اي جحدني ولا شك ان عبد واعبد بمعنى انف او غضب ثابت في لغة العرب وكفى بنقل هؤلاء الائمة حجة ولكن جعل ما في القرآن من هذا من التكلف الذي لا ملجئ اليه ومن التعسف الواضح وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقل ما يقال عابد والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ قرأ الجمهور ولد بالافراد وقرئ بضم الواو وسكون اللام سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ اي تنزيها له وتقديسا عما يقولون من الكذب بان له ولدا ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه وهذا ان كان من كلام الله سبحانه فقد تنزه نفسه الكريمة عما قالوه وان كان من تمام كلام رسوله صلى الله عليه وسلم الذي امره بان يقوله فقد امره بان يضم الى ما حكاه عنهم من زعمهم الباطل تنزيه ربه وتقديسه فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا اي اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا اجابوك فيما دعوتهم اليه يخوضوا في اباطيلهم ويلهوا في دنياهم حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ وهو يوم القيامة وقيل العذاب في الدنيا وقيل يوم الموت وهو الاظهر فان خوضهم ولعبهم انما ينتهي بيوم الموت قيل وهذا منسوخ بآية السيف وقيل هو غير منسوخ وانما اخرج مخرج التهديد وفيه دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا

وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الجار والمجرور في الموضعين متعلق باله لانه بمعنى المعبود او مستحق للعبادة والمعنى وهو الذي معبود في السماء ومعبود في الارض او مستحق للعبادة في السماء والعبادة في الارض وبما تقرر من ان المراد باله معبود اندفع ما قيل هذا يقتضي تعدد الالهة لان النكرة اذا اعيدت نكرة تعددت كقولك انت طالق وطالق وابصاح الاندفاع ان الاله هنا بمعنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة انما هي بين معبوديته في السماء ومعبوديته في الارض لان المعبودية من الامور الاضافية فيمكن التغاير فيها من احد الطرفين فاذا كان العابد في السماء غير العابد في الارض صدق ان معبوديته في السماء غير معبوديته في الارض مع ان المعبود واحد وفيه دلالة على اختصاصه باستحقاق الالوهية فان التقديم يدل على الاختصاص افاده الكرخي قال ابو علي الفارسي واله في الموضعين مرفوع على انه خبر مبتدء محذوف اي هو الذي في السماء هو اله وفي الارض هو اله وحسن حذفه لطول الكلام قال والمعنى على الاخبار بالالهية لا على الكون فيهما قال قتادة يعبد في السماء والارض وقيل في بمعنى على اي هو القادر على السماء والارض كما في قوله ولاصلبنكم في جذوع النخل وقرأ عمر وعلي وابن مسعود وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله على تضمين العلم معنى المشتق فيتعلق به الجار والمجرور من هذه الحيثية وهو الحكيم العليم اي البليغ الحكمة الكثير العلم وتبارك الذي له ملك السموت والارض وما بينهما تبارك تفاعل من البركة وهي كثرة الخيرات والمراد بما بينهما الهواء وما فيه من الحيوانات وعنده علم الساعة اي علم الوقت الذي يكون فيه قيامها واليه ترجعون فيجازي كل احد بما يستحقه من خير وشر وفيه وعيد شديد قرأ الجمهور بالفوقية على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بالتحتية ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة اي لا يملك من يدعونه من دون الله من الاصنام ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون انهم يشفعون لهم قرأ الجمهور يدعون بالتحتية وقرئ بالفوقية الا من شهد بالحق اي التوحيد وهم يعلمون اي هم على علم وبصيرة بما شهدوا به والاستثناء متصل والمعنى لا من شهد بالحق وهم المسيح وعزير والملائكة فانهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها وقيل هو منقطع والمعنى لكن من شهد بالحق يشفع فيه هؤلاء وقيل المستثنى منه محذوف اي لا يملكون الشفاعة في احد الا فيمن شهد بالحق قال سعيد بن جبير وغيره

معنى الآية انه لا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وامن على علم وبصيرة وقال قتادة لا يشفعون لعابديها بل يشفعون لمن شهد بالى حدانية وقيل مدار الاتصال في هذا الاستثناء على جعل الذين يدعون عاما لكل ما يعبد من دون الله ومدار الانقطاع على جعله خاصا بالاصنام ولئن سألتهم اللام هي الموطئة للقسم والمعنى لئن سألت هؤلاء المشركين العابدين للاصنام من خلقهم ليقولن الله جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة اي اقروا واعترفوا بان خالقهم الله ولا يقدرون على الانكار ولا يستطيعون الجحود لظهور الامر وجلائه فانى يؤفكون اي فكيف يقلبون عن عبادة الله الى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف فان المعترف بان الله خالقه اذا عمد الى صنم او حيوان وعبده مع الله او عبده وحده فقد عبد بعض مخلوقات الله وفي هذا من الجهل ما لا يقادر قدره يقال افكه يافكه افكا اذا قلبه وصرفه عن الشيء وقيل المعنى ولئن سألت المسيح وعزيرا والملائكة من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون هؤلاء الكفار في اتخاذهم لها آلهة وقيل المعنى ولئن سألت العابدين والمعبودين جميعا وقيل له قرأ الجمهور بالنصب عطفا على محل الساعة كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله او عطفا على سرهم ونجواهم اي يعلم سرهم ونجواهم ويعلم قيله او عطفا على مفعول يكتبون المزخرف اي يكتبون ذلك ويكتبون قيله او عطفا على مفعول يعلمون المحذوف اي يعلمون ذلك ويعلمون قيله او هو مصدر اي قال قيله او منصوب باضمار فعل اي الله يعلم قيل رسوله او هو معطوف على محل بالحق اي شهد بالحق ويقيله او منصوب على حذف حرف القسم ومن المجوزين الاول المبرد وابن الانباري والثاني الفراء والاخفش والنصب على المصدرية ايضا الفراء والاخفش وقرئ قيله بالجر عطفا على لفظ الساعة اي وعنده علم الساعة وعلم قيله والقول والقال والقيل والمقال كلها مصادر بمعنى واحد جاءت على هذه الاوزان وقال ابو عبيد يقال قلت قولا وقالا وقيلا او على ان الواو للقسم وقرأ قتادة ومجاهد والحسن وابن قلابة والاعرج وابن هرمز ومسلم بن جندب قيله بالرفع عطفا على علم اي وعنده علم الساعة وعنده قيله او على الابتداء وخبره الجملة المذكورة بعده او خبره محذوف تقديره وقيله كيت وكيت او قيله مسموع والضمير في قيله راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه وقيل عائد الى المسيح وعلى الوجهين فالمعنى انه قال مناديا الى ربه يا رب

إِنَّ هَٰؤُلَاءِ الذين ارسلتني اليهم قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ثم لما نادى ربه بهذا اجابه بقوله فَاصْفَحْ عَنْهُمْ اي اعرض عن دعوتهم وَقُلْ سَلَامٌ اي امري تسليم منكم ومتاركة لكم وقال الفراء ان سلام مرفوع باضمار عليكم قال عطاء يريد مداراة حتى ينزل حكمي ومعناه المتاركة كقولهم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين فليس في الآية منسوخ وعبة السلام على الكفار كما قيل وقال قتادة امره بالصفح عنهم ثم امره بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف وقيل هي محكمة لم تنسخ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية وفيه تهديد شديد لهم ووعيد عظيم من الله عز وجل وتسلية له صلعم ع ١٣

سُورَةُ الدُّخَانِ هِيَ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ أَوْ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

قال القرطبي هي مكية بالاتفاق الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه البيهقي في الشعب ورفعه الثعلبي ايضا والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن ابي خثعم ضعيف قال البخاري منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له اخرجه البيهقي وابن مردويه وشجر بن نصر والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهشام بن مقدام بضعف والحسن لم يسمع من ابي هريرة كذا قال ايوب بن يونس بن حبيد وعلي بن زيد ويشهد له طرق اخرى منها ما اخرجه الدارمي ومحمد بن نصر عن ابي رافع قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وزوج من الحور العين واخرج ابن مردويه عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة قال الشهاب في سورة الواقعة ولم يذكر البيضاوي في فضائل السور حديثا غير موضوع من اول القرآن الى هنا غيرها هنا وما مر في سورة يس والدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم قد تقدم قبل هذه السورة الكلام على هذا والله اعلم بمراده به وَالْكِتَابِ الواو للقسم

والكتاب القران المبين اي المشتمل على بيان ما للناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم انا
انزلناه جواب القسم وقد انكر بعض النحاة ان تكون هذه الجملة جوابا للقسم لانها صفة للمقسم
به ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم وقال الجواب انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقال
اعتراض معترض لتفخيم الكتاب ورجح الاول بالسبق وبكونه من البدائع وبسلامته من الفك اللازم لما اختاره
ابن عطية وقيل ان قوله انا كنا الخ جواب ثان او جملة مستانفة مقررة للانزال وفي حكم العلة له
كانه قال انا انزلناه لان من شاننا الانذار والضمير في انزلناه راجع الى الكتاب وهو القران وقصر
على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلي وعلى هذا فقد اقسم بالقران انه انزل القران وهذا النوع من
الكلام يدل على غاية تعظيم القران فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة اشفع بك
اليك واقسم بحقك عليك وجاء في الحديث اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك
وبك منك لا احصي ثناء عليك وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة والضمير راجع الى القران
على معنى انه سبحانه اقسم بسائر الكتب المنزلة انه انزل القران والاول اولى واستدلوا بهذه الآية على
حدوث القران بوجوه لا دلالة لها عليه في ليلة مباركة اي ليلة القدر كما في قوله انا انزلناه في
ليلة القدر ولها اربعة اسماء هي ليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة قال عكرمة وطائفة
الليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان وقال النووي في باب صوم التطوع من شرح مسلم
انه خطأ والصواب وبه قال العلماء انها ليلة القدر وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة
والجمهور واكثر المفسرين على الاول وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان وقال قتادة انزل
القران كله في ليلة القدر من ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم انزل الله
سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والايام في ثلث وعشرين سنة في انواع الوقائع حالا فحالا وقد
تقدم تحقيق الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وذكر
سليمان الجمل ادلة القولين وبسط فيها الانطول بذكرها هنا وقال مقاتل كان ينزل من اللوح
المحفوظ كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة الى مثلها من العام وقيل
ابتداء نزوله في ليلة القدر ووصف الله سبحانه هذه الليلة بانها مباركة لنزول القران فيها او
هو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولكونها تتنزل فيها الملائكة والروح كما سياتي في سورة القدر

ان شاء الله تعالى قال ابن عباس انزل القران في ليلة القدر ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما الجواب الناس وقيل المباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده لكفى به بركة انا كنا منذرين اي مخوفين عقابنا مستانف او جواب قسم بغير عاطف ومن جملة بركتها ما ذكره الله سبحانه ههنا بقوله فيها يفرق كل امر حكيم اي يفصل ويبين من قولهم فرقت الشيء افرقه فرقا والامر الحكيم المحكم المبرم الذي لا يحصل فيه تغيير ولا نقض وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف به الامر به مجازا وذلك ان الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حيوة وموت وبسط وقبض وخير وشر ورزق واجل ونصر وهزيمة وخصب وسنحط وغير ذلك من اقسام الحوادث وجزئياتها افرادها واماكنها ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سوا لم يزد ولم ينقص بذلك ايمانا كذا قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم وهذه الجملة اما صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض او مستانفة لتقرير ما قبلها قرا الجمهور يفرق بضم الياء وفتح الراء مخففا وقرئ بفتح الياء وضم الراء ونصب كل امر ورفع حكيم على انه الفاعل والحق ما ذهب اليه الجمهور من ان هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان لان الله سبحانه اجملها هنا وبينها في سورة البقرة بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وبقوله في سورة القدر انا انزلناه في ليلة القدر فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف ولا ما يقتضي الاشتباه قال ابن عباس في الاية يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت وحياة ومطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان وقال ابن عمر ما من السنة الى السنة الا الشقاوة والسعادة فانه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير اخرجه ابن ابي حاتم واخرج عبد بن حميد وغيره عنه انه قال انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى ففي تلك الليلة يفرق امر الدنيا الى مثلها من قابل من موت وحياة او رزق كل امر الدنيا يفرق تلك الليلة الى مثلها واخرج ابن نجوية والديلمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى واخرجه ابن ابي الدنيا وابن جرير عن عثمان بن محمد وهذا مرسل لا تقوم به الحجة ولا يعارض بمثله صريح القران وما روي في هذا فهو اما مرسل او غير صحيح

وقد اورد ذلك صاحب الدر المنثور واورد ما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان وذلك لا يستلزم انها المراد بقوله في ليلة مباركة وانتصاب قوله امرا من عندنا بيفرق اي يفرق فرقا فان امرا بمعنى فرقا قاله الزجاج والفراء والمعنى انا امرنا بهذا في ذلك وفسخه من اللوح المحفوظ فهو على هذا منتصب على المصدرية بمثل قولك يضرب ضربا قال المبرد امرا في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا وقال الاخفش انتصابه على الحال اي امرين وقيل على الاختصاص اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا وفيه تفخيم لشان القرآن وتعظيم لامره وقد ذكر بعض اهل العلم في انتصاب امرا اثني عشر وجها اظهرها ما ذكرناه وقرأ زيد بن علي بالرفع اي هو امر انا كنا مرسلين الرسل محمدا ومن قبله قال الرازي المعنى فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين للانبياء ومثله قال ابن الخطيب وانتصاب رحمة على العلة اي انزلناه للرحمة قاله الزجاج وقال المبرد انها منتصبة على انها مفعول لمرسلين اي انا كنا مرسلين رحمة وقيل هي مصدر في موضع الحال اي راحمين قاله الاخفش وقيل انها مصدر منصوب بفعل مقدر اي رحمنا رحمة وقيل انها حال من ضمير مرسلين اي ذوي رحمة وقرأ الحسن بالرفع اي هي رحمة وراجعة بالمرسل اليهم من ربك متعلق بالرحمة او صفة لمحذوف وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ولو جرى على منوال ما تقدم لقال من ربنا والمعنى رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثت اليهم من الرسل انه هو السميع لمن دعاه العليم بكل شيء وتم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم قدرته الباهرة فقال رب السموات والارض وما بينهما قرأ الجمهور برب بالرفع عطفا على السميع العليم او على انه مبتدء وخبره قوله الآتي لا اله الا هو او على انه خبر لمبتدء محذوف اي هو رب وقرأ الكوفيون بالجر على انه بدل من ربك او بيان له او نعت ان كنتم موقنين بانه رب السموات والارض وما بينهما وقد اقر هؤلاء المشركون بذلك كما حكاه الله عنهم في غير موضع فليقنعوا بان محمدا رسوله لا اله الا هو مستانفة مقررة لما قبلها او خبر رب السموات كما مر وكان الله يحيي ويميت فانها مستانفة مقررة لما قبلها ربكم ورب آبائكم الاولين قرأ الجمهور بالرفع على الاستيناف بتقدير مبتدء اي هو ربكم او على انه بدل من رب السموات او بيان او نعت له وقرأ الكسائي في رواية الشيرازي عنه وغيره بالجر ووجه الجر ما ذكرناه في قراءة من قرأ بالجر في رب السموات وقرأ الاخطل بالنصب على المدح بل هم في شك يلعبون اضرب عن كونهم موقنين الى كونهم في شك من التوحيد والبعث وفي اقرارهم بان الله خالقهم خالق

وقف لازم

سائر المخلوقات وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم وان ذلك منهم على طريقة اللعب والهزو في دينهم بما يعن لهم من غير حجة ومحل يلعبون الرفع على انه خبر بأن او النصب على الحال فاذهب الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لان كونهم في شك ولعب يقتضي ذلك والمعنى فانتظر لهم يا محمد يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ وقيل المعنى احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء الخ وقد اختلف في هذا الدخان المذكور في الآية متى يأتي فقيل انه من اشراط الساعة وانه يمكث في الارض اربعين يوما وقد ثبت في الصحيح انه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة وقيل انه امر قد مضى وهو ما اصاب قريشا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والارض دخانا وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما وبه قال الفراء والزجاج وقيل انه يوم فتح مكة وقال ابن قتيبة فيه وجهان الاول انه في سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا امر ترتفع له دخان ولهذا يقال للسنة الجدبة الغبراء الثاني ان العرب ليسمون الشيء الغالب بالشيء الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويرى الدنيا كالملوءة من الدخان اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطؤا عن الاسلام قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فانزل الله هذه الآية فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله المطر فاستسقى لهم فسقوا فانزل الله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فانتقم الله منهم يوم بدر فقد مضى البطشة والدخان واللزام وقد روي عن ابن مسعود نحو هذا من غير وجه وروي نحوه عن جماعة من التابعين كمقاتل ومجاهد وعن ابي مليكة قال دخلت على ابن عباس فقال لم انم هذه الليلة فقلت لم قال طلع الكوكب ذو الذنيب خشيت ان يطرق الدخان قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وكذا صححه السيوطي ولكن ليس فيه انه سبب نزول الآية وقد عرفناك انه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها واشراطها فقد وردت

احاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك وليس فيها انه سبب نزول الاية فلا حاجة بنا الى التطويل بذكرها والواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان دخان قريش عند تجهمه والجوع هو سبب النزول وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح انه الدخان الذي من اشراط الساعة كابن كثير في تفسيره وغيره في غيره وهكذا يندفع قول من قال انه الدخان الكائن يوم فتح مكة متمسكا بما اخرجه ابن سعد عن ابي هريرة قال كان يوم فتح مكة دخان وهو قول الله فارتقب الخ فان هذا لا يعارض ما في الصحيحين على تقدير صحة اسناده مع احتمال ان يكون ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح انه المراد بالاية ولهذا لم يصرح بانه سبب نزولها يَغْشَى النَّاسَ صفة ثانية للدخان اي يشملهم ويحيط بهم هٰذَا عَذَابٌ اَلِيمٌ اي يقولون هذا او قائلان ذلك او يقول الله لهم ذلك رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ اِنَّا مُؤْمِنُونَ اي يقولون ذلك وقد روي انهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كشف الله عنا العذاب اسلمنا والمراد بالعذاب الجوع الذي كان بسببه ما يرونه من الدخان او يقولونه اذا رأوا الدخان الذي هو من آيات الساعة او اذا رأوه يوم فتح مكة على اختلاف الاقوال والراجح منها انه الدخان الذي كانوا يتخيلونه مما نزل بهم من الجوع وشدة الجهد ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد ان الدخان من آيات الساعة فان ذلك دخان آخر ولا ينافيه ايضا ما قيل انه الذي كان يوم فتح مكة فانه دخان آخر على فرض صحة وقوعه اَنّٰى لَهُمُ الذِّكْرٰى اي كيف يتذكرون ويتعظون بما نزل بهم والحال انه قَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ يبين لهم كل شيء يحتاجون اليه من امر الدنيا والدين ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ اي اعرضوا عن ذلك الرسول الذي جاءهم ولم يكتفوا بمجرد الاعراض عنه بل جاوزوه وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ اي قالوا في حقه تارة انما يعلمه القرآن بشر وتارة اخرى انه مجنون او قال بعضهم هذا وبعضهم ذاك فكيف يتذكر هؤلاء وانى لهم الذكرى ثم لما دعوا الله بان يكشف عنهم العذاب وانه اذا كشفه عنهم آمنوا اجاب الله سبحانه عليهم بقوله اِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا اي انا نكشفه عنهم كشفا قليلا او زمانا قليلا وهذا جواب بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض اي الى يوم بدر او الى ما بقي من اعمارهم ثم اخبر سبحانه عنهم انهم لا يرتدعون عما كانوا عليه من الشرك ولا يفون بما وعدوا به من الايمان فقال اِنَّكُمْ عَآئِدُونَ

الى ما كنتم عليه من الشرك وقد كان الامر هكذا فان الله سبحانه لما كشف عنهم العذاب عادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعناد وقيل المعنى انكم عائدون الينا بالبعث والنشور والاول اولى يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ قرأ الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء اي نبطش بهم وقرئ بضم الطاء وهي لغة وقرئ بضم النون وكسر الطاء والظرف منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم تاتي السماء وقيل هو متعلق بمنتقمون وقيل بما دل عليه منتقمون وهو منتقم والبطشة الكبرى هي يوم بدر قاله الاكثر والمعنى انهم لما عادوا والى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم انتقم الله منهم يوقعة بدر وقال الحسن وعكرمة المراد بها عذاب النار يوم القيامة واختار هذا الزجاج والاول اولى وعن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وانا اقول هي يوم القيامة قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وقال ابن الخطيب هذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم وان الانتقام التام انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال ابن كثير قبل هذا فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم وروي ايضا عن ابن عباس عنه وعن ابي بن كعب وجماعة وهو محتمل والظاهر ان ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم بطشة الكبرى ايضا انتهى قال الشوكاني بل الظاهر انه يوم بدر وان كان يوم القيامة بطشة الكبرى كل بطشة فان السياق مع قريش فتفسيره بالبطشة الخاصة لهم اولى من تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الانس والجن انتهى وَلَقَدْ فَتَنَّا وقرئ فتنا بالتشديد على المبالغة او التكثير والكثرة متعلقة اي ابتلينا قَبْلَهُمْ اي قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم فِرْعَوْنَ معه ومعنى الفتنة هنا ان الله سبحانه ارسل اليهم رسولا وامرهم بما شرعه لهم فكذبوهم او وسع عليهم الارزاق فطغوا وبغوا قال الزجاج بلوناهم اي امتحناهم وفعلنا بهم فعل المتحن والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسل اليهم والتمكين في الارض وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ على الله كريم في قومه او كريم في نفسه حسيب لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم وقال مقاتل حسن الخلق بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على ربه اذا اختصه بالنبوة واسماع الكلام قال ابن عباس هو موسى اَنْ اَدُّوا اي ان هذه هي

المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول او مخففة من الثقيلة والمعنى ان الشان والحديث ادوا الي
عباد الله او مصدرية اي بان ادوا والمعنى انه طلب منهم ان يسلموا اليه بني اسرائيل الذين
كان فرعون استعبدهم فاداؤهم استعارة بمعنى اطلاقهم وارسالهم معه قال مجاهد
المعنى ارسلوا معي عباد الله واطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول به كقوله في سورة
طه فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم وقيل المعنى ادوا الي عباد الله ما وجب عليكم من
حقوق الله فيكون منصوبا على انه منادى مضاف وقيل ادوا الي سمعكم حتى ابلغكم رسالة
ربي وقال ابن عباس اتبعوني فيما ادعوكم اليه من الحق اني لكم رسول من الله اليكم امين
على الرسالة خيرتهم وهذا تعليل للامر وان لا تعلوا على الله اي لا تجبروا ولا تتكبروا عليه
بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله واهانة وحيه وهذا اوضح وقيل لا تبغوا على الله وقيل لا تفتروا
عليه قاله ابن عباس والاول اولى والفرق بين البغي والافتراء ان البغي بالفعل والافتراء بالقول
وقال ابن عباس ايضا لا تعتوا وقال ابن جريج لا تتعظموا وقال يحيى بن سلام لا تستكبروا والفرق
بينهما ان التعاظم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر افاده الماوردي وجملة اني آتيكم
تعليل لما قبلها من النهي قرأ الجمهور بكسر همزة اني وقرئ بالفتح بتقدير اللام بسلطان مبين اي بحجة بينة
واضحة يعترف بصحتها كل عاقل لا سبيل الى انكارها وقال قتادة وابن عباس بعذاب بين والاول اولى
وبه قال يحيى بن سلام وانى عذت بربي وربكم ان ترجمون استعاذ بالله سبحانه لما
توعدوه بالقتل قال قتادة ترجموني بالحجارة وبه قال ابن عباس وقيل تشتموني كذا قال ابن عباس
ايضا وقيل تقتلوني وان لم تؤمنوا لي اي ان لم تصدقوني وتقروا بنبوتي ولم تؤمنوا بالله
لاجل ايمانكم بي فاللام في لي لام الاجل وقيل اي وان تؤمنوا بي كقوله فآمن له لوط اي به فاعتزلون اي
فاتركوني ولا تتعرضوا لي باذى قال مقاتل دعوني كفافا لا علي ولا لي وقيل كونوا بمعزل عني وانا
بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلي قاله ابن عباس والمعنى متقارب فلما لم
يصدقوه ولم يجيبوا دعوته رجع الى ربه بالدعاء كما حكى الله عنه بقوله فدعا ربه ان هؤلاء
قوم مجرمون اي كافرون قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر اي دعاه بان هؤلاء وقرئ
بكسرها على اضمار القول وفي الكلام حذف اي فكفروا فدعى ربه وسماه دعاء مع انه لم يذكر

الا بجرد كونهم مجرمين لانهم قد استحقوا بذلك الدعاء عليهم وقيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين والاول اولى فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا اجاب الله سبحانه دعاءه فامره ان يسري ببني اسرائيل ليلا يقال سرى واسرى لغتان جيدتان قرأ الجمهور وفاسر بالقطع من اسرى وقرأ اهل الحجاز بالوصل من سرى وهما سبعيتان والجملة بتقدير القول اي فقال الله لموسى اسر بعبادي ليلا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ اي يتبعكم فرعون وجنوده وقد تقدم في غير موضع خروج فرعون بعدهم وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا اي ساكنا يقال رهى يرهو رهوا اذا سكن لا يتحرك قال الجوهري يقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هيئتك وعيش راه اي ساكن ورهى البحر سكن وقال الهروي وغيره وهو المعروف في اللغة والمعنى اترك البحر ساكنا على صفته بعد ان ضربته بعصاك ولا تامره ان يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك وبعد بني اسرائيل فينطبق عليهم فيغرقون وقال ابو عبيدة رهى بين رجليه يرهو رهوا اي فتح قال ومنه قوله واترك البحر رهوا والمعنى اتركه منفرجا كما كان بعد دخولكم فيه وكذا قال ابو عبيد وبه قال مجاهد وغيره قال ابن عرفة وهي يرجعان الى معنى واحد وان اختلف لفظاهما لان البحر اذا سكن جريه انفرج قال الهروي ويجوز ان يكون رهوا نعتا لموسى اي سر ساكنا على هيئتك وقال كعب والحسن رهوا طريقا وقال الضحاك والربيع سهلا وقال عكرمة يبسا لقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وعلى كل تقدير فالمعنى اتركه خاضعا واتركه رهوا على المبالغة في الوصف بالمصدر وقال ابن عباس رهوا سمتا وعنه قال كهيئته وامضه وعنه ايضا قال الرهوان يترك كما كان إِنَّهُمْ اي ان فرعون وجنده بعد خروجكم جُنْدٌ مُغْرَقُونَ اي متمكنون في هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجمع الذي شانه النجدة الموجبة للعلو في الامور اخبر سبحانه عن ذلك ليسكن قلبه ويطمئن جاشه قرأ الجمهور بكسر ان على الاستيناف لقصد الاخبار بذلك وقرئ بالفتح على تقدير لانهم كم تَرَكُوا كم هي الخبرية المفيدة للتكثير وقد مضى الكلام في معنى الآية في سورة الشعراء والتقدير فاغرقوا وكم مفعول به اي تركوا اموالا كثيرة وقد بينها بقوله مِنْ جَنَّاتٍ اي بساتين وَعُيُونٍ نجري وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ قرأ الجمهور بفتح الميم على انه اسم مكان للقيام وقرئ بضمها اسم مكان الاقامة قال ابن عباس ومقام كريم المنابر وعن جابر مثله وقيل هو ما كان لهم من

المنازل الحسنة والمجالس الشريفة والمحافل المزينة ونعمة كانوا فيها فاكهين النعمة بالفتح التنعم ونضارة العيش ولذاذته يقال نعمه الله ونا عمه فتنعم وبالكسر المنة وما انعم به عليك وفلان واسع النعمة اي واسع المال ذكر معنى هذا الجوهري وقال المحلي نعمة اي متعة اي امور يتمتعون وينتفعون بها كالملابس والمراكب قرأ الجمهور فاكهين بالالف وقرئ بغير الف والمعنى على الاولى متنعمين طيبة انفسهم وعلى الثانية اشرين بطرين قال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر قال وفاكهين اي ناعمين وقال الثعلبي هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره والفره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بانواع اللذة كما يتمتع الرجل بانواع الفاكهة كذلك اي الامر كذلك والاشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل مثل ذلك الاهلاك اهلكناهم فعلى الوجه الاول يكون قوله وأورثناها معطوفا على تركوا وعلى الوجوه الاخرة يكون معطوفا على الفعل المقدر قوما آخرين المراد بهم بنو اسرائيل فان الله سبحانه ملكهم مصر بعد ان كانوا فيها مستعبدين فصاروا الها وارثين اي انها وصلت اليهم كما يصل الميراث الى الوارث ومثل هذا قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وهذا قول الحسن وقيل انهم لم يرجعوا الى مصر والقوم الآخرون غير بني اسرائيل وهو قول ضعيف جدا قاله الكرخي فما بكت عليهم السماء والارض هذا بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لهلاكهم الشمس في نقيض ذلك فالبكاء مجاز مرسل والآية استعارة بالكناية والمعنى انه لم يصب بفقدهم وهلاكهم احد من اهل السماء ولا من اهل الارض وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت له السماء والارض اي عمت مصيبته وقال الحسن في الكلام مضاف محذوف اي فما بكى عليهم اهل السماء والارض من الملائكة والناس وقال الزمخشري ذكر هذا على سبيل السخرية لهم يعني انهم كانوا يستعظمون انفسهم ويعتقدون انهم لو هانوا لبكت عليهم السماء والارض ولم يكونوا بهذا الحد بل كانوا دون ذلك فذكر هذا تهكما بهم وقال مجاهد ان السماء والارض تبكيان على المؤمن اربعين صباحا وقيل تبكي على المؤمن مواضع صلوته ومصاعد عمله وعلى هذا انه بكاء كالمعروف من بكاء الحيوان

وفي معنى الآية وجهان والثاني اظهر واوفق بالاحاديث ونظم القرآن قال السدي لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت الخ وذكر انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام صالح فيفقدهم فيبكي عليهم اخرجه الترمذي وابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والخطيب واخرج ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب نحوه من قول ابن عباس وعنه قال يقال للارض تبكي على المؤمن اربعين صباحا وعن شريح بن عبيد الحضرمي مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدء غريبا وسيعود غريبا كما بدء الا لاغربة على مؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال انهما لا تبكيان على كافر اخرجه ابن جرير وابن ابي الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه ومصعد عمله من السماء ثم تلى هذه الآية وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ اي مؤخرين للتوبة وممهلين الى وقت آخر بل عوجلوا بالعقوبة لفرط كفرهم وشدة عنادهم وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ اي خلصناهم باهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء وتكليفهم للاعمال الشاقة مِنْ فِرْعَوْنَ بدل من العذاب اما على حذف مضاف اي من عذابه واما على المبالغة كانه نفس العذاب فابدل منه او على انه حال من العذاب اي صادرا من فرعون وقرأ ابن عباس مَنْ فرعون بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه او نسبه من انت والاول اولى قرينة سبحانه فقال إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا في التكبر والتجبر مِنَ الْمُسْرِفِينَ في الكفر بالله وارتكاب معاصيه كما في قوله ان فرعون علا في الارض ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين سبحانه كيفية دفعه الضر عن بني اسرائيل بين ما اكرمهم به فقال وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ اي مؤمني بني اسرائيل عَلَى اي مع عِلْمٍ منا بحالهم وهي كونهم احقاء بان يختاروا او كونهم يزيغون وتحصل منهم الفرطات في بعض الاحوال عَلَى الْعَالَمِينَ اي على عالمي زمانهم على علم منه سبحانه باستحقاقهم لذلك وليس المراد انه اختارهم على جميع العالمين

بدليل قوله في هذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل على كل العالمين لكثرة الانبياء فيهم وهذا خصه لهم وليس لغيرهم وحكاه ابن عيسى والزمخشري وغيرهما والاول اولى وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون وآتيناهم من الآيات اي معجزات موسى ما فيه بلاء مبين اي اختبار ظاهر وامتحان واضح لننظر كيف يعملون وقال قتادة الآيات انجاؤهم من الغرق وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى لهم وقال ابن زيد الآيات هي الشر الذي كفهم عنه والخير الذي امرهم به وقال الحسن وقتادة البلاء المبين النعمة الظاهرة كما في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ونبلوكم بالشر والخير فتنة إن هؤلاء اي كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الاصرار على الكفر ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها في الدنيا ولا حيوة بعدها ولا بعث وهو معنى قوله وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين يقال انشر الله الموتى وانشرهم اذا بعثهم وليس في الكلام قصد الى اثبات موتة اخرى بل المراد ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية قال الرازي وابن الخطيب المعنى انه لا يأتينا من الاحوال الشديدة الا الموتة الاولى وهذا الكلام لا يدل على انه لا تأتيهم الحياة الثانية البتة فلا حاجة الى التكلف الذي ذكره الزمخشري في هذا المقام ثم اوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه دليلا وهو حجة داحضة فقالوا فأتوا بآبائنا اي ارجعوهم بعد موتهم الى الدنيا قال الفراء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده كقوله رب ارجعوني والاول انه خطاب له صلى الله عليه وسلم ولاتباعه من المسلمين إن كنتم صادقين فيما تقولونه وتخبرونا به من البعث فرد الله سبحانه عليهم بقوله أهم خير في القوة والمنعة أم قوم تبع الحميري الذي حار في الدنيا بجيوشه وغلب اهلها وقهرهم وحبر الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وكان قومه كافرين وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وفيه وعيد شديد وقيل المراد بقوم تبع جميع اتباعه لا واحد بعينه وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد اسلم رواه البيهقي والحاكم وصححه وابن المبارك وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا

وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر غزوة اخرجه احمد والطبراني وابن ماجة وابن مردويه وروي نحو هذا عن غيرهما من الصحابة والتابعين قال الرياشي كان ابو كرب اسعد الحميري من التابعة ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة واليه تنسب الانصار وهو اول من كسى البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا اودعه عند اهلها وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه والمراد بقوله وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عاد وثمود ونحوهم من الامم الكافرة اَهْلَكْنَاهُمْ مستانفة لبيان حالهم وعاقبة امرهم اِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ اي كافرين منكرين للبعث تعليل لاهلاكهم يعني ان الله سبحانه قد اهلكهم بسبب كونهم مجرمين فاهلاكه لمن هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصوره قدرته بالاولى وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اي ما بين جنسي السماء والارض لَاعِبِينَ اي بغير غرض صحيح قال مقاتل لم نخلقهما عابثين لغير شيء وقال الكلبي لاهين وقيل غافلين قرأ الجمهور وما بينهما وقرئ وما بينهن لان السموات والارض جمع مَا خَلَقْنَاهُمَا وما بينهما اِلَّا بِالْحَقِّ اي بالامر الحق والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال وقال الكلبي لا للحق وكذا قال الحسن وقيل الا اقامة الحق واظهاره وقيل العدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وقيل بالجد ضد اللعب وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لقلة نظرهم ان الامر كذلك وهم المشركون وفيه تجهيل عظيم لمنكري البعث والحشر وتوكيد لان انكارهم يؤدي الى ابطال الكائنات باسرها ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي هذه الآية دليل على صحة الحشر ووقوعه ووجه الدلالة انه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به اسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك ان يتميز المطيع من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون في الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلا بد من البعث لنجزي كل نفس بما كسبت فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه لما حكى مقالة منكري

البعث والجزاء وهو رد هم بيان حال المجرمين الذين مضوا ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقنا الخ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ اي يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل والاضافة على معنى في والظاهر انها بمعنى اللام مِيقَاتُهُمْ اي الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسيء والحق من المبطل أَجْمَعِينَ لا يخرج عنهم احد من ذلك وقد اتفق القراء على رفع ميقاتهم على انه خبر ان واسمها يوم الفصل واجاز الكسائي والفراء نصبه على انه اسمها ويوم الفصل خبرها ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا بدل من يوم الفصل او منتصب بفعل يدل عليه الفصل اي يفصل بينهم يوم لا يغني والمعنى انه لا ينفع قريب قريبا ولا يدفع عنه شيئا ويطلق المولى على الولي وهو القريب والناصر وفي المختار المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر الجار والحليف اي لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه شيئا ومولى الاول مرفوع بالفاعلية والثاني مجرور بعن واعرابهما اعراب المقصور كفتى وعصا ورحى والمراد بالمولى الثاني الكافر وبالاول المؤمن اي لا يغني مؤمن عن مولى كافر شيئا فهذه الاية نظير قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ الضمير راجع الى المولى وان كان مفرد اق اللفظ لانه في المعنى جمع لانه نكرة في سياق النفي وهو من صيغ العموم اي ولا هم يمنعون من عذاب الله والجملة توكيد لما قبلها فالمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما في الدنيا علقة من قرابة او صداقة او غيرهما كما اشار له القرطبي إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ قال الكسائي الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله وكذا قال الفراء وقيل هو متصل والمعنى لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم او مرفوع على البدلية من مولى الاول ويغني بمعنى ينفع قاله الحوفي او مرفوع المحل ايضا على البدلية من واو ينصرون اي لا يمنع من عذاب الله الا من رحمه الله ذكره السمين إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ اي الغالب الذي لا ينصر من اراد عذابه الرحيم بعباده المؤمنين ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم على صورة شجر الدنيا وسماها الشجرة الملعونة والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل فاذا جاء اهل النار الجئ اليها فاكلوا منها وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات وشجرت ترسم بالتاء المجرورة ووقف

ع ١٣

عليها بالهاء ابو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم قاله الخطيب وفي القرطبي كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء الا حرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرت الزقوم انتهى اي فيجوز الوقف عليها بالتاء والهاء وفي القاموس كلام مبسوط على الزقم والزقوم فليرجع اليه والاثيم الكثير الاثم قال في الصحاح اثم الرجل بالكسر اثما وماثما اذا وقع في الاثم فهو اثم واثيم واثوم فمعنى طعام الاثيم ذو الاثم قيل هو ابو جهل ولا وجه للتخصيص كالمهل وهو دردي الزيت وعكر القطران وقيل هو النحاس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب او فضة وكل منطبع سواء كان من صفر او حديد او رصاص وقيل الصديد والقيح يغلي في البطون كغلي الحميم قرأ الجمهور تغلي بالتاء على ان الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة خبر ثان او حال او خبر مبتدأ محذوف اي تغلي غليا مثل غلي الحميم وهو الماء الشديد الحرارة وقرئ بالتحتية على ان الفاعل ضمير يعود الى الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يصح عوده الى المهل لانه مشبه به وانما يغلي ما يشبه بالمهل خذوه اي يقال للملائكة الذين هم خزنة النار خذوه اي الاثيم فاعتلوه العتل القود بالعنف يقال عتله يعتله اذا جره وذهب به الى مكروه وقيل العتل ان تأخذ بتلابيب الرجل وهما معه فتجره قرأ الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان الى سواء الجحيم اي الى وسطه ومعظمه كقوله فرآه في سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم من هي التبعيضية اي صبوا فوق رأسه بعض هذا النوع واضافة العذاب الى الحميم للبيان اي عذاب هو الحميم وهو الماء الحار كما تقدم او من اضافة الصفة للموصوف او المسبب للسبب فالمصبوب هو الحميم لا عذابه وصب العذاب استعارة كقوله افرغ علينا صبرا فقد شبه العذاب بالماء ثم خيل له بالصب تحقيق الامر للاهانة به اي قولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا ذق العذاب انك قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائي بفتحها وروي ذلك عن علي اي لانك انت العزيز الكريم قيل ان ابا جهل كان يزعم انه اعز اهل الوادي واكرمهم فيقولون له ذق العذاب ايها المتعزز المتكرم على زعمك وفيما كنت تقوله قال الفراء اي بهذا القول الذي قلته في الدنيا عن ابن عباس في الاية قال يقول لست بعزيز ولا كريم اخرج الاموي في مغازيه عن عكرمة قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل فقال ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى قال فنزع عيد من بيده وقال

تستطيع لي انت ولا صاحبك من شيء لقد علمت اني امنع اهل بطحاء وانا العزيز الكريم فقال له الله
يوم بدر واذلّه وعيّره بكلمته وانزل ذق انك انت العزيز الكريم إِنَّ هٰذَا الْعَذَابَ وهذا الامر
مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ اي تشكون فيه حين كنتم في الدنيا والجمع باعتبار جنس الاثيم ثم ذكر سبحانه
مستقر المتقين فقال إِنَّ الْمُتَّقِينَ الذين اتقوا الكفر والمعاصي فِي مَقَامٍ قرأ الجمهور مقام بفتح
الميم وهو موضع القيام وقرئ بضمها وهو موضع الاقامة قاله الكسائي وغيره وهما سبعيتان وقال
الجوهري قد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام والمراد المكان وهو
من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العام ثم وصف المقام بقوله أَمِينٍ يامن فيه صاحبه
من جميع المخاوف قال النسفي هو من امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان
استعارة لان المكان المخيف كأنه يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى واصل الامن طمانينة
النفس وزوال الخوف والامن والامان والامانة في الاصل مصادر ويستعمل الامان تارة اسما للحالة
التي عليها الانسان في الامن وتارة لما يؤمن عليه الانسان كقوله وتخونوا اماناتكم اي ما ائتمنتم
عليه فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ بدل من مقام امين جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ
من المآكل والمشارب او بيان له او خبر ثان يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ في خبر ثان او ثالث
او حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور والسندس ما رق من الديباج وفي المصباح الديباج
ثوب سداه ولحمته ابريسم ويقال انه معرب انتهى والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره
اللفظ اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن
منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب فساغ ان يقع في القرآن العربي وقد تقدم تفسيره في سورة
الكهف مُتَقَابِلِينَ اي في مجالسهم ينظر بعضهم الى بعض وهو اتم للانس فلا يرد ما قيل من ان
الجلوس على هذه الصفة موحش لان قليل الثواب اذا اطلع على حال كثير الثواب يتنغص لان احوال
الآخرة بخلاف احوال الدنيا وقال الجمل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة كَذٰلِكَ اي نفعل
بالمتقين فعلا كذلك او الامر كذلك وَزَوَّجْنَاهُمْ اي اكرمناهم بان زوجناهم بِحُورٍ عِينٍ الحور
جمع حوراء وهي البيضاء والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين وقال مجاهد انما سميت الحوراء
حوراء لانه يحار الطرف في حسنها وقيل هو من حور العين وهو شدة بياض العين في شدة سوادها

كذا قال ابو عبيدة وقال الاصمعي ما ادري ما الحور في العين قال ابو عمرو الحوران تسود العين كلها مثل اعين الظباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور لانهن شبهن بالظباء والبقر وقيل المراد بقوله وزوجناهم قرناهم وليس من عقد التزويج لانه يقال زوجته بامرأة وقال ابو عبيدة وجعلناهم ازواجا لهن كما يزوج البعل بالبعل اي جعلناهم اثنين اثنين وكذا قال الاخفش واختلفا ايهما افضل في الجنة النساء الآدميات ام الحور ذكر ابن المبارك وابن سلم الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروي مرفوعا ان الآدميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل لقوله عليه الصلوة والسلام فابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم يَدْعُونَ فِيهَا اي في الجنة بِكُلِّ فَاكِهَةٍ اي يامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم آمِنِينَ من التخم والاسقام والآلام قال قتادة امنين من الموت والوصب والشيطان وقيل من انقطاع ما هم فيه من النعيم لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى اي لا يموتون فيها ابدا الا الموتة التي ذاقوها في الدنيا والاستثناء منقطع اي لكن الموتة كذا قال الزجاج والفراء وغيرهما ومثل هذه الآية قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقيل ان الا بمعنى بعد واختاره الطبري كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك اي بعد رجل عندك واباه الجمهور لان مجيئ الا بمعنى بعد لم يثبت وقيل هي بمعنى سوى اي سوى الموتة الاولى نقله الطبري وضعفه قال ابن عطيه وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى سوى مستقيم منتسق قال ابن قتيبة انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله وقدرته الى اسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون مناز لهم من الجنة ويفتح لهم ابوابها فاذا ماتوا في الدنيا فكانهم ماتوا في الجنة لانصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها فيكون الاستثناء على هذا متصلا قال الزمخشري فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة انتهى قلت وهذا عند علماء البيان يسمى نفي الشيء بدليله وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ قرا الجمهور وقيهم بالتخفيف وقرئ

بالتشديد على المبالغة فضلا من ربك اي لاجل الفضل منه او اعطاهم ذلك عطاء فضلا منه ذلك الذي تقدم ذكره من صرف العذاب ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده المتناهي في العظم لانه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب ثم لما بين سبحانه الدلائل وذكر الوعد والوعيد قال فانما يسرناه بلسانك اي انما انزلنا القرآن بلغتك كي يفهمه قومك فيتذكروا ويعتبروا او يعملوا بما فيه او سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه وهذا فذلكة للسورة واجمال لما فيها من التفصيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون فارتقب اي فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم واهلاكهم على يدك انهم مرتقبون اي فانهم منتظرون ما ينزل بك من موت او غيره وقيل انتظر ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك نوائب الدهر والمحنة متقارب قال المحلي وهذا قبل الامر بجهادهم اي فهو منسوخ وليس بصحيح لان رفع الاباحة الاصلية ليس نسخا انما النسخ رفع حكم ثبت في الشرع بحكم آخر وقيل النهي لا يريد به النسخ لان الشيء قبل الامر به او النهي عنه ليس فيه حكم شرعي حتى يرفع بالنسخ فتامل اهـ

سورة الجاثية وتسمى الشريعة قال الخازن هي ست او سبع وثلثون اية

وهي مكية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهي قوله للذين امنوا اغفروا اي يغفروا ايام الله فانها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب ذكره الماوردي وقال المهدوي والنحاس انها نزلت في عمر شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فانزل الله قل للذين امنوا الاية ثم نسخت بآية القتال فالسورة كلها مكية على هذا من غير استثناء اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حم قد تقدم الكلام على هذا في فاتحة سورة غافر وما بعدها والله اعلم بمراده به تنزيل الكتاب اي القرآن مبتدء من الله خبره العزيز في ملكه الحكيم في صنعه ثم اخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال ان في السموات والارض اي في خلقهما لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته للمؤمنين قال الزجاج ويدل على ان المعنى في خلقهما قوله وفي خلقكم انفسكم على اطوار مختلفة قال

مقاتل من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا وحاصل ما ذكرهنا من الدلائل ستة على اثبات
فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون ووجه التغاير بينها ان المنصف من نفسه
اذا نظر في السموات والارض وانه لابد لهما من صانع اتم واذا نظر في خلق نفسه وجوهها
ازداد ايمانا فايقن واذا نظر في سائر الحوادث عقل واستحكم علمه وفي خلق ما يبث فيهما يفرق
ويبشر من دآبة آيات وللنحاة في هذا الموضع بكلام طويل في رفع آيات ونصبها والبحث في مسئلة
العطف على معمولي عاملين مختلفين وحجج المجوزين له وجوابات المانعين منه مقرر في علم النحو
مبسوط في مطولاته لقوم يوقنون بعين انه لا اله الا هو واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما
او تفاوتهما في الطول والقصر والظلام والضياء وذهابهما ومجيئهما وما انزل الله من السماء
من رزق معطوف على اختلاف والرزق المطر لانه سبب لكل ما يرزق الله العباد به فاحيى
به الارض بعد موتها احياء الارض اخراج نباتها وموتها خلوها عن النبات ويبسها وتصريف
الرياح في مهابها اي انها تهب تارة من جهة وتارة من اخرى وتارة تكون حارة وتارة تكون
باردة وتارة نافعة وتارة ضارة والرياح اربعة بحسب جهات الافق آيات لقوم يعقلون
مراد الله سبحانه في كتابه يفهمون الدليل فيؤمنون تلك آيات الله نتلوها عليك اي
هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه بالحق اي محقين او متلبسة بالحق او الباء للسببية
فتتعلق بنفس الفعل فبأي حديث بعد الله وآياته اي حجج قبل القصص فبأي حديث بعد آيات الله
وذكر الاسم الشريف ليس لاقصد تعظيم الآيات فيكون من باب اعجبني زيد وكرمه
وقيل المراد بعد حديث الله وهو القرآن كما في قوله الله نزل احسن الحديث وهو المراد بالآيات
والعطف لمجرد التغاير العنواني يؤمنون قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية والمعنى يؤمنون بأي
حديث وانما قدم عليه لان الاستفهام له صدر الكلام ويل واد في جهنم او كلمة عذاب
لكل افاك اثيم اي لكل كذاب كثير الاثم مرتكب لما يوجبه ثم وصف هذا الافاك بصفة اخرى
فقال يسمع آيات الله اي القرآن تتلى عليه ثم يصر على كفره ويقيم على ما كان عليه
حال كونه مستكبرا اي متماديا على كفره متكبرا عن الايمان ومتعاظما في نفسه عن الانقياد للحق
والاصرار ما خوذ من اصرار الحمار على العانة وهو ان يحني عليها صار اذنيه وثم للتراخي الرتبي عند العقلاء

أي اصرارا على الكفر بما تتلى عليه الآيات المذكورة وسمعها مستبعدا في العقول قال مقاتل اذا سمع من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا وجملة كأن لم يسمعها في محل نصب على الحال او مستأنفة وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف فبشره بعذاب اليم هذا من باب التهكم اي فبشره على اصراره واستكباره وعدم استماعه الى الآيات بعذاب شديد الالم قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله واذا علم من آياتنا شيئا قرأ الجمهور بفتح العين وكسر اللام مخففة على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والمعنى انه اذا وصل اليه وبلغه شيء وعلم انه من آيات الله يتخذها اي الآيات هزوا او قيل الضمير في اتخذها عائد الى شيء لانه عبارة عن الآيات والاول اولى اولئك اي كل افاك متصف بتلك الصفات لهم عذاب مهين بسبب ما فعلوا من الاصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا والعذاب المهين هو المشتمل على الاذلال والفضيحة من ورائهم اي من وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم فانها من قدامهم لانهم متوجهون اليها وعبر عن القدام بالوراء كقوله من ورائه جهنم والوراء مستعمل بمعنى الامام كما يستعمل بمعنى الخلف وهو مشترك بين المعنيين فيستعمل في الشيء وضده كالجون يستعمل في الابيض والاسود على سبيل الاشتراك وقيل جعلها بالاعتبار اعراضهم عنها كانها خلفهم وقيل الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام ولا يغني اي لا يدفع عنهم ما كسبوا من اموالهم واولادهم شيئا من عذاب الله ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا يغني عنهم ما اتخذوا من دون الله اولياء من الاصنام وما في الموضعين اما مصدرية او موصولة وزيادة لا في الجملة الثانية للتاكيد ولهم عذاب عظيم في جهنم التي هي من ورائهم هذا اي القرآن هدى للمهتدين به والذين كفروا بآيات ربهم القرآنية لهم عذاب من رجز اليم ارجز اشد العذاب قرأ الجمهور اليم بالجر صفة للرجز وقرئ بالرفع صفة لعذاب الله الذي سخر لكم البحر اي جعله على صفة تمكنون بها من الركوب عليه بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخله كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره اي باذنه واقداره لكم ولتبتغوا من فضله بالتجارة ونارة و الغوص للدر والمعالجة للصيد وغير ذلك ولعلكم تشكرون اي لكي تشكروا النعم التي تحصل لكم

بسبب هذا التسخير للبحر وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ اي سخر لعباده جميع ما خلق في سمواته وارضه مما يتعلق بمصالحهم ويقوم به معايشهم ومما سخره لهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر والسحاب والرياح وجميعا حال من ما في السموات او تاكيد له وقوله منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا اي كائنا منه او متعلق بسخر او حال من ما في السموات او خبر لمبتدا محذوف والمعنى ان كل ذلك نعمة منه لعباده وقال ابن عباس جميعا منه اي منه النور والشمس والقمر وكل شيء هو من الله وعن طاؤس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب قال فمم خلق هؤلاء قال لا ادري ثم اتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فاتى ابن عباس فسأله مم خلق الخلق فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق هؤلاء فقرأ ابن عباس وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال الرجل ما كان ليأتي بهذا الا رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اِنَّ فِي ذٰلِكَ المذكور من التسخير لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ خص المتفكرين لانه لا ينتفع بها الا من تفكر فيها فانه ينتقل من التفكر الى الاستدلال بها على التوحيد قُلْ لِّلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يَغْفِرُوْا اي على انهم اجروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا اقاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي وقيل التقدير قل لهم ليغفروا او قل لهم ليتجاوزوا لِلَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ اَيَّامَ اللّٰهِ اي عن الذين لا يرجون وقائع الله باعدائه اي لا يتوقعونها ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل هو على معناه الحقيقي والمعنى لا يرجون ثوابه في الاوقات التي وقتها الله للمؤمنين والاول اولى والايام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم في تفسير قوله وذكرهم بايام الله قال مقاتل لا يخشون مثل عذاب الله للامم الخالية وذلك انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فلا يخافون عقابه وقيل المعنى لا يأملون نصر الله لاوليائه وابقاعه باعدائه وقيل لا يخافون البعث قيل والآية منسوخة بآية السيف والاولى انه يقال انها محمولة على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وعن ابن عباس في الآية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فامره الله ان يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ والاول اولى لِيَجْزِيَ اللّٰهُ قَوْمًا قرئ بالتحتية وقرئ بالنون اي ليجزي نحن والجملة تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون امروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار

والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل المعنى ليجزي الكفار بما عملوا من السيئات كانه قال لا تكافوهم انتم لتكافيهم عن قيل المراد بالقوم كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او التنويع والاول اولى تذكر المؤمنين واعمالهم والمشركين واعمالهم فقال مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا اي ان عمل كل طائفة من احسان واساءة لعامله لا يتجاوزه الى غيره وفيه ترغيب وترهيب والجملة مستانفة لبيان كيفية الجزاء ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ اي تصيرون فيجازي كلا بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ المراد بالكتاب التوراة كذا في الكشاف وتبعه القاضي ولعل الاولى ان يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الانجيل والزبور ايضا لكن جمهور المفسرين على تفسيره هنا بالتوراة لانه ذكر بعدها الحكم ونحوه وما ذكر لاحكم فيها ذا الزبور ادعية ومناجاة والانجيل احكام قليلة جدا وعيسى ما مور بالعمل بالتوراة والمراد بالحكم الفهم والفقه الذي يكون به الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم وبالنبوة من بعثه الله من الانبياء فيهم وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ اي المستلذات التي احلها الله لهم ومن ذلك المن والسلوى وهذا نعم دنيوية وما قبله من الكتاب والنبوة نعم دينية وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ من اهل زمانهم حيث اتيناهم ما لم نؤت من عداهم من كثرة الانبياء فيهم وفلق البحر وغرق العدو ونحوها وقد تقدم بيان هذا في سورة الدخان قال ابن عباس لم يكن لاحد من العالمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ اي شرائع واضحات في الحلال والحرام او معجزات ظاهرات وقيل العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وتعيين مهاجره ثم اختلفوا فيه فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الامر الا بعد مجيء العلم اليهم ببيانه وايضاح معناه فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا للتوبة وقيل المراد بالعلم يوشع بن نون فانه امن به بعضهم وكفر بعضهم وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها حسدا وبغيا بَيْنَهُمْ فصل بغيا من بعضهم على بعض بطلب الرياسة إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من امر الدين فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ ثم للاستيناف والشريعة في اللغة المذهب والملة والمنهاج ويقال لمشرعة الماء وهي مورد شاربيه شريعة والجمع شرائع فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما تحيى به نفوسهم ومنه

الشارع لانه طريق الى المقصد فالمراد بالشريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدين اي جعلناك
يا محمد على منهاج واضح من امر الدين يوصلك الى الحق وقال ابن عباس على هدى من امر دينه قال قتادة
الشريعة الامر والنهي والحدود والفرائض البينة لانها طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه يستن
بطريقة من قبله من الانبياء وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة وقال ابن العربي الامر يرد في
اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشان كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثاني بمقابلة
النهي وكلاهما يصح ان يكون مرادا هنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام
كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين
الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينهما في الفروع حسب ما علمه سبحانه وتعالى فاتبعها
اي فاعمل باحكامها في امتك وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ توحيد الله وشرائعه لعباده
وهم كفار قريش ومن وافقهم ثم علل النهي عن اتباع اهوائهم فقال إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا اي لا يدفعون عنك شيئا مما اراده الله بك ان اتبعت اهواءهم وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ اي انصار بعضهم بعضا لان الجنسية علة الانضمام قال ابن زيد ان المنافقين اولياء
اليهود وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ اي ناصرهم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي والاشارة بقوله
هَذَا الى القرآن او الى اتباع الشريعة بَصَائِرُ لِلنَّاسِ اي براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون اليه من
احكام الدين وبيانات يتبصرهم وجه الفلاح ومعالم يتبصرون بها في الاحكام والحدود جعل
ذلك بمنزلة البصائر في القلوب ليتوصل بكل واحد منها الى تحصيل العرفان واليقين وجمع الخبر باعتبار
ما في المبتدا من تعدد الايات والبراهين وقرئ هذه بصائر اي هذه الايات لان القرآن بمعناها
وَهُدًى اي رشد وطريق يؤدي الى الجنة لمن عمل به وَرَحْمَةٌ من الله في الاخرة لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
اي من شانهم الايقان وعدم الشك والتزلزل بالشبهة أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ
ام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة وما فيهما من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني
والهمزة لانكار الحسبان بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح
وقد تقدم في المائدة والجملة مستانفة سيقت لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان حالي
الظالمين والمتقين وهو معنى قوله أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي نسوي بينهم

مع اجتراحهم السيئات وبين اهل الحسنات قيل نزلت في قوم من المشركين وقيل المسيئون عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والمحسنون علي وحمزة وعبيدة بن الحارث حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم والعموم اولى سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ في دار الدنيا وفي الآخرة كلا لا يستوون في شيء منهما فان حال اهل السعادة فيهما غير حال اهل الشقاوة فهؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في الحياة وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في الحياة وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات وشتان بينهما وقيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة قرأ الجمهور سواء بالرفع على انه خبر مقدم والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى انكار حسبانهم ان محياهم ومماتهم سواء وقرئ بالنصب على انه حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور في قوله كالذين امنوا وعلى انه مفعول ثان لحسب واختار قراءة النصب ابو عبيد وقال معناه نجعلهم سواء وقرئ مماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم ولما سقط الخافض انتصب سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ اي ساء حكمهم هذا الذي حكموا به وقال مجاهد في الآية المؤمن في الدنيا والآخرة سوء من الكافر في الدنيا والآخرة كافر وقال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته قام ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي احسب الذين اجترحوا السيئات الآية وعن الفضيل انه بلغها فلم يزل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ المقتضي للعدل بين العباد وهذا كالدليل لما قبله من نفي الاستواء ومحل بالحق النصب على الحال من الفاعل او المفعول او الباء للسببية وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ اي خلق الله اياهما ليدل بهما على قدرته ولتجزى او اللام للصيرورة قاله ابن عطية اي صار الامر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها قوم آخرون وَهُمْ اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب او زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزهه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه او سماه ظلما نظرا الى صدوره منا كما في الابتلاء والاختبار ثم عجب سبحانه من حال الكفار فقال أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ قال الحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه وقال عكرمة يعبد ما يهواه او يستحسنه فاذا استحسن شيئا

وهويه اتخذه الها قال سعيد بن جبير كان احدهم يعبد الحجر فاذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الاخر وقال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وأضله الله على علم قد تقدم قال ابن عباس يقول اضله في سابق علمه وقيل المعنى اضله عن الثواب على علم منه بانه لا يستحقه وقال مقاتل على علم منه انه ضال لانه يعلم ان الصنم لا ينفع ولا يضر قال الزجاج على سبق في علمه انه ضال قبل ان يخلقه وقال الكرخي اضله وهو عالم بالحق وهذا اشد تشنيعا عليه وختم على سمعه اي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى ولا يعقله وجعل على بصره غشوة اي على ظلمة وغطاء حتى لا يبصر الرشد قرأ الجمهور غشاوة بالالف مع كسر الغين وقرئ بغير الف مع فتح الغين وقرأ ابن مسعود والاعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهي لغة ربيعة وقرئ بضمها وهي لغة عكل فمن يهديه من بعد الله اي بعد اضلال الله له اي لا يهتدي افلا تذكرون تذكرا اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال قال الواحدي ليدل بقي للقدرة مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى يعني اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره ثم بين سبحانه بعض جهلاتهم ضلالاتهم فقال وقالوا اي منكرو البعث ما هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا الحياة التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نموت نحن ويحيى فيها اولادنا وقيل نكون نطفا في اصلاب ثم تصير احياء وقيل في الاية تقديم وتاخير اي نحيى ونموت كذا قرأ ابن مسعود وعلى كل تقدير فمرادهم بهذه المقالة انكار البعث وتكذيب الاخرة وقيل هذا من كلام من يقول بالتناسخ اي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيى به وما يهلكنا الا الدهر اي مرور الليالي والايام والدهر في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وفي القاموس دهرهم امر كمنع نزل بهم مكروه فهم مدهورون وقرئ الا دهر بغير واو قال مجاهد يعني السنين والايام انتهى كانوا يزعمون ان مرورها هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان الا ترى ان اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقال قطرب المعنى وما يهلكنا الا الليل والنهار وقال عكرمة وما يهلكنا الا الله عن ابي هريرة قال كان اهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي

يحيينا ويمتنا فيسبوت الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر
اقلب الليل والنهار واخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم الحديث وفي الموطا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسماء الله
تعالى ومرادهم بهذا الحصر انكار ان يكون الموت بواسطة ملك الموت واضافة الحوادث الى الدهر
والزمان وان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وما لهم بذلك اي بنسبة الحوادث
الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال من علم ثم بين كون ذلك صادرا منهم لا عن
علم فقال ان هم الا يظنون اي ما هم الا قوم غاية ما عندهم الظن فما يتكلمون الا به ولا يستندون الا
اليه واذا تتلى عليهم ايانا بينات اي اذا تليت ايات القران على المشركين حال كونها واضحات
ظاهرة المعنى والدلالة على البعث او مبينات لما يخالف معتقدهم قاله الزمخشري ما كان حجتهم الا ان
قالوا ائتوا بابائنا احياء ان كنتم صادقين انا نبعث بعد الموت اي ما كان لهم حجة ولا تمسك
ولا متشبث يتعلقون ويعارضون به الا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء وانما سماه
حجة مع انه ليس بحجة لانهم ادلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوا مساقها فسمي حجة على سبيل التهكم او
لانه في حسابهم وتقديرهم حجة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم فقال قل الله يحييكم في
الدنيا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يجمعكم الى اي في يوم القيامة بالبعث والنشور لا ريب
فيه اي في جمعكم لان من قدر على ابتداء الخلق قدر على اعادته وفي هذا رد لقولهم وما يهلكنا الا الدهر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لاعراضهم عن التفكر بالدلائل فلهذا حصل معهم الشك في البعث
وجاؤا بما دفعه بما هو اوهن من بيت العنكبوت ولو نظروا حق النظر لحصلوا على العلم اليقيني الدافع
عنهم الريب ولراحوا لنفوسهم من ورطة الشك والحيرة ثم لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون وما اجابه
به عليهم ذكر اختصاصه بالملك فقال ولله ملك السموات والارض اي هو المتصرف فيهما وحده كما
اراد لا يشاركه احد من عباده وهو شامل للاحياء والاماتة المذكورين قبله وللجمع والبعث والمخاطبين
وغيرهم ثم توعد اهل الباطل فقال ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي المكذبون
الكافرون المتعلقون بالاباطيل يظهر في ذلك اليوم خسرانهم لانهم يصيرون الى النار والعامل

ع ٣

في يوم هو يخسر ويوم مبتدل منه والتنوين عوض عن المضاف اليه المدلول عليه بما اضيف اليه المبدل منه فيكون التقدير ويوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة فيكون بدل توكيد يا والاول ان يكون العامل في يوم هو ملك اي ولله ملك يوم تقوم الساعة ويكون يومئذ معمولا لخسر والجملة مستأنفة من حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى افاده السمين وقال الاقتراني وهذا بالتأكيد اشبه والى يتأتى ان هذا مقصود بالنسبة دون الاول وقال الحفناوي اليوم في البدل بمعنى الوقت والمعنى وقت ان تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم تقوم الساعة فانه يوم متسع مبدؤه من النفخة الاولى فهو بدل البعض والعائد مقدر ولما كان خسرانهم وقت حشرهم كان هو المقصود بالنسبة وترى كل أمة الخطاب لكل من يصلح له والنبي صلى الله عليه وسلم والامة الملة والرؤية بصرية او علمية وفيه بعد ومعنى قوله جاثية مستوفزة المستوفز الذي لا يصيب الارض منه الا ركبتاه واطراف اناملة قال الضحاك وذلك عند الحساب وقيل معنى جاثية مجتمعة قاله ابن عباس وقال الفراء المعنى وترى اهل كل دين مجتمعين وقال عكرمة متميزة عن غيرها وقال مورج معناه بلغة قريش خاضعة وقال الحسن باركة على الركب والجثو الجلوس على الركب تقول جثى يجثو ويجثي جثوا وجثيا اذا جلس على ركبتيه والاول اولى ولا ينافيه ورود هذا اللفظ لمعنى آخر في لسان العرب وقد ورد اطلاق الجثوة على الجماعة من كل شيء في لغة العرب وعن عبد الله بن بابا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني اراكم بالكوم دون جهنم جاثين ثم قرأ سفيان هذه الآية اخرجه البيهقي في البعث وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد وابن ابي حاتم وسعيد بن منصور وعن ابن عمر في الآية قال كل امة مع نبيها حتى يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكوم قد علا على الخلائق فذلك المقام المحمود وظاهر الآية ان هذه الصفة تكون لكل امة من الامم من غير فرق بين اهل الاديان المتبعين للرسل وغيرهم من اهل الشرك وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار والاول اولى ويؤيده قوله كل أمة تدعى إلى كتابها وقوله فيما سيأتي فأما الذين آمنوا ومعنى الى كتابها الى الكتاب المنزل عليها وقيل الى صحيفة اعمالها وقيل الى حسابها وقيل اللوح المحفوظ والاول اولى قرأ الجمهور كل امة بالرفع على الابتداء وخبره تدعى وقرئ بالنصب على البدل من كل امة اليوم اي يقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير وشر هذا كتابنا الاضافة بين هذا

وقوله كتابهم لانه كتابهم بمعنى انه مشتمل على اعمالهم وكتاب الله بمعنى انه هو الذي امر الملائكة بكتبه واليه اشار في التقرير قاله الكرخي ينطق عليكم بما عملتم بالحق بلا زيادة ونقصان وهذا من تمام مايقال لهم والقائل بهذا هم الملائكة وقيل هو من قول الله سبحانه اي يشهد عليهم وهو استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل انهم يقرؤنه فيذكرون ما عملوا فكانه ينطق عليهم دليله قوله تعالى ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال ابن عباس هو ام الكتاب فيه اعمال بني ادم وقيل هو ديوان الحفظة ومحل ينطق النصب على الحال او الرفع على انه خبر اخر لاسم الاشارة وجملة انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون تعليل للنطق بالحق اي ناصر الملائكة بنسخ اعمالكم اي بكتبها وتثبيتها عليكم وليس المراد بالنسخ ابطال شيء واقامة اخر مقامه اذ ورد ان الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على ما في اللوح قال الواحدي واكثر المفسرين على ان هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ فان الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من اعمال بني ادم فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه قالوا الان الاستنساخ لا يكون الا من اصل وقيل ان الملائكة تكتب كل يوم ما يعمله العبد فاذا رجعوا الى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيئات وتركوا المباحات وقيل ان الملائكة اذا رفعت اعمال العباد الى الله سبحانه امر عز وجل ان يثبت عندهم منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب وقال ابن عباس الملائكة يستنسخون اعمال بني ادم فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كنا نرى هذا تكتبه الملائكة في كل يوم وليلة فقال انكم لستم قوما عربا هل يستنسخ الشيء الا من كتاب وعن علي بن ابي طالب ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه اعمال بني ادم وعن ابن عمر نحوه ورواي عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا في الاية قال يستنسخ الحفظة من ام الكتاب ما يعمل بنو ادم فانما يعمل الانسان ما استنسخ الملك من ام الكتاب واخرج نحوه الحاكم عنه وصححه واخرج الطبراني عنه ايضا في الاية قال ان الله وكل ملائكة ينسخون من ذلك العلم في رمضان ليلة القدر ما يكون في الارض من حدث الى مثلها من السنة المقبلة فيتعارضون به حفظة الله على العباد عشية كل خميس فيجدون ما رفع الحفظة موافقا لما في كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة قاله البيضاوي

وهذا تفصيل لحال الفريقين فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة وفسر الحلي كالزمخشري الرحمة بنفس الجنة وهو اظهر ذلك الادخال في رحمته هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ اي الظاهر الواضح لخلوصه عن الآلام والشوائب التي تخالطه وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيقال لهم أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي اي القرآن تُتْلَى عَلَيْكُمْ الاستفهام للتوبيخ لان الرسل قد اتتهم وتلت عليهم آيات الله فكذبوا ولم يعملوا بها فَاسْتَكْبَرْتُمْ اي تكبرتم عن قبولها وعن الايمان بها وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ اي من اهل الاجرام وهي الآثام والاجتراء الاكتساب يقال فلان جرمة اهله اذا كان كاسبهم فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصي وَكُنْتُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ايها الكفار إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ اي وعده بالبعث والحساب والجزاء وبجميع ما وعد به من الامور المستقبلة واضح لاحالة والعامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول وقرئ بفتحها وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا قاله السمين وَالسَّاعَةُ قرأ الجمهور بالرفع على الابتداء او العطف على موضع اسم ان وقرئ بالنصب على اسم ان اي القيامة لَا رَيْبَ فِيهَا اي في وقوعها قُلْتُمْ استغرابا واستبعادا وانكارا لها مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ اي اي شيء هي إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا اي غير حاسمين ونتوهم توهما قال المبرد تقديره ان نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل ان نظن مضمن معنى نعتقد اي ما نعتقد الا ظنا لا علما وقيل ان ظنا له صفة مقدرة اي الا ظنا بينا وقيل ان الظن يكون بمعنى العلم والشك فكانهم قالوا ما لنا الا اعتقاد لا الشك ولعل ذلك قول بعضهم فحينئذ تخيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تلي عليهم في امر الساعة وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ اي لم يكن يقين لذلك ولم يكن معنا الا مجرد الظن ان الساعة اتية وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا اي ظهر لهم سيئات اعمالهم على الصورة التي هي عليها اي جزاؤها وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اي احاط بهم ونزل عليهم جزاء اعمالهم بدخولهم النار وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا اي نتركم في النار كما تركتم العمل لهذا اليوم والنسيان اريد به الترك مجازا اما بعلاقة السببية او لتشبيهه في عدم المبالاة واضاف اللقاء الى اليوم توسعا لانه اضاف الى الشيء ما هو واقع فيه كمكر الليل وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ اي مسكنكم ومستقركم الذي تأوون اليه وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا اي ذلك العذاب العظيم بسبب انكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا غَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا اي خدعتكم بزخارفها واباطيلها فظننتم

انه لا دار غيرها ولا بعث ولا نشور فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا اي من النار قرأ الجمهور بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وقرئ بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل وهما سبعيتان والالتفات من الخطاب الى الغيبة لتحقيرهم وللايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ اي لا يسترضون ولا يطلب منهم الرجوع الى طاعة الله لانه يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة فَلِلَّهِ الْحَمْدُ اي الوصف بالجميل على وفاء وعده في الكلمتين رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اي خالق ما ذكر لا يستحق الحمد سواه والعالم ما سوى الله وجمع لاختلاف انواعه قرأ الجمهور رب في المواضع الثلاثة بالجر على الصفة للاسم الشريف او البيان او البدل وقرئ بالرفع في الثلاثة على تقدير مبتدا اي هو رب السموات الخ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي الجلال والعظمة والسلطان وخص السموات والارض لظهور آثار ذلك فيهما وهو القهر والتصرف لانفسهما انها صفة ذاتية للرب تعالى واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اي العزيز في سلطانه فلا يغالبه مغالب والحكيم في كل افعاله واقواله وجميع اقضيته عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار اخرجه ابن ابي شيبة ومسلم وابو داود وابن ماجة والبيهقي

سورة الاحقاف هي اربع او خمس وثلاثون اية

وهذا الاختلاف مبني على ان حم اية او لا وهي مكية قال القرطبي في قول جميعهم قال ابن عباس وابن الزبير نزلت بمكة وقال المحلي الا قل ارايتم ان كان من عند الله الاية والا فاصبر كما صبر اولو العزم والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث ايات يعني اخرها قوله الا اساطير الاولين وعن ابن مسعود قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الاحقاف واقرأها اخر فخالفت قراءته فقلت من اقرأكها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لقد اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ذا فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الم تقرئني كذا وكذا قال بلى وقال الاخر الم تقرئني كذا وكذا قال فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ليقرأ كل واحد منكما ما سمع فانما اهلك من كان قبلكم بالاختلاف و الاحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد وقيل جمع حقف وهو التل من الرمل

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

حٰمٓ + الله اعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى وبيان ما هو الحق من ان في اوائل السور من المتشابه الذي يجب ان يوكل علمه الى من انزله ؛

تَنْزِيْلُ الْكِتٰبِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ مَا خَلَقْنَا

السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ المخلوقات باسرها اِلَّا بِالْحَقِّ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا هو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه المشية الالهية وَاَجَلٍ اي وبتقدير اجل مُّسَمًّى وهذا الاجل هو يوم القيامة فانها تنتهي فيه السموات والارض وما بينهما وتبدل الارض غير الارض والسموات وقيل المراد به هو انتهاء اجل كل فرد من افراد المخلوقات والاول اولى وهذا اشارة الى قيام الساعة وانقضاء مدة الدنيا وان الله لم يخلق خلقه باطلا وعبثا لغير شيء بل خلقه للثواب والعقاب وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَمَّآ اُنْذِرُوْا وخوفوا به في القرآن من البعث والحساب والجزاء والعذاب مُعْرِضُوْنَ حال اي والحال انهم مولون غير مستعدين له ولا مؤمنين به قُلْ اَرَءَيْتُمْ اخبروني مَّا تَدْعُوْنَ وتعبدون مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ من الاصنام وغيرها اَرُوْنِيْ يحتمل ان يكون تاكيدا لقوله قل ارايتم اي اخبروني اروني والمفعول الثاني لارايتم قوله مَاذَا اي اَيُّ شَيْءٍ خَلَقُوْا مِنَ الْاَرْضِ ويحتمل ان لا يكون تاكيدا بل يكون هذا من باب التنازع لان ارايتم يطلب مفعولا ثانيا واروني كذلك اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والمعنى بل الهم شركة مع الله فيها والاستفهام للتوبيخ والتقريع وتخصيص الشراء بالسموات دون ان يعم الارض ايضا احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائْتُوْنِيْ بِكِتٰبٍ منزل هذا من جملة المقول والامر بتكبيتهم واظهار لعجزهم وقصورهم عن الاتيان بذلك واشارة الى نفي الدليل المنقول بعد الاشارة الى نفي الدليل المعقول مِّنْ قَبْلِ هٰذَا اي القرآن فانه قد صرح ببطلان الشرك وان الله واحد لا شريك له وان الساعة حق لا ريب فيها فهل للمشركين كتاب يخالف هذا الكتاب او حجة تنافي هذه الحجة اَوْ اَثٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ قال في الصحاح

اي بقية منه وكذا الاثرة بالتحريك قال ابن قتيبة اي بقية من علم الاولين وقال الفراء والمبرد يعني ما يؤثر عن كتب الاولين قال الواحدي وهو معنى قول المفسرين قال عطاء او شيء تأثرونه عن نبي كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم قال مقاتل او رواية من علم عن الانبياء وقال الزجاج او اثارة اي علامة و الاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر وهي الرواية يقال اثرت الحديث أثره اثرة واثارة واثرا اذا ذكرته عن غيرك قرأ الجمهور اثارة على المصدر كالسباحة والغواية وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما بفتح الهمزة والثاء اثرة من غير الف وقرئ أثرة بضم الهمزة وسكون الثاء قال ابن عباس لو اثارة من علم اي خط اخرجه احمد وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم قال سفيان لا اعلم الا عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نبي من الانبياء يخط فمن صادف مثل خطه علم اخرجه عبد بن حميد وابن مردويه ومعنى هذا ثابت في الصحيح ولاهل العلم فيه تفاسير مختلفة ومن ابن لنا ان هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط وان السند الصحيح الى ذلك النبي او الى نبينا صلى الله عليه وسلم ان هذا الخط هو على صورة كذا فليس ما يفعله اهل الرمل الا جهالات وضلالات وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم او اثارة من علم قال حسن الخط اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال خط كان تخطه العرب في الارض وعنه قال بينة من العلم ان كنتم صادقين في دعواكم التي تدعونها وهي قولكم ان لله شريكا او ان الله امركم بعبادة الاوثان ولم يأتوا بشيء من ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له اي لا احد اضل منه ولا اجهل فانه دعى من لا يسمع فكيف يطمع في الاجابة فضلا عن جلب نفع او دفع ضر فتبين بهذا انه اجهل الجاهلين واضل الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع الى يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة والمراد بها التابيد كقوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين قاله الشهاب وقال في الانتصاف في هذه الغاية نكتة وهي أنه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فاشعرت الغاية باستئناف الاستجابة في يوم القيامة على وجه ابلغ واتم واوضح وضوحا لا حاجة بالبين الذي لا يتعرض لذكره اذ هناك تتجرد العداوة والمباينة بينهما وبين عابديها وهم عن دعائهم غافلون الضمير الاول للاصنام والثاني لعابديها

والمعنى الاصنام التي يدعونها غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونها جمادات فالغفلة مجاز عن عدم الفهم فيهما والجمع في الضميرين باعتبار معنى من واجرى على الاصنام ما هو للعقلاء لاعتقاد المشركين فيها انها تعقل وَاِذَا حُشِرَ النَّاسُ العابدون للاصنام كَانُوْا اي كان الاصنام لَهُمْ اي لعابديهم اَعْدَآءً تتبرء بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل ان الله يخلق الحياة في الاصنام فتكذبهم وقيل المراد انها تكذبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال واما الملائكة والمسيح وعزير والشياطين فانهم يتبرؤن ممن عبدهم يوم القيامة كما في قوله تعالى تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وَكَانُوْا بِعِبَادَتِهِمْ كٰفِرِيْنَ اي كان المعبودون بعبادة المشركين اياهم جاحدين مكذبين وقيل الضمير في كانوا للعابدين كما في قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاول اولى وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا اي ايات القرآن حال كونها بَيِّنٰتٍ واضحات المعاني ظاهرات الدلالات قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الايات كما قاله القاضي كالكشاف والية اشار في التقرير ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم لتسجيل عليهم بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة كما يؤخذ ذلك من تقريره وايضاحه انه هنا اقام ظاهرين مقام مضمرين اخلاصل قالوا لها اي للايات ولكنه ابرزهما ظاهرين لاجل الوصفين المذكورين افاده الكرخي لَمَّا جَآءَهُمْ اي وقت جاءهم قالوا من غير نظر وتامل هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ اي ظاهر السحرية بين البطلان اَمْ يَقُوْلُوْنَ اَفْتَرٰىهُ ام هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة اي بل ايقولون والاستفهام للانكار والتعجب من صنيعهم وبل للانتقال عن تسميتهم الايات سحرا الى قولهم ان رسول الله افترى ما جاء به والظاهر ان الافتراء على الله اشنع من السحر لا يحتاج الى البيان وان كان كلاهما كفرا وفي ذلك من التوبيخ والتقريع ما لا يخفى ثم امر الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهٗ على سبيل الفرض والتقدير كما تدعون فَلَا تَمْلِكُوْنَ لِيْ مِنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا اي فلا تقدرون على ان تردوا عني عقاب الله فكيف افتري على الله لاجلكم وانتم لا تقدرون على دفع عقابه عني هُوَ اَعْلَمُ بِمَا تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ اي تخوضون فيه من التكذيب والافاضة في الشيء الخوض والاندفاع فيه يقال افاضوا في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير اذا دفع جرته من كرشه والمعنى الله اعلم بما تقولون

في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب له والقول بأنه سحر وكهانة كفى به شهيدا بيني وبينكم فانه يشهد لي بأن القرآن من عنده وأني قد بلغتكم ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود وفي هذا وعيد شديد بجزاء ما فاضتهم وهو الغفور الرحيم لمن تاب وآمن وصدق بالقرآن وعمل بما فيه أي كثير الرحمة والمغفرة لبليغهما وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع من كل شئ المبدأ أي ما أنا أول رسول كذا قال ابن عباس يعني قد بعث الله قبلي كثيرا من الرسل وقيل البدع بمعنى البديع كالخف والخفيف والبديع ما لم ير له مثل من الابتداع وهو الاختراع وشئ بدع بالكسر أي مبتدع وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع كذا قال الأخفش وقرئ بدعا بفتح الدال مصدرا على تقدير حذف مضاف أي ما كنت ذا بدع قاله ابو البقاء وقرئ بفتح الباء وكسر الدال على الوصف كحذر وما أدري ما يفعل بي فيما يستقبل من الزمان هل أبقى في مكاني أو اخرج منها وهل أموت أو اقتل كما فعل بالانبياء قبلي قرئ يفعل مبنيا للمفعول وللفاعل وما استفهامية كما جرى عليه المحلي او موصولة كما قال الزمخشري ولا أدري ما يفعل بكم يعني هل تعجل لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم أم تمهلون وهذا انما هو في الدنيا واما في الآخرة فقد علم انه وامته في الجنة وان الكافرين في النار وقيل ان المعنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة وانها لما نزلت فرح المشركون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والاول اولى قال ابن عباس رضي الله عنه فانزل الله تعالى بعد هذا ليغفر لك الله الخ وقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية فاعلم الله سبحانه نبيه صلعم ما يفعل به وبالمؤمنين جميعا وارغم الله انف الكفار واخرج ابو داؤد في ناسخه ان هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك الله وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث ام العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه قلت رحمك الله يا ابا السائب شهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلعم وما يدريك ان الله اكرمه اما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لارجو له الخير وما أدري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت ام العلاء في الله لا ازكي بعده احدا ان أتبع الا ما يوحى إلي قرأ الجمهور مبنيا للمفعول اي ما اتبع الا القرآن ولا ابتدع من عندي شيئا

والمعنى قصر اضعاله صلى الله عليه وسلم على الوحي لاقصر اتباعه على الوحي وما انا الا نذير مبين اي انذركم عقاب الله واخوفكم عذابه على وجه الايضاح قل ارأيتم اي اخبروني ماذا حالكم ان كان ما يوحى الي من القران من عند الله وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان كان هو وسلامن عند الله في الحقيقة وح الحال انكم قد كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل العالمين بما انزل الله في التوراة على مثله فامن اي على مثل القران من المعاني الموجودة في التوراة المطابقة له من اثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك وهذه المثلية هي باعتبار تطابق المعاني وان اختلفت الالفاظ قال الجرجاني مثل صلة والمعنى وشهد شاهد عليه انه من عند الله وكذا قال الواحدي فامن الشاهد بالقران لما تبين له انه من كلام الله ومن جنس ما انزله على رسله وهذا الشاهد من بني اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفي هذا نظر فان السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد رجلا من اهل الكتاب قد امن بالقران في مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير والراجح انه عبد الله بن سلام وان هذه الاية مدنية لامكية وروي عن مسروق ان المراد بالرجل موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله واخرج الترمذي وابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن سلام قال نزل في ايات من كتاب الله نزلت فيه وشهد شاهد من بني اسرائيل ونزل في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وعن ابن عباس قال هو عبد الله بن سلام وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين وفيه دليل على ان هذه الاية مدنية فتخصص بها عموم قولهم ان سورة الاحقاف كلها مكية واياه ذكر الكواشي وكونه اخبارا قبل الوقوع خلاف الظاهر واذا قيل لم يذهب احد الى ان الاية مكية اذا فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث لان قوله وشهد شاهد معطوف على الشرط الذي يصير به الماضي مستقبلا فلا ضير في شهادة الشاهد بعد نزولها وادعاء انه لم يقل به احد مع ذكره في شروح الكشاف لا وجه له الا ان يراد من السلف المفسرون قالوا الشهادة واستكبرتم اي امن الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان وقد اختلف في جواب الشرط

ما هو فقال الزجاج محذوف تقديره المؤمنون وقيل تقديره فقد ظلموا لان الله لا يهدي
الى عليه وقيل تقديره فمن اضل منكم وقيل قوله فآمن واستكبرتم وقال ابو علي الفارسي تقديره
انا مثون عقوبة الله وقيل التقدير السنة ظالمين إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فحرمهم الله
سبحانه الهداية بظلمهم لانفسهم بالكفر بعد قيام الحجج الظاهرة على وجوب الايمان ومن فقد
هداية الله له ضل عن عوف بن مالك الاشجعي قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى دخلنا
كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود اروني
اثني عشر رجلا منكم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت
ادیم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما اجابه منهم احد ثم رد عليهم فلم يجبه احد ثلاثا
فقال ابيتم فوالله انا الحاشر وانا العاقب وانا القفي آمنتم اولم تؤمنوا ثم انصرف وانا معه حتى كدنا
ان نخرج فاذا رجل من خلفه فقال كما انت يا محمد فاقبل فقال ذلك الرجل اي رجل تعلمون فيكم يا معشر
اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا اعلم بكتاب الله ولا افقه منك ولا من ابيك ولا من جدك فقال
فاني اشهد بالله انه النبي الذي تجدونه مكتوبا في التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه
وقالوا اشر افقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن بتم لن يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله وانا
وابن سلام فانزل الله قل ارايتم ان كان من عند الله الى قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
اخرجه ابو يعلى وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه وصححه السيوطي ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من
اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به فقال وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي كفار مكة
لِلَّذِينَ آمَنُوا اي لاجلهم وفي حقهم وقيل هي لام التبليغ لو كان جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن
والنبوة خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ لانهم عند انفسهم المستحقون للسبق الى كل مكرمة فان معالي
الامور لا تنال بها ايدي الاذلاء وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان
الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية وزل عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات
روحانية مساها الاعراض عن زخارف الدنيا والاقبال على الآخرة بالكلية وان من فاز
بها فقد حاز خيرها اعذا فيدها ومن حرمها فماله منها من خلاق ولم يعلموا ان الله سبحانه يختص برحمته
من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويصطفي لدينه من يشاء عن قتادة قال قال ناس

من المشركين نحن اعز ونحن ونحن فلو كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فنزلت هذه الآية
وعن عون بن ابي شداد قال كانت لعمر بن الخطاب امة اسلمت قبله يقال لها زنيرة وكان عمر يضربها
على الاسلام وكان كفار قريش يقولون لو كان خيرا ما سبقنا اليه زنيرة فانزل الله في شانهما هذه الآية
وعن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنو غفار واسلم كانوا الكثير من الناس فتنة
يقولون لو كان خيرا ما جعلهم الله اول الناس فيه وَاِذْ لَمْ يَهْتَدُوْا بِهٖ اي بالقرآن وقيل بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل بالايمان فَسَيَقُوْلُوْنَ غير مكترثين بنفي خيريته هٰذَآ اِفْكٌ قَدِيْمٌ فاوزعوا انفي خيريته
القرآن الى دعوى انه كذب قديم كما قالوا اساطير الاولين وَمِنْ قَبْلِهٖ كِتٰبُ مُوْسٰٓى قرا الجمهور
بكسر الميم من من على انها حرف جر وهي مع مجرورها خبر مقدم وكتاب موسى مبتدا مؤخر والجملة في
محل نصب على الحال او مستانفة والكلام مسوق لرد قولهم هذا افك قديم فان كونه قد تقدم القراءة
كتاب موسى وهو التوراة وتوافقا في اصول الشرائع يدل على انه حق ويقتضي بطلان قولهم وقرئ بفتح الميم
على انها موصولة ونصب كتاب اي واتينا من قبله كتاب موسى اِمَامًا اي يقتدى به في الدين
وَّرَحْمَةً عمن الله لمن امن به وهما منتصبان على الحال قاله الزجاج وغيره وقال الاخفش على القطع
وقال ابو عبيدة اي جعلناه اماما ورحمة وَهٰذَا كِتٰبٌ مُّصَدِّقٌ يعني القرآن فانه مصدق
لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة ولغيره من كتب الله وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم
وانتصاب لِّسَانًا عَرَبِيًّا على الحال الموطية وصاحبها الضمير في مصدق العائد الى كتاب الله وجوز
ابو البقاء ان يكون مفعولا لمصدق والاول اولى وقيل على حذف مضاف اي ذا لسان
عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بلسان على اسقاط حرف الجر وهو ضعيف لِّيُنْذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا
اي لينذر الكتاب او لينذر الله وقيل الرسول والاول اولى قرا الجمهور بالخطاب وقرئ لتنذر بالفوقية
على ان فاعله النبي صلى الله عليه وسلم وَبُشْرٰى في محل نصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول قاله الزمخشري
وتبعه ابو البقاء وتقديره للانذار والبشرى وقيل منصوب على المصدرية بفعل محذوف اي وليبشر بشرى
وقال الزجاج الاجود ان يكون في محل رفع اي وهو بشرى وقيل انه معطوف على مصدق فهو في
محل رفع وقوله لِّلْمُحْسِنِيْنَ متعلق ببشرى اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا اي جمعوا
بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة على الشريعة التي هي منتهى العلم وثمرة الدلالة

على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد وقد تقدم تفسير هذا في سورة السجدة فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ اي من لحوق مكروه في الاخرة والفاء زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم تمنع ان من ذلك لبقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على فوات محبوب في الدنيا وان ذلك دائم مستمر اُولٰٓئِكَ الموصوفون بما ذكر اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ التي هي دار المؤمنين حال كونهم خٰلِدِينَ فِيهَا وفي هذه الاية من الترغيب امر عظيم فان نفي الخوف والحزن على الدوام وهو الاستقرار في الجنة على الابد مما تطلب الانفس سواء وان تتشوق الارواح الى ما عداه جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي يجزون جزاء بسبب اعمالهم التي عملوها من الطاعات لله وترك معاصيه في الدنيا ولما كان رضاء الله في رضاء الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث حث الله تعالى عليه بقوله وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا قرأ الجمهور بضم الحاء وسكون السين وقرئ بفتحهما وقرئ احسانا وقد تقدم في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا من غير اختلاف بين القراء وقد تقدم في سورة الانعام وسورة بني اسرائيل وبالوالدين احسانا فلعل هذا هو وجه اختلاف القراءتين وعلى جميعها فانتصابه على المصدر بفعل وصيناه ان يحسن اليهما حسنا او احسانا وقيل يتضمن وصينا معنى الزمنا وقيل على انه مفعول له والحسن خلاف القبيح والاحسان خلاف الاساءة والتوصية الامر حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا تعليل للتوصية المذكورة واقتصر في التعليل على الام لان حقها اعظم لذلك وكان ثالثا البرقال الخطيب قرأ الجمهور بضم الكاف في الموضعين وقرئ بفتحهما قال الكسائي وهما لغتان بمعنى واحد قال ابو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه الغصب والغلبة واختار ابو عبيد الفتح وقال لان لفظ الكره في القرآن كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم وقيل ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره وانما ذكر سبحانه حمل الام ووضعها تاكيدا لوجوب الاحسان اليها الذي وصى الله به والمعنى انها حملته ذات كره ووضعته ذات كره وبين سبحانه مدة حمله وفصاله فقال وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْرًا اي عدتهما هذه المدة من عند ابتداء حمله الى ان يفصل من الرضاع اي يقطع عنه وقد استدل بهذه الاية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع سنتان اي مدة الرضاع الكامل في قوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة فذكر سبحانه في هذه الاية اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع وفي هذه الاية اشارة الى ان حق الام اكد من حق الاب لانها حملته بمشقة ووضعته بمشقة وارضعته هذه المدة فتعب

ونصب ولم يشاركها الاب في شيء من ذلك قرأ الجمهور فصاله بالالف وقرئ فصله بفتح الفاء و
سكون الصاد والفصل والفصال بمعنى كالقطع والقطام والقطف والقطاف عن نافع بن جبير
ان ابن عباس اخبره قال اني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر وضعت لستة اشهر فانكر الناس ذلك
فقلت لعمر لم تظلم قال كيف قلت اقرأ حمله وفصاله ثلاثون شهرا والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين كم الحول قال سنة قلت كم السنة قال اثنا عشر شهرا قلت فاربعة وعشرون شهرا حولان كاملان
ويؤخر الله من الحمل ما شاء ويقدم ما شاء فاستراح عمر الى قولي وعنه انه كان يقول اذا ولدت المرأة
لتسعة اشهر كفاها من الرضاع احد وعشرون شهرا واذا ولدت لسبعة اشهر كفاها من الرضاع
ثلاثة وعشرون شهرا واذا وضعت لستة اشهر فحولان كاملان لان الله يقول وحمله وفصاله ثلثون
شهرا حتى اذا بلغ اشده اي بلغ استحكام قوته وعقله وغاية شبابه واستوائه وهو جمع لا واحد له
من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها
قوته ولبه وذلك اذا ناف على الثلاثين ومايطيء الاربعين وقد مضى تحقيق الاشد مستوفى ولابد
من تقدير جملة تكون حتى غاية لها اي عاش واستمرت حياته وقيل بلغ عمره ثماني عشرة سنة وقيل
الاشد الحلم قاله الشعبي وابن زيد وقال الحسن وهو بلوغ الاربعين والاول اولى لقوله وبلغ
اربعين سنة فان هذا يفيد ان بلوغ الاربعين هو شيء وراء بلوغ الاشد قال المفسرون لم يبعث
الله نبيا قط الا بعد اربعين سنة قال رب اوزعني اي الهمني ورغبني ووفقني قال الجوهري
استوزعت الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي اي الهمني
شكر ما انعمت علي من الهداية وعلى والدي من التحنن علي منهما حين ربياني صغيرا وقيل انعمت
علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغنى والثروة ان اعمل عملا صالحا ترضاه مني واصلح لي في
ذريتي اي اجعل ذريتي صالحين راسخين في الصلاح متمكنين منه وعدي بفي لتضمنه معنى
اللطف او هو بمنزلة اللام ثم عدي ليفيد سريان الصلاح فيهم والا فالاصلاح متعد كما في
قوله تعالى واصلحنا له زوجه وفي هذه الاية دليل على انه ينبغي لمن بلغ عمره اربعين سنة ان يستكثر
من هذه الدعوات اني تبت اليك من ذنوبي واني من المسلمين اي المستسلمين لك المنقادين
لطاعتك المخلصين لتوحيدك اولئك اشارة الى الانسان المذكور والجمع لانه يراد به الجنس الذين

نتقبل عنهم احسن ما عملوا من اعمال الخير في الدنيا والمراد بالاحسن الحسن كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم فالقبول ليس قاصرا على افضل عباداتهم واحسنها بل يعم كل طاعاتهم فاضلها ومفضولها والقبول هو الرضاء بالعمل والاثابة عليه وقيل ان اسم التفضيل على معناه ويراد به ما يثاب العبد عليه من الاعمال لا ما لا يثاب عليه كالمباح فانه حسن وليس باحسن وتتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم عليها قرأ الجمهور يتقبل ويتجاوز على بناء الفعلين للمفعول وقرئ بالنون فيهما على اسنادهما الى الله سبحانه والتجاوز الغفران واصله من جزت الشيء اذا لم تقف عليه في اصحاب الجنة اي انهم كائنون في عداد هم منتظمون في سلكهم فالجار والمجرور في محل النصب على الحال كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي كائنا في جملتهم وقيل ان في بمعنى مع اي مع اصحاب الجنة وقيل انهما خبر مبتدا محذوف اي هم في اصحاب الجنة وعد الصدق مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله اولئك الذين نتقبل عنهم في معنى الوعد بالتقبل والتجاوز ويجوز ان يكون مصدر الفعل محذوف اي وعدهم الله وعد الصدق الذي كانوا يوعدون به على السن الرسل في الدنيا عن ابن عباس قال انزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فاستجاب الله له فاسلم والداه جميعا واخوانه وولده كلهم ونزلت فيه ايضا فاما من اعطى واتقى الى آخر السورة وقال النسفي قيل نزلت في ابي بكر الصديق وفي ابويه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين سنة ولم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله تعالى عنه ولما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه وعلى والديه ذكر من قال لهما قولا يدل على التضجر منهما عند دعوتهما له الى الايمان فقال والذي قال لوالديه اف لكما الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولهذا اخبر عنه بالجمع واف كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يرد عليه قرئ اف بكسر الفاء مع التنوين وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ بكسرها من غير تنوين فالقراءات ثلاثة سبعية والهمزة في الكل مضمومة وقد مضى بيان الكلام على هذا في سورة بني اسرائيل واللام في لكما للبيان الموضح له كما في قوله هيت لك وقد اخرج البخاري عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن ابي سفيان فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية عليه ما حليه لكي يبايع له بعد ابيه فقال عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا فقال خذوه

فدخل بيت عايشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا انزل فيه والذي قال لوالديه اف لكما فقالت عايشة ما انزل الله فينا شيئا من القرآن الا ان الله انزل عذري وعن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنه قال مروان سنة ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما الآية فبلغ ذلك عايشة فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت ان اسمي الذي نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن ابا مروان ومروان في صلبه فمروان من لعنة الله اخرجه النسائي وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وعن ابن عباس في الآية قال هذا ابن لابي بكر ونحوه عن السدي ولا يصح هذا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول في امم والصحيح انه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه أَتَعِدَانِنِيٓ بنونين مخففتين وفتح ياءه اهل المدينة ومكة واسكنها الباقون وقرئ بادغام احدى النونين في الاخرى وقرئ بفتح النون الاولى فرارا من توالي مثلين مكسورين أَنْ أُخْرَجَ قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى اتعداني ان ابعث بعد الموت وهذا هو الموعود به وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي اي والحال ان قد مضت القرون فما تاوا ولم يبعث منهم احد وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ له ويطلبان منه التوفيق الى الايمان واستغاث يتعدى بنفسه تارة وبالباء اخرى يقال استغاث الله واستغاث به وقال الزازي معناه يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل وقيل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى الباء وزعم ابن مالك انه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول النحاة مستغاث به قلت لكنه لم يرد في القرآن الا متعديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم فاستغاث له الذي من شيعته وان يستغيثوا يغاثوا قال الفراء يقال اجاب الله دعاءه واغاثه وَيْلَكَ اي يقولان له ويلك ليس المراد به الدعاء عليه بل الحث له على الايمان ولهذا قالا له آمِنْ بالبعث وما اعترف وصدق إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قرأ الجمهور بكسر ان على الاستيناف او التعليل وقرئ بفتحها اي امن بان وعد الله حق لا خلف فيه وهو من جملة مقولهما فَيَقُولُ عند ذلك ممكذبا لما قالاه مَا هَٰذَآ الذي تقوله له من البعث إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ اي احاديثهم واباطيلهم التي يسطرونها في الكتب من غير ان تكون

لها حقيقة أولئك القائلون هذه المقالات هم الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما يفيده قوله في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وجملة انهم كانوا خاسرين تعليل لما قبلها وهذا يدفع كون سبب النزول عبد الرحمن بن ابي بكر وانه الذي قال لوالديه ما قال فانه من افاضل المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب ولكل اي لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين والابرار والفجار من الجن والانس درجات مما عملوا اي مراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار تذهب سفلا ودرجات اهل الجنة تذهب علوا ومراتب اهل النار يقال لها دركات بالكاف كما في الحديث لا درجات والجواب ان ذلك على جهة التغليب او المراد المراتب مطلقا وليوفيهم اعمالهم اي جزاء اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فيزيد جزاء هم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحتية واختار ابو عبيد الاولى وابو حاتم الثانية وهم لا يظلمون اي لا ينزاد مسوء ولا ينقص محسن بل يوفى كل فريق ما يستحقه من خير وشر والجملة حالية مؤكدة او مستانفة مقررة لما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي اذكر لهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء فينظرون الى النار ويقربون منها وقيل معنى يعرضون يعذبون من قولهم عرضه على السيف وعرض الشخص على النار اشد في اهانته من عرض النار عليه اذ عرضه عليها يفيد ان الحطب المخلوق للاحتراق وقيل في الكلام قلب والمعنى تعرض النار عليهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي يقال لهم توبيخا قرأ الجمهور اذهبتم بهمزة واحدة وقرئ بهمزتين محققتين ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ قال الفراء والزجاج العرب توبخ بالاستفهام وبغيره فالتوبيخ كائن على القراءتين قال الكلبي المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعايش والمعنى ان كل ما قد رلكم من اللذات والطيبات فقد ذهبتم به واخذتموه وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء وقيل المعنى افنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي قال ابن بحر الطيبات الشباب والقوة ماخوذة من قولهم ذهب اطيباه اي شبابه وقوته قال الماوردي ووجدت الضحاك قاله ايضا قلت القول الاول اظهر والثاني فيه بعد واستمتعتم بها اي بالطيبات والمعنى انهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه ولم يرضوا بالذنب تكذيبا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب

فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ اي العذاب الذي فيه ذلة وخزي عليكم قال مجاهد وقتادة الهون بلغة قريش بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ اي بسبب تكبركم عن عبادة الله والايمان به وتوحيده وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ اي تخرجون عن طاعة الله وتعملون بمعاصيه فجعل التسبب في عذابهم امرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصي الله سبحانه وهذا شان الكفرة فانهم جمعوا بينهما قيل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات انذر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون من بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة وفي الباب اخبار واثار تدل على ذم التمتع

ع ١٠

وَاذْكُرْ يا محمد لقومك أَخَا عَادٍ هو هود بن عبد الله بن رباح كان اخاهم في النسب لا في الدين إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ اي وقت انذاره اياهم بِالْأَحْقَافِ هي ديار عاد جمع حقف وهو الرمل العظيم المستطيل المعوج قاله الخليل وغيره وكانوا قاهرين واهل الارض بقوتهم والمعنى ان الله سبحانه امر ان يذكر لقومه قصتهم ليتعظوا ويخافوا ويعتبروا بها وقيل امر ان يتذكر في نفسه قصتهم مع هود ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له قال عطاء الاحقاف في رمال بلاد الشحر والشحر قريب من عدن وفي القاموس الشحر كمنع فتح الفم وساحل البحر بين عمان وعدن وقال وقاتل هي باليمن في حضرموت وقال ابن زيد هي رمال مبسوطة مستطيلة مشرفة على البحر كهيئة الجبال ولم تبلغ ان تكون جبالا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقال ابن عباس الاحقاف جبل بالشام وقيل واد بين عمان ومهرة واليه تنسب الابل المهرية وقيل كانوا من قبيلة ارم وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ اي قد مضت الرسل من قبله ومن بعده كذا قال الفراء وغيره والمعنى اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فالذين قبله اربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسمعيل واسحق وكذا سائر انبياء بني اسرائيل أَنْ اي بان قال لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وحده إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ تعليل لما قبله عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ اي هائل بسبب شرككم قاله القاضي وفيه اشارة الى ان عظيم مجاز عن هائل لانه يلزم العظم قالُوا اي جوابا للانذار أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا اي لتصرفنا عن عبادتها وقيل لتزيلنا وقيل لتمنعنا والمعنى متقاربة فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب العظيم إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في وعدك لنا به قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ

بوقت مجيئه عِنْدَ اللَّهِ لا عندي ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وَأُبَلِّغُكُمْ اي واما انا فانما وظيفتي
التبليغ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ اليكم من ربكم من الانذار والاعذار لا الاتيان بالعذاب انى ليس من مقدوري
بل هو من مقدورات الله تعالى وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ حيث بقيتم مصرين على كفركم
ولم تهتدوا بما جئتكم به بل اقترحتم علي ما ليس من وظائف الرسل فَلَمَّا رَأَوْهُ الضمير يرجع الى ما
في قوله بما تعدنا وقال المبرد والزجاج يعود الى غير مذكور وبينه قوله عَارِضًا فيعود الى السحاب
اي فلما رأوا السحاب عارضا فعارضا نصب على التكرير بمعنى التفسير وسمي السحاب عارضا لانه
يبدو في عرض السماء قال ابن عباس العارض السحاب وبه قال الجوهري وزاد يعترض في الافق ومنه
قوله هذا عارض ممطرنا وانتصب عارضا على الحال او التمييز مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ اي متوجها
نحوها سائرا اليها قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء
فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل اوديتهم استبشروا وقالوا هذا عَارِضٌ
مُمْطِرُنَا اي عليم فيه مطر وقوله مستقبل اوديتهم صفة لعارض لان اضافته لفظية لا معنوية فصح
وصف النكرة به وهكذا ممطرنا فلما قالوا ذلك اجاب عليهم هود او القائل هو الله بَلْ هُوَ مَا
اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ من العذاب حيث قلتم فائتنا بما تعدنا رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ الريح التي عن يمينها
نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا صفة ثانية لريح اي تهلك كل
شيء مرت به من نفوس عاد واموالها والتدمير الاهلاك وكذا الدمار وقرئ يدمر بالتحتية مفتوحة
وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على الفاعلية من دمر دمارا ومعنى بامر ربها ان ذلك بقضائه
وقدره اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا
حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وكان اذا رأى غيما او ريحا عرف ذلك في وجهه قلت يا رسول
الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته عرفت في وجهك الكراهية
قال يا عايشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا
هذا عارض ممطرنا واخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عايشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ
بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت

سُرِّيَ عنه فسألته فقال لا أدري لعله كما قال في عاد هذا عارض ممطرنا فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم بعد خراب أموالهم وذهاب أنفسهم قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح للرؤية ونصب مساكنهم وقرئ بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع مساكنهم قال سيبويه معناه لا ترى أشخاصهم إلا مساكنهم وقال الكسائي والزجاج معناها لا يرى شيء إلا مساكنهم فهي محمولة على المعنى كما تقول ما قام إلا هند أي ما قام أحد إلا هند وفي الكلام حذف والتقدير فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا الخ قال ابن عباس في الآية أول ما عرفوا أنه عذاب رأوا وادي عاد خارجا من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح ففتحت أبوابهم ومالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام حسوما لهم إلى أن ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم في البحر فهو قوله فأصبحوا الآية وعنه قال أرسل الله على عاد من الريح الا قدر خاتمي هذا كذلك نجزي القوم المجرمين قد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الأعراف ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وإن بمنزلة ما النافية وتقديره ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من كثرة المال وطول العمر وقوة الأبدان وقيل إن زائدة أي ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وبه قال القتيبي والأول أولى لأنه أبلغ في التوبيخ للكفار قريش وأمثالهم قال ابن عباس يقول لم نمكنكم وعنه قال عاد مكنوا في الأرض أفضل مما مكنت فيه هذه الأمة وكانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأطول أعمارا وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة أي أنهم أعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع أعطاهم الله من الحواس والآلات الفهم التي بها تدرك الأدلة ولهذا قال فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء أي فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به إلى التوحيد واعتقاد صحة الوعد والوعيد ووحد السمع لأنه لا يدرك به إلا الصوت وما يتبعه بخلاف البصر حيث يدرك به أشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة والفؤاد يعم إدراكه كل شيء قاله الزمخشري وقد قدمنا من الكلام على أفراد السمع وجمع البصر ما يغني عن الإعادة ومن في من شيء زائدة والتقدير فما أغنى عنهم شيئا من الإغناء ولا نفعهم بوجه من وجوه النفع إذ كانوا يجحدون بآيات الله أي لأنهم كانوا جاحدين وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء

حيث قالوا افائتنا بما تعدنا ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة والمراد بالقرى
قرى قوم ثمود وهي الحجر وسدوم قرى قوم لوط بالشام وبخوهما مما كان مجاورا البلاد الحجاز وكانت
اخبارهم متواترة عندهم وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون اي بينا الحجج ونوعناها لكي يرجعوا
عن كفرهم فلم يرجعوا ثم ذكر سبحانه انه لم يضرهم من عذاب الله ناصر فقال فلولا نصرهم الذين
اتخذوا من دون الله قربانا آلهة اي فهلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم
حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما
يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعولي اتخذوا محذوف
راجع الى الموصول والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه
لفساد المعنى وقيل يصح ذلك ولا يفسد المعنى ورجحه ابن عطية وابو البقاء وابو حيان وانكر ان يكون
في المعنى فساد على هذا الوجه بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرهم ولم يحضروا عند الحاجة اليهم
بالكلية وقيل بل هلكوا وقيل الضمير في ضلوا راجع الى الكفار اي تركوا الاصنام وتبرؤا منها والاول
اولى ذلك افكهم اي ذلك الضلال والضياع اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وزعمهم انها
تقربهم الى الله قرأ الجمهور افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر افك يأفك افكا اي كذبهم وقرئ
افك بفتح الهمزة والفاء والكاف على انه فعل اي ذلك القول صرفهم عن التوحيد وقرئ بفتح
الهمزة وتشديد الفاء اي صيرهم افاكين قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم و
قرئ بالمد وكسر الفاء بمعنى صادفهم وما كانوا يفترون معطوف على افكهم اي اثر افترائهم واثر
الذي كانوا يفترونه والمعنى وذلك افكهم اي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله و
تشفع لهم وما كانوا يكذبون انها آلهة ولما بين سبحانه ان في الانس من آمن وفيهم من كفر بين
ايضا ان في الجن كذلك فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اي اذكر اذ وجهنا اليك نفرا منهم
وصرفناهم اليك واقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة يستمعون القرآن صفة ثانية لنفرا وحال
لان النكرة قد تخصصت بالصفة الاولى عن ابن مسعود قال هبطوا يعني الجن على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا قالوا صه وكانوا تسعة احدهم زوبعة فانزل
الله واذ صرفنا اليك الى قوله ضلال مبين وعن الزبير قال اذ صرفنا اليك نفرا من الجن بنخلة ورسول الله صلى الله

عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه لبدا وكانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعنه قال اتوه ببطن نخلة وعنه قال صرفت الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وكانوا اشراف الجن بنصيبين وهي قرية من اليمن وجنها اشراف الجن وسادتهم واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال سألت ابن مسعود من اذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن قال اذنته بهم الشجرة واخرج احمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم احد ليلة الجن قال ما صحبه منا احد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل استطير ما فعل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح اذا نحن به يجيء من قبل حراء فاخبرناه فقال انه اتاني داعي الجن فاتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فارانا آثارهم وآثار نيرانهم واخرج احمد عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقد روي نحو هذا من طرق والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعت منه صلى الله عليه وسلم مع الجن حضر احدهما ابن مسعود ولم يحضر في الاخرى وقد وردت احاديث كثيرة ان الجن بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد مرة واخذوا عنه الشرائع وذكر سليمان الجمل في سبب هذه الواقعة قولين من الخطيب والخازن لا حاجة بنا الى ذكرهما فانهما ليسا من التفسير في شيء فَلَمَّا حَضَرُوهُ اي حضروا القرآن عند تلاوته وقيل حضروا النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في الكلام التفات من الخطاب الى الغيبة والاول اولى قَالُوا اَنْصِتُوا اي اسكتوا امر بعضهم بعضا لاجل ان يسمعوا فَلَمَّا قُضِيَ قرأ الجمهور مبنيا للمفعول اي فرغ من تلاوته وقرئ مبنيا للفاعل اي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من تلاوته والاول يؤيد ان الضمير في حضروه للقرآن والثانية تؤيد انه للنبي صلى الله عليه وسلم وَلَّوْا اِلٰى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِيْنَ اي انصرفوا قاصدين الى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومحذرين لهم وانتصاب منذرين على الحال المقدرة اي مقدرين الانذار وهذا يدل على انهم امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يهودا وقد اسلموا والجن لهم ملل مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب البدع قالوا الخازن قالوا يا قَوْمَنَا فالكلام محذوف والتقدير فوصلوا الى قومهم فقالوا يا قومنا اِنَّا سَمِعْنَا كِتٰبًا اي قرآنا اُنْزِلَ

مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ اي لما قبله من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم وغيرها يَهْدِيْٓ اِلَى الْحَقِّ اي الى الدين الحق اي العقائد الصحيحة وَاِلٰى طَرِيْقٍ مُّسْتَقِيْمٍ
اي الى طريق الله القويم اي الشرائع الفرعية والاحكام الدينية قال مقاتل لم يبعث الله نبيا بعد
الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يَا قَوْمَنَآ اَجِيْبُوْا دَاعِيَ اللّٰهِ وَاٰمِنُوْا بِهٖ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
يَغْفِرْ لَكُمْ جواب الامر مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ اي بعضها وهو ما عدا حق العباد لانه لا يغفر الا برضا اصحابه
وقيل ان من هنا لابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران من الذنوب ثم ينتهي الى غفران
تلك ما هو الاولى وقيل هي زائدة والاول اولى واما مظالم الحربيين فهي كحقوق الله تغفر بمجرد الاسلام
من الظالم ولا تتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربي وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ اَلِيْمٍ وهو عذاب النار
وفي هذه الآية دليل على ان حكم الجن حكم الانس في الثواب والعقاب والتعبد بالاوامر والنواهي قال
الحسن ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار وبه قال ابو حنيفة والاول اولى وبه قال مالك
والشافعي وابن ابي ليلى وعلى القول الاول فقال القائلون به انهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم
كوني ترابا كما يقال للبهائم والثاني ارجح وقال الله تعالى في مخاطبة الجن والانس ولمن خاف مقام
ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فامتن الله سبحانه على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة
ولا ينافي هذا الاقتصار ههنا على ذكر اجارتهم من عذاب اليم ومما يؤيد هذا ان الله سبحانه قد
جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فكيف لا يجازي محسنهم بالجنة وهو مقام فضل ومما يؤيد
هذا ايضا ما في القرآن الكريم في غير موضع ان جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة
وجزاء من قال لا اله الا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة وقد اختلف اهل
العلم هل ارسل الله الى الجن رسولا منهم ام لا وظاهر الآيات القرآنية ان الرسل من الانس كما في
قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال سبحانه في ابراهيم الخليل وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب فكل نبي بعثه الله بعد ابراهيم فهو من ذريته واما قوله سبحانه في سورة الانعام
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم فقيل المراد من مجموع الجنسين ما صدق على احدهما
وهو الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما ومن شرطية لا يجب داعي الله

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ اي لا يفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه لانه وان هرب كل مهرب فهو في الارض لا سبيل له الى الخروج منها وفي هذا ترهيب شديد وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ اي انصار يمنعونه من عذاب الله بين سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره أُولَٰئِكَ اي من لا يجب داعي الله فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي ظاهر واضح وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن قد اجتمع ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس لهما نظير في القرآن غير هذا ثم ذكر سبحانه دليلا على البعث فقال أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الرؤية هنا هي القلبية التي بمعنى العلم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان الذي خلق هذه الاجرام العظام من السموات والارض ابتداء وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بمعزوم بحذف الالف قرأ الجمهور بسكون العين وفتح الياء مضارع عيي وقرئ بكسر العين وسكون الياء بِخَلْقِهِنَّ اي لم يتعب ولم ينصب ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه يقال عي بالامر وعيي اذا لم يهتد لوجهه قال الشهاب عدم العيي مجاز عن عدم الانقطاع والنقص يعني ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الآباد بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كما في قوله وكفى بالله شهيدا قال الكسائي والفراء والزجاج العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام فتقول ما اظنك بقائم والجار والمجرور في محل رفع على انهما خبر ان وقرأ جماعة يقدر على صيغة المضارع واختار ابو عبيد الاولى وابو حاتم الثانية بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء تعليل لما افادته بلى من تعليل الخاص بالعام ولما اثبت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاهوال فقال وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ اي يقال ذلك اليوم للذين كفروا أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ وهذه الجملة هي المحكية بالقول والاشارة بهذا الى ما هو مشاهد لهم يومئذ من عرضهم على النار وفي الاكتفاء بمجرد الاشارة من التهويل للمشار اليه والتفخيم لشانه ما لا يخفى كانه امر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدل عليه قالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف وكرروا هذا الاعتراف بالقسم لان المشاهدة هي حق اليقين التي لا يمكن جحده ولا انكاره وكانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقية ما هم فيه قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اي بسبب كفركم بهذا في الدنيا وانكاركم له وفي هذا الامر بالذوق من التوبيخ بالغ وتهكم عظيم ولما قرر سبحانه الادلة على النبوة والتوحيد والمعاد امر رسوله بالصبر فقال

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ الصبر الوثوق بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه
قاله القشيري والفاء جواب شرط محذوف اي اذا عرفت ذلك وقامت عليه البراهين ولم يجدي في
الكافرين فاصبر كما صبر ارباب الثبات والحزم واولو الجد والصبر فاناك منهم قال مجاهد اولو
العزم من الرسل خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم اصحاب الشرائع وبه قال ابن
عباس وقال ابو العالية هم نوح وهود وابراهيم فامر الله رسوله ان يكون رابعهم وقال السدي
هم ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقيل نوح وهود وصالح
وشعيب ولوط وموسى وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وايوب وليس منهم يونس
وقال الشعبي والكلبي هم الذين امروا بالقتال فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم جميع
الرسل المذكورين في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واليسع ويونس ولوط واختار
هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل
ان الرسل كلهم اولو عزم ولم يبعث الله عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل
وقيل هم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل وقال الحسن هم اربعة ابراهيم وموسى وداود و
عيسى وعن ابن عباس قال هم الذين امروا بالقتال حتى مضوا على ذلك نوح وهود وصالح وموسى وداود
وسليمان وعن جابر بن عبد الله قال بلغني ان اولي العزم من الرسل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر وعن
عائشة قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طوى ثم ظل صائما ثم طوى ثم ظل صائما فقال
عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر
على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال اصبر كما صبروا اولو
العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا اجهدي ولا قوة الا بالله اخرجه ابن ابي حاتم و
الديلمي قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة قال القرطبي والاظهر انها منسوخة
لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فامره الله ان
يصبر على ما اصابه كما صبروا اولو العزم تسهيلا عليه وتثبيتا له ولا تستعجل لهم اي لا تستعجل العذاب
يا محمد للكفار فانه نازل بهم لا محالة وان تأخروا واللام للتعليل فلما امره سبحانه بالصبر ونهاه عن استعجال

العذاب لقومه رجاء ان يؤمنوا قال كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الآخرة لطوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار اي الا قدر ساعة من ساعات الايام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم بلاغ قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به بلاغ او تلك الساعة بلاغ او هذا القرآن بلاغ او هو مبتدا والخبر الواقع بعد قوله والا تستعجل لهم اي لهم بلاغ وقرئ بالنصب على المصدر اي بلغ بلاغا وقرئ بلغ بصيغة الامر بلغ بصيغة الماضي فهل يهلك الا القوم الفاسقون قرأ الجمهور يهلك على البناء للمفعول وقرئ على البناء للفاعل وقرئ بالنون ونصب القوم والمعنى انه لا يهلك بعذاب الله الا القوم الخارجون عن الطاعة الواقعون في معاصي الله قال قتادة لا يهلك على الله الا هالك مشرك قيل وهذه الآية اقوى آية في الرجاء وقال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله تعالى وفضله الا القوم الفاسقون وهذا تطميع في سعة فضل الله تعالى وسعة رحمته

ع ربع

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وسورة الذين كفروا وهي مدنية وفي قول ثلاث وثلاثون آية

وقيل هي اربعون آية والخلاف في قوله حتى تضع الحرب اوزارها وقوله لذة للشاربين وهي مدنية قال الماوردي في قول الجميع الا ابن عباس وقتادة فانهما قالا الا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزل قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك وهذا مبني على ان المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمشهور ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو في مكة فعليه تكون هذه الآية مدنية وهذا كله مبني على هذا النقل الذي نقله الماوردي هنا ونقله القرطبي ايضا هنا والذي نقله الخازن والخطيب وغيرهما بل والقرطبي ايضا انها نزلت لما خرج من مكة الى الغار مهاجرا والنقل الثاني هو الصحيح لانه هو الذي يناسبه التوعد بقوله وكاين من قرية واما على النقل الاول فلا يظهر هذا الوعيد لانه في حجة الوداع فارقها مختارا بعد ما صارت دار اسلام واسلم جميع اهلها وبدئ فتحها في السنة الثامنة وقال الثعلبي انها مكية وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهو غلط من القول فالسورة مدنية كما لا يخفى قال ابن عباس نزلت سورة القتال بالمدينة وعن ابن الزبير نزلت بالمدينة

سورة الذين كفروا وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأهم في المغرب الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اخرجه الطبراني في الاوسط

بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ كَفَرُوا هم كفار قريش كفروا بالله وصَدُّوا انفسهم وغيرهم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وهو دين الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه كذا قال مجاهد والسدي وابن عباس وقال الضحاك معنى سبيل الله بيت الله بمنع قاصديه وقيل هم اهل الكتاب او عام في كل من كفر وصد أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ اي ابطلها الله واحبطها وجعلها ضائعة قال الضحاك المعنى ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم في كفرهم وقيل ابطل ما عملوه في الكفر مما كانوا يسمونه مكارم الاخلاق من صلة الارحام وفك الاسارى واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام اجارة المستجير وقري الاضياف ونحو ذلك وهذه وان كانت باطلة من اصلها لكن المعنى انه سبحانه حكم ببطلانها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى وقال ابن عباس كانت لهم اعمال فاضلة لا يقبل الله مع الكفر عملا ولما ذكر سبحانه فريق الكافرين اتبعهم بذكر فريق المؤمنين فقال وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ظاهر هذا العموم فيدخل تحته كل مؤمن من المؤمنين الذين يعملون الصالحات ولا يمنع من ذلك خصوص سببها فقد قيل انها نزلت في الانصار قاله ابن عباس وقيل في ناس من قريش وقيل في مؤمني اهل الكتاب ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب العامة على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ مبنيا للفاعل وهو الله وقرئ أنزل بالهمزة ونزل ثلاثيا والمراد به القرآن وهذا من عطف الخاص على العام ولا شك ان الايمان بالقرآن المنزل على محمد من جملة افراد ما يجب الايمان به وخص سبحانه وتعالى الايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر مع اندراجه تحت مطلق الايمان المذكور قبله تنبيها على شرفه وعلو مكانه واشعارا بان الايمان لا يتحقق دونه وانه الاصل فيه ولذا اكد بقوله وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ومعنى كونه الحق انه الناسخ لما قبله ولا ينسخ والجملة اعتراضية كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ التي عملوها فيما مضى فانه غفرها لهم بالايمان والعمل الصالح وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ

اي شانهم وحالهم مجاهد وقال قتادة حالهم وقيل امرهم والمعاني متقاربة قال المبرد البال الحال
يعبر به وقيل القلب وهو كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا جمع والعرب الا في ضرورة الشعر قال
الجوهري والبال ايضا رخاء العيش يقال فلان رخي البال والبال الحوت العظيم من حيتان البحر
وليس بعربي والبالة القارورة والجراب ووعاء الطيب وموضع بالحجاز وقيل والمعنى انه عصمهم
عن المعاصي في حياتهم وارشدهم الى اعمال الخير وليس المراد اصلاح حال دنياهم من اعطائهم
المال ونحو ذلك وقال النقاش ان المعنى اصلح نياتهم ذلِكَ اي ما مر مما اوعد به الكفار ووعد به
المؤمنين او الامر ذلك بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ
فالباطل الشرك والكفر والحق التوحيد والايمان والمعنى ان ذلك الاضلال لاعمال الكافرين بسبب
اتباعهم الباطل من الشرك بالله والعمل بمعاصيه وذلك التكفير لسيئات المؤمنين واصلاح
بالهم بسبب اتباعهم للحق الذي امر الله بانباعه من التوحيد والايمان وعمل الطاعات كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اومثل ذلك البيان يَضْرِبُ يبين اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ اي احوال الفريقين الجارية مجرى
الامثال في الغرابة قال الزجاج كذلك يضرب لهم امثال حسنات المؤمنين واضلال اعمال
الكافرين يعني ان من كان كافرا اضل الله عمله ومن كان مؤمنا كفر الله سيئاته او جعل الاضلال
مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الابرار ولما بين سبحانه حال الفريقين امر بجهاد
الكفار فقال فَإِذَا لَقِيتُمُ الفاء لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال
الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين
ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتم في المحاربة الَّذِينَ كَفَرُوا اي المشركين
ومن لم يكن صاحب عهد من اهل الكتاب فَضَرْبَ الرِّقَابِ قال الزجاج اي فاضربوا الرقاب ضربا
وقيل هو منصوب على الاغراء قال ابو عبيدة هو كقولهم يا نفس صبرا وقيل التقدير اقصد واضرب
الرقاب وخص الرقاب بالذكر لان القتل الكثير ما يكون بقطعها لان الواجب ضرب الرقبة خاصة
لان هذا الايكاد يتاتى حالة الحرب وانما يتاتى القتل في اي موضع كان من الاعضاء وهو الاكثر
والغالب وقيل لان في التعبير عنه من الغلظة والشدة ما ليس في نفس القتل وهي حز العنق واطارة
العضو الذي هو راس البدن وعلوه واحسن اعضائه حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ غاية للامر

بضرب الرقاب لان غاية القتل وهو ماخوذ من الشئ الثخين اي الغليظ وفي المصباح اثخن
في الارض اثخانا سار الى العدو فاوسعهم قتلا واثخنته اوهنته بالجراحة واضعفته وقد يضع
تحقيق معناه في الانفال والمعنى اذا اثقلتموهم وقهرتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة
فشدوا الوثاق بالفتح القيد والحبل ويجئ بالكسر اسم الشئ الذي يوثق به كالرباط قال الجوهري و
اوثقه في الوثاق بكسر الواو ولغة فيه والجمع وثق مثل رباط وربط وعناق وعنق قرأ الجمهور فشدوا
بضم الشين وقرئ بكسرها وانما امر سبحانه بشد الوثاق لئلا يفوتوا ويفلتوا والمعنى اذا بالغتم في
قتلهم واكثرتم القتل فيهم فامسكوا عنهم واسروهم واحفظوهم بالوثاق فاما منا بعد واما فداء
فداء قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر اي فاما ان تمنوا عليهم بعد الاسر وشد الوثاق منا وتفدوا
فداء والمن الاطلاق بغير عوض والفداء ما يفدي به الاسير نفسه من الاسر ولم يذكر القتل
هنا اكتفاء بما تقدم وانما قدم المن على الفداء لانه من مكارم الاخلاق ولهذا كانت العرب تفتخر به
كما قال شاعرهم ؎ ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم ٭ اذا اثقل الاعناق حمل المغارم ٭ قال ابن
عباس في الاية جعل الله النبي والمؤمنين بالخيار في الاسارى ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم
وان شاؤا فادوهم وعنه ايضا قال هذا منسوخ نسختها اذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
وعن الحسن قال اتي الحجاج باساري فدفع الى ابن عمر رجلا يقتله فقال ابن عمر ليس بهذا امرنا
انما قال الله حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء وعن ليث قال قلت لمجاهد
بلغني ان ابن عباس قال لا يحل قتل الاسارى لان الله قال فاما منا بعد واما فداء فقال مجاهد
لا تعبأ بهذا شيئا ادركت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم ينكر هذا ويقول هذه منسوخة
انما كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فاما اليوم فلا يقبل
الله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فان كان
مشركو العرب لم يقبل منهم الا الاسلام فان لم يسلموا فالقتل واما من سواهم فانهم اذا اسروا
فالمسلمون فيهم بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم اذا لم يتحولوا
عن دينهم فان اظهروا الاسلام لم يفادوا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الصغير والمرأة و
الشيخ الفاني ثم ذكر سبحانه الغاية لذلك فقال حتى تضع الحرب اوزارها اي لم الحرب الاثامها واثقالها

التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند الوضع اليها وهو لاهلها على طريق المجاز والمعنى المسلمون مخيرون بين تلك الامور الاربعة الى غاية هي ان لا تكون حرب مع الكفار بان لا تبقى لهم شوكة قال مجاهد المعنى حتى لا يكون دين غير دين الاسلام وبه قال الحسن والكلبي قال الكسائي حتى يسلم الخلق وقال الفراء حتى يؤمنوا وبذهب الكفراي لا يبقى الا مسلم او مسالم وقيل المعنى حتى يضع الاعداء المحاربون اوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة او المواعدة وروي عن الحسن وعطاء انهما قالا في الآية تقديم وتاخير والمعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وقد اختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة فقيل انها منسوخة في اهل الاوثان وانه لا يجوز ان يفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله وقاتلوا المشركين كافة ولهذا قال قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وكثير من الكوفيين قالوا والمائدة آخر ما نزل فوجبان يقتل كل مشرك الا من قامت الدلالة على تركه كالنساء والصبيان ومن تؤخذ منه الجزية وهذا هو المشهور من مذهب ابي حنيفة وقيل ان هذه الآية ناسخة لقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم روي ذلك عن عطاء وغيره وقال كثير من العلماء ان الآية محكمة وان الامام مخير بين القتل والاسر وبعد الاسر مخير بين المن والفداء وبه قال مالك والشافعي والثوري والاوزاعي وابو عبيد وغيرهم وهذا هو الراجح لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلوا ذلك وقال سعيد بن جبير لا يكون فداء ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف لقوله ما كان للنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فاذا اسر بعد ذلك فللامام ان يحكم بما رآه من قتل او غيره وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك من عاش منكم ان يلقى عيسى بن مريم اماما مهديا وحكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب اوزارها رواه عبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه وعن سلمة بن نفيل عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث قال ولا تضع الحرب اوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج رواه ابن مردويه وابن سعد واحمد والنسائي والبغوي والطبراني والحاصل انه حتى غاية لاحد الامور الاربعة او للجميع عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمراد بالوضع ترك القتال لو كان الشخص مقتولا والله

ذٰلِكَ اي الامر ذلك وقيل ذلك حكم الكفار وقيل افعلوا ذلك وَلَوْ يَشَآءُ اللّٰهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ يعني
ان الله قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم واهلاكهم وتعذيبهم بما شاء من انواع العذاب
كالخسف او الرجفة او غير ذلك بغير قتال وَلٰكِنْ امركم بجهادهم لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ اي ليختبر بعضكم
المجاهدين في سبيله والصابرين على ابتلائه ويجزل ثوابهم ويعذب الكفار بايديهم وَالَّذِيْنَ
قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَلَنْ يُّضِلَّ اَعْمَالَهُمْ قرأ الجمهور قاتلوا مبنيا للفاعل وقرئ قُتلوا مخففا ومشددا
مبنيا للمفعول وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير الف والمعنى على الاولى والرابعة
ان المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع وعلى الثانية والثالثة ان المقتولين في سبيل
الله كذلك لا يضيع الله سبحانه اجرهم قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت في يوم احد وقد
فشت في المسلمين الجراحات والقتل ثم ذكر سبحانه مالهم من جزيل الثواب عنده فقال سَيَهْدِيْهِمْ
الله سبحانه الى الرشد في الدنيا وهو العمل الصالح والاخلاص فيه ويعطيهم الثواب في الاخرة قال ابو العالية
قد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها وقال ابن زياد
يهديهم الى محاجة منكر ونكير في القبر وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ اي حالهم وشانهم وامرهم وقيل يرضيهم
خصماءهم ويقبل اعمالهم وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ الجملة مستانفة او حالية بتقدير
قد او بدون تقديرها قاله السمين اي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وذلك انهم اذا
دخلوا الجنة تفرقوا الى منازلهم قال الواحدي هذا قول عامة المفسرين وقال الحسن وصف الله
لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف اي عرف طرقها ومساكنها
وبيوتها وقيل هذا التعريف بدليل يدلهم عليها وهو الملك الموكل بالعبد يسير بين يديه حتى يدخله
منزله كذا قال مقاتل ويرده حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في
دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة من منزله الذي كان
في الدنيا رواه البخاري وهذا يدل على صحة القول الاول وقيل عرفها لهم اي طيبها بانواع الملاذ وما خوذ
من العرف وهو الرائحة او المعنى حددها لهم بحيث يكون لكل واحد جنة معرفة وقيل عرف اهل السماء
انها لهم وقيل عرفها لهم اظهارا لاكرامتهم فيها وقيل عرف المطيعين اعمالهم والاول اولى ثم

وعدهم سبحانه على نصر دينه بقوله يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله اي دينه ينصركم على الكفار وعلى عدوكم ويفتح لكم ومثله قوله ولينصرن الله من ينصره قال قطرب ان تنصروا نبي الله ينصركم ويثبت أقدامكم اي يثبتكم في المعترك عند القتال فالمراد بالاقدام الذوات بتمامها وعبر بالقدم لان الثبات والتزلزل يظهران فيها وتثبيت الاقدام عبارة عن النصر المعونة في مواطن الحرب وقيل على الاسلام وقيل على الصراط والذين كفروا من اهل مكة وغيرهم فتعسا لهم منتصب على المصدر بالفعل المقدر قال الفراء مثل سقيا لهم ورعيا واصل التعس الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس ان يجر على وجهه والنكس ان يجر على راسه قال والتعس ايضا الهلاك قال الجوهري واصله الكب وهو ضد الانتعاش قال المبرد اي فكبوها لهم وقال ابن جريج بعدا لهم وقال السدي خزيا لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقال الحسن شتما لهم وقال ثعلب هلاكا لهم وقال الضحاك وابن زياد خيبة لهم وقيل قبحا لهم حكاه النقاش وقال الضحاك ايضا رغما لهم وقال ثعلب ايضا شرا لهم وقال ابو العالية شقوة لهم وعنه سقوطا لهم قيل والتعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يرد به اقامة ضد لعا اذا دعوا له بالانتعاش واقامه واللام في لهم للبيان كما في قوله هيت لك وأضل أعمالهم معطوف على ما قبله داخل معه في خبرية الموصول اي ابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان والاشارة بقوله ذلك الى ما تقدم مما ذكره الله من التعس والاضلال اي الامر ذلك او ذلك الامر بأنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن المشتمل على التكاليف وذلك لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فلما جاء القرآن بترك ذلك كرهوه او ما انزل على رسله من كتبه لاشتمالها على ما في القرآن من التوحيد والبعث فأحبط الله أعمالهم بذلك السبب والمراد بالاعمال ما كانوا عملوا من اعمال الخير في الصورة وان كانت باطلة من الاصل لان عمل الكافر لا يقبل قبل اسلامه ثم خوف سبحانه الكفار وارشدهم الى الاعتبار بحال من قبلهم فقال أفلم يسيروا في الأرض اي في ارض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي آخر امر الكافرين قبلهم فان آثار العذاب في ديارهم باقية ثم بين سبحانه ما صنع بمن قبلهم فقال دمر الله عليهم التدمير اهلاكا

اي اهلكهم واستاصلهم يقال دمره ودمر عليه بمعنى والثاني ابلغ لما فيه من العموم اي اهلك
ما يختص به من المال والنفس ونحوه والاتيان بعلى لتضمينه معنى اطبق عليهم اي اوقعه عليهم محيطا
بهم والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر تقرر عند مشركي مكة فقال وَلِلْكَافِرِينَ اي السائرين
بسيرة من قبلهم من الكفار أَمْثَالُهَا قال ابن عباس يعني لكفار قومك يا محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ما دمرت به القرى فاهلكوا بالسيف قال الزجاج وابن جرير الضمير راجع الى عاقبة الذين من
قبلهم من الامم الكافرة وانما جمع لان العواقب متعددة بحسب تعدد الامم المعذبة وقيل امثال العقوبة
او الهلكة او التدمير والاول اولى لرجوع الضمير الى ما هو مذكور قبله مع صحة معناه ذٰلِكَ اي ما
ذكر من ان للكافرين امثالها بِأَنَّ اي بسبب ان اللّٰهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا اي ناصرهم ووليهم
وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ اي لا ناصر يدفع عنهم كما يؤخذ من مقابله وهذا لا يخالف قوله ثم
ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك لا بمعنى الناصر قال قتادة نزلت يوم احد وقرأ ع ١١
ابن مسعود ولي الذين إِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قد تقدم تفسير الآية في غير موضع وتقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات
والجملة مسوقة لبيان ولاية الله للمؤمنين وثمرتها الاخروية وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ بمتاع الدنيا
اياما قلائل وينتفعون به غير متفكرين في العاقبة وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ في معافها
ومسارحها غافلة عما هي بصدوده من النحر والذبح والمعنى كانهم انعام ليس لهم همة الا بطونهم
وفروجهم ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه لا يلتفتون الى الآخرة وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ اي
مقام يقيمون به ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه ومصير يصيرون اليه والجملة في محل نصب
على الحال ومستانفة تهوين لله سبحانه الكفار بانه قد اهلك من هو اشد منهم فقال وَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرْيَةٍ قد قدمنا ان كاين مركبة من الكاف واي وانها بمعنى كم الخبرية اي وكم من قرية والمعنى
كم من اهل قرية كذبت رسلها هِيَ اي هم أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ اهل قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ اي
اخرجوك منها أَهْلَكْنَاهُمْ فكذلك نفعل باهل قريتك فاصبر كما صبر رسل اهل هؤلاء القرى
قال مقاتل اي اهلكناهم بالعذاب حين كذبوا رسلهم فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ فبالاولى من هو اضعف
منهم وهم قريش الذين هم اهل قرية النبي صلى الله عليه وسلم وهي مكة فالكلام على حذف المضاف

كما في قوله واسأل القرية والجملة تبيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على عدمه ما بالذات وهو حكاية حال ماضية اذ كان الظاهر ان يقال فلم ينصرهم ناصر لان هذا اخبار عما مضى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الي ولولا ان اهلك اخرجوني منك لم اخرج فاعتى الاعداء من عتى على الله في حرمه او قتل غير قاتله او قتل بذحول الجاهلية فانزل الله وكاين من قرية الآية ثم ذكر سبحانه الفرق بين حال المؤمنين وحال الكافرين فقال أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر كنظائره والمعنى انه لا يستوي من كان على يقين من ربه وحجة وبرهان من عنده ولا يكون كمن زين له سوء عمله وهو عبادة الاوثان والاشراك بالله والعمل بمعاصي الله اي لا مماثلة بينهما واتبعوا أَهْوَاءَهُمْ في عبادتهما وانهماكهم في انواع الضلالات بلا شبهة توجب الشك فضلا عن حجة نيرة وعي في هذين الضميرين معنى من كما وعي فيما قبلهما فذكرهما ثم لما بين سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما فقال مَّثَلُ اي صفة الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ مستأنفة لشرح محاسن الجنة الموعود بها للمتقين وبيان ما فيها وفيه اوجه احدها انه ملتدأ وخبره مقدر فقدره النضر بن شميل ما تسمعون وقوله فِيهَا أَنْهَارٌ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة للمثل الثاني ان مثل زائدة تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الثالث ان مثل الجنة مبتدء والخبر قوله فيها انهار وفيه نظر الرابع ان مثل الجنة مبتدء خبره كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا للبصير وقدره الزمخشري كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله فيها انهار على هذا فيها ثلاثة اوجه احدها هي حال من الجنة اي مستقرة فيها انهار الثاني انها خبر لمبتدء مضمر اي هي فيها انهار كان قائلا قال ما مثلها فقيل فيها انهار الثالث ان يكون تكرير للصلة لانها في حكمها الا ترى انه يصح قولك التي فيها انهار وانما عرى من حرف الانكار افاده السمين مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ بالمد والقصر سبعيتان ولغتان وقال الاخفش ان الممدود يراد به الاستقبال والمقصور يراد به الحال

قوله والجملة تبيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار الخ كتب مصححه

يقال اسن الماء يأسن اسونا اذا تغيرت رائحته ومثله الأجن وزنا ومعنى قال ابن عباس غير متغير يعني بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ اي لم يحمض كما تتغير البان الدنيا لانها لم تخرج من ضروع الابل والغنم والبقر فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ اي لذيذة لهم طيبة الشرب لا يتكرهها الشاربون بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب يقال شراب لذ ولذيذ وفيه لذ بمعنى ومثل هذه الآية قوله بيضاء لذة للشاربين والمعنى ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا غضاضة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس في شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار ولا آفة من آفات الخمر بل هي لمجرد الالتذاذ وتفريح الطبع فقط اتعويضا بجود الدنيا كقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى مما يخالطه من الشمع والقذا والعكر والكدر نقلوا في العسل التذكير والتانيث وجاء القران على التذكير وفي المصبح يذكر ويؤنث وهو الاكثر ويصغر على عسيلة على لغة التانيث ذهابا الى انها قطعة من الجنس وطائفة منه ونحوه في المختار وزاد والعاسل الذي ياخذ العسل من بيت النحل والنحلة عسالة عن معاوية بن حيدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق الانهار منها بعد اخرجه احمد والترمذي وصححه وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث وعن كعب قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الماء في الجنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة اخرجه مسلم قال النووي هما غير سيحون وجيحون المذكوران هما من الجنة فهما في بلاد الارض فسيحان نهر اردنه وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبر هما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر بعد هذا كلاما طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ اي لاهل الجنة في الجنة مع ما ذكر من الاشربة من كل صنف من اصناف الثمرات ومن زائدة للتوكيد وفي ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد

المشروب لانها للتفكه واللذة ومغفرة من ربهم لذنوبهم قبل دخولهم اليها والواو لمطلق الجمع وتنكير مغفرة للتعظيم اي ولهم مغفرة عظيمة كائنة من ربهم برفع التكاليف عنهم كمن هو خالد في النار هو خبر لمبتدأ محذوف اي امن هو في نعيم الجنة على هذه الصفة خالد فيها كمن هو خالد في النار وخبر لقوله مثل الجنة ورجح الاول الفراء فقال اراد امن كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار وقدره الكوا شي امثل هذا الجزاء الموصوف كمثل جزاء من هو خالد وهو ماخوذ من اللفظ فهو احسن وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه واعطي هذه الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وقال ابن كيسان ليس مثل الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم وليس مثل اهل الجنة في النعيم كمثل اهل النار في العذاب الاليم وقيل غير ذلك وسقوا ماء حميما الحميم الماء الحار الشديد الحرارة والغليان فاذا شربوه قطع امعاءهم وهو معنى قوله فقطع امعاءهم اي مصارينهم فخرجت من ادبارهم لفرط حرارته والامعاء جمع معا بالقصر والفه مبدلة عن ياء لقولهم معيان وهو ما في البطون من الحوايا ومنهم اي من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون ويا كلون كما تاكل الانعام من يستمع اليك وهم المنافقون افرد الضمير باعتبار لفظ من وجمع في قوله حتى اذا خرجوا من عندك باعتبار معناها والمعنى ان المنافقين كانوا يحضرون مواقف وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواطن خطبه التي يليها على المسلمين يوم الجمعة وحينئذ تكون هذه الاية مدنية بل وكذا ما بعدها من الايات الاتية فتكون مستثناة من القول بان السورة مكية والمعنى حتى اذا خرجوا من عنده قالوا للذين اوتوا العلم وهم علماء الصحابة وقيل عبد الله بن عباس وقيل عبد الله بن مسعود وقيل ابو الدرداء وهو الاول اي سالوا اهل العلم فقالوا لهم على طريقة الاستهزاء ماذا اي اي شيء قال اي النبي صلى الله عليه وسلم انفا بالمد والقصر اي الساعة وبها فسره الزمخشري وقال انه ظرف حالي كالان وقال ابن عطية والمفسرون معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى والمعنى انا لم نلتفت الى قوله ولم نرجع اليه ومنه امر انف اي مستانف ودوضة انف اي لم يرعها احد وانتصابه على الظرفية اي وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال قال الزجاج هو من استانفت الشيء اذا ابتدأته واصله ماخوذ من انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة قال ابن عباس كنت فيمن يسأل عنه

قال انا منهم وفي هذا منقبة لابن عباس جليلة لانه كان اذ ذاك صبيا فان النبي صلى الله
عليه وسلم مات وهو في سن البلوغ فسؤال الناس له عن معاني القران في حيات النبي صلى الله عليه وسلم
ووصف الله سبحانه للمسؤلين بانهم الذين اوتوا العلم وهو منهم من اعظم الادلة على سعة
علمه ومزيد فقهه في كتاب الله وسنة رسوله مع كون اترابه واهل سنه اذ ذاك يلبون
مع الصبيان وعن عكرمة قال كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا خرجوا من عنده
قالوا لابن عباس ماذا قال انفا فيقول كذا وكذا وكان ابن عباس اصغر القوم فانزل الله الاية
فكان ابن عباس من الذين اوتوا العلم وعن ابن بريدة قال هو ابن مسعود وعن ابن عباس
قال هو ابن مسعود والاشارة بقوله اولئك الى المذكورين من المنافقين وهو مبتدأ وخبره
الذين طبع الله على قلوبهم اي بالكفر فلم يؤمنوا ولا توجهت قلوبهم الى شيء من الخير واتبعوا
اهواءهم في الكفر العناد ثم ذكر حال اضدادهم فقال والذين اهتدوا الى طريق الخير فامنوا
بالله وعملوا بما امرهم به زادهم هدى بالتوفيق وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل زادهم
القران وقال الفراء زادهم اعراض المنافقين واستهزاؤهم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ
هدى وعلى كل تقدير فالمراد انه زادهم ايمانا وعلما وبصيرة في الدين قال ابن عباس في الاية
لما انزل القران امنوا به وكان هدى فلما تبين الناسخ من المنسوخ زادهم هدى واتاهم
تقواهم اي الهمهم اياها واعانهم عليها بمعنى خلق التقوى فيهم واعطاهم ثواب تقواهم وجزاها
والاول اولى واوفق لتاليف النظم لما سبق ان اغلب ايات هذه السورة الكريمة روعي فيه التقابل
فقوبل الطبع بزيادة الهدى لان الطبع يحصل من تزايد الرين وترادف ما يزيد في الكفر وقوبل
اتباع الهوى باتياء التقوى فيحمل على كمال التقوى وهو ان يتنزه العارف عما يشغل سره عن الحق
ويقبل اليه بشراشره وهو التقي الحقيقي المعنى بقوله اتقوا الله حق تقاته فان المزيد على مزيد
الهدى مزيد لا مزيد عليه وقال الربيع التقوى هي الخشية وقال السدي هي ثواب الاخرة وقال
مقاتل هي التوفيق للعمل بما يرضاه وقيل العمل بالناسخ وترك المنسوخ وقيل ترك الرخص والاخذ
بالعزائم فهل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة الا الساعة اي القيامة ان تاتيهم بدل
اشتمال من الساعة اي ليس الامر الا ان تاتيهم بغتة اي فجاءة وفي هذا وعيد للكفار شديد

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وحسنه فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها او لاتيانها من حيث هو او هذا كالعلة للفعل باعتبار تعلقه بالبدل لان ظهور اشراط الشيء موجب لانتظاره وسبعا اشراطها امارتها وعلاماتها وكانوا قد قرأوا في كتبهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء فبعثته من اشراطها قاله الحسن والضحاك والاشراط جمع شرط بسكون الراء وفتحها وهو العلامة وقيل المراد باشراطها هنا اسبابها التي هي دون معظمها وقيل اراد بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان كذا قال الحسن وقال الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام قلت كما يشاهد الان وفي هذا الزمان والله المستعان قال ابن عباس في الآية اول الساعات وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالوسطى والسبابة ومثله عند البخاري من حديث سهل بن سعد وفي الباب احاديث كثيرة فيها بيان اشراط الساعة وبيان ما قد وقع منها وما لم يكن قد وقع وهي تاتي في مصنف مستقل فلا نطيل بذكرها وفي هذا الباب كتاب الاشاعة لاشراط الساعة وهو نفيس جدا فانى لهم اذا جاءتهم الساعة بغتة فذكراهم اي فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة والخلاص كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار الخير هو التوحيد والطاعة ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله فاعلم انه لا اله غيره ولا رب سواه والمعنى اثبت على ذلك واستمر عليه ودم على ما انت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة لانه صلى الله عليه وسلم قد كان عالما بانه لا اله الا الله قبل هذا ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة رواه مسلم وقيل ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينيا وقيل المعنى فاذكر انه لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم قيل الفاءات في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال واستغفر لذنبك اي استغفر لئلا يقع منك ذنب او استغفر الله ليعصمك او استغفره مما عسى ان يصدر منك من ترك الاولى قال القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وقيل يحتمل ان يكون استغفاره شكرا وايابا وقوله لذنبك

وقيل استغفر لذنوب اهل بيتك وهذا تكلف لا موجب وقيل لتستن به امته ولتقتدوا به في ذلك وقيل الخطاب له والمراد الامة وبأبي هذا قوله وللمؤمنين والمؤمنات فان المراد باستغفاره لذنوب امته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ان شاء الله تعالى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الاستغفار ثم قرأ فاعلم انه لا اله الا الله الاية رواه الطبراني وابن مردويه والديلمي وعن ابي هريرة في قوله واستغفر لذنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب واصله في البخاري وفي رواية اكثر من سبعين وعن عبد الله بن سرجس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاكلت معه من طعام فقلت غفر الله لك يا رسول الله قال ولك فقيل استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلكم ولكم وقرأ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اخرجه مسلم واحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وروى مسلم عن الاغر المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة والعلماء في هذا الغين كلام طويل لا يسعه هذا الموضع وقد وردت احاديث في استغفاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولامته وترغيبه في الاستغفار

ع ٨ والله يعلم متقلبكم في الدنيا في اعمالكم ومعايشكم ومتاجركم ومثواكم في الدار الاخرة قاله ابن عباس وقيل منقلبكم في اعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما وقيل منقلبكم في اصلاب آبائكم الى ارحام امهاتكم ومثواكم في الارض اي مقامكم فيها قال ابن كيسان منقلبكم من ظهر الى بطن في الدنيا ومثواكم في القبور وقيل منصرفكم في اعمالكم ومثواكم اي مصيركم الى الجنة او النار والمعنى انه عالم بجميع احوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسأل المؤمنون ربهم عز وجل ان ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم سورة يأمرهم فيها بقتال الكفار حرصا منهم على الجهاد ونيل ما اعد الله للمجاهدين من جزيل الثواب فحكى الله عنهم ذلك بقوله ويقول الذين آمنوا من هنا الى آخر السورة لا يظهر الا كونه مدنيا اذ القتال لم يشرع الا بالمدينة وكذلك النفاق لم يظهر الا بها فيحمل القول فيما تقدم بانها مكية على اغلبها واكثرها وكذا يحمل القول بانها نزلت على

البعض منها لو لا هلا نزلت سورة فيها ذكر القتال والامر بالجهاد والتحريض عليه فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد محكمة اي غير منسوخة وذكر فيها القتال اي فرض الجهاد وطلبه قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقرأ ابن مسعود فاذا انزلت سورة محدثة اي محدثة النزول وقرأ الجمهور انزلت وذكر على بناء الفعل للمفعول وقرئ نزلت وذكر على بنائهما للفاعل ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اي شك وهم المنافقون او ضعف في الدين واصل المرض الفتور فمرض القلوب فتورها عن قبول الحق والاول هو الاظهر الموافق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك يعني شزرا وكراهية منهم نظر المغشي عليه من الموت اي نظرا مثل نظر من شخص نظره وبصره عند الموت لجبنهم عن القتال وميلهم الى الكفار كدأب من اصابته غشية الموت وقال ابن قتيبة والزجاج يريد انهم يشخصون نحوك ابصارهم وينظرون اليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت فاولى لهم قال الجوهري قولهم اولى لك تهديد ووعيد وكذا قال مقاتل والكلبي وقتادة قال الاصمعي معنى قولهم في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك هاتكره وهو ضد ما مضى قال ثعلب ولم يقل في اولى احسن مما قاله الاصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالغضب ثم افلت اولى لك اي قاربت الغضب وقال الحرجاني هو مأخوذ من الويل اي فويل لهم وكذا قال في الكشاف قال قتادة ايضا كانه قال العقاب اولى لهم وعلى هذا يكون اسما لا فعلا وعليه الاكثر وفي اعرابه اوجه ذكرها السمين طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لكم قال الخليل وسيبويه ان التقدير طاعة وقول معروف احسن وامثل بكم من غيرهما وقدره مكي مناطاعة فقدره مقدما اي الاولى بهم ان يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن الخالي عن الاذية وقيل ان طاعة خبر اولى وقيل ان طاعة صفة لسورة اي فاذا انزلت سورة محكمة طاعة اي ذات طاعة او مطاعة ذكره مكي وابو البقاء وفيه بعد لكثرة الفواصل وقيل ان لهم خبر مقدم وطاعة مبتدأ مؤخر والاول اولى فاذا عزم الامر جد الامر اي جد القتال ووجب وفرض واسند الامر الى العزم وهو لاصحابه مجازا وجواب اذا قيل هو قوله الآتي فلو صدقوا الله وقيل تقديره

كرهوه قال المفسرون معناه اذا جد الامر ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا فلو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا لهم من المعصية والمخالفة فهل عسيتم يقال عسيت ان افعل كذا وعسيت بالفتح والكسر لغتان ذكره الجوهري وهما سبعيتان وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي فهل يتوقع منكم ان توليتم اي اعرضتم عن الايمان الذي تلبستم ظاهرا ان تفسدوا في الارض بانواع الفساد ان توليتم امر الامة قال الكلبي ان تفسدوا فيها بالظلم وقال كعب ان يقتل بعضكم بعضا وقال قتادة ان توليتم عن طاعة كتاب الله عز وجل ان تفسدوا فيها بسفك الدماء وقال ابن جريج ان توليتم عن الطاعة ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقيل اعرضتم عن القتال وفارقتم احكامه فتعودوا الى اجاهليتكم او توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا في الارض بأخذ الرشا قرأ الجهوري توليتم بينا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول معناها فهل عسيتم ان ولي عليكم ولاة جائرون ان يخرجوا عليكم في الفتنة وتحاربوهم وتقطعوا ارحامكم بالبغي والظلم والقتل قرأ الجمهور تقطعوا بالتشديد على التكثير وقرئ بالتخفيف من القطع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم بحقو الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم الآية اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما والاحاديث في صلة الرحم كثيرة أولئك المفسدون يدل عليه ما تقدم وفي الاشارة التفات للايذان بان ذكر جناياتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته وطردهم عنها فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم اي عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث وحقية سائر ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فاصم اذانهم كما قال واعمى ابصارهم ولم يقل واعماهم لانه لا يلزم من ذهاب الاذن ذهاب السماع فلم يتعرض لها والاعين يلزم من ذهابها ذهاب الابصار أفلا يتدبرون القرآن اصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يؤل اليه امره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية قاله الخازن والاستفهام للانكار والمعنى افلا يتفهمونه فيعلمون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة الباهرة التي تكفي من له فهم وعقل وتزجره عن الكفر بالله والاشراك به والعمل بمعاصيه

وقيل المراد به التاسي وقيل هذه الاية محققة للاية المتقدمة ومحجة لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر أم هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة التي للانتقال من توبيخ الى توبيخ اي بل اعلى قُلُوبٍ اقفالها فهم لا يفهمون ولا يعقلون قال مقاتل يعني الطبع على القلوب والتنكير اما التهويل حالها او تفظيع شانها كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها واما الان المراد بها قلوب بعضهم وهم المنافقون والاقفال استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الحق واضافة الاقفال الى القلوب للتنبيه على ان المراد بها ما هو المقلوب بمنزلة الاقفال للابواب وانها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها ومعنى الاية انه لا يدخل في قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر والشرك لان الله سبحانه قد طبع عليها قرئ اقفالها بالجمع واقفالها بكسر الهمزة على انه مصدر كالاقبال والاية بعمومها تشمل كل من لا يتدبر القران ولا يتاسى به ويدخل فيه من نزلت فيه دخولا اوليا واما القادرة التاركة للتدبر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم الذين على قلوبهم اقفالها إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ اي رجعوا كفارا كما كانوا قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا نعته عندهم وبه قال ابن جريج وقال ابن عباس هم اهل النفاق وقال الضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال وهذا اولى لان السياق في منافقين مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ بما جاء هم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرة والايات القاهرة والدلائل الواضحة والبراهين الباهرة الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ اي زين لهم خطاياهم وسهل لهم الوقوع فيها واقتراف الكبائر والجملة خبر ان وَأَمْلَىٰ لَهُمْ اي مد لهم في الامال والاماني ووعدهم طول العمر وقيل ان الذي املى لهم هو الله عز وجل على معنى انه لم يعاجلهم بالعقوبة قرأ الجمهور املى على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول اي املوا ومد في عمرهم واختار القول بان الفاعل هو الله الفراء والفضل والاول اختيار انه الشيطان لتقدم ذكره قريبا ذَٰلِكَ اي ما تقدم من ارتدادهم والتسويل والاملاء والاول اولى بِأَنَّهُمْ اي بسبب ان هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا على ادبارهم قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ وهم المشركون سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وهذا البعض هو عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفته ما جاء به وقيل المعنى ان المنافقين قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الامر كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان القائلين

اليهود والذين كرهوا المنافقون ويؤيد كون القائلين المنافقين والكارهين اليهود قوله تعالى
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم
ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم ولما كان قولهم المذكور للذين كرهوا ما انزل الله
بطريقة السر بينهم قال الله سبحانه والله يعلم اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر اي اخفاءهم
وبها قرأ الكوفيون وقرأ الجمهور بفتحها على انه جمع سر فكيف اذا توفتهم الملائكة الفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وكيف في محل رفع على انها خبر مقدم والتقدير فكيف علمه بأسرارهم اذا
توفتهم الملائكة او في محل نصب بفعل محذوف اي فكيف يصنعون او خبر لكان مقدرة اي
فكيف يكونون والظرف معمول للمقدر قرأ الجمهور توفتهم وقرئ توفتهم وقوله يضربون
وجوههم وادبارهم في محل نصب على الحال من فاعل توفتهم او من مفعوله اي ضاربين
وجوههم وضاربين ادبارهم وفي الكلام تخويف وتشديد والمعنى
انه اذا تأخر عنهم العذاب فسيكون حالهم هذا وهو تصوير لتوفيهم على اقبح حال واشنعه
قيل لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملائكة في وجهه ودبره وقيل ذلك عند القتال نصرة
من الملائكة لرسول الله وقيل ذلك يوم القيامة والاول اولى ذلك اي التوفي المذكور على الصفة
المذكورة بانهم اتبعوا ما اسخط الله اي بسبب اتباعهم ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وقيل
كتمانهم ما في التوراة من نعت نبينا صلى الله عليه وسلم والاول اولى لما في الصيغة من العموم وكرهوا
رضوانه اي ما يرضاه الله من الايمان والتوحيد والطاعة فاحبط اعمالهم بهذا السبب والمراد
الاعمال التي صورتها صورة الطاعة والا فلا عمل لكافر وما كانوا قد عملوا قبل الردة من الخير ع ٣
ام اي بل احسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفا
بوصفهم السابق بكونه المدار في النعي عليهم بقوله ان لن يخرج الله اضغانهم والمعنى ان ذلك مما
لا يكاد ان يدخل تحت الاحتمال والاخراج بمعنى الاظهار والاضغان جمع ضغن وهو ما يضمر من المكروه
واختلف في معناه فقيل هو الغش وقيل الحسد وقيل الحقد قال الجوهري الضغن والضغينة الحقد
قال قطرب هو في الآية العداوة وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن مقدر قال ابن
عباس اضغانهم اعمالهم خبثهم والحسد الذي في قلوبهم ثم دل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بعد

المنافقين فكان يدعو باسم الرجل من اهل النفاق ولو نشاء لاريناكهم اي لاعلمناكهم وعرفناكهم باعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية تقول العرب ساريك ما اصنع اي ساعلمك والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم اي بعلامتهم الخاصة بهم التي يتميزون بها قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيماء فلعرفتهم بتلك العلامة قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية احد من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم وتكرير اللام للمبالغة او للتاكيد ولتعرفنهم في لحن القول قال المفسرون لحن القول فحواه ومقصده ومعناه وما يعرضون به من تهجين امرك وامر المسلمين وكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند الا عرفه قال ابو زيد لحنت له اللحن اذا قلت له قولا لا يفقهه عنك ويخفى على غيره واصل اللحن امالة الكلام وصرفه الى نحو من الانحاء لغرض من الاغراض بازالة الاعراب او التصحيف والاول محمود والثاني مذموم قال ابو سعيد الخدري في الاية تحن القول ببغضهم علي بن ابي طالب والله يعلم اعمالكم لا تخفى عليه منها خافية فيجازيكم بها وفيه وعيد شديد ووعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي لنعاملنكم معاملة المختبر وذلك بان نامركم بالجهاد حتى نعلم علما يظهر به من امتثل الامر بالجهاد وصبر عما دينه ومشاق ما كلف به ونبلو اخباركم اي نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من اطاع الله فيما امره ومن عصى ولم يمتثل قرئ بالياء والنون في الافعال الثلثة وعن الفضيل رح انه كان اذا قرءها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله المراد بهؤلاء هم المنافقون وقيل اهل الكتاب وقيل هم المطعمون يوم بدر من المشركين وقيل نزلت في قريظة والنضير وصدهم منعهم الناس عن الاسلام وعن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه من بعد ما تبين لهم الهدى اي علموا انه صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله سبحانه وتعالى بما شاهدوا من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة لن يضروا الله ورسوله شيئا بتركهم الايمان واصرارهم على الكفر وما ضروا الا انفسهم وسيحبط اعمالهم اي يبطلها والمراد بهذه الاعمال ما صورته صورة اعمال الخير كاطعام الطعام وصلة الارحام وسائر ما كانوا يفعلونه من الخير وان كانت باطلة من الاصل لان الكفر مانع وقيل المراد بالاعمال المكايد التي

نصبوها لابطال دين الله والغوائل التي كانوا يبغونها برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر سبحانه عباده
المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
فيما امرتم به من الشرائع المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نهاهم عن ان يبطلوا اعمالهم
كما ابطلت الكفار اعمالهم بالاصرار على الكفر فقال ولا تبطلوا اعمالكم قال الحسن اي لا تبطلوا
حسناتكم بالمعاصي وقال الزهري بالكبائر وهو الاولى وقال الكلبي وابن جريج بالرياء والسمعة وقال مقاتل
بالمن وقال عطاء بالنفاق والشرك قلت والظاهر النهي عن كل سبب من الاسباب التي توصل الى ابطال
الاعمال كائنا ما كان من غير تخصيص بنوع معين عن ابي العالية قال كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت هذه الاية ففزعوا
ان يبطل الذنب العمل وفي لفظ فخافوا الكبائر ان تحبط اعمالهم وعن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت هذه الاية فلما نزلت قلنا ما
هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش فكنا اذا رأينا من اصاب شيئا منها
قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت
كففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا احدا اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا
رجوناه واستدل بهذه الاية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلوة تطوع او صوم تطوع
لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه وبه قال ابو حنيفة رح وقال الشافعي بخلافه ولا دليل لهم في
الاية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فلما رجع
الى البيت وجد حيسا فقال لعايشة قربيه فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس
بلفظه وليس في هذه الاية دليل كما خاطه الزمخشري على احباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة
والخوارج فجمهور هم على ان كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات حتى ان من عبد الله طول عمره ثم شرب
جرعة خمر فهو كمن لم يعبده قط ثم بين سبحانه انه لا يغفر للمصرين على الكفر والصد عن سبيل الله
فقال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
فقيد سبحانه عدم المغفرة بالموت على الكفر لان باب التوبة وطريق المغفرة لا يغلق ان على من كان حيا
وظاهر الاية العموم وان كان السبب خاصا نزلت في اصحاب القليب قاله المحلي لكن حكمها عام في كل كافر ما دام على كفره

ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن والضعف فقال فَلَا تَهِنُوا اي فلا تضعفوا عن القتال والوهن الضعف والخطاب لاصحاب النبي ﷺ والحكم عام لجميع المسلمين وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء منكم فان ذلك لا يكون الا عند الضعف قال الزجاج منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا وقرئ تدّعوا من ادّعى القوم وتدعوا والسلم بفتح السين وكسرها سجيتان قال قتادة معنى الآية لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها واختلف اهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة فقيل انها محكمة وانها ناسخة لقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقيل منسوخة بهذه الآية ولا يخفاك انه لا مقتضى للقول بالنسخ فان الله سبحانه نهى المسلمين في هذه الآية عن ان يدعوا الى السلم ابتداء ولم ينه عن قبول السلم اذا جنح اليه المشركون فالآيتان محكمتان ولم يتوارد اثبات على محل واحد حتى يحتاج الى دعوى النسخ او التخصيص بل نزلتا في وقتين مختلفي الاحوال وجملة وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ حالية او مستانفة مقررة لما قبلها من النهي اي وانتم القاهرون العالبون بالسيف والحجة قال الكلبي اي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات وَاللَّهُ مَعَكُمْ بالنصر والمعونة عليهم وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ اي لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم يقال وتره يتره وترا اذا نقصه حقه واصله من وترت الرجل اذا قتلت له قريبا او نهبت له مالا ويقال فلان ماتوا اذا قتل له قتيل ولم يؤخذ بدمه قال الجوهري اي لن ينقصكم في اعمالكم كما تقول دخلت البيت وانت تريد في البيت قال الفراء هو مشتق من الوتر وهو الدخل وقيل مشتق من الوتر وهو الفرد فكان المعنى لن يفردكم بغير ثواب قال ابن عباس يتركه يظلمكم إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ اي باطل وغرور لا اصل لشيء منها ولا ثبات له ولا اعتداد به تنقطع في اسرع مدة فكيف تمنعكم عن طلب الآخرة واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم ينتبه لاشغاله المهمة فهو اللعب وان اشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وَإِنْ تُؤْمِنُوا بالله وتتقوا الكفر والمعاصي يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ اي جزاء ذلك في الآخرة والاجر الثواب على الطاعة وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ اي لا يأمركم باخراجها جميعها في الزكوة وسائر وجوه الطاعات بل امركم باخراج القليل منها عيضا من قيض اي بعض العشر وهو الزكوة وبه قال ابن عيينة وغيره وقيل المعنى ولا يسألكم اموالكم اذا سألكموها الله الا ان امله وطلبه وهو المنعم عليكم باعطائها وقيل لا يسألكم اموالكم اجرا على تبليغ الرسالة كما في قوله ما اسألكم عليه

من اجر والاول اولى ان يسألكموها اي اموالكم كلها فيحفكم اي يبالغ في طلبها قال المفسرون يجهدكم
ويلحف عليكم بمسألة جميعها يقال احفى بالمسألة والحف والح بمعنى واحد والمحفي المستقصي في السؤال و
الاحفاء الاستقصاء في الكلام ومنه احفاء الشارب اي استيصاله وجواب الشرط قوله تبخلوا اي
ان يأمركم باخراج جميع اموالكم تبخلوا بها وتمتنعوا من الامتثال ويخرج اضغانكم الاضغان الاحقاد
والمعنى انها تظهر عند ذلك قال قتادة قد علم الله ان في سؤال المال خروج الاضغان لدين الاسلام من حيث
محبة المال بالجبلة والطبيعة ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها هاانتم هؤلاء
ايها المؤمنون تدعون مستأنفة مقررة ومؤكدة لاتحاد محصل معناها لتنفقوا في سبيل الله اي
في الجهاد وفي طرق الخير فمنكم من يبخل بما يطلب منه ويدعى اليه من الانفاق في سبيل الله
واذا كان منكم من يبخل باليسير من المال فكيف لا يبخلون بالكثير وهو جميع الاموال ومقابله ومنكم
من يجود وحذف لان المراد الاستدلال على البخل ثم بين سبحانه ان ضرر البخل عائد على النفس فقال
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي يمنعها الاجر والثواب ببخله عن داعي نفسه لا عن داعي
ربه ويبخل وعن يتعديان تارة بعلى وبعن اخرى لتضمينه معنى الامساك والتعدي قال السمين
والاجود ان يكونا حالا تعديا بما بعن مضمنين معنى الامساك والله الغني المطلق المتنزه عن الحاجة
الى اموالكم وانتم الفقراء الى الله والى ما عنده من الخير والرحمة وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم معطوف على الشرطية المتقدمة وهي وان تؤمنوا والمعنى ان تعرضوا عن الايمان والتقوى
يستبدل قوما اخرين يكونوا امكانكم هم اطوع لله منكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قالوا
من هؤلاء وسلمان الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم فقال هم الفرس هذا وقومه وفي اسناده مسلم الزنجي
قد تفرد به وفيه مقال معروف ولهذا الحديث طرق في الصحيح وعن ابي هريرة قال تلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس اخرجه الترمذي وابن مردويه من حديث جابر والطبراني
في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وعبد الرزاق وفي اسناده ايضا مسلم بن خالد
الزنجي نحوه وقال عكرمة هم فارس والروم وقال الحسن هم العجم وقال شريح بن عبيد هم اهل اليمن و

وقيل الانصار وقيل الملائكة وقيل التابعون وقال مجاهد هم من شاء الله من سائر الناس
وقال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال المحاسبي فلا احد يعد من جميع اجناس الاعاجم
احسن دينا ولا كانت العلماء الا الفرس وحكي عن ابي موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الاية
فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي احب الي من الدنيا والله اعلم وليتنظر في سنده ثم لا يكونوا
أمثالكم في التولي عن الايمان والتقوى بل مطيعين له عز وجل قال ابن جرير في البخل بالانفاق ع ١٠
في سبيل الله وكلمة ثم الدالة على ان مدخولها مما يستبعده المخاطبون لتقارب الناس في الاحوال
واشتراكهم في الميل الى المال ۞

سورة الفتح هي تسع وعشرون اية وهي مدنية

قال القرطبي بالاجماع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن المسور بن مخرمة ومروان قالا
نزلت بين مكة والمدينة في شان الحديبية من اولها الى اخرها وهذا لا ينافي الاجماع على
كونها مدنية لان المراد بالسورة المدنية النازلة بعد الهجرة من مكة واخرج البخاري ومسلم و
غيرهما عن عبد الله بن مغفل قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح
على راحلته ورجع فيها وفي الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب هلكت ام عمر ثكلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك
لا يجيبك فقال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في القرآن فما
نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون قد نزل في قرآن فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس
ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وفي صحيح مسلم عن قتادة ان انس بن مالك حدثهم قال لما نزلت
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن
والكآبة وقد نحروا الهدي بالحديبية فقال لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعها

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده قيل المراد الحكم والقضاء كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فكأنه قال انا قضينا وحكمنا لك فتحا ظاهرا واضحا مكشوفا بغير قتال كالنصب والفتح الظفر بالبلدة عنوة او صلحا بحرب او غير حرب وبخراج او بدونه لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ما اخوذ من فتح باب الدار وجيئ به بلفظ الماضي لان عامة في الله تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا واختلف في تعيين هذا الفتح فقال الاكثر على ما ذكره البخاري هو صلح الحديبية والصلح قد يسمى فتحا قال الفراء والفتح قد يكون صلحا وقال قوم انه فتح مكة وقال اخرون انه فتح خيبر والاول ارجح ويؤيد ما ذكرناه قبل هذا من ان السورة نزلت في شان الحديبية وقيل هو جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوح وقيل هو ما فتح له من النبوة والدعوة الى الاسلام وقيل فتح الروم ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي كان مع المشركين بالحديبية كان مشروطا متعذرا حتى فتحه الله قال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلث سنين خلق كثير وكثروا بهم سوادا الاسلام قال الشعبي لقد اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ويعني بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقال الزجاج كان في فتح الحديبية اية عظيمة وذلك انه نزح ما وها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مج في البير وردت بالماء حتى شرب جميع الناس وعن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها حتى بلغنا كراع الغميم اذا الناس يوجفون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ما للناس فقالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مع الناس نوجف فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس اليه فقرا عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل اي رسول الله او فتح هو فقال اي والذي نفس محمد بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل معهم فيها احد الا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش الفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فاعطى الفارس سهمين واعطى الراجل سهما اخرجه احمد وابو داود والحاكم وصححه والبيهقي في

الاكمل وغيرهم وعن ابن مسعود قال اقبلنا من الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا نحن نسير اذ اتاه الوحي وكان اذا اتاه اشتد عليه فسري عنه وبه من السرور ما شاء الله فاخبرنا انه انزل عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا اخرجه احمد والبخاري في تاريخه وابو داود والنسائي وغيرهم وعن انس في الآية قال الحديبية اخرجه البخاري في غيره وعن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية اخرجه البخاري وغيره وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لكم فتح مكة اخرجه ابن مردويه وعن انس نحوه ومذهب ابي حنيفة ان مكة فتحت عنوة ومذهب الشافعي انها فتحت صلحا وفي البوطي ان اسفلها فتح خالد عنوة واعلاها فتح الزبير صلحا ودخل صلى الله عليه وسلم من جهته فصار الحكم له وبهذا تجتمع الاخبار التي ظاهرها التعارض ليغفر لك الله اللام هي لام العلة قال ابن الانباري سألت ابا العباس يعني المبرد عن اللام هذه فقال هي لام كي معناها انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك من المغفرة تمام النعمة في الفتح فلما انضم الى المغفرة شيء حادث واقع حسن معنى كي وغلط من قال ليس الفتح سبب المغفرة وقال الزمخشري ان اللام لم تكن علة للمغفرة ولكنه علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين واغراض الآجل والعاجل قال ابن عادل وغيره وهذا كلام غير جيد مخالف لظاهر الآية فان اللام داخلة على المغفرة فهي علة للفتح والفتح معلل بها وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه المحلي كما ياتي وقال الرازي في توجيه التعليل ان المراد بقوله ليغفر لك الله التعريف بالمغفرة تقديره انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور لك معصوم وقال ابن عطية المراد ان الله فتح لك لكي يحل الفتح علامة لغفرانه لك فكانها لام الصيرورة وقال ابو حاتم هي لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت النون وهو خطأ فان لام القسم لا تكسر ولا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء للفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكن هذا قول مردود وقال البيضاوي اللام علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية فذ خولها مسبب لا سبب واختلف في معنى قوله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقيل ما تقدم من ذنبك

قبل الرسالة وما تاخر بعدها قاله مجاهد وسفيان الثوري وابن جرير والواحدي وغيرهم وقال
عطاء ما تقدم من ذنبك يعني ذنب ابويك آدم وحوى وما تاخر من ذنوب امتك وما ابعد هذا
عن معنى القران وقيل ما تقدم من ذنب ابيك ابراهيم وما تاخر من ذنوب النبيين من بعده
وهذا كالذي قبله وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين وهذا كالقولين
الاولين في البعد وقيل لو كان ذنب قديم او حديث لغفرناه لك وقيل غير ذلك مما لا وجه له و
الاولى ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الاولى وسمي ذنبا في حقه لجلالة قدره
وان لم يكن ذنبا في حق غيره فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين اخرج البخاري ومسلم
وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تنزم قدماه فقيل له اليس قد
غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفي الباب احاديث ويكمل
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ باظهارك دينك على الدين كله وقيل بالجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح
مكة والطائف والخيبر والاولى ان يكون المعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى
صراط مستقيم وهو دين الاسلام وَيَهْدِيَكَ بِهِ صِرَاطًا طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا اي يثبتك عليه وهو
دين الاسلام وقيل على الهدى الى ان يقبضك اليه وقال البيضاوي في تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة فالهداية على حقيقتها فلا حاجة الى ما قيل من ان المراد زيادة الاهتداء او الثبات عليه
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا اي غالبا قويا قاهرا بالغا لا يتبعه ذل هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ
اي السكون والطمانينة والوقار فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وهم اهل الحديبية بما يسر لهم من الفتح
لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس السكينة هي الرحمة قيل كل سكينة في القران طمانينة
الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ اي ليزدادوا
بسبب تلك السكينة ايمانا منضما الى ايمانهم الحاصل لهم من قبل قال ابن مسعود تصديقا مع تصديقهم
وقال الكلبي كلما نزلت اية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الربيع بن
انس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم قال ابن عباس في الاية ان الله بعث نبيه
صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوا بها المؤمنون زادهم الصلوة فلما صدقوا بها
زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكوة فلما صدقوا بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد

ثم اكمل لهم دينهم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنه
ايضا قال اقوى ايمان اهل السماء واهل الارض واصدقه واكمله شهادة ان لا اله الا الله وَلِلّٰهِ جُنُودُ
السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يعني الملائكة والانس والجن والشياطين يدبرامرهم كيف يشاء ويسلط بعضهم
على بعض ويحفظ بعضهم ببعض وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا لتدبير العلم بخلقه بليغه حَكِيْمًا في صنعه و
اقواله وافعاله لِيُدْخِلَ اي امرالجهاد ليدخل الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا
الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وقيل هذه اللام متعلقة بمحذوف يدل عليه ماقبله تقديره يبتلي الله
الجنود من شاء فيقبل الخير من اهله والشر ممن قضى له به ليدخل ويعذب وقيل متعلقة بقوله
انا فتحنا لك ليدخل ويعذب وهذا لايصح وقيل متعلقة بينصرك اي نصرك الله بالمؤمنين ليدخل
ويعذب وقيل متعلقة بيزداد واوهذا لايصح ايضا فالاول اولى وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ اي
يغطيها ولايظهرها ولايعذبهم بها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود
على العكس للمسارعة الى بيان ماهو المطلب الاعلى والمقصد الاسنى وَكَانَ ذٰلِكَ اي المذكور من
الادخال والتكفير عِنْدَ اللّٰهِ اي في علمه وقضائه وحكمه فَوْزًا عَظِيْمًا اي ظفرا بكل مطلوب
ونجاة من كل غم وجلبا لكل نفع ودفعا لكل ضر والظرف متعلق بمحذوف على انه حال من فوزا لانه
صفة له في الاصل فلما قدم صار حالا اي كائنا من عند الله والجملة اعتراض مقرر لما قبله بين
المعطوف وهو يعذب والمعطوف عليه وهو يدخل اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس رضي الله تعالى
عنه قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله الاية مرجعه من الحديبية قال لقد انزلت علي اية
هي احب الي مما على الارض ثم قرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يارسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل
بك فماذا يفعل بنا فانزلت عليه ليدخل المؤمنين حتى بلغ فوزا عظيما ثم لما فرغ الله سبحانه مما وعد
به صالحي عباده ذكر ما يستحقه غيرهم فقال وَيُعَذِّبَ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْمُنٰفِقٰتِ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَ
الْمُشْرِكٰتِ معطوف على يدخل اي يعذبهم في الدنيا بايصال الهموم والغموم اليهم بسبب علو
كلمة المسلمين وما يشاهدونه من ظهور الاسلام وقهر المخالفين له وبان يسلط النبي صلى الله عليه
وسلم عليهم قتلا واسرا واسترقاقا في الدنيا وفي الاخرة بعذاب جهنم وقدم المنافقين على المشركين
لانهم كانوا اشد على المؤمنين ضررا من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط

المنافق لظنه ايمانه وكان يغشى اليه سره وفيه دلالة على انهم اشد منهم عذابا واحق منهم بما
وعدهم الله به ثم وصف الفريقين فقال الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ وهو ظنهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم يغلب وان كلمة الكفر تعلو كلمة الاسلام وما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله بل ظننتم ان لن
ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا السوء صفة لموصوف محذوف اي ظن الامر السوء
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم الدائرة مصدر
بزنة اسم الفاعل او اسم فاعل من دار يدور سمي به عاقبة الزمان اي حادثته وهي في الاصل عبارة
عن الخط المحيط بالكل ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه لان اكثر استعمالها في المكروه
والسوء بالضم معناه العذاب والهزيمة والشر وبالفتح معناه الذم وقد قرئ بهما وهما لغتان وفي
الاصل مصدران وهذا اخبار عن وقوع السوء بهم او دعاء عليهم والاضافة من باب اضافة العام
للخاص فهي للبيان وقال سيبويه السوء هنا الفساد وقد بين الله سبحانه ان دائرة السوء عليهم في
الدنيا بين ما يستحقونه مع ذلك من الغضب واللعنة وعذاب جهنم فقال وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا اي مرجعا وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
من الملائكة والانس والجن والشياطين والصيحة والرجفة والحجارة والزلازل والخسف والغرق
ونحو ذلك وكرر هذه الآية لقصد التاكيد او المراد جنود العذاب كما يفيده التعبير بالعزة هنا مكان
العلم هناك او التهديد بانهم في قبضة قدرة المنتقم فلا تكرار وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا غالبا فلا
يرد بأسه حَكِيمًا فيما دبره اي لم يزل متصفا بذلك إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على امتك بتبليغ
الرسالة اليهم وَمُبَشِّرًا بالجنة للمطيعين وَنَذِيرًا لاهل المعصية من النار لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية فعلى الاولى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامته وعلى الثانية
المراد المبشرون والمنذرون وهما سبعيتان وفيه امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه
بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال امته وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
اي غدوة وعشية والخلاف بين القراء في هذه الافعال الثلاثة كالخلاف في لتؤمنوا
كما سلف ومعنى تعزروه تعظموه وتفخموه قاله الحسن والتعزير التوقير والتعظيم وقال قتادة
تنصروه وتمنعوا منه وقال عكرمة تقاتلون معه بالسيف وقال ابن عباس يعني الاجلال وعنه

قال تضربوا بين يديه بالسيف وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وتعزروه قال لاصحابه ماذا قالوا الله ورسوله اعلم قال لتنصروه رواه ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر في تاريخه ومعنى توقروه تعظموه وقال السدي تسودوه وقال ابن عباس يعني التعظيم قيل والضميران في الفعلين للنبي صلعم وهنا وقف تام ثم يبتدئ وتسبحوه اي تسبحوا الله عز وجل وهو من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهي الصلوة وقيل الضمائر كلها في الافعال الثلثة لله عز وجل فيكون المعنى تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله وزاد الزمخشري ومن فرق الضمائر فقد ابعد ومثله في المدارك قال الحفناوي وهذا اظهر لتكون الضمائر على وتيرة واحدة

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ اصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له وهي بيعة الرضوان بالحديبية فانهم بايعوه تحت الشجرة على قتال قريش فبايعه جماعة على الموت منهم سلمة بن الاكوع وبايعه جماعة على ان لا يفروا منهم معقل بن يسار والحديبية قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والاول افصح وعامة المحدثين يشددونها إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ اخبر سبحانه ان هذه البيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم هي بيعة له كما قال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وذلك لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة وجملة يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مستأنفة لتقرير ما قبلها على طريق التخييل او في محل نصب على الحال وفي هذا التركيب استعارة تصريحية تبعية في الفعل ومكنية في الاسم الكريم وتخييلية في اثبات اليد له وفيه مشاكلة في مقابلة يده بايديهم والمعنى ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت بينهما قاله الزمخشري والكرخي وقيل يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم في المبايعة قال الرازي وذلك يحتمل وجوها لان اليد في الموضعين إما ان تكون بمعنى واحد

واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة
الله عليهم فوق اجسامهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما نصرته اياهم
اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لغلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين
فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ في حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق
ايديهم بالحفظ انتهى قلت وهذا هو مذهب اهل التاويل والكلام ومذهب السلف في هذه
الاية وامثالها السكوت عن التاويل وامرار ايات الله واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم المتعلقة
بالصفات كما جاءت مع الايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا صرف
عن الظاهر ولا تاويل وهو الحق فَمَنْ نَكَثَ فَاِنَّمَا يَنْكُثُ عَلٰى نَفْسِهٖ اي فمن نقض ما عقد
من البيعة فانما ينقض على نفسه لان ضرر ذلك راجع اليه لا يجاوزه الى غيره عن عبادة بن
الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر
واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان نقول في الله لا تاخذنا فيه لومة لائم
وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فيمنعه مما نمنع منه نفوسنا وازواجنا وابناءنا ولنا الجنة
فمن وفى لله لم يمن نكث فانما ينكث على نفسه اخرجه احمد وابن مردويه وفي الصحيحين من حديث جابر انهم كانوا في بيعة الرضوان
خمس عشرة مائة وفيما عداهم كانوا اربع عشرة مائة وفي البخاري من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب انه سأله كم كانوا في بيعة
الرضوان قال خمس عشرة مائة فقال له جابر قال كانوا اربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثني انهم كانوا خمس عشرة مائة ومر
وَمَنْ اَوْفٰى بِمَا عٰهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ اي ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه في البيعة لرسوله يقال
وفيت بالعهد واوفيت به ومنه قوله اوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم قرأ الجمهور عليه ع ١
بكسر الهاء وقرئ بضمها فَسَيُؤْتِيْهِ بالياء والنون سبعيتان اَجْرًا عَظِيْمًا وهو الجنة وهذه
الاية فيها دلالة على مشروعية البيعة وقد صدرت منه صلى الله عليه وسلم مبايعات كثيرة اشتملت
عليها الاحاديث الواردة في الصحيحين وغيرهما من دواوين الاسلام وفيها ان الناس كانوا يبايعونه
تارة على الهجرة والجهاد وتارة على اقامة اركان الاسلام وتارة على الثبات والقرار في معارك الكفار
وتارة على هجر الفواحش والمنكرات وتارة على التمسك بالسنة والاجتناب عن البدعة والحرص
على الطاعات كما بايع نسوة من الانصار على ان لا ينحن وبايع ناسا من فقراء المهاجرين على ان لا يسألوا

الناس شيئا فكان احدهم يسقط سوطه فينزل عن فرسه فيأخذه ولا يسأل احدا رواه ابن ماجة في سننه وقد نطق به الكتاب العزيز كما في هذه الآية وفي قوله تعالى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الآية وهما لا شك فيه ولا شبهة انه اذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل على سبيل العبادة والاهتمام بشانه فانه لا ينزل عن كونه سنة في الدين بقي انه صلى الله عليه وسلم كان خليفة الله في ارضه وعالما بما انزله الله تعالى من القرآن والحكمة معلما للكتاب والسنة مزكيا للامة فما فعله على جهة الخلافة كان سنة الخلفاء وما فعله على جهة كونه معلما للكتاب والحكمة ومزكيا للامة كان سنة للعلماء الراسخين وهذا صحيح البخاري شاهد على انه صلى الله عليه وسلم اشترط على جرير عند مبايعته والنصح لكل مسلم وانه بايع قوما من الانصار فاشترطوا ان لا يخافوا في الله لومة لائم ويقولوا بالحق حيث كانوا فكان احدهم يجاهر الامراء والملوك بالرد والانكار الى غير ذلك وكل ذلك من باب التزكية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالبيعة على اقسام منها بيعة الخلافة ومنها بيعة الاسلام ومنها بيعة التمسك بحبل التقوى ومنها بيعة الهجرة والجهاد ومنها بيعة التوفي في الجهاد وكان بيعة الاسلام متروكة في زمن الخلفاء اما في زمن الراشدين منهم فلان دخول الناس في الاسلام في ايامهم كان غالبا بالقهر والسيف لا بالتاليف واظهار البرهان ولا طوعا ولا رغبة واما في غيرهم فلانهم كانوا في الاكثر ظلمة فسقة لا يهتمون وكذلك بيعة التمسك بحبل التقوى كانت متروكة اما في زمن الخلفاء الراشدين فلكثرة الصحابة الذين استنارت ابصارهم بنور النبي صلى الله عليه وسلم وتادبوا في حضرته فكانوا لا يحتاجون الى بيعة الخلفاء واما في زمن غيرهم فخوفا من افتراق الكلمة وان يظن بهم مبايعة الخلافة فتهيج الفتن فلما اندرس هذا في الخلفاء انتهز اكابر العلماء والمشائخ الفرصة وتمسكوا بسنة البيعة وان الذي اعتاده الصوفية رحمهم الله من مبايعة المتصوفين ففيه ما يقبل وما يرد ويظهر ذلك بعرضها على الكتاب والسنة فما وافقهما فهو السنة والصواب وما خالفهما فهو الخطا والتباب وانما هذه البيعة سنة وليست بواجبة لان الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقربوا بها الى الله تعالى ولم يدل دليل على تاثيمهم تاركها ولم ينكر احد من الائمة على من تركها فكان كالانفاق على انها ليست بواجبة وشرط من ياخذ البيعة امور احدها علم الكتاب والسنة وانما شرطنا ذلك

لان الغرض من البيعة امرة بالمعروف ونهيه عن المنكر وارشاده الى تحصيل السكينة الباطنة
وازالة الرذائل والاكتساب للحمائد متقيدا بظاهر القران الكريم والحديث الشريف ومن لم يكن عالما
بهما وعاملا عوجب بهما لا يتصور منه ذلك ابدا وقد اتفقت كلمة المشائخ على ان لا يتكلم على الناس
الا من كتب الحديث وقرأ القران وثانيها العدالة والتقوى والصدق والضبط فيجب ان يكون
مجتنبا عن الكبائر غير مصر على الصغائر ثالثها ان يكون زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة مواظبا
على الطاعات المؤكدة والاذكار الماثورة في صحاح الاحاديث مواظبا على تعلق القلب بالله سبحانه
رابعها ان يكون امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستبدا برايه لا امعة ليس له رأي ولا امر لنفسه مروة
وعقل تام يعتمد عليه في كل ما يامر به وينهى عنه قال تعالى ممن ترضون فاظنك بصاحب البيعة
خامسها ان يكون صحب العلماء بالكتاب والسنة وتادب بهم دهرا طويلا واخذ منهم العلم
الظاهر والنور الباطن والسكينة وهذا لان سنة الله جرت بان الرجل لا يفلح الا اذا رأى الفلحين
ولا يشترط في ذلك ظهور الكرامات وخوارق العادات ولا ترك الاكتساب لان الاول ثمرة المجاهدة
لا شرط الكمال والثاني مخالف للشرع المطهر ولا تغتر بما فعله المغلوبون في احوالهم انما الماثور القناعة
بالقليل والورع من الشبهات واذا تقرر لك هذا عرفت ما هو صاف عما هو كدر فاشدد يديك
عليه ولا تلتفت الى غير ما ذكرنا وبالله التوفيق ولما ذكر تعالى اهل بيعة الرضوان واضافهم
الى حضرة الرحمن ذكر من خاب عن ذلك الجناب وابطاء عن حضرة تلك العمرة بقوله سَيَقُولُ اي
بوعد لا خلف فيه اذ لانهم يعلمون شدة رحمتك ورفقك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون
في قبولك عذرهم الفاسد مما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
هم الذين خلفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية معتمرا قال مجاهد وغيره يعني
اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والدئل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة
وقيل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى مكة عام الفتح بعد ان كان قد استنفرهم ليخرجوا
معه وخافوا ان يكون قتال وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه
يعنون باحد شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا اي منعنا من الخروج معك ما لنا من الاموال والنساء
والذراري وليس لنا من يقوم بها ويخلفنا عليها وانا لو تركناها لضاعوا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ليغفر الله لنا

ما وقع منا من التخلف عنك لهذا السبب ثم لما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد
بل على طريقة الاستهزاء وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم فضحهم الله بقوله يقولون بألسنتهم
من طلب الاستغفار لما قبله ما ليس في قلوبهم فهم كاذبون في اعتذارهم وفي طلب
الاستغفار لهم وهذا هو صنيع المنافقين والجملة مستانفة لبيان ما تنطوي عليه بواطنهم
او بدل من الجملة الاولى تقرر امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عنهم فقال قل فمن يملك
لكم من الله شيئا اي فمن يمنعكم مما اراده الله بكم من خير وشر ونفع وضر والاستفهام بمعنى
النفي اي لا احد يقدر لاجلكم من مشيئته وقضائه فما في النظم مجاز عن هذا ثم بين ذلك فقال
ان اراد بكم ضرا اي نزل ما يضركم من ضياع الاموال وهلاك الاهل والقتل والهزيمة والعقوبة على التخلف
قرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد وهو مصدر ضرته ضرا وقرئ بضمها وهو اسم ما يضر وقيل هما لغتان
وسبعيتان او اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع ثم اضرب سبحانه عن ذلك فقال بل
كان الله بما تعملون خبيرا اي ان تخلفكم ليس لما زعمتم بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملونه
من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وقد علم ان تخلفكم لم يكن لذلك بل للشك والنفاق وما خطر
لكم من الظنون الفاسدة الناشية عن عدم الثقة بالله ولهذا قال بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها لما فيها من الابهام اي
بل ظننتم ان العدو يستاصل المؤمنين بالمرة فلا يرجع منهم احد الى اهله لما في قلوبكم من
عظمة المشركين وحقارة المؤمنين فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة وزين
قرأ الجمهور مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل وهو الشيطان ذلك في قلوبكم فقبلتموه
وظننتم ظن السوء هو ان الله سبحانه لا ينصر رسوله وهذا الظن اما هو الظن الاول والتكرير
للتاكيد والتوبيخ او المراد به ما هو اعم من الاول فيدخل الظن الاول تحته دخولا اوليا وكنتم
قوما بورا قال الزجاج هالكين عند الله وكذا قال مجاهد قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك
الذي لا خير فيه قال ابو عبيد بورا هلكى وهو جمع بائر مثل حايل وحول في المعتل وبازل وبزل
في الصحيح وقد بار فلان اي هلك وابارة الله اي اهلكه قيل والبور الهلاك وهو مصدر اخبر به عن الجميع

ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا هذا كلام مستانف من جهة الله سبحانه غير داخل تحت ما امر الله سبحانه رسوله ان يقوله اي ومن لم يؤمن بي كما صنع هؤلاء المخلفون فجزاؤهم ما اعد الله لهم من عذاب السعير والنار الشديدة واقيم الظاهر مقام المضمر للايذان بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر مستوجب للسعير وذكر سعير الانها نار مخصوصة كما ذكر نارا تلظى والتهويل ولله ملك السموات والارض تصرف فيه كيف يشاء لا يحتاج الى احد من خلقه وانما تعبدهم بما تعبدهم ليثيب من احسن ويعاقب من اساء ولهذا قال يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون وهذا حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم وكان الله غفورا رحيما اي كثير المغفرة والرحمة بليغهما يختص بمغفرته ورحمته من يشاء من عباده وتقتضي الحكمة مغفرته من المؤمنين دون من عداهم من الكافرين فهم بمعزل عن ذلك قطعا سيقول المخلفون المذكورون اذا انطلقتم اي عند انطلاقكم ايها المسلمون الى مغانم اي مغانم خيبر لتأخذوها اي لتحوزوها اذرونا اي اتركونا وعونا نتبعكم ونشهد معكم غزوة خيبر واصل القصة انه لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست اقام بالمدينة بقيته واوائل المحرم من سنة سبع وعدهم الله فتح خيبر وخص لغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروه والمراد بهذا الكلام هو ما عيد الله لاهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر وقال مقاتل يعني امر الله لرسوله ان لا يسير معه احد منهم وقال ابن زيد هو قوله تعالى واذا استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا واذا عرف هذا ابن جرير وغيره بان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة والاول اولى وبه قال مجاهد وقتادة ورجحه ابن جرير وغيره وعليه عامة اهل التاويل قل الجمهور كلام الله وقرئ كلم الله قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبق ونبقة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينعيهم من الخروج معه فقال قل لن تتبعونا هذا النفي هو بمعنى النهي للمبالغة والمعنى لا تتبعونا لذلكم قال لكم من قبل اي من قبل رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون يعني المنافقين عند سماع هذا القول وهو قوله لو الخ

بَلْ اضراب عن محذوف هو مقول القول كما علمت تَحْسُدُونَنَا اي بل ما يمنعكم من خروجنا معكم الا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة وليس ذلك حكما من الله كما تزعمون ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا اي لا يعلمون الا علما قليلا وهو علمهم بامر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا فقها قليلا وهو ما يصنعونه نفاقا بظواهرهم دون بواطنهم والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اعم منه وهو الجهل وقلة الفقه وفيه ان الجهل غاية في الذم وحب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف اي فذمهم مرة بعد اخرى كما اشار اليه في التقرير سَتُدْعَوْنَ الى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ قال عطاء بن ابي رباح ومجاهد وابن ابي ليلى وعطاء الخراساني هم فارس قال كعب والحسن وابن ابي ليلى هم الروم وروي عن الحسن ايضا انه قال هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هم هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وحكى هذا القول الواحدي عن اكثر المفسرين وعن ابي هريرة انهم الاكراد وقال ابن عباس هم فارس والروم وعنه قال هوازن وبنو حنيفة يعني اهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف وقال ابو هريرة لم ار اتأويل هذه الآية بعد وظاهر الآية يرده وفي هذه الآية دليل على صحة امامة ابي بكر الصديق وعمر رضي الله تعالى عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم قال الخازن واقوى هذه الاقوال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها انهم بنو حنيفة ثم ذكر الدليل على صحة القول الاول واطال فيه ولا يصح لانه قال لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما تُقَاتِلُونَهُمْ اَوْ يُسْلِمُونَ فلا تقاتلون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وهذا حكم الكفار الذين لا تؤخذ منهم الجزية كفارس والروم واما بنو حنيفة فكانوا مرتدين فلا يقبل منهم الا الاسلام

قال الزجاج التقدير اوهم يسلمون وقرئ اويسلموا اي حتى يسلموا فان تطيعوا الى قتالهم يؤتكم
الله اجرا حسنا وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا اي تعرضوا كما تولتم من
قبل وذلك عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما بالقتل والاسر والقهر في الدنيا وبعذاب النار
في الاخرة لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي
ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الاعذار حرج في التخلف عن الغزو وترك الجهاد لعدم استطاعتهم
قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير الى الحديبية بهذه الاية والحرج الاثم
وعن زيد بن ثابت قال كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واني لواضع القلم على اذني اذ امر بالقتال
اذ جاء اعمى فقال كيف لي وانا ذاهب البصر فنزلت ليس على الاعمى حرج الاية قال هذا في الجهاد
وليس عليهم من جهاد اذا لم يطيقوا اخرجه الطبراني قال السيوطي بسند حسن وهذه اعذار صحيحة
ظاهرة لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر وهناك اعذار اخر ذكرها الخازن وغيره وموضعها
كتب الفقه وصحف التفسير ومن يطع الله ورسوله فيما امره به ونهاه عنه ومنه الجهاد يدخله
بالياء وقرئ بالنون وهما سبعيتان جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا
اليما اي ومن يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه الله عذابا شديدا الما كررا لتوعد
لان المقام ادعى للترهيب فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لكون الغفران والرحمة
من ربه بخلاف التعذيب ثم ذكر سبحانه الذين اخلصوا نياتهم وشهد وا بيعة الرضوان فقال
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة اي رضي الله عنهم وقت تلك البيعة
وهي بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذه الشجرة هي سمرة كانت بها وقيل سدرة وكانت البيعة
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي انه بايعهم على الموت واتى بصيغة المضارع لاستحضار
صورة المبايعة والسمرة من شجر الطلح وجمهور المفسرين على انه المراد بالطلح في القرآن المورق وفي
الصحيح عن ابن عمر ان الشجرة اخفيت والحكمة في ذلك ان لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير
فلو بقيت لما امن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا ان لها قوة نفع او ضر كما نشاهده الان فيما دونها
ولذلك اشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله كذا في الفتح وشرح المواهب وعن نافع قال بلغ عمر
بن الخطاب ان ناسا ياتون الشجرة التي بويع تحتها فامر بها فقطعت اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف

ع ٢

وقد تقدم ذكر عدد اهل هذه البيعة قريبا والقصة مبسوطة في كتب الحديث والسير وفي الباب احاديث ذكرها الخازن وغيره والمعنى فضل بالراسخين في الايمان فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وافهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فخذلهم في الدنيا مع ما اعد لهم في الاخرة فالاية لقريب لما ذكر من جزاء الفريقين بامور شاهدة ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان فَعَلِمَ اللّٰهُ مَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ اي علم ما فيها من الصدق والوفاء قاله الفراء وقال قتادة وابن جريج من الرضاء بامر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على الموت فَاَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ اي الطمانينة وسكون النفس والامن كما تقدم وقيل الصبر عَلَيْهِمْ اي على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوا على الموت وعلى ان لا يفروا والاية تشير الى ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة لان رضوان الله موجب لدخولها والاحاديث الصحيحة تدل لذلك قال ابن عباس انما انزلت السكينة على من علم منه الوفاء وَاَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيْبًا هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية قاله قتادة وابن ابي ليلى وغيرهما وقيل فتح مكة والاول اولى وَّمَغَانِمَ كَثِيْرَةً يَّاْخُذُوْنَهَا اي واثابهم مغانم كثيرة او اثابهم وهي غنائم خيبر وكانت ذات نخل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وقرئ بالتاء والالتفات لتشريفهم بالخطاب وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا اي غالبا مصدرا افعاله واقواله على اسلوب الحكمة عن سلمة بن الاكوع قال بينا نحن قائلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الاية فبايع لعثمان باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا او كذا سنة ما طاف حتى اطوف اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه واخرج البخاري عن سلمة بن الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قيل على اي شيء كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت واخرج مسلم وغيره عن جابر قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة اخرجه احمد ومسلم وابو داود والترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي واستغربه وَعَدَكُمُ اللّٰهُ مَغَانِمَ كَثِيْرَةً تَاْخُذُوْنَهَا في هذا وعد منه سبحانه

لعباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الغنائم الى يوم القيامة يأخذونها في اوقاتها التي قدر وقوعها فيها والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان والخطاب لاهل الحديبية فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهٖ اي غنائم خيبر قاله مجاهد وغيره وقيل صلح الحديبية وهي في جنب ما وعدهم الله به من الفتوح كالقليل من الكثير وَكَفَّ اَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ اي ايدي قريش يوم الحديبية بالصلح وقيل ايدي اهل خيبر وابصارهم عن قتالكم وقذف في قلوبهم الرعب وقال ابن عباس يعني اهل مكة ان يستحلوا حرم الله ويستحل بكم وانتم حرم وقال قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وخيبر ورجح هذا ابن جرير قال لان كف ايدي الناس بالحديبية مذكور في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وقيل الناس يعني عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهما اذ جاؤا لينصروا اهل خيبر عند حصار النبي صلى الله عليه وسلم لهم وَلِتَكُوْنَ اٰيَةً لِّلْمُؤْمِنِيْنَ اي فعل ما فعل من التعجيل والكف لتكون اية لهم او وعد فعجل وكف لتنتفعوا بذلك ولتكون اية وقيل ان الواو مزيدة واللام لتعليل ما قبلها اي وكف لتكون والمعنى ذلك الكف اية يعلم بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما يعدكم به وقال ابن عباس اي سنة لمن بعدكم وقيل عبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًا اي يريدكم بتلك الاية هدى وبصيرة ويقينا وثقة بفضل الله تعالى ويثبتكم على الهداية الى طريق الحق بصلح الحديبية وفتح خيبر وقيل طريق التوكل عليه وتفويض الامر اليه تعالى الان الحاصل من الكف ليس الا ذلك ولان اصل الهدى حاصل قبله وَاُخْرٰى اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى ويجوز فيها اوجه ذكرها السمين وغيره لَمْ تَقْدِرُوْا عَلَيْهَا وهي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد كفارس والروم ونحوهما كذا قال الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وقال الضحاك وابن زيد وابن اسحق هي خيبر وعدها الله نبيه قبل ان يفتحها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة فتح مكة وقال عكرمة حنين والاول اولى وقال ابن عباس هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم وعنه قال هي خيبر وقيل فتح بلدة اخرى مطلقا وقيل مغانم هوازن في غزوة حنين قَدْ اَحَاطَ اللّٰهُ بِهَا صفة ثانية للاخرى قال الفراء احاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتاخذوها والمعنى انه اعدها لهم وجعلها كالشيء الذي قد احيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت منه شيء فهم وان لم يقدروا عليها في الحال

في محبوسة لهم لا تفوتهم وقيل المعنى انه احاط علمه بانها ستكون لهم وكان الله على
كل شيء من فتح القرى والبلدان قديرا لا يعجزه شيء ولا تختص قدرته ببعض المقدورات دون
بعض ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار قال قتادة يعني كفار قريش بالحديبية واهل
مكة وقيل لمسدوغطفان الذين اراد وا نصر اهل خيبر والاول اولى ثم لا يجدون وليا يتولاهم
على قتالكم ويكون لهم ولا نصيرا ينصرهم عليكم سنة الله التي قد خلت من قبل اي طريقته
وعادته التي قد مضت في الامم من نصر اوليائه على اعدائه وهو قوله لاغلبن انا ورسلي
انتصاب سنة على المصدرية بفعل محذوف اي سن الله سنة وهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة
المتقدمة من هزيمة الكفار ونصر المؤمنين ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا ما هي مستمرة
ثابتة وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم اي كف ايدي المشركين عن المسلمين وايدي المسلمين
عن المشركين لما جاؤا ليصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عن البيت عام الحديبية وهي الواقعة ببطن
مكة لان الكثير من الحرم من بعد ان اظفركم عليهم اي اقدركم وسلطكم لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج
في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم
بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقيل المعنى هو الذي قضى بينهم وبينكم المكافة والحاجزة بعد ما
خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رح على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا والمراد على هذا ببطن مكة مكة وكان الله بما تعملون بصيرا لا يخفى عليه
من ذلك شيء قرئ بالتاء وبالياء وهما سبعيتان عن انس قال لما كان
يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه ثمانون
رجلا من اهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى
عليهم فاخذوا اخذا فاعفا عنهم فنزلت هذه الآية اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم واحمد ومسلم وابو داود والنسائي
والترمذي وغيرهم وفي صحيح مسلم وغيره انها نزلت في نفر اسرهم سلمة بن الاكوع يوم الحديبية
واخرج احمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم في سبب نزول الآية ان ثلاثين شابا من المشركين
خرجوا يوم الحديبية على المسلمين في السلاح فثاروا في وجوههم فدعى عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخذ الله باسماعهم ولفظ الحاكم بابصارهم فقام اليهم المسلمون فاخذوهم فقال لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم في عهد احد او هل جعل لكم احد اما نافقالوا لا فخلى سبيلهم فنزلت
هذه الاية هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا يعني كفار قريش وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اي عن الوصول اليه
ومعنى الصد انهم منعوهم ان يطوفوا بالمسجد الحرام ويحلوا عن عمرتهم وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا اي محبوسا
قرأ الجمهور بنصب الهدي عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد ولابد
من تقدير مضاف اي عن نحر الهدي وقرئ بالرفع على تقدير وصد الهدي وقرأ الجمهور بفتح الهاء
من الهدي وسكون الدال وقرئ بكسرها وتشديد الياء وانتصاب معكوفا على الحال من الهدي
قال الجوهري عكفه اي حبسه ووقفه ومنه والهدي معكوفا ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس
وعكف على الشيء اقبل عليه مواظبا وقال ابو عمرو بن العلاء معكوفا مجموعا وانكر الفارسي تعدية
عكف بنفسه واثبتها ابن سيدة والازهري وغيرهما وهو ظاهر القرآن لبناء اسم المفعول منه
أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ اي عن ان يبلغ محله او مفعول لاجله والمعنى صدوا الهدي كراهة ان يبلغ
محله ومحله منحره وهو حيث يحل نحره من الحرم او هو بدل اشتمال من الهدي وكان الهدي سبعين بدنة
وقال ابن عباس نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن الى
اولادها ورخص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذي وصلوا اليه وهو الحديبية محلا للنحر
فلا يتمهض حجة الحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم والعلماء في هذا كلام معروف في كتب الفروع
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة لَمْ تَعْلَمُوهُمْ
اي لم تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مؤمنون أَنْ تَطَئُوهُمْ اي بالقتل والايقاع بهم يقال وطئت
القوم اي اوقعت بهم وذلك انهم لو كبسوا مكة واخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون الذين
هم فيها من الكفار وعند ذلك لا يامنون ان يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم سُبَّة
وهو معنى قوله فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ اي من جهتهم مَعَرَّةٌ اي مشقة بما يلزمكم في قتالهم من كفارة
وعيب واصل المعرة العيب ماخوذ من العر وهو الجرب وذلك ان المشركين سيقولون ان المسلمين قد
قتلوا اهل دينهم قال الزجاج معرة اي اثر وكذا قال الجوهري وبه قال ابن زيد وقال الكلبي ومقاتل
وغيرهما المعرة كفارة قتل الخطا كما في قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة لاهل الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية

وقال ابن اسحاق المعرة غرم الدية وقال قطرب المعرة الشدة وقيل الغرم وقيل هي مفعلة من عر بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه بغير علم متعلق بان تطأوهم اي غير عالمين وجواب لولا محذوف والتقدير لاذن الله لكم او لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله اللام متعلقة بما يدل عليه الجواب المقدر اي ولكن لم يأذن لكم او كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته بذلك اي في توفيقه لزيادة الخير والاسلام من يشاء من عباده وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة فيتم لهم اجورهم باخراجهم من بين ظهراني الكفار ويفكك اسرهم ويرفع ما كان ينزل بهم من العذاب وقيل اللام متعلقة بمحذوف غير ما ذكر والتقدير لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته والاول اولى وقيل ان من يشاء عبادة عمن رغب في الاسلام من المشركين عن ابي جمعة جنيد بن سبع قال قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال الخ وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتان وفي رواية ابن ابي حاتم كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة اخرجه الطبراني وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن قانع والباوردي والطبراني وابن صوده وبه قال السيوطي بسند جيد وعن ابن عباس في الآية قال حين ردوا النبي صلى الله عليه وسلم ان تطؤهم بقتلكم اياهم لو تزيلوا التزيل التميز اي لو تميز الذين آمنوا من الذين كفروا ومنهم قاله العتبي وقال الكلبي لو تفرقوا وقيل لو زال الذين آمنوا من بين اظهرهم والمعاني متقاربة قرأ الجمهور لو تزيلوا وقرئ لو تزايلوا والتزايل التباين لعذبنا الذين كفروا منهم اي من اهل مكة ح بان ناذن لكم في فتحها عذابا اليما قال القاضي بالقتل والسبي وهو الظاهر لان المراد من تعذيبهم التعذيب الدنيوي الذي هو تسليط المؤمنين عليهم وقتالهم فان عدم التميز لا يوجب عدم عذاب الآخرة افاده علي القاري قال ابن عباس لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا اليما بقتلكم اياهم قال قتادة ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما وقع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة اذ جعل اي اذكر وقت ان جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اي اضمروها واصروا عليها والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية اي ذو انفة وغضب وتكبر وتعاظم اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم والجعل بمعنى الالقاء حمية الجاهلية بدل من الحمية قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا وبايعوا محمدا وخالفونا فعلينا ان نقاتلهم فحمت العرب انفة وقالوا يدخلون علينا في منازلنا فتحدثت العرب انهم قد دخلوا علينا على رغم انفسنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا

فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم وقال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وقال الخطيب حمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق او باطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فوجب تخطيء حدود الشرع ولذلك انفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء فأنزل الله سكينته اي الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين حيث لم يدخلهم ما دخل اهل الكفر من الحمية وقيل ثبتهم على الرضاء والتسليم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن حنيف انه قال يوم صفين اتهموا انفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولم يضيعني الله ابدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء ابا بكر فقال يا ابا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا اقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولم يضيعه الله ابدا فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر فاقرأه اياها قال يا رسول الله افتح هو قال نعم وألزمهم اي اختارلهم فهو الزام تشريف واكرام كلمة التقوى من الشرك وهي لا اله الا الله كذا قال الجمهور وزاد بعضهم محمد رسول الله وزاد بعضهم وحده لا شريك له وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الكفار لم يقروا بها وامتنعوا من كتابتها في كتاب الصلح الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مثبت ذلك في كتب الحديث والسير فخص الله بهذه الكلمة المؤمنين والزمهم بها والاول اولى لان كلمة التوحيد هي التي يتقى بها الشرك بالله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله اخرجه احمد وابن جرير والدارقطني في الافراد وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات والترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث ابي الحسن بن قزعة وكذا قال ابو زرعة واخرج ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع مرفوعا مثله وعن علي بن طالب مثله من قوله ومن قول عمر بن الخطاب نحوه وعن ابن عباس نحوه وعن مسور بن مخرمة

ومروان نحوه وروي عن جماعة من التابعين نحو ذلك وكانوا احق بها واهلها عطف تفسير
اي وكان المؤمنون احق بهذه الكلمة من الكفار والمستأهلين لها دونهم في علم الله تعالى لان
الله سبحانه اهلهم لدينه واختارهم لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان الله بكل شيء عليما اي من
الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير لقد صدق
الله رسوله الرؤيا اي جعل رؤياه صادقة محققة ولم يجعلها اضغاث احلام وان كان تفسيرها
لم يقع الا بعد ذلك في عمرة القضاء قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه اري نبيه صلى الله عليه وسلم
في المدينة قبل ان يخرج الى الحديبية كانه هو واصحابه حلقوا وقصروا فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا
وحسبوا انهم سيدخلون مكة عامهم ذلك فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا عامهم قال المنافقون
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الآية وقيل ان الرؤيا كانت بالحديبية
بالحق متعلق بصدق اي صدقا ملتبسا بالحكمة البالغة
وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق
قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه سبحانه وجوابه لتدخلن المسجد
الحرام في العام المقابل وعلى الاول هو جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية لتعليم
العباد لما يجب ان يقولوه كما في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قال الثعلبي
ان الله استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقيل كان الله سبحانه علم انه يموت بعض هؤلاء
الذين كانوا معه في الحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسن بن الفضل وقيل معنى ان
شاء الله كما شاء الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ يعني اذ شاء الله حيث اري رسوله ذلك آمنين
حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض والمعنى امنين في حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم
في المستقبل محلقين رؤسكم ومقصرين اي آمنين من العدو ومحلقا بعضكم جميع الشعور ومقصرا
بعضكم والحلق والتقصير خاص بالرجال والحلق افضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح
في استغفاره صلى الله عليه وسلم للمحلقين في المرة الاولى والثانية والقائل يقول الا المقصرين فقال في الثالثة والمقصرين
وقد روى الدعاء للمحلقين والمقصرين في البخاري ومسلم وغيرهما احاديث منها ما قدمنا الاشارة اليه وهو من حديث
ابن عمر وفيهما من حديث ابي هريرة ايضا لا تخافون مستانف وفيه زيادة تاكيد لما قد فهم من قوله آمنين

٤٨ ع ٩

للاتكرار فعبر بما لو تعلموا معطوف على صدق اي صدق رسوله الرؤيا فعلم ما لم تعلموا من المصلحة في الصلح لما في دخولكم في عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين فجعل من دون ذلك اي دخولكم مكة كما اراه رسوله فتحا قريبا ليقويكم به فانه كان موجبا لاسلام كثير قال اكثر المفسرين هو صلح الحديبية وقال ابن زيد والضحاك فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل وقال الزهري لا فتح في الاسلام كان اعظم من صلح الحديبية ولقد دخل في تلك السنين في الاسلام مثل من كان قد دخل فيه قبل ذلك بل اكثر فان المسلمين كانوا في سنة ست وهي سنة الحديبية الفا واربعمائة وكانوا في سنة ثمان عشرة الافا وقيل هو فتح مكة هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ اي ارسله متلبسا بالهدى وَدِينِ الْحَقِّ وهو الاسلام لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ اي يعليه ويعليه على كل الاديان بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا كما يفيده تاكيد الجنس وقيل ليظهر رسوله والاول اولى وقد كان ذلك بحمد الله فان دين الاسلام قد ظهر على جميع الاديان وانقهر له كل اهل الملل ولا يرى دينا قط الا والاسلام مدوه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات والاول اولى وفي هذا تاكيد لما وعده من الفتح وَكَفَىٰ بِاللَّهِ الباء زائدة شَهِيدًا على هذا الاظهار الذي وعد المسلمين به وعلى صحة نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ الجملة مبينة لما هو من جملة المشهود به وَالَّذِينَ مَعَهُ من المؤمنين قيل هم اصحاب الحديبية والاولى الحمل على العموم أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ اي غلاظ عليهم كما يغلظ الاسد على فريسته وهو جمع شديد كتاجر وتجر او شدة كسقف وسقف فلا يرحمونهم رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ اي متوادون متعاطفون كالوالد مع الولد وهو جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم الرحمة والرافة ونحوه قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين قال الحسن بلغ من تشديدهم على الكفار انهم كانوا يحترزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم وتمسها ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وتلزق بها وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا اللائق الى وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم ويعاشروا اخوانهم المؤمنين في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والاحتمال منهم تراهم الجهول برفع اشداء ورحماء على انه خبر الموصول وقرئ بنصبهما

على الحال او على المدح ويكون الخبر على هذه القراءة قوله تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم وتبصرهم
حال كونهم راكعين ساجدين اخبر عن كثرة صلاتهم ودوامهم عليها يبتغون فضلا من الله و
رضوانا اي يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم وفيه لطيفة ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من
الله والمرائي بعمله لا ينبغي له اجر وذكر بعضهم في الآية والذين معه ابا بكر الصديق اشداء على
الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون
فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين سيماهم في وجوههم
من اثر السجود السيما العلامة وفيه لغتان المد والقصر اي يظهر علامتهم في جباههم من اثر السجود
في الصلوة لكثرة التعبد بالليل والنهار وقال الضحاك اذا سهر الرجل اصبح مصفرا فجعل هذا هو
السيما وقال الزهري مواضع السجود اشد وجوههم بياضا وقال مجاهد هو الخشوع والتواضع و
بالاول اعني كونه ما يظهر في الجباه من كثرة السجود قال سعيد بن جبير ومالك وقال ابن جريج هو
الوقار وقال الحسن اذا رايتهم رايتهم مرضى وما هم بمرضى وقيل هو البهاء في الوجه وظهور
الانوار عليه وبه قال سفيان الثوري قال ابن عباس اما انه ليس الذي ترونه ولكنه سيما الاسلام
وسمته وخشوعه وعنه قال هو السمت الحسن وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قوله سيماهم الخ النور يوم القيامة اخرجه الطبراني في الاوسط والصغير وابن مردويه قال السيوطي
بسند حسن وعن ابن عباس قال بياض يغشى وجوههم يوم القيامة قال عطاء الخراساني دخل
في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعي ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض
المرائين من اثر هيئة السجود في جبهته فان ذلك من سيماء الخوارج وعن ابن عباس عن النبي صلى
عليه وسلم اني لابغض الرجل واكرهه اذا رايت بين عينيه اثر السجود ذكره الخطيب وليظر في سنده ذلك
اي ما تقدم من هذه الصفات الجليلة مثلهم اي وصفهم العجيب الشان الذي وصفوا به في التوراة
ومثلهم اي وصفهم الذي وصفوا به في الانجيل تكرير ذكر المثل لزيادة تقريره والتنبيه على غرابته
وانه جار مجرى الامثال في الغرابة قال ابن عباس اي نعتهم مكتوب في التوراة والانجيل قبل ان يخلق
الله السموات والارض كزرع اخرج شطأه كلام مستانف اي هم كزرع وقيل هو تفسير لذلك
على انه اشارة مبهمة لم يرد به ما تقدم من الاوصاف وقيل هو خبر لقوله مثلهم في الانجيل اي مثلهم

في الانجيل كزرع قال الفراء فيه وجهان ان شئت قلت ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل يعني كمثلهم في القرآن فيكون الوقف على الانجيل وان شئت قلت ذلك مثلهم في التوراة ثم تبتدي ومثلهم في الانجيل كزرع قرأ الجمهور شطأه بسكون الطاء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان وقرئ شطاه كعصاه وقرئ شطه بغير همز وكلها لغات قال الاخفش والكسائي شطأه اي طرفه قال الفراء شطأ الزرع فهو مشطء اذا خرج قال الزجاج اخرج شطأه اي نباته وقال قطرب الشطأ سوى السنبل وعن الفراء هو السنبل وقال الجوهري شطأ الزرع والنبات والجمع اشطأ وقد اشطأ الزرع خرج شطأه وقال ابن نباته فروخه فآزره اي قواه وشده واعانه قيل ان المعنى ان الشطأ قوى الزرع قاله السمين وقيل ان الزرع قوى الشطا وبه قال النسفي وهو السبب فان العادة ان الاصل يتقوى بفروعه فهي تعينه وتقويه قرأ الجمهور فآزره بالمد وقرئ بالقصر وهما سبعيتان قال الفراء أزرت فلانا ازره ازرا اذا قويته فاستغلظ اي صار ذلك الزرع غليظا بعد ان كان دقيقا فهو من باب استحجر الطين والمراد المبالغة في الغلظة كما في استعصم ونحوه وامتنار الاول لان بناء الساق على التدريج فاستوى على سوقه اي فاستقام على اعواده والسوق جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة الساكنة يعجب الزراع اي يعجب هذا الزرع زارعه لقوته وحسن منظره وهنا تم المثل قاله السمين قلت وهذا مثل ضربه الله سبحانه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وانهم يكونون في الابتداء قليلا ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع فانه يكون في الابتداء ضعيفا ثم يقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب فيه انه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا ونحوه مما تقدم ليس بتفسير للقرآن بل من لطائف الكلام وعن بعض الصحابة انه لما قرأ هذه الآية قال ثم الزرع وقد دنا حصاده ثم ذكر سبحانه علة تكثير الاصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم وتقويته لهم وتشديدهم بالزرع فقال ليغيظ بهم الكفار اي انما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكفار واللام متعلقة بمحذوف اي فعل ذلك ليغيظ قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية وقد وردت احاديث كثيرة في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الخصوص والعموم ليس هذا محل بسطها وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَّاَجْرًا عَظِيْمًا اي وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم ان يغفر ذنوبهم ويجزل اجرهم بادخالهم الجنة التي هي نعمه واعظم منه ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض وهذه الاية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون لو ان ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته صلى الله عليه وسلم قال الجلال المحلي وهما اي المغفرة والاجر لمن بعدهم ايضا في اثبات اي بعد الصحابة من التابعين ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الى قوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله ونحو ذلك من الايات **خاتمة** قد جمعت هذه الاية وهي محمد رسول الله الى اخر السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من الاشارة التصريحية باجتماع امرهم وعلو نصرهم رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم وهذا من لطائف النظم القرآني وهذا اخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالنصر باطنا

سُوْرَةُ الْحُجُرٰتِ ثَمَانِيْ عَشْرَةَ اٰيَةً وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

قال القرطبي بالاجماع قال ابن عباس وابن الزبير انها نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات والمخاطب فيه المؤمنون والمخاطب به امرا ونهي وذكر فيها يا ايها الناس مرة والخطاب فيها يعم المؤمنين والكافرين كما ان المخاطب به وهو قوله انا خلقناكم من ذكر وانثى يعمهما فناسب فيها ذكر الناس لَا تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ قرأ الجمهور بنون الحال مكسورة وفيه وجهان احدهما انه متعد وحذف مفعوله لقصد التعميم او ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل كقولهم هو يعطي ويمنع والثاني انه لازم نحى وجهه وتوجه ويعضده قراءة تقدموا بفتح التاء واللام والدال قال الواحدي قيل

ههنا بمعنى تقدموا وهو امر قال ابو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب اي لا تعجل بالامر دونه والنهي لان المعنى لا تقدموا قبل امرهما ونهيهما وبين يدي الامام عبارة عن الامام لا بين يدي الانسان وقرئ بضم التاء وكسر الدال من اقدم اي لا تقدموا على شيء ومعنى الآية لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به وقيل المراد معنى بين يدي فلان بحضرته لان ما يحضره الانسان فهو بين يديه وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة وهو الاظهر والاشمل وجرت هذه العبارة اي بين يدي الله ورسوله هنا على سنن من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا اي استعارة تمثيلية والغرض تصوير كمال الجهة وتقبيح قطع الحكم بغير اذن الله ورسوله او المراد بين يدي رسول الله وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله وعلى هذا فلا استعارة واليه يميل كلام المحلي وقال الشهاب في هذا الكلام تجوز ان اريد ما في بين اليدين فان حقيقته ما بين العضوين فتجوز بهما عن الجهتين المقابلتين لليمين والشمال القريبتين منه باطلاق اليدين على ما يحاورهما ويحاذيهما فهو من المجاز المرسل ثم استعيرت الجملة وهي التقدم بين اليدين استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن تلزمه متابعته والمعنى كما قال الخازن لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله او قبل ان يفعل وفي البيضاوي المعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكم الله ورسوله به انتهى وقطع الامر الجزم به والجرأة على ارتكابه من غير اذن من له الاذن وَاتَّقُوا اللّٰهَ في كل اموركم ويدخل تحتها الترك المتقدم بين يدي الله ورسوله دخولا اوليا ثم علل ما امر به من التقوى بقوله اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ لكل مسموع عَلِيْمٌ بكل معلوم عن عبد الله بن الزبير قال قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر ما اردت امر الا قرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت الآية اخرجه البخاري وغيره قال ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وهذا يشمل معارضة السنة والكتاب بالرأي والتقليد ايضا وعن عايشة قالت لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم واخرج البخاري في تاريخه عنها قالت كان اناس يتقدمون بين يدي رمضان بصيام يعني يوما او يومين فانزل الله هذه الآية يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا

في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله لان النداء تنبيه المنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فدعاه تفيد تجدد ذلك ومنها ان لا يتوهم ان الخاطب ثانيا غير الخاطب اولا ومنها ان يعلم ان كلا من الكلامين مقصود ليس الثاني تاكيد الاول لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي يحتمل ان المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام لان خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير ويحتمل ان يكون المراد المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط والاول اولى والمعنى لا ترفعوا اصواتكم الى حد يكون فوق ما يبلغه صوت النبي صلى الله عليه وسلم قال المفسرون المراد من الآية تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وان لا يناد وه كما ينادي بعضهم بعضا وهذا نهي عن قول كما ان قوله لا تقدموا نهي عن فعل عن ابي بكر الصديق قال لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله والله لا اكلمك الا كاخي السرار وفي سند حصين بن عمر وهو ضعيف ولكنه يؤيده ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله قال ابو بكر والذي انزل عليك الكتاب يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار حتى القى الله واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال لما نزلت هذه الآية الى قوله وانتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت فقال انا الذي كنت ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حبط عملي انا من اهل النار وجلس في بيته حزينا ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم اليه فقال انفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فقال انا الذي ارفع صوتي فوق صوت النبي واجهر له بالقول حبط عملي انا من اهل النار فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فقال لا بل هو من اهل الجنة فلما كان يوم اليمامة قتل وفي الباب احاديث بمعناه وعن ابن مسعود قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي كما تعتادونه من الجهر بالقول اذا كلم بعضكم بعضا قال الزجاج امرهم الله سبحانه بتجليل نبيه صلى الله عليه وسلم وان يغضوا اصواتهم وان يخاطبوه بالسكينة والوقار وقيل المراد بقوله ولا تجهروا له بالقول لا تقولوا يا محمد يا احمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا وليس المراد برفع الصوت والجهر بالقول هو ما يقع على طريقة الاستخفاف فان ذلك كفر وانما المراد ان يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف التبجيل والتوقير

والحال ان النهي هنا وقع عن امور ثلاثة اولها عن التقديم بين يديه بما لم يأذن به من الكلام والثاني
عن رفع الصوت البالغ الى حد يكون فوق صوته سواء كان في خطابه او خطاب غيره والثالث
ترك الجفاء في مخاطبته ولزوم الادب في محاورته لان المقاولة المجهورة انما تكون بين الاكفاء الذين
ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله ان تحبط اعمالكم
قال الزجاج اي لان تحبط يعني فتحبط فاللام للعلة مقدرة لام الصيرورة وهذه العلة تصلح ان تكون علة
للنهي اي نهاكم الله عن الجهر خشية او كراهة ان تحبط او علة للنهي اي لا تفعلوا الجهر فانه يؤدي الى الحبوط
وكلام الزجاج ينظر الى الوجه الثاني لا الى الاول وجملة وانتم لا تشعرون في محل نصب على الحال و
فيه تحذير شديد ووعيد عظيم قال الزجاج وليس المراد وانتم لا تشعرون بوجب ان يكفر الانسان
وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره الايمان على الكفر كذلك لا يكون الكافر كافرا من حيث
لا يعلم ثم رغب الله سبحانه في امتثال امره فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اجلالا له وتعظيما واصل الغض النقص من كل شيء ومنه نقص الصوت اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم قال الفراء اخلص قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديه
ويسقط خبيثه وبه قال مقاتل ومجاهد وقتادة وقال الاخفش اختصها للتقوى وقال الواحدي
تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فاخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه وهذا
الوجه انسب لان الكلام وارد في مدح اولئك السادة الكرام او في التعريض بمن ليس على وصفهم
ومن ثم قال في فاصلة الآية السابقة وانتم لا تشعرون وفي فاصلة الاحقة اكثرهم لا يعقلون
وقيل طهرها من كل قبيح وقيل وسعها وشرحها من محنت الاديم اذا وسعته وقال ابو عمرو كل
شيء جهدته فقد محنته واللام متعلقة بمحذوف اي صالحة للتقوى كقولك انت صالح لكذا
او للتعليل كقولك جئت لاداء الواجب اي ليكون مجيئي سببا لاداءه لهم مغفرة واجر
عظيم خبر اخر لاولئك او مستانفة لبيان ما اعد الله لهم في الاخرة وهو الظاهر ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات هم جفاة بني تميم كما سيأتي بيانه ووراء الحجرات خارجها وخلفها
او قدامها والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة وقيل جمع حجر والحجر جمع
حجرة فهو جمع الجمع والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة

قرأ الجمهور الحجرات بضم الجيم وقرئ بفتحها تخفيفا وقرئ باسكانها وهي لغات ومناداتهم من وراء الحجرات اما بأنهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة ومن في من وراء الابتداء الغاية ولا وجه للمنع من جعلها لهذا المعنى كثرهم لا يعقلون لغلبة الجهل عليهم وكثرة الجفاء في طباعهم والمراد بالاكثر الكل كان العرب قد تفعل هكذا عن الاقرع بن حابس انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخرج الينا فلم يجبه فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال ذاك الله فانزل الله ان الذين الخ اخرجه احمد وابن جرير والبغوي والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند صحيح قال ابن منيع لا اعلم روى الاقرع مسندا غير هذا وعن البراء بن عازب في الاية قال جاء رجل فقال يا محمد ان حمدي زين وان ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله اخرجه الترمذي وحسنه وعن زيد بن ارقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن اسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني وجعل يقول لقد صدق الله قولك يا زيد اخرجه ابن راشويه ومسدد وابو يعلى والطبراني وابن مردويه قال السيوطي باسناد حسن وفي الباب احاديث قال النسفي ورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التجهيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تامل متامل من اول هذه السورة الى اخرها هذه الاية لوجدها كذلك فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم ارداف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ثم اثنى على الغاضين اصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم واضخم من الصياح برسول الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغا انتهى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لو انتظروا خروجك واسعجلوا

بالمناداة لكان اصلح لهم في دينهم ودنياهم لما في ذلك من رعاية حسن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والتبجيل وقيل انهم جاؤا شفعاء في اساري ذا عتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لاعتق الجميع ذكر معناه مقاتل وقيل يفيد انه لم يخرج ولم يكن خروجه اليهم ولا احلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم والله غفور رحيم كثير المغفرة والرحمة بليغهما لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من اساءة الادب ان تابوا وانابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا قرأ الجمهور من التبين وقرئ فتثبتوا من التثبت والمراد من التبين التعرف والتفحص ومن التثبت الاناءة وعدم العجلة والتبصر في الامر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفساق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها من بياضها وصفرتها ومن مقلوبه ايضا قسقت الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر قال المفسرون ان هذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط كما سيأتي بيانه ان اي كراهة ان اولا تصيبوا بالقتل والاسر قوما بجهالة لان الخطأ من لم يتبين الامر ولم يتثبت فيه هو الغالب وهو جهالة لانه لم يصدر عن علم والمعنى متلبسين بجهالتهم فتصبحوا على ما فعلتم من اتهم بالخطأ نادمين على ذلك مغتمين له مهتمين به وفي الاية دليل على قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الى الاسلام فدخلت فيه واقررت به ودعاني الى الزكوة فاقررت بها وقلت يا رسول الله ارجع الى قومي فادعوهم الى الاسلام واداء الزكوة فمن استجاب لي جمعت زكوته وترسل الي يا رسول الله رسولا لان كذا وكذا اتيتك ما جمعت من الزكوة فلما جمع الحارث الزكوة ممن استجاب له وبلغ الاتان الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يات فظن الحارث ان قد حدث فيه سخط من الله ورسوله

فدعى سراة قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لي وقتا يرسل الي رسوله
ليقبض ما كان عندي من الزكوة وليس من رسول الله الخلف ولا ارى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن العقبة الى الحارث ليقبض
ما عنده مما جمع من الزكوة فلما ان سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الحارث منعني الزكوة واراد قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى الحارث
فاقبل الحارث باصحابه حتى اذا استقبل البعث فصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا
الحارث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكوة واردت قتله قال لا والذي بعث محمدا بالحق
ما رايته بتة ولا اتاني فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكوة واردت
قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق ما رايته ولا اتاني وما اقبلت الا حين احتبس علي رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت ان تكون كانت سخطة من الله ورسوله فنزلت يا ايها الذين امنوا
الى قوله حكيم اخرجه احمد وابن ابي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه قال السيوطي باسناد جيد
قال ابن كثير هذا من احسن ما روي في سبب نزول الاية وقد رويت روايات كثيرة متفقة
على انه سبب نزول الاية وانه المراد بها وان اختلفت القصة ثم وعظهم الله سبحانه فقال
واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تقولوا قولا باطلا ولا تتسرعوا عند وصول الخبر اليكم من غير تبين
فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رايه ثم قال مستانفا لو يطيعكم
في كثير من الامر اي مما تخبرونه به من الاخبار الباطلة وتشيرون به عليه من الاراء التي
ليست بصواب لعنتم اي لوقعتم في العنت وهو التعب والجهد والاثم والهلاك ولكنه لا يطيعكم
في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له ولا يسارع الى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه عن ابي
سعيد الخدري انه قرأ هذه الاية وقال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير
من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ولكن الله
حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاشياء اليكم او صيركم بالديكم فلا يقع منكم الا ما يوافقه
ويقتضيه من الامور الصالحة وترك التسرع في الاخبار وعدم التثبت فيها قيل والمراد

بهؤلاء من عد الاولين لبيان براءتهم عن اوصاف الاولين والظاهر انه تذكير للكل بما يقتضيه الايمان وتوجبه محبته التي جعلها الله في قلوبهم وزينه اي حسنه بتوفيقه وقربه منكم وادخله في قلوبكم حتى حريتم على ما يقتضيه من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اي جعل كل ما هو من جنس هذه الثلثة مكروها عندكم واصل الفسق الخروج عن الطاعة والعصيان جنس ما يعصى الله به وقيل اراد بذلك الكذب خاصة والاول اولى وفي هذه الآية لطيفة وهو ان الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الثلثة الاشياء في مقابلة الايمان الكامل وهو ما اجتمع فيه ثلثة امور اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان فذكر الكفر في مقابلة محبة الايمان وتزيينه في القلوب هو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان والعصيان في مقابلة العمل بالاركان اولئك الموصوفون بما ذكر هم الراشدون يعني اصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب من الرشادة وهي الصخرة وفيه التفات عن الخطاب فضلا من الله ونعمة اي لاجل فضله وانعامه والمعنى انه حبب اليكم ما حبب وكره اليكم ما كره لاجل فضله وانعامه او جعلكم راشدين لاجل ذلك وقيل التقدير يبتغون فضلا ونعمة والله عليم بكل معلوم حكيم في صنعه وفي كل ما يقضي به بين عباده ويقدره لهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا باعتبار كل فرد من افراد الطائفتين كقوله هذان خصمان اختصموا وقال النسفي حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في قوله فاصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فلما انطلق اليه قال اليك عني فوالله لقد اذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما اصحابه وكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي نحو هذا من وجوه اخر قال ابن عباس كان قتال بالنعال والعصي فامرهم ان يصلحوا بينهما وعن عايشة قالت ما رايت مثل ما عملت

عنه هذه الامة في هذه الآية وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج فان بغت
احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله البغي التعدي بغير حق والامتناع
من الصلح الموافق للصواب والاستطالة والظلم والفيء الرجوع وقد يسمى به الظل والغنيمة لان
الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين والمعنى انه اذا قاتلت
فريقان من المسلمين فعلى المسلمين ان يسعوا بالصلح بينهما ويدعوهما الى حكم الله فان حصل
بعد ذلك التعدي من احدى الطائفتين على الاخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه ولم تناثر
بالنصيحة وابت الاجابة الى حكم الله تعالى كان على المسلمين ان يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى
ترجع الى امر الله وحكمه وكتابه وقيل الى طاعته في الصلح الذي امر به وحتى للغاية ويقيء بمعنى
كي فتكون للتعليل والاول كما قال بعضهم هو الظاهر المناسب لسياق الآية عن ابن عباس في الآية
قال ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اذا اقتتلت طائفة من المؤمنين ان يدعوهما الى حكم الله
وينصف بعضهم عن بعض فاذا اجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم من الظالم فمن ابى منهم
ان يجيب فهو باغ وحق على الامام ان يقاتلهم حتى يفيئوا الى امر الله ويقروا بحكم الله وعن ابن عمر
قال ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية اني لم اقاتل هذه الفئة الباغية
كما امرني الله فالحاصل ان حكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب
ايديها تركت والمراد بامر الله الصلح وزوال الشحناء فان فاءت اي فان رجعت تلك الطائفة الباغية
عن بغيها الى الحق واجابت الدعوة الى كتاب الله وحكمه والرضا بما فيه فاصلحوا بينهما بالعدل اي
بالنصح والدعاء الى حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت اخر بعيني
فعلى المسلمين ان يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويحترزوا عن الصواب المطابق لحكم الله ويأخذوا على يد
الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للاخرى ثم امر الله سبحانه المسلمين
ان يعدلوا في كل امورهم بعد امرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين فقال واقسطوا
اي اعدلوا وهو امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين
والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه اقسط الرباعي وهمزته للسلب اي زال القسط وهو الجور
بخلاف قسط الثلاثي فمعناه الجور يقال قسط الرجل اذا جار واقسط اذا عدل وهذا هو المشهور

خلافا للزجاج في جعلها سواء ان الله يحب المقسطين اي العادلين ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم باحسن الجزاء وجملة انما المؤمنون اخوة مستانفة مقررة لما قبلها من الامر بالاصلاح والمعنى انهم راجعون الى اصل واحد وهو الايمان قال الزجاج الدين يجمعهم فهم اخوة اذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين الى اصل النسب لانهم لادم وحواء قال بعضهم ليس الاسلام لاب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم ولنعم ما قيل ليس القوم اخوال صدق بينهم سبب من المودة لم يعدل به نسب وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نسب مثل ذلك بين الاخوين ولا دالزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين احق بذلك فاصلحوا بين اخويكم يعني بين كل مسلمين تخاصما وتقاتلا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المامورين بالاصلاح للمبالغة في التقرير والتلذ للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح او تخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوقهما بطريق الاولى لانهما اقل من يقع بينهما الشقاق فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر لزوما لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين قرا الجمهور على التثنية قال ابو علي الفارسي في توجيهها اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية قد يرد ويراد به الكثرة وقال ابو عبيدة اي اصلحوا بين كل اخوين وقرئ اخوانكم بالجمع وقرئ اخوتكم بالفوقية على الجمع ايضا واتقوا الله في كل اموركم لعلكم ترحمون بسبب التقوى والترجي باعتبار المخاطبين اي راجين ان يرحموا ولعل من الله في هذا المقام اطماع من الكريم الرحيم اذ الاطماع فضل ما يطمع فيه لا محالة وفي هذه الاية دليل على قتال فئة الباغية اذا تقرر بغيها على الامام او على احد من المسلمين وعلى فساد قول من قال بعدم الجواز مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر فان المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ قال ابن جرير لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما قام حق ولا بطل باطل ولوجد اهل النفاق والفجور سببا الى استحلال كل ما حرم الله من اموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بان يحترزوا عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك خلاف لقوله صلى الله عليه وسلم حذرا على ايدكم سفهائكم

قال ابن العربي هذه الآية اصل في قتال المسلمين وعمدة في حرب المتاولين وعليها عول الصحابة
واليها لجأ الاعيان من اهل الملة واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمارا الفئة الباغية
وقوله صلى الله عليه وسلم في شأن الخوارج يخرجون على حين فرقة من الناس تقتلهم اولى الطائفتين
بالحق والآية تدل ايضا على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي وعن
علي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون قال لا انهم من الشرك فروا فقيل امنافقون هم
قال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وهو رضي
الله تعالى عنه قدوة في قتال اهل بغي وعنه انه سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال
كلمة حق اريد بها باطل يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم تنكير القوم للتبعيض
والمعنى على الافراد او اجراء النظم على الجمع لان السخرية تقع في المجامع قال الزمخشري انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به فهم الاغلب
ولوجوده فيما بينهم والسخرية الاستهزاء وحكى ابو زيد سخرت به وضحكت به وهزئت به وقال
الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت به ومنه وهزئت منه وبه كل ذلك يقال والاسم السخرية
والسخرى بالكسر والضم لغة فيه قرئ بهما في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ومعنى الآية النهي
للمؤمنين عن ان يستهزئ بعضهم ببعض عسى ان يكونوا خيرا منهم علل النهي بان يكون
المسخور بهم عند الله خيرا من الساخرين بهم فينبغي ان لا يجتري احد على الاستهزاء بمن تقتحم عينه
اذا رأته لحال او عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن
هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى قال ابن مسعود ان البلاء موكل بالقول
لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا ولما كان لفظ قوم مختصا بالرجال لانهم القوام على النساء
افرد النساء بالذكر فقال ولا نساء من نساء عسى ان يكن المسخور بهن خيرا منهن يعني من
الساخرات منهن وقيل افرد النساء بالذكر لان السخرية منهن اكثر عن مقاتل قال نزلت في قوم من بني
تميم استهزؤا من فقراء المسلمين كبلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى
ابي حذيفة وعن انس نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس نزلت في
صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودي ولا تلمزوا انفسكم اي
لا تطعنوا اهل دينكم واللمز العيب والطعن وقد مضى تحقيقه في سورة براءة عند قوله ومنهم من

يلمزك في الصدقات قال ابن جرير اللمز باليد والعين واللسان والاشارة والهمزة يكون الا باللسان والمعنى لا يلمز بعضكم بعضا كما في قوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير لا يطعن بعضكم على بعض وبه قال ابن عباس وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تدعوا الانسان بغير ما سمي به والتنابز التفاعل من النبز بالتسكين وهو المصدر والنبز بالتحريك اللقب مطلقا اي حسنا كان او قبيحا خص في العرف بالقبيح والجمع انباز والالقاب جمع لقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان والمراد هنا لقب السوء والتنابز بالالقاب ان يلقب بعضهم بعضا والتداعي بها قال الواحدي قال المفسرون هو ان يقول لاخيه المسلم يا فاسق يا منافق او يقول لمن اسلم يا يهودي يا نصراني قال عطاء هو كل شئ اخرجت به اخاك من الاسلام كقولك يا كلب يا حمار يا خنزير قال الحسن ومجاهد كان الرجل يعير بكفره فيقال له يا يهودي يا نصراني فنزلت وبه قال قتادة وابو العالية وعكرمة عن ابي جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فكان اذا دعى واحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يكرهه فنزلت ولا تنابزوا بالالقاب اخرجه البخاري في الادب واهل السنن الاربع وغيرهم وعن ابن عباس نحوه وعنه قال التنابز ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله ان يعير بما سلف من عمله وعن ابن مسعود في الاية قال اذا كان الرجل يهوديا فاسلم فيقول يا يهودي يا مجوسي ويقول للرجل المسلم يا فاسق قيل والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به فاما ما يحبه فلا باس به ومنه الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها نحو الاخفش والاعمش وما اشبه ذلك قال القرطبي انه يستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالاعرج والاحدب ولم يكن له سبب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الائمة واتفق اهل اللغة على قوله انتهى واما الالقاب التي تكسب حمدا او مدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله بئس الاسم الفسوق

اي بئس الاسم ان يذكر بالفسق والاسم هنا ليس المراد به ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به الذكر المرتفع لانه من السمو من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذي يخطره الايمان كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة قال ابن زيد اي لفسق ان يسمى الرجل كافرا او زانيا بعد اسلامه وتوبته وقيل المعنى ان من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق ومن لم يتب عما نهى الله عنه فاولئك هم الظالمون لارتكابهم ما نهى الله عنه وامتناعهم من التوبة وظلموا من تقبوه وظلموا انفسهم بما ارتكبوه من الاثم يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والظن هنا مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك وامر سبحانه باجتناب الكثير منها ليمحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لان من الظن ما يجب اتباعه فان اكثر الاحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس وخبر الواحد ودلالة العموم ولكن هذا الظن الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشك والتهمة قال الزجاج هو ان يظن باهل الخير سوءا فاما اهل السوء والفسوق فلنا ان نظن بهم مثل الذي ظهر منهم حرفا بحرف مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان هو ان يظن باخيه المسلم سوءا ولا باس به ما لم يتكلم به فان تكلم بذلك الظن فقد اباحه اثم وحكى القرطبي عن اكثر العلماء ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حد في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح وجملة ان بعض الظن اثم تعليل لما قبلها من الامر باجتناب كثير من الظن وهذا البعض هو ظن السوء باهل الخير والاثم هو ما يستحق الظان من العقوبة ومما يدل على تقييد هذا الظن المامور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا فلا يدخل في الظن المامور باجتنابه شيء من الظن المامور باتباعه من مسائل الدين فان الله قد تعبد عباده باتباعه واوجب العمل به جمهور اهل العلم ولم ينكر ذلك الا بعض طوائف المبتدعة كبعض القدرية وشذوذ من الخوارج وقد جاء التعبد بالظن في

كثير من الشريعة المطهرة بل في اكثرها قال ابو السعود من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالف قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية انتهى وقيل الظن انواع فمنه واجب ومامور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم قال ابن عباس في الاية نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوءا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث اخرجه الشيخان ثم لما امرهم سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال ولا تجسسوا التجسس البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معائب الناس ومثالبهم حتى يطلع عليها بعد ان ستره الله تعالى قرأ الجمهور بالجيم ومعناه ما ذكرنا وقرئ بالحاء قال الاخفش ليس ببعد احدهما عن الاخر لان التجسس بالجيم هو البحث عما ينكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها وقيل ان التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقيل انه بالحاء فيما يطلبه الانسان لنفسه وبالجيم ان يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف يقال تحسست الاخبار وتجسستها اي تفحصت عنها قال ابن عباس نهى الله المؤمنين عن تتبع عورات المؤمن وعن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل هذا فلان يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذه قال عجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن احيى موؤدة اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة رواه مسلم وفي كتاب ابي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات المسلمين افسدتهم او كدت ان تفسدهم فقال ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وقد وردت احاديث في النهي عن تتبع عورات المسلمين والتجسس عن عيوبهم ولا يغتب بعضكم

بعضا اي لايتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب يعني ان تذكر الرجل بما يكرهه كما في حديث ابي هريرة الثابت في الصحيح لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال ابن عباس حرم الله ان يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة والاحاديث في تحريم الغيبة كثيرة جدا معروفة في كتب الحديث قال الحسن الغيبة ثلثة اوجه كلها في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهي ان تقول في اخيك ما هو فيه واما الافك فهو ان تقول فيه ما بلغك عنه واما البهتان فهو ان تقول ما ليس فيه ولا خلاف ان الغيبة من الكبائر وان على من اغتاب احدا التوبة الى الله او الاستغفار لمن اغتابه او الاستحلال منه وللشوكاني رسالة في ذلك سماها رفع الريبة عن مسئلة الغيبة وهي نفيسة جدا اَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ اَنْ يَّاْكُلَ لَحْمَ اَخِيْهِ مَيْتًا مثل سبحانه الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه ذكر معناه الزجاج وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه وانه كما يحرم اكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتقبيح لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى فان لحم الانسان مما تنفر عنه الطباع الانسانية وتستكرهه الجبلة البشرية فضلا عن كونه محرما شرعا وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل احدهما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم للتعميم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا فهذا تمثيل على افحش وجه فكرهتموه اي فاغتيابه في حياته كاكل لحمه بعد مماته فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية وفي هذا التمثيل والتشبيه اشارة الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض كما يتالم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك اشد المآقا الى الفراء تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا والمعنى فلما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء

والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غالبا قال الرازي الفاء في تقدير جواب كلام كانه قال لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اذن وقال ابو البقاء هو معطوف على محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه ولا شك انكم انكرتم كراهته وبه قال البيضاوي وقيل ان صح ذلك عندكم فانتم تكرهونه وقيل هو خبر بمعنى الامر واتقوا الله بترك ما امركم باجتنابه إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الامر والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه العبد الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه لما بولغ في قبول التوبة تنزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى هما آدم وحوى والمقصود انهم متساوون لاتصالهم بنسب واحد وكونهم يجمعهم اب واحد وام واحدة وانه لا موضع للتفاخر بينهم بالانساب وقيل المعنى ان كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء عن ابن ابي مليكة قال لما كان يوم الفتح رقى بلال فاذن على الكعبة فقال بعض الناس اهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة وقال بعضهم ان سخط الله هذا يغيره فنزلت هذه الآية اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلائل وعن الزهري قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة ان يزوجوا ابا هند امرأة منهم فقالوا يا رسول الله انزوج بناتنا موالينا فنزلت هذه الآية اخرجه ابو داود في مراسيله وابن مردويه والبيهقي في سننه قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وعن عمر بن الخطاب ان هذه الآية هي مكية وهي للعرب خاصة الموالي اي قبيلة لهم واي شعاب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة والقبائل دونها كبني بكر من ربيعة وبني تميم من مضر قال الواحدي هذا قول جماعة من المفسرين سموا شعبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب اغصان الشجرة والشعب من اسماء الاضداد يقال شعبته اذا جمعته وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل قال الجوهري الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم والجمع الشعوب وقال مجاهد الشعوب البعيد من النسب والقبائل دون ذلك وقال قتادة الشعوب النسب الاقرب وقيل اعلى طبقات النسب وقيل ان الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل من ربيعة ومضر وسائر عدنان وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل

بطون العرب وحكى ابو عبيد ان الشعب اكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ
ثم الفصيلة ثم العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل و
البطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة و
قصي بطن وعبد مناف فخذ وبنو هاشم فصيلة والعباس عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف
وعما يؤيد ما قاله الجمهور من ان الشعب اكثر من القبيلة قول الشاعر ع قبائل من شعوب
ليس فيهم * كريم قد يعد ولا نجيب * قال ابن عباس الشعوب القبائل العظام والقبائل البطون
وعنه قال الشعوب الجماع والقبائل الافخاذ التي يتعارفون بها وعنه قال القبائل الافخاذ والشعوب
الجمهور مثل مضر لِتَعَارَفُوا اي خلقناكم كذلك لتعرف بعضكم بعضا والفائدة في التعارف
ان ينتسب كل واحد منهم الى نسبه ولا يعتزي الى غيره ويصل رحمه والمقصود من هذا ان الله
سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ودعوى ان هذا الشعب افضل من هذا الشعب
وهذه القبيلة اكرم من هذه القبيلة وهذا البطن اشرف من هذا البطن وانما الفخر بالتقوى قرأ
الجمهور لتعارفوا بتخفيف التاء واصله لتتعارفوا وقرئ بتشديدها على الادغام وقرئ بتاءين ثم علل
سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰىكُمْ اي ان التفاضل
بينكم انما هو بالتقوى فمن تلبس بها فهو المستحق لان يكون اكرم ممن لم يتلبس بها واشرف وافضل فدعوا
ما انتم فيه من التفاخر بالانساب فان ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلا قرأ الجمهور
بكسر ان وقرئ بفتحها اي لان اكرمكم عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم
قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي
الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم
قال خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا اخرجه البخاري وغيره وقال عمر بن
الخطاب انقاكم للشرك وقد وردت احاديث في الصحيح وغيره ان التقوى هي التي تتفاضل بها
العباد اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بكل معلوم ومن ذلك اعمالكم خَبِيْرٌ بما تسرون وما تعلنون لا تخفى عليه من
ذلك خافية ولما ذكر سبحانه ان اكرم الناس عند الله اتقاهم له وكان اصل التقوى الايمان
ذكر ما كانت تقوله العرب من دعوى الايمان ليثبت لهم الشرف والفضل فقال قَالَتِ الْاَعْرَابُ

اصنافا وهم بنو اسد قاله مجاهد وقيل هم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار والاول اولى وهم الذين اظهروا الاسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة فامر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه ان يرد عليهم فقال قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا اي لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب مخلوص من شك طمانينة وَلٰكِنْ قُولُوٓا اَسْلَمْنَا اي استسلمنا خوف القتل والسبي او للطمع في الصدقة وهذا صفة المنافقين لانهم اسلموا في ظاهر الامر ولم تؤمن قلوبهم وهذا قال سبحانه وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ اي لم يكن ما اظهرتموه بالسنتكم عن مواطاة قلوبكم بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة وفي لما معنى التوقع وهذا تكرار لكنه مستقل بفائدة زائدة لانه علم من الاول نفي الايمان عنهم ومن الثاني نفيه مع توقع حصوله قال الزجاج الاسلام اظهار الخضوع وقبول ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقن الدم فان كان مع ذلك الاظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الايمان وصاحبه المؤمن وقد اخرج هؤلاء من الايمان بقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم اي لم تصدقوا وانما اسلمتم تعوذا من القتل وهذه الاية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان وَاِنْ تُطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ طاعة صحيحة صادرة عن نيات خالصة وقلوب مصدقة غير منافقة لَا يَلِتْكُمْ اي لا ينقصكم مِنْ اَعْمَالِكُمْ شَيْـًٔا يقال لاته يليته اذا نقص ولاله يليته وياله اذا انقصه وقرأ الجمهور يلتكم من لاته يليته كباعه يبيعه وقرئ لا يالتكم بالهمز من الته يالته بالفتح في الماضي والكسر في المضارع واختار الثانية ابو حاتم لقوله وما التناهم من عملهم من شيء وهما لغتان فصيحتان اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ اي بليغ المغفرة لمن فرط منه ذنب رَحِيمٌ بليغ الرحمة لهم ثم لما ذكر سبحانه ان اولئك الذين قالوا امنا لم يؤمنوا ولا دخل الايمان في قلوبهم بين المؤمنين المستحقين لاطلاق اسم الايمان عليهم فقال اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهٖ ايمانا صحيحا خالصا عن مواطاة القلب واللسان ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا اي لم يدخل في قلوبهم شيء من الريب ولا خالطهم شك من الشكوك اتى بثم للتراخي للاشارة الى ان نفي الريب عنهم ليس في وقت حصول الايمان فيهم وانشائه فقط بل هو مستمر بعد ذلك فيما يتطاول من الازمنة فكانه قال ثم داموا على ذلك وَجٰهَدُوا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اي في طاعته وابتغاء مرضاته فيدخل في الجهاد

الاعمال الصالحة التي امر الله بها فانها من جملة ما يجاهد المرء نفسه حتى يقوم به ويؤديه كما امر الله سبحانه والطاعات كلها في سبيل الله وجهته والمجاهدة بالاموال عبارة عن العبادات المالية كالزكوة وقدم الاموال لحرص الانسان عليها فان ماله شقيق روحه وجاهد وابعضهم بذلا لجهد او مفعوله مقدر اي العدو او النفس والهوى اولئك اي الجامعون بين الامور المذكورة هم الصادقون في الاتصاف بصفة الايمان والدخول في عداد اهله لا من عداهم ممن اظهر الاسلام بلسانه وادعى انه مؤمن ولم يطمئن بالايمان قلبه ولا وصل اليه معناه ولا عمل باعمال اهله وهم الاعراب الذين تقدم ذكرهم وسائر اهل النفاق ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول الاولئك الاعراب ومثالهم قولا اثر ما ادعوا انهم مؤمنون فقال قُلْ اَتُعَلِّمُوْنَ اللّٰهَ التعليم ههنا بمعنى الاعلام ولهذا ادخلت الباء في بِدِيْنِكُمْ اي اتخبرونه بذلك حيث قلتم امنا وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ فكيف يخفى عليه بطلان ما تدعونه من الايمان وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ لا تخفى عليه من ذلك خافية وقد علم ما تبطنونه من الكفر وتظهرونه من الاسلام لحق الضرر او رجاء النفع ثم اخبر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بما يقولونه لهم عند امن عليه بما يدعونه من الاسلام فقال يَمُنُّوْنَ عَلَيْكَ اَنْ اَسْلَمُوْا اي يعدون اسلامهم منة عليك حيث قالوا اسلمنا لك بالانقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان قاله عبد الله بن ابي اوفى اخرجه ابن مردويه وغيره قال السيوطي باسناد حسن وعن ابن عباس نحوه وذكر انهم بنو اسد كما تقدم والمن تعداد النعم على المنعم عليه وهو مذموم من الخلق ممدوح من الله تعالى قُلْ لَّا تَمُنُّوْا عَلَيَّ اِسْلَامَكُمْ اي لا تعدوه منة علي فان الاسلام هو المنة التي لا يطلب مولاها ثوابا لمن انعم بها عليه ولهذا قال بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ اَنْ هَدٰىكُمْ لِلْاِيْمَانِ اي ارشدكم اليه واراكم طريقه سواء وصلتم الى المطلوب ام لم تصلوا اليه قرأ الجمهور بفتح ان وقرئ بكسرها اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ فيما تدعونه والجواب محذوف يدل عليه ما قبلها اي ان كنتم صادقين فلله المنة عليكم اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اي ما غاب فيهما لا يخفى عليه شيء فيهما فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ لا يخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا وفي هذا بيان لكونهم غير صادقين قرأ الجمهور على الخطاب وقرئ على الغيبة

سورة ق وهي خمس وأربعون آية وهي مكية كلها

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة انها مكية الا آية وهي قوله ولقد خلقنا السموت والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب وهي اول المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات وقد اخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر في الركعة الاولى ق والقرآن المجيد وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد بقاف واقتربت اخرجه احمد ومسلم واهل السنن وعن ام هشام ابنة حارثة قالت ما اخذت ق والقرآن المجيد الا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس اخرجه ابن ابي شيبة وابو داود وابن ماجة والبيهقي وهو في صحيح مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ق + الكلام في اعراب هذا كالكلام الذي قدمناه في ص سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد قرأ العامة بالجزم وقرئ بكسر الفاء لان الكسر اخو الجزم وقرئ بفتحها لان الفتح اخف الحركات وقرئ بضمها لانه في غالب الامر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى ق فقال الواحدي قال المفسرون هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد وقيل من زمرد خضر واخضرت السماء منه والسماء مقببة عليه وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة قال الفراء كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في ق لانه اسم وليس بهجاء قال ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كقول القائل قلت لها قفي فقالت قاف اي انا واقفة وحكى الفراء والزجاج ان قوما قالوا معنى ق قضي الامر وقضيه ما هو كائن كما قيل في حم حم الامر وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى اقسم به قاله ابن عباس وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن وقال الشعبي فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا وانهينا ولا تعدهما وقال الانطاكي هو قرب الله من عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال القرطبي افتتاح اسم الله عز وجل قادر وقاهر وقريب وقابض وقاض وقيل غير ذلك مما هو اضعف منه وابطل والحق انه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه كما حققناه لك في فاتحة سورة البقرة

فالله اعلم بمراده به وقد روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس انه طويل اني بيان جبل قاف قال ابن كثير لا يصح سنده عنه وفيه ايضا انقطاع والقرآن المجيد اي انه ذو مجد وشرف على سائر الكتب المنزلة وقال الحسن الكريم وبه قال ابن عباس وقيل الرفيع القدر وقيل الكبير القدر وعن ابن عباس قال ليس شيء احسن منه ولا افضل وجواب القسم قال الكوفيون هو قوله بل عجبوا وقال الاخفش محذوف اي لتبعثن يدل عليه انئا متنا وكنا ترابا وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول لان ما قبلها عوض منها وقيل هو قد علمنا بتقدير اللام اي لقد علمنا وقيل محذوف تقديره انزلناه اليك لتنذر كانه قيل ق والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس بل عجبوا بل للاضراب عن الجواب على اختلاف الاقوال لبيان حالهم الزائدة في الشناعة على عدم الايمان والمعنى بل عجب الكفار ان اي لان جاءهم منذر منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيه مجرد الشك والريب بل جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عن وصف القرآن بكونه مجيدا وقد تقدم تفسير هذا في سورة ص ثم فسر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب وفيه زيادة تصريح وايضاح واضمارهم لظهوره لاشعار بتعنتهم في هذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بهذا القال قال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل تعجبهم من البعث والنشور والذي نص عليه القرآن اولى فيكون لفظ هذا اشارة الى مبهم مفسر بما بعده من قوله ءإذا متنا وكنا ترابا وقال الشوكاني الاول اولى قال الرازي الظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجيء المنذر ثم قالوا اذا متنا وايضا قد وجد ههنا بعد الاستبعاد بالاستفهام امر يؤدي معنى التعجب وهو قولهم ءإذا متنا رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب بقولهم هذا شيء عجيب عائدا الى قولهم ءإذا متنا كان كالتكرار فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شيء عجيب انه يعود الى مجيء المنذر فان تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شيء عجيب يكون تكرارا فنقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانهم اذا قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله التعجبين من امر الله ويقال في العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجيب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا هذا شيء عجيب فكيف لا تعجب منه ويدل على ذلك قوله ههنا فقال الكافرون بالفاء فانها تدل على انه مترتب على ما تقدم قرأ الجمهور بالاستفهام وقرئ بهمزة واحدة فيحتمل الاستفهام كقراءة الجمهور

والهمزة مفردة ويحتمل ان يكون معناه الاخبار والمعنى لاستنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم ترابا ثم جزموا باستبعادهم للبعث فقالوا ذلك اي البعث رجع بعيد اي بعيد عن الافهام او العقول او العادة او الامكان يقال رجعته ارجعه رجعا ورجع هو يرجع رجوعا ثم رد الله سبحانه ما قالوه فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل من اجسادهم فلا يضل عندا شيء من ذلك ومن احاط علمه بكل شيء حتى انتهى الى علم ما يذهب من اجساد الموتى في القبور لا يصعب عليه البعث ولا يستبعد منه وقال السدي النقص هنا الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص من الاموات وقيل المعنى من يدخل في الاسلام من المشركين والاول اولى قال ابن عباس في الاية اجسادهم وما يذهب منها وما تاكل من لحومهم وعظامهم واشعارهم وعندنا كتاب حفيظ اي حافظ لعددهم واسمائهم ولكل شيء من الاشياء وهو اللوح المحفوظ وقيل المراد بالكتاب هنا العلم والاحصاء والاول اولى وقيل حفيظ بمعنى محفوظ اي محفوظ من الشياطين او محفوظ فيه كل شيء ثم اضرب سبحانه من الكلام الاول وانتقل الى ما هو اشنع منه واقبح فقال بل كذبوا بالحق فانه تصريح بالتكذيب منهم بعد ما تقدم عنهم من الاستبعاد والمراد بالحق هنا القران قال الماوردي في قول الجميع وقيل هو الاسلام وقيل محمد وقيل النبوة الثابتة بالمعجزات لما جاءهم اي وقت مجيئه اليهم من غير تدبر ولا تفكر ولا امعان نظر فهم في امر مريج اي مختلط ومضطرب يقولون تارة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قاله الزجاج وغيره وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس وقيل فاسد والمعاني متقاربة ثم رسم قولهم مرجت اماناة الناس اي فسدت ومرج الدين والامر اختلط وقال ابن عباس المريج الشيء المتغير أفلم ينظروا شروع في بيان الدليل الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعيد والاستفهام للتقريع والتوبيخ اي كيف غفلوا عن النظر الى السماء كائنة فوقهم يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي اوجدناها وجعلناها على هذه الصفة مرفوعة كالخيمة الا انها بغير عماد تعتمد عليه وزيناها بما جعلنا فيها من المصابيح والمنيرات والكواكب وما لها من فروج اي فتوق وشقوق وصدوع تعيبها وهو جمع فرج قال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق ولا صناع ولا خلل والواو للحال والارض مددناها اي مددناها وبسطناها على وجه الماء والقينا

فِيهَا رَوَاسِيَ اي جبالا ثوابت تثبتها وقد تقدم تفسير هذا في سورة الرعد وَأَنبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ اي من كل صنف حسن كريم يسر به وقد تقدم تفسير هذا ايضا في سورة الحج تَبْصِرَةً
وَذِكْرَىٰ مما علتان لما تقدم اي فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير قاله الزجاج وقال المحلي
تبصيرا منا اي تعليما وتفهيما واستدلالا وقيل منصوبان بفعل مقدر من لفظهما اي بصرناهم
تبصرة وذكرناهم تذكرة وقيل حالان اي مبصرين ومذكرين وقيل حال من المفعول اي فعلت
تبصرة وتذكيرا لمن يراها وقال ابو حاتم اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى قال الرازي يحتمل ان
يكون المصدران عائدين الى السماء والارض اي خلقنا السماء تبصرة وخلقنا الارض تذكرة
ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة في كل عام فهي كالشيء المرئي على ممر الزمان واما
الارض فهي كل سنة تأخذ زينتها وزخرفتها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان
يكون كل واحد من المصدرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض
كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو ان فيهما آيات مستمرة منصوبة في مقابلة
البصائر وآيات متجددة مذكرة عند الناسي لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ المنيب الراجع الى الله بالتوبة
المتدبر في بديع صنعه وعجائب مخلوقاته وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث و
ايقاظ لهم عن سنة الغفلة وبيان لامكان ذلك وعدم امتناعه فان القادر على هذه الامور
يقدر عليه وهلذا قوله وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ اي السحاب مَاءً مُّبَارَكًا اي كثير البركة لانتفاع
الناس به في غالب امورهم فَأَنبَتْنَا بِهِ اي بذلك الماء جَنَّاتٍ اي بساتين كثيرة وَحَبَّ
الْحَصِيدِ اي ما يقتات ويحصد من الحبوب والمعنى وحب الزرع الحصيد وخص الحب لانه
المقصود كذا قال البصريون وقال الكوفيون هو من باب اضافة الشيء الى نفسه كمسجد الجامع
حكاه الفراء وانها جائزة اذا اختلف اللفظان كحق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة قال الكرخي
قال الضحاك وحب الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد يدخر ويقتات وَالنَّخْلَ
تخصيصها بالذكر مع دخولها في الجنات للدلالة على فضلها على سائر الاشجار ولفرط ارتفاعها
وكثرة منافعها ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم المسلم بها بَاسِقَاتٍ حال مقدرة لانها وقت الانبات
لم تكن باسقة قال مجاهد وعكرمة وقتادة الباسقات الطوال وقال سعيد بن جبير مستويات

وقالا بالحسن وعكرمة والفراء مواقير نخوامل يقال للشاة بسقت اذا ولدت والاشهر في لغة العرب
الاول يقال بسقت النخلة تبسق بسوقا اذا طالت وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها
اللبأ قبل النتاج وبسق الرجل مهر في علمه وبسق فلان على اصحابه من باب دخل اي طال عليهم في
الفضل عن قطبة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح ق فلما اتى على هذه الآية والنخل
باسقات فجعلت اقول ما ابسقها قال طولها اخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه وقال ابن عباس
الطول لها طلع نضيد الطلع هو اول ما يخرج من ثمر النخل يقال طلع الطلع طلوعا والنضيد المتراكب
الذي نضد بعضه على بعض وذلك قبل ان ينفتح فهو نضيد في اكمامه فاذا خرج من اكمامه فليس
بنضيد قال ابن عباس متراكم بعضه على بعض رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا وانبتنا هذه
الاشياء للرزق لم يقيد هنا العباد بالانابة كما قيد به في قوله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لان
التذكرة لا تكون الا لمنيب والرزق يعم كل احد غير ان المنيب ياكل ذاكرا واشاكر الانعام وغيره
ياكل كما تاكل الانعام فلم يخصص الرزق بقيد قاله الخطيب واحيينا به اي بذلك الماء بلدة
ميتا قرئ بالتخفيف والتثقيل اي مجدبة لا ثمار فيها ولا زرع والتذكير باعتبار كون البلدة
بلدا او مكانا كما في عبارة ابي السعود كذلك الخروج مستانفة لبيان ان الخروج من القبور
عند البعث كمثل هذا الاحياء الذي احيى الله به الارض الميتة وقدم فيها الخبر للقصد الى
الحصر ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة فقال كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس هم قوم شعيب
وقيل حنظلة بن صفوان او نبي اخر ارسل بعد صالح لبقية من ثمود وتقدم لهذا مزيد كلام
في سورة الفرقان وقيل هم الذين جاء هم من اقصا المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى وقيل
هم اصحاب الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه او بير كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون
الاصنام فخسفت تلك البير مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم في سورة الفرقان
او فعل وهو حفر البير يقال رسّ اذا حفر بيرا وتانيث الفعل لمعنى قوم والجملة استيناف ورد لتقرير
حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليها وتعذيب منكريها وثمود وعاد وفرعون وقومه
ذكرت ثمود بعد اصحاب الرس لان الرجفة التي اخذتهم مبدؤها الخسف باصحاب الرس ثم اتبع ثمود
بعاد لان الريح التي اهلكتهم اثر صيحة ثمود واخوان لوط جعلهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره

وقيل هم من قوم ابراهيم وكانوا من معارف لوط وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ تقدم الكلام على الايكة في سورة الشعراء وقرئ هنا ليكة وهي الغيضة اي الشجر الملتف بعضه على بعض وبينهم الذي بعث الله اليهم شعيب عليه السلام وَقَوْمُ تُبَّعٍ هو تبع الحميري الذي تقدم ذكره في قوله اهم خير ام قوم تبع واسمه سعد وقيل اسعد وكنيته ابو كرب قال قتادة دم الله سبحانه قوم تبع ولم يذمه كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من هؤلاء المذكورين كذب رسوله الذي ارسله الله اليه وكذب ما جاء به من الشرع وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوين المبنيات على الضم كالعامة كقبل وبعد واللام في الرسل يكون للعهد او الجنس اي كل طائفة من هذه الطوائف كذبت جميع الرسل ولو بالواسطة وذلك لان قوم تبع كذبوا الرسول الذي دعاهم تبع الى شريعته بواسطة تكذيبهم لاتباع وافراد الضمير في كذب باعتبار لفظ كل وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل له لا تحزن ولا تكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك فهذا شان من تقدمك من الانبياء فان قومهم كذبوهم ولم يصدقهم الا القليل منهم والمراد بالكلية هنا التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء ففي باعتبار الاغلب فَحَقَّ وَعِيدِ حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها اي وجب عليهم وعيدي وحقت عليهم كلمة العذاب وحل بهم ما قدره الله عليهم من الخسف والمسخ والاهلاك بالانواع التي انزلها الله بهم من عذابه أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والجملة مستانفة لتقرير امر البعث الذي انكرته الامم اي افعجزنا بالخلق حين خلقناهم اولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز عن بعثهم يقال عييت بالامر اذا عجزت عنه ولم اعرف وجهه قال ابن عباس يقول لم نعي بالخلق الاول قال الكاذروني معناه لم نعجز عن الابداء فلا نعجز عن الاعادة قرأ الجمهور بكسر الياء الاولى بعدها ياء ساكنة وقرئ بتشديد الياء من غير اشباع ثم ذكر سبحانه انهم في شك من البعث فقال بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ اي في شك وشبهة وحيرة واختلاط من خلق مستانف وهو بعث الاموات لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ومعنى الاضراب انهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد قد لبس عليهم الشيطان وجبرهم وذلك تسويله لهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ هذا كلام مبتدء يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية والمراد بالانسان الجنس وقيل آدم ونعلم حال بتقدير نحن والجملة اسمية ولا يصح ان يكون ونعلم حالا بنفسه لانه مضارع مثبت باشرته الواو وما مصدرية او موصولة كما في البيضاوي والباء زائدة كقولك صوّت بكذا وهمس به او للتعدية اي فالنفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة والوسوسة هي في الاصل الصوت الخفي والمراد بها هنا ما يختلج في سره وقلبه وضميره اي حديث النفس وهو ما ليس فيه صوت بالكلية لكن مناسبته للمعنى الاصلي الخفاء في كل اي يعلم ما يخفى ويكنّ في نفسه ومن استعمال الوسوسة في الصوت الخفي قول الاعشى ع يسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت * فاستعمل لما خفي من حديث النفس ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ اي الى الانسان لان ابعاضه واجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن الله شيء مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ هو حبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان اي عرقان عن يمين وشمال وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب وهو تمثيل للقرب بقرب ذلك العرق من الانسان اي نحن اقرب اليه بالعلم من حبل وريده لا يخفى علينا شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان اي بعلمه فانه سبحانه منزه عن الامكنة وحاصله انه تجوز بقرب الذات عن قرب العلم قاله الكرخي والاضافة بيانية اي حبل من الوريد وقيل الحبل هو نفس الوريد فهو من باب مسجد الجامع سمي وريدا لان الروح ترد اليه وهو في العنق الوريد وفي القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنساء وفي الخنصر الاسيلم وفي الخادن الوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلق والعلباوين وقال الزمخشري انهما وريدان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الراس اليه قال ابو السعود وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وقيل المعنى نحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه وقد اخرج ابن مردويه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل الله من ابن آدم اربع منازل هو اقرب اليه من حبل الوريد وهو يحول بين المرء وقلبه هو آخذ بناصية كل دابة وهو معهما اينما كانوا وقال ابن سعيد في حبل الوريد هو عرق العنق وعنه هو نياط القلب قال القشيري في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وانس وسكون قلب لقوم وذكر الخطيب

ثم ذكر سبحانه انه مع علمه به وكل به ملكين يكتبان ويحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال اذ اي اذكر اذ يتلقى المتلقيان يعني انه اقرب اليه من حبل وريد حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به وما يلفظ به وما يعمل به اي ياخذان ذلك ويثبتانه والتلقي الاخذ وقيل التلقي التلقن الحفظ او الكتابة والمعنى نحن اعلم بها حواله غير محتاجين الى الحفظة الموكلين به وانما جعلنا ذلك الزاما للحجة وتوكيدا للامر عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسن وقتادة الملكان ملكان يتلقيان عملك احدهما عن يمينك ويكتب حسناتك والاخر عن شمالك يكتب سيئاتك وقال مجاهد ايضا وكل امر بالانسان ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره روي انهما قاعدان على ثنيتيه لسانه قلمهما وريقه مداده هما ذكره ابو السعود وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كذا قال سيبويه وقال الاخفش والفراء ان لفظ قعيد يصلح للواحد والاثنين والجمع ولا يحتاج الى تقدير في الاول قال الجوهري وغيره من ائمة اللغة والنحو فعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي ما يتكلم من كلام فيلفظه ويرميه من فيه الا لدي ذلك اللافظ ملك يرقب قوله ويكتبه والرقيب الحافظ للتتبع لامور الانسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر فكاتب الخير هو ملك اليمين وكاتب الشر ملك الشمال والعتيد الحاضر المهيأ قال الجوهري العتيد المهيأ يقال عتد تعتيدا واعتد اعتدادا اي اعد منه واعتدت لهن متكأ والمراد هنا انه معد للكتابة مهيأ لها والافراد في رقيب عتيد مع اطلاعهما معا على ما صدر منه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه الا ما فوض لصاحبه كما ينبئ عنه قوله عتيد وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص فعلم ان كلا منهما يقال له رقيب عتيد ويعلم من هذه الاية ان الملكين معدان لذلك بخلاف الاولى فانه لا يعلم منها ذلك وايضا يعلم من هذه صريحا ان الملك يضبط كل لفظ ولا يعلم ذلك من الاولى قال ابو سعيد في الاية يكتب كل ما تكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله اكلت شربت ذهبت جئت رايت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان من خير او شر والقى سائره فذلك قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وقال ابن عباس انما يكتب الخير والشر

لا يكتب يا غلام اسرج الفرس يا غلام اسقني الماء وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله غفر لهذه الامة ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم وعن عمرو بن دينار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله عبد وليتنظر ما يقول اخرجه احمد وابو نعيم والبيهقي في الشعب وابن ابي شيبة واخرج الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعا مثله وجاءت سَكْرَةُ الْمَوْتِ لما بين سبحانه ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة ذكر بعده ما ينزل بهم من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققهما وغاية اقترابهما والمراد بسكرة الموت شدته وغمرته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله ومعنى بِالْحَقِّ انه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الاخبار بالبعث والوعد والوعيد وقيل الحق هو الموت نفسه وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي وجاءت سكرة الحق بالموت وكذا قرأ ابو بكر الصديق وابن مسعود والسكرة هي الحق فاضيفت الى نفسها لاختلاف اللفظين وقيل الباء للملابسة كالتي في قوله تنبت بالدهن اي متلبسة بالحق اي بالحقيقة الحال وقيل بالحق من امر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة قاله الجلال المحلي وقال القاري لم يظهر لي معنى هذه العبارة ويمكن ان يقال الضمير في قوله هو راجع لامر الآخرة والمراد بالشدة الامر الشديد وهو اهوال الآخرة فعلى هذا تكون هذه الجملة تفسيرا لقوله من امر الآخرة وقيل الحكمة وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذٰلِكَ اي الموت مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ اي انك كنت تميل عنه وتفر منه في حياتك فلم ينفعك الهرب والفرار يقال حاد عن الشيء يحيد حيدا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل وقال الحسن تحيد تهرب وقيل تفزع وقيل تكره وقيل تنفر وَنُفِخَ فِي الصُّورِ عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وهذه هي النفخة الآخرة للبعث عطف على جاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وهو من العظمة بحيث لا يعلم قدره الا الله وقد التقمه اسرافيل من حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم منتظر الاذن بالنفخ ذكره الخطيب ذٰلِكَ اي الوقت الذي يكون فيه النفخ في الصور والفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان ايضا يَوْمُ الْوَعِيدِ الذي اوعد به الكفار قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب في الآخرة وخصص الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعيد جميعا لتهويله وللمعنى يوم تحقق الوعيد وايجاده وجاءت

فيه كل نفس من النفوس معها سائق وشهيد اي من يسوقها ومن يشهد عليها واختلف السائق والشهيد فقال الضحاك السائق من الملائكة والشهيد من انفسهم يعني الايدي والارجل وقال الحسن وقتادة سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها اي هما ملكان وقيل ملك جامع بين الوصفين وقال ابن مسلم السائق قرينها من الشياطين سمي سائقا لانه يتبعها وان لم يسقها والشهيد جوارحه واعماله وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات قال عثمان بن عفان سائق ملك يسوقها الى امر الله وشهيد ملك يشهد عليها بما عملت قال القرطبي قلت هذا اصح وعن ابي هريرة قال السائق الملك والشهيد العمل وقال ابن عباس السائق الملك والشهيد شاهد عليه من نفسه ثم في الآية قولان احدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور والثاني انها خاصة بالكافر قاله الضحاك ويقال الكافر لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا وبه قال ابن عباس وقال الضحاك المراد بهذا المشركون لانهم كانوا في غفلة من عواقب امورهم وقال ابن زيد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة وقال اكثر المفسرين المراد به جميع الخلق برهم وفاجرهم واختار هذا ابن جرير لانه ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة قرأ الجمهور بفتح التاء من كنت وفتح الكاف في غطاءك ويصر حملا على ما في لفظ كل من التذكير وقرئ بالكسر في الجميع على ان المراد النفس فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ الذي كان في الدنيا يعني رفعنا الحجاب الذي كان بينك وبين امور الآخرة ورفعنا ما كنت فيه من الغفلة عن ذلك وقال ابن عباس الحياة بعد الموت قال البيضاوي الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها قال السدي المراد بالغطاء انه كان في بطن امه فولد وقيل انه كان في القبر فنشر والاول اولى فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ اي نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك في الدنيا وتدارك به ما انكرته فيها والبصر قيل هو بصر القلب وقيل بصر العين وقال مجاهد بصرك اي لسانك يعني قولك حين توزن حسناتك وسيئاتك وبه قال الضحاك وَقَالَ قَرِينُهُ اي قال الملك الموكل به وهو الرقيب السابق ذكره وان للانسان رقيبين وهما العتيدان فافراده لتاويله كما مر في الرقيب وفي الشهاب ونحوه ان المراد بالقرين الجنس ولو جعلت الخطابات السابقة للكافر لكان وجه افراد القرين ظاهرا

هذا ما لدي اي عندي من كتاب عملك وما موصولة او نكرة موصوفة عتيد حاضر قد هيأته كذا قال الحسن وقتادة والضحاك وقال ابن عباس قرينه شيطانه وقال مجاهد ان الملك يقول للرب سبحانه هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد احضرته واحضرت ديوان عمله وروي عنه انه قال ان قرينه من الشيطان يقول ذلك اي هذا ما قد هيأته لك باغوائي واضلالي وقال ابن زيد ان المراد هنا قرينه من الانس وعتيد مرفوع على انه صفة لما ان كانت موصوفة وان كانت موصولة فهو خبر القيا في جهنم هذا خطاب من الله عز وجل للسائق والشهيد قال الزجاج هذا امر للملكين الموكلين به وقيل هو خطاب للملكين من خزنة النار وقيل هو خطاب لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الصحيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين يقولون ارحلا ها وازجرا ها وخذا ها واطلقا ه للواحد قال الفراء العرب تقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته في سفره اثنان فجرى كلام الرجل للواحد على ذلك ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي قال المازني في قوله القيا يدل على ان الق قال المبرد هي تثنية على التوكيد فنائب القيا منائب الق الق واو الالف ليست للتثنية لاحقيقة ولا صورة بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة على حد قوله ﴿لنسفعا﴾ وابدلها بعد فتح الفا وقفا كما تقول في قفن قفا وجرى الوصل مجرى الوقف كنسفعا بالياء يزيد قراءة الحسن في الشواذ القين بنون التوكيد الخفيفة ولم يقرأ بهذه القراءة احد من السبعة وقال الكرخي الخطاب الملكين السائق والشهيد على ما عليه اكثر المفسرين هو الظاهر كل كفار للنعم عنيد مجانب للايمان معاند لاهله قال مجاهد وعكرمة العنيد المعاند للحق وقيل المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه مناع للخير لا يبذل خيرا ولا يؤدي زكوة مفروضة او كل حق وجب عليه في ماله معتد ظالم لا يقر بتوحيد الله مريب شاك في الحق من قولهم راب الرجل اذا صار ذا ريب والذي جعل مع الله الها آخر بدل من كل او منصوب على الذم او بدل من كفار او مرفوع بالابتداء والخبر فالقياه في العذاب الشديد اي النار تاكيد للامر الاول او بدل منه قال قرينه ربنا ما اطغيته مستانفة لبيان ما يقوله القرين والمراد به هنا الشيطان الذي قيض لهذا الكافر

انكر ان يكون اطغاه ثم قال ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق فدعوته فاستجاب لي ولو كان من عبادك المخلصين لما اقدر عليه وقيل ان قرينه الملك الذي كان يكتب سيئاته وان الكافر يقول رب انه اطغاني فيجيبه بهذا كذا قال مقاتل وسعيد بن جبير والاول اولى وبه قال الجمهور قال تعالى لا تختصموا لدي مستانفة كانه قيل فما قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناؤهم لما هم سبحانه عن الاختصام في مواقف الحساب قال ابن عباس انهم اعتذروا بغير عذر فابطل الله حجتهم ورد عليهم قولهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اي بارسال الرسل وانزال الكتب والباء مزيدة للتاكيد او على تضمين قدم معنى تقدم قيل ان مفعول قدمت اليكم هو ما يبدل اي قد قدمت اليكم هذا القول متلبسا بالوعيد وهذا بعيد جدا ما يبدل الي ما يغير القول لدي في ذلك اي لا خلف لوعدي بل هو كائن لا محالة وقد قضيت عليكم بالعذاب فلا تبديل له وقيل هذا القول هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل المراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم وقال الفراء وابن قتيبة معنى الاية انه ما يكذب عندي بزيادة في القول ولا ينقص منه لعلمي بالغيب وهو قول الكلبي واختاره الواحدي لانه قال لدي ولم يقل ما يبدل قولي قيل والمعنى لا تطمعوا اني ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو في حق عصاة المذنبين تدل على تخصيص الوعيد والتخصيص في حق الكافر فالوعيد على عمومه في حقهم والاول اولى وما انا بظلام للعبيد اي لا اعذب غير ظالم ابغير جرم اجترموه ولا ذنب اذنبوه وقال ابن عباس في الاية ما انا بمعذب من لم يجترم ولما كان نفي الظلام لا يستلزم نفي مجرد الظلم قيل انه هنا بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر وقيل ان صيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل صيغة المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده وقيل ظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم واذا لم يظلم في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره احرى فلا مفهوم له وقيل غير ذلك وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران وفي سورة الحج يوم نقول

قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالياء وقرئ اقول ويقال والعامل في الظرف ما يدل القول او محذوف اي اذكر يوم اوانذرهم يوم نقول لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ قيل هذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل ولا سؤال ولا جواب وبه قال الزمخشري ولا اولى انه على طريقة التحقيق ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع قال الكرخي جعل الزمخشري هذا من باب المجاز مردود لما ورد تحاجت النار والجنة واشتكت النار الى ربها ولا مانع من ذلك فقد سبح الحصى وسلم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم ولو فتح باب المجاز فيه لاتسع الخرق قال النسفي هذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كالنطق في الجوارح والسؤال للتوبيخ الكفار لعلمه تعالى انها قد امتلأت امر او قال الواحدي قال المفسرون اراها الله تصديق قوله لاملأن جهنم فلما امتلأت قال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد اي قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ وبهذا قال عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل ان هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة اي انها تطلب الزيادة على من قد صار فيها وقيل ان المعنى انها طلبت ان يزاد في سعتها لتضائقها باهلها والمزيد اما مصدر كالمجيد او اسم مفعول كالمبيع فالاول بمعنى هل من زيادة والثاني بمعنى هل من شيء تزيد دينه قال ابن عباس وهل في من مكان يزادني واخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة هذا لفظ مسلم واخرجاه ايضا من حديث ابي هريرة نحوه وفيه فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط قيل معنى القدم هنا القوم المقدمة الى النار ومعنى الرجل العدد الكثير من الناس وغيرهم وفي الباب احاديث ومذهب جمهور السلف فيها الايمان بها من غير تاويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل واجراءها على ظاهرها وهذا هو الحق الذي لا تحيد عنه قال القرطبي في تذكرته باب ما جاء ان جهنم في الارض وان البحر طبقها روي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يركب البحر رجل الا غاز او حاج او معتمر فان تحت البحر نارا ذكره ابن عمرو وضعفه قال ابن عمر لا يتوضأ ماء البحر لانه طبق جهنم وضعفه ابو عمر ايضا

ثم لما فرغ الله سبحانه من بيان حال الكافرين شرع في بيان حال المؤمنين فقال وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ اي قربت ودنيت لِلْمُتَّقِينَ الذين اتقوا الشرك تقريبا غَيْرَ بَعِيدٍ او مكانا غير بعيد منهم بحيث يشاهدونها ويرونها في الموقف وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل المعنى انها زُيِّنت لقلوبهم في الدنيا بالترغيب والترهيب فصارت قريبة من قلوبهم والاول اولى وقيل يطوى الله المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب وذلك اكراما للمؤمن وبيانا لشرفه وانه ممن تمشي اليه وقيل المراد قرب الدخول فيها لا بمعنى القرب المكاني وقيل معنى ازلفت جمعت محاسنها لانها مخلوقة وان المعنى قرب حصولها لانها تنال بكلمة طيبة وخص المتقين بذلك لانهم احق بها هذا اشارة الى الجنة التي ازلفت لهم على معنى هذا الذي ترونه من فنون نعيمها ما تُوعَدُونَ والجملة بتقدير القول اي يقال لهم هذا ما توعدون قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ هو بدل من للمتقين باعادة الخافض او متعلق بقول محذوف هو حال اي مقولا لهم لكل اواب والاواب الرجاع الى طاعة الله تعالى بالتوبة عن المعاصي وقيل هو المسبح وقيل هو الذاكر لله في الخلوة قال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه والحفيظ هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها وقال قتادة هو الحافظ لما استوجعه الله من حقه ونعمته قاله مجاهد وقيل هو الحافظ لامر الله وقال الضحاك هو الحافظ لوصية الله له بالقبول قال ابن عباس حفيظ ذنوبه حتى رجع عنها وقيل حافظ لحدود الله مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ بدل او بيان لكل اواب او بدل بعد بدل من المتقين وفيه نظر لانه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد ويجوز ان يكون مرفوعا على الاستيناف والخبر ادخلوها بتقدير يقال لهم ادخلوها والخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة والخشية بالغيب ان يخاف الله ولم يكن رآه وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه احد قال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الابواب وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ اي راجع الى الله مخلص لطاعته وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة وقيل المنيب المقبل على الطاعة وقيل السليم ادْخُلُوهَا الجمع باعتبار معنى من اي ادخلوا الجنة بِسَلَامٍ اي بسلامة من العذاب

وكل مخوف وقيل بسلام من الله او من ملائكته وقيل بسلامة من زوال النعم وحلول النقم
اي متلبسين به او مع سلام اي ليسلم بعضكم على بعض فالمراد السلام فيما بينهم ولا مانع من
حمل الكرمة على كل ذلك ذٰلِكَ اشارة الى زمن ذلك اليوم الذي حصل فيه الدخول كما قاله
ابو البقاء وخبره يَوْمُ الْخُلُودِ وسماه يوم الخلود لانه لا انتهاء له بل هو دائم ابدا وهذا القول
في الدنيا اعلام واخبار وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها اوان اطمينان القلب بالقول
الكثر لَهُمْ مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا اي في الجنة ما تشتهي انفسهم وتلذ اعينهم من فنون النعم وانواع
الخير وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ من النعم التي لم تخطر لهم على بال ولا مرت لهم في خيال قيل هو النظر
الى وجهه الكريم قاله جابر وقال انس يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في
دار كرامته فهذا هو المزيد وعن علي قال يتجلى لهم الرب عز وجل وقيل ان السحابة تمر باهل الجنة
فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد وفي الباب روايات واحاديث ثم
خوف سبحانه اهل مكة بما اتفق للقرون الماضية قبلهم فقال وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم اي قبل
قريش ومن وافقهم مِّن قَرْنٍ اي امة كثيرة من الكفار هُمْ اَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا اي قوة كعاد
وثمود وغيرهم فَنَقَّبُوا فِى الْبِلَادِ قرئ بتشديد القاف على الماضي والتنقيب التنقير عن الامر
والبحث والطلب اي ساروا وتقلبوا فيها وطافوا بقاعها طلبا للهرب واصله من النقب وهو الطريق
قال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن شميل دوروا وقال الاخفش تباعدوا والاول اولى وقرأ ابن عباس وغيره
نقبوا بفتح القاف مخففة والنقب هو الخرق والطريق في الجبل وكذا المنقب والمنقبة كذا قال ابن السكيت
وجمع النقب نقوب وقرئ بكسر القاف مشددة على الامر للتهديد اي طوفوا فيها وسيروا
في جوانبها ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وتفتيشهم توجه سوال فيه تنبيه
الغافل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله هَلْ مِن مَّحِيصٍ لهم او لغيرهم اي من معدل
ومحيد وملهرب يهربون اليه من الموت او مخلص يتخلصون به من العذاب ليكون لهؤلاء وجه ما
في رد امرنا وهل حرف استفهام ومن زائدة قال الزجاج لم يروا محيصا من الموت والمحيص مصدر
حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد والجملة مستانفة
لبيان انه لا مهرب بطريق ولا مفر وهي من كلام الله تعالى اذ لو كانت من كلامهم لكان التقدير هل من محيص لنا فليتامل

وفي هذا انذار لاهل مكة انهم مثل من قبلهم من القرون لا يجدون من الموت والعذاب
مفر اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرٰى اي فيما ذكر من قصتهم في هذه السورة من اولها الى اخرها لَذِكْرَى
وموعظة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اي عقل قال الفراء وهذا جائز في العربية تقول مالك قلب وما
قلبك معك اي مالك عقل وما عقلك معك وقيل المراد القلب نفسه لانه اذا كان سليما
ادرك الحقائق وتفكر كما ينبغي وقيل لمن كان حياة ونفس مميزة فعبر ذلك بالقلب لانه مظنها
ومعدن حياتها اَوْ اَلْقَى السَّمْعَ اي استمع ما يقال له من الوعظ وغيره يقال القى سمعك الي اي استمع
مني والمعنى انه القى السمع الى ما يتلى عليه من الوحي الحاكي لما جرى على تلك الامم قرأ الجمهور القى مبنيا
للفاعل وقرئ على البناء للمفعول رفع السمع واو مانعة الخلو لا مانعة الجمع فان القاء السمع لا يجامع بدون
سلامة القلب كما يلوح به قوله وَهُوَ شَهِيدٌ اي حاضر الفهم او حاضر القلب لان من لا يفهم في حكم الغائب
وان حضر بجسمه فهو لم يحضر بفهمه قال الزجاج اي قلبه حاضر فيما يسمع قال سفيان اي لا يكون حاضرا وقلبه
غائب قال مجاهد وقتادة هذه الاية في اهل الكتاب وكذا قال الحسن وقال محمد بن كعب وابو صالح
انها في اهل القرآن خاصة وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ اولها
الاحد واخرها الجمعة فخلق الارض في يومين وما فيها في يومين والسموات في يومين ولو شاء
لخلق الكل في اقل من لمح البصر ولكنه تعالى من فضله علمنا بذلك التأني في الامور واليوم قد يطلق
ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان اي مدة كانت وقد تقدم تفسير هذه الاية
في سورة الاعراف وغيرها مرارا وَمَا مَسَّنَا مِنْ زَائِدَةٌ لُغُوبٍ اي تعب واعياء يقال لغب يلغب
بالضم لغوبا وقال ابن عباس لغوب نصب قال الواحدي قال جماعة المفسرين نزلت رد على اليهود
في قولهم ان الله استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فاكذبهم الله بقوله
وما مسنا من لغوب وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه
وبين غيره انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قال الرازي والظاهر ان المراد الرد على المشركين
والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما في امر البعث واما ما قاله اليهود ونقلوه فهو مما
تحرف منهم او لم يعلموا تاويله فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامر له بالصبر
على ما يقوله المشركون اي هون عليك ولا تحزن لقولهم وتلطف بما يرد عليك منهم بالصبر وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ اي نزه الله عما لا يليق بجنابه العالي متلبسا بحمده وقت الفجر ووقت العصر وقيل المراد صلوة الفجر وصلوة العصر قاله ابن عباس وقيل الصلوات الخمس وقيل صل ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها والاولى الاول وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ من للتبعيض اي سبحه بعض الليل وقيل هي صلوة الليل وقيل ركعتا الفجر وقيل صلوة العشاء الاول اولى وَأَدْبَارَ السُّجُودِ اي وسبحه اعقاب الصلوات قرأ الجمهور بفتح الهمزة جمع دبر وقرئ بكسرها على المصدر من ادبر الشيء ادبارا اذا ولى وقال جماعة من الصحابة والتابعين ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وقد اتفق القراء السبعة في ادبار النجوم انه بكسر الهمزة وعن ابن عباس قال بتُّ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين قبل صلوة الفجر ثم خرج الى الصلوة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل صلوة الفجر ادبار النجوم وركعتان بعد المغرب ادبار السجود اخرجه الترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه وابن ابي حاتم وعن علي بن ابي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادبار النجوم وادبار السجود فقال ادبار السجود ركعتان بعد المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل الغداة اخرجه مسدد في مسنده وابن المنذر وابن مردويه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ادبار السجود ركعتان بعد المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل الفجر وعن علي وابي هريرة مثله وقال ابن عباس امرهان يسبح في ادبار الصلوات كلها وبه قال مجاهد قال الكرخي لخبر ابي هريرة في الصحيح مرفوعا من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وحمد الله ثلثا وثلثين وكبر الله ثلثا وثلثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وَاسْتَمِعْ ما يوحى اليك من احوال القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به وقيل الاستماع بمعنى الانتظار وهو بعيد وقيل استمع النداء والصوت او الصيحة قاله ابن عباس يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ هو اسرافيل او جبرئيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر وهي صيحة القيامة يعني النفخة الثانية في الصور من اسرافيل وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي اهل المحشر ويقول هلموا للحساب فالنداء على هذا في المحشر قال الشهاب وهو الاصح كما دلت عليه الآثار قال مقاتل هو اسرافيل ينادي في المحشر فيقول يا ايها الناس هلموا للحساب وقيل ينادي ايتها العظام البالية

والاوصال المتقطعة والعظام المفرقة والشعور المتفرقة ان الله يامر كل ان تجتمع لفصل القضاء
مِنْ مَّكَانٍ قَرِيْبٍ من السماء حيث يصل النداء الى كل فرد من افراد المحشر قال قتادة كنا نتحدث
انه ينادي من صخرة بيت المقدس وبه قال ابن عباس قال الكلبي وهي اقرب موضع من الارض الى السماء
باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقال كعب بثمانية عشر ميلا يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ اي الخلق كلهم
الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ يعني صيحة البعث وهي النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل ان تكون قبل ندائه و
بعده قاله الجلال المحلي وهذا غير مستقيم لان بعثهم واحياءهم كان بصيحة واحدة كما في قوله
تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال الكلبي معنى بالحق بالبعث وهو حال من الواو اي يسمعون
متلبسين بالحق او من الصيحة اي متلبسة بالحق وقال مقاتل يعني انها كائنة حقا ذٰلِكَ اي يوم
النداء والسماع يَوْمُ الْخُرُوْجِ من القبور قال ابن عباس اي يوم يخرجون الى البعث من القبور
يعني يعلمون عاقبة تكذيبهم اِنَّا نَحْنُ نُحْيٖ فى الاخرة وَنُمِيْتُ فى الدنيا لا يشارکنا في ذلك مشارك
والجملة مستانفة لتقرير امر البعث وَاِلَيْنَا الْمَصِيْرُ فنجازي كل عامل بعمله يَوْمَ تَشَقَّقُ الْاَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا حال كونهم مسرعين الى المنادي الذي نادىهم ذٰلِكَ حَشْرٌ اي بعث وجمع عَلَيْنَا
يَسِيْرٌ هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص اي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر
الذي لا يشغله شان عن شان ثم عزا الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَقُوْلُوْنَ
من تكذيبك فيما جئت به ومن انكار البعث والتوحيد وَمَآ اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ اي بمسلط تجبرهم
وتقهرهم على الايمان والآية منسوخة بآية السيف وجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثي فان فعالا انما
يبنى من الثلاثي وفي المصباح اجبرته على كذا بالالف حملته عليه قهرا وغلبته فهو مجبر هذه
لغة عامة العرب وفي لغة لبني تميم وكثير من اهل الحجاز جبرته جبرا من باب قتل حكاه الازهري
ثم قال جبرته والجبرته لغتان جيدتان وقال الخطابي الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد من
امره ونهيه يقال جبره السلطان واجبره بمعنى ورايت في بعض التفاسير عند قوله تعالى وما
انت عليهم بجبار ان الثلاثي لغة حكاها الفراء وغيره واستشهد لصحتها بما سمعناه انه لا يبنى فعال
الا من فعل ثلاثي نحو الفتاح والعلام ولم يجئ من افعل بالالف الا دراك فان حمل جبار على هذا المعنى فهو وجه
قال الفراء وقد سمعت العرب تقول جبرته على الامر اجبرته واذا ثبت ذلك فلا يعول على قول من ضعفها

فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اي وعيدي لعصاتي بالعذاب واما من حداهم فلا تشتغل بهم ثم امره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وهم المؤمنون ٨

سورة الذاريات ص هي ستون اية وهي مكية

قال القرطبي في قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وفي بعض النسخ والذاريات بالواو

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا واذرته تذريه اذريا اقسم الله سبحانه بالرياح التي تذر التراب وغيره وقيل المقسم به مقدر وهو رب الذاريات وما بعدها والاول اولى عن علي قال الذاريات الرياح وقال غيره النساء الولود فانهن يذرين الاولاد فالحاملات وقرا قال علي هي السحاب اي تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر وانتصاب وقرا على انه مفعول به كما يقال حمل فلان عدلا تقيلا قرا الجمهور بكسر الواو اسم ما يوقر اي يحمل وقرئ بفتحها على انه مصدر وقيل الرياح الحاملات للسحاب او النساء الحوامل فالجاريات يسرا قال علي هي السفن اي الجارية في البحر بالرياح جريا سهلا اي جريا ذا يسر وقيل هي الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها وقيل السحاب والاول اولى واليسر السهل في كل شيء فالمقسمات امرا قال علي الملائكة وعن عمر بن الخطاب مثله ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي اسناده ابو بكر بن سبرة وهو ضعيف لين الحديث وسعيد بن سلام وليس من اصحاب الحديث كذا قال البزار قال ابن كثير هذا الحديث ضعيف رفعه واقرب ما فيه انه موقوف على عمر وعن ابن عباس مثل قول علي يعني الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب قال الفراء تاتي الملائكة بامر مختلف جبريل بالغلظة والوحي الى الانبياء وميكائيل صاحب الرحمة والرزق وملك الموت يأتي بالموت واسرافيل صاحب الصور واللوح وقيل تاتي بامر مختلف بالجدب والخصب والمطر والموت والحوادث وقيل هي السحب التي يقسم الله بها المر

العباد وقيل ان المراد بهذه الاوصاف الاربعة الرياح كما تقدم فانها توصف بجميع ذلك كما تذر التراب والحمل الاثقال وتجري في الهوى وتقسم الامطار وهو ضعيف جدا والترتيب في هذه الاقسام ترتيب ذكري وربما باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على قدرته تعالى اقسم الله بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته لكونها امورا بديعة مخالفة لمقتضى العادة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود به انما توعدون لصادق في هذا جواب القسم وما مصدرية او موصولة اي ان ما توعدون من الثواب والعقاب لكائن لا محالة وان الدين اي الحساب والجزاء على الاعمال لواقع اي حاصل وكائن لا محالة ثم ابتدأ قسما آخر فقال والسماء المراد بها هنا هي المعروفة وقيل المراد بها السحاب والاول اولى ذات الحبك قرأ الجمهور بضم الحاء والباء وقرئ بضمها وسكون الباء وقرئ بكسر الحاء وفتح الباء وبكسر الحاء وضم الباء قال ابن عطية هي لغات قال الجلال المحلي جمع حبيكة كطريقة وطرق في صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل واختلف المفسرون في تفسير الحبك فقال مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم المعنى ذات الخلق المستوي الحسن قال ابن الاعرابي كل شيء احكمته واحسنت عمله فقد حبكته واحتبكته وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الزينة وروي عن الحسن ايضا انه قال ذات النجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقال الضحاك ذات الطرائق وبه قال الفراء يقال لما تراه من الماء والرمل اذا اصابته الريح حبك قال الفراء الحبك تكسر كل شيء كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والماء اذا مرت به الريح ويقال لدرع الحديد حبك وقيل الحبك الشدة اي والسماء ذات الشدة والمحبوك الشديد الخلق من فرس او غيره قال الواحدي بعد حكاية القول الاول هذا قول الاكثرين قال ابن عباس والسماء ذات الحبك اي حسنها واستواؤها وعنه قال ذات البهاء والجمال وان بنيانها كالبرد المسلسل وعنه قال ذات الخلق الحسن وعن ابن عمر مثله وعن علي قال هي السماء السابعة واستعمال الحبك في الطرائق هو الذي عليه اهل اللغة وان كان الاكثر من المفسرين على خلافه على انه يمكن ان ترجع تلك الاقوال في تفسير الحبك الى هذا وذلك بان يقال ان ما في السماء من الطرائق يصح ان يكون سببا لمزيد حسنها واستوائها وخلقها وحصول الزينة فيها ومزيد القوة لها وفي البيضاوي ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق

المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي انكم هذا جواب القسم بالسماء ذات الحبك اي انكم يا اهل مكة لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ متناقض في شان محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن بعضكم يقول انه شاعر وبعضكم يقول انه ساحر وبعضكم يقول انه مجنون والقرآن شعر سحر كهانة ووجه تخصيص القسم بالسماء المتصفة بتلك الصفة تشبيه اقوالهم في اختلافها باختلاف طرائق السماء وقيل المراد بكونهم في قول مختلف ان بعضهم يبقى الحشر وبعضهم يشك فيه وقيل كونهم يقرون ان الله خالقهم ويعبدون الاصنام وقيل قول مختلف مصدق ومكذب يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ اي يصرف عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به او عن الحق وهو البعث والتوحيد من صرف عن الهداية في علم الله تعالى يقال افكه يافكه افكا اي قلبه عن الشيء وصرفه عنه ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا وقال مجاهد يؤفن عنه من افن والافن فساد العقل وقيل يحرجه من حرم وقال قطرب يخادع عنه من خُدِع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع وقال ابن عباس يضل عنه من ضل وفي الخطيب قيل ان هذا القول مدح للمؤمنين وصفاة يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد الى المستوي قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ هذا دعاء عليهم وحكى الواحدي عن المفسرين جميعا ان المعنى لعن الكذابون والمراد بالكذابين اصحاب القول المختلف واصل هذا التركيب الوحدة بالقتل اجرى مجرى اللعن واستعمل بمعناه تشبيها للملعون الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة وكل نعمة قال ابن الانباري والقتل اذا اخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال الفراء معنى قتل لعن وفي القاموس ما يقتضي ان قتل يأتي بمعنى لعن ونصه قتل الانسان ما اكفره اي لعن وقاتلهم الله اي لعنهم والخراصون الكذابون الذين يخرصون فيما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب شاعر ساحر قال الزجاج الخراصون هم الكذابون والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا والخراص الذي يخرصها وليس هو المراد هنا قال ابن عباس في الآية لعن المرتابون وعنه قال هم الكهنة وقيل هم المقتسمون الذين اقتسموا اعقاب مكة ليصدوا الناس عن الاسلام الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ اي في غفلة وعمى وجهالة عن

امور الآخرة واصل الغمرة ما ستر الشيء وغطاه ومنها غمرات الموت قال ابن عباس الغمرة الكفر والشك ساهون اي لاهون غافلون والسهو الغفلة عن الشيء وذهابه عن القلب وقال ابن عباس في غفلة لاهون وعنه قال في ضلالتهم يتمادون يسألون ايان يوم الدين اي يقولون متى يجيء يوم الجزاء تكذيبا منهم واستهزاء وجوابهم يجيء اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون فيها يقال فتنت الذهب اذا احرقته لتختبره واصل الفتنة الاختبار قال عكرمة المرتان الذهب اذا ادخل النار فيقال فتن قال ابن عباس يفتنون يعذبون قال الشهاب اصلها اذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في التعذيب والاحراق وعدي يفتنون بعلى لتضمنه معنى يعرضون ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم حين التعذيب ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد وقال مجاهد حريقكم وبه قال الفراء وجملة هذا الذي كنتم به تستعجلون من جملة ما هو محكي بالقول اي هذا ما كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا استهزاء منكم وقيل هي بدل من فتنتكم ولما ذكر سبحانه حال اهل النار ذكر حال اهل الجنة فقال ان المتقين في جنات وعيون اي هم كائنون في بساتين فيها عيون جارية في جهاتهم وامكنتهم لا يبلغ وصفها الواصفون حال كونهم اخذين اي قابضين ما اتاهم ربهم شيئا فشيئا من الخير والثواب الكرامة راضين به ومسرورين ومتلقين له بالقبول لا يستوفونه بكماله لامتناع استيفاء ما لا نهاية له انهم كانوا قبل ذلك محسنين قال ابن عباس اي قبل ان تنزل الفرائض يعملون والجملة تعليل لما قبلها اي لانهم كانوا في الدنيا قبل دخولهم الجنة محسنين في اعمالهم الصالحة من فعل ما امروا به وترك ما نهوا عنه ثم ذكر احسانهم الذي وصفهم به فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الهجوع النوم بالليل دون النهار وبابه خضع والهجعة النومة الخفيفة والمعنى كانوا قليلا ما ينامون من الليل ويصلون اكثره وكذا قال المحلي وما زائدة او مصدرية او موصولة اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه والتهجع القليل من النوم وقيل ما نافية اي ما كانوا ينامون قليلا من الليل فكيف بالكثير منه وهذا ضعيف جدا وهكذا قول من قال ان المعنى كان عددهم قليلا ثم ابتدأ فقال ما يهجعون وبه قال ابن الانباري وهو اضعف مما قبله وقال قتادة في تفسير هذه الآية كانوا يصلون بين العشائين وبه قال

ابو العالية وابن وهب قال ابن عباس ما اتاني عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا الا يصلون فيها وعنه قال يقول قليلا ما كانوا ينامون وعن انس قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اي يطلبون في اوقات السحر من الله سبحانه ان يغفر ذنوبهم قال الحسن مدوا الصلوة الى الاسحار ثم اخذوا بالاسحار استغفار وقال الكلبي ومقاتل ومجاهد هم بالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم طلب منهم للمغفرة وقال الضحاك هي صلوة الفجر قال ابن عمر يستغفرون يصلون قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل والمعنى يعدون مع هذا الاجتهاد انفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وانهم لا يقدرون على ان يقدروه حق قدره وان اجتهدوا لقول سيد الخلق محمد صلعم لا احصي ثناء عليك وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ اي يجعلون في اموالهم ويوجبون على انفسهم حقا للسائل والمحروم تقربا الى الله عز وجل بمقتضى الكرم يصلون بها الارحام والفقراء والمساكين وقال محمد بن سيرين وقتادة الحق هنا الزكوة المفروضة والاول اولى فتحمل على صدقة النفل وصلة الرحم وقرى الضيف لان السورة مكية والزكوة لم تفرض الا بالمدينة وسياتي في سورة سأل سائل وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم بزيادة معلوم والسائل هو الذي يسأل الناس لفاقة واختلف في تفسير المحروم فقيل هو الذي يتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس غنيا فلا يتصدقون عليه وبه قال قتادة والزهري وقال الحسن ومحمد بن الحنفية هو الذي لا سهم له في الغنيمة ولا يجري عليه من الفيئ شيء وقال زيد بن اسلم هو الذي اصيب ثمره او زرعه او ماشيته وقال القرظي هو الذي اصيب بجائحة وقيل الذي لا يتكسب وقيل هو الذي لا يجد غنا يغنيه وقيل هو المملوك وقيل الكلب وقيل غير ذلك قال الشعبي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت اسأل عن المحروم فما انا اليوم بأعلم مني فيه يومئذ والذي ينبغي التعويل عليه ما يدل عليه المعنى اللغوي والمحروم في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الاصل ومن اصيب ماله بجائحة اذهبته ومن حرم العطاء ومن حرم الصدقة لتعففه واظهر هذه الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل واغا يفطن له متيقظ

قال ابن عباس في اموالهم حق سوى الزكوة يصل بها رحما ويقري بها ضيفا او يعين بها محروما
وعنه قال السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له سهم في المسلمين وعنه قال المحروم
هو المحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس فامر الله المؤمنين برفده وعن عائشة
في الآية قالت هو المحارف الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه واخرج الترمذي والبيهقي في سننه
عن فاطمة بنت قيس انها سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال ان في المال حقا سوى الزكوة
وتلى هذه الآية ليس البران تولوا وجوهكم الى قوله وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة ثم ذكر
سبحانه ما نصبه من الدلائل الدالة على توحيده ووعده ووعيده فقال وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
اي دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبر والبحر والاشجار والانهار والثمار وفيها
آثار الهلاك للامم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم اليه وهي مدحوة كالبساط
لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي محرأة فمن سهل ومن جبل صلبة و
رخوة وعذبة وسبخة وفيها معادن مفتة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة
الهيأت والاشكال الى غير ذلك من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره لِلْمُوقِنِينَ
اي للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون
باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تاويلها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وخص الموقنين
بالله لانهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به وَفِي أَنْفُسِكُمْ في حال ابتدائها
وتنقلها من حال الى حال آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل فانه خلقهم
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى ان ينفخ فيهم الروح ثم تختلف بعد ذلك صورهم والوانهم
وطبائعهم والسنتهم ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشان من لحم ودم وعظم و
اعضاء وحواس ومجاري ومنافس وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج
الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة منشئها
وصانعها بدع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما سوى ذلك في
الاعضاء من الفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسأ منها شيء جاء العجز واذا استرخى اناخ

الذل فتبارك الله احسن الخالقين وقيل يريد اختلاف الالسن والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل المراد بالانفس الارواح اي وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات ولا وجه لتخصيص شيء دون شيء بل اللفظ اوسع من ذلك أَفَلَا تُبْصِرُونَ اي تنظرون بعين البصيرة والعبرة الارض وما فيها والانفس وما فيها فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المتفرد بالالوهية وانه لا شريك له ولا ضد ولا ند وان وعده الحق وقوله الحق وان ما جاءت اليكم به رسله هو الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة تعتريه وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ اي سبب رزقكم وهو المطر فانه سبب الارزاق قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج وقيل المراد بالسماء السحاب اي وفي السحاب رزقكم وقيل المراد بالسماء المطر وسماه سماء لانه ينزل من جهتها وقال ابن كيسان يعني وعلى رب السماء رزقكم تمال ونظيره وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وهو بعيد وقال سفيان الثوري أي عند الله في السماء رزقكم وقيل المعنى وفي السماء تقدير رزقكم قرأ الجمهور بالافراد وقرئ ارزاقكم بالجمع وَمَا تُوعَدُونَ من الجنة والنار قاله مجاهد وقال العطاء من الثواب والعقاب وقال الكلبي من الخير والشر وقال ابن سيرين ما توعدون من امر الساعة وبه قال الربيع والاولى الحمل على ما هو الاعم من هذه الاقوال فان جزاء الاعمال مكتوب في السماء والقضاء والقدر ينزل منها والجنة والنار فيها ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ اي ان ما اخبركم به في هذه الايات لَحَقٌّ وقال الزجاج هو ما ذكر من امر الرزق والايات قال الكلبي يعني ما قص في الكتاب وقال مقاتل يعني من امر الساعة وقيل ان ما في قوله وما توعدون مبتدأ وخبره فورب السماء الخ فيكون الضمير لما ثم قال سبحانه مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ اي كمثل نطقكم وما زائدة كذا قال بعض الكوفيين وقال الزجاج والفراء اي لحق حقا مثل نطقكم وقال المازني ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح وقال سيبويه هو مبني لاضافته الى غير متمكن قرأ الجمهور بنصب مثل على تقدير كمثل نطقكم وقرئ بالرفع على انه صفة لحق لان مثل نكرة وان اضيفت فهي لا تتعرف بالاضافة لتغلغلها في الابهام ترجح قول المازني ابو علي الفارسي ومعنى الاية تشبيه تحقيق ما اخبر الله به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا وانه لحق

كما انت تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي وذكره القرطبي وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان يأكل رزق غيره هل اتاك حديث ضيف ابراهيم ذكر سبحانه قصة ابراهيم ليبين انه اهلك بسبب التكذيب من اهلك وفي الاستفهام تفخيم للحديث وشأنه وتنبيه على ان هذا الحديث ليس مما قد علم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما علم بطريق الوحي وقيل ان هل بمعنى قد كما في قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر والضيف مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة وقد تقدم الكلام على قصة ضيف ابراهيم في سورة هود وسورة الحجر المكرمين اي انهم مكرمون عند الله سبحانه لانهم ملائكة جاؤا اليه في صورة بني آدم كما قال تعالى في وصفهم في اية اخرى بل عباد مكرمون وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وقال مجاهد ومقاتل اكرمهم ابراهيم واحسن اليهم قام على رؤسهم وكان لا يقوم على رؤس الضيف وامر امرأته ان تخدمهم وقال الكلبي اكرمهم بالعجل اي عجل لهم القرى وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لانهم كانوا غير مدعوين والاول اولى اذ دخلوا عليه العامل في الظرف الحديث اي هل اتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه او ضيف لانه مصدر او المكرمين او محذوف اي اذكر لك اذكر السمين فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما ويحتمل ان يكون المعنى كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو فيكون على هذا مفعولا به قال سلام اي قال ابراهيم سلام والمراد به التحية قرأ الجمهور بنصب سلام الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ محذوف الخبر اي عليكم سلام والعدول الى الرفع لقصد افادة الجملة الاسمية للدوام والثبات بخلاف الفعلية فانها للتجدد والحدوث ولهذا قال اهل المعاني ان سلام ابراهيم ابلغ من سلام الملائكة وقرئ بالرفع في الموضعين وقرئ بالنصب فيهما وقرئ سلم بكسر السين وقرئ سلم فيهما قوم اي انتم قوم منكرون قيل انه قال هذا في نفسه ولم يخاطبهم به لان ذلك يخالف الاكرام قيل انه انكرهم لكونهم ابتدؤا بالسلام ولم يكن ذلك معهودا عند قومه وقيل انه رأى فيهم ما يخالف

بعض الصور البشرية وقيل لانه رآهم على غير صور الملائكة الذين يعرفهم وقيل لانهم دخلوا بغير استيذان وقيل المعنى انكم قوم غرباء ولا نعرفكم فعرفوني من انتم وقيل غير ذلك فَرَاغَ اي عدل إِلَىٰ أَهْلِهِ قاله الزجاج اي الذين كان عندهم بقرة وكان عامة ماله البقر قاله الخطيب فالمراد باهله خدمه كالرعاء وقيل ذهب اليهم في خفية من ضيوفه والمعنى متقارب وقد تقدم تفسيره في سورة والصافات يقال راغ وارتاغ اي طلب وماذا ترتغ اي تريد وتطلب وراغ الى كذا مال اليه سرا او حاد فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ اي فجاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في سورة هود بعجل حنيذ وفي الكلام حذف تدل عليه الفاء الفصيحة اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به قال في الصحاح العجل ولد البقر والعجول مثله والجمع العجاجل والانثى عجلة وقيل العجل في بعض اللغات الشاة فَقَرَّبَهُ اي قرب العجل إِلَيْهِمْ ووضعه بين ايديهم وعرض عليهم الاكل وقال أَلَا تَأْكُلُونَ استفهام الانكار وذلك انه لما قربه اليهم لم ياكلوا منه او للعرض او للتحضيض فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً اي احس في نفسه خوفا منهم لما لم ياكلوا مما قربه اليهم وقيل معنى اوجس اضمر وانما وقع له ذلك لما لم يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس ان من اكل من طعام انسان صار آمنا منه فظن ابراهيم انهم جاؤا للشر لم يأتوا للخير وفي زادة ان الانكار الحاصل قبل تقريب العجل كما مر في هود بمعنى عدم العلم بانهم من اي بلدة والانكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه لقصد الخير او الشر فان من امتنع من تناول الطعام يخاف من شره وقيل انه وقع في قلبه انهم ملائكة فلما رأوا ما ظهر عليه من امارات الخوف قَالُوا لَا تَخَفْ واعلموه انهم ملائكة مرسلون اليه من جهة الله سبحانه وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ اي ذي علم كثير عند ان يبلغ مبالغ الرجال والمبشر به عند الجمهور هو اسحق وقال مجاهد وحده انه اسمعيل وهو مردود بقوله وبشرناه باسحق وقد قدمنا تحقيق هذا الكلام في هود بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ اي سارة فِي صَرَّةٍ لم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان وانما هو كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي كذا قال الفراء وغيره والصرة الصيحة والضجة اي جاءت صائحة لانها لما بشرت بالولد وجدت حرارة الدم اي دم الحيض وقيل الصرة الجماعة من الناس قال الجوهري الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من حرب او غيره وقال عكرمة وقتادة انها الرنة والتاوه والمعنى انها كانت في زاوية من زوايا البيت تنظر الى

فاقبلت في صيحة اوضجة او في جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة فصكت وجهها اي ضربت بيدها مبسوطة على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب قال مقاتل والكلبي جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا ومعنى الصك ضرب الشيء بالشيء العريض يقال صكه اي ضربه وقال ابن عباس في صرة في صيحة فصكت لطمت وقالت كيف الد وانا عجوز عقيم استبعدت ذلك لكبر سنها ولكونها عقيما لا تلد قالوا كذلك اي كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكي في ذلك ولا تعجبي منه فان ما اراد الله كان لا محالة ولم ينقل ذلك من جهة انفسنا وقد كانت اذ ذاك بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة ذكره القرطبي وقد سبق بيان هذا مستوفى وجملة انه هو الحكيم العليم تعليل لما قبلها اي حكيم في افعاله واقواله عليم بكل شيء ❊❊❊❊

قال فما خطبكم

مستانفة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم بعد هذا القول من الملائكة والخطب الشان والقصة والمعنى فما شانكم وقصتكم ايها المرسلون من جهة الله وما ذاك الامر الذي لاجله ارسلكم سوى هذه البشارة قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي كافرين بربهم قوم لوط لنرسل اي لننزل عليهم من السماء حجارة اي لنرجمهم بحجارة من طين متحجر مطبوخ بالنار واستدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط مسومة صفة لحجارة او حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور وهو من الحجارة لكونها وصفت بالجار والمجرور اي معلمة بعلامات تعرف بها قيل كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل معروفة بانها حجارة العذاب وقيل مكتوب على كل حجر من يهلك بها عند ربك ظرف لمسومة اي معلمة عند المسرفين المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور بانتهاكهم المذكور وقال مقاتل المشركين والشرك اسرف الذنوب واعظمها قال السدي ومقاتل كانوا اربعة آلاف فادخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلع قراهم وكانت اربعة ورفع حتى سمع اهل السماء اصواتهم ثم قلبها ثم ارسل عليهم الحجارة فتتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم فاهلكتهم وهو جمع شاذ اي الخارجين منهم عن ارضهم

فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين هذا الكلام من جهة الله سبحانه اي لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به والفاء فصيحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كانه قيل فما شرعوا اما امروا به فاخرجنا من كان فيها بقولنا فاسبا اهلاك فما وجدنا فيها اي في قرى قوم لوط وهي وان لم تذكر لكن دل عليها السياق غير بيت من المسلمين اي غير اهل بيت يقال بيت شريف ويراد به اهله قيل وهم اهل بيت لوط وقال مجاهد لوط وابنتاه وعن سعيد بن جبير قال كانوا ثلاثة عشر ونحوه قال الاصفهاني والاسلام الانقياد والاستسلام لامر الله سبحانه فكل مؤمن مسلم ومن ذلك قوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقد اوضح الفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق انه سئل عن الاسلام فقال ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت وتصوم رمضان وسئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره فالمرجع في الفرق بينهما هو الذي قاله المصدوق الصادق ولا التفات الى غيره مما قاله اهل العلم في رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة متناقضة واما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الاسلام والايمان فذلك باعتبار المعاني اللغوية والاستعمالات العربية والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية والحقيقة الشرعية هي هذه التي اخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب سؤال السائل له عن ذلك بها قال الكرخي فيه اشارة الى ما قاله الخطابي وغيره ان المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون والمؤمن مسلم دائما فهو اخص وبهذا يستقيم تاويل الآيات والاحاديث وتركنا فيها اي في تلك القرى بعد اهلاك الكافرين اية اي علامة ودلالة تدل على ما اصابهم من العذاب وهي تلك الاحجار او صخر منضود او ماء اسود منتن خرج من ارضهم او اثار العذاب في تلك القرى فانها ظاهرة بينة وقيل هذه الاية المتروكة نفس القرى الخربة للذين يخافون العذاب الاليم اي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من اهل ذلك الزمان ومن بعدهم فلا يفعل مثل فعلهم وانما خص هؤلاء لانهم الذين ينتفعون بالمواعظ ويتفكرون في الآيات دون غيرهم ممن لا يخاف ذلك وهم المشركون المكذبون بالبعث والوعد والوعيد وتركنا في قصة

موسى اية وهذا معنى واضح قاله السمين او في الارض في موسى اياب قاله الفراء وابن عطية و
الزمخشري قال ابو حيان وهو بعيد جدا ينزه القران عن مثله وقيل وتركنا فيها اية وجعلنا في
موسى اية قال ابو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور
وتركنا والوجه الاول هو الاولى وما عداه متكلف متعسف لم تدع اليه حاجة ولا دعت اليه ضرورة
إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ الظرف متعلق بمحذوف وهو نعت لاية اي كائنة وقت ارسلنا
او باية نفسها ومنصوبة بتركنا والاول اولى بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ وهو الحجة الظاهرة الواضحة وهي العصا
وما معها من الايات الثمان فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ التولي الاعراض والركن الجانب قاله الاخفش والمعنى اعرض
عن الايمان بجانبه اي مع جنوده لانهم له كالركن كما في قوله اعرض ونأى بجانبه قال الجوهري
ركن الشيء جانبه الاقوى ويأوي الى ركن شديد اي عز ومنعة وقال ابن عباس بركنه بقومه
وقال ابن زيد ومجاهد وغيرهما الركن جمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ومنه قوله تعالى
او اوي الى ركن شديد اي عشيرة ومنعة وقيل الركن نفس القوة وبه قال قتادة وغيره
وَقَالَ فرعون في حق موسى سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فرد فيما رآه من احوال موسى بين كونه ساحرا
او مجنونا فاو هنا على بابها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه منزلة الشاك في امره تمويها
على قومه وهذا من اللعين مغالطة ايهام لقومه فانه يعلم ان ما رآه من الخوارق لا يتيسر على
يد ساحر ولا يفعله من به جنون وقال ابو عبيدة ان او بمعنى الواو لانه قد قال ذلك جميعا
ولم يتردد وبه قال المورج والفراء كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا قال تعالى ان هذا الساحر عليم
وقال في موضع اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وتجيء او بمعنى الواو ورد الناس عليه
وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك واما الايتان فلا يدلان على انه قالهما معا وانما يفيدان انه
قالهما اعم من ان يكونا معا او هذه في وقت وهذه في وقت اخر ذكره السمين فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ اي طرحناهم في البحر فغرقوا وَهُوَ مُلِيمٌ اي اتى بما يلام عليه
حين ادعى الربوبية وكذب الرسل وكفر بالله وطغى في عصيانه وفي الاسناد تجوز على حد عيشة
راضية يقال لام الرجل فعل ما يستحق عليه اللوم واللوم العذل تقول لمته على كذا من باب
قال ولومه ايضا فهو ملوم واللائمة الملامة وتركنا فيه قصة اهلاك عاد اية إِذْ أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ وهي التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا انما هي ريح العذاب والاهلاك قال علي هي النكباء وهي كل ريح هبت بين ريحين لتنكبها واخرافها عن مهاب الرياح المعروفة وهي رياح متعددة لا ريح واحدة قال ابن عباس الريح العقيم الشديدة التي لا تلقح شيئا وعنه قال لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب واختلف فيها فقيل الجنوب والاظهر انها الدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفيه ايذان بان العقم ههنا مستعار للمعنى المذكور على سبيل التبعية شبه ما في الريح من الصفة التي تمنع من انشاء مطر او القاح شجر بما في المرأة من الصفة المذكورة التي تمنع من الحمل ثم قيل العقيم واريد به ذلك المعنى بقرينة وصف الريح به او سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم افاده الكرخي وفي الشهاب اصل العقم اليبس المانع من قبول الاثر كما قاله الراغب وهو فعيل بمعنى فاعل او مفعول فلما اهلكتهم وقطعت نسلهم شبه ذلك الاهلاك بعدم الحمل لما فيه من اذهاب النسل وهذا هو المراد هنا ثم وصف سبحانه هذه الريح فقال مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ اي مرت عليه من انفسهم وانعامهم واموالهم إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ اي كالشيء الهالك البالي المتفتت وقال قتادة هو الذي ليس من يابس النبات وقال السدي وابو العالية انه التراب المدقوق وقال قطرب انه الرماد وقيل ما رضته الماشية من الكلاء واصل الكلمة من رم العظم اذا بلي فهو رميم والرمة العظام البالية والجمع رمم ورمام قال ابن عباس كالرميم كالشيء الهالك البالي وفي القرطبي كالشيء الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم والتقدير ما تترك من شيء الا مجعولا كالرميم فالجملة في موضع المفعول الثاني لتذر واعربها ابو حيان حالا وليس بظاهر وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ اي وتركنا في قصة ثمود اية وقت ان قلنا لهم بعد عقر الناقة تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ اي عيشوا متمتعين بالدنيا الى حين وقت الهلاك وانقضاء الاجل وهو ثلثة ايام كما في قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ اي تكبروا عن امتثال امر الله وهذا ترتيب اخباري والا ففي الحقيقة عتوهم انما كان قبل وعدهم بالهلاك الذي هو المراد من قوله تمتعوا حتى حين على تفسيره اذ المراد به ما بقي من اجالهم والمراد بامر ربهم هو المذكور في سورة هود يا قوم هذه ناقة الله لكم اية فَأَخَذَتْهُمُ بعد مضي الثلاثة ايام الصَّاعِقَةُ وهي كل عذاب مهلك وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة واخذتهم من بعد عقر الناقة والصاعقة هي نار تنزل

من السماء فيها رعد شديد وقد مر الكلام على الصاعقة في البقرة وفي مواضع وهم ينظرون اي يرونها عيانا لانها كانت نهارا وقيل ان المعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب والاول اولى فما استطاعوا من قيام اي لم يقدروا على القيام حين نزول العذاب قال قتادة من نهوض يعني لم ينهضوا من تلك الصرعة والمعنى انهم عجزوا عن القيام فضلا عن الهرب ومثله قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين وما كانوا منتصرين اي ممتنعين من عذاب الله بغيرهم من اهلكهم الله اولم تمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة وما اهلكنا او نبذناهم بنبذنا او ذكر قوم نوح وثلاثة اوجه الخر في النصب نحو ذكرهما السمين وفي قراءة الجر اربعة اوجه ذكرها السمين ايضا الا نطول بذكرها من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين فان زمانهم متقدم على زمن فرعون وعاد وثمود انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة الله والسماء بنيناها بايد اي بقوة وقدرة قاله ابن عباس قيل التقدير وبنينا السماء بنيناها وقرئ برفع السماء على الابتداء والنصب ابلغ لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها وانا لموسعون الموسع ذو الوسع والسعة والمعنى انا لذو وسعة بخلقها وخلق غيرها لا نعجز عن ذلك وقيل لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة وقيل انا لموسعون الرزق بالمطر قال الجوهري اوسع الرجل صار ذا سعة وغنى وقيل جاعلوها واسعة وعليه تكون الحال مؤسسة اخبرا ولا انه بناها بقوته وقدرته وثانيا بانه وسعها اي جعلها واسعة فالارض بالنسبة اليها كحلقة في فلاة والارض فرشناها قرئ بنصب الارض على الاشتغال وبرفعها على الابتداء والاول اولى والمعنى بسطناها ومهدناها ومهدناها فالفراش كناية عن البسط والتسوية فنعم الماهدون اي نحن يقال مهدت الفراش بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها ومن كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين وامرين متقابلين او نوعين من ذكر وانثى وبر وبحر وشمس وقمر وحلو ومر وسماء وارض وليل ونهار ونور وظلمة وجن وانس وخير وشر وموت وحياة وسهل وحزن وصيف وشتاء وايمان وكفر وسعادة وشقاوة وحق وباطل وحلو وحامض وسرور وغم الى غير ذلك مما لا ينحصر فكل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له فلا يرد كون كل من العرش والكرسي واللوح والقلم لم يخلق من كل منها الا واحد لعلكم تذكرون اي خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا فتعرفوا انه خالق كل شيء ولتستدلوا بانه

ع ٢٣

على توحيد الله وصدق وعده ووعيده فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ اي قل لهم يا محمد اذ اكان الامر كذلك ففروا واهربوا الى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي اي الى ثوابه من عقابه بان تطيعوه ولا تعصوه وقيل المعنى اخرجوا من مكة وقال الحسن بن الفضل احترزوا عن كل شيء غير الله فمن فر الى غيره لم يمتنع منه وقيل فروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقيل فروا من الجهل الى العلم والمعاني متقاربة اي اذا علمتم ان الله تعالى ودلا نظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ اي من الله اي من جهته نَذِيرٌ منذر مُبِينٌ بين الانذار والجملة تعليل للامر بالفرار وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ تنصيص على اعظم ما يجب ان يفر منه وهو الشرك فنهاهم عن الشرك بالله بعد ان امرهم بالفرار الى الله إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ تعليل للنهي وتكرير للتوكيد والاطالة في الوعيد ابلغ او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني مرتب على الاشراك وقيل انما كرر ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز ولا ينجو عند الله الا الجامع بينهما كَذَٰلِكَ اي الامر الشان والقصة كذلك والكاف بمعنى مثل ثم فصل ما اجمل بقوله مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان هذا شان الامم المتقدمة وان ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالسحر والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم أَتَوَاصَوْا بِهِ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب من حالهم اي هل اوصى اولهم اخرهم بالتكذيب وتواطئوا عليه حتى قالوه جميعا متفقين عليه او الاستفهام للنفي اي ما وقع منهم وصية بذلك لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ اضراب عن التواصي الى ما جمعهم من الطغيان اي لم يتواصوا بذلك بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر فهو اضراب انتقالي ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم فقال فَتَوَلَّ عَنْهُمْ اي اعرض عنهم وكف عن جدالهم ودعائهم الى الحق فقد فعلت ما امرك الله به وبلغت رسالته وكررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ عند الله على الاعراض بعد هذا لانك قد اديت ما عليك وما قصرت فيما امرت به وبذلت المجهود في البلاغ وقيل انه منسوخ بآية السيف او بقوله الآتي وذكر الآية قال ابن عباس امره الله ان يتولى عنهم ليعذبهم وحذر محمد صلى الله عليه وسلم لما امره بالاعراض عنهم امره بان لا يترك التذكير والموعظة بالتي هي احسن فقال

وذكر اي جميعهم فان الذكرى تنفع المؤمنين اي من قدر الله ايمانه او من امن فانه يزداد بها بصيرة قال الكلبي المعنى عظ بالقرآن من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم وقال مقاتل عظ كفار مكة فان الذكرى تنفع من كان في علم الله انه يؤمن وقيل ذكرهم بالعقوبة وايام الله وخص المؤمنين بالتذكير لانهم المنتفعون به وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استئناف مقرر لما قبلها كأن كون خلقهم لمجرد العبادة مما يشطر رسول الله صلى الله عليه وسلم للتذكير ويشطرهم للاجابة قيل هذا خاص فيمن سبق بعلم الله انه يعبده فهو عموم مراد به الخصوص قال الواحدي قال المفسرون هذا خاص لاهل طاعته يعني من اهل من الفريقين قال وهذا قول الكلبي والضحاك واختيار الفراء وابن قتيبة قال القشيري والآية دخلها التخصيص بالقطع لان المجانين لم يؤمروا بالعبادة ولا اراد ها منهم وقد قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة قاله شيخ الاسلام زكريا نقلا عن الرازي فالآية محمولة على المؤمنين منهم ويدل عليه قراءة ابي بن كعب وابن مسعود وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال مجاهد ان المعنى الا ليعرفوني قال الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عُرف وجوده ولا توحيده وروي عن مجاهد انه قال المعنى الا لامرهم وانهاهم ويدل عليه قوله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون واختار هذا الزجاج وقال زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقياء للمعصية وقال الكلبي المعنى الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده في الشدة دون النعمة كما في قوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال جماعة الا ليخضعوا لي ويتذللوا ومعنى العبادة في اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيته منقاد لما قدره عليه خلقهم على ما اراد وورزقهم كما قضى لا يملك احد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا ووجه تقديم الجن على الانس ههنا تقدمهم وجودهم قال ابن عباس في الآية ليقروا بالعبودية طوعا او كرها وعنه قال على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي وشقوتي وسعادتي وقيل هذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم لان هذا البعض وان لم يعبد الله لكن فيه التهيأ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة وهذا احسن ما اريد منهم من رزق وما اريد

يطعمون هذه الجملة فيها بيان استغنائه سبحانه عن عباده وانه لا يريد منهم منفعة كما يريده السادة من عبيدهم بل هو الغني المطلق الرازق المعطي وقيل المعنى ما اريد منهم ان يرزقوا احدا من عبادي ولا ان يرزقوا انفسهم ولا يطعموا احدا من خلقي ولا يطعموا انفسهم وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله فمن اطعم عيال الله فهو كمن اطعمه وهذا ——— كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله عبدي استطعمتك فلم تطعمني اي لم تطعم عبادي ومن زائدة لتوكيد العموم ثم بين سبحانه انه هو الرزاق لا غيره فقال إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ لا رازق سواه ولا معطي غيره فهو الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم فلا يشتغلوا بغير ما خلقوا له من العبادة وفيه تعليل لعدم ارادة الرزق منهم ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في تمامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك قرأ الجمهور برفع الصفتين على انه وصف لرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ مضمر وعلى كل تقدير فهو تأكيد لان ذو القوة يفيد فائدته وقرئ بالجر صفة للقوة والتذكير لكون تأنيثها غير حقيقي قال الفراء كان حقه المتينة فذكرها لانه ذهب بها الى الشيء المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين اي محكم الفتل ومعنى المتين هنا الشديد القوة قال ابن عباس المتين الشديد فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا انفسهم بالكفر والمعاصي من اهل مكة وغيرهم ذَنُوبًا اي نصيبا من العذاب مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ اي نصيب الكفار من الامم السالفة قال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة ومن استعمال الذنوب في النصيب من الشيء قول الشاعر لعمرك والمنايا طارقات + لكل بني اب منها ذنوب + وما في الآية مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلو الكبيرة فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب فهو تمثيل بجعل الذنوب مكان الحظ والنصيب قاله ابن قتيبة وقيل عبر عن النصيب بالذنوب لشبهه به في انه يصب عليهم العذاب كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم قال ابن عباس ذنوبا دلوا قال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ اي فلا تطلبوا مني اعجل لكم العذاب كما في قوله فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ووضع الموصول ووضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بعلة الحكم مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ العذاب قبل

هو يوم القيامة وقيل يوم بدر والاول اولى

سورة الطور وهي تسع او ثمان او اربع وارابعون اية

وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت الطور بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعن ام سلمة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جنب البيت بالطور وكتاب مسطور اخرجه البخاري وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور قال الجوهري والقرطبي هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قال مجاهد والسدي الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينا قال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سينا وللاخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل مدين واسمه زبير قلت ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام وقيل ان الطور كل جبل ينبت الشجر المثمر وما لا ينبت فليس بطور فاقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفا له وتكريما وتذكيرا بما فيه من الآيات قال ابن عباس الطور جبل عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطور جبل من جبال الجنة اخرجه ابن مردويه وكثير ضعيف جدا وكتاب مسطور اي مكتوب متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة والسطر الصف من الشيء يقال بنى سطرا والسطر ايضا الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر وبابه نصر وسطر ايضا بفتحتين والجمع اسطار كسبب واسباب وجمع الجمع اساطير وجمع السطر السطر وسطور كاقلس وفلوس والمراد بالكتاب القرآن وذكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب او للاشعار بانه ليس مما يتعارفه الناس وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل جميع الكتب المنزلة وقيل ما تكتبه الحفظة قاله الفراء وغيره ومثله ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله اذا الصحف نشرت وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل انه الكتاب الذي كتبه الله تعالى للملائكة في السماء يقرأ فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتبه الله في قلوب الاولياء من المؤمنين بيانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقيل يعد في رق اي مكتوب في رق وهو الصحيفة

قال الجوهري الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور قال المبرد الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه قال ابو عبيد وجمعه رقوق قال الراغب الرق كل ما يكتب فيه جلدا كان او غيره وقرئ بفتح الراء ويجوز كسرها كما قرئ به شاذا واما الرق الذي هو ملك الارقاء فهو بالكسر لا غير يقال عبد رق وعبد مرقوق مَنْشُورٍ مبسوط مفتوح غير مطوي لا ختم عليه او لا يخ وهو بالنسبة للتوراة الالواح التي انزلت على موسى وبالنسبة للقرآن المصحف وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ بكثرة الغاشية والاهل والزوار من الملائكة قيل هو في السماء السابعة وقيل في سماء الدنيا وقيل هو الكعبة فعلى القولين الاولين يكون وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل اليه من الملائكة ويعبد الله فيه وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة او مجازا باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بني آدم وقيل هو في السماء الثالثة او السادسة او الرابعة فهذه اقوال ستة في محل البيت المعمور وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة اخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وفي الصحيحين وغيرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة ثم رفع لي البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابي الطفيل ان ابن الكوى سأل عليا عن البيت المعمور فقال ذاك الضراح بيت فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ابدا الى يوم القيامة ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عمر ورفعه ان البيت المعمور لبحيال الكعبة لو سقط منه شيء لسقط عليها يصلي فيه كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه وعن ابن عباس نحوه وضعف اسناده السيوطي وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ يعني السماء سماها سقفا لكونها كالسقف للارض ومنه قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقيل هو العرش وهو سقف الجنة وقال علي السماء وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ اي الموقد المحمى من السجر وهو ايقاد النار في التنور ومنه قوله واذا البحار سجرت وقد ورد ان البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا وقيل المسجور المملوء بالماء وهو البحر المحيط كما ذكره العمادي قيل انه من من اسماء الاضداد يقال بحر مسجور اي مملوء وبحر مسجور اي فارغ خال وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه وقال ابو العالية المسجور الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل المسجور المفجور ومنه

الضراح البيت المعمور في السماء وهو البيت المتوسط صحاح الجوهري

قوله واذا البحار فجرت وقال الربيع بن انس هو الذي يختلط فيه العذب بالملح والاول اولى وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب والاخفش وغيرهم وعن علي في الآية قال بحر في السماء تحت العرش وعن ابن عمر مثله وقال ابن عباس المسجور المحبوس وعنه المرسل والواو الاولى للقسم والباقي للعطف اقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله ان عذاب ربك لواقع اي كائن لا محالة فلمن يستحقه ما له من دافع يدفعه ويرده عن اهل النار خبر ثان لان او صفة لواقع ومن مزيدة للتاكيد ووجه تخصيص هذه الامور بالاقسام بها انها عظيمة دالة على كمال القدرة الربانية يوم تمور السماء موراً اي انه لواقع في هذا اليوم والمور الاضطراب والحركة قال اهل اللغة ماد الشيء يمور موراً اذا تحرك ودار وجاء وذهب قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن عباس تحرك وقال الضحاك يموج بعضها في بعض وقال مجاهد تدور دوراً وقيل تجري جرياً وقيل تتكفأ قاله الاخفش قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني اذ هو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب ويطلق المور على الموج ومنه ناقة موّارة اليد اي سريعة تموج في مشيها موجاً ومعنى الآية ان العذاب يقع بالعصاة ولا يدفعه عنهم واقع في هذا اليوم الذي تكون فيه السماء هكذا وهو يوم القيامة وقيل ان السماء ههنا الفلك ومروره اضطراب نظمه واختلاف سيره وتسير الجبال سيراً اي تزول عن اماكنها وتسير عن مواضعها كسير السحاب وتطير في الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن اي الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثاً كما دل عليه كلامه في سورة النمل قيل ووجه تاكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاعلام والانذار بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا لخرابها وعمارة الاخرة وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الكهف فويل يومئذ للمكذبين ويل كلمة عذاب يقال للهالك واسم واد في جهنم وانما دخلت الفاء لان في الكلام معنى المجازاة اي اذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم اي شدة عذاب ثم وصف المكذبين بقوله الذين هم في خوض يلعبون اي في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون لا يذكرون حساباً ولا يخافون عقاباً والمعنى انهم يخوضون في امر محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والاستهزاء وقيل يخوضون في اسباب الدنيا ويعرضون عن الاخرة والخوض من المعاني الغالبة فانه يصير للخوض في كل شيء بالاطلاق

غلب في الخوض في الباطل كالاحضار فانه عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب
قال تعالى لكنت من المحضرين ونظيره في الاسماء الغالبة دابة فانها غلبت في ذوات الاربع و
القوم غلب في الرجال افاده الكرخي اخذا عن حواشي الكشاف يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ
دَعًّا الدع الدفع بعنف وجفوة يقال دعته ادعّه دعّا اي دفعته ـــــ قال الراغب
اصله ان يقال للعاثر دع ودع وهذا بعيد من هذه اللفظة والمعنى انهم يدفعون الى النار
دفعا عنيفا شديدا قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم
يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم وقرئ يُدَعُّون مخففا من الدعاء اي يدعون الى النار
قال ابن عباس يدعون يدفعون اي يدفع في اعناقهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال
لهم خزنتها هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ في الدنيا ثم وبخهم
سبحانه او امر ملائكته بتوبيخهم فقال أَفَسِحْرٌ هَٰذَا الذي تشاهدون وترون كما كنتم تقولون
لرسل الله المرسلة ولكتبه المنزلة هذا سحر وقدم الخبر هنا على المبتدأ لانه الذي وقع الاستفهام
عنه وتوجه التوبيخ اليه أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ اي ام انتم اعمى عن هذا كما كنتم عميا عن الحق في
الدنيا وهذا ايذاء قوله في الدنيا انما سكرت ابصارنا وظاهر كلام الكشاف ان ام منقطعة حيث
قال ام انتم عني عن الخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم وفي التفسير الكبير
هل في امرنا سحر ام هل في بصركم خلل اي لاواحد منهما فاتت فجعلها معادلة اصْلَوْهَا اي اذا
لم يمكنكم انكارها وتحققتم ان ذلك ليس بسحر ولم يكن في ابصاركم خلل فالآن ادخلوها وقاسوا
شدتها فَاصْبِرُوا على العذاب أَوْ لَا تَصْبِرُوا وافعلوا ما شئتم فالامران سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ في عدم
النفع قاله ابو حيان وبه قال ابو البقاء وقيل سواء عليكم الصبر وعدمه واليه نحا الزمخشري
والاول احسن لان جعل النكرة خبرا اولى من جعلها مبتدأ وجعل المعرفة خبرا إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ تعليل للاستواء فان الجزاء بالعمل اذا كان واقعا
حتما كان الصبر وعدمه سواء إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ لما فرغ سبحانه من ذكر حال
المجرمين ذكر حال المتقين والجملة مستأنفة ومن جملة ما يقال للكفار زيادة في غمهم وحسرتهم
والتنوين في جنات ونعيم للتفخيم فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ يقال رجل فاكه اي ذو فاكهة كما قيل

لابن وتامر والمعنى انهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل ذوو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما اراهم الله عز وجل مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تقدم بيان معنى هذا قرأ الجمهور فاكهين بالالف والنصب على الحال وقرئ بالواو على انه خبر بعد خبر وقرئ فكهين وفكه طيب النفس كما تقدم في الدخان ويقال للاشر والبطر ولا يناسب التفسير ههنا والمفاكهة الممازحة وتفكه تعجب وقيل تندم قال تعالى فظلتم تفكهون اي تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى اذ التفكه ليس باعطاء الرب بل بالمعطي وقيل موصولة والباء على اصلها او بمعنى في وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ معطوف على الصلة او حال بتقدير قد او معطوف على في جنات والاول اظهر كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا اي يقال لهم ذلك والهني ما لا تنغيص فيه وقد تقدم وقال الزجاج اي ليهنكم ما صرتم اليه هنا والمعنى كلوا طعاما هنيئا وقد تقدم تفسير هنيئا في سورة النساء وقال ابن عباس هنيئا اي لا تموتون فيها فضدها قالوا فما نحن بميتين الموتتنا الاولى وما نحن بمعذبين بما اي بسبب ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا للاخرة مُتَّكِئِينَ على نمارق عَلَى سُرُرٍ بضم الراء الاولى جمع سرير وقرئ بفتحها مَصْفُوفَةٍ قال ابن الاعرابي المصفوفة المتصل بعضها ببعض حتى تصير صفا اي موضوعة بعضها الى بعض قيل سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وايلة وَزَوَّجْنَاهُمْ قال يونس بن حبيب تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت بامرأة وليس من كلام العرب زوجته بامرأة قال وقول الله تعالى وزوجناهم بِحُورٍ عِينٍ اي قرناهم وقال الفراء زوجته بامرأة لغة ازدشنوءة وانما قلنا قرناهم لان الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح يقال زوجت ابلي اي قرنت بعضها الى بعض وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح قرأ الجمهور بحور عين من غير اضافة وقرأ عكرمة باضافة الحور الى العين وهن عظام الاعين حسانها شداد بياض الاعين وقد تقدم تفسيرها في سورة الدخان ولما فرغ سبحانه من ذكر اهل الجنة على العموم ذكر حال طائفة منهم على الخصوص فقال وَالَّذِينَ آمَنُوا فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب بفعل مقدر اي واكرمنا الذين امنوا والثاني انه مجرور على ما قاله الزمخشري والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بحور عين وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء مهرية متمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان قال ابو حيان ولا يتخيل احد ان قوله والذين آمنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخييل اعجمي

مخالف لفهم العربي ابن عباس وغيره قلت اما ما ذكره ابو القاسم المعنى فلا شك في حسنه ونضارته وليس في الكلام العربي ما يدفعه بل لو عرض على ابن عباس وغيره لاعجبهم واي مانع معنوي او صناعي يمنعه والثالث انه مرفوع على انه مبتدأ والخبر الجملة من قوله الحقنا بهم والاول اولى وقيل المراد بالذين امنوا المهاجرون والانصار وظاهر الآية العموم ولا يوجب تخصيصها بهم كونهم السبب في نزولها ان صح ذلك فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واتبعتهم ذريتهم بايمان اي حال كون الذرية متلبسة بايمان استقلالي او تبعي اما الذرية الكافرة فلا تتبع اباءها وهذا على ان الباء للملابسة لكن جمهور المفسرين على انها للسببية او بمعنى في وبهذا الاعتبار لا يظهر دخول الاولاد الكبار فان ايمانهم استقلالي لا تبعي كالصغار وقال ابو السعود اعتبار هذا القيد للايذان بتبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ اتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه كقوله الحقنا وقرأ اتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية وقرئ ذريتهم بالافراد والجمع ومعنى الآية ان الله سبحانه يرفع ذرية المؤمن اليه وان كانوا دونه في العمل لتقر عينه وتطيب نفسه بشرط ان يكونوا مؤمنين فيختص ذلك بمن يتصف بالايمان من الذرية وهم البالغون دون الصغار فانهم وان كانوا الاحقين بآبائهم قبل ليل آخر غير هذه الآية وقيل ان الذرية تطلق على الكبار والصغار كما هو المعنى اللغوي فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذريتهم وكبارهم الحقنا بهم ذريتهم الذرية هنا تصدق على الاباء وعلى الابناء فان المؤمن اذا كان عمله اكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان او اباً وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها اخذ علم او عمل كانت اجدر فتكون ذرية الافادة كالذرية الولادة قاله الخطيب ولعل الاول اولى وقيل ان الضمير في بهم راجع الى الذرية المذكورة او الاي الحقنا بالذرية المتبعة لآبائهم بايمان ذريتهم والحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم وهذا هو الايق بكمال اللطف قال ابن عباس ليغ في الآية ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم قرء هذه الآية واخرجه البزار وابن مردويه عنه مرفوعا وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن ابويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيومر بالحاقهم به اخرجه الطبراني وابن مردويه وعن علي

بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين امنوا الآية اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد المسند وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب من اين لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك اخرجه احمد واسناده صحيح

وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ قرئ بفتح اللام من التنا وبكسرها وهما سبعيتان اي وما نقصنا الآباء بالحاق ذرياتهم بهم من ثواب اعمالهم شيئا وقيل المعنى وما نقصنا الذرية من اعمالهم شيئا لقصور اعمالهم والاول اولى وقد قدمنا تحقيق معنى لاته والاته في سورة الحجرات وقرئ والتناهم بالمد وهو لغة قال في الصحاح يقال ما آلاته من عمله شيئا اي ما نقصته قال ابن عباس ما التناهم ما نقصناهم ومن زائدة كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ يعني مرهون والظاهر انه عام وان كل انسان مرتهن بعمله فان قام به على الوجه الذي امر الله به فكه والا اهلكه وقيل هو بمعنى راهن والمعنى كل امرء بما كسب ثابت حاثر وقيل هذا خاص بالكفار لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ثم ذكر سبحانه ما امدهم به من الخير فقال وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ اي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقنا فواكه متنوعة ولحوما من انواع اللحمان مما تشتهيه انفسهم ويستطيبونه من فنون النعماء وانواع الآلاء وان لم يقترحوا ولم يصرحوا بطلبه بل مجرد ما يخطر على قلوبهم يقدم اليهم يَتَنَازَعُونَ فِيهَا اي يتعاطون ويتناولون ويتعاورونهم وجلساؤهم من اقرانهم كأسا اي يتجاذب بعضهم الكاس من بعض هذا من يد هذا وهذا من يد هذا تارة وتارة والكاس اناء الخمر ويطلق على كل اناء مملوء من خمر او غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى به ولا ما فيه اثم كما يجري بين من يشرب الخمر في الدنيا واللغو من الكلام هو الذي لا نفع فيه ولا مضرة والتأثيم تفعيل من الاثم والضمير في فيها راجع الى الكاس وقيل الى الجنة ولا يجري فيها ما فيه اثم والاول اولى قال ابن قتيبة لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا ولا يكون منهم ما يوثمهم وقال الضحاك لا تأثيم اي لا كذب قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن حيان لا فصل فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها قال ابن عباس لا باطل

ولا كذب فيها ويطوف عليهم غلمان لهم اي يطوف عليهم بالكاس والفواكه والطعام والتحف وغير ذلك مما يملك لهم وقيل اولادهم قال الكرخي لم يضفهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشغل كل من خدم احدا في الدنيا ان يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وقيل انهم من اخدمهم الله تعالى اياهم من اولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدا وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية التنعم كانهم في الحسن واللطافة والبهاء من بياضهم وصفائهم لؤلؤ مكنون اي مستور مصون في الصدف لم تمسه الايدي لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قال الكسائي كننت الشيء سترته وصنته من الشمس وكننته جعلته في الكن ومنه كننت الجارية واكننتها فهي مكنونة واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة فيحمدون الله الذي اذهب عنهم الحزن والخوف والهم وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق وما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة وقيل يقول بعضهم لبعض بما صرتم في هذه المنزلة الرفيعة وقيل ان التساؤل بينهم عند البعث من القبور والاول اولى لدلالة السياق على انهم قد صاروا في الجنة اخرج البزار عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير فيتحدثان فيتكيء ذا ويتكيء ذا فيتحدثان بما كانوا في الدنيا فيقول احدهما يا فلان تدري اي يوم غفر الله لنا يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا قالوا مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل فقيل قالوا ايماء الى علة الوصول لما هم فيه من النعيم ومحط العلة قوله الآتي فمن الله علينا انا كنا من قبل اي من قبل الآخرة وذلك في الدنيا في اهلنا مشفقين اي خائفين وجلين من عذاب الله او كنا خائفين من عصيان الله او من نزع الايمان وفوت الامان او من رد الحسنات والاخذ بالسيئات والمقصود اثبات خوفهم في سائر الاوقات والاحوال بطريق الاولى فان كونهم بين اهليهم مظنة الامن فاذا خافوا في تلك الحال فلان يخافوا دونها اولى ولعل الاولى ان يجعل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله الآتي انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله فمن الله علينا بالمغفرة والرحمة او بالتوفيق لطاعته

ووقنا عذاب السموم يعني عذاب جهنم والسموم من اسماء جهنم كذا قال الحسن ومقاتل وقال الكلبي وابو عبيدة هو عذاب النار وقال الزجاج سموم جهنم ما وجد من حرها قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في البرد وهو في لغة الشمس والحر الكثير وقيل سميت الريح سموما لانها تدخل المسام وهي في الاصل الريح الحارة التي تخلل المسام والجمع سمائم وقيل سم يوما اي اشتد حره قالت عائشة لو فتح الله على اهل الارض من عذاب السموم قدر الانملة لاحرقت الارض ومن عليها وقالوا ايما ايضا لعلة الوصول انا كنا من قبل ندعوه اي نوحد الله ونعبده ونسأله ان يمن علينا بالمغفرة والرحمة ومحط العلة قوله انه هو البر الرحيم قرئ انه بكسر الهمزة على الاستيناف وبفتحها اي لانه هو البر كثير الاحسان وقيل اللطيف قاله ابن عباس والرحيم كثير الرحمة لعباده فذكر اي اثبت ودم على ما انت عليه من الوعظ والتذكير فما انت بنعمة ربك التي انعم بها عليك من رجاحة العقل وعلو الهمة والنبوة وكرم الفعال وطهارة الاخلاق او ما انت في حال ما ذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وقيل المعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا بمعسر بحمد الله وغناه وقيل الباء للقسم والتقدير ما انت ونعمة الله بكاهن ولا مجنون والكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب من دون وحي اي ليس ما تقوله كهانة فانك انما تنطق بالوحي الذي امرك الله تبلغه والمقصود من الآية رد ما كان يقوله المشركون انه كاهن او مجنون أم يقولون شاعر اي هي المنقطعة وقد تقدم الخلاف هل هي مقدرة ببل والهمزة او ببل وحدها قال الخليل هي هنا للاستفهام قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم قال النحاس يريد سيبويه ان ام في كلام العرب للخروج من حديث الى حديث اي لا ينبغي منهم هذا القول ولا يليق قال الكواشي وانما قدرت ببل لان ما بعدها متيقن وما بعد ام مشكوك فيه مسئول عنه وذكرت ام هنا خمس عشرة مرة وكلها للزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب لكن قال الثعلبي نقلا عن الخليل ان كل ما في سورة الطور من ام فهو استفهام وليس بعطف وانما استفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره اجاهل انت مع علمه بجهله تتربص به بالسناد الفعل الى جماعة المتكلمين وقرئ على البناء للمفعول نعت لشاعر وقد كانت العرب تتحدث عن اذية الشاعر فقالوا لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره

ع ٢٨

وانما نتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وغيرهما ونتظر به حوادث الايام فيموت كما مات غيره او يهلك كما هلك من قبله والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وسمي الدهر منونا لانه يقطع الاجل واطلاق الريب على الحوادث استعارة تصريحية شبهت بالريب اي الشك لانها لا تدوم ولا تبقى على حال كما انه كذلك قال الاخفش المعنى نتربص الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدا اي الى زيد قال الاصمعي المنون واحد لا جمع له قال الفراء يكون واحدا وجمعا وقال الاخفش جمع لا واحد له قال ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا الى دار الندوة في امر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احبسوه في وثاق وتربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كاحدهم فانزل الله في ذلك هذه الاية وقال ابن عباس ريب المنون الموت ثم امره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال قُلْ تَرَبَّصُوا اي انتظروا موتي او هلاكي امر تهديد لا ايجاب او ندب او اباحة لان تربصهم هلاكه حرام لا محالة فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ لموتكم او هلاكم أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا اي بل اتامرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض فان الكاهن هو المفرط في الفطنة والذكاء ودقة النظر والمجنون هو ذاهب العقل مغطى على فهمه فضلا عن ان تكون له فطنة وذكاء والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون قال الواحدي قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالاحلام والعقول فازرى الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل وفي القاموس الحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع احلام وحلوم فامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ اي بل اطغوا وجاوزوا الحد في العناد فقالوا ما قالوا وهذه الاضرابات من شيء الى شيء مع الاستفهام كما هو مدلول ام المنقطعة تدل على ما تعقبها اشنع مما تقدمها والكل زجرا وردعا أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ اي اختلق القرآن من جهة نفسه وافتعله والتقول لا يستعمل الا في الكذب في الغالب وان كان اصله تكلف القول ومنه اقتال عليه ويقال اقتال عليه بمعنى تحكم عليه ثم اضرب سبحانه عن قوله بقولهم وانتقل الى ما هو اشد شناعة عليهم فقال بَل لَّا يُؤْمِنُونَ اي سبب صدور هذه الاقوال المتناقضة عنهم كونهم كفارا لا يؤمنون بالله ولا يصدقون ما جاء به رسوله استكبارا

ثم تحداهم سبحانه والزمهم الحجة فقال فليأتوا بحديث مختلق مفتعل مثله اي مثل القران
في نظمه وحسن بيانه وبديع اسلوبه قال الرازي والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه لم
يقل فليأتوا مطلقا بل قال ان كانوا صادقين فيما زعموا من قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله
من عند نفسه وجاء به من جهته فهو امر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به
مع انه كلام عربي وهم رؤس العرب وفصحاؤهم والممارسون بجميع الاوضاع العربية من نظم ونثر
ام خلقوا من غير شيء ام هي المنقطعة كما تقدم فيما قبلها وكما سيأتي فيما بعدها اي بل اخلقوا
على هذه الكيفية البديعة والصنعة العجيبة من غير خالق لهم قال الزجاج اي اخلقوا اباطلا
لغير شيء لا محاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ويجعل من بمعنى اللام قال ابن كيسان ام خلقوا
عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون وقيل المعنى ام خلقوا من غير اب ولا ام فهم كالجماد لا
يفهمون ولا تقوم عليهم حجة ام اي بل ايقولون هم الخالقون لانفسهم فلا يؤمرون ولا
ينهون مع انهم يقرون ان الله خالقهم واذا الزمتهم الحجة قال الجلال المحلي ولا يعقل
مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم يوحدوه ويؤمنوا
برسوله وكتابه ام خلقوا السموات والارض وهم لا يدعون ذلك فلزمتهم الحجة ولهذا اضرب
عن هذا وقال بل لا يوقنون اي ليسوا على يقين من الامر بل يخبطون في ظلمات الشك في
وحدانية الله وربوبيته والا لامنوا بنبيه وهذا فيه مزيد تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم كما طعنوا
فيك طعنوا في خالقهم ام عندهم خزائن ربك اي خزائن ارزاق العباد وقيل مفاتيح الرحمة
وقال مقاتل يقول بايديهم صفائح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وكذا قال عكرمة وقال
الكلبي خزائن المطر والرزق وقيل مقدوراته وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع
انواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها
ام هم المصيطرون اي المسلطون الغالبون القاهرون الجبارون وقيل الاربابالقاهرون
فلا يكونون تحت امر ولا نهي ويفعلون ما يشاؤن من سيطر عليه اذا راقبه وحفظه او قهره
ولم يات على مفيعل الا خمسة الفاظ اربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر
واحد اسم جبل وهو المجيمر قال في الصحاح المصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله

أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون

ويكتب عمله وأصله من السطر لان الكتاب يسطر اي هم الحفظة قال ابو عبيدة سطرت علي اي انخلتني خولك قرئ المصيطرون بالصاد الخالصة وبالسين الخالصة وقرئ بصاد مشمة زايا أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ اي بل ايقولون ان لهم سلما ومرقى منصوبا الى السماء يصعدون به ويستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى اليهم ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي حتى تمكنهم منازعة النبي صلى الله عليه وسلم بزعمهم وهذا الزعم منهم على سبيل الفرض والتقدير ولم يقع منهم بالفعل لانهم لما كانوا على حالة المعاندة والمعارضة كانهم ادعوا ذلك وقيل في بمعنى على اي يستمعون عليه كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل قاله الاخفش وقال ابو عبيد يستمعون به وقال الزجاج المعنى انهم كجبريل الذي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وقيل اي صاعدين فيه فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُوهُمْ ان ادعى ذلك بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اي بحجة ظاهرة واضحة بينة أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ اي بل ايقولون لله البنات وَلَكُمُ الْبَنُونَ سفه سبحانه احلامهم وضل عقولهم وقوبخهم اي ايضيفون الى الله البنات وهي اضعف الصنفين ويجعلون لانفسهم البنين وهم اعلاهما وفيه اشعار بان هذا رأيه فهو محل سافل في الفهم والعقل فلا يستبعد منه انكار البعث وجحد التوحيد ثم رجع سبحانه الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا اي بل انسألهم اجرا يدفعونه اليك على تبليغ الرسالة فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ اي من التزام غرامة تطلبها منهم مُثْقَلُونَ اي مجهودون بحملهم ذلك المغرم الثقيل ومتعبون ومغمون من اثقله الحمل اتعبه لكن هذا الثقل معنوي لان العادة ان من غرم انسانا مالا يعيره الغارم مغتما منه وكارها له فلا يسمع قوله ولا يمتثله قال قتادة يقول هل سألت هؤلاء القوم اجرا فجهدهم فلا يستطيعون الاسلام أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اي بل ايدعون ان عندهم الغيب وهو ما في اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فالغيب بمعنى الغائب والالف واللام في الغيب بمعنى النوع لا للعهد ولا لتعريف الجنس فالمراد نوع الغيب وهذا الزعم فرضي لم يقع منهم بالفعل لانهم على حالة من المكابرة والمعارضة بحيث ينسب اليه مثل هذا الزعم قال قتادة هذا جواب لقول لهم نتربص به ريب المنون يقول الله ام عندهم الغيب حتى علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذلك بعدما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب قال ابن قتيبة معنى يكتبون يحكمون بما يقولون أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا اي مكرا برسول الله صلى الله

عليه وسلم فيهلكونه بذلك المكر فالذين كفروا هذا من وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل امر يريدون كيدا فهم هم المكيدون اي المكور بهم المجزيون بكيدهم فضرر كيدهم يعود عليهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله او حكم على جنسهم نوع منه فيندرجون فيه اندراجا اوليا لتوغلهم في هذه الصفة وكان هذا المكر والتحيل و الكيد في دار الندوة وهي دار من دور اهل مكة والظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة ثم اهلكهم الله تعالى ببدر عند انتهاء سنين عدة ما هنا من كلمة ثم وهي خمس عشرة فان بدرا كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشر من النبوة واذلهم في غير موطن ومكر سبحانه بهم ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ام لهم اله غير الله اي بل ايدعون ان لهم الها غير الله يحفظهم ويرزقهم وينصرهم وهذا استفهام انكاري على معنى نفي الحصول من اصله اي ليس لهم في الواقع اله غير الله وعلى معنى نفي الانبغاء واللياقة بالنظر لاعتقادهم ان هناك الهة غيره ثم نزه سبحانه نفسه عن هذه المقالة الشنعاء فقال سبحان الله عما يشركون ما يحتمل وجهين احدهما ان تكون مصدرية معناه سبحانه عن اشراكهم ثانيهما خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل ان يكون التنزيه عن الولد لانهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان عن البنات والبنين وان يكون عن مثل الالهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه ثم ذكر سبحانه بعض جهالاتهم فقال وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشيء والمركوم المجعول بعضه على بعض قال الفراء من قرأ كسفا بكسر الكاف وسكون السين جعله واحدا ومن قرأ كسفا بكسر الكاف وفتح السين جعله جمعا وهذا الكلام على سبيل الفرض والتقدير فمن المعلوم ان قريشا لم ينزل عليهم قطع من السماء تعذيبا لهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم كانه يقول لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم يبتهوا ولم يرجعوا ويقولوا في هذا النازل عنادا واستهزاء واغاظة لمحمد انه سحاب مركوم ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتركهم فقال فذرهم اي اتركهم وخل عنهم جواب شرط مقدر اي اذا بلغوا في الكفر والعناد

الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
اي يوم موتهم او يوم قتلهم ببدر وهو الظاهر قاله البقاعي او يوم القيامة قرئ يلاقوا ويلقوا ويصعقون
على البناء للمفعول وللفاعل عند السبعة فالاولى يحتمل ان تكون من صعق فهو مصعوق وان تكون من اصعق
رباعيا يقال اصعق فهو مصعق وللغضان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي بضم الياء وكسر العين توذن بان افعل
بمعنى فعل والصعقة الهلاك على ما تقدم ببيانه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي لا يقعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي
كادوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ولا هم ينصرون اي ولا يمنع عنهم العذاب النازل
بهم مانع بل هو واقع بهم لا محالة وان للذين ظلموا اي لهؤلاء الذين ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي عذابا في الدنيا دون ذلك اي غير عذاب يوم القيامة اي قبله وهو قتلهم يوم
بدر وقال ابن زيد هو مصائب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال
والاولاد وقال مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين وقيل عذاب القبر قبل يوم القيامة قاله ابن عباس
وقيل المراد بالعذاب هو القحط والجوع قبل يوم بدر لانه كان في ثانية الهجرة والقحط وقع لهم قبلها
بما الذي ياتي بعده هو قتلهم يوم بدر ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يصيرون اليه من عذاب
الله وصا اعده لهم في الدنيا والاخرة واصبر لحكم ربك الى ان يقع لهم العذاب الذي وعدناهم
به فانك باعيننا اي بمرائ ومنظر منا او في حفظنا وحمايتنا فلا تبال بهم قال الزجاج انك بحيث
نراك ونحفظك ونرعاك فلا يصلون اليك وانما جمع لفظ الاعين مع ان مدلوله واحد والمعول
لمناسبة نون العظمة وسبح بحمد ربك اي نزه ربك عما لا يليق به متلبسا بحمد ربك على انعامه
عليك اي قل سبحان الله وبحمده حين تقوم من مجلسك قال عطاء وسعيد وسفيان الثوري
وابو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول سبحان الله وبحمده او سبحانك اللهم وبحمدك
عند قيامه من كل مجلس يجلسه وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع بن انس حين تقوم الى الصلوة
قال الضحاك يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وفيه نظر لان التكبير
يكون بعد القيام لاحال القيام ويكون التسبيح بعد التكبير وهذا غير معنى الاية والاول اولى
وقيل المعنى صل لله حين تقوم من مقامك وبه قال ابو الجوزاء وحسان بن عطية وقال الكلبي
وابن عباس واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل الصلوة وهي صلوة الفجر

وعن ابي برزة الاسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخرة اذا قام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فقال رجل يا رسول الله انك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى قال كفارة لما يكون في المجلس اخرجه ابو داود والنسائي والحاكم وابن مردويه وابن ابي شيبة واخرجه النسائي والحاكم عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك اخرجه ابن جرير والترمذي وقال حسن صحيح وفي الباب احاديث مسندة ومرسلة وقيل حين تقوم من صلاتك عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة باي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ من نومه فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه ابو داود والنسائي ومن الليل فسبحه امره الله سبحانه ان يسبحه في بعض الليل حقيقة ايضا قال مقاتل اي صل المغرب والعشاء وقيل ركعتي الفجر وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال الركعتان قبل صلوة الصبح اخرجه ابن مردويه وادبار النجوم اي وقت ادبارها من اخر الليل وقبل صلوة الفجر واختاره ابن جرير وقيل هو التسبيح في ادبار الصلوات وقال ابن عباس ركعتي الفجر وقيل سنة الصبح قرئ ادبار بالكسر على انه مصدر وبفتحها على الجمع اي اعقاب النجوم وادبارها اذا غربت ودبر الامر اخره

وقد تقدم الكلام على هذا في سورة ق ٢٢

سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون اية

جميعها في قول الجمهور وعن ابن عباس وعكرمة الا اية منها وهي قوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاية وقيل ان السورة كلها مدنية والصحيح هو الاول واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال اول سورة انزلت فيها سجدة والنجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الناس كلهم الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف رضي عنه

قال اول سورة ايستعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها النجم وعن ابن عمر قال صلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ والنجم فسجد بنا واطال السجود وعن زيد بن ثابت قال قرأت على النجم عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد فيها اخرجه احمد والبخاري في مسلم وابو داود والترمذي والنسائي والطبراني والطيالسي وابن ابي شيبة وابن مردويه وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في النجم بمكة فما زاد الا بالمدينة تركها وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول الى المدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم الكوكب وسمي به لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والنبت والقرن اذا طلع والتعريف للجنس هو والمراد به جنس النجوم يعني نجوم السماء كلها حين تغرب اقسم الله بالنجوم اذا غابت وليس يمتنع ان يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع وبه قال جماعة من المفسرين وقيل المراد به الثريا وهو اسم غلب عليها تقول العرب النجم وتريد به الثريا وبه قال مجاهد وابن عباس وغيرهما وان كانت في العدد نجوما يقال انها سبعة لنجم ستة ظاهرة وواحدة خفية يمتحن الناس بها ابصارهم وفي الشفاء للقاضي عياض ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وقيل المراد بالنجم الشعرى لذكرها في قوله تعالى وانه رب الشعرى وقال السدي النجم هنا هو الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل النجم هنا النبت الذي لا ساق له كما في قوله والنجم والشجر يسجدان قاله الاخفش وقيل النجم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل النجم القرآن وسمي نجما لانه نزل منجما مفرقا والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق المنجم به قال مجاهد والفراء وغيرهما والاول اولى قال الحسن المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد بها النجوم التي ترجم بها الشياطين اذا هوى اي اذا انصب اخرجه ابن جرير عن ابن عباس وانتثر ومعنى هويه سقوطه من علو يقال هوى النجم يهوي هويا اذا سقط من علو الى سفل وقيل غروبه وقيل طلوعه والاول اولى وبه قال الاصمعي وغيره ويقال هوى في السير اذا مضى قال الراغب الهوي ذهاب في انحدار وفي ارتفاع وقيل هوى في اللغة خرق الهواء ومقصده السفل او مصيره اليه وان لم يقصده ومعنى الهوي على قول من فسر النجم بالقرآن انه نزل من اعلى الى اسفل واما على قول من قال انه الشعر الذي لا ساق له او انه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يظهر للهوي معنى صحيح وفي العامل في هذا الظرف اوجه وعلى كل منها اشكال ذكرها السمين لا نطول الكلام بذكرها هنا وجواب القسم قوله ما ضل صاحبكم وما غوى اي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما

ولا عدل عنه والغي ضد الرشد اي ما صار غاويا ولا تكلم بالباطل وقيل ما اخطأ فيما اطلب الى الخيبة وبين الضلال والغي التباين الكلي فان الضلال فعل الجاهل والغي هو الجهل المركب بتقدير اتحادهما يكون ذلك من باب التاكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى والاول اولى وهو من عطف الخاص على العام للاهتمام بشان الاعتقاد وايضاحه ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد لا صالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد وهذا الثاني يقال له غي وفي قوله صاحبكم اشارة بانهم المطلعون على حقيقة حاله والتعبير بالصحبة مع كونها ادل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومقصحة عليهم اتهامه في انذاره وهم يعرفون طهارة شمائله والخطاب لقريش قال ابن عباس اقسم الله ان ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم ولا غوى وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره فعن على بانها ومثل النطق الفعل وقال ابو عبيدة ان عن بمعنى الباء اي بالهوى قال قتادة اي ما ينطق بالقرآن عن هوى نفسه ان هو الا وحي يوحى اي ما هو الذي ينطق به من القرآن وكل احواله واقواله وافعاله الا وحي من الله يوحيه اليه ويوحى صفة لوحي تفيد الاستمرار التجددي وتفيد نفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا المجرد التسمية كما تقول هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فائدة والآية دليل على كون السنة المطهرة وحيا يوحى علمه شديد القوى جمع قوة والمعنى انه علمه جبريل الذي هو شديد قواه هكذا قال اكثر المفسرين وقال الحسن هو الله عز وجل والاول اولى وهو من باب اضافة الصفة الى الموصوف ومن شدة قوته انه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده اسرع من رجعة الطرف وهذه القوة ثابتة له ولو كان على صورة الآدميين ذو مرة اي قوة وشدة في الخلق وقيل ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقيل ذو حصافة عقل ومتانة رأي قال قطرب العرب تقول لكل من هو جزل الرأي حصيف العقل ذو مرة والتفسير للمرة بهذا اولى لان القوة والشدة قد افادهما قوله شديد القوى قال الجوهري المرة احدى الطبائع الاربع والمرة القوة وشدة العقل وقال ابن عباس ذو خلق حسن وقيل منظر حسن وقيل قوة في العقل وحدة بحيث لا يدفعه عما يريده دافع ولا يسأم من شيء يزاوله فحصل الفرق بين القوة والمرة ومن جملة شدته وقوته قدرته على التشكل

فذلك قال فاستوى ارتفع جبريل وعلى الى مكانه فى السماء بعد ان علم محمد صلى الله عليه وسلم قاله سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وقيل معناه قام في صورته التي خلقه الله عليها لانه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما يأتي الى الانبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبله الله عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء ولم يره احد من الانبياء على صورته التي خلق عليها الا نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى فاستوى القرآن في صدره صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه او صدر جبريل حين نزل به وقيل المعنى اعتدل محمد في قوته او في رسالته ذكره الماوردي وقيل المعنى ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج وقال الحسن فاستوى يعني الله عز وجل على العرش والاول اولى وقيل المعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك راه عليها حتى سأله اياها على ما ذكرنا وهو بالافق الاعلى اي فاستوى جبريل حال كونه بالافق والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب والافق ناحية السماء وجمعه آفاق قال قتادة ومجاهد هو الموضع الذي تطلع منه الشمس وكذا قال سفيان وقيل هو يعني جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى ليلة المعراج ويجوز ان تكون هذه الحالة مستأنفة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين احداهما واحدة فانه سأله ان يراه في صورته فرآه صورته فسد الافق واما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله وهو بالافق الاعلى لقد راى من آيات ربه الكبرى قال خلق جبريل رواه احمد والطبراني وغيرهما وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح اخرجه ابو الشيخ وابن جرير واحمد وعن ابن عباس قال الافق الاعلى مطلع الشمس ثم دنى جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى اي قرب من الارض فتدلى اي فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي فقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ثم تدلى ثم دنى قاله ابن الانباري وغيره قال الزجاج معنى دنى فتدلى واحد اي قرب وزاد في القرب كما تقول دنى مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنى جاز قال الفراء الفاء في فتدلى بمعنى الواو والتقدير ثم تدلى جبريل ودنى ولكنه جائز اذا كان معنى الفعلين واحدا ان تقدم ايهما شئت قال البيضاوي والذي دنى فتدلى هو جبريل وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى فتدلى الى ربه والمعنى دنى منه امره وحكمه والاول اولى قيل ومن قال

ان الذي استوى هو جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى عنده ثم دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه فزاد في كرامة فدلى اي هوى للسجود وبه قال الضحاك وعن ابن عباس قال دنى ربه فتدلى فالتدلي هو النزول بقرب الشيء فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم او ما بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه تعالى قاب اي قدر قوسين عربيين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وذكر معناه في الصحاح قال الزمخشري وقد جعلت التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قاب قال بعضهم اراد قاب قوس فقلبه وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبران جبريل قرب من محمد كقرب قاب قوسين قال الزجاج اي فيما تقدرون انتم والله سبحانه عالم بمقادير الاشياء ولكنه خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا وقال سعيد بن جبير وعطاء وابو اسحق الهمداني وابو وائل شقيق بن سلمة فكان قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شيء وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة ازد شنوءة والقوس يذكر ويؤنث فمن انث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس والجمع قسي واقواس وقوس ايضا بقية التمر في الجلد اي الوعاء والقوس برج في السماء وقال الكسائي اراد قوسا واحدة اخرج البخاري في مسلم وغيرهما عن ابن مسعود في هذه الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح وعنه قال في الآية دنى جبريل منه حتى كان قدر ذراع او ذراعين وبه قال ابن عباس والحسن وعائشة وقتادة وقال ابن عباس القاب القيد والقوسين الذراعين وعن ابي سعيد قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اقترب من ربه فكان قاب قوسين او ادنى المراد القوس ما اقربها من الوتر وعن انس ودنى الجبار رب العزة حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية عن سلمة عن ابن عباس وفيه جهالة وقال الضحاك نحو ما قال انس او ادنى او بمعنى الواو وقيل بمعنى بل والاول اولى كقوله او يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين المقدارين في رأي الرائي اي لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك وادنى افضل تفضيل والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين او ادنى من ذلك وضمه الى نفسه حتى افاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه فاوحى الى عبده اي فاوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم

بتعليم من الله لا من عند نفسه مما أوحى فيه تفخيم للموحي الذي أوحى اليه والوحي القاء الشيء بسرعة
ومنه الوحاء وهو السرعة والضمير في عبده يرجع الى الله كما في قوله ما ترك على ظهرها من دابة وقيل
المعنى فأوحى الله الى عبده وبالاول قال الربيع والحسن وابن زيد وقتادة وقيل فاوحى الله الى عبده
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل وقد اظهر الله سبحانه واوحاه جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وما اوحاه الله الى عبده جبريل الى
محمد صلى الله عليهما وسلم مبينة لنا فليس لنا ان نتعرض لتفسيره وقال سعيد بن جبير الذي اوحاه الله اليه هو الحر لشرح لك
صدرك الخ والعربي يجلك يتيما فاوى الخ وقيل الوحي الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها
امتك وقيل ان ما للعموم لا للابهام والمراد كلما اوحى به اليه والحمل على الابهام اولى لما فيه من
التعظيم ما كذب الفؤاد ما رأى اي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره ليلة المعراج رؤية
حقيقية يقال كذبه اذا قال له الكذب ولم يصدقه قال المبرد معنى الآية انه رأى شيئا فصدق
به قرئ ما كذب مخففا وبالتشديد وهما سبعيتان وما في ما رأى موصولة او مصدرية قال ابن
مسعود في الآية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتان رفرف اخضر قد ملأ ما بين السماء والارض
اخرجه الترمذي والحاكم وصححاه والبيهقي وغيرهم وبه قال سبعة عائشة وقيل هو الله عز
وجل رآه بعين راسه وقيل بقلبه وقيل جعل بصره في فؤاده وعن ابي ذر قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور اني اراه اخرجه مسلم والكلام على هذه المسئلة مستوفى في مواطنه
وقد تكلم عليه القاضي عياض في الشفاء والخفاجي في شرحه والقسطلاني في شرح المواهب اللدنية
والنووي وقال والحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعين
براسه ليلة الاسراء واثبات هذا لا ياخذ نفيه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا
ينبغي ان يتشكك فيه انتهى قال سليمان الجمل وحاصل المسئلة ان الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما
جرى عليه ابن عباس حبر الامة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر فاخبره
بانه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لانها لم تخبر انها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لما روته اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك وهو الاحاطة والله تبارك
وتعالى لا يحاط به ولان ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة واجيب عن احتجاجها بقوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بانه لا يلزم من الرؤية وقوع الكلام حال الرؤية فيجوز وقوع الرؤية من غير كلام بانه مخصوص

افتمارونه على ما يرى قرئ من المراة وهي المجادلة والملاحاة وقرئ افتمرونه اي افتجحدونه
واختار ابو عبيد الثانية قال لانهم لم يماروه وانما جحدوه يقال مراه حقه اي جحده ومريته انا
اي جحدته قال المبرد يقال امراه عن حقه وعلى حقه اذا منعه منه ودفعه وقيل على بمعنى
عن وقرئ افتمرونه بضم التاء من امريت اي اتريبونه وتشكونه فيه قال جماعة من المفسرين
المعنى على الاول افتجادلونه وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس
اي فتجادلونه جدال المرتاب فدفعه عما شاهده وعلمه وقال ما يرى ولم يقل ما رأى على حكاية
الحال الماضية استحضارا للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين ولقد رآه نزلة اخرى اللام هي
الموطية للقسم اي والله لقد رأه والنزلة المرة من النزول اي رأى جبريل نازلا نزلة اخرى
او رأه رؤية اخرى ونصب نزلة على الظرف او المصدرية او الحالية وبالاول قال الزمخشري وهو
مذهب الفراء نقله عنه مكي وبالثاني قد ابو البقاء وبالثالث قال الحوفي وابن عطية قال جمهور
المفسرين المعنى انه رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرة اخرى في صورة نفسه وذلك ليلة المعراج
وقيل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه مرة اخرى بفؤاده وقيل بعينه اخرج مسلم والطبراني وغيرهما عن ابن
عباس في الاية قال راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه مرتين واخرج نحوه عنه الترمذي وحسنه وعن
انس قال راى محمد ربه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده
وعنه لقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وعنه قال التعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى
والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد روي نحو هذا عنه من طرق واخرج مسلم والترمذي وابن مردويه
عن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور اني اراه وعنه انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال رايت نورا اخرجه مسلم وابن مردويه وعنه قال رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره اخرجه النسائي وابن المنذر وغيرهما قال صاحب التحرير والحجج في المسئلة
وان كانت كثيرة لكن لا تتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس التعجبون الخ وعن عكرمة سئل
ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روي باسناد لا باس به وعن انس نحوه وكان الحسن
يحلف لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه والاصل في المسئلة حديث ابن عباس جبر هذه الامة وعالمها والمرجع
اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة فاخبره انه رأه ولا يقدح في هذا حديث

عائشة لانها لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم ار ربي وانما ذكرت مما تاولته لقول
الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية وقوله لا تدركه الابصار واذا قد صحت الروايات عن ابن
عباس ان تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل او توخذ بالظن وانما
يتلقى بالسمع ولا يستبعد لاحد ان يظن بابن عباس ان تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة
وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ابن عباس اثبت ما فقاه غيره والمثبت مقدم على النافي انتهى عند سدرة المنتهى لما السترى
به في السموات قاله الجلال المحلي ومن المعلوم ان الاسراء كان قبل الهجرة بسنة واربعة اشهر او بثلاث سنين على الخلاف والرؤية
الاولى كانت في بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين والسدرة هي شجرة النبق قال مقاتل المحل الحلي والحلل الثمار ومن جميع
الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهلها وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد
والنبق بكسر الموحدة ثم السدر الواحدة ويقال فيه نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في
الاصلاح وهي لغة البصريين والاولى افصح وهي التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه السدرة هي في
السماء السادسة كما في الصحيح وروي انها في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى مكان
الانتهاء او مصدر ميمي والمراد به الانتهاء نفسه قيل اليه ينتهي علم الخلائق ولا يعلم احد منهم
ما وراءها وقيل ينتهي اليها ما يعرج به من الارض وقيل تنتهي اليها ارواح الشهداء وقيل
غير ذلك واضافة الشجرة الى المنتهى من اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او من اضافة
المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم او من اضافة
الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى ان
الى ربك المنتهى واختلف لم سميت سدرة المنتهى على ثمانية اقوال ذكرها القرطبي وغيره وعن ابن
مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى وهو في السماء السادسة اليها
ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها اخرجه
احمد ومسلم والترمذي وغيرهم عندها جنة المأوى اي عند تلك السدرة جنة تعرف بجنة
المأوى وهي عن يمين العرش وسميت بها لانه اوى اليها آدم وقيل ان ارواح المؤمنين تاوي اليها
وقيل يأوي اليها جبريل والملائكة وقيل يصير اليها المتقون قرئ جنة بالرفع على الابتداء وقرئ
جنه فعلا ماضيا من جن يجن اي ضمه البيت او ستره ايواء الله له قال الاخفش ادركه كما تقول جنه

الليل اي ستره وادركه قال ابن مسعود الجنة في السماء السابعة العليا والنار في الارض السابعة السفلى
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى الغشيان بمعنى التغطية والستر وبمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل
حين اي ياتيني وفي ابهام الموصول وصلته من التفخيم وتكثير للقواشي ما لا يخفى فقد علم بهذه العبارة
(١) ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلالته اشياء لا يحيط بها الوصف
ولا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشاها جراد من ذهب وقال ابن مسعود فراش من ذهب
قال الرازي وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له و
قيل طوائف من الملائكة وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل رفرف من طير خضر وقيل غشيها امر
الله وقيل نور الخلائق وقيل نور رب العزة والمجيء بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا للصورة
البديعة او للدلالة على الاستمرار التجددي مَا زَاغَ الْبَصَرُ اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه
ولم يلتفت الى ما غشي السدرة من فراش الذهب وغيره يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها مع ان
ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر وَمَا طَغَى اي ما جاوز ما رأى وفي
هذا وصف ادب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حيث لم يلتفت ولم يمل بصره ولم يمد الى غير ما رأى
وقيل ما جاوز ما امر به لَقَدْ رَأَى اي والله لقد رأى تلك الليلة مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى اي العظام مما
لا يحيط به الوصف قيل رأى رفرفا سد الافق وقيل رأى جبريل في حلة خضراء كما تقدم وقيل عجائب
الملكوت وقال الضحاك رأى سدرة المنتهى وقيل هو كل ما رآه في مسراه تلك الليلة وعوده ومن
للتبعيض ومفعول رأى للكبرى او رأى شيئا عظيما من آيات ربه او من زائدة ولما قص الله سبحانه
هذه الاقاصيص قال للمشركين موبخا لهم ومقرعا أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى اي اخبروني عن هذه
الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها وهل وحت اليكم شيئا كما اوحى الله
محمد صلى الله عليه وسلم امر هي جمادات لا تعقل ولا تنفع وقال ابو السعود الهمزة للانكار والفاء لترتيب الرؤية على
ما ذكر من شئونه تعالى المنافية لها غاية المنافاة والمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته واحكام
قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها
وذلتها شركاء لله على ما تقدم من عظمته وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ذكر هذه الاصنام الثلاثة التي
انتهت اليها العرب وعظم اعتقادهم فيها قال الواحدي وغيره وكانوا يشتقون لها اسماء من اسماء

الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وهي تانيث الاعز بمعنى العزيزة ومناة من منى الله الشيء اذا قدره قرئ اللات بتخفيف التاء وهي ماخوذة من اسم الله وقيل اصله لات يليت فالتاء اصلية وقيل هي زائدة واصله لوى يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها او يلتوون ويعتكفون عليها او يطوفون بها وقرئ اللات بتشديد التاء فقيل هو اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وقال مجاهد كان رجلا في راس جبل يتخذ من لبنها وسمنها حيسا ويطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف له صرمة غنم وقيل انه عامر بن الضرب العدواني قال في الصحاح واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطائف وقيل بعكاظ وقيل بنخلة ورجح ابن عطية الاول وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم بالهاء قال ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج اخرجه البخاري وغيره والالف واللام في اللات زائدة لازمة وقال ابو البقاء ليست بزائدة وهو غلط والعزى من العز وهي تانيث الاعز وهي اسم صنم لقريش وبني كنانة قال مجاهد هي شجرة كانت لغطفان وكانوا يعبدونها فبعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وقيل كانت شيطانة تاتي ثلث سمرات ببطن نخلة وقال سعيد بن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه وقال قتادة هي بيت كان ببطن نخلة وعن ابن عباس ان العزى كانت ببطن نخلة وان اللات كانت بالطائف وان مناة كانت بقديد ومناة صنم بني هلال وقال ابن هشام صنم هذيل وخزاعة وقال قتادة كانت للانصار وقرئ مناة بالف من دون همزة وبالمد والهمزة فالاولى اشتقاقها من منى يمني اي صب لان دماء النسائك كانت تصب عندها يتقربون بذلك اليها وعلى الثانية فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء وقيل هما لغتان للعرب ووقف عليها بالتاء اتباعا لرسم المصحف وبالهاء قال في الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والهاء للتانيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة والثالثة الاخرى وصف لمناة وصفها بانها ثالثة وبانها اخرى والثالثة لا تكون الا اخرى قال ابو البقاء فالوصف بالاخرى للتاكيد وقد استشكل وصف الثالثة بالاخرى والعرب انما تصف به الثانية فقال الخليل انما قال ذلك لموافقة رؤس الاي كقوله مارب اخرى وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير والتقدير افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة وقيل ان وصفها بالاخرى لقصد

التعظيم لانها كانت عند المشركين عظيمة وقيل ان ذلك للتحقير والذم وان المراد المتاخرة الوضيعة المقدار كما في قولهم وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم وهذا للزمخشري وقال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شيء من ذلك فلقرينة خارجية ثم ذكر سبحانه توبيخهم وتقريعهم بمقالة شنعاء قالوها فقال أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ اي كيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور قيل وذلك قولهم ان الملائكة بنات الله وقيل المراد كيف تجعلون اللات والعزى ومناة وهي اناث في عمكم شركاء لله ومن شأنهم ان يحتقروا الاناث ثم ذكر سبحانه ان هذه التسمية والقسمة المفهومة من الاستفهام قسمة جائرة فقال تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ قرئ بياء ساكنة بغير همزة وبهمزة ساكنة والمعنى انها قسمة خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحق قال الاخفش يقال ضازني الحكم اي جار وضازه حقه يضيزه ضيزا اي نقصه وبخسه قال وقد يهمز وقال الكسائي ضازني يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزا اذا تعدى وظلم وبخس وانتقص قال الفراء وبعض العرب يقول ضئزا بالهمز وعن ابي زيد انه سمع العرب تهمز ضيزى قال البغوي ليس في كلام العرب فعل بكسر الفاء في النعوت انما تكون في الاسماء مثل دكرى قال المورج كرهوا ضم الضاد في ضيزى وخافوا انقلاب الياء واوا وهي من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا في جمع الابيض بيض وكذا قال الزجاج وقيل هي مصدر كالذكرى فيكون المعنى قسمة ذات جور وظلم قال ابن عباس ضيزى جائرة لاحق فيها وقيل عوجاء غير معتدلة ثم رد سبحانه عليهم بقوله إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ اي ما الاوثان او الاصنام باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة الا اسماء محضة ليس فيها شيء من معنى الالوهية التي تدعونها لانها لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع فليست الا مجرد اسماء وقيل ان قوله هي راجع الى الاسماء الثلاثة المذكورة والاول اولى سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ قلد فيها الآخر الاول وتبع في ذلك الابناء الآباء وفي هذا من التحقير لشانها ما لا يخفى كما تقول في تحقير رجل ما هو الا اسم اذا لم يكن مستعملا على صفة معتبرة وصدق هذه الآية قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يقال سميته زيدا وسميته بزيد فقوله سميتموها صفة لاسماء والضمير يرجع الى الاسماء لا الى الاصنام اي جعلتموها اسماء لا جعلتموها اسماء مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ اي من حجة ولا برهان قال مقاتل لم ينزل الله كتابا بالكم فيه حجة كما تقول

انها الهة ثم اخبر عنهم بقوله إِنْ يَتَّبِعُونَ بالتحتية وقرئ بالفوقية اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والحكم بموجبها وفيه التفات الى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم الى غيرهم إِلَّا الظَّنَّ الذي لا يغني من الحق شيئا وهو ظن انها تستحق العبادة وبهذا تبين ان العطف في قوله وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ للمغايرة اي ما تميل اليه وتشتهيه من غير التفات الى ما هو الحق الذي يجب اتباعه ومن اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافي لا يعد انسانا ولا يعتد به وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى اي البيان الواضح الظاهر بالكتاب المنزل والنبي المرسل بانها ليست بالهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار والجملة اعتراض لو حال من فاعل يتبعون وايا ما كان ففيها تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسل وانزال الكتب اقبح أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى امر هي المنقطعة المقدرة ببل والهمزة التي للانكار فاضرب عن انكار ان يكون لهم ما يتمنون من كون الاصنام تنفعهم وتشفع لهم وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي وقيل قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ثم علل استفهاما ان يكون للانسان ما تمنى بقوله فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى اي ان امور الآخرة والدنيا باسرها لله عز وجل فليس لهم معه امر من الامور ومن جملة ذلك امنياتهم الباطلة واطماعهم الفارغة ثم اكد ذلك وزاد في ابطال ما يتمنونه فقال وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا كم هنا هي الخبرية المفيدة للتكثير ولهذا اجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك فلفظها مفرد ومعناها جمع والمعنى الاقناط مما علقوا به والتوبيخ لهم بما يتمنونه ويطمعون فيه من شفاعة الاصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتهم وكرامتهم على الله لا تشفع الا لمن اذن ان يشفع له فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم وهو معنى قوله إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ ان يشفعوا له وَيَرْضَى بالشفاعة لكونه من اهل التوحيد وليس للمشركين في ذلك حظ ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ولا يرضاها لكونهم ليسوا من المستحقين لها إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ اي هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث وما بعده من الدار الآخرة على الوجه الذي بينته الرسل وهم الكفار يضمون الى كفرهم مقالة شنعاء وجهالة جهلاء وهي قولهم لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ

ع ٢٥

المنزهين عن كل نقص تسمية الأنثى وذلك انهم رأوا في الملائكة تاء التانيث وصح عندهم ان يقال سجدت الملائكة فزعموا انها بنات الله فجعلوهم اناثا وسموهم بنانا وما لهم به من علم اي والحال انهم غير عالمين بما يقولون فانهم لم يعرفوهم ولا شاهدوهم ولا بلغ اليهم ذلك من طريق من طرق التي يحرز المخبرون عنها بل قالوا ذلك جهلا وضلالة وجرأة وقرى ما لهم بها اي بالملائكة او التسمية ومن زائدة في المبتدا للتوكيد ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون في هذه المقالة الا مجرد الظن والتوهم وقال النسفي هو تقليد الآباء ثم اخبر سبحانه عن الظن وحكمه فقال وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي ان جنس الظن لا يغني من الاغناء ومن بمعنى عن والحق هنا العلم وفيه دليل على ان مجرد الظن لا يقوم مقام العلم وان الظان غير عالم وهذا في الامور التي يحتاج فيها الى العلم وهي المسائل العلمية لا فيما يكتفى فيه بالظن وهي المسائل العملية وقد قدمنا تحقيق هذا ولا بد من هذا التخصيص فان دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية فالعمل بها عمل بالظن وقد وجب علينا العمل في هذه الامور فكانت ادلة وجوب العمل به فيها مخصصة لهذا العموم وما ورد في معناه من الذم لمن عمل بالظن والنهي عن اتباعه وفي الكرخي الظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها كمسائل علم الفقه وقال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغني في الاعتقاديات شيئا واما في الاحكام العرفية او الشرعية فان الظن فيها يتبع عند عدم الوصول الى اليقين فاعرض عمن تولى اي اعرض عن ذكرنا المراد بالذكر هنا القران او ذكر الآخرة او ذكر الله على العموم وقيل المراد به هنا الايمان والمعنى اترك مجادلتهم فقد بلغت اليهم ما امرت به وليس عليك الا البلاغ وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازي واكثر المفسرين يقولون ان كل ما في القران من قوله فاعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة ولم يرد الا الحيوة الدنيا اي لم يرد سواها ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها فانه غير متاهل للخير ولا مستحق للاعتناء بشانه ثم صغر سبحانه شانهم وحقر امرهم فقال ذلك اي التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا هو مبلغهم من العلم ليس لهم علم غيره ولا يلتفتون الى سواه من امر الدين قال القراء اي ذلك قد عقولهم ونهاية علمهم ان اثروا الدنيا على الآخرة وقيل الاشارة بقوله ذلك الى جعلهم الملائكة بنات الله وتسميتهم لهم تسمية الانثى

ربع

والاول اولى والمراد بالعلم هنا مطلق الادراك الذي يندرج تحته الظن الفاسد والجهالة مستانفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن وقيل معترضة بين المعلل والعلة وهي قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فان هذا تعليل للامر بالاعراض والمعنى انه سبحانه وتعالى اعلم بمن حاد عن الحق واعرض عنه ولم يهتد اليه واعلم بمن اهتدى فقبل الحق واقبل اليه وعمل به فهو مجازكل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له بانه لا يتعب نفسه في دعوة من اصر على الضلالة وسبقت له الشقاوة فان الله قد علم حال هذا الفريق الضال كما علم حال الفريق الراشد وتكرير قوله هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين ثم اخبر سبحانه عن سعة قدرته وعظيم ملكه فقال ولله ما في السموات وما في الارض اي هو المالك لذلك والمتصرف فيه لا يشاركه فيه احد ليجزي الذين اساؤا بما عملوا من الشرك وغيره اللام متعلقة بما دل عليه الكلام كانه قال هو مالك ذلك يضل من يشاء ويهدي من يشاء ليجزي المسيء باساءته والمحسن باحسانه وقيل المعنى هو اعلم بمن اهتدى ليجزي وقيل هي لام العاقبة لا التعليل اي وعاقبة امر الخلق الذين فيهم المحسن والمسيء ان يجزي الله كلا منهما بعمله وبه صرح الواحدي والزمخشري وقال مكي ان اللام متعلقة بقوله لا يغني شفاعتهم وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى قرئ ليجزي بالتحتية وبالنون ويجزي الذين احسنوا بالتوحيد وغيره من الطاعات بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء وللتنبيه على تباين الجزاءين ثم وصف هؤلاء المحسنين فقال الذين اي هم الذين يجتنبون كبائر الاثم وقرئ الكبائر على الجمع وكبير على الافراد والكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار او ذم فاعله ذما شديدا ولاهل العلم في تحقيق الكبائر كلام طويل وكما اختلفوا في تحقيق معناها وماهيتها اختلفوا في عدها والفواحش جمع فاحشة وهي ما فحش من كبائر الذنوب كالزنا ونحوه وهو من عطف الخاص على العام قال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقيل الكبائر الشرك والفواحش الزنا وقد قدمنا في سورة النساء ما هو ابسط من هذا واكثر فائدة وقال ابن عباس الكبائر ما سمى الله فيه النار والفواحش ما كان فيه حد الا اللمم اي الا ما قل وصغر

من الذنوب والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش قال السمين وهذا هو المشهور ويجوز ان يكون متصلا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر واصل اللمم في اللغة ما قل وصغر ومنه الم بالمكان قل لبثه فيه والم بالطعام اكله قل منه قال المبرد اصل اللمم ان يلم بالشيء من غير ان يتكيه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه قال الازهري العرب تستعمل الالمام في معنى الدنو والقرب قال الزجاج اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال المست به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال ما فعلته الا الما وما ما اي الحين بعد الحين ومنه المام الخيال قال في الصحاح الم الرجل من الم وهو صغائر الذنوب ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وقد اختلف اقوال اهل العلم في تفسير هذا المذكور في الآية فالجمهور على انه صغائر الذنوب وقيل هو ما كان دون الزنا من القبلة والغمزة والنظرة وكالكذب الذي لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس ومجر المسلم فوق ثلاث والضحك في الصلوة للفريضة والنياحة وشق الجيب في المصيبة والتبختر في المشي والجلوس بين الفساق ابتداء بهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة المسجد اذا كان يغلب تنجيسهم له واستعمال نجاسة في بدن او ثوب لغير حاجة ونحو ذلك ذكره الخطيب وغيره وقيل هو الرجل يلم بالذنب ثم يتوب ويقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة وابن عباس وبه قال مجاهد والحسن والزهري ومنه ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبدلك لا الما واختار هذا القول الزجاج والنحاس وقيل هو ذنوب الجاهلية فان الله لا يؤاخذ بها في الاسلام وبه قال زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقال نفطويه هو ان يأتي بالذنب لم يكن له به عادة قال والعرب تقول ما اتانا الا الما ما اي في الحين قال وكيف كان يهم ولا يفعل لان العرب لا تقول المرينا الا اذا فعل لا اذا هم ولم يفعل والراجح الاول اخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذب به وعن ابن مسعود في قوله الا اللمم قال زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج او يكذب به فان تقدم بفرج كان ذلك وان لم يأت بشيء فهو اللمم وعن ابي هريرة انه سئل عن قوله الا اللمم قال هي النظرة والغمزة والقبلة والضمة

فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وهو قول ابن مسعود ومسروق والشعبي وعن ابن عباس فيه قال الا اللمم الا ما قد سلف وعنه قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها وعن ابي هريرة قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود وذلك الا لمام وعن ابن عباس ايضا قال اللمم كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوة وهو حسن كل موجب فاما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا واما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار واخر عقوبته الى الآخرة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم دون الشرك إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ بسبب غفران الصغائر باجتناب الكبائر قال الكرخي عقب به ما سبق لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولئلا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى وقال غيره الجملة تعليل لما تضمنه الاستثناء اي ان ذلك وان خرج عن حكم المواخذة فليس يخلو عن كونه ذنبا يفتقر الى مغفرة الله ويحتاج الى رحمته بل لسعة المغفرة الربانية وقيل انه سبحانه يغفر لمن تاب عن ذنبه واناب وعن عمر وابن عباس قالا لا كبيرة في الاسلام يعني مع التوبة ولا صغيرة مع الاصرار قلت وفي كون الاصرار على الصغيرة كبيرة اختلاف بين اهل العلم قال النووي في المنهاج وشرط العدالة اجتناب الكبائر والاصرار على صغيرة قال في تحفة المحتاج قيل عطف الاصرار من عطف الخاص على العام وفيه نظر لان الاصرار لا يصير الصغيرة كبيرة حقيقة وانما يلحقها في الحكم ولا ينافي هذا قول كثيرين كابن عباس ونسب للمحققين كالاشعري وابن فورك والاستاذ ابي اسحق انتهى وفي الزواجر عن اقتراف الكبائر نقلا عن الرافعي اما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية لكن الشرط ان لا يصر عليها فان اصر كان الاصرار كارتكاب الكبيرة انتهى والحاصل ان المعتمد وفاقا لكثير من المتاخرين كالاذرعي والبلقيني والزركشي وابن العماد وغيرهم انه لا تضر المداومة على نوع من الصغائر ولا على انواع سواء كان مقيما على الصغيرة او الصغائر او مكثرا من فعل ذلك حيث غلب الطاعات المعاصي والا ضر ثم رايت ابن العماد قال ما نقله الاسنوي عن الرافعي من ان الاصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة ليس كذلك ولم يذكر الرافعي هذه العبارة قال البلقيني المراد عدم غلبة الصغائر على الطاعة وفسر القاضيان الماوردي والطبري الاصرار في قوله تعالى ولم يصروا بان لم يعزموا على ان لا يعودوا اليه وقضيته حصول الاصرار بالعزم على العود بترك العزم على عدم العود

ويوافقه قول ابن الصلاح الاصرار التلبس بضد التوبة باستمرار العزم على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به في حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة وليس لزمن ذلك وعدد حصر وقال ابن عبد السلام الاصرار ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه اشعارا تكتسب الكبيرة بذلك وكذلك اذا اجتمعت صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به اصغر الكبائر انتهى والصواب في هذا الباب ما ذكره القاضي محمد بن علي الشوكاني رح في ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ونصه قد قيل ان الاصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة وليس على هذا دليل يصلح للتمسك به وانما هي مقالة لبعض الصوفية فانه قال لا صغيرة مع الاصرار وقد روى بعض من لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثا ولا يصح ذلك بل الحق ان الاصرار حكمه حكم ما اصر عليه والاصرار على الصغيرة صغيرة والاصرار على الكبيرة كبيرة انتهى ويفهم من ذلك ايضا ان الاصرار على الكبيرة ليس كغوائر التوبة عن الكبيرة وان كانت واجبة عينا فورا بنصوص الكتاب والسنة واجماع الامة لكن قد يغفرها الله تعالى من غير توبة ايضا كما دلت عليه السنة المطهرة واختاره محققو اهل الحديث ثم ذكر سبحانه احاطة علمه باحوال عباده فقال هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ اي باحوالكم وتفاصيل امورالكم اِذْ حين اَنْشَاَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ اي خلقكم منها في ضمن خلق ابيكم ادم وحينما صوركم في الارحام وقيل المراد ادم فانه خلقه من طين وَاِذْ اَنْتُمْ اَجِنَّةٌ اي هو اعلم باحوالكم وقت كونكم اجنة وهي جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي بذلك لاجتنانه اي لاستتاره في بطن امه وبهذا قال فِيْ بُطُوْنِ اُمَّهٰتِكُمْ فلا يسمى من خرج عن البطن جنينا والجملة مستانفة لتقرير ما قبلها عن ثابت بن الحارث الانصاري قال كانت اليهود اذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها في بطن امها الا انه شقي او سعيد فانزل الله عند ذلك هذه الاية اخرجه الطبراني وغيره فَلَا تُزَكُّوْٓا اَنْفُسَكُمْ اي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها خيرا ولا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وحسن الاعمال واهضموها فان ترك تزكية النفس ابعد من الرياء واقرب الى الخشوع قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تبرؤوها من الاثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل لا تزكوها رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك او اتقى منك

فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى
اخرج احمد ومسلم وابو داؤد عن زينب بنت ابي سلمة انها سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم سموها زينب وقال المحلي في الآية وهذا النهي على سبيل
الاعجاب واما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها اشكر
لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ مستأنفة مقررة للنهي اي فانه يعلم المتقي ع
منكم وغيره قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم فمن جاهد نفسه وخلصت منه التقوى فهو
بوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين فكيف صارت له التقوى الهة وصفا ثابتا وهو الذي ينتفع
بها ويثاب عليها وقيل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وحجنا ثم لما بين الله سبحانه وتعالى جهالة المشركين على العموم خصر
بالذم بعضهم فقال أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ عن الخير واعرض عن اتباع الحق وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا اي
اعطى عطاء قليلا او شيئا قليلا من المال المسمى بالكدى منع الباقي وقطع ذلك وامسك عنه مأخوذ
من الكدية وهي الصلابة يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ فيها الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد اكدى ثم
استعملته العرب لمن اعطى فلم يتم ولمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره قال الكسائي وابو زيد ويقال اكدت
اصابعه اذا احمرت من الحفر وكدت يده اذا اكلت ولم تعمل شيئا وكدت الارض اذا قل نباتها واكديت
الرجل عن الشيء رددته واكدى الرجل اذا قل خيره قال الفراء معنى الآية امسك عن العطية وقطع وقال
المبرد منع منعا شديدا وقال مجاهد وابن زيد وعطاء نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين فترك ورجع الى شركه قال مقاتل كان الوليد يمدح
القرآن ثم امسك عنه فاعطى قليلا من لسانه من الخير ثم قطعه وقال الضحاك نزلت في النضر بن
الحارث وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل قال ابن عباس اكدى قطع نزلت في العاص بن
وائل وعنه قال اطاع قليلا ثم انقطع أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ الاستفهام للتقريع والتوبيخ
والمعنى اعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من امر العذاب فهو يعلم ذلك قال مقاتل وهو الوليد
بن المغيرة وعليه الاكثر وقال السدي انه العاص بن وائل السهمي او ابو جهل كما قاله محمد بن كعب
وهذا الخلاف في من تولى واعطى واكدى واما الذي عيره وضمن له ان يحمل عنه العذاب فلم يذكروا

هنا تعيينه أم لم ينبأ إليه المرء ولم يحدث بما في صحف موسى يعني اسفاره وهي التوراة أصحف قبلها
وبما في صحف إبراهيم الذي وفى أي تمم وأكمل ما امر به قال المفسرون أي بلغ قومه ما أمر به وأداه
وقيل بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما قوله
وابراهيم الذي وفى قالوا الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات كان يصليهن وزعم
انها صلوة الضحى اخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم قال السيوطي ضعيف
وفي اسناده جعفر ابن الزبير وهو ضعيف وعن سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ألا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى انه كان يقول كلما اصبح وامسى فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الى آخر الآية اخرجه ابن ابي حاتم في اسناده ابن لهيعة وهو ضعيف وعن
ابن عباس قال سهام الاسلام ثلاثون سهما لم يتمها احد قبل ابراهيم قال الله وابراهيم الذي
وفى وعنه قال يقول ابراهيم الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا وانما خص هذين
النبيين بالذكر لانه كان قبل ابراهيم وموسى يوخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابراهيم
ثم بين سبحانه ما في صحفهما فقال ألا تزر وازرة وزر أخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس
اخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل
بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم
فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى لا تزر الخ وقد مضى تفسير هذه الآية في
سورة الانعام وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وهذا ايضا من جملة ما في صحف موسى
وابراهيم والمعنى ليس له الا اجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع احدا عمل احد وهذا العموم مخصوص
بمثل قوله سبحانه والحقنا بهم ذريتهم وبمثل ما ورد في شفاعة الانبياء والملائكة للعباد ومشروعية
دعاء الاحياء للاموات ونحو ذلك ولم يصب من قال ان هذه الآية منسوخة بمثل هذه الامور
فان الخاص لا ينسخ العام بل يخصصه فكلما قام الدليل على ان الانسان ينتفع به وهو من غير سعيه
كان مخصصا لما في هذه الآية من العموم وتعقب ايضا بانها خبر ولا نسخ في الاخبار وبانها على ظاهرها
والدعاء من الولد دعاء من الوالد من حيث الكسابه للوله وبانها مخصوصة بقوم ابراهيم وموسى لانها
حكاية لما في صحفهم واما هذه الامة فانها ما سعت هي وما سعى لها غيرها لما صح ان لكل نبي وصالح

شعاعة وهو انتفاع بعمل الغير ولغير ذلك ومن تأمل النصوص وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فلا يجوز ان تأول الآية على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وحينئذ فالظاهر ما قلنا ان الآية عامة قد خصصت باسود كثيرة قال ابن عباس في الآية وانزل الله بعد ذلك والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم الآية فادخل الله الابناء الجنة بصلاح الآباء وكان ابن عباس اذا قرأ هذه الآية استرجع واستكان وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وقيل هو من باب العدل واما من باب الفضل فجائز ان يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وقيل هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة وانما هو في صحف موسى وابراهيم قال شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية رح من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة **احدها** ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير **ثانيها** ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها **ثالثها** لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير **رابعها** ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير **خامسها** ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم **سادسها** ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير **سابعها** قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس من سعيهما **ثامنها** ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل الغير **تاسعها** ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير **عاشرها** ان الحج المنذور والصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير **حادي عشرها** الدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلوة عليه حتى قضى دينه ابو قتادة وقضى دين الآخر علي بن ابي طالب وانتفع بصلوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير **ثاني عشرها** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير **ثالث عشرها** ان الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير **رابع عشرها** ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير **خامس عشرها**

ان اجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان
جليس اهل الذكر يرحمهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات
فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلوة على الميت والدعاء له في الصلوة انتفاع للميت بصلوة
الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة
بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله
عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقال
تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب
بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه
الرجل فانه ينتفع بذلك من يخرج ولا سعي له فيها حادي عشريها ان الزكوة تجب في مال الصبي
والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تامل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد
يحصر فكيف يجوز ان نتاول الاية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة انتهى
كلامه رح وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة ويبصره في الاخرة
في ميزانه من غير شك ثُمَّ يُجْزَاهُ اي يجزي الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله
فالضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب على سعيه وقيل على الجزاء المتاخر وهو قوله
الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ فيكون هو مفسرا له ويجوز ان يرجع الى الجزاء الذي هو مصدر يجزاه وقواه السفاقسي
ويجعل الجزاء الاوفى تفسيرا للجزاء المدلول عليه بالفعل كما في قوله اعدلوا هو اقرب للتقوى
قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ اي
المرجع والمصير اليه سبحانه لا الى غيره فيجازيهم باعمالهم هذا كله في الصحف الاولى والخطاب عام
او النبي صلى الله عليه وسلم خاصة عن ابي بن كعب في هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة في الرب وَأَنَّهُ
هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ اي هو الخالق لذلك والقاضي بسببه قال الحسن والكلبي اضحك اهل الجنة وابكى
وابكى اهل النار في النار وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك من
شاء في الدنيا بان سرّه وابكى من شاء بان غمه وهذا على ان كلام الفعلين حذف مفعوله
وقال سهل بن عبد الله اضحك المطيعين بالرحمة وابكى العاصين بالسخط وقيل اضحك المؤمنين

في العقبى بالمواهب وابكاهم في الدنيا بالنوائب وقيل خلق الفرح والحزن وقيل ان الفعلين من الافعال اللازمة كقوله والله يحيي ويميت وهذا يدل على ان ما يعمل الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا اي قضى اسباب الموت والحياة ولا يقدر على ذلك غيره وقيل خلق نفس الموت والحياة كما في قوله خلق الموت والحياة وقيل اماتَ الآباء واحيى الابناء وقيل اماتَ في الدنيا واحيى للبعث وقيل المراد بهما النوم واليقظة وقال عطاء اماتَ بعدله واحيى بفضله وقيل اماتَ الكافر واحيى المؤمن كما في قوله اومن كان ميتا فاحييناه وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الصنفين الذكر وَالْأُنْثَى من كل حيوان وهذا ايضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق انثى ولا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله لا بفعل الطبيعة وفيه رد على الطبائعيين القائلين بالبرد والرطوبة في الانثى وقرب امرأة احروا يبس مزاجا من الرجل مِنْ نُطْفَةٍ منيء ولا يدخل في ذلك آدم وحوى فانهما لم يخلقا من النطفة والنطفة الماء القليل إِذَا تُمْنَى اي تصب في الرحم وتدفق فيه كذا قال الكلبي والضحاك وعطاء بن ابي رباح وغيرهم يقال منى الرجل يمني وامنى اي صب المني وقال ابو عبيدة اذا تمنى اذا تقدر يقال منيت الشيء اذا قدرته ومنى له اذا قدر له وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى اي اعادة الارواح الى الاجسام عند البعث وفاء بوعده فانه قال انا نحن نحيي ونميت لا بحكم العقل ولا الشرع قرئ النشأة بالقصر بوزن الضربة وبالمد بوزن الكفالة سبعيتان وهما على القراءتين مصدران وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى اي اغنى من شاء وافقر من شاء ومثله قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقوله يقبض ويبسط قاله ابن زيد واختاره ابن جرير وقال مجاهد وقتادة والحسن اغنى مول واقنى اخدم وقيل معنى اقنى اعطى الغنية وهي ما يتاثل من الاموال اي اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل معنى اقنى ارضى بما اعطى اي اغناه ثم ارضاه بما اعطاه قال الجوهري قنى الرجل يقني مثل غنى يغني ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال قنيت له مالا كسبته وهو نظير شنرت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فاذا دخلت عليه الهمزة والتضعيف اكسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه الله مالا وقناه اياه اي اكسبه اياه واقناه ارضاه والقنى الرضاء قال ابو زيد تقول العرب من اعطي مائة من البقر فقد اعطي القنى ومن اعطي مائة من الضأن فقد اعطي الغناء ومن اعطي مائة من الابل فقد اعطي المنى وقال الاخفش وابن كيسان

اقنى افقر وهو يؤيد القول الاول وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى وارضى وقيل اقنى زاد فوق الغنى وحذف مفعول اغنى واقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وحده وكذلك باقيها وانه هو رب الشعرى هي كوكب يطلع خلف الجوزاء في شدة الحر والمراد به هنا الشعرى التي يقال لها العبور وهي اشد ضياء من الشعرى التي يقال لها الغميصاء وانما ذكر سبحانه انه رب الشعرى مع كونه رب الكل الاشياء للرد على من كان يعبدها واول من عبدها او سن عبادتها ابو كبشة وكان من اشراف العرب وذلك لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا في مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته دينهم كما خالفهم ابو كبشة وكان من اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امه ومن ذلك قول ابي سفيان عند دخوله على هرقل لقد امر امر ابن ابي كبشة قال ابن عباس في الاية هو الكوكب الذي يدعى الشعرى وعنه قال نزلت هذه الاية في خزاعة وكانوا يعبدون الشعرى وهو الكوكب الذي يتبع الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وانه اهلك عادا الاولى وصف عادا بالاولى لكونهم كانوا من قبل ثمود قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانهم اول امة اهلكت بعد نوح وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالصرصر والاخرى بالصيحة وقيل عاد الاولى قوم هود اهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم بن عوص بن سام بن نوح واهلك ثمود كما اهلك عادا فما ابقى احدا من الفريقين وثمود هم قوم صالح عليه السلام اهلكوا بالصيحة وقد تقدم الكلام على عاد وثمود في غير موضع واهلك قوم نوح بالغرق من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم من عاد وثمود واطغى منهم او اظلم واطغى من جميع الفرق الكفرية او اظلم واطغى من مشركي العرب وانما كانوا كذلك لانهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم كما في قوله فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وقيل لانهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك ويغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وينفرون عنه حتى كانوا يحدرون صبيانهم ان يسمعوا منه والمؤتفكة الايتفاك الانقلاب والمؤتفكة مدائن قوم لوط عليه السلام وسميت المؤتفكة لانها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها تقول افكته اذا قلبته ومعنى اهوى اسقط اي اهواها جبريل الى الارض بعد ان رفعها الى السماء مقلوبة الى الارض قال المبرد جعلها تهوي فغشاها

ما غشى اي البسها ما البسها من الحجارة المنضودة المسومة التي وقعت عليها كما في قوله فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وفي هذه العبارة تهويل للامر الذي غشاها به وتعظيم له وقيل ان الضمير راجع الى جميع الامم المذكورة اي فغشاها من العذاب ما غشى على اختلاف انواعه فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ هذا خطاب للانسان المكذب اي اي فباي نعم ربك الدالة على وحدانيته وقدرته ايها الانسان المكذب تتشكك وتمتري وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعريضا لغيره فهو من باب الاهاب والتهييج والتعريض بالغير وعن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة وقيل لكل من يصلح له قال ابن عادل الصحيح العموم لقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا قلت ولقوله فباي آلاء ربكما تكذبان قيل اسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه وهو الآلاء التي تمارى فيها قلت لا حاجة الى هذا التكلف لان التفاعل مجرد عن التعدد في الفاعل والفعل للمبالغة في الفعل وسمى هذه الامور المذكورة آلاء اي نعما مع كون بعضها نقما لانها مشتملة على العبر والمواعظ ويكون فيها انتقام من العصاة وفي ذلك نصرة للانبياء والصالحين قرئ تتمارى من غير ادغام و بادغام احدى التاءين في الاخرى هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ اي هذا محمد رسول اليكم من الرسل المتقدمين قبله فانه انذركم كما انذروا فيهم كذا قال ابن جريج ومحمد بن كعب وغيرهما وقال قتادة يريد القرآن وانه انذر بما انذرت به الكتب الاولى وقيل هذا الذي اخبرنا به عن اخبار الامم تخويفا لهذه الامة من ان ينزل بهم ما نزل بأولئك كذا قال ابو مالك وقال ابو صالح الاشارة بقوله هذا الى ما في صحف موسى وابراهيم والاولى اولى قال ابن عباس هذا نذير اي محمد صلى الله عليه وسلم والاولى على تاويل الجماعة تراءاة الفواصل والتنوين للتفخيم اَزِفَتِ الْآزِفَةُ اي قربت الساعة ودنت سماها الآزفة لقرب قيامها وقيل الدنو من الناس كما في قوله اقتربت الساعة اخبر هنا بما لا يستعد والها قال في الصحاح ازفت الآزفة يعني القيامة وازف الرحيل اذا قرب قال ابن عباس الآزفة من اسماء القيامة واللام فيه للعهد او للجنس لئلا يخلو الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لوصف القريب بالقرب كما قيل ولذا قيل ان الآزفة علم بالغلبة للساعة هنا وفيه نظر لان وصف القريب بالقرب يفيد المبالغة في قربه كما يدل عليه الافتعال في اقتربت الساعة لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ اي ليس لها نفس او حال قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله سبحانه وقيل كاشفة بمعنى انكشاف والهاء فيها كالهاء في العاقبة والداهية وقيل كاشفة بمعنى كاشف

والهاء للمبالغة كراوية وعلامة ونسابة والاول اولى والمعنى انه لا يقدر على كشفها اذا غشت الخلق بشدائدها واهوالها احد غير الله كذا قال عطاء والضحاك وقتادة وغيرهم وقيل ليس لها نفس معينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو ثم وبخهم سبحانه فقال أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ المراد بالحديث القرآن اي كيف تعجبون منه تكذيبا وَتَضْحَكُونَ منه استهزاء مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء وَلَا تَبْكُونَ خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد الشديد عن صالح ابي الخليل قال لما انزلت هذه الآية فما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا ان يتبسم وفي لفظ فما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ لاهون غافلون عما يطلب منكم مستأنفة للتقرير ما قبلها او حالية والسمود الغفلة والسهو عن الشيء والاعراض واللهو وقيل الخمود وقيل الاستكبار وقال في الصحاح سمد سمودا رفع رأسه تكبرا فهو سامد وقال ابن الاعرابي السمود اللهو والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا اي الهينا بالغنا وقال المبرد ساهدون خامدون وقال مجاهد غضاب بطرون والبرطمة الاعراض وقيل اشرون بطرون وقيل ساهون لاهون غافلون لاعبون وقال ابن عباس لاهون معرضون عنه وعنه قال الغنا باليمانية كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال ابو عبيدة السمود الغنا بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني وقال كان يمرون على النبي صلى الله عليه وسلم شامخين المرتالي البعير كيف يخطر شامخا وعن ابي خالد الوالبي قال خرج علي بن ابي طالب علينا وقد اقيمت الصلوة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال ما لكم ساهدون لا انتم في صلوة ولا انتم في جلوس تنتظرون فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ لما وبخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن والضحك منه والسخرية وعدم الانتفاع بمواعظه وزواجره امر عباده المؤمنين بالسجود له والعبادة له اي اذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله واعبدوا فانه المستحق لذلك منكم وهو من عطف العام على الخاص اي ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها وهذا ما خوذ من لام الاختصاص ومن السياق وقد تقدم في فاتحة السورة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد عند تلاوة هذه الآية وسجد معه الكفار فيكون المراد بها سجود التلاوة وقيل سجود الفرض

سورة القمر ويقال سورة اقتربت

وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الاضحى والفطر وقال ابن عباس

اقتربت تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه قال البيهقي منكر وعن اسحق بن عبد الله بن ابي فروة رفعه من قرأ اقتربت الساعة في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر اخرجه ابن الضريس وهي خمس وخمسون اية وهي مكية كلها في قول الجمهور وقال مقاتل الا ثلث ايات من قوله ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر قال القرطبي ولا يصح وقيل الا سيهزم الجمع الاية وعن ابن عباس انها نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وجميع ايات السورة فواصلها على الراء الساكنة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة اي قربت ولا شك انها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية الى ما مضى من الدنيا قريبة ويمكن ان يقال انها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة فكل آت قريب وانشق القمر اي وقد انشق القمر وانفلق وكذا اقرأ حذيفة بزيادة قد والمراد الانشقاق الواقع في ايام النبوة معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف قال الواحدي وجماعة للمفسرين على هذا الا ما روى عثمان بن عطاء عن ابيه انه قال المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه قال واغا ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لان انشقاقه من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ورسالته من اشراط اقتراب الساعة قال ابن كيسان في الكلام تقديم وتاخير اي انشق القمر واقتربت الساعة وحكى القرطبي عن الحسن مثل قول عطاء انه الانشقاق الكائن يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله سبحانه ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله ودليل يدل عليه وانى ذلك قال الرازي قال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد لا معنى له لان من منع ذلك وهو الفلسفي خذله الله يمنعه في الماضي والمستقبل ومن يجوزه لا يحتاج الى التاويل فرد على المانع وقال القرآن ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه وقد اخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والالتيام حديث اللئام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات خرقا مرارا وقيل معنى انشق وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضح وقيل انشقاق

ل اشارة الى ان الفصل المشتمل على الزوائد يعني الفصل المجرد والى المزيد بالفصلين زيادة البسملة على زيادة المعنى منه اذ المزيد فيه ضم ومركب فوجهت اقدامهم

القمر هو انشقاق الظلمة عنه وطلوعه في اثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه قال ابن كثير قد كان الانشقاق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة قال وهذا امر متفق عليه بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان احدى المعجزات الباهرات قال الزجاج زعم قوم عند واعن القصد وما عليه اهل العلم ان تاويله ان القمر ينشق يوم القيامة والامر بين في اللفظ واجماع اهل العلم لان قوله الآتي وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يدل على ان هذا كان في الدنيا لا في القيامة انتهى وفي الحديث من خالف الجمهور وقال ان الانشقاق سيكون يوم القيامة لا يجرح استبعاد فقال انه لو انشق في زمن النبوة لرآه بعض الاراة لانه اية والناس في الايات سواء ويجاب عنه بانه لا يلزم ان يراه كل احد لما عقلا ولا شرعا ولا عادة وان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها وما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا احاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرنا من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رويتها فلم يتاهب غيرهم لها قال بعض اهل العلم وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا القوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم ومع هذا فقد نقل الينا بطريق التواتر وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به في وجه قائله والحاصل انا اذا نظرنا الى كتاب الله فقد اخبرنا بانه انشق ولم يخبرنا بانه سينشق وان نظرنا الى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة انه قد كان ذلك في ايام النبوة واذا نظرنا الى اقوال اهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت الى شذ وذ من شذ واستبعاد من استبعد وفي الباب رسائل شتى للشيخ رفيع الدين الدهلوي رح وغيره : قد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وروي عنه من طرق اخرى عند مسلم والترمذي وغيرهما وقال فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعنه قال رايت القمر منشقا شقتين مرتين مرة بمكة قبل ان يخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة على ابي قبيس وشقة على السويدا وذكر ان هذا سبب نزول الاية اخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وعنه ايضا قال رايت القمر وقد انشق وابصرت الجبل بين فرجتي القمر اخرجه احمد وابو نعيم وابن جرير وغيرهم وله طرق عنه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال انشق القمر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وله طرق عنه واخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن ابن عمر في الاية قال كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر فرقتين فرقة من دون الجبل وفرقة خلفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم عن ابيه في الاية قال انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه احمد والترمذي والحاكم وصححه وعبد بن حميد وغيرهم وعن عبد الرحمن السلمي قال خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله واثنى عليه ثم قال اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وان الدنيا قد آذنت بفراق اليوم المضمار وغدا السباق اخرجه ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن احمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وابو نعيم ونقل في المواهب عن الحافظ ابن حجر ان الانشقاق لم يقع الا مرة واحدة وان رواية مرتين مؤولة مصروفة عن ظاهرها وكان اي الانشقاق قبل الهجرة بنحو خمس سنين وَإِن يَرَوْا اي كفار قريش آية تدل على صدق الرسول والمراد بها هنا انشقاق القمر يُعْرِضُوا عن تاملها والايمان بها وَيَقُولُوا هذا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ اي دائم مطرد قوي وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وتراد فها اعرضوا عن التصديق بها وقالوا هذا سحر مستمر قال الواحدي قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد فقال الله وان يروا اية يعني انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق بها والايمان بها ويقولوا سحر قوي شديد يعلو كل سحر من قولهم استمر الشيء اذا قوي واستحكم وقد قال بان معنى مستمر قوي شديد جماعة من اهل العلم قال الاخفش هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وبه قال ابو العالية والضحاك واختاره النحاس وقال الفراء والكسائي وابو عبيدة سحر مستمر اي ذاهب مار سوف يذهب ولا يبقى من قولهم مر الشيء واستمر اي ذهب وبطل

وبه قال قتادة ومجاهد وغيرهما وانشقاره النحاس وقيل يشبه بعضه بعضا وقيل قدر مرور الارض الى السماء وقيل هو من المرارة يقال مر الشيء صار مرا اي مستبشع عندهم مر على لهواهم لا يقدرون ان يسيغوه كما لا يساغ المر وبه قال الزمخشري وفي هذه الآية اعظم دليل على ان الانشقاق قد كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قررناه سابقا وفي التفهيمات للشيخ ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله واما شق القمر فعندنا ليس من المعجزات انما هو من آيات القيامة كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولكنه صلى الله عليه وسلم اخبر عنه قبل وجوده فكان معجزة من هذا السبيل انتهى واعترضه بعض من لا يسمن قوله ولا يغني من جوع ودفعه جماعة من علماء الهند وغيرهم وليس في هذه العبارة انكار تلك المعجزة كما فهمه بعض القاصرين عن بلوغ رتبة الكمال بل هي ادل دليل على اثباتها عند من يفهم كلام العلماء بالله تعالى تأمل ثم ذكر سبحانه تكذيبهم فقال وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله واتبعوا اهواءهم وما زينه لهم الشيطان الرجيم من دفع الحق بعد ظهوره ذكرهذين بصيغة الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة مع ان الظاهر المضارع لكونهما معطوفين على يعرضوا وكل امر مستقر مستأنفة للتقرير ببطلان ما قالوه من التكاذيب واتباع الاهوى ولافتاطهم مما علقوا به اماينهم الفارغة عن علم استقرار امره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا امر مستمر بيان شأنه ورسوخه اي وكل امر من الامور صائر الى غاية يستقر عليها لا محالة فالخير يستقر باهل الخير والشر يستقر باهل الشر قال الفراء تقول يستقر فوا ذا تكاذيبهم وقرا قول المصدقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل كل عامل فهو كائن لا محالة وقال الكلبي المعنى لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر اي ليس امره بدائم كما ان سحر امرهم صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق وقيل كل امر من امرهم وامره صلى الله عليه وسلم مستقر على ما اتخذ لان او نصرة في الدنيا او شقاوة او سعادة في الاخرى ذكره ابو السعود والظاهر هو الاول وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به قرأ الجمهور مستقر بكسر القاف وهو مرتفع على انه خبر المبتدء وهو كل وقرئ بالجر على الصفة لامر وقرئ بفتح القاف قال ابو حاتم ولا وجه لها وقيل وجهه كل امر وامر واستقرارا او وزمان استقرار على انه مصدر او ظرف زمان او ظرف مكان ولقد جاءهم اي كفار مكة او الكفار على العموم من الانباء اي من بعض اخبار الامم المكذبة المقصوصة علينا في القرآن ما فيه مزدجر اي ازدجار عن الكفر على انه مصدر ميمي يقال

ازدجرته وزجرته اذا نحيته عن السوء ووعظته بغلظة واسم مكان والمعنى جاءهم ما فيه موضع ازدجار اي انه في نفسه موضع لذلك واصله مزتجر وتاء الافتعال تقلب الا بعد الرائي والدال والذال كما تقرر في موضعه وهذا في آخر كتاب سيبويه وقرئ مزّجر بابدال التاء زايا وادغامها وقرئ مزجر اسم فاعل من ازجر اي صار ذا زجر وما موصولة او موصوفة حِكْمَةٌ خبر مبتدء محذوف او بدل من ما بدل كل من كل او بدل اشتمال او من مزدجر بالغة تامة اي القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل وقرئ بالنصب على انها حال من ما اي حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة نهاية الصواب فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ما استفهامية اي اي شيء او لأي اغناء تغني النذر وتحصله وتكسبه او نافية اي لم تغن النذر شيئا ولم تنفع فيهم والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة ولا ترسم الياء هنا بعد التوّ اتباعا لرسم المصحف والنذر جمع نذير بمعنى المنذر اي الامور المنذرة لهم كاحوال الامم السابقة وما بلغ اليهم من العذاب الذي بلغ قريشا وتسامعوا به او بمعنى الانذار على انه مصدر نُذُرِ امره الله سبحانه لا اعراض عنهم فقال فَتَوَلَّ عَنْهُمْ اي اعرض عنهم حيث لم يؤثر فيهم الانذار وهي منسوخة بآية السيف قاله اكثر المفسرين وقال الرازي لن قولهم بالنسخ ليس بشيء بل المراد منها الامتناظرهم بالكلام ذكره الخطيب يَوْمَ اي اذكر يوم يَدْعُ الدَّاعِ واليه ذهب الرماني والزمخشري وفيه وجوه هذا اقربها وسقطت الواو من يدع اتباعا للفظ وقد وقعت في الرسم هكذا وحذفت الياء من الداع مبالغة في التخفيف والاكتفاء بالكسرة والداع هو اسرافيل وقيل جبريل والاول اولى إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ اي امر فظيع ينكرونه استعظاما له لعدم تقدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقيل هو الحساب قرأ الجمهور نكر بضم الكاف وقرئ بسكونها تخفيفا وقرئ بكسر النون وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ قرأ الجمهور خشعا جمع خاشع وقرئ خاشعا على الافراد وقرأ ابن مسعود خاشعة قال الفراء الصفة اذا تقدمت على الجماعة جاز فيها التذكير والتانيث والجمع بعينه جمع التكسير لا جمع السلامة لانه يكون من الجمع بين الفاعلين والخشوع في البصر الخضوع والذلة واضاف الخشوع الى الابصار لان العز والذل يتبين فيها ويظهر اكثر من ظهوره على بقية البدن يَخْرُجُونَ اي الناس مطلقا مؤمنهم وكافرهم مِنَ الْأَجْدَاثِ واحدها جدث وهو القبر كَأَنَّهُمْ لكثرتهم وتموجهم واختلاط بعضهم ببعض جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ اي منبث في الاقطار مختلط بعضه ببعض في الاماكن لا يدرون اين يذهبون من الخوف والحيرة مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ الاهطاع الاسراع في المشي اي حال كونهم مسرعين

الى الداعي وهو اسرافيل وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الى
الصوت والاول اولى وبه قال ابو عبيدة وغيره وقال ابن عباس ناظرين اليه بابصارهم لا يقلعون وقيل
ما ادنى اعناقهم اليه يَقُولُ الْكَافِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ اي صعب شديد على الكافرين كما في المدثر يوم
عسير على الكافرين غير يسير وفي اسناد هذا القول الى الكفار دليل على ان اليوم ليس بشديد على المؤمنين
ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدم من الانباء المجملة فقال كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ اي قبل قريش قَوْمُ نُوحٍ
اي كذبوا نبيهم وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا تفصيل بعد اجمال وتفسير
لما قبله من التكذيب المبهم وفيه مزيد تقرير وتاكيد اي فكذبوا نوحا والفاء على هذا تفصيلية فلا
التفصيل يكون عقب الاجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا بعد تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه
قرن مكذب والفاء للتعقيب والمكذب الثاني غير الاول وان اتحد المكذب او كذبوه بعد ما
كذبوا جميع الرسل والفاء على هذا للتسبب وانما لم يرتض القاضي هذين الوجهين وان جرى في
الكشاف عليهما لان الظاهر هو الاتحاد في كليهما ثم بين سبحانه انهم لم يقتصروا على مجرد التكذيب
فقال وَقَالُوا مَجْنُونٌ اي نسبوا نوحا الى الجنون وَازْدُجِرَ معطوف على قالوا اي وزجر عن دعوى النبوة
وعن تبليغ ما ارسل به بانواع الزجر وقيل انه معطوف على مجنون اي وقالوا انه ازدجرته الجن
تخبطته وذهبت بلبه والاول اولى قال مجاهد هو من كلام الله سبحانه اخبر عنه بانه انتهر وزجر
بالسب وانواع الاذى قال الرازي وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه
فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ على قومه أَنِّي اي بانى وقرئ بكسر الهمزة على اضمار القول اي فقال اني ولما اجراء الدعاء
مجرى القول وهو مذهب الكوفيين مَغْلُوبٌ من جهة قومي لتمردهم عن الطاعة وزجرهم اياي عن
تبليغ الرسالة وذلك بعد صبره عليهم غاية الصبر حيث مكث الف سنة الا خمسين عاما يعالجهم فلم
يفد فيهم شيئا ولما يئس عن اجابتهم وعلم تمردهم وعتوهم واصرارهم على ضلالتهم طلب منه ربه
سبحانه النصرة عليهم فقال فَانْتَصِرْ اي انتقم لي منهم ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال فَفَتَحْنَا
مخففا ومشددا وهما سبعيتان أَبْوَابَ السَّمَاءِ اي كلها في جميع الاقطار وهو على ظاهره والسماء
ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة
فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب والاول اولى بِمَاءٍ الباء للتعدية على المبالغة حيث جعل الماء كالآلة

التي يفتح بها كما تقول فتحت بالمفتاح مُنْهَمِرٍ غزير نازل بقوة اي منصبا انصبابا شديدا في كثرة وتبالغ لم ينقطع اربعين يوما والهمر الصب بكثرة يقال همر الماء والدمع يهمر همرا وهو رجل همار كثير وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا اي جعلنا الارض كلها عيونا متفجرة وهو ابلغ من قولك فجرنا عيون الارض قرأ الجمهور فجرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون وسالت بالمياه فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وقرئ الماءان وقرأ علي ومحمد بن كعب الماوان اي التقى ماء السماء وماء الارض على امر قد قضي عليهم اي كائنا على حال قدرها الله وقضى بها في اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان قيل كان ماء السماء اكثر وقيل بالعكس وحكى ابن قتيبة ان المعنى على مقدار لم يزد احدهما على الآخر بل كان ماء السماء وماء الارض على سواء قال قتادة قدر لهم اذ كفروا ان يغرقوا قال ابن عباس لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب وفتحت ابواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماءان وَحَمَلْنَاهُ اي نوحا عَلَىٰ سفينة ذَاتِ أَلْوَاحٍ وهي الاخشاب العريضة وَدُسُرٍ قال الزجاج هي المسامير التي تشد بها الالواح واحدها دسار وكل شيء ادخل في شيء يشده فهو دسر وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب وابن زيد وسعيد بن جبير وغيرهم وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة الدسر ظهر السفينة التي يضربها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء اي تدفعه والدسر الدفع وقال الليث الدسار خيط يشد به الواح السفينة قال في الصحاح الدسار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير وقيل صدر السفينة وقيل عوارضها واضلاعها وقيل الالواح جانب السفينة والدسر اصلها وقيل اصلها وطرفاها قال ابن عباس الالواح الواح السفينة والدسر معاديضها التي تشد بها السفينة وقال ايضا المسامير وقال ايضا الدسر كلكل السفينة وقال مجاهد نطق السفينة وعنه ايضا اضلاع السفينة تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا اي بمنظر ومرأى منا وحفظ منا لها كما في قوله واصنع الفلك باعيننا وقيل بامرنا وقيل بوحينا وقيل بالاعين النابعة من الارض وقيل باعين اوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها والاول اولى جَزَاءً قال الفراء فعلنا به وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا فالنصب على العلة وقيل اي اغرقوا انتصارا وهو تفسير للمعنى وقيل جازيناهم جزاء لِمَنْ كَانَ كُفِرَ به وبحد امره وهو نوح عليه السلام فانه كان لهم نعمة كفروها مثل بني نعمة على امته قرأ الجمهور كفر مبنيا للمفعول والمراد به نوح وقيل هو الله

سبحانه فانهم كفروا به وجحدوا نعمته وقرئ كفر بفتح الكاف والفاء صيغة الفاعل اي جزاء وعقاب لمن كفر بالله ولقد تركناها اي السفينة اية عبرة للمعتبرين قال قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي زمانا طويلا حتى نظر اليها وراثها اوائل هذه الامة او ابقينا خبرها او ابقينا جنس السفن او تركنا بمعنى جعلنا وقيل المعنى تركنا هذه الفعلة التي فعلناها بهم عبرة وموعظة لمن بعدهم ويتعظ بها فهل من مدكر اصله مذتكر فابدلت التاء دالا ثم ابدلت الدال المعجمة مهملة لتقاربهما وادغمت الدال في الدال والمعنى هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآيات ويعتبر بها فيترك المعصية ويختار الطاعة ثم انه تعالى لما اجاب دعوة نوح بان اغرقهم اجمعين قال استعظاما لذلك العقاب وابعادا للمشركي مكة فكيف كان عذابي الذي عذبتهم به وكيف كان عاقبة نذر اي انذاري قال الفراء الانذار والنذر مصدران والاستفهام للتهويل والتعجيب اي كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار ولقد يسرنا القرآن للذكر اي سهلنا للاذكار والاتعاظ بان شحناه بانواع المواعظ والعبر الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد يحفظه الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قال ابن عباس لو ان الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع احد من الخلق ان يتكلموا بكلام الله واخرج الديلمي عن انس مرفوعا مثله وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا الا القرآن والجملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقرير المضمون ما سبق وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الاذكار فيها كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اي وتالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه ومعتبر لعبره وطالب لحفظه فيعان عليه وقارئ يقرأه وطالب علم وخير وقال ابن عباس هل من متذكر كرر هذا في هذه السورة للتنبيه والافهام وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الامة انباء الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى امورهم وامور المرسلين فكان في كل قصة ونبأ ذكر للمستمع ان لو تذكر وانما كرر هذه الآية عند كل قصة بقوله فهل من مدكر لان كل كلمة استفهام تستدعي افهامهم التي ركبت في جواهرهم وجعلها حجة عليهم فاللام من هل للاستعراض والهاء للاستخراج وفي الآية الحث على حفظ القرآن والاستكثار من تلاوته والمسارعة في تعلمه كذبت عاد هم قوم هود ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم اسارعة

الى بيان ما نزل بهم من العذاب ولم يقل فكذبوا هودا كما قال في قصة نوح فكذبوا عبدنا الان تكذيب قوم نوح ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم وامالان قصة عاد ذكرت مختصرة فكيف كان عذابي ونذر اي فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وانذاري اياهم ونذر مصدر بمعنى انذار كما تقدم والاستفهام للتهويل والتعظيم والغرض بهذا توجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا هذه الجملة مستانفة مبينة لما اجمله سابقا من العذاب والصرصر شدة البرد اي ريح شديدة البرد وقيل الصرصر شدة الصوت وقد تقدم بيانه في حم السجدة قال ابن عباس ريحا صرصرا اي باردة في يوم نحس مستمر اي دائم الشوم الى الابد استمر عليهم بنحوسه واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم قال الزجاج اي يوم الاربعاء في آخر الشهر اي شهر شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء آخره وقد قال في سورة الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وفي حم السجدة في ايام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان وعلى هذا ليس المراد ان يوم نزول العذاب كان آخر الشهر قاله الخطيب قال الضحاك كان ذلك اليوم مراعيهم وكذا حكى الكسائي عن قوم انهم قالوا هو من المرارة اي كالشيء المر تكرهه النفوس وقيل هو من المرة بمعنى القوة اي في يوم ذي شوم مستحكم كالشيء المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه والظاهر انه من الاستمرار لا من المرارة ولا من المرة اي دام عليهم العذاب فيه حتى اهلكهم وشمل بهلاكه كبيرهم وصغيرهم وقيل استمر بهم الى نار جهنم قال ابن عباس في ايام شداد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاربعاء يوم نحس مستمر اخرجه ابن المنذر وابن مردويه واخرجه هو عنه من وجه آخر مرفوعا وعن علي ايضا مرفوعا وعن انس ايضا مرفوعا وفيه قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال اغرق الله فيه فرعون وقومه واهلك فيه عادا وثمود واخرج ابن مردويه والخطيب بسند قال السيوطي ضعيف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر اربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قرأ الجمهور باضافة يوم الى نحس مع سكون الحاء وهو من اضافة الموصوف الى الصفة او على تقدير مضاف اي في يوم عذاب نحس وقرئ بتنوين يوم على ان نحس صفة له وقرئ بكسر الحاء تنزع الناس اوقع الظاهر موضع المضمر ليعم ذكورهم واناثهم والا فالاصل تنزعهم اي تقلعهم من الارض من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها قال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمي بهم على رؤوسهم فتدق اعناقهم وتبين

رؤسهم من اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقيل من قبورهم لانهم حفروا حفائر ودخلوها روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح فصرعتهم وصرعتهم موتى كانهم وحالهم ماذكر أعجاز نخل منقعر الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر كل شيء وعن ابن عباس قال اصول النخل وعنه اعجاز سواد النخل والمنقعر المنقطع المنقلع من اصله يقال قعرت النخلة اذا قطعتها من اصلها حتى تسقط شبههم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الارض التي ليس لها رؤس وذلك ان الريح قلعت رؤسهم او لانهم كبوا على وجوههم وهذا ما جرى عليه الزجاج وغيره وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض باجسامهم فكانهم لعظم اجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح لما صرعتهم والقتهم على الارض فكانها اقلعت اعجاز نخل منقعر وتذكير منقعر مع انه صفة لاعجاز نخل وهي مؤنثة اعتبارا باللفظ ويجوز تانيثه اعتبارا بالمعنى كما قال اعجاز نخل خاوية قال المبرد كل ما ورد عليك من هذا الباب ان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا والى المعنى تانيثا وقيل ان النخل والنخيل يذكر ويؤنث فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله او انذاراتي في تعدد بهم لمن بعدهم كرر التهويل وقال ابو السعود قوبل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما قيل او ما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واوكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم فتحرم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد اتبعه ببيان تكذيب ثمود فقال كذبت ثمود بالنذر جمع نذير اي كذبت بالرسل المرسلين او مصدر بمعنى الانذار اي كذبت بالانذار الذي انذروا به وانما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيبا للرسل لان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب سائرهم لاتفاقهم في الدعوة الى كليات الشرائع فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه الاستفهام للانكار اي كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا منفردا واحدا لا متابع له على ما يدعو اليه قرأ الجمهور بنصب بشرا على الاشتغال اي انتبع بشرا واحدا منا وهو الراجح لتقدم اداة هي بالفعل اولى وقرئ بالرفع على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرئ برفع بشر ونصب واحد على الحال إنا إذا لفي ضلل اي ان اتبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق والصواب وسعر اي عذاب وعناء وشدة كذا قال الفراء

ع ١ ٢٢

وغيره وقال ابو عبيدة هو جمع سعير وهو لهب النار والسعر الجنون يذهب كذا وكذا مما يتلهب به من الحدة وقال مجاهد سعر بعد عن الحق وقال السدي في احتراق وقيل المراد به هنا الجنون من قولهم ناقة مسعورة اي كانها من شدة نشاطها مجنونة وقال ابن عباس في شقاء ثم كرروا الانكار والاستبعاد فقالوا ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا اي كيف خص من بيننا بالوحي والنبوة وفينا من هو احق بذلك منه ثم اضربوا عن الانكار وانتقلوا الى الجزم بكونه كذابا اشرا فقالوا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ الاشر المرح والنشاط او البطر والتكبر وتفسيره بالبطر والتكبر انسب بالمقام قرأ الجمهور اشر كفرح صفة مشبهة وقرئ على انه فعل التفضيل وقرئ بفتح الشين وفتح الهمزة ثم اجاب سبحانه عليهم بقوله سَيَعْلَمُونَ غَدًا السين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بقوله غدا وقت نزول العذاب الذي حل بهم في الدنيا او في يوم القيامة جريا على عادة الناس في التعبير بالغد عن المستقبل من الامر وان بعد كما في قولهم ان مع اليوم غدا والاول اولى قرأ الجمهور بالفوقية على انه اخبار من الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة تجعل سبيلا الالتفات وقرئ بالتاء على انه خطاب من صالح لقومه مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ من استفهامية اي اي فريق هو الكذاب الاشر المتكبر البطر اهو هم ام صالح عليه السلام إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ مستانفة لبيان ما تقدم اجماله من الوعيد وصادي الموعود به حتما اي انا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه وموجدوها لهم فِتْنَةً لَهُمْ اي ابتلاء وامتحانا واختبارا فَارْتَقِبْهُمْ اي انتظر ما يصنعون وما يصنع بهم وَاصْطَبِرْ اي اصبر على ما يصيبك من الاذى منهم ولا تعجل حتى ياتيك امرنا وَنَبِّئْهُمْ اي اخبرهم اخبارا عظيما عن امر عظيم وهو اَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ اي بين ثمود وبين الناقة لها يوم لا تدع في البئر قطرة ياخذها احد منهم ولهم يوم لا تشاركهم فيه كما في قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال بينهم بضمير العقلاء تغليبا قرأ الجمهور قسمة بكسر القاف بمعنى مقسوم وقرئ بفتحها كُلُّ شِرْبٍ هو بكسر الشين الحظ من الماء والنصيب مُحْتَضَرٌ عليها ان تحضره من هو له فالناقة تحضره يوما وهم يحضرونه يوما قال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ اي فتمادوا على ذلك او فبقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فاجمعوا على قتلها والفاء فصيحة تفصح عن الكلام محذوفا وهو ما تقدم والمعنى نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة

يحضونه على عقرها فتعاطى التعاطي تناول الشيء بتكلف اي تناول الناقة بالعقر فعقرها واجترأ على فعلها بسبب العقر فعقرها غير مكترث قال محمد بن اسحاق كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها وامتنعت لهم فلما كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله اي وقع موقعه وبينه بقوله إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة قال عطاء يريد صيحة جبريل صاح بهم في اليوم الرابع من عقر الناقة لانه كان في اليوم الثلثاء ونزول العذاب بهم كان في يوم السبت وقد مضى بيان هذا في سورة هود والاعراف فكانوا كهشيم المحتظر قرأ الجمهور بكسر الظاء والهشيم حطام الشجر وباسم المحتظر صاحب الحظيرة وهو الذي يجعل لغنمه حظيرة تمنعها عن برد الريح يقال احتظر على غنمه اذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض قال في الصحاح المحتظر الذي يعمل الحظيرة اي من يابس الشجر والشوك يحفظ الغنم من السباع والذئاب والحظيرة زريبة الغنم ونحوها قاله الشهاب وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة فمن قرأ بالكسر اراد الفاعل للاحتظار ومن قرأ بالفتح اراد الحظيرة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومعنى الآية انهم صاروا كالشجر اذا يبس في الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه وقال قتادة هو العظام المحترقة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما يتناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصى قال ابن زيد العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما والمتهشم المتكسر المحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به يبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيحتطم ويتهشم وقال ابن عباس كحطام تراثر من الشجر محترقة وكالعظام المحترقة وكالحشيش تأكله الغنم ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فائدة تكرير هذه الآية ان يجددوا عند استماع كل نبأ من هذه الانباء اذكارا واتعاظا وان يستأنفوا يقظا وانتباها اذا سمعوا والحث على ذلك والبعث اليه وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ثم اخبر سبحانه عن قوم لوط بانهم كذبوا برسل الله كما كذب غيرهم فقال كذبت قوم لوط بالنذر اي بالامور المنذرة لهم على لسانه ثم بين سبحانه ما عذبهم به فقال إنا أرسلنا عليهم حاصبا اي ريحا ترميهم بالحصباء بالمد وهي الحصا ومنه المحصب وهو موضع بالحجاز قال ابو عبيدة والمنضود المتراكم الحاصب الحجارة في الريح قال في الصحاح الحاصب الريح الشديدة

للتي يتطير الحصباء والحصب بفتحتين ما تحصب به النار اي ترمي وكل ما القيته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لكونها في تاويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قوله لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الله ارسل عليهم نفس الحجارة لا الريح التي تحصبها الا انه قيل هنا ارسلنا عليهم حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح لها الا ال لوط يعني لوطا وابنتيه ومن تبعه وفي الاستثناء وجهان احدهما انه متصل اي ارسل الحاصب على الجميع الا اهله فانه لم يرسل عليهم والثاني انه منقطع وبه قال ابو البقاء ولا ادري ما وجهه فان الانقطاع وعدمه عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس الا وهو كلام مشكل نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ الى اخر الليل وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض اول النهار فيكون فيه مخائل الليل ومخائل النهار وقيل هما سحران الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانصرف سحر لانه نكرة لم تقصد به سحر ليلة معينة ويوم معين ولو قصد معينا لامتنع كذا قال الزجاج والاخفش وغيرهما والباء بمعنى في او هي للملابسة اي حال كونهم متلبسين بسحر نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا انتصب على العلة او على المصدرية اي انعاما منا على لوط ومن تبعه كَذَٰلِكَ اي مثل ذلك الجزاء نَجْزِي مَنْ شَكَرَ نعمتنا ولم يكفرها مع اصل الايمان او من ضم الى الايمان عمل الطاعات وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا اي انذر لوط قومه بطشة الله بهم وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ اي شكوا في الانذار ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية وهي الشك او تجادلوا وكذبوا بانذاره وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ اي اراد وامنه تمكينهم ممن اتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دابهم يقال راودته عن كذا مرارا ودة وروادا اي اردته وراد الكلام يروده روادا اي طلبه المرة بعد المرة ان يخلي بينهم وبينهم وقد تقدم تفسير المراودة في سورة هود فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ الطمس الدرس والامحاء قاله في المختار اي صيرناها ممسوحة لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام بما تسفي عليها من التراب وقيل اذهب الله نور ابصارهم مع بقاء الاعين على صورتها قال الضحاك طمس الله على ابصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا فَذُوقُوا اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد بهذا الامر الخبر اي اذقناهم عَذَابِي وَنُذُرِ يعني ما انذرهم به لوط من العذاب

ولقد صبحهم بكرة اي اتاهم صباحا من يوم غير معين عذاب نازل عليهم مستقر دائم
لا يفارقهم ولا ينفك عنهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الاخرة فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر واصل وجه تكرير تيسير القران للذكر في هذه السورة ع ١٨
اه اشعارا بانه منة عظيمة لا ينبغي لاحد ان يغفل عن شكرها ولان في كل قصة اشعارا بان تكذيب
كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للاذكار والاتعاظ وهذا احكم التكرير
في قوله فباي الاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل اية
اوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة
للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء ال فرعون النذر جمع نذير او مصدر
بمعنى الانذار كما تقدم وهي الايات التسع التي انذرهم بها موسى وهذا اولى لقوله كذبوا بآياتنا
كلها فانه بيان لان المراد بها الايات التسع التي تقدم ذكرها وقيل المنذرون موسى وهارون وغيرهما
من الانبياء فاخذناهم بالعذاب اخذ عزيز مقتدر اي اخذ غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم
لا يعجزه شيء ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال اكفاركم خير من اولئكم الاستفهام للانكار والمعنى
النفي اي ليس كفاركم يا اهل مكة او يا معشر العرب خير من كفار من تقدمكم من الامم الذين اهلكوا
بسبب الكفر فكيف تطمعون في السلامة من العذاب وانتم شر منهم قال ابن عباس يقول ليس
كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط وقيل من قوم عاد وثمود وفرعون وقومه ثم اضرب
سبحانه عن ذلك وانتقل الى تبكيتهم بوجه آخر هو اشد من التبكيت بالوجه الاول فقال ام لكم براءة
في الزبر هي الكتب المنزلة على الانبياء والمعنى انكار ان تكون لهم براءة من عذاب الله في شيء من كتبه
ثم اضرب عن هذا التبكيت وانتقل الى التبكيت بوجه آخر فقال ام يقولون نحن جميع منتصر
اي جماعة لانطاق للكثرة عددنا وقوتنا وامرنا مجتمع لا تغلب وافرد منتصر اعتبارا بلفظ جميع وموافقة
لرؤوس الاي اونحن كلواحد منا منتصر قال الكلبي المعنى نحن جميع امرنا ننتصر من اعدائنا ولا نرام ولا
نضام فرد الله سبحانه عليهم بقوله سيهزم الجمع اي جمع كفار مكة او كفار العرب على العموم قرأ الجمهور
بالتحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وكسر الزاي ونصب الجمع وقرئ بالتحتية مبنيا للفاعل وبالفوقية
على الخطاب مبنيا للفاعل ويولون الدبر قرأ الجمهور بالتحتية وقرئ بالفوقية على الخطاب

والمراد بالدبر الجنس وهو في معنى الادبار وقيل واحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا ينبت احد المزحف فهم في ذلك كرجل واحد وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الادبار وقتل رؤساء الشرك واساطين الكفر غلة الحمد وهذه من علامات النبوة قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر قالوا نحن جميع منتصر فنزلت هذه الآية بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ اي موعد عذابهم الاخروي بعد بدر وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والاسر والقهر هو تمام ما وعد لهم به من العذاب انما هو مقدمة من مقدماته وطليعة من طلائعه ولهذا قال وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ اي وعذاب الساعة اعظم في الضرر وافظع واشد من موقف بدر يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه ما خوذ من الدهاء وهو النكر والفظاعة واظهار الساعة في مقام اضمارها لزيادة تهويلها وامر ايضا اشد مرارة من عذاب الدنيا في البخاري وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة لادم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله الحححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع ويقول سيهزم الى قوله ادهى وامر إِنَّ الْمُجْرِمِينَ اي المشركين فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ اي في ذهاب عن الحق وبعد عنه وفي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال في الدنيا وفي نار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال عن طريق الجنة وسعر اي عذاب الآخرة او في هلاك ونيران في الآخرة وقد تقدم في هذه السورة تفسير سعر فلا نعيده يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ اي كائنون في ضلال وسعر يوم يسحبون او يوم يسحبون يقال لهم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ اي قاسوا حرها وشدة عذابها كقولهم وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب قال الكرخي ان مس سقر مجاز عن اصابتها بعلاقة السببية والظاهر من تقرير الكشاف انه من الاستعارة بالكناية وسقر علم لجهنم غير منصرف للتانيث والتعريف من سقرته النار اذا لوحته اخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فانزلت يوم يسحبون الخ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ اي كل شيء من الاشياء خلقناه متلبسا بقدر اي بتقدير سابق وقضاء قضاه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه والقدر التقدير والعامة على نصب كل بالاشتغال وقرئ بالرفع وقد رجح الناس النصب

بل اوجبه بعضهم قال لان الرضى بهما لا يجوز على قواعد اهل السنة وقال ابو البقاء وانما كان النصب اولى لان الاتباع على عموم الخلق والرضى لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شيء مخلوق فهو بقدر وانما دل نصب كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شيء بقدر فخلقنا مؤكد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات والمسمين هنا كلام مبسوط لا نطول بذكره اخرج مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اخرجه مسلم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر اخرجه الترمذي واستغربه وفي الباب احاديث بين صحيح منها وضعيف قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن قال النووي ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اي انه انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا انتهى وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة السنة احسن تقرير بالادلة القطعية السمعية والعقلية ليس هذا موضع بسطها والله تعالى اعلم وما امرنا الا واحدة للشيء نريد وجوده الا كلمة واحدة اي الامرة واحدة او فعلة واحدة وهو ايجاد بلا معالجة ومعاناة او كلمة واحدة وهي قوله كن فيكون فهنا بان الفرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقيل المراد بالامر القيامة كلمح بالبصر في سرعة اللمح للناظر على المحملة والسرعة وفي الصحاح لمحه والمحاز ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة اي فكما ان لمح احدكم ببصره لا كلفة عليه فيه

وفي بعض النسخ كل شيء كان بقدر وفي بعضها وكل شيء خلقناه بقدر وفي بعضها وكل شيء فعلوه في الزبر وفي بعضها وكل شيء كبير مستطر ولعل الاولى ان يكون ما قبل الاخير من باب التفنن في التعبير بقرينة ما بعده والله تعالى اعلم منه غفر له بعضهم بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

فكذلك الافعال كلها عندنا بل ايسر قال الكلبي وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كلمح البصر
وَلَقَدْ اَهْلَكْنَا اَشْيَاعَكُمْ اي اشباهكم ونظرائكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم واعوانكم فَهَلْ مِنْ
مُدَّكِرٍ يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم ان ذلك حق فيخاف العقوبة وان يحل به ما حل بالامم السالفة
وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ اي جميع ما فعلته الامم من خير او شر مكتوب في اللوح المحفوظ وقيل في
كتب الحفظة ودواوينهم وَكُلُّ صَغِيرٍ وَّكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ يقال سطر يسطر سطرا كتب واسطر مثله
اي كل شيء من اعمال الخلق واقوالهم وافعالهم وما هو كائن مسطور في اللوح المحفوظ صغيره و
كبيره وجليله وحقيره قال ابن عمر مسطور في الكتاب ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الاشقياء ذكر
حال السعداء فقال اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنّٰتٍ وَّنَهَرٍ اريد به الجنس لمناسبة جمع الجنات وانما افرد
في اللفظ للموافقة رؤس الآي برفرأ الجمهور وهو يشمل انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقرئ
بسكون الهاء وهما لغتان وقرئ بضم النون والهاء على الجمع شاذا والمعنى انهم في بساتين مختلفة و
جنان متنوعة وانهار متدفقة وقيل النهر السعة والضياء ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم
والاول اولى فِيْ مَقْعَدِ صِدْقٍ من اضافة الموصوف الى الصفة اي في مجلس حق ومكان مرضي
لا لغو فيه ولا كذب ولا تاثيم وهو الجنة واريد به الجنس وقرئ مقاعد شاذا عِنْدَ مَلِيْكٍ اي عزيز
الملك واسعه مُّقْتَدِرٍ اي قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء وعند ههنا كناية عن الكرامة وشرف ع ١٥
المنزلة وتقريب الرتبة بحيث ابهم على ذوي الافهام وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شيء الا و
هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير ؕ

سورة الرحمٰن هي ست وسبعون آية وهي مكية

قال القرطبي كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر قال ابن عباس الا اية
منها وهي قوله يسأله من في السموات والارض الاية وصوابه الا ايتين كما صرح به الكازروني والايتان
هما يسأله الى قوله كل يوم هو في شان هذه واحدة فباي الاء ربكما تكذبان هذه اخرى وقال ابن
مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والاول اصح قال ابن الزبير انزلت بمكة وعن عايشة نزلت بمكة

وعن ابن عباس مثله وعن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون فبأي آلاء ربكما تكذبان اخرجه احمد وابن مردويه قال السيوطي بسند حسن وعن ابن عباس نزلت سورة الرحمن بالمدينة ويمكن الجمع بين القولين بانه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال مالي اراكم سكوتا لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كلما اتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد رواه الترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد وحكى عن الامام احمد انه كان يستنكر روايته عن زهير وقال البزار لا نعرفه يروى الا من هذا الوجه اخرجه البزار وابن جرير والدارقطني في الافراد وغيرهم من حديث ابن عمر وصححه السيوطي اسناده وقال البزار لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه بهذا الاسناد وعن علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن مبتدء وما بعده من الافعال خبره ويجوز ان يكون خبر مبتدء محذوف اي الله الرحمن او الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن اذا تمم هذا المضمر[1] وعلى الوجه الاول ليس بآية علم القرآن اي يسره للذكر ليحفظ ويتلى قاله الزجاج قال الكلبي علم القرآن محمد صلى الله عليه وسلم وعلمه محمد صلى الله عليه وسلم امته وقيل علم جبريل القرآن وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه ولان قوله خلق الانسان دال عليه وقيل جعله علامة لما يعبد الناس به وآية يعتبر بها قبل نزلت هذه الآية تحدوا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وقيل جواب لقولهم وما الرحمن ولما كانت هذه السورة لتعديد نعمه التي انعم بها على عباده قدم النعمة التي هي اجلها قدرا واكثرها نفعا واعلاها رتبة واتمها فائدة واعظمها عائدة وهي نعمة تعليم القرآن العزيز فانه مدار سعادة الدارين وقطب رحى الخيرين وعماد الامرين وسنام الكتب السماوية المنزل على افضل البرية ثم امتن بعد هذه النعمة بنعمة الخلق

[1] وذلك انهم عدوا الرحمن آية والا يضر ذلك الا ابتداء فيجوز عوده الى الآية الثانية للبيان ويكون تمامها

سورة الرحمن سبع وسبعون آية

الذي بما شاط كل الامور ومرجع جميع الاشياء فقال خلق الانسان اي آدم قاله قتادة والحسن
وقال ابن كيسان المراد هنا محمد صلى الله عليه وسلم والاولى حمل الانسان على الجنس وقدم تعليم القرآن للانسان
على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه افاده السمين ثم اعتنى ثالثا
بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم ويدور عليه التخاطب وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد لانه
لا يمكن ابراز ما في الضمائر ولا اظهار مايريد في الخلد الا به فقال علمه البيان قال قتادة والحسن المراد
بالبيان اسماء كل شيء وقيل المراد به اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية
وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس اي علمه النطق الذي يميز به عن سائر الحيوان
وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبيء عن خبر
الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقال ابن كيسان المراد به بيان الحلال من الحرام والهدى من
الضلال وهو بعيد وقال الضحاك البيان الخير والشر والحدود والاحكام وقال الربيع بن انس
هو ما ينفعه مما يضره وقيل البيان الكتابة بالقلم والاولى حمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم
الذي يتكلمون به الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروج
ومنازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين ويتسق
بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وقال ابن زيد وابن كيسان يعني
ان بهما تحسب الاوقات والآجال والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف
يحسب لان الدهر يكون كله ليلا او نهارا قال الضحاك معنى بحسبان بقدر وقال مجاهد بحسبان
كحسبان الرحى يعني قطبها الذي يدور عليه قال الاخفش الحسبان جماعة الحساب مثل
شهب وشهبان او مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران واما الحسبان بالضم في سورة
الكهف فهو العذاب كما مضى وقال ابن عباس بحساب ومنازل يرسلان والنجم والشجر
يسجدان النجم لا ساق له من النبات والشجر ما له ساق والمراد بسجودهما انقيادهما لامر الله تعالى انقياد
الساجدين من المكلفين طوعا وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها
حتى ينكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما في قوله يتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد
المراد بالنجم نجم السماء وسجوده طلوعه ورجح هذا ابن جرير وقيل سجوده افوله وسجود الشجر تمكينه من

الا جتناء لثماره، قال النحاس اصل السجود الاستسلام والانقياد لله وهذه الجملة والتي قبلها خبران أخران للرحمن وترك الرابط فيهما للظهور كانه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له والسماء رفعها اي جعلها مرفوعة مسموكة فوق الارض ووضع الميزان المراد به العدل اي وضع واثبت في الارض العدل الذي شرعه وامر به كذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم قال الزجاج المعنى انه امرنا بالعدل ويدل عليه قوله ألا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقال الحسن والضحاك المراد به آلة الوزن ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف اي لا تجوروا في ما يوزن به وقيل الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وبه قال الحسين بن الفضل والاول اولى ومعنى ان لا تطغوا لئلا تطغوا فلا نافية وتطغوا منصوب بان وقبلها لام العلة مقدرة وهذا اولى وقيل ان هي مفسرة لان في الوضع معنى القول ولا للنهي والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال الميزان الآلة التي يوزن بها قال طغيانه البخس وقيل الميزان كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا على الارض حيث علق به احكام عباده من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم وقيل المعنى انه وضع الميزان في الآخرة يوزن الاعمال ثم امر سبحانه باقامة العدل بعد اخباره للعباد بانه وضعه لهم فقال وأقيموا الوزن بالقسط اي قوموا وزنكم بالعدل وقيل المعنى اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية قلت وضع القسط بمعنى الميزان وقيل معناه لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل معناه لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم والاول اولى وقال قتادة في هذه الآية اعدل ابن آدم كما تحب ان يعدل لك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس امر سبحانه اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو المجاوزة للحد بالزيادة ثم نهى عن الخسران الذي هو النقص والبخس وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه قرأ الجمهور تخسروا من اخسر وقرئ بفتح التاء والسين من خسر وهما لغتان ويقال اخسرت الميزان وخسرته ثم ذكر سبحانه انه رفع السماء اخر انه وضع الارض فقال والارض وضعها للانام اي خفضها مدحية وبسطها على الماء لجميع الخلق مما لا روح وحياة

ولا وجه لتخصيص الانام بالانس والجن قال ابن عباس للانام للناس اي لاجل انتفاعهم بها وعنه قال كل شيء فيه روح فيها فاكهة اي كل ما يتفكه به الانسان من انواع الثمار والجملة حال مقدرة والاحسن ان يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة رفعت بالفاعلية ونكرت لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها هو من باب الترقي من الادنى الى الاعلى ثم افرد النخل بالذكر لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه فقال والنخل ذات الاكمام المعهود ذات الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكمام والاكاميم والكم ما ستر شيئا ومنه كم القميص بالضم والجمع كمام وكمة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة تكمم بالليف كما تكمم بما يغشاها الذي في اعناقها وسعفها وكفرها وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقال ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاحمال وقال ابن عباس اوعية الطلع والحب ذو العصف والريحان الحب هو جميع ما يقتات من الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والارز والعصف قال السدي والفراء هو بقل الزرع وهو اول ما ينبت منه قال ابن كيسان يبدو اولا ورقا وهو العصف ثم يبدو له ساق ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب قال الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا قال في الصحاح وقال الحسن العصف التبن وقال مجاهد هو ورق الشجر والزرع وقيل هو ورق الزرع الاخضر اذا قطع راسه ويبس ومنه قوله كعصف ماكول وقيل هو الزرع الكثير يقال قد اعصف الزرع ومكان معصف اي كثير الزرع قال ابن عباس العصف التبن والريحان خضرة الزرع وقال العصف ورق الزرع اذا يبس والريحان ما انبتت الارض من الريحان الذي يشم وعنه قال العصف الزرع اول ما يخرج بقلا والريحان حين يستوي على سوقه ولم يسنبل والريحان الرزق في قول الاكثرين وفي لغة حمير قال الحسن وقتادة والضحاك وابن زيد انه الريحان الذي يشم وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الكلبي ان العصف هو الورق الذي لا يوكل والريحان هو الحب المأكول وقال الفراء ايضا العصف المأكول من الزرع والريحان ما لا يوكل وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح قال ابن الاعرابي يقال شيء ريحاني ورحاني اي له روح وقال في الصحاح الريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت ابتغي ريحان الله وقيل العصف رزق البهائم والريحان رزق الناس قال ابن عباس كل ريحان في

القرآن فجمهور زق قرأ الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاث عطفا على فاكهة وقرئ بالنصب عطفا على الارض او على اضمار فعل اي وخلق الحب ذا العصف وقرئ الريحان بالجر عطفا على العصف فَبِأَيِّ آلَاءِ اي فبأي فرد من افراد نعم رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ بان بتلك النعم المذكورة هنا ام بغيرها والمراد بالتكذيب الانكار والخطاب للجن والانس لان لفظ الانام يعمهما وغيرهما ثم خصص بهذا الخطاب من يعقل وبهذا قال الجمهور من المفسرين ويدل عليه قوله فيما سيأتي سنفرغ لكم ايه الثقلان ويدل على هذا ما قدمناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على الجن والانس وقيل الخطاب للانس وثناه على قاعدة العرب في خطاب الواحد بلفظ التثنية كما قدمنا في قوله القيا في جهنم والآلاء النعم قال القرطبي وهو قول جميع المفسرين واحدها الى والى مثل معا وعصى والي والي اربع لغات حكاها النحاس وزاد في القاموس الوو قال ابن زيد انها القدرة اي فبأي قدرة وبه قال الكلبي وقال ابن عباس فبأي نعمة الله وقال يعني الجن والانس وكرر سبحانه هذه الآية في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا للتذكير بها على عادة العرب في الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب ايات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه وبدء الخلق ومعاده ثم سبعة منها عقب ايات فيها ذكر النار وشدائدها بعد ابواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لان من جملة الآلاء رفع البلاء وتاخير العقاب وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين واهلهما بعد ابواب الجنة وثمانية اخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاوليين اخذا من قوله ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة افاده شيخ الاسلام في متشابه القرآن قال التقيبي ان الله عد في هذه السورة نعماءه وذكر خلقه الاءه ثم اتبع كل خلة وضعها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليبنهم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع له احسانك وهو يكفره المرتكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا المرتكن خاملا فعززتك افتنكر هذا المرتكن راجلا فحملتك افتنكر هذا المرتكن عريانا فكسوتك والتكرير حسن في مثل هذا ومنه قول الشاعر لا تقتلي رجلا ان كنت مسلمة اياك اياك + ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك

مما انعم به على خلقه وخاطب الجن والانس بالاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليهم قال الحسين بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة وكررت هذه اللفظة في هذه السورة اما للتاكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى قال الجلال المحلي والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرء علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الاية الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قلت وينبغي من هذا انه يسن لسامع القاري لهذه السورة ان يجيبه بالجواب المذكور كلما قرء الاية المذكورة كما فعلت الجن واقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ولام على الصحابة في سكوتهم وصرح بالسنية الكازروني في تفسيره وصنيع ابي السعود يقتضي ان الاستفهام للتوبيخ والانكار ولفظه الفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعم وصنوف الاء الموجبة للشكر والايمان حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد التكير وتشديد التوبيخ وقرئ الاء على اصله بالمد والتوسط والقصر في جميع هذه السورة ولما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير وهو السماء والارض وما فيهما ذكر خلق العالم الصغير وقال خَلَقَ الْإِنْسَانَ وهذا تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بواجب شكر النعم المتعلقة بذات كل واحد من الثقلين والمراد بالانسان هنا ادم قال القرطبي بالاتفاق من اهل التاويل ولا يبعد ان يراد به الجنس لان بني ادم مخلوقون في ضمن خلق الله ادم من صَلْصَالٍ اي من طين يابس يسمع له صلصلة اي صوت اذا نقر اي يختبر هل فيه عيب او لا وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن يقال صل اللحم واصل اذا انتن وقد تقدم بيانه في سورة الحجر كَالْفَخَّارِ اي الخزف الذي طبخ بالنار والمعنى انه خلق الانسان من طين يشبه في يبسه الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو ادم فقال تعالى في ال عمران من تراب وقال في الحجر من حمإ مسنون وقال في الصافات من طين لازب وزاد الخازن من مدر مرمي وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فيها اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا بالماء اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار

صلصال كالفخار قال الخطيب المذكور هنا آخر تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها نار تعبدوه وتارة اثناوه فالارض امه والماء ابوه ومن جان بالهواء الحامل للحرارة هو من فيح جهنم ومن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار مطلب غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه فحمامة ومذامة والغالب في جبلة التراب فلذا نسب اليه وان كان خلقه من العناصر الاربع كما ان الجان من العناصر الاربع لكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ يعني خلق ابا الجن وقيل هو ابليس او جنس الجن ومن لابتداء الغاية والمارج اللهب الصافي من النار وقيل الخالص منها وقيل لسانها الذي يكون في طرفها اذا التهبت وقال الليث المارج الشعلة الصاعدة ذات اللهب الشديد قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة المارج خلط النار من مرج اذا اختلط واضطرب قال الجوهري مارج من نار نار لا دخان لها خلق منها الجان وقال ابن عباس من لهب النار وخالصها وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت مِّن نَّارٍ هو بيان للمارج او من للتبعيض او اراد من نار مخصوصة كقوله فلذلكم نارا تلظى او من صاف من نار او مختلط من النار كما تقدم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانه انعم عليكما في تضاعيف خلقكما من ذلك بنعم لا تحصى فهلا اعتبر تم هذا الاصول فصدقتم بالآخر فعلام تنجون من عذاب الله تعالى رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ قرأ الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو ربهما وقيل مبتدأ وخبره مرج البحرين بينهما اعتراض والاول اولى والمراد بالمشرقين مشرق الشتاء والصيف والمغربين مغاربهما قال ابن عباس للشمس مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء وغير مغربها في الشتاء وعنه قال مشرق الفجر ومشرق الشفق ومغرب الشمس ومغرب الشفق فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان في ذلك من النعم ما لا يحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه او بغير ذلك ولا يتيسر لمن انصف من نفسه تكذيب فرد من افراده مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ المرج التخلية والارسال يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها واصله الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى قال الحسن وقتادة هما بحر فارس والروم وقال ابن جريج هما البحر الملح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق والمغرب وقيل بحر اللؤلؤ والمرجان وقيل بحر السماء وبحر الارض وقيل بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجزين بينهما والمعنى خلى بينهما

النصف

وانه ارسل كل واحد منهما يتجاوران ويتماسان على وجه الارض لا فصل بينهما في مرأي العين قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما مع ذلك فلم يختلطا فلهذا قال بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ اي حاجز يحجز بينهما وقيل البرزخ الجزائر لَا يَبْغِيَانِ اي لا يبغي احدهما على الآخر بان يدخل فيه ويخالطه وقيل لا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق قال ابن عباس ارسل البحرين بينهما حاجز لا يختلطان بينهما من البعد لا يبغي كل واحد منهما على صاحبه وفي الخطيب لا يتجاوز كل واحد منهما ما حد له خالقه لا في الظاهر ولا في الباطن حتى ان العذب الداخل في الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح ضربي حفرت في جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب قال البقاعي بل كل ما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها احلى فخلطهما الله تعالى في رأي العين وحجز بينهما في غيب القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف ببغي بعضكم على بعض ايها العقلاء فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان هذه الاية وامثالها لا يتيسر تكذيبها بحال يَخْرُجُ قرأ الجمهور على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ اي الدر وَالْمَرْجَانُ الخرز الاحمر المعروف وقال الفراء اللؤلؤ العظام والمرجان ما صغر قال الواحدي وهو قول جميع اهل اللغة وقال مقاتل والسدي وجماعة اللؤلؤ صغاره والمرجان كباره وقال ابن عباس اذا مطرت السماء فتحت الاصداف في البحر افواهها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ وعن علي قال المرجان عظام اللؤلؤ وقال ابن عباس اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان اللؤلؤ الصغار وقال ابن مسعود المرجان الخرز الاحمر وقال منهما وانما يخرج ذلك من الملح لا من العذب لانه اذا خرج من احدهما فقد خرج منهما كما قال الزجاج وغيره وقال ابو علي الفارسي هو من باب حذف المضاف اي من احدهما كقوله على رجل من القريتين عظيم وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقال الاخفش زعم قوم انه يخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وقيل هما بحر السماء وبحر الارض فاذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤ فصار خارجا عنهما وقال بعضهم كلام الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوهما الا من الملح واذا كان في البر اشياء تخفى على التجار المتردين القاطعين المفاوز فكيف بما في قعر البحر واحمأ عنه ابن عادل بان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يالفون ويشاهدون ولا يخاطبهم الجواب عن التعسف

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان في ذلك الخروج من الآيات ما لا يستطيع احد تكذيبه ولا يقدر على انكاره وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام المراد بالجوار السفن الجارية في البحر وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع اخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان لم تكن كذلك فقال تعالى ونوح واصنع الفلك باعيننا اثر بعد ما اسماها سفينة فقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة قال الرازي الفلك اولا ثم السفينة ثم الجارية والمرأة المملوكة تسمى ايضا جارية لان شانها الجري والسعي في حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهي من الصفات الغالبة والعامة على كسر الراء من الجوار لانه منقوص على مفاعل والياء محذوفة لفظا وقرئ برفع الراء تناسبا للمحذوف وقرئ باثبات الياء في الوقف ولا تثبت في الرسم لانها من ياآت الزوائد والمنشآت المرفوعات التي رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت في البحر كالاعلام وهي الجبال والعلم الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر وقال قتادة المنشآت المخلوقات للجري وقال الاخفش المنشآت الجريات وقيل المحدثات المسخرات وقيل الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن وقد مضى الكلام على هذا في سورة الشورى وافراد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر قرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين وقرئ بكسرها فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان ذلك من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه ولا انكاره كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ اي كل من على الارض من الحيوانات هالك وعلى هذا لا يحتاج لتخصيص الاية بغير الجنة والنار والحور والولدان والحجب والعرش والارواح وغلب العقلاء على غيرهم فعبر عن الجميع بلفظ من وقيل اراد من عليها من الجن والانس ولا يقال ان هذه الاية الى قوله يطوفون بينها وبين حميم ان ليست نعما فكيف قال عقب كل منهما فبأي الاء الاية والجواب ان ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات وهذا امر اعظم المنن وقيل وجه النعمة في فناء الخلق ان الموت سبب المنقلة الى دار الجزاء والثواب قال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب وقيل جسر يوصل الحبيب الى الحبيب وقال مقاتل وجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ومع الموت تستوي الاقدام وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده وقد تقدم في سورة البقرة بيان معنى هذا

ع ٢٥

وقيل المعنى وتبقى حجته التي يتقرب بها اليه والاول اولى والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصح له وفي وصفه بالبقاء بعد ذكر فناء الخلق ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم اثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله فبأي الاء فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم من اجل النعم واعظم الاء وخاطب الاثنين في قوله فبأي الاء ربكما وخاطب هنا الواحد لان الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل احد يحتمل ان غيره باق ورقيقة المخاطب عن الفناء ولم يقل ويبقى وجه الرب من غير خطاب مع انه احل على فناء الكل لان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب ذُو الْجَلَالِ اي ذو العظمة والكبرياء واستحقاق صفات المدح يقال جل الشيء اي عظم واجلله اي اعظمه وهو اسم من جل قرأ الجمهور ذو على انه صفة لوجه وقرئ ذي على انه صفة لربك الْإِكْرَامِ معناه انه يكرم عن كل شيء لا يليق به وقيل انه ذو الاكرام لاوليائه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة والاكثار منها فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ان ابتلاك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم ام بغيرها ومما قلت في معنى الآية

تقفي لسقاة وتقفي الكاس والنادي + ومن تلافيه من خل ومن عادي
لاتركن الى الدنيا وزهرتها يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادي

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مستانف او حال من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسئولا من فيهما اي يسأله جميعا لانهم محتاجون اليه قال ابو صالح يسأله اهل السموات المغفرة ولا يسألونه الرزق واهل الارض يسألونه الامرين جميعا وقال مقاتل يسأله اهل الارض المغفرة والرزق وتسأل لهم الملائكة ايضا الرزق والمغفرة فكانت المسئلتان جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل الارض وكذا قال ابن جريج وقيل يسألونه الرحمة قال قتادة لا يستغني عنه اهل السماء ولا اهل الارض اي في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما بهم وبين لهم والحاصل انه يسأله كل مخلوق من مخلوقاته بلسان المقال او لسان الحال ما يطلبونه من خيري الدارين او من خيرا حدهما وقال ابن عباس مسألة عباده اياه الرزق والموت والحياة كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ اي استقر سبحانه في شأن كل

وقت من الاوقات واليوم عبارة عن الوقت والشان هو الامر ومن جملة شئونه سبحانه اعطاء
اهل السموات والارض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين اغراضهم قال المفسرون
من شانه انه يحيي ويميت ويرزق ويفقر ويعز ويذل ويمرض ويشفي ويعطي ويمنع ويغفر ويفرج
ويرحم ويغضب الى غير ذلك مما لا يحصى وقيل كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا وقيل نزلت
في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شانا وشيئا وقيل المراد سوق المقادير الى المواقيت
وقال الحسين بن الفضل انها شئون يبديها لا شئون يبتديها وقال سليمان الداراني في كل
يوم الى العبد بر جديد وقيل يخرج في كل يوم وليلة ثلثمائة عسكر عسكرا من اصلاب الاباء الى
ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يحشرون جميعا
الى الله تعالى والاوجه التخصيص شان دون شان بل الاية تدل على انه سبحانه كل يوم في شان من
الشئون ايّ شان كان من غير تعيين وشئونه سبحانه لا تحصى ولا يعلمها الا هو فالعموم اولى وانسب
بمقام القدرة وكمالها وقيل المراد باليوم المذكور هو يوم الدنيا ويوم الاخرة وشانه في الدنيا
الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وغير ذلك وشانه في الاخرة الجزاء
والحساب والثواب والعقاب وغير ذلك قال ابن جبير وسفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يوما
احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة وقيل المراد كل يوم من ايام الدنيا عن عبد الله بن
منيب قال تلى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشان قال ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين اخرجه الحسن بن سفيان في مسنده والبزار وابن
جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة وابن مندة وابن مردويه وابو نعيم وابن عساكر وعن ابي الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم في الاية مثله اخرجه البخاري في تاريخه وابن ماجة وابن ابي عاصم وغيرهم وزاد
البزار ويجيب داعيا وقد رواه البخاري تعليقا وجعله من كلام ابي الدرداء وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يغفر ذنبا ويفرج كربا اخرجه البزار فبأي آلاء ربكما تكذبان فان اختلاف شئونه سبحانه في
تدبير امر عباده نعمة لا يمكن جحدها ولا يتيسر لمكذب تكذيبها سنفرغ لكم ايه الثقلان هذا وعيد
شديد من الله سبحانه للجن والانس قال القرطبي يقال فرغت من الشغل افرغ فراغا وفروغا وتفرغت
لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته قال الزجاج والكسائي وابن الاعرابي وابو علي الفارسي

ان الفراغ ها هنا ليس هو الفراغ من شغل لان الله تعالى ليس له شغل يفرغ منه ولا يشغله شان عن شان ولكن تاويله القصد اي سنقصد لحسابكم او مجازاتكم او محاسبتكم قال الواحدي حاكيا عن المفسرين ومنهم ابن عباس ان هذا تهديد من الله سبحانه لعباده ومن هذا قول القائل لمن يريد تهديده اذن لافرغن لك اي اقصد قصدك وفرغ بمعنى قصد قال الزجاج ان الفراغ في اللغة على ضربين احدهما الفراغ من الشغل والآخر القصد للشيء والاقبال عليه كما هنا ويكون الكلام على طريق التمثيل والاستعارة وقد الفت به صاحب المفتاح ومنا اليه الزمخشري وقيل ان الله سبحانه وعد على التقوى واوعد على المعصية ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه وبه قال الحسن ومقاتل وابن زيد قرأ الجمهور سنفرغ بالنون وضم الراء وقرئ بالنون مع فتح الواء قال الكسائي هي لغة تميم وقرئ بالياء التحتية مفتوحة مع ضم الراء اي سيفرغ الله وقرئ بضم الياء وفتح الراء وتشديد الواو بغير الف واما في النطق فقرأ ابو عمرو والكسائي ايها بالالف في الوقف ووقف الباقون على الرسم ايه بتسكين الهاء وفي الوصل قرأ ابن عامر ايه برفع الهاء والباقون بنصبها وقرئ بكسر النون وفتح الراء وسمي الجن والانس الثقلين لعظم شانهما بالنسبة الى غيرهما من حيوانات الارض وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احياء واموانا كما في قوله واخرجت الارض اثقالها وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل لانهما اثقلا وانعبا بالتكاليف وجمع في قوله لكم ثم قال ايها الثقلان لانهما فريقان وكل فريق جمع فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها ما في هذا التهديد من النعم فمن ذلك انه يزجر به المسيء عن اساءته ويزداد به المحسن احسانا فيكون ذلك سببا للفوز بنعيم الدار الآخرة الذي هو المنعم في الحقيقة يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ هو كالترجمة لقوله ايها الثقلان قدم الجن هنا لكون خلق ابيهم متقدما على خلق آدم ولوجود جنسهم قبل جنس الانس وهذا الخطاب يقال لهما في الآخرة وقيل في الدنيا ويرجح كونه في الآخرة قوله يرسل عليكما فان هذا الارسال انما هو في القيامة كما سيأتي وكذا قوله فاذا انشقت السماء إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما ونواحيهما واطرافهما هاربين من قضاء الله وقدره فانفذوا منها وخلصوا انفسكم واهربوا واخرجوا فحيثما كنتم ترد كلكم الموت يقال نفذ الشيء من الشيء اذا خلص منه كما يخلص السهم والامر بالنفوذ امر تعجيز لا تنفذون إِلَّا بِسُلْطَانٍ اي

٥١ حيث قال الفراغ التخلص عن الهم وسمع وصل لا يشغله شان عن شان وفرغ مستعار للاقبال بالخير ونحوه وهو الاولى من قول صاحب الكشاف وفيصل ذلك ذا قالهم على طريق المثل ١٢ سيد فخر الدين احمد محمد رحيم

اي لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر ولا قوة لكم على ذلك ولا قدرة والسلطان القوة التي يتسلط بها صاحبها على الامر قال الضحاك بينما الناس في اسواقهم اذ انفتحت السماء ونزل الملائكة فهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس وعلى هذا يكون في الدنيا قال ابن المبارك ان ذلك يكون في الآخرة وقال الضحاك ايضا معنى الآية ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقيل ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اي ببينة من الله وقال قتادة معناها لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل الباء بمعنى الى اي لا تنفذون الا الى سلطان وقال ابن عباس لا تخرجون من سلطاني

فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد فانها تزيد المحسن احسانا وتكف المسيء عن اساءته مع ان من حذركم وانذركم قادر على الايقاع بكم من دون مهلة

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ قرأ الجمهور يرسل بضم التحتية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون ونصب شواظ وقرأ الجمهور شواظ بصم الشين وقرئ بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد والشواظ اللهب الذي لا دخان معه قال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقال الاخفش وابو عمرو هو النار والدخان جميعا وقال ابن عباس هو لهب النار وقيل هو اللهب الخالص وَنُحَاسٌ قرأ الجمهور بضم النون وقرئ بكسرها وقرئ نحس والنحاس الصفر المذاب يصب على رؤسهم قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو الدخان الذي لا لهب له وبه قال الخليل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار التي لها ريح شديدة وقال ابن عباس هو دخان النار وعنه قال الصفر يعذبون به قيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر قرئ نحاس بالرفع عطفا على شواظ وبالجر عطفا على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ واما النار فمن قرأ بالجر بدون احد الامرين فقد وقع في التلفيق لان هذا الوجه لم يقرأ به احد قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا يتبين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف فكانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فَلَا تَنْتَصِرَانِ اي لا تقدران على الامتناع من عذاب الله بل

يسوقكم الى المحشر فبأي الاء ربكما تكذبان فان من جملتها هذا الوعيد الذي يكون به الانزجار
عن الشر والرغوب في الخير فاذا انشقت السماء اي انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة وانفك
بعضها من بعض لقيام الساعة وقيل انفجرت فصارت ابوابا لنزول الملائكة لتحيط بالعالم من سائر
جهات الارض لئلا يهرب بعضهم من المحشر وقيل المراد منه خراب السماء وفيه تهويل وتعظيم الامر
فكانت وردة اي كوردة حمراء او محمرة مثلها قال سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمراء وقيل
فكانت كلون الفرس الورد قاله ابن عباس وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة والصفرة كالدهان قال
الفراء وابو عبيدة تصير السماء كالاديم لشدة حر النار وقال ابن عباس كالاديم الاحمر اي على خلاف
العهد بها وهو الزرقة وقال الفراء ايضا شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الورد
في الوانه بالدهن واختلاف الوانه والدهان جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح وقيل انه اسم مفرد
لما يدهن به كالحزام والاكام قاله الزمخشري وقيل المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها
وقال الحسن كالدهان اي كصبيب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد بن اسلم انها
تصير كعصير الزيت قال الزجاج وقتادة انها اليوم خضراء وستكون لها لون احمر حكاه الثعلبي قال
الماوردي زعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة وانها لكثرة الحوائل والحواجز وبعد المسافة واعتراض
الهواء بيننا وبينها ترى بهذا اللون الازرق كما يرى الدم في العروق ازرق ولا هواء هناك يمنع من
اللون الاصلي ذكره الكرخي والعمادي والكازروني فبأي الاء ربكما تكذبان فان من جملتها ما في
هذا التهديد والتخويف من حسن العاقبة بالاقبال على الخير والاعراض عن الشر فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان اي يوم تنشق السماء لا يسأل احد من الانس ولا من الجن عن ذنبه لانهم
يعرفون عند خروجهم من قبورهم فالتنوين عوض عن الجملة والفاء جواب الشرط وقيل هو محذوف
اي فاذا انشقت السماء رأيت امرا مهولا والهاء في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير الاخر مقدر
اي ولا يسأل عن ذنبه جان ايضا وانتصب الظرف بلا يسأل ولا غير مانعة والجمع بين مثل هذه الآية
وبين مثل قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ان ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف اخر من
مواقف القيامة وقيل قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون وقيل انهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم لان الله سبحانه قد احصى الاعمال

وحفظها على العباد ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع ومثل هذه الآية قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال ابو العالية المعنى لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقيل ان عدم السؤال هو عند البعث والسؤال هو في موقف الحساب قال ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم لم عملتم كذا وكذا والجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجي فبأي آلاء ربكما تكذبان فان من جملتها هذا الوعيد الشديد للكثرة ما يترتب عليه من الفوائد يعرف المجرمون بسيماهم هذه الجملة جارية مجرى التعليل لعدم السؤال والسيما العلامة قال الحسن سيماهم سواد الوجوه وزرقة الاعين كما في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقيل سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة فيؤخذ بالنواصي والاقدام قال ابو حيان يؤخذ متعد ومع ذلك تعدي بالباء لانه ضمن معنى يسحب قلت يسحب انما يتعدى بعلى قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم فكان ينبغي ان يقال ضمن معنى يدفع اي يدفعون وقال مكي انما يقال اخذت الناصية واخذت بها ولو قلت اخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكي عن العرب اخذت الخطام واخذت بالخطام بمعنى قاله الكرخي والنواصي شعور مقدم الراس والمعنى انها تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي وتلقيهم الملائكة في النار قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بنواصيهم وتجرهم على وجوههم وتارة تاخذ باقدامهم وتجرهم على رؤسهم قال ابن عباس تاخذ الزبانية بناصيته وقدميه وجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور فبأي آلاء ربكما تكذبان فان من جملتها هذا الترهيب الشديد والوعيد البالغ الذي ترجف له القلوب وتضطرب لهوله الاحشاء هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون الجملة مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل فما ذا يقال لهم عند الاخذ بالنواصي والاقدام فقيل يقال لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التي تشاهدونها وتنظرون اليها مع انكم كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون يطوفون اي يترددون ويسعون بينها اي بين جهنم فتحرقهم وبين حميم ان فيصيب وجوههم فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم والحميم الماء الحار والآن الذي قد انتهى حره وبلغ غايته كذا قال الفراء وقال الزجاج اني ياني اناها ان اذا انتهى في النضج والحرارة وقال ابن عباس هو الذي انتهى حره وقيل هو واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد

اهل النار فيغمسون فيه باعلا لهم حتى تخلع اوصالهم قال قتادة يطوفون مرة في الحميم ومرة بين الحميم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها النعمة الحاصلة بهذا التخويف وما يحصل به من الترغيب في الخير والترهيب عن الشر ولما فرغ سبحانه من تعداد النعم الدنيوية على الثقلين ذكر نعمه الاخروية التي انعم بها عليهم فقال وَلِمَنْ خَافَ اي لكل فرد من افراد الخائفين او لمجموع خصهم والاول هو المعتمد مَقَامَ رَبِّهِ مقامه سبحانه هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب كما في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل المعنى خاف قيام ربه عليه وهو اشرافه على احواله واطلاعه على افعاله واقواله كما في قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت او قيام الخائف عند ربه للحساب ومحصله احتمالات ثلثة في تفسير المقام اولها انه اسم مكان والثاني انه مصدر تحته احتمالان اما بمعنى قيام الله على الخلائق او بمعنى قيام الخلائق بين يديه قال مجاهد والنخعي هو الرجل الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه وفيه اشارة الى سبب استحقاق الجنتين في نفس الامر وهو انه ليس مجرد الخوف بل الخوف الناشي عنه ترك المعاصي جَنَّتَانِ اختلف فيهما فقال مقاتل يعني جنة عدن وجنة النعيم وقيل احداهما التي خلقت له والاخرى يرثها وقيل احداهما منزله والاخرى منزل ازواجه وقيل احداهما اسافل القصور والاخرى اعاليها وقيل جنة لفعل الطاعة واخرى لترك المعصية وقيل جنة للعقيدة التي يعتقدها وجنة للعمل الذي يعمله وقيل جنة بالعمل وجنة بالتفضل وقيل جنة روحانية وجنة جسمانية وقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال الفراء انما هي جنة واحدة والتثنية لاجل موافقة رؤس الاي قال النحاس وهذا من اعظم الغلط على كتاب الله فان الله يقول جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيهما الخ وقيل انما كانتا اثنتين لتضاعف له السرور بالتنقل من جهة الى جهة قال ابن عباس وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فادوا فرائضه الجنتين وعنه ايضا يقول خاف ثم اتقى والخائف من ركب طاعة الله وترك معصيته وعن عطاء انها نزلت في ابي بكر وعن ابن شوذب مثله وقال ابن مسعود في الاية لمن خافه في الدنيا وعن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التانية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق قال نعم

وان رغم انف ابي الدرداء اخرجه احمد والترمذي والنسائي والبزار وابو يعلى والطبراني وغيرهم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال ابو الدرداء وان زنى
وان سرق يا رسول الله قال وان زنى وان سرق وان رغم انف ابي الدرداء اخرجه ابن مردويه وعن
يسار مولى لآل معاوية عن ابي الدرداء في الآية قال قيل لابي الدرداء وان زنى وان سرق قال من خاف
مقام ربه لم يزن ولم يسرق وعن ابن شهاب قال كنت عند هشام بن عبد الملك فقال قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ابو هريرة وان زنى وان سرق فقلت انما كان
ذلك قبل ان تنزل الفرائض فلما نزلت الفرائض ذهب هذا اخرجه ابن مردويه وعن ابي موسى
الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنان الفردوس اربع جنات جنتان من ذهب حليتهما وما
فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنه في الآية
قال جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين قال القرطبي في هذه الآية دليل
على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية و
تركها خوفا من الله وحياء منه وهو قول سفيان الثوري وبه افتى ومذهب الشافعي انه لا يحنث اذا كان
مسلما ومات على الاسلام فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها هذه النعمة العظيمة وهي
اعطاء الخائف من مقام ربه جنتين متصفتين بالصفات الجليلة العظيمة ذَوَاتَا أَفْنَانٍ اي حسنا
افنان هذه صفة للجنتين وما بينهما اعتراض او خبر مبتدء محذوف اي هما ذواتا قال الخطيب
وفي تثنية ذات لغتان الاولى الرد الى الاصل فان اصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها من ذوي
والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتان انتهى ومثله قال السمين وعبارة الجلال المحلي
تثنية ذوات على الاصل لانها ياء انتهى والافنان الاغصان وهي الدقيقة التي تتفرع من فروع الشجر
واحدها افن كطلل وهو الغصن المستقيم طولا وبهذا قال مجاهد وعكرمة وعطية وغيرهم وخص
الافنان لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الاثمار وقال الزجاج الافنان
الالوان واحدها فن كلون وهو الضرب والنوع من كل شيء وبه قال عطاء وسعيد بن جبير وجمع
عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل معناها ذواتا فضل وسعة على

ما سواهما قاله قتادة وقيل ذواتا انواع واشكال من الثمار وقيل الافنان ظل الاغصان على الحيطان روي عن مجاهد وعكرمة قال ابن عباس ذواتا الوان وقال فن غصون نهايتس بعضها بعضا وقال الفن الغصن والمعنى ان له فيهما ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال قاتلهما ومن كل افنان اللذة والصباء لهوت به والعيش اخضر ناضر فبأي آلاء ربكما تكذبان فان كل واحد منهما ليس بمحل للتكذيب ولا بموضع للانكار فيهما اي في كل واحدة منهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وهذا ايضا صفة اخرى للجنتين قال الحسن احداهما التسلسبيل والاخرى التسنيم وقال عطية احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قيل كل واحدة منهما مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حصاها الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحمأتهما المسك الاذفر وحافتاها الزعفران وقال ابو بكر الوراق بجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من خشية الله عز وجل فتجريان في كل مكان شاء صاحبهما وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها فبأي آلاء ربكما تكذبان فان من جملتها هذه النعمة الكائنة في الجنة لاهل السعادة فيهما من كل فاكهة زوجان هذا صفة ثالثة لجنتان والزوجان الصنفان والنوعان والمعنى ان في الجنتين من كل نوع يتفكه به في الدنيا ضربين يستلذ بكل نوع من انواعه قيل احد الصنفين رطب والآخر يابس لا يقصر احدهما عن الآخر في الفضل والطيب وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب قيل ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فبأي آلاء ربكما تكذبان فان في مجرد تعداد هذه النعم ووصفها في هذا الكتاب العزيز من الترغيب الى فعل الخير والترهيب عن فعل الشر ما لا يخفى على من يفهم وذلك نعمة عظمى ومنة كبرى فكيف بالتنعم به عند الوصول اليه متكئين قال في القاموس توكأ عليه تحامل واعتمد واتكأ جعل له متكأ وقوله صلة لما انا فلا اكل متكئا اي جالسا جلوس المتمكن المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الاكل بل كان جلوسه للاكل مستوفزا مقعيا غير متربع ولا متمكن وليس المراد الميل على شق كما يظنه عوام الطلبة وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم وانتصابه على الحال من فاعل قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معنى من وقيل منصوب على المدح وقيل عامله يتحدون وفي التقدير يتنعمون متكئين اي مضطجعين او متربعين على فرش بطائنها من

إستبرق والفرش جمع فراش والبطائن هي التي تحت الظهائر وهي جمع بطانة وقال الزجاج هي ما يلي الارض والاستبرق ما غلظ من الديباج واذا كانت البطائن من استبرق فكيف تكون الظهائر قيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فيه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبه قال ابن عباس قيل انما اقتصر على ذكر البطائن لانه لم يكن احد في الارض يعرف ما في الظهائر وقال الحسن بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال الحسن ايضا البطائن هي الظهائر وبه قال الفراء وقال قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة هذا وقال لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين قال ابن مسعود رضي الله عنه في الآية اخبر تعالى بالبطائن فكيف بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر ان بطائنها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنا الجنتين جان مبتدء وخبره دان اصله دانو مثل غاز فاعل اعلاله وحني فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والجنا ما اجتني من الثمار قيل ان الشجرة تدنو حتى يجتنيها من يريد جناها قال ابن عباس جناها ثمرها والداني القريب منك اي ينالـه القائم والقاعد والمتكئ والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب وقيل لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قال الرازي جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلثة اوجه احدها ان الثمرة على رؤس الشجر في الدنيا بعيدة عن الانسان المتكئ وفي الجنة يتكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليه في وقت واحد ومكان واحد فبأي آلاء ربكما تكذبان فانها كلها بموضع لا يتيسر للمكذب ان يكذب بشيء منها لما يشتمل عليه من الفوائد العاجلة والآجلة فيهن اي في الجنتين المذكورتين لان اقل الجمع اثنان او لاشتمالها على اماكن وعلالي وقصور ومجالس قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما حواليهما فيهما من النعيم او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنا وقيل وفيهن اي في الفرش التي بطائنها من استبرق قال ابو حيان وفيه بعد لان الاستعمال ان يقال

الاشارة بهذا الى ان الضمير راجع الى الجنتين وهو على الوجه الاول عليهن وعلى الثاني فيهن لان كل واحد من الجنتين فيه انواع من الفواكه فصح ان يقال فيهن

على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا لابتكلف ولذلك جمع الزمخشري مع الفراش غيرها حتى صح له ان يقول ذلك وقال الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن قاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل لمنصوبه تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به اي انهن يقصرن ابصارهن على ازواجهن المتكئين من الانس والجن لا ينظرن الى غيرهم ولا يرين سواهم والآية دلت على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها وقد تقدم هذا في سورة الصافات قال ابن عباس قاصرات الطرف من غير ازواجهن قال الرازي والنظر الحسن هذا الترتيب فانه بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه به وهو البستان والعيون الجارية ثم ذكر المأكول ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشيء من اعظم الملذات قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان الضمير راجع الى الازواج المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل يعود الى المتكئين والجملة نعت لقاصرات لان اضافتها لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا او حال لتخصص النكرة بالاضافة قال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث الجارية اذا افتزعها وقيل الطمث المس اي لم يمسسهن قاله ابو عمرو وقال المبرد اي لم يدمين للبهن والطمث التدليل ومن استعمال الطمث فيما ذكره الفراء قول الفرزدق ؎ دفعن الي ولم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام ؎ وفي السمين اصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وقيل الطمث دم الحيض او دم الجماع قال الواحدي قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن قبلهم احد ولم يتسلط عليهن قال مقاتل لانهن خلقن في الجنة قيل انهن من نساء الدنيا انشئن خلقا اخر ابكارا وقيل هن الآدميات اللاتي متن ابكارا والاول اولى قرأ الجمهور يطمثهن بكسر الميم وضمها وقرأ ابو السمال بفتحها وفي هذه الآية بل في كثير من آيات هذه السورة دليل على ان الجن يدخلون الجنة اذا امنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه وانتهوا عن مناهيه قال ابن عباس في الآية لم يطمثهن لم يدين منهن اولم يدمهن وفي الآية دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضي ذلك اذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان في مجرد هذا الترغيب في هذه النعمة جليلة ومنة عظيمة لان يحصل الحرص على الاعمال الصالحة والفرار من الاعمال الطالحة فكيف بالوصول الى هذه النعم والتنعم بها في جنات النعيم بلا انقطاع ولا زوال كأنهن الياقوت والمرجان

هذا صفة لقاصرات او حال منهن ولم يذكر مكي غيره والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار لم تؤثر فيه
ومن المعلوم ان الياقوت احمر اللون فهذا التشبيه يقتضي ان لون اهل الجنة البياض المشرب بحمرة
فينافي المقرر المعلوم من انه البياض المشرب بصفرة فالجواب ان التشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من
حيث الحمرة وهذا لا ينافي ان البياض مشرب بصفرة كما قال الحسن هن في صفاء الياقوت وبياض
المرجان وانما خص المرجان على القول بانه صغار الدر لان صفاءها اشد من صفاء كبار الدر عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ينظر الى وجهها في خدها اصفى من المرآة وان
ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا وينفذها بصره
حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك اخرجه احمد وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين
حلة حتى يرى مخها وذلك ان الله يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت حجر لو دخلت
فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه ابن ابي شيبة وهناد بن السري وابن ابي الدنيا و
ابن جرير وابن ابي حاتم وابن حبان وابو الشيخ وغيرهم وقد رواه الترمذي موقوفا وقال هو اصح
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان نعمه كلها لا يتسرتكذيب شيء منها كائنة ما كانت فكيف بهذه
النعم الجليلة والمنن الجزيلة هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ هل ترد في الكلام على اربعة اوجه
تكون بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل انتم منتهون وبمعنى الجحد كقوله فهل على الرسل الا البلاغ وكما
في هذه الآية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى ما جزاء من احسن العمل في الدنيا الا الاحسان
اليه في الآخرة كذا قال ابن زيد وغيره وقال الصادق هل جزاء من احسلت اليه في الاول الا حفظ
الاحسان عليه في الابد قال الرازي في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن ثلث آيات في كل
واحدة منها مائة قول احدها قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزاء
الاحسان الا الاحسان قال محمد بن الحنفية هي للبر والفاجر البر في الآخرة والفاجر في الدنيا عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ما جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة اخرجه ابن ابي حاتم
وابن مردويه والبيهقي وضعفه واخرج البغوي في تفسيره وغيره في غيره عن انس مرفوعا مثله

وعن جابر مرفوعا في الآية قال هل جزاء من انعمنا عليه بالاسلام الا ان ادخله الجنة واخرج ابن النجار عن علي مرفوعا مثل حديث ابن عمر وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله في الدنيا الا الجنة في الآخرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي هذه الآية في سورة الرحمن للكافر والمسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان اخرجه ابن عدي وابو الشيخ وابن مردويه والديلمي والبيهقي واخرجه ابن مردويه موقوفا على ابن عباس وقال ابراهيم الخواص في الآية هل جزاء الاسلام الا دار السلام وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبٰنِ فان من جملتها الاحسان اليكم في الدنيا والآخرة بالخلق والرزق والارشاد الى العمل الصالح والزجر عن العمل الذي لا يرضاه وَمِنْ دُوْنِهِمَا جَنَّتٰنِ اي من دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة جنتان اخريان لمن دون اصحاب الجنتين السابقتين من اهل الجنة ومعنى من دونهما اي من امامهما ومن قبلهما اي هما اقرب منهما وادنى الى العرش فهما افضل من الاوليين والى هذا ذهب الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وقيل دونهما في الدرج وقيل بالفضل وقيل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة الماوى قال ابن جريج هي اربع جنات جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان قال ابن زيد ان الاوليين من ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبٰنِ فان كلها حق ونعم لا يمكن جحدها ثم وصف سبحانه هاتين الجنتين الاخريين فقال مُدْهَامَّتٰنِ وما بينهما اعتراض قال ابو عبيدة الزجاج من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل ما علاه السواد ريا فهو مدهم عند العرب قال مجاهد مسودتان والدهمة في اللغة السواد يقال فرس ادهم وبعير ادهم اذا اشتدت وردته حتى ذهب الى السواد الذي فيه وناقة دهماء وادهم ادهيم ما اي اسود وسميت قرى العراق سواد الكثرة خضرتها والشاة الدهماء الحمراء الخالصة الحمرة ويقال للقيد ادهم وفي المختار دهمهم الامر غشيهم وبابه فهم وكذا

دهمتهم الخيل ودهمهم بفتح الهاء لغة وقال ابن عباس هما خضراوان قد اسودتا من الخضرة من الري من الماء وعن ابن الزبير نحوه وعن ابي ايوب الانصاري قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله مدهامتان قال خضراوان اخرجه الطبراني وابن مردويه فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان جميعها نعم ظاهرة واضحة لا تجحد ولا تنكر فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ النضخ فوران الماء من العين والمعنى ان في الجنتين المذكورتين عينين فوارتين قال اهل اللغة والنضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضخ بالحاء المهملة لان بالحاء الرش وبالخاء المعجمة فوران الماء قاله السمين قال الحسن ومجاهد تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير انها تنضخ بانواع الفواكه الماء قال ابن عباس فائضتان تنضخان بالماء وقيل بالخير والبركة على اهل الجنة فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فانها ليست بموضع للتكذيب لامكان الجحد فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ هذا من صفات الجنتين المذكورتين قريبا والنخل والرمان وان كانا من الفاكهة لكنهما خصصا بالذكر لمزيد حسنهما ولكثرة نفعهما بالنسبة الى سائر الفواكه كما حكاه الزجاج والازهري وغيرهما وقيل انما خصهما لكثرتهما في ارض العرب قال الخطيب كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التي يجبون بها وقيل خصهما لان النخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء وقد ذهب الى انهما من جملة الفاكهة جمهور اهل العلم وبه قال الشافعي فيحنث باكل احدهما من حلف لا ياكل فاكهة وحينئذ فعطفهما عليها من عطف الخاص على العام تفصيلا ولم يخالف في ذلك الا ابو حنيفة رح وقد خالفه صاحباه ابو يوسف ومحمد وهو قول خلاف قول اهل اللغة ولا حجة له في الاية فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان من جملتها هذه النعم التي في جنات النعيم ومجرد الحكاية لها تؤثر في نفوس السامعين وتجذبهم الى طاعة رب العالمين فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ قرا الجمهور خيرات بالتخفيف وقرئ بالتشديد فعلى الاولى هي جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين يقال امراة خيرة واخرى شرة او جمع خيرة مخفف خيرة وعلى الثانية جمع خيرة بالتشديد قال الواحدي قال المفسرون الخيرات النساء خيرات الاخلاق حسان الوجوه قيل وهذه الصفة عائدة الى الجنان الاربع ولا وجه لهذا فانه قد وصف نساء الجنتين الاوليين بانهن قاصرات الطرف كانهن الياقوت والمرجان وبين الصفتين بون بعيد عن ابن مسعود في

الآية قال لكل امرأة خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة اربعة ابواب يدخل عليها من الله كل يوم تحفة و كرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لا مراحات ولا طمحات ولا بجرات ولا دفرات حور عين كانهن بيض مكنون واخرج ابن مردويه من وجه اخر عنه مرفوعا واختلف ايهما اكثر حسنا والهي جمالا اهل الحور او الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القران والسنة كقوله عليه السلام في دعائه علم الميت في الجنازة وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وروي مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القران هن المؤمنات من ازواج الانبياء والمؤمنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن وفيه بعد بعيد والمشهور ان الحور العين ليس من نساء اهل الدنيا وانما هن مخلوقات في الجنة لان الله قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نشأ اهل الدنيا مطموثات ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اقل ساكني الجنة النساء فلا يصيب كل واحد منهم امرأة ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من غير نساء الدنيا ذكره القرطبي فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان شيئا منها كائنا ما كان لا يقبل التكذيب حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ اي محبوسات فيها ومنه القصر لانه يحبس من فيه وقيل محدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي محدرة والحور جمع حوراء وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها وقد تقدم بيان معنى الحوراء والخلاف فيه وقيل معنى مقصورات انهن قصرن على ازواجهن فلا يردن غيرهم وحكاه الواحدي عن المفسرين والاول اولى وبه قال ابو عبيدة ومقاتل وغيرهما قال في الصحاح قصرت الشيء اقصره قصرا حبسته والمعنى انهن خدرن في الخيام والخيام جمع خيمة وقيل جمع خيم والخيم جمع خيمة وهي اعواد تنصب وتظلل بالثياب فتكون ابرد من الاخبية قيل الخيمة من خيام الجنة درة مجوفة فرسخ في فرسخ قال ابن عباس مقصورات محبوسات في الخيام قال في بيوت اللؤلؤ وقال الحور سود الحدق وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيام دُرٌّ مجوف اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراهم الاخرون يطوف عليهم المؤمن فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ الذي صوركم فاحسن صوركم وجعل لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تُكَذِّبَانِ ايها الانعام بغير ها

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ اي قبل اصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين ولا حجاب وقد تقدم تفسيره في صفة الجنتين الاولين فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان فانها كلها نعم لا تكفر ومن لا تجحد مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ قرأ الجمهور رفرف على الافراد وقرئ رفارف على الجمع وقرئ خضر بضم الخاء وسكون الضاد المعجمة وبضمها وهي لغة قليلة قال ابو عبيدة الرفارف البسط وبه قال الحسن ومقاتل والضحاك وغيرهم وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال ابن كيسان هي المرافق وروي عن ابي عبيدة انه قال هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض قال في الصحاح والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة اسم جمع او اسم جنس جمعي نقلهما ميكي وقال الزجاج قالوا الرفرف هنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد وقيل المحابس انتهى وقيل الطنافس ومن القائلين بانها رياض الجنة خضر مخصبة سعيد بن جبير واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر وهي تحريك جناحيه في الهوى وقال ابن عباس رفرف فضول المحابس والفرش والبسط وعن علي قال هي فضول المحابس وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ اي الزرابي والطنافس الموشية قال ابن عباس العبقري الزرابي والرفرف الرياض قال ابو عبيدة كل وشي من البسط عبقري وهو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي قال الفراء العبقري الطنافس الثخان وقيل الرقاق وقيل البسط وقيل الديباج قال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية تسكن فيها الجن ينسب اليها كل فائق قال الخليل العبقري عند العرب كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء قال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع قرأ الجمهور عبقري وقرئ عباقري وعباقي وهما نسبة الى عباقر اسم بلد وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي ومجتي ومجاتي فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فان كل واحد منها اجل من ان يتطرق اليه التكذيب واعظم من ان يجحده جاحد او ينكره منكر وقد مضى في اوائل هذه السورة وجه تكرير هذه الآية فلا نعيده تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ قرأ الجمهور بالجر على انه صفة للرب سبحانه وقرئ بالرفع على انه صفة للاسم وتبارك تفاعل من البركة قال الرازي واصل التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون دائما والمعنى دام اسمه وثبت او دام الخير ع ٣٣

عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير او يكون معناه علا وارتفع شانه وقيل معناه تنزيه الله سبحانه وتقديسه واذا كان هذا التبارك منسوبا الى اسمه عز وجل فما ظنك بذاته سبحانه وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل هو مقحم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلوة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داؤد والنسائي غير قولها الا مقدار ما يقول وعن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلوته استغفر ثلثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اخرجه مسلم وقد تقدم تفسير ذى الجلال والاكرام في هذه السورة وذكر سليمان الجمل هنا كلاما طويلا يتعلق بشرح هذه الآيات من تذكرة القرطبي وغالبه في تفسيره لا نطول بذكره لقلة الفائدة

سورة الواقعة هي ست او سبع او تسع وتسعون اية وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي انها مكية الا اربع ايات منها وهي افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفره الى مكة وقوله ثلة من الاولين وقليل من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة قال ابن عباس نزلت الواقعة بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة ابدا اخرجه البيهقي في الشعب والحارث بن ابي اسامة وابو يعلى وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة الواقعة سورة الغناء فاقرؤها وعلموا اولادكم اخرجه ابن عساكر وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغنا اخرجه الديلمي وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة قال مسروق من اراد ان يعلم نبأ الاولين والاخرين ونبأ اهل الجنة ونبأ اهل النار ونبأ اهل الدنيا ونبأ اهل الاخرة فليقرأ سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا وقعت الواقعة اي قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة قال المفسرون وهي النفخة

الاخيرة الثانية وقيل هي اسم للقيامة كالازفة وغيرها وسميت الواقعة لانها كائنة لا محالة اولقرب وقوعها اولكثرة ما يقع فيها من الشدائد اي اذكر وقت وقوع الواقعة او اذا وقعت كان كيت وكيت ثم اله ميكي وقيل غير ذلك وليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لحينها وظهورها كذب اصلا والمعنى انها اذا وقعت النفخة الاخرة عند البعث لم يكن هناك تكذيب لها اصلا اولا تكون هناك نفس تكذب على الله وتكذب بما اخبر عنه من امور الاخرة ووقوع القيامة لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة والكفرة النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام كقوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي وقال الزجاج معناه لا يرد هاشيء ورده قال الحسن وقتادة وقال الثوري ليس لوقعتها احد يكذب بها وقال الكسائي ليس لها نكذيب اي لا ينبغي ان يكذب بها احد وقال ابن عباس ليس لها مرد يرد خافضة رافعة قرأ الجمهور برفعهما على اضمار مبتدأ اي هي خافضة ورفعها ونصبها على الحال والجملة تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وغير ذلك قال عكرمة والسدي ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنى ورفعت الصوت فاسمعت من نأى وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت اقواما الى طاعة الله وقال محمد بن كعب خفضت اقواما كانوا في الدنيا مرفوعين ورفعت اقواما كانوا في الدنيا مخفوضين والعرب تستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسبة الخفض والرفع اليها على طريق المجاز والخافض والرافع في الحقيقة هو الله سبحانه قال ابن عباس خافضة رافعة تخفض اناسا وترفع اخرين وعنه قال اسمعت القريب والبعيد وعن عمر بن الخطاب قال الساعة خفضت اعداء الله الى النار ورفعت اولياء الله الى الجنة اذا رجت الارض رجا اي اذا حركت حركة شديدة يقال رجه يرجه رجا اذا حركه والرجة الاضطراب ورج البحر وغيره اضطرب قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يتهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها وبست الجبال بسا البس الفت يقال بس الشيء اذا فته حتى يصير فتاتا ويقال بس السويق اذا لته بالسمن او بالزيت قال مجاهد ومقاتل المعنى ان الجبال فتت فتاويه قال ابن عباس وقال السدي كسرت كسرا وقال الحسن قلعت من اصلها وقال مجاهد ايضا بست كما يبس الدقيق بالسمن او بالزيت والمعنى انها خلطت فصارت كالهباء

الملتوت وقال ابو زيد البس السوق والمعنى على هذا بسقت بسا قال ابو عبيد بس الابل وابسها لغتان اذا زجرها وقال عكرمة المعنى هدت هدا وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقال قتادة ومقاتل وابن عباس ومجاهد معنى رجت زلزلت اي تخفض وترفع وقت رج الارض بس الجبال الا ان ذلك لا يرتفع ما هو منخفض ولا ينخفض ما هو مرتفع وقيل المعنى وقوع الواقعة هو رج الارض وبس الجبال فكانت هباء منبثا اي غبارا متفرقا منتشرا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه وقال مجاهد الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وقيل هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب وقيل ما تطاير من النار اذا اضطرمت يطير منها على صورة الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا قال ابن عباس وعطية وقد تقدم بيانه في الفرقان عند تفسير قوله فجعلناه هباء منثورا قرأ الجمهور منبثا بالمثلثة وقرئ بالفوقية اي منقطعا من قولهم بتّه الله اي قطعه وقال ابن عباس شعاع الشمس وعنه الهباء ما يثور مع شعاع الشمس وابنثاثه تفرقه وقال علي الهباء المنبث رهج الدواب والهباء المنثور غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوة ثم ذكر سبحانه احوال الناس واختلافهم فقال وكنتم ازواجا ثلثة الخطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا والحاضرة فقط والمعنى وكنتم في ذلك اليوم اصنافا ثلثة اثنان في الجنة وواحد في النار كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر فهو زوج قال ابن عباس الازواج الاصناف وهي التي في سورة الملائكة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ثم فسر سبحانه هذه الاصناف فقال فاصحاب الميمنة وهي ناحية اليمين اي اصحاب اليمين وهم الذين يأخذون كتبهم بايمانهم والذين توخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الميمنة مبتدأ خبره ما اصحاب الميمنة اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم وسعادتهم وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مغن عن الضمير الرابط كما في قوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة ولا يجوز مثل هذا الا في مواضع التعظيم والتفخيم والكلام في قوله واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة كالكلام فيما تقدم والمراد بهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار او ياخذون صحائف اعمالهم بشمائلهم والمراد تعجيب السامع من حال الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب اليمنة في نهاية السعادة وغاية حسن الحال واصحاب الشامة في نهاية الشقاوة وغاية سوء الحال فالاستفهام

في كلا الموضعين للتعجيب قال السدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه واصحاب المشأمة هم الذين كانوا عن شماله وقال زيد بن اسلم اصحاب الميمنة هم الذين اخذ ما من شق آدم الايمن واصحاب المشأمة هم الذين اخذ ما من شقه الايسر وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اهل الحسنات واصحاب المشأمة هم اهل السيئات وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة هم الميامين على انفسهم بالاعمال الحسنة واصحاب المشأمة هم المشائيم على انفسهم بالاعمال القبيحة وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشأمة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين وقيل المراد اصحاب المنزلة السنية الرفيعة واصحاب المنزلة الدنية الخسيسة اخذا من تيامنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل اخرج احمد عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية واصحاب اليمين واصحاب الشمال فقبض بيديه قبضتين فقال هذه في الجنة ولا ابالي وهذه في النار ولا ابالي والسابقون مبتدأ وخبره قوله السابقون والتكرير فيه للتفخيم والتعظيم كما مر في القسمين الاولين كما تقول انت انت وزيد زيد وفيه تاويلان احدهما بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك وعرفت محاسنهم والثاني ان متعلق السبقين مختلف والتقدير السابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والاول اولى لما فيه من الدلالة على التفخيم والتعظيم وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان من كل امة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقال محمد بن كعب انهم الانبياء وقال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وقال مجاهد هم الذين سبقوا الى الجهاد به قال الضحاك وقال سعيد بن جبير هم السابقون الى التوبة واعمال البر وقال الزجاج المعنى والسابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله قال ابن عباس السابقون يوشع بن نون سبق الى موسى ومؤمن آل يسين سبق الى عيسى وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه سبق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه قال نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذي ذكر في يس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وكل رجل منهم سابق امة وعلي افضلهم سبقة وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربعون من السابقون الى

ظل الله يوم القيامة قالوا الله ورسوله اعلم قال الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا بذلوه واحكموا للناس كحكمهم لانفسهم اخرجه احمد قيل ووجه تاخير هذا الصنف الثالث مع كونه اشرف من الصنفين الاولين واسبق الاقسام واقدمهم في الفضل هو ان يقترن به ما بعده وهو قوله اولئك المقربون في جنات النعيم فالاشارة هي اليهم اي المقربون الى جزيل ثواب الله وعظيم كرامته او الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية والجار حال من الضمير في مقربون وما في اولئك من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجملة واشهره وهو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وجنات النعيم خبر ثان او حال من الضمير في المقربون او متعلق بما في قربوا الى رحمة الله فيها قرأ الجمهور بجنات بالجمع وقرئ جنة بالافراد واضافة الجنات الى النعيم من اضافة المكان الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل ثلة من الاولين اي هم ثلة وهي الجماعة التي لا يحصر عددها قال الزجاج معنى ثلة فرقة من ثلاث الشيء اذا قطعته والمراد بالاولين هم الامم السابقة من لدن آدم الى نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة وسموا قليلا بالنسبة الى من كان قبلهم وهم كثير في الكثرة الانبياء فيهم وكثرة من اجابهم قال الحسن سابقوا امم مضى اكثر سابقينا قال الزجاج الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوا بهم اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخالف هذا ما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة ثم قال ثلث اهل الجنة ثم قال نصف اهل الجنة لان قوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين انما هو لتفصيل السابقين فقط كما سياتي في ذكر اصحاب اليمين انهم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فلا يمتنع ان يكون في اصحاب اليمين من هذه الامة من هو اكثر من اصحاب اليمين من غيرهم فيجتمع من قليل سابقي هذه الامة ومن ثلة اصحاب اليمين منها من يكون نصف اهل الجنة والمقابلة بين الثلتين في اصحاب اليمين لا تستلزم استواءهما فيجوز ان يقال هذه الثلة اكثر من هذه الثلة كما يقال هذه الجماعة اكثر من هذه الجماعة وهذه الفرقة اكثر من هذه الفرقة وهذه القطعة اكثر من هذه القطعة وبهذا تعرف انه لم يصب من قال ان هذه الاية منسوخة بالحديث المذكور عن ابي هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق

ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة ثلث اهل الجنة بل انتم نصف اهل الجنة او شطر اهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني اخرجه احمد وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه ثم ذكر سبحانه حالة اخرى للسابقين المقربين فقال على سرر موضونة قرأ الجمهور بضم السين والراء الاولى وقرئ بفتح الراء وهي لغة كما تقدم جمع سرير وهو ما يجلس عليه الانسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة والكرامة والموضونة المنسوجة والوضن النسج المضاعف يقال وضن الشيء يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضاعفه والغزل نسجه والموضونة الدرع المنسوجة او المتقاربة النسج او المنسوجة حلقتين حلقتين او بالجواهر كذا في القاموس قال الواحدي قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب قيل مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد وقيل ان الموضونة المصفوفة قاله ابن عباس وقال مجاهد هي المرمولة بالذهب والمعنى مستقرين على سرر متكئين عليها اي على السرر على الجنب وغيره كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه قال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس ارتفع متقابلين لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وصفو المجلس العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة وقال مجاهد وغيره هذا في المؤمن وزوجته واهله يطوف عليهم ولدان مخلدون اي يدورون لهم للخدمة غلمان شكلهم شكل الولدان دائما والجملة حالية او مستأنفة لبيان بعض ما اعد الله لهم من النعيم قال مجاهد المعنى لا يموتون وقال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة الى حالة مبقون ابدا قال الفراء والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط انه لمخلد وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون قال الفراء يقال خلد جاريته اذا حلاها بالخلدة وهي القرطة وهي الحلقة تعلق في الاذن وقال عكرمة مخلدون ممنعون وقيل مستورون بالحلية وروي نحوه عن الفراء وقيل مخلدون ممنطقون قيل وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا لا حسنة لهم ولا سيئة وهو ضعيف وقيل هم اطفال المشركين ماتوا قبل التكليف ولا يبعد ان يكونوا مخلوقين في الجنة ابتداء كالحور العين من غير ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من اولاد الدنيا وهذا هو الصحيح واطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت بأكواب وأباريق الاكواب هي الاقداح

المستديرة الافواه التي لا اذان لها ولا عرى وقد مضى بيان معناها في سورة الزخرف والاباريق هي ذوات العرى والخراطيم احدها ابريق وهو الذي يبرق لونه من صفائه ويرى باطنها كما يرى ظاهرها وكأس اناء فيه خمر ومعين اي من خمر جارية او من ماء جار والمراد به هنا الخمر الجارية من منبع لا ينقطع ابدا وقد تقدم بيان معنى الكأس في سورة الصافات لا يصدعون عنها اي لا تتصدع رؤسهم من شربها كما تتصدع من شرب خمر الدنيا وعنها متعلقة بالكأس لان سببيها والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في راسه والخمر تؤثر فيه وقيل المعنى لا يتفرقون كما يتفرقون الشراب ويقوي هذا المعنى قراءة مجاهد يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون والجملة مستانفة للبيان ما اعد الله لهم من النعيم ولا ينزفون اي لا يسكرون فتذهب عقولهم قرئ بكسر الزاء وفتحها وهما سبعيتان من انزف الشارب ونزف اذا فقد عقله او شرابه اي لا يحصل لهم منها ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه يقال تخيرت الشيء اذا اخذت خيره ولحم طير مما يشتهون اي ما يتمنونه وتشتهيه انفسهم والمعنى يطوفون عليهم بهذه الاشياء المأكول والمشروب والمتفكه به قرأ الجمهور فاكهة ولحم طير بالجر وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر مقدر اي ولهم فاكهة ولحم طير وفي تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة لان الجائع مشتهٍ والشبعان غير مشتهٍ بل هو مختار واذا قدم الفاكهة على اللحم عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا اخرجه ابن ابي الدنيا والبزار والبيهقي واخرج احمد والترمذي والضياء عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كامثال البخت ترعى في شجر الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله ان هذا الطير لناعمة قال اكلها انعم منها واني لارجو ان تكون ممن ياكل منها وفي الباب احاديث وحور عين قرأ الجمهور برفعهما عطفا على الولدان او على تقدير مبتدء اي ونساؤهم حور عين او على تقدير خبر طهر اي ولهم حور عين وقرئ بجرهما عطفا على اكواب قال الزجاج وجائز ان يكون معطوفا على جنات اي هم في جنات وفي حور على تقدير مضاف اي وفي معاشرة حور قال قطرب هو معطوف على اكواب من غير حمل على المعنى قال ولا ينكران يطاف عليهم بالحور وتكون لهم في ذلك لذة وقرئ بنصبهما على تقدير اعني فعل كانه قيل ويزوجون حورا عينا او ويعطون والحور شديدات بياض اجسادهن قال ابو عمرو ليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء حور العيون تشبيها بالظباء والبقر والعين شديدات سواد العيون مع سعتها وقد تقدم تفسير الحور العين في سورة الطور وغيرها كامثال اللؤلؤ المكنون المصون في

الصفاء والنقاء شبههن باللؤلؤ المكنون وهو الذي لم تمسه الايدي ولا وقع عليه الغبار والشمس والهواء فهو اشد ما يكون صفاء وقال ابن عباس المكنون المخزون الذي في الصدف قال الزجاج كما مثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف احوال الاستعمال روي ان نورا سطع في الجنة فقيل ما هذا فقيل ثم حور ضحكت جزاء بما كانوا يعملون اي يفعل بهم ذلك كله لجزاء باعمالهم اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما اللغو الباطل من الكلام والتاثيم النسبة الى الاثم قال محمد بن كعب لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا اثما والمعنى انه لا يقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم قال ابن عباس لغوا باطلا ولا تاثيما كذبا الا قيلا سلاما سلاما القيل القول والاستثناء منقطع لان السلام ليس مندرجا تحت اللغو والتاثيم اي لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا او لا ان يقولوا سلاما سلاما واختار هذا الزجاج او لا قيلا سلموا سلاما سلاما والمعنى انهم لا يسمعون الا تحيه بعضهم لبعض قال عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل انهم يفشون سلاما بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقيل تسليم عليهم او يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل ان قولهم يسلم من اللغو والاول اولى وقيل ان الاستثناء متصل وهو بعيد جدا وقرئ سلام سلام بالرفع وقيل يجوز الرفع على معنى سلام عليكم ولما فرغ سبحانه من ذكر احوال السابقين وما اعد لهم من النعيم المقيم ذكر احوال اصحاب اليمين فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين قد قدمنا ما في هذه الجملة الاستفهامية من التفخيم والتعظيم في سدر مخضود اي هم في سدر والظرفية للمبالغة في التنعم والانتفاع به والسدر نوع من الشجر قيل ثمرها اعظم من الفلال وهو النبق والمخضود الذي خضد شوكه اي قطع فلا شوك فيه وقال الضحاك وما له ومقاتل بن حيان ان السدر المخضود الموقر حملا وقد اخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي امامة قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر في القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال وما هي قال السدر فان لها شوكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله يقول في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر قال ابن عباس خضد وقرئ من الحمل وعنه قال المخضود الذي لا شوك فيه وقال

ايضا الموقر الذي لا شوك فيه وطلح منضود قال اكثر المفسرين ان الطلح في الآية هو شجر الموز
قال جماعة ليس هو شجر الموز ولكنه الطلح المعروف وهو اعظم اشجار العرب قال الفراء وابو عبيدة
هو شجر عظام لها شوك وقيل هو شجر له ظل بارد طيب قال الزجاج الطلح هو امر غيلان ولها نور
طيب فوعد طوبى وعدوا بمثل ما يحبون الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا
قال ويجوز ان يكون في الجنة وقد ازيل شوكه قال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له
ثمر احلى من العسل والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله واخره واسفله واعلاه بالحمل ليس له
سوق بارزة قال مسروق اشجار الجنة من عروقها الى افنانها نضيد ثمرة كله كلما اخذت ثمرة عاد مكانها
احسن منها وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها ماكول
ومشروب ومشموم ومنظور اليه عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي
فقال يا رسول الله اسمعك تذكر في الجنة شجرة لا اعلم شجرة اكثر منها شوكا يعني الطلح فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود يعني الخصي منها
فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر اخرجه ابن ابي داود والطبراني وابو نعيم وابن مردويه
وعن علي في قوله طلح قال هو الموز وعن ابن عباس مثله وعن ابي هريرة مثله وعن ابي سعيد
الخدري مثله وقرأ علي طلع وقال ابن عباس منضود بعضه على بعض وظل ممدود اي دائم
باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
قال ابو عبيدة والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود ومنه قوله ألم تر الى ربك كيف مد
الظل والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن انس يعني ظل العرش واخرج البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود واخرج البخاري وغيره نحوه من حديث انس واخرج
البخاري ومسلم وغيرهما نحوه من حديث ابي سعيد وماء مسكوب اي منصب جار يجري بالليل
والنهار اينما شاؤا لا ينقطع عنهم فهو مسكوب يسكبه الله في مجاريه واصل السكب للصب يقال
سكبه سكبا اي صبه والمعنى جار بلا حد ولا خدود وفاكهة كثيرة اي الوان متنوعة
واجناس متكثرة لا مقطوعة في وقت من الاوقات كما تنقطع فواكه الدنيا في بعض الاوقات

وهذا نعت لفاكهة لا للتفيكهة مرت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم تكرارها وَلَا مَمْنُوعَةٍ
اي لا يمتنع على من اراد ها في اي وقت على اي صفة شاء بل هي معدة لمن اراد ها لا يحول بينه وبينها
حائل من ثمن او حائط او باب او سلم او بعد قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا قال ابن قتيبة يعني انها
غير محظورة عليها كما يحظر على البساتين في الدنيا وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ اي مرفوع بعضها فوق بعض
او مرفوعة على الاسرة وقيل ان الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة وارتفاعها كونها
على الارائك او كونها صار تفاعات الاقدار في الحسن والكمال قال تعالى هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال
ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام اخرجه احمد والنسائي والترمذي
وحسنه وغيرهم وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث شداد بن سعد انتهى وهو ضعيف
إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً قيل هن الحور العين انشاهن الله لم تقع عليهن الولادة ولم يسبق من خلق
وانهن ليس من نسل آدم عليه السلام بل مخترعات وهو ما جرى عليه ابو عبيدة وغيره وقيل المراد
نساء بني آدم والمعنى ان الله سبحانه اعادهن بعد الموت الى حال الشباب والنساء وان لم يتقدم لهن
ذكر لكنهن قد دخلن في اصحاب اليمين فتلخص ان نساء الدنيا يخلقهن الله في القيامة خلقا جديدا
من غير توسط ولادة خلقا يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى الجسمية
وانتفاء سمات النقص كما انه خلق الحور العين على ذلك الوجه واما على قول من قال ان الفرش المرفوعة
كناية عن النساء فمرجع الضمير ظاهر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ان المنشآت التي
كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه ابن جرير وابن المنذر والبيهقي والترمذي وعبد بن حميد
قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وعن سلمة بن مريد الجعفي قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول الشيب والابكار اللاتي كن في الدنيا اخرجه الطبراني وابن قانع والبيهقي وابن المحاملي قال
ابن عباس خلقهن غير خلقهن الاول وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا
فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا اي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال ابن عباس ابكارا عذارى اي
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن عذارى ولا يحصل لهن وجع في ازالة البكارة عُرُبًا اترابا
العرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل قال المبرد هي العاشقة لزوجها قال زيد

بن اسلم هي الحسنة الكلام قرأ الجمهور بضم العين والراء وقرئ باسكان الراء وهما لغتان في جمع
عروب وقراءتان سبعيتان قال ابن عباس عربا عواشق لازواجهن وازواجهن لهن عاشقون
اترابا في سن واحد ثلثا وثلثين سنة وعنه قال العروب الملقة لزوجها وقال مجاهد اترابا
امثالا واشكالا وقال السدي اترابا في الاخلاق لاتباغض بينهن ولاتحاسد وعن معاذ بن جبل
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلثين او قال ثلث
وثلثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب والاتراب جمع ترب وهو المساوي لك
في سنك لانه بمس جلدهما التراب في وقت واحد وهو آكد في الايتلاف وهو من الاسماء التي لاتعرف
بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثلك خلقك لاانه في معنى صاحبك يقال في
النساء اتراب وفي الرجال اقران لأصحاب اليمين يعني ان الله انشأهن لاجلهم او خلقهن لاجلهم او هن
مساويات لاصحاب اليمين في السن او هن لاصحاب اليمين او هذا الذي ذكرنا لهم ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين هذا راجع الى قوله واصحاب اليمين اي هم ثلة الخ وقد تقدم تفسير الثلة عند
ذكر السابقين والمعنى انهم جماعة اوامة او فرقة او قطعة من الاولين وهم من لدن آدم الى نبينا
صلى الله عليه وسلم وجماعة اوامة او فرقة او قطعة من الاخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو العالية ومجاهد
وعطاء بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين بمعنى من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه
الامة من اخرها اخرج مسدد وابن المنذر والطبراني بسند حسن عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية
قال جميعها من هذه الامة وعنه قال هما جميعا من هذه الامة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال هما جميعا من امتي اخرجه عبد بن حميد وابن عدي والفريابي وغيرهم قال السيوطي بسند
ضعيف وعنه قال الثلتان جميعا من هذه الامة وبه قال ابو العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح
والضحاك وهو اختيار الزجاج فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الاخرين ثم قال هنا وثلة من
الاخرين قلت ذاك في السابقين الاولين وقليل من يلحق بهم من الاخرين وهذا في اصحاب اليمين
وانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين جميعا ثم لما فرغ سبحانه مما اعد لاصحاب اليمين شرع
في ذكر اصحاب الشمال وما اعد لهم فقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال الكلام في هذا
وما فيه من التفخيم كما سبق في اصحاب اليمين والشمال والمشأمة واحدة في سموم وحميم والسموم

ع ٣٠

حر النار والحميم الماء الحار الشديد الحرارة وقد سبق بيان معناه وقيل السموم الريح الحارة التي تخل في مسام البدن وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ اليحموم يفعول من الاحم او الحميم وهو الاسود تقول اسود يحموم اذا كان شديد السواد والمعنى انهم يفزعون الى الظل فيجدونه ظلا من دخان جهنم شديد السواد وقيل هو ماخوذ من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار وقيل ماخوذ من الحميم وهو الفحم والرماد وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود كل ما فيها اسود قال ابن عباس يحموم دخان اسود وفي لفظ دخان جهنم وقيل وادٍ في جهنم وقيل اسم من اسمائها والاول اظهر ثم وصف الله سبحانه هذا الظل بقوله لَّا بَارِدٍ اي ليس كغيره من الظلال التي تكون باردة بل هو حار ضار لانه من دخان نار جهنم وَلَا كَرِيمٍ قال سعيد بن المسيب اي ليس فيه حسن منظر وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقال الضحاك ولا كريم ولا عذب قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة والنعتان المذكوران لقوله ظل لا يحموم وما قيل من انه يلزم على ذلك تقديم غير الصريحة على الصريحة فلا يرد لان الترتيب غير واجب نص عليه الرضي مع انه هنا يفضي الى عدم توازن الفاصلتين وجعلهما نعتين ليحموم لا يلائم البلاغة القرآنية وكان من حق الظاهر ان يقال وظل حار ضار فعدل الى قوله وظل من يحموم ليتبادر منه الى الذهن اولا الظل المتعارف فيطمع السامع فاذا نفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد والاستراحة جاءت السخرية والتهكم والتعريض بان الذين يستاهلون الظل الذي فيه برد واكرام غير هؤلاء فيكون اشجى لحلوقهم واشد لتحسرهم قال الرازي وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب الدائم ثم ذكر سبحانه اعمالهم التي استحقوا بها هذا العذاب فقال إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ اي قبل هذا العذاب النازل بهم مُّتْرَفِينَ في الدنيا اي منعمين بما لا يحل لهم فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وانما كان الترفه هنا ذما من حيث انهم جعلوا من جملته القعود عن الطاعات وتركها فصح ذمهم بهذا الاعتبار مع انه في الواقع ليس ذما في حد ذاته والمترف المتنعم وقال السدي مشركين وقيل متكبرين والاول اولى والجملة تعليل لاستحقاقهم هذه العقوبة قال الرازي والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك للتنبيه على ان الثواب عنه تعالى فضل والعقوبة اب منه عدل والفضل

سواء ذكر سببه او لم يذكر لا يوهم بالمتفضل نقصا ولا ظلما
واما العدل فانه ان لم يذكر سبب العقاب يظن انه ظالم ويدل على ذلك انه تعالى لم يقل في
حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال في السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل
العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء في حقه وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحِنثِ الْعَظِيمِ الحنث الذنب اي يصرون على الذنب العظيم قال الواحدي قال اهل التفسير عنى
به الشرك اي كانوا لا يتوبون عن الشرك وبه قال الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة
ومجاهد هو الذنب العظيم الذي لا يتوبون عنه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وذلك انهم كانوا
يحلفون انهم لا يبعثون والحنث نقض العهد المؤكد باليمين وكل ما في ذلك يدل عليه قوله
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ الاستفهام في الموضعين
للانكار والاستبعاد وقد تقدم الكلام على هذا في الصافات وفي سورة الرعد والمعنى انهم انكروا
واستبعدوا ان يبعثوا بعد الموت وقد صاروا عظاما وترابا والمراد انه صار لحمهم وجلودهم ترابا وصارت
عظامهم نخرة بالية والعامل في الظرف ما يدل عليه مبعوثون لان ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما
قبله اي ابعث اذا متنا أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ معطوف على الضمير في لمبعوثون لوقوع الفصل
بينهما بالهمزة والمعنى ان بعث آباؤهم الاولين ابعد لتقدم موتهم ثم امر الله سبحانه رسوله صلى
الله عليه وسلم ان يجيب عليهم ويرد استبعادهم فقال قُلْ لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ردا لانكارهم تحقيقا
للحق إِنَّ الْأَوَّلِينَ من الامم وَالْآخِرِينَ منهم الذين انتم من جملتهم لَمَجْمُوعُونَ بعد الموت
إِلَىٰ مِيقَاتِ اي لوقت يَوْمٍ مَّعْلُومٍ معين عند الله وهو يوم القيامة والميقات ما وقت به الشيء
أي حد ومنه مواقيت الاحرام والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والمعنى انهم يحشرون الى ما وقت به
الدنيا من يوم الحساب ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ هذا وما بعده من جملة ما هو
داخل تحت القول وهو معطوف على ان الاولين والمراد اهل مكة ومن في مثل حالهم ووصفهم
سبحانه بوصفين قبيحين وهما الضلال عن الحق والتكذيب للبعث وثم للتراخي زمانا او رتبة
لَآكِلُونَ فِي الْآخِرَةِ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ اي من شجر كريه المنظر كريه الطعم وهو من اخبث الشجر
ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة ينبته الله في الجحيم وهو في غاية الكراهة وبشاعة المنظ ونتن الريح

وقد تقدم تفسيره في سورة الصافات ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية بيانية او الاولى مزيدة والثانية بيانية او الثانية مزيدة والاولى للابتداء فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا اي من شجر الزقوم وتانيث الضمير لكون الشجر اسم جنس واسم الجنس يجوز تذكيره وتانيثه لغتان الْبُطُونَ اي بطونكم لما يلحقكم من شدة الجوع فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ الضمير عائد الى الزقوم المأكول والحميم الماء الحار الذي قد بلغ حره الى الغاية والمعنى فشاربون عقب اكله من الماء الحار او يعود الضمير الى شجر لانه يذكر ويؤنث او يعود الى الاكل المدلول عليه بقوله لآكلون وقرئ من شجرة بالافراد فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ قرأ الجمهور شرب الهيم بفتح الشين وقرئ بضمها وبكسرها وهي لغات قال ابو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها قال المبرد الفتح اصل المصدر والضم اسم المصدر والهيم الابل العطاش التي لا تروي لداء يصيبها وهذه الجملة بيان لما قبلها اي لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم التي تعطش ولا تروي بشرب الماء ومفرد الهيم اهيم وايثى هيماء وقال الضحاك وابن عيينة والاخفش وابن كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل والمعنى انهم يشربون كما تشرب هذه الارض الماء ولا يظهر له فيها اثر قال في الصحاح الهيام بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام داء يأخذ الابل تهيم في الارض لا ترعى يقال ناقة هيماء والهيماء ايضا المفازة لا ماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي لا يتماسك في اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام بالكسر الابل العطاش قال النسفي وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما الذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين هٰذَا اي ما ذكر من الزقوم المأكول والحميم المشروب نُزُلُهُمْ اي رزقهم وغذاؤهم قرأ الجمهور نزل بضمتين وقرئ بضمة وسكون يَوْمَ الدِّينِ اي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمعنى ان ما ذكر من شجر الزقوم وشراب الحميم هو الذي يعدلهم ويأكلونه يوم القيامة وفي هذا تهكم بهم لان النزل هو ما يعد للاضياف تكرمة لهم ومثل هذا قوله فبشرهم بعذاب اليم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق التذكرة مقررة لمضمون الكلام غير داخلة تحت القول ثم التفت سبحانه الى خطاب الكفرة تبكيتا لهم والزاما للحجة فقال نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا هلا تُصَدِّقُونَ بالخلق

ذكره احمد في المسند من حديث ابن عباس وابو داود والترمذي من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح وابو داود من حديث ابن عمر وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات

او بالبعث اذ القادر على الشيء قادر على الاعادة قاله المحلي وقال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون بالبعث أفرأيتم اي اخبروني هل رأيتم بالعين او بالبصيرة ما تمنون اي ما تقذفون وتصبون في ارحام النساء من النطف قرأ الجمهور تمنون بضم الفوقية من امنى يمني وقرئ بفتحها من منى يمني وهما لغتان وقيل معناهما مختلف يقال المنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل من احتلام وسمي المني منيا لانه يمنى اي يراق أأنتم تخلقونه اي اتقدرون المني وتصورونه انتم بشرا سويا وهذا من باب الاشتغال وانتم مبتدأ والجملة بعده خبره والاول ارجح لاجل اداة الاستفهام أم نحن الخالقون اي المقدرون المصورون له وام هي المتصلة وقيل هي المنقطعة والاول اولى نحن قدرنا بينكم الموت قرأ الجمهور قدرنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهما لغتان وقراءتان سبعيتان يقال قدرت الشيء وقدرته اي قسمناه عليكم ووقتناه لكل فرد من افرادكم وقيل قضينا وقيل كتبنا وقيل اوجبنا والمعنى متقارب قال مقاتل فمنكم من يموت كبيرا ومنكم من يموت صغيرا وقال الضحاك ومعناه انه جعل اهل السماء اهل الارض فيه سواء وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين وعاجزين بل قادرين على ان نبدل امثالكم اي نأتي بخلق مثلكم قال الزجاج ان اردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا وقال السمين الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء اي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما آخرين امثالكم ويؤيده ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين اوجمع مثل بفتحتين وهو الصفة اي نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا قلت والاول اولى وقال ابن جرير المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم اي لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيئات قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا وقال سعيد بن المسيب يعني في حواصل طيور سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف وببرهوت واد باليمن وقال مجاهد يعني في اي خلق شئنا ومن كان قادرا على هذا فهو قادر على البعث ولقد علمتم النشأة الاولى وهي ابتداء الخلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا قبل ذلك شيئا او الترابية لابيكم ادم والحمئية لامكم حواء والنطفية لكل الكم وكل منها

٧٥ جواب بالقسم
كيف قال الكاشي ان ضمير
يصفون يرجع الى الكفار
والذي سبق الضمير من خلق
السموات والارض
ليس كذلك بل الضمير
يرجع الى الله والضمائر
بعده كذلك تخصيص على التعميم
بالبعض الباقي وكونه قال
بالخلق الاول وكونه قال
خلقناكم اولا ولم يقل انا
عليه ان يعيدكم بيان
فلا تصدقون بيان
وان صدقوا بالخلق
كان ينبغي ان
التصديق
يفيض التصديق
بعدم
آثاره الدالة عليه
سبحانه الحمد

تحويل من شيء الى غيره وقال قتادة والضحاك يعني خلق آدم من تراب فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الاخرى وتقيسونها على النشأة الاولى فان من قدر على الاولى يقدر على الثانية فانها اقل كلفة من الاولى في العادة قرأ الجمهور النشأة بالقصر وقرئ بالمد وقد مضى تفسير هذا في سورة العنكبوت وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى أفرأيتم اي اخبروني ما تحرثون من ارضكم تبذرون فتطرحون وتلقون فيها البذر والمعنى أفرأيتم البذر الذي تلقونه في الطين أأنتم تزرعونه اي تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب والزرع طرح البذر والزرع ايضا الانبات يقال زرعه الله اي انبته أم نحن الزارعون اي المنبتون له الجاعلون له زرعا لا انتم قال المبرد زرعه الله اي انماه فاذا اقر بهذا فكيف تنكرون البعث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت ولكن يقول حرثت قال ابو هريرة الم تسمعوا الله يقول افرأيتم ما تحرثون الآية اخرجه البزار وابن جرير وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي في الشعب وضعفه لو نشاء لجعلناه اي لجعلنا ما تحرثون حطاما اي محطما مفتتا متكسرا اي نباتا يابسا لا حب فيه او الحطام اليبيس الذي لا ينتفع به ولا يحصل منه حب ولا شيء مما يطلب من الحرث وقيل تبنا لا قمح فيه فظلتم تفكهون اي فصرتم تعجبون قاله ابن عباس قال الفراء تفكهون تتعجبون فيما نزل بكم في زرعكم قال في الصحاح تفكه تعجب ويقال تندم وقال الحسن وقتادة وغيرهما معنى الآية تعجبون من ذهابه وتندمون مما حل بكم وقال عكرمة تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله وقال ابو عمرو والكسائي هو التلهف على ما فات قرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء مع لام واحدة وقرئ بكسرها معها وقرئ ظللتم بلامين اولاهما مكسورة على الاصل وروي فتحها وهي لغة وقرأ الجمهور تفكهون بالهاء وقرئ تفكنون بالنون مكان الهاء اي تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم وفي الصحاح التفكن التندم والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث انا لمغرمون قرأ الجمهور بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزتين على الاستفهام اي اتقولون انا لملزمون غرما يما هلك من زدعنا والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض قاله الضحاك وابن كيسان والكرخي وقال الزمخشري اي لملزمون غراما قد انفقنا وقيل المعنى انا لمعذبون قال قتادة وغيره وقال مجاهد وعكرمة لموجع بنا يقال اغرم فلان يغرم

اي اولع به وقال مقاتل مهلكون اي لهلاك رزقنا قال النحاس ماخوذ من الغرام وهو الهلاك والظاهر من السياق المعنى الاول اي انا لمغرمون بذهاب ما حرثناه ومصيره حطاما تتراضربوا عن قولهم هذا او انتقلوا فقالوا بل نحن محرومون اي حرمنا رزقنا بهلاك زرعنا والمحروم الممنوع من الرزق الذي لا حظ له فيه وهو المحارف وقيل عارفون محدودون لا مجد ودون افرايتم الماء الذي تشربون فتسكنون به مايلحقكم من العطش وتدفعون به ما ينزل بكم من الظماء واقتصر سبحانه على ذكر الشرب مع كثرة فوائد الماء ومنافعه لانه اعظم فوائده واجل منافعه ءانتم انزلتموه من المزن اي السحاب قاله ابن عباس وقال ابو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن والمزنة المطر قاله في الصحاح ام نحن المنزلون دون غيرنا فاذا عرفتم ذلك فكيف لا تقرون بالتوحيد وتصدقون بالبعث تفريعا لهم سبحانه انه لو يشاء لسلبهم هذه النعمة فقال لو نشاء جعلناه اجاجا الاجاج الماء الشديد الملوحة الذي لا يمكن شربه وقال الحسن هو الماء المر الذي لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اي فهلا تشكرون نعمة الله الذي خلق لكم ماء عذبا تشربون منه وتنتفعون به افرايتم النار التي تورون اي اخبروني عنها ومعنى تورون تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب يقال اورت النار اذا قدحتها والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والسفلى الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة ءانتم انشاتم شجرتها التي تكون منها النار نزودوهي المرخ والعفار تقول العرب في كل شجر نار واستجد المرخ والعفار وزاد الجلال المحلي الكلخ نقل سليمان الجمل عن شيخه انه قال ولم نجده في القاموس ولا في المختار غير انه اخبر بعض اهل المغرب والشام بانه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب توخذ منه قطعتان وتضرب احداهما بالاخرى فتخرج النار ام نحن المنشئون لها اقامة دونكم ومعنى الانشاء الخلق وعبر عنه بالانشاء للدلالة على ما في ذلك من بديع الصنعة وعجيب القدرة نحن جعلناها اي النار التي في الدنيا تذكرة لنار جهنم الكبرى حيث علقنا بها اسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به قال مجاهد وقتادة تبصرة للناس في الظلام وقال عطاء موعظة ليتعظ بها المؤمن وقال ابن عباس تذكرة للنار الكبرى عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار كم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة

و ستين جزء كلها مثل حرها اخرجه البخاري ومسلم ومتاعا للمقوين اي للمسافرين قاله ابن عباس يعني منفعة للذين ينزلون بالقواء وهي الارض القفر كالمسافرين واهل البوادي النازلين في الاراضي المقفرة يقال ارض قواء بالمد والقصر اي مقفرة ويقال اقوى اذا سافر اي نزل القوى وخصوا بالذكر لان منفعتهم بها اكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال الى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد المقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة وتذكر ذلك وجهنم وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت منه كذا وكذا اي ما اكلت شيئا وبات فلان القوى اي جائعا وقال قطرب القوى من الاضداد يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد واقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء لا غنى لاحد عنها وقال المهدوي الاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي عن اكثر المفسرين القول الاول وهو الظاهر فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ الفاء للترتيب ما بعدها من ذكر الله سبحانه وتنزيهه على ما قبلها مما عدده من النعم التي انعم بها على عباده وجحود المشركين لها وتكذيبهم بها وقيل قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها في ركوعكم ولفظ باسم زائدة وسبح يتعدى بنفسه وبحرف الجر فالباء زائدة والاسم باق على معناه او بمعنى الذات او بمعنى الذكر قال الكرخي قالوا كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن سوء الادب وهذا ابلغ لما يلزم ذلك بالطريق الاولى على سبيل الكناية الرمزية واثبتوا الف الوصل هنا في اسم ربك لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة فَلَا أُقْسِمُ ذهب الجمهور الى ان لا مزيدة للتوكيد والمعنى فاقسم ويؤيد هذا قوله بعد وانه لقسم وقال جماعة من اهل التفسير انها للنفي والمنفي محذوف وهو كلام الكفار الجاحدين قال الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كذلك ثم قال مستانفا اقسم وضعف هذا بان حذف اسم لا وخبرها غير جائز كما قال ابو حيان وغيره وقيل انها لام الابتداء والاصل فلاقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الالف وقد قرئ هكذا بدون الف وعلى هذا التقدير فلاذا اقسم مزيدة لك وقيل ان لا ههنا بمعنى الا التي للتنبيه وهو بعيد وقيل ان لا هنا على ظاهرها وانها تنفي القسم اي فلا اقسم على هذا لان الامر اوضح من ذلك هذا مما فوض بقوله وانه لقسم لو تعلمون

ع ثلثة

المقسم والمقسم عليه بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها كذا قال قتادة وغيره ولعل لله في
أخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او الملائكة عبادات موصوفة اوالاماكن
وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها وقال عطاء بن ابي رباح
منازلها وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال الضحاك وهي الانواء التي كان اهل الجاهلية
يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال الماوردي ويكون قوله فلا اقسم مستعملا في حقيقته من نفي القسم
وقال القشيري هو قسم والله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله وصفاته القديمة وقيل
المراد نزول القرآن نجوما من اللوح المحفوظ وبه قال السدي وغيره وحكى الفراء عن ابن مسعود ان مواقع
النجوم هو محكم القرآن قال ابن عباس انزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا
جملة واحدة ثم فرق بين السنين وفي لفظ نزل من السماء الدنيا الى الارض نجوما ثم قرأ هذه الاية و
عنه قال بنجوم القرآن حين ينزل قرأ الجمهور مواقع على الجمع وقرئ موقع على الافراد قال المبرد موقع
ههنا مصدر فهو يصلح للواحد والجمع ثم اخبر الله سبحانه عن تعظيم هذا القسم وتفخيمه فقال وَإِنَّهُ
لَقَسَمٌ هذه الجملة معترضة بين المقسم به والمقسم عليه وقوله لَوْ تَعْلَمُونَ جملة معترضة بين جزئي
الجملة المعترضة فهو اعتراض في اعتراض قال الفراء والزجاج هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم
نزول القرآن والضمير في انه يعود على القسم الذي يدل عليه اقسم والمعنى ان القسم بمواقع النجوم
لقسم عَظِيمٌ لو تعلمون لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة
ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ
اي كريم الله واعزه ورفع قدره على جميع الكتب وكرمه عن ان يكون سحرا وكهانة او كذبا وقيل انه كريم
لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قاريه وحكى الواحدي عن
اهل المعاني انه وصف القرآن بالكريم لان من شانه ان يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدي الى الحق والدين
قال الازهري الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم يحوي لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة فالفقيه يستدل
به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب
اصلي عليه منه وقيل حسن مرضي او نفاع جم المنافع او عزيز مكرم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق
بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل غض طري يبقى ابد الدهر في كِتَابٍ مَكْنُونٍ

اي مستور مصون من التغيير والتبديل على حد قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقيل محفوظ عن الباطل وهو اللوح المحفوظ قاله جماعة وقيل هو كتاب مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وقال عكرمة هو التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه وقال السدي هو الزبور وقال مجاهد وقتادة هو المصحف الذي في ايدينا لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ من جميع الادناس قال المحلي خبر بمعنى النهي اي لا يمسوه اي يحرم عليهم مسه بدون الطهارة ولم يبق صريحا على خبريته لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى لانه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخلف في خبره تعالى محال وقيل ان لا هيبة والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وضعف ابن عطية النهي قال الواحدي اكثر المفسرين على ان الضمير عائد الى الكتاب المكنون اي لا يمس الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملائكة وقيل هم الملائكة والرسل من بني آدم والمعنى لا يمسه المس الحقيقي وقيل المعنى لا ينزل به الا المطهرون وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القرآن فقيل لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس كما قال قتادة وغيره وقال الكلبي المطهرون من الشرك وقال الربيع بن انس المطهرون من الذنوب والخطايا وقال محمد بن فضل وغيره المعنى لا يقرؤه الا الموحدون وقال الفراء لا يجد نفعه وبركته الا المؤمنون وقال الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقد ذهب الجمهور الى منع المحدث من مس المصحف وبه قال علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي وروي عن ابن عباس والشعبي وجماعة منهم ابو حنيفة انه يجوز للمحدث مسه وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في هذا في شرحه للمنتقى فليرجع اليه قرأ الجمهور المطهرون اسم مفعول من التطهير وقرئ بكسر الهاء على انه اسم فاعل اي المطهرون انفسهم وقرئ على انه اسم مفعول من اطهر وقرئ بتشديد الطاء وكسر الهاء اصله المتطهرون قال ابن عباس في الآية الكتاب المنزل من السماء لا يمسه الا الملائكة وعن انس قال المطهرون الملائكة وعن علقمة قال اتينا سلمان الفارسي فخرج علينا من كنيف فقلنا له لو توضأت يا ابا عبد الله لعلنا نسألك عن اشياء قرأت علينا سورة كذا وكذا قال انما قال الله في كتاب مكنون لا يمسه

الا المطهرون وهو الذي في السماء لا يمسه الا الملائكة ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا اخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وعن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه قال في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لا يمس القرآن الا طاهر اخرجه مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر واخرجه ابو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد الله المذكور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا يمس القرآن الا طاهر وقد اسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وغيره وفي اسانيدها نظر وعن ابن عمر انه كان لا يمس المصحف الا متوضيا وعن عبد الرحمن بن زيد قال كنا مع سلمان فانطلق لحاجة فتوارى عنا ثم خرج علينا فقلنا لو توضأت فسألناك عن اشياء من القرآن فقال سلوني فاني لست امسه انما يمسه المطهرون ثم تلا هذه الآية اخرجه سعيد بن منصور وابن ابي شيبة في المصنف وابن المنذر وغيرهم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر اخرجه الطبراني وابن مردويه وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن كتب له في عهده ان لا يمس القرآن الا طاهر اخرجه ابن مردويه تَنْزِيلٌ اي منزل وسمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بالنصب على الحال مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ صفة لقرآن او خبر مبتدء محذوف وفيه رد على من قال ان القرآن شعر او سحر او كهانة أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ الاشارة الى القرآن المنعوت بالنعوت السابقة والمدهن والمداهن المنافق كذا قال الزجاج وغيره وقال عطاء وغيره هو الكذاب وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون كما في قوله ودوا لو تدهن فيدهنون وقال ابن عباس مدهنون مكذبون وقال الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون للكفار على الكفر وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل حتى الله عليه ويدفعه بالعلل والاول اولى لان اصل المدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه يشبه الدهن في سهولته قال المبرد المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب في الكفر والنفاق واصله الليان وان يسر خلاف ما يظهر وقال في الكشاف مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به انتهى قال الراغب والادهان في الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك قلت سميت المداراة والملاينة مداهنة وهذا استعارة ومجاز معروف ولشهرته

صار حقيقة عرفية فلا تجوز به هنا عن التهاون ايضا لان المتهاون بالامر لا يتصلب فيه وقال
بعض اللغويين تكذبون للحزم في قول القران وتجعلون رزقكم انكم تكذبون في الكلام مضاف محذوف
كما حكاه الواحدي عن المفسرين اي تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون بنعمة الله فتضعون التكذيب
موضع الشكر وقال الهيثم ان اهل دشنوءة يقولون ما رزق فلان اي ما شكر وعلى هذه اللغة
لا يكون في الاية مضاف محذوف بل معنى الرزق الشكر ووجه التعبير بالرزق عن الشكر ان الشكر
يقتضي زيادة الرزق فيكون الشكر رزقا تعبيرا بالسبب عن المسبب ومما يدخل تحت هذه الاية
قول الكفار اذا سقاهم الله وانزل عليهم المطر سقينا بنوء كذا ومطرنا بنوء كذا قال الازهري معنى
الاية وتجعلون بدل شكركم رزقكم الذي رزقكم الله التكذيب بانه من عند الله الرزاق قرأ علي
وابن عباس تجعلون شكركم وقرأ الجمهور تكذبون بالتشديد من التكذيب وقرئ بالتخفيف
من الكذب اخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله
وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فانزلت هذه الاية فلا اقسم الى قوله تكذبون واصل
الحديث بدون ذكر انه سبب نزول الاية ثابت في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني
من حديث ابي سعيد الخدري وعن علي عند الحاكم في الاية قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا
وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه احمد والترمذي والضياء في المختارة وغيرهم وفي الباب احاديث وعن
عائشة قالت ما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران الا ايات يسيرة تجعلون رزقكم قال شكركم
رواه ابن عساكر وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون شكركم اخرجه ابن مردويه فلولا اذا بلغت الحلقوم
اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت الروح او النفس الحلقوم عند الموت ولم يتقدم لها ذكر لكان
المعنى مفهوما عندهم اذا جاؤا بمثل هذه العبارة والحلقوم مجرى الطعام والشراب وانتم حينئذ التنوين
عوض من الجملة المضاف اليها اذ اي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش حيث زعم ان التنوين للضرورة
والكسر للاعراب تنظرون اي الى ما هو فيه ذلك الذي بلغت نفسه او روحه الحلقوم قال الزجاج
وانتم ايها اهل الميت في تلك الحال ترون الميت قد صار الى ان تخرج نفسه والمعنى انهم في تلك الحال
لا يمكنهم الدفع عنه ولا يستطيعون شيئا ينفعه او يخفف عنه ما هو فيه ونحن اقرب اليه منكم

اي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل اراد ورسلنا الذين يتولون قبضه اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون اي لا تدركون ذلك فلولا تعلمكم بان الله اقرب الى عبده من حبل الوريد اولا تبصرون
ملائكة الموت الذين يحضرون الميت ويتولون قبضه اولا تعلمون ما هو فيه من المشقة والكرب
فلولا ان كنتم غير مدينين يقال دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم قال الفراء
دينه ملكته ويقال دانه اذا اذله واستعبده وقيل معنى مدينين محاسبين قاله ابن عباس و
قيل مجزيين والمعنى الاول الصق بمعنى الاية اي فهلا ان كنتم غير مربوبين ومملوكين ترجعونها
اي النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مقرها الذي كانت فيه والعامل في اذا بلغت قوله ترجعونها
ولولا الثانية تاكيد لفظي للاولى قال الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ان كنتم
صادقين ولترجعوها فبطل زعمكم انكم غير مربوبين ولا مملوكين وقيل معناه ان صدقتم في نفي البعث فردوا
روح المحتضر الى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث ثم ذكر سبحانه طبقات الخلق عند الموت و
بعده فقال فاما ان كان الذي بين حاله من المقربين اي السابقين من الثلاثة الاصناف المتقدم
تفصيل حالهم فروح وريحان قرأ الجمهور روح بفتح الراء ومعناه الراحة من الدنيا والاستراحة
من احوالها قال مجاهد الروح الفرح وقرئ بضم الراء ومعناه الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وبه قال
الحسن وفي القاموس الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح والريحان الرزق في الجنة قاله مجاهد
وسعيد بن جبير ومقاتل وقال هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه وقال
قتادة انه الجنة وقال الضحاك هو الرحمة وقال الحسن هو الريحان المعروف الذي يشم قال قتادة والربيع
بن خيثم هذا عند الموت والجنة مخبوءة له الى ان يبعث وكذا قال ابو الجوزاء وابو العالية وجنت
نعيم يعني انها ذات تنعم قال ابن عباس اي مغفرة ورحمة وترسم جنة هنا بحر وردة التاء ووقف
عليها بالهاء ابن كثير والكسائي وغيرهما والباقون بالتاء على الرسم وهل الجواب لاما او لان اولهما اقوال
ومعنى اما عند ابي اسحق الخروج من شيء الى شيء اي جرى ما كنا فيه وخل في غيره وعلى هذا الجواب لان فقط
اما ليست شرطا ورجح بعضهم ان الجواب لاما لان اكثر حذف جوابها منفردة فادعاء ذلك مع شرط
اخر اولى واما ان كان ذلك المتوفى من اصحاب اليمين الذين ياخذون كتبهم بايمانهم وقد تقدم ذكرهم
وتفصيل احوالهم وما اعده الله لهم من الجزاء فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى فيهم

الا ما تحب من السلامة فلا تهتم بذلك فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاغتمام بهم وقيل المعنى انهم يدعون لك ويسلمون عليك وقيل انه صلى الله عليه وسلم يحيى بالسلام اكراما وقيل هو اخبار من الله سبحانه بتسليم بعضهم على بعض وقيل المعنى وسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين يعني انه التفات بتقدير القول ومن للابتداء كما يقال سلام من فلان على فلان وفسر المحلي السلام بمعنى السلامة قال القاري وهذا تفسير غريب قال ابن عباس تاتيه الملائكة بالسلام من قبل الله يسلم عليه ويخبره انه من اصحاب اليمين وَاَمَّآ اِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِيْنَ بالبعث الضَّآلِّيْنَ عن الهدى وهم اصحاب الشمال المتقدم ذكرهم وتفصيل احوالهم وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم هذا العذاب والا فمقتضى الظاهر ان يقال واما ان كان من اصحاب الشمال لكن عدل عنه لما ذكر تامل فَنُزُلٌ اي فله نزل يعد للنزول مِّنْ حَمِيْمٍ وهو الماء الذي قد تناهت حرارته وذلك بعد ان ياكل من الزقوم كما تقدم بيانه قال الربيع بن خيثم هذا عند الموت هذا اطعامهم وَتَصْلِيَةُ جَحِيْمٍ يقال اصلاه النار وصلاه اذا جعله في النار وهو من اضافة المصدر الى المفعول او الى المكان قال المبرد وجواب الشرط في هذه الثلاثة المواضع محذوف والتقدير مهما يكن من شيء فروح الخ وفي هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان اصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين اِنَّ هٰذَا اي ان ما ذكر في هذه السورة من اولها الى اخرها او ان المذكور قريبا من احوال المحتضرين وقصتهم لَهُوَ حَقُّ الْيَقِيْنِ اي المحض وخالصه واضافة حق الى اليقين من باب اضافة الشيء الى نفسه قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين هذا عند الكوفيين وجوز ذلك اي اضافة الموصوف الى الصفة لاختلاف اللفظ واما البصريون فيجعلون المضاف اليه محذوفا والتقدير حق الامر اليقين او الخبر اليقين قال ابن عباس لهو حق اليقين ما قصصنا عليك في هذه السورة فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي نزهه عما لا يليق بشانه اي فسبح متلبسا باسم ربك للتبرك به وقيل المعنى فصل بذكر ربك وقيل الباء زائدة وادعاء زيادتها خلاف الاصل والاسم بمعنى الذات وقيل هي للتعدية لان سبح يتعدى بنفسه تارة ويتعدى بالحرف اخرى والاول اولى عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك قال اجعلوها

في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه احمد وابو داود وابن حبان والحاكم وصححوه والبيهقي

سورة الحديد تسع وعشرون اية وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعليه الجمهور وقال الزمخشري انها مكية ويؤيده ما نقل في سبب اسلام عمر بن الخطاب انه لما قرأ هذه الآيات الى قوله ان كنتم مؤمنين وكانت مكتوبة في صحيفة عند اخته اسلم فهذا يقتضي ان هذه الآيات مكية فعلى هذا تستثنى على القول بان السورة مدنية تامل وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة الحديد يوم الثلثاء وخلق الحديد يوم الثلثاء وقتل ابن آدم اخاه يوم الثلثاء ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلثاء اخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر مرفوعا لا تحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد انزلت علي يوم الثلاثاء اخرجه الديلمي وعن عرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرء المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن اية افضل من الف اية اخرجه احمد والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم وفي اسناده بقية بن الوليد وفيه مقال معروف واخرجه النسائي عن خالد بن معدان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر العرباض بن سارية فهو مرسل واخرجه ابن الضريس عن يحيى بن ابي كثير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرء المسبحات وكان يقول ان فيهن اية افضل من الف اية قال يحيى فنراها الآية التي في آخر الحشر وقال ابن كثير في تفسيره والآية المشار اليها والله اعلم هي قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن الآية والمسبحات هي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اي نزهه ومجده قال المقاتلان يعني كل شيء من ذي روح وغيره وقد تقدم الكلام في تسبيح الجمادات عند تفسير قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والمراد بالتسبيح المسند الى ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم والحيوانات والجمادات هو ما يعم التسبيح بلسان المقال كتسبيح الملائكة والانس والجن وبلسان الحال كتسبيح غيرهم

فان كل موجود يدل على الصانع وقد انكر الزجاج ان يكون تسبيح غير العقلاء هو تسبيح الدلالة وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور اثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا التسبيح من الجبال تسبيح دلالة لم تكن لتخصيص داود فائدة وفعل التسبيح قد يتعدى بنفسه تارة كما في قوله و سبحوه وباللام اخرى كهذه الاية واصله ان يكون متعديا بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء فاذا استعمل باللام فهي امالزيادة للتاكيد كما في شكرته وشكرت له او هي للتعليل اي افعل التسبيح لاجل الله سبحانه خالصا له وجاء هذا الفعل في بعض هذه الفواتح كالحشر والصف ماضيا كهذه الفاتحة وفي بعضها كالجمعة والتغابن مضارعا وفي بعضها كالاعلى امرا وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر استيعابا واستيفاء لهذه الكلمة من جميع جهاتها وللاشارة الى ان هذه الاشياء مسبحة في كل الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة في المستقبل ابدا وبدأ بالمصدر في الاسماء لانه الاصل وابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه عن التعرض للفاعل والزمان ثم بالماضي لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والاستقبال ثم بالامر لخصوصه بالاستقبال مع تاخره في النطق به في قولهم فعل يفعل افعل وَهُوَ الْعَزِيزُ اي القادر الغالب الذي لا ينازعه منازع ولا يمانعه ممانع كائنا ما كان قرأ قالون وابو عمرو بسكون الهاء والباقون بضمها الْحَكِيمُ الذي يفعل افعال الحكمة والصواب لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يتصرف فيه وحده ولا ينفذ غير تصرفه وامره وقيل المراد خزائن المطر والنبات وسائر الارزاق ذكره مرتين وليس بتكرار لان الاول في الدنيا كما اشار له في التقرير والثاني في العقبى لقوله عقبه والى الله ترجع الامور والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب يُحْيِي وَيُمِيتُ الفعلان في محل رفع على انهما خبران لمبتدء محذوف او كلام مستانف لبيان بعض احكام الملك او حال من الضمير في له و العامل الاستقرار والمعنى انه يحيي بالاشياء في الدنيا ويميت بعدها قيل يحيي النطف وهي موات و يميت الاحياء وقيل يحيي الاموات للبعث وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء كائنا ما كان هُوَ الْأَوَّلُ قبل كل شيء بلا بداية السابق على جميع الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها وَالْآخِرُ بعد كل شيء بلا نهاية الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها

الاول خارجا والآخر دهنا والاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات والظاهر العالي الغالب على كل شيء والظاهر وجوده بالادلة الواضحة والباطن اي العالم بما بطن من قولهم فلان يبطن امر فلان اي يعلم داخلة امره والمعنى المحتجب حقيقة ذاته عن ادراك الابصار والحواس والعقول فلا تكتنهها الالباب والاحلام لا في الدنيا ولا في الآخرة فاضمحل ما في الكشاف من ان فيه حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقد فسر هذه الاسماء الاربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعين المصير الى ذلك كما اخرج ابن ابي شيبة ومسلم والترمذي والبيهقي عن ابي هريرة قال جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال قولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم وربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل شيء انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر واخرج احمد ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة من وجه آخر مرفوعا مثل هذا في الاربعة الاسماء المذكورة وتفسيرها واخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابن عمر وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شيء فما ذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شيء والآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم واخرج ابو داود عن ابي زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء اجده في صدري قال ما هو قلت والله لا اتكلم به قال ففال لي اشيء من شك قال وضحك قال ما نجى من ذلك احد قال حتى انزل الله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيئا فقل هو الاول والآخر الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من المعلومات عن ابي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة

سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماء ان بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماء كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارض اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما اراد الهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه والعنان اسم للسحاب ومعنى رواياً الارض الحوامل والرقيع اسم لسماء الدنيا هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ من ايام الدنيا اولها الاحد واخرها الجمعة ولو اراد ان يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة اصلا ليكون عليها المدار وهذا بيان لبعض ملكه للسموات والارض وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف وفي غيرها مستوفى ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ اي الكرسي استواء يليق به قاله المحلي وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنت جالسا انا والبطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم هل تدرون كم ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عد هن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذي وابو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم شيء وقد تقدم الكلام على الاستواء مرارا في غير موضع وفي هذا الباب كتب ورسائل مستقلة وهي معروفة عند اهل العلم يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْاَرْضِ اي يدخل فيها من المطر والقطر والبذر والكنوز

والموتى وغيرها وما يخرج منها من نبات ومعادن وغيرها وما ينزل من السماء من الملائكة والرحمة والعذاب والمطر وغيرها وما يعرج فيها اي يصعد اليها من الملائكة واعمال العباد والدعوات وقال المحلي كالاعمال الصالحة والسيئة واعترضه القادري بان الذي يرفع من الاعمال هو الصالح كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقد تقدم تفسير هذا في سورة سبا وهو معكم اينما كنتم بقدرته وسلطانه وعلمه عموما وبفضله ورحمته خصوصا فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض وسماء براوبحرا وقيل هو معكم بالحفظ والكرامة قال ابن عباس ثم بكم وهذا تمثيل للاحاطة بما يصدر منهم اينما داروا في الارض من بر وبحر والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه من اعمالكم شيء له ملك السموات والارض هذا التكرير للتاكيد وذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لما والى الله لا الى غيره ترجع الامور الاخوان وابن عامر يقرؤن بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القرآن ذكره السمين يولج الليل اي يدخله في النهار بان ينقص من الليل ويزيد في النهار ويولج النهار في الليل بعكس ذلك وقد تقدم تفسير هذا في سورة ال عمران وفي مواضع وهو عليم بذات الصدور اي بضمائرها ومعتقداتها ومكنوناتها لا تخفى عليه من ذلك خافية امنوا بالله ورسوله اي صدقوا بالتوحيد وصحة الرسالة وهذا خطاب لكفار العرب او للجميع ويكون المراد بالامر بالايمان في حق المسلمين الاستمرار عليه او الازدياد عليه ثم لما امرهم بالايمان امرهم بالانفاق في سبيل الله فقال وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة فان المال مال الله والعباد خلفاء الله في اموالـه فعليهم ان يصرفوها فيما يرضيه وقيل جعلكم خلفاء من كان قبلكم ممن ترثونه وسينتقل الى غيركم ممن يرثكم فلا تبخلوا به كذا قال الحسن وغيره وفيه الترغيب الى الانفاق في سبل الخير وتهوين له على النفس قبل ان ينتقل عنهم ويصير الى غيرهم والظاهر ان معنى الاية الترغيب في الانفاق في الخير وما يرضاه الله على العموم وقيل هو خاص بالزكوة المفروضة ولا وجه لهذا التخصيص قال المحلي نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك ويشكل هذا على القول بان السورة مكية وكذا على القول بانها مدنية على استثناء هذه الايات وكانت في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهي اخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل وقع الصلح عام ستة

له قال ما نصه حيث حمل الخ لا يتعين الحمل المذكور لجواز ان الاية نزلت في الاولى عاد وقوله ما يعلمه كان قد يجي ويصير لشاهد الى الاخير ١٢ سعيد وفقه الله

الجزية وايضاح هذه القصة مذكور في سورة براءة فراجعها ان شئت ثم ذكر سبحانه ثواب من انفق في سبيل الله فقال فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا اي الذين جمعوا بين الايمان بالله ورسوله وبين الانفاق في سبيل الله وفيه اشارة الى عثمان رضي الله تعالى عنه فانه جهز في غزوة العسرة ثلثمائة بعير بافتابها واحلاسها واحمالها وجاء بالف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وهو الجنة وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ هذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع والخطاب للكفار اي اي عذر لكم واي مانع من الايمان وقد زيحت عنكم العلل وقيل المعنى اي شيء لكم من الثواب في الآخرة اذا لم تؤمنوا وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ اي يدعوكم للايمان والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والحال ان الرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج والحال ان قَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ حين اخرجكم من ظهر ابيكم آدم في عالم الذر حين اشهدكم على انفسكم الست بربكم قالوا بلى او بما نصب لكم من الادلة الدالة على التوحيد ووجوب الايمان وركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تتقوا لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون وهو اختيار القاضي والكشاف والاول اولى قرأ الجمهور وقد اخذ مبنيا للفاعل وهو الله سبحانه لتقدم ذكره وقرئ على البناء للمفعول وهما سبعيتان إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ بما اخذ عليكم من الميثاق او بالحجج والدلائل او ان كنتم مؤمنين بسبب من الاسباب فهذا من اعظم اسبابه واوضح موجباته لا مزيد عليه وقيل ان كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما تقتضي الايمان بمحمد صلعم وقيل مريدين للايمان به فبادروا اليه وقيل ان بمعنى اذ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ اي واضحات ظاهرات وهي الآيات القرآنية وقيل المعجزات والقرآن اعظمها لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ اي ليخرجكم الله بتلك الآيات من ظلمات الشرك الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بتلك الآيات او بالدعوة منها اليه وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ فِي اخراجكم من الكفر الى الايمان لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ اي كثير الرافة والرحمة بليغهما حيث انزل كتبه وبعث رسله لهداية عباده ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية رافة ورحمة ابلغ من هذه وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فوضعه نصب او جر وليستان زائدة كما يرى ابو الحسن بن زيادتها بل هي مصدرية والمعنى في عدم الانفاق فِي سَبِيلِ اللَّهِ اي في طاعته وما يكون قربة اليه فسبيله كل خير يوصلهم اليه فهو استعارة تصريحية

والاستفهام للتوبيخ والتقريع وفي هذه الاية دليل على ان الانفاق المامور به في قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه هو الانفاق في سبيل الله كما بينا ذلك والمعنى اي عذر لكم واي شيء يمنعكم من ذلك ولله ميراث السموات والارض اي والحال ان كل ما فيهما راجع الى الله سبحانه بانقراض العالم كرجوع الميراث الى الوارث ولا يبقى لهم منه شيء وهذا ادخل في التوبيخ واكمل في التقريع فان كون تلك الامور تخرج عن اهلها وتصير لله سبحانه ولا يبقى احد من ملاكها اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من كونها لله في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها ثم بين سبحانه فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وتفاوت درجات المنفقين فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي فتح مكة وبه قال اكثر المفسرين قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من الاخر ونفقتان احداهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة من قبل فتح مكة افضل من النفقة والقتال بعد ذلك وكذا قال مقاتل وغيره وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية وهو الراجح قاله الكرخي وذكر القتال للاستطراد وفي الكلام حذف والتقدير لا يستوي من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لظهوره ولدلالة ما سيأتي عليه فان الاستواء يكون بين الشيئين ولا يتم الا بذكر اثنين وانما كانت النفقة والقتال قبل الفتح افضل من النفقة والقتال بعده لان حاجة الناس كانت اذ ذاك اكثر وهم اقل واضعف فتقديم الانفاق على القتال للايذان بفضيلة الانفاق لما كانوا عليه من الحاجة فانهم كانوا يجودون بانفسهم ولا يجدون ما يجودون به من الاموال ع والجود بالنفس اقصى غاية الجود أولئك اشارة الى من باعتبار معناه وهو مبتدء وخبره قوله أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي ارفع منزلة واعلى رتبة من الذين انفقوا اموالهم في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا من قبل الفتح في افضلها قال الزجاج لان المتقدمين نالهم من المشقة اكثر مما نال من بعدهم وكانت بصائرهم ايضا انفذ وقد ارشد صلى الله عليه وسلم الى هذه الفضيلة بقوله فيما صح عنه لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا الخطاب منه صلى الله عليه وسلم للمتاخرين صحبة كما يرشد الى ذلك السبب الذي ورد فيه هذا الحديث وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم عن ابي سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى اذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوشك ان ياتي قوم تحقرون اعمالكم مع اعمالهم قلنا من هم يا رسول الله اقريش قال لا ولكنهم اهل اليمن هم ارق افئدة واليين قلوبا فقلنا انهم خير منا يا رسول الله قال لو كان لاحدهم جبل من ذهب ما ادرك مد احدكم ولا نصيفه الا ان هذا فصل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الاية وهذا الحديث قال ابن كثير غريب بهذا الاسناد وقد رواه ابن جرير ولم يذكر فيه الحديبية واخرج احمد عن انس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بايام سبقتمونا بها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوا لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد اومثل الجبال ذهبا ما بلغ اعمالهم والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي محمد بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وفي لفظ ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اخرج هذا الحديث البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي سعيد الخدري وعن ابن عمر قال لا تسبوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلمقام احدهم ساعة خير من عمل احدكم عمره اخرجه ابن ابي شيبة وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت درجاتها فيها قرا الجمهور كلا على انه مفعول مقدم وقرئ بالرفع على الابتداء او على انه خبر مبتدء محذوف ومثل هذا قول الشاعر

قد اصبحت ام الخيار تدعي ... عليذنبا كله لم اصنع

قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم رغب سبحانه في الصدقة فقال من ذا الذي يقرض الله اي ينفق ماله في سبيل الله فانه كمن يقرضه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض ومن من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه ويجوز ان يكون من ذا مبتدء والموصول خبره وهذا من غاية اللطف بنا والاحسان الينا حيث سمى اعطاءنا الاموال من عنده وجعل رجوعها اليه منا قرضا مع انه المالك الحقيقي قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلب طيب لا من ولا اذى وقال مقاتل حسنا طيبة به نفسه واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الانفاق بالاقراض بجامع اعطاء شيء بعوض وسمي قرضا لان القرض اخراج المال لاسترداد البدل من حيث ان الله

وعده الجنة تشبيها بالقرض وقيل القرض الحسن هو النفقة على الاهل قاله زيد بن اسلم وقال الحسن هو التطوع بالعبادات وقيل انه العمل الخير والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء والاول اولى وقال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي به الناس وان تستحقرها تعطي وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عن نفسك وذل الفقير فهذه عشر خصال اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا وقد تقدم تفسير الاية في سورة البقرة فَيُضَاعِفَهُ لَهُ اي يعطيه اجره على انفاقه اضعافا مضاعفة من فضله قرأ اهل الكوفة والبصرة بالالف وتخفيف العين وقرئ فيضعفه وعلى كل من القراءتين فالفعل اما مرفوع او منصوب فالقراءات اربعة وكلها سبعية قال ابن عطية الرفع هنا على العطف والاستيناف والنصب بالفاء على جواب الاستفهام وَلَهُ مع المضاعفة أَجْرٌ كَرِيمٌ وهو الجنة والمضاعفة هنا هي كون الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف على اختلاف الاحوال والاشخاص والاوقات يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اي اذكر او يوجرون يوم ترى او يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم ترتهم هذا اصله او العامل فيه فيضاعفه قاله ابو البقاء والخطاب لكل من يصلح له يَسْعَى نُورُهُمْ اي نور التوحيد والطاعات والنور هو الضياء الذي يرى وقيل هو القرآن بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ظرف ليسعى او حال من نورهم وَبِأَيْمَانِهِمْ وذلك على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم الى الجنة قال قتادة ان المؤمن يضيئ له نوره كما بين عدن الى صنعاء حتى ان من المؤمنين من لا يضيئ له نوره الا موضع قدميه وقال الضحاك ومقاتل وبايمانهم كتبهم التي اعطوها فكتبهم بايمانهم ونورهم بين ايديهم وقال الضحاك ايضا نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختار هذا ابن جرير الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم قال ابن مسعود في الاية يؤتون نورهم على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وادناهم نورا من نوره على ابهامه يطفيء مرة ويقد اخرى قال الفراء الباء بمعنى في اي في جهة ايمانهم وهذا على قراءة العامة اعني بفتح الهمزة جمع يمين وقيل الباء بمعنى عن اي عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف الجهات وقرئ بكسرها

على ان المراد بالايمان ضد الكفر وهذا المصدر معطوف على الظرف قبله والباء سببية اي يسعى كائنا بين ايديهم وكائنا بايمانهم وقال ابو البقاء تقديره وبايمانهم استحقوه او وبايمانهم يقال لهم اي تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ اي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اي دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث وفي الجنات ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لا يقادر قدره حتى كانه لا فوز غيره ولا اعتداد بما سواه والاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة هذا اذا كان قوله ذلك هو الفوز العظيم قول الله تعالى لا من جملة مقول الملائكة والا فالاشارة حينئذ الى الجنة بتاويل ما ذكر او لكونها فوزا ذكره الكرخي يَوْمَ اي اذكر يوم يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا واللام للتبليغ كنظائرها انْظُرُونَا اي انتظرونا يقولون ذلك لما رأوا المؤمنين يسرع بهم الى الجنة قرأ الجمهور انظرونا امرا بوصل الهمزة وضم الظاء مشتق من النظر بمعنى الانتظار وقرئ من الانظار بقطع الهمزة اي امهلونا واخرونا يقال انظرته واستنظرته اي امهلته واستمهلته قال الفراء تقول العرب انظرني اي انتظرني وقيل معناه انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئوا بنورهم وهذا اليق بقوله نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ اي نستضيء منه الا ان الشيخ ابا حيان قال ان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه الا في الشعر وانما يتعدى بالى والقبس الشعلة من النار والسراج فلما قالوا ذلك قيل لهم قال لهم المؤمنون او الملائكة الموكلون بهم زجرا وتهكما بهم ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ اي الى الموضع الذي اخذنا منه النور فَالْتَمِسُوا اي اطلبوا هناك نُورًا لانفسكم فانه من هناك يقتبس وقيل المعنى ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا النور بما التمسناه به من الايمان والاعمال الصالحة وقيل اراد وا بالنور ما وراءهم من الظلمة تهكما بهم وعن ابن عباس قال بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلهم من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا الى النور تبعوهم فاطلع الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك النور اخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدعو الناس يوم القيامة بامهاتهم ستر امنه على عباده واما عند الصراط فان الله يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق

نورانا واستووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك احد احدا وفي الباب احاديث واثار فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ معطوف على ما قبله متفرع عليه فان المؤمنين والملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بانوار معارفهم واعمالهم بقي المنافقون في ظلمة نفاقهم فصار وابذلك كانه ضرب بينهم وبين النور الذي يؤديهم الى الجنة سور فعلى هذا يكون قوله فضرب الخ من قبيل الاستعارة التمثيلية والسور هو الحاجز بين الشيئين والمراد به هنا الحاجز بين الجنة والنار او بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الحائط بينهما وقيل هو الاعراف قال الكسائي الباء في بسور زائدة ثم وصف سبحانه السور المذكور فقال لَهُ اي لذلك السور بَابٌ بَاطِنُهُ اي باطن ذلك السور وهو الجانب الذي يلي اهل الجنة فِيهِ الرَّحْمَةُ وهي الجنة او النور وَظَاهِرُهُ وهو الجانب الذي يلي اهل النار وظاهرهم مِنْ قِبَلِهِ اي من قبل ذلك الظاهر ومن عنده ومن جهته الْعَذَابُ اي الظلمة او نار جهنم وقيل ان المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة والمنافقون يحصلون في العذاب وبينهم السور وقيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين عن عبادة بن الصامت انه كان على سور بيت المقدس فبكى فقيل ما يبكيك فقال ههنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جهنم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان السور الذي ذكره الله في القرآن فضرب بينهم بسور هو الذي ببيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني وادي جهنم وما يليه ولا يخفاك ان تفسير السور المذكور في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الاشكال ما لا يدفعه مقال ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فان هذا غير ما سيقت له الآية وغير ما دلت عليه واين يقع بيت المقدس او سوره بالنسبة الى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين واي معنى لذكر مسجد بيت المقدس ههنا فان كان المراد ان الله سبحانه ينزع سور بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سورا مضروبا بين المؤمنين والمنافقين فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد وان كان المراد ان الله يسوق فريقي المؤمنين والمنافقين الى بيت المقدس فيجعل المؤمنين داخل السور في المسجد ويجعل المنافقين خارجه فهم اذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليس ببيت المقدس فان كان مثل هذا التفسير ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبلناه وامنا به والا فلا كرامة ولا قبول ولعله اخذ ذلك من الاسرائيليات فقد قال شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب وكعب وكذا وهب كثير الرواية عن بني اسرائيل وليس عند اهل السنة الى قوله سبيل ولما ضرب بالسور بين المؤمنين والمنافقين اخبر الله سبحانه عما قاله المنافقون اذ ذاك فقال يُنَادُونَهُمْ اي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة والجملة حالية من الضمير في بينهم او استيناف وهو الظاهر أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ اي موافقين لكم في الظاهر نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونعمل باعمال الاسلام مثلكم ثم اخبر الله سبحانه عما اجابهم به المؤمنون فقال قَالُوا بَلَى اي كنتم معنا في الظاهر وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بالنفاق وابطان الكفر قال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات واللذات قاله ابن عباس وقيل استعملتموها في الفتنة وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وَتَرَبَّصْتُمْ بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن معه من المؤمنين حوادث الدهر والدوائر وقيل تربصتم بالتوبة قاله ابن عباس والاول اولى وَارْتَبْتُمْ اي شككتم في امر الدين ولم تصدقوا ما نزل من القرآن في التوحيد ولا بالمعجزات الظاهرة وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ الباطلة التي من جملتها ما كنتم فيه من التربص وقيل هي طول الامل والطمع في امتداد الاعمار وقيل ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين وقال قتادة الاماني هنا غرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل هو طمعهم في المغفرة وكل هذه الاشياء تدخل في مسمى الاماني حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وهو الموت قاله ابن عباس وقيل نصره سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هو القاؤهم في النار وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ بفتح الغين وهو صفة على فعول والمراد به الشيطان قاله ابن عباس اي خدعكم بحكم الله وامهاله الشيطان وقرئ بضمها وهو مصدر وقيل غركم بان الله عفو كريم لا يعذبكم وما اذا عسى ان تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم وغفور رحيم فلا يزال بالانسان حتى يوقعه او يأنه لا بعث ولا حساب قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ أيها المنافقون فِدْيَةٌ تفدون بها انفسكم من النار وقيل عوض وبدل وقيل ايمان وتوبة والاول اولى وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله ظاهرا وباطنا وانما عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره

فصار غير المنافق بهذا الاعتبار فحسن عطفه على المنافق مأواكم اي منزلكم الذي تاوون اليه
النار هي مولاكم اي هي اولى بكم والمولى في الاصل من يتولى مصالح الانسان ثم استعمل فيمن يلازمه
وقيل مولاكم مكانكم عن قرب من الولاء وهو القرب او المعنى ذات ولايتكم وهذا على ان المولى مصدر
قيل ان الله يركب في النار الحياة والعقل في تتميز غيظا على الكفار وقيل المعنى هي ناصركم على طريقة
قول الشاعر ع تحية بينهم ضرب وجيع + والمعنى لا ناصر لكم الا النار كما ان معنى البيت لا تحية
لهم الا الضرب على انهم والمراد نفي التناصر ونفي التحية وبئس المصير الذي تصيرون اليه النار الم
يأن للذين امنوا يقال ان لك يأني اذا حان اي جاء اناه اي وقته قرأ الجمهور الم يأن وقرئ الم ياأن
ان تخشع قلوبهم لذكر الله اي الم يحضر خشوع قلوبهم ومجيء وقته هذه الاية نزلت في المؤمنين
قال الحسن ليست بطائهم وهم احب خلقه اليه وقيل ان الخطاب لمن أمن بموسى وعيسى عليهما الصلوة
والسلام دون محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج نزلت في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والخشوع
فاما من وصفهم الله بالرقة والخشوع فطبقة فوق هؤلاء وقال السدي وغيره المعنى الم يأن
للذين امنوا في الظاهر واسروا الكفر ان تخشع وتلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم لذكر
الله وسيأتي ما يقوي قول من قال انها نزلت في المسلمين والخشوع لين القلب ورقته والمعنى انه ينبغي
ان يورثهم الذكر خشوعا ورقة ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال استبطأ الله قلوب المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن فانزل الله الم يأن
الاية اخرجه ابن مردويه واخرج ايضا عن عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر
من اصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب برداءه محمرا وجهه فقال اضحكون ولم ياتكم اما ان من ربكم
بانه قد غفر لكم ولقد انزل علي في ضحككم اية الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قالوا
يا رسول الله فما كفارة ذلك قال تبكون بقدر ما ضحكتم واخرج مسلم والنسائي وابن ماجة وابن
المنذر وغيرهم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يأن الخ
الا اربع سنين وعنه قال لما نزلت هذه الاية اقبل بعضنا على بعض اي شيء احدثنا اي شيء صنعنا
وعن ابن عباس قال ان الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على راس عشرة سنة من نزول القرآن
الم يأن الاية وعن عبد العزيز بن ابي رواد ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت

هذه الآية المراد بالحق المراد به القرآن فيحمل الذكر المعطوف عليه على ما عداه مما فيه ذكر الله سبحانه باللسان او خطور بالقلب وقيل المراد بالذكر هو القرآن فيكون هذا العطف من باب عطف التفسير او باعتبار تغاير المفهومين قرأ الجمهور نزل مشددا مبنيا للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وقرئ مخففا مبنيا للفاعل وقرئ انزل مبنيا للفاعل وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ قرأ الجمهور بالتحتية على الغيبة جريا على ما تقدم وقرئ على الخطاب التفاتا والمعنى النهي لهم ان يسلكوا سبيل اليهود والنصارى الذين اوتوا التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ اي طال عليهم الزمان بينهم وبين انبيائهم قرأ الجمهور الامد بتخفيف الدال وقرئ بتشديدها اي الزمن الطويل وقيل المراد به على الاول الاجل والغاية يقال امد فلان كذا اي غايته فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ بذلك السبب فلذلك حرفوا وبدلوا فنهى الله سبحانه امة محمد صلى الله عليه وسلم ان يكونوا امثالهم وعن ابي بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ اي خارجون عن طاعة الله لانهم تركوا العمل بما انزل اليهم وحرفوا وبدلوا ولم يؤمنوا بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقيل هم الذين ابتدعوا الرهبانية وهم اصحاب الصوامع اعْلَمُوا خطاب للمؤمنين المذكورين وهم الصحابة الذين اكثروا المزاح فيكون في الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب اَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وهذا تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة وهذه استعارة تمثيلية وللعنى من قدر على ذلك فهو قادر على ان يبعث الاجسام بعد موتها ويلين القلوب بعد قسوتها وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ التي من جملتها هذه الآيات لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اي كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ وتعملوا بموجب ذلك او لكي تكمل عقولكم اِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ قرأ الجمهور بتشديد الصاد في الموضعين من الصدقة والاصل المتصدقين والمتصدقات وقرئ على الاصل وقرئ بتخفيف الصاد في الموضعين من التصديق اي صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا معطوف على اسم الفاعل في المصدقين والمصدقات لانه لما وقع صلة للالف واللام الموصولة حل محل الفعل فكانه قال ان الذين تصدقوا

واقرضوا كذا قال ابو علي الفارسي وغيره وقيل صلة للموصول محذوف اي والذين اقرضوا وقيل جملة معترضة بين اسم ان وخبرها والقرض الحسن عبارة عن التصدق والانفاق في سبيل الله مع خلوص نية وصحة قصد واحتساب اجر يضاعف لهم قرا الجمهور بفتح العين على البناء للمفعول والقائم مقام الفاعل اما الجار والمجرور او ضمير يرجع الى المصدقين على حذف مضاف اي ثوابهم وقرئ يضاعفه بكسر العين وزيادة الهاء وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها والمضاعفة هنا ان الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف ولهم اجر كريم وهو الجنة والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق قال المقاتلان هم الذين لم يشكوا في الرسل حين اخبرهم ولم يكذبوهم وقال مجاهد هذه الآية للشهداء خاصة وهم الانبياء الذين يشهدون للامم وعليهم واختار هذا الفراء والزجاج وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله وكذا قال ابن جرير وقيل هم امم الرسل يشهدون يوم القيامة لانبيائهم بالتبليغ والظاهر ان معنى الآية ان الذين امنوا بالله ورسله جميعا بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الدرجة عند الله وقيل ان الصديقين هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا بالله وصدقوا جميع رسله والقائمون لله سبحانه بالتوحيد اخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مؤمنوا امتي شهداء ثم تلى هذه الآية وقال ابن مسعود كل مؤمن صديق وشهيد وعنه قال ان الرجل ليموت على فراشه وهو شهيد ثم تلى هذه الآية وعن ابي هريرة نحوه وقال ابن عباس في الآية هذه مفصولة والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم واخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الصلوات الخمس واديت الزكوة وصمت رمضان وقمته فمن انا قال من الصديقين والشهداء ثم بين سبحانه مالهم من الخير بسبب اتصافهم به من الايمان بالله ورسله فقال لهم اجرهم ونورهم الضمير الاول راجع الى الموصول والضميران الآخران راجعان الى الصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم واما على قول من قال ان الذين آمنوا بالله ورسله هم نفس الصديقين والشهداء فالضمائر الثلثة كلها راجعة الى شيء واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعود لهم ثم لما ذكر حال المؤمنين وثوابهم ذكر حال الكافرين وعقابهم فقال

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اي جمعوا بين الكفر والتكذيب أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ يعذبون بها
ولا اجرلهم ولا نور بل عذاب مقيم وظلمة دائمة ولما ذكر سبحانه حال الفريق الثاني وما وقع منهم
من الكفر والتكذيب بسبب ميلهم الى الدنيا وتاثيرها بين لهم حقارتها وانها احقر من
ان تؤثر على الدار الاخرة فقال اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ كلعب الصبيان وَلَهْوٌ كلهو
الفتيان واللعب هو الباطل واللهو كل شئ يتلهى به ثم يذهب قال قتادة لعب لهو اكل وشرب قال
مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة وشغل عنها وقيل اللعب
الافتناء واللهو النساء وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الانعام وَزِينَةٌ كزينة النسوان والزينة
التزين بمتاع الدنيا من اللباس والحلي ونحوهما من دون عمل للاخرة وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ كتفاخر
الاقران قرأ الجمهور بتنوين تفاخر وقرئ بالاضافة اي يفتخر به بعضكم على بعض وقيل يتفاخرون
بالحلقة والقوة وقيل بالانساب والاحساب كما كانت عليه العرب وَتَكَاثُرٌ كتكاثر الدهقان والتكاثر
ادعاء الاستكثار فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ اي يتكاثرون باموالهم واولادهم ويتطاولون بذلك على
الفقراء والمعنى ان التشاغل وشغل البال بالحياة الدنيا دائر بين هذه الامور الخمسة قال القشيري
وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الاخرة فكل ما يشغله عن الاخرة فهو الدنيا
واما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الاخرة وقال علي كرم الله وجهه لعمار بن ياسر لا تحزن
على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح
فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء وهو يستوي فيه جميع الحيوان
وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل مشمومها المسك وهو دم فارة وافضل المركوب
الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النساء وهن مبال في مبال ثم بين سبحانه لهذه
الحياة شبها وضرب لها مثلا فقال كَمَثَلِ غَيْثٍ اي مطر أَعْجَبَ الْكُفَّارَ اي الزراع لانهم يكفرون البذر
اي يغطونه بالتراب كما يستر الكافر حقيقة انوار الايمان بما يحصل منه من الحجر والطغيان بَنَاتُهُ
الحاصل به ثُمَّ يَهِيجُ اي يجف بعد نضارته وخضرته قاله ابو السعود وقيل ييبس وفيه تسامح
فان حقيقته ان يتحرك الى اقصى ما يتاتى له فالمعنى يطول جدا فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا اي متغيرا عما كان
عليه من الخضرة والرونق الى لون الصفرة والذبول وقرئ مصفارا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا اي متفتتا

هشيما متكسرا متحطما بعد ما بسبه شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات
انبته الغيث فاستوى وقوي واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات
فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة
وصاحب الجنتين وقد تقدم تفسير هذا المثل في سورة يونس والكهف وقيل المعنى ان الحياة
الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته وكثرة نضارته ثم لا يلبث ان يصير هشيما تبنا كان لم يكن
ثم لما ذكر سبحانه حقارة الدنيا وسرعة زوالها ذكر ما اعده للعصاة في الدار الآخرة وما اعده لاهل الطاعة
فقال وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ اخبر بان في الآخرة عذابا شديدا
ومغفرة منه ورضوانا وهذا معنى حسن وهو انه قابل العذاب بشيئين بالمغفرة والرضوان
فهو من باب لن يغلب عسر يسرين والتنكير فيهما للتعظيم قال قتادة عذاب شديد لاعداء الله و
مغفرة من الله ورضوان لاوليائه واهل طاعته قال الفراء التقدير في الآية اما عذاب شديد
و مغفرة فلا يوقف على شديد ثم ذكر سبحانه بعد الترهيب والترغيب حقارة الدنيا فقال وَمَا
الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لمن اغتر بها وركن اليها واعتمد عليها وعمل لها ولم يعمل للآخرة
اي هي في نفسها غرور لا حقيقة له وهذا يقتضي ان الاضافة بيانية والمعنى وما التمتع بالدنيا
الا متاع اي تمتع هو الغرور اي الاغترار قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب
الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ الى ما هو خير منه وهذه الجملة مقررة للمثل المتقدم
ومؤكدة له قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها
والمقيل في غيرها ثم ندب عباده الى المسابقة الى ما يوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح فان
ذلك سبب الى الجنة فقال سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ اي سارعوا مسارعة السابقين بالاعمال
الصالحة التي توجب لكم المغفرة من ربكم وتوبوا مما وقع منكم من المعاصي وقيل المراد بالآية التكبيرة
الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل المراد الصف الاول ولا وجه لتخصيص ما في الآية بمثل هذا بل هو من
جملة ما تصدق عليه صدقا شموليا او بدليا وحاصل المعنى لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما
انتم عليه من امور الدنيا بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الآخرة وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اي كعرضهما واذا كان هذا قدر عرضها فما ظنك بطولها قال الحسن

يعني جميع السموات السبع والارضين السبع مبسوطات كل واحدة الى صاحبتها وقيل المراد بالجنة
التي عرضها هذا العرض هي جنة كل واحد من اهل الجنة وقال ابن كيسان عنى به جنة واحدة
من الجنات والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله
وقيل المراد بالعرض السعة لا ضد الطول كما في قوله تعالى فذو دعاء عريض وقيل ان هذا تمثيل
للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم والمكارم هم والاول اولى وقد مضى تفسير هذا في سورة آل عمران
ثم وصف سبحانه تلك الجنة بصفة اخرى فقال أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ هذه الجملة مستأنفة
وفي هذا دليل على انها مخلوقة وعلى ان استحقاق الجنة يكون بمجرد الايمان بالله ورسله ولكن هذا
مقيد بالادلة الدالة على انه لا يستحقها الا من عمل بما فرض الله عليه واجتنب ما نهاه الله عنه
وهي ادلة كثيرة في الكتاب والسنة ذَٰلِكَ اي ما وعد به سبحانه من المغفرة والجنة فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ اي يعطيه مَن يَشَاءُ اعطاءه اياه تفضلا واحسانا وفيه دليل على انه لا يدخل احد الجنة
الا بفضل الله لا بعمله وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فهو يتفضل على من يشاء بما يشاء ولا مانع لما اعطى
ولا معطي لما منع والخير كله بيده وهو الكريم المطلق والجواد الذي لا يبخل فلا يبعد منه التفضل بذلك
وان عظم قدره ثم بين سبحانه انه ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره
واثبت في ام الكتاب فقال مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ من زلزلة وقحط ومطر وجدب و
ضعف نبات وقلته ونقص ثمار وعاهة زرع والمصيبة غلبت في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث
من خير وشر وعلى الاول انما خصت بالذكر دون الخير لانها اهم على البشر وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ قال قتادة بالاوصاب
والاسقام وقال مقاتل اقامة الحدود وقال ابن جريج ضيق المعاش وقيل الموت والاولاد واللفظ اوسع من ذلك
إِلَّا فِي كِتَابٍ اي الا حال كونها مكتوبة في كتاب وهو اللوح المحفوظ مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا اي نخلقها
والضمير عائد الى المصيبة او الى النفس او الى الارض او الى جميع ذلك قاله المهدوي وهو حسن قال ابن عباس
في الآية هو شيء قد فرغ منه قبل ان تبرأ الانفس إِنَّ ذَٰلِكَ اي ان اثباتها في الكتاب على كثرتها عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ غير عسير لِّكَيْلَا تَأْسَوْا اي اخبرناكم بانا قد فرغنا من التقدير لكيلا تحزنوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها وَلَا تَفْرَحُوا اي لا تبطروا بطر الاختيال الفخري بِمَا آتَاكُمْ منها
اي اعطاكم قرأ الجمهور بالمد وقرئ بالقصر اي جاءكم فان ذلك يزول عن قريب لا يستحق ان يفرح بحصوله

ولا الحزن على فوته قيل والفرح والحزن المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما الى ما لا يجوز والا فليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن ينبغي ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يلزم من الحزن الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الاشر المطغي الملهي عن الشكر كما قال ابن عباس ليس احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن من اصابته مصيبة جعلها صبرا ومن اصابه خير جعله شكرا وعنه قال يريد مصائب المعاش ولا يريد مصائب الدين امرهم ان ياسوا على السيئة ويفرحوا بالحسنة قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه يا ابن آدم مالك تاسف على مفقود لا يرد اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يترك في يديك الموت وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ اي لا يحب من اتصف بهاتين الصفتين وهما الاختيال والافتخار قيل هو ذم للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر وقيل ان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى الناس بعين الاستحقار والاولى تفسيرهما بين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم اللغوي فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبه الله الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَاْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ قرأ الجمهور بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتحتين وهي لغة الانصار وقرئ بفتح الياء واسكان الخاء وضمهما كلها لغات وهو كلام مستانف لا تعلق له بما قبله والخبر مقدر اي الذين يبخلون بما يجب عليهم من المال لزكوة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره واذاعة اوصاف النبي صلعم فالله غني عنهم وقيل الموصول في محل جر بدل من مختال وهو بعيد فان هذا البخل بما في اليد وامر الناس بالبخل ليس هو معنى المختال الفخور لا لغة ولا شرعا وقيل نعت له وهو ايضا بعيد ويدل على الاول قوله وَمَنْ يَّتَوَلَّ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ اي ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه محمود عند خلقه لا يضره ذلك قرأ الجمهور باثبات ضمير الفصل وقرئ بحذفه قال سعيد بن جبير الذين يبخلون بالعلم ويامرون الناس بالبخل لئلا يعلموا الناس شيئا وقال زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله وقيل انه البخل بالصدقة وقال طاؤس انه البخل بما في يديه وقيل اراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب مآكلهم قاله السدي والكلبي لَقَدْ لام قسم اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا اي الملائكة قاله الزمخشري والمحلي وفيه بعد وجمهور المفسرين على حمل الرسل على البشر بِالْبَيِّنٰتِ اي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة وَاَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتٰبَ المراد الجنس فيدخل فيه كتاب كل رسول

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ قال قتادة ومقاتل بن حيان الميزان العدل والمعنى امرناهم بالعدل كما في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل به والمعنى ليبتغوا ما امروا به من العدل فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة والقسط العدل وهو يدل على ان المراد بالميزان العدل ومعنى انزاله انزال اسبابه وموجباته وعلى القول بان المراد به الآلة التي يوزن بها فيكون انزاله بمعنى ارشاد الناس اليه والهامهم الوزن به ويكون الكلام من باب علفتها تبنا وماء باردا وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ اي خلقناه كما في قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وهذا قول الحسن والمعنى انه خلقه واخرجه من المعادن وعلم الناس صنعته وقيل انه نزل مع ادم فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ لانه تتخذ منه آلات الحرب قال الزجاج يمتنع به ويحارب وفي المعنى انه تتخذ منه آلة المضرب والة المضرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح وقوة وشدة وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ اي انهم ينتفعون به في كثير مما يحتاجون اليه مثل السكين والفاس والابرة والآلات الزراعة والتجارة والعمارة قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد آلتها اي له دخل في آلتها وهذا الحصر كلي كما هو مشاهد وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ معطوف على قوله ليقوم اي لقد ارسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم علم مشاهدة او معطوف على علة مقدرة كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله والاول اولى والمعنى ان الله امر في الكتاب الذي انزل بنصرة دينه ورسله فمن نصر دينه ورسله علمه ناصرا ومن عصى علمه بخلاف ذلك ومعنى بِالْغَيْبِ غائبا عنهم او غائبين عنه إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ اي قادر على كل شيء غالب لكل شيء وليس له حاجة في ان ينصره احد من عباده وينصر رسله بل كلفهم بذلك ليتنفعوا به اذا امتثلوا ويحصل لهم ما وعد به عباده المطيعين قال ابو نصر العتبي وقد كان يختلج في صدري معنى هذه الآية لجمعها بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها في المناسبة وبعدها قبل الرويّة والاستنباط وسألت عدة من اعيان العلماء المذكورين بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم احصل منهم على جواب حتى اعملت التفكر وامعنت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض فيرخص مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل في قسام الارزاق المخرجة لهم بين الخلق بميسم

ع ٣

وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب
واحتاجوا في استدامة حياتهم باقواتهم مع الصفة المندوب اليها الى استعمال آلة للعدل يقع بها
المتعامل ويعم معها التساوي والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه و
يعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيهلكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم العيش مع سوء ظلم البعض منهم على
البعض ويدل على هذا المعنى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب
والنبات فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى ان يكون اقتسامه بينهم
على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على موقع الفائدة
والعائدة فيها بتكرير ذكره فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع
للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للعامل بالسوية انما يحفظ على اتباعهما ويضطر العالم الى التزام احكامهما
بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند ونزع من صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته
وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى بالباس الشديد
فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع فظهر
بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه
وكان له في بعضه اقتسامي للمقصود منه ولما ذكر ارسال الرسل اجمالا اشار هنا الى نوع تفصيل فذكر رسالة
نوح وابراهيم فقال وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ كرر القسم للتوكيد ولاظهار مزيد الاعتناء بالامر
ونوح هو الاب الثاني لجميع البشر وابراهيم ابو العرب والروم وبني اسرائيل وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا اي نوح
وابراهيم النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ اي الكتب الاربعة المنزلة على الانبياء منهم وقيل جعل بعضهم انبياء وبعضهم
يتلون الكتاب وقيل الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابة وكتابا فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ اي فمن الذرية من اهتدى
بهدي نوح وابراهيم وقيل المعنى فمن المرسل اليهم من قوم الانبياء مهتد بما جاء به الانبياء من الهدى
والاول اولى لتقدم ذكرهم لفظا واما الثاني فلدلالة ارسلنا والمرسلين عليه وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ
اي خارجون عن الطاعة وقيل المراد بالفاسق هنا الذي لم ترتكب الكبيرة سواء كان كافرا او لم يكن لاطلاق
هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره وقيل المراد به هنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين ثُمَّ قَفَّيْنَا

على آثارهم اي اتبعنا على اثار الذرية او على اثار نوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما
من الرسل بِرُسُلِنَا الذين ارسلناهم الى الامم كموسى والياس وداؤد وسليمان وغيرهم وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن مريم وهو من ذرية ابراهيم
من جهة امه وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وهو الكتاب الذي انزله الله عليه وقد تقدم ذكر اشتقاقه في سورة
ال عمران قرأ الجمهور الانجيل بكسر الهمزة وقرئ بفتحها وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلى دينه وهم الحواريون
واتباعهم رَأْفَةً اي مودة فكان يود بعضهم بعضا وَرَحْمَةً يترحمون بها وقيل هذا اشارة الى انهم
امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس فاكان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم
وحرفوا الكلام عن مواضعه واصل الرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرافة اشد الرحمة وَرَهْبَانِيَّةً
نِ ابْتَدَعُوهَا اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها فالنصب على الاشتغال وليس بمعطوفة على ما قبلها وقيل
معطوفة على ما قبلها اي جعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عند انفسهم والاول
اولى ورجحه ابو علي الفارسي والزمخشري وابو البقاء وجماعة اذ ان هؤلاء يقولون انه اعراب المعتزلة
وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرافة والرحمة لما كانتا من فعل الله نسب
خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها
اليه والرهبانية بفتح الراء وضمها وقد قرئ بهما وهي بالفتح الخوف من الرهب وبالضم منسوبة الى الرهبان و
ذلك لانهم غلوا في العبادة وحملوا على انفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح و
الملبس وتعلقوا بالكهوف والصوامع والغيران والديرة كان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي منهم نفر قليل
فترهبوا وابتدعوا ذكر معناه الضحاك وقتادة وغيرهما وانما خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة
في القلب امر غريزي لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من افعال البدن وللانسان
فيها تكسب ما كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ صفة ثانية لرهبانية او مستأنفة مقررة لكونها مبتدعة من جهة
انفسهم والمعنى ما فرضناها عليهم إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ الا استثناء منقطع اي ما كتبناها نحن
عليهم رأسا ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله والى هذا ذهب قتادة وجماعة وقيل متصل
اي ما كتبناها عليهم لشيء من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى وهذا قول
مجاهد وقال الزجاج معناه لم نكتب عليهم شيئا البتة قال ويكون الا بمعنى لكن اي لكن ابتغاء رضوان الله بلا من الجزاء

والالف في كتبناها والمعنى ما كتبنا عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي لم يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة انفسهم وما قاموا بها حق القيام بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى وضموا اليها التثليث ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدلوا وتركوا الترهب ثم مر على دين عيسى الا قليل منهم وهم المرادون بقوله فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم الذي يستحقونه بالايمان وذلك لانهم امنوا بعيسى وثبتوا على دينه حتى امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن الايمان بما امروا ان يؤمنوا به ووجه الذم لهم على تقدير ان الاستثناء منقطع انهم قد كانوا التزموا لانفسهم الرهبانية معتقدين انها طاعة وان الله يرضاها فكان تركها وعدم رعايتها حق الرعاية يدل على عدم مبالاتهم بما يعتقدونه دينا واما على القول بان الاستثناء متصل وان التقدير ما كتبنا عليهم لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله بعد ان وفقناهم لابتداعها فوجه الذم ظاهر عن ابن مسعود في الآية قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله قلت لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال هل تدري اي عرى الاسلام اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال افضل الناس افضلهم عملا اذا فقهوا في دينهم يا عبد الله هل تدري اي الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال فان اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا بالعمل وان كان يزحف على استه وختلف من كان قبلنا على ثنتين وسبعين فرقة نجى منها ثلث وهلك سائرها فرقة وازرت الملوك وقاتلتهم على دين الله وعيسى بن مريم وفرقة لم تكن لهم طاقة على موازرة الملوك فاقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم الى دين الله ودين عيسى فقتلهم الملوك ونشرهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله ورهبانية ابتدعوها الى قوله فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم الذين آمنوا بي وصدقوني وكثير منهم فاسقون هم الذين حدثوني وكفروا بي اخرجه عبد بن حميد وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وغيرهم وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى بدلت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيئا اشد من شتم يشتمناه هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون مع ما يعيبوننا به من اعمالنا في قراءتهم فادعوهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا

كما امنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل او ليتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منهما
فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا
شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونعبد ونأكل مما تأكل
الوحوش ونشرب مما تشرب فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي
ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا تمرون بكم وليس احد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا
ذلك فانزل الله رهبانية ابتدعوها الآية وقال الآخرون ممن تعبد من اهل الشرك وفي من في منهم
فالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم
بايمان الذين اقتدوا بهم فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل اتخط صاحب الصومعة
من صومعته وجاء السياح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله يا
ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية اخرجه النسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله اخرجه
احمد وابو يعلى والبيهقي في الشعب ثم امر الله سبحانه المؤمنين بالرسل المتقدمين بالتقوى والايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله بترك ما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم
يؤتكم كفلين من رحمته اي نصيبين ضعفين بسبب ايمانكم برسوله بعد ايمانكم بمن قبله من الرسل
قال ابن عباس اي اجرين بايمانهم بعيسى عليه السلام ونصب انفسهم والتوراة والانجيل وبايمانهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا بركة الاسلام
وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم واصل الكفل الحظ والنصيب وقد تقدم
الكلام على تفسيره في سورة النساء قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه كفلين ضعفين وهي بلسان الحبشة
وقال ابن عمر الكفل ثلثمائة جزء وخمسون جزء من رحمة الله وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي ادى حق
مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطأها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها
ثم اعتقها فتزوجها فله اجران اخرجه الشيخان ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط كما
قال نورهم يسعى بين ايديهم وقيل النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل لكم سبيلا

واصحابي الذين تعتدون به ويغفر لكم ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم اي بليغ المغفرة والرحمة لئلا يعلم اهل الكتاب اي التوراة واللام متعلقة بما تقدم من الامر بالايمان والتقوى اي اتقوا وامنوا يؤتكم كذا كذا كي يعلم الذين لم يتقوا ولا امنوا من اهل الكتاب والا في لئلا زائدة قاله الفراء والاخفش وغيرهما ان لا يقدرون على شيء اي ليعلم اهل الكتاب اصرارهم لا يقدرون على ان ينالوا شيئا من فضل الله الذي تفضل به على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يقدرون على دفع ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به وقيل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم ولا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه والاول اولى وجملة ان الفضل بيد الله معطوفة على الجملة التي قبلها اي ليعلموا انهم لا يقدرون وليعلموا ان الفضل الخ يؤتيه من يشاء من عباده والظاهر انه مستانف وقيل هو خبر ثان عن الفضل والله ذو الفضل العظيم جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمراد بالفضل هنا ما تفضل به على الذين اتقوا وامنوا برسوله من الاجر المضاعف وقال الكلبي هو رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى وقيل هو الاسلام ع

سورة المجادلة اثنتان وعشرون اية وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع الا رواية عن عطاء ان العشر الاول منها مدني وبأتيها مكي وقال الكلبي نزلت جميعها بالمدينة غير قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والمجادلة بكسر الدال كما ذكره السعد في حواشي الكشاف وفي الشهاب بفتح الدال وكسرها والثاني هو المعروف كما في الكشف وهذه السورة اول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور وهي الثامنة والخمسون منها وهي اول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد اجزائه وليس فيها اية الا وفيها ذكر الجلالة مرة او مرتين او ثلثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها

اي تراجعك الكلام في شانه اي اجاب قولها ومطلوبها بان انزل حكمه الظاهر على ما يوافق مطلوبها
وعلى هذا فقد للتحقيق ومن قال انها للتقريب والتوقع فليس بلائق بالمعنى وقد سمع باظهار الدال وادغامها
في السين قراءتان سبعيتان وتشتكي الى الله اي تظهر ما بها من المكروه والفاقة والوحدة والمجادلة
هذه الكائنة منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان كلما قال لها قد حرمت عليه قالت والله ما
ذكر طلاقا ثم تقول اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا
جعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فهذا معنى قوله وتشتكي الى الله قال الواحدي
قال المفسرون نزلت هذه الاية في خولة بنت ثعلبة وزوجها اوس بن الصامت وكان به لمم فاشتد به
لممه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك وكان الظهار طلاقا في الجاهلية وقيل هي خولة بنت
حكيم وقيل اسمها جميلة والاول اصح وقيل هي بنت خويلد قال الماوردي انها نسبت تارة الى ابيها
وتارة الى جدها واحدهما ابوها والآخر جدها فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد وروي ان عمر بن الخطاب مر بها
في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته ووعظته فقيل له انقف لهذه العجوز
هذا الوقف فقال اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات
ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر والله ليسمعن تحاورهما كما مستأنفة جارية مجرى التعليل لما قبلها
اي والله يعلم تراجعكما في الكلام من حاور اذا راجع او حور اذا رجع او جملة حالية وهو بعيد وقد اخرج
ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن عايشة قالت تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني
لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول
يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك
قالت فما برحت حتى نزلت جبريل بهؤلاء الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وهو اوس بن الصامت
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة
اخرج احمد وابو داود وابن المنذر والطبراني والبيهقي من طريق يوسف بن عبد الله قال حدثني
خولة بنت ثعلبة قالت في والله وفي اوس بن الصامت انزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده
وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال انت علي كظهر امي ثم
خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فاذا هو يريدني عن نفسي قلت كلا والذي نفس خولة

لله ان عدم النفقة لفقرها وعسر النفقة للفقر على الاصول كما اشار اليه القاري ذكره الحصكفي وذو الفقار احمد سلمه الله

لا تصل الي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له
فما برحت حتى نزل القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي يا
خولة قد انزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ علي قد سمع الى قوله عذاب اليم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين
قلت والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قلت والله ما ذاك
عنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا ساعينه بعرق من تمر فقلت وانا يا رسول الله ساعينه بوسق آخر فقال
قد اصبت واحسنت فاذهبي وتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت ففعلت وفي
الباب احاديث ثم بين سبحانه شأن الظهار في نفسه وذكر حكمه بطريق الاستيناف فقال الذين
يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وكسر الهاء وقرأ الجمهور يظهرون بالتشديد مع فتح حرف المضارعة
وقرئ يظّاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وزيادة الف وقد تقدم مثل هذا في سورة الاحزاب
وقرئ يتظاهرون وكلها سبعية ومعنى الظهار شرعا ان يقول لامرأته انت علي كظهر امي والمعنى
او معي او عندي كظهر امي ولا خلاف في كون هذا ظهارا واختلفوا اذا قال انت علي كظهر اختي او
غير ذلك من ذوات المحارم فذهب جماعة منهم ابو حنيفة ومالك الى انه ظهار وبه قال الحسن والنخعي
والزهري والاوزاعي والثوري وقال جماعة منهم قتادة والشعبي انه لا يكون ظهارا بل يختص الظهار بالام
وحلها واختلفت الرواية عن الشافعي فروي عنه كالقول الاول وكالقول الثاني واصل الظهار مشتق
من الظهر وهو لغة العلو وليس هو من ظهر الانسان واختلفوا اذا قال لامرأته انت علي كراس امي او يدها
او رجلها او نحو ذلك هل يكون ظهارا ام لا وهكذا اذا قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر والظاهر انه
اذا قصد بذلك الظهار كان ظهارا وروي عن ابي حنيفة انه اذا شبهها بعضو من امه يحل له
النظر اليه لم يكن ظهارا وروي عن الشافعي انه لا يكون الظهار الا الى الظهر وحده واختلفوا اذا شبه
امرأته بأجنبية فقيل يكون ظهارا وقيل لا والكلام في هذا مبسوط في كتب الفروع منكرا اي حال كونهم منكرا بها العرف هذا توبيخ لهم و
تقبيح لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب ومن ايمان جاهليتهم دون سائر الامم من نسائهم
يعني يحرمون زوجاتهم كتحريم الله عليهم ظهور امهاتهم يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم
اي ما نساؤهم بامهاتهم فانك كذب بحت منهم وانه منكر وزور وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبكيت لهم

قرأ الجمهور امهاتهم بالنصب على اللغة الحجازية في اعمال ما عمل ليس وقرئ بالرفع على عدم الاعمال وهي لغة نجد وبني اسد ثم بين لهم سبحانه امهاتهم على الحقيقة فقال إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ اي ما امهاتهم الا النساء اللاتي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والموضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ازيادة حرمتهن واما الزوجات فبعد شيء من الامومة فلما ذكر سبحانه في توبيخهم وتقريعهم فقال وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا اي وان المظاهرين ليقولون بقولهم هذا قطيعا من القول ينكره الشرع والزور الكذب الباطل المحرف عن الحق وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ اي بليغ العفو والمغفرة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم عن هذا القول المنكر ولما ذكر سبحانه الظهار راجعا الا ووبخ فاعليه شرع في تفصيل احكامه فقال وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ اي والذين يقولون ذلك القول المنكر الزور ويمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي كما في قوله ان تعود والمثلة اي الى مثله قال الاخفش لما قالوا والى ما قالوا يتعاقبان قال والحمد لله الذي هدانا لهذا وقال انا هدوهم الى الصراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح وقال الفراء اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطي وقال الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع من اجل ما قالوا واختلف اهل العلم في تفسير العود الذي ذكر على اقوال الاول انه العزم على الوطي وبه قال العراقيون ابو حنيفة واصحابه وروي عن مالك قيل هو الوطي نفسه وبه قال الحسن وروي ايضا عن مالك وقيل هو ان يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق وبه قال الشافعي وقيل هو الكفارة والمعنى انه لا يستباح منها الا بكفارة وبه قال الليث بن سعد وروي عن ابي حنيفة وقيل هو تكرير الظهار بلفظه وبه قال اهل الظاهر وروي عن بكير بن الاشج وابي العالية والفراء والمعنى ثم يعودون الى القول ما قالوا وقيل المعنى يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب ائمة المجتهدين وقيل معنى العود السكوت عن الطلاق بعد الظهار وقيل العود الندم اي يندمون فيريدون الالفة قال ابن عباس في الآية هو الرجل يقول لامرأته انت علي كظهر امي فاذا قال ذلك فليس يحل له ان يقربها لمكانه ولا غيره حتى يكفر بعتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا والمس النكاح فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وان هو قال لها انت علي كظهر امي ان فعلت كذا فليس يقع في ذلك

اظهار حتى يحنث فان مات فلا يقربها حتى يكفر ولا يقع في الظهار طلاق فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اي فالواجب عليهم اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا والظاهر انها تجزي اي رقبة كانت وقيل يشترط ان تكون مؤمنة كالرقبة في كفارة القتل وبالاول قال ابو حنيفة واصحابه وبالثاني قال مالك والشافعي واشترط ايضا سلامتها من كل عيب ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي ادى شيئا قال الاخفش الآية فيها تقديم وتاخير والمعنى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا اي فعليهم تحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي هو خبر المبتدء وهو فعليهم مِّن قَبْلِ اَن يَّتَمَآسَّا المراد بالتماس هنا الجماع وبه قال الجمهور فلا يجوز المظاهر الوطء حتى يكفر وقيل ان المراد به الاستمتاع بالجماع او اللمس والنظر الى الفرج بشهوة وبه قال مالك وهو قول الشافعي ذٰلِكُمْ اي الحكم المذكور تُوْعَظُوْنَ بِهٖ اي تؤمرون او تزجرون به عن ارتكاب الظهار فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات وفيه بيان لما هو المقصود من شرع الكفارة قال الزجاج معنى الآية ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به اي ان غلظ الكفارة وعظكم حتى تتركوا الظهار لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فهو مجازيكم عليها قال ابن عباس اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني ظاهرت من امراتي فرايت بياض خلخالها في ضوء القمر فوقعت عليها قبل ان اكفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد هلكت يا رسول الله قال امسك عنها حتى تكفر واخرج ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن ابن عباس ان رجلا قال يا رسول الله اني ظاهرت من امراتي فوقعت عليها من قبل ان اكفر فقال وما حملك على ذلك قال رايت خلخالها في ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما امرك الله ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة فقال فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ الرقبة في ملكه ولا تمكن من قيمتها فَصِيَامُ اي فعليه صيام شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ متواليين لا يفطر فيهما فان افطر استانف ان كان الافطار لغير عذر وان كان لعذر من مرض او سفر فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء بن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي والشافعي ومالك انه يبني ولا يستانف وقال ابو حنيفة انه يستانف وهو مروي عن الشافعي ومعنى مِّن قَبْلِ اَن يَّتَمَآسَّا ما تقدم قريبا فلو وطئ ليلا او نهارا عمدا او خطأ استانف

وبه قال ابو حنيفة ومالك وقال الشافعي لا يستانف اذا وطئ ليلا لانه ليس محلا للصوم والاول
اولى فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ صيام شهرين متتابعين فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا اي فعليه ان يطعم
ستين مسكينا لكل مسكين مدان وهما نصف صاع وبه قال ابو حنيفة واصحابه قال الشافعي وغيره
لكل مسكين مد واحد من غالب قوت البلد والظاهر من الآية ان يطعمهم حتى يشبعوا مرة
واحدة او يدفع اليهم ما يشبعهم ولا يلزمه ان يجمعهم مرة واحدة بل يجوز له ان يطعم بعض
الستين في يوم وبعضهم في يوم آخر عن ابي هريرة ثلاث فيه مد كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة
الصيام ذَٰلِكَ اي ما تقدم من البيان وتعليم الاحكام والتنبيه عليها او قع او ضلنا ذلك لِتُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وتعملوا بشرايعه التي شرعها لكم وتصدقوا ان الله امر بها او لتطيعوا الله ورسوله في
الاوامر والنواهي وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدوها ولا تعودوا الى الظهار الذي هو منكر من
القول وزور اخرج احمد وابو داود والترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه وغيرهم
عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت رجلا قد اوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل
رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من ان اصيب منها في ليلي فاتتابع في ذلك
ولا استطيع ان انزع حتى يدركني الصبح فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذا انكشف لي منها شيء فوثبت
عليها فلما اصبحت غدوت على قومي فاخبرتهم خبري فقلت انطلقوا معي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره بامري فقالوا لا والله لا نفعل نخوف ان ينزل فينا القرآن او يقول فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب انت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبري فقال انت بذاك قلت انا بذاك قال انت بذاك قلت انا بذاك قال انت
بذاك قلت انا بذاك وها انا ذا فامض في حكم الله فاني صابر لذلك قال اعتق رقبة فضربت عنق بيدي
فقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت املك غيرها قال فصم شهرين متتابعين فقلت هل اصابني
ما اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه
وحشا ما لنا عشاء قال اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها
وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائرها عليك وعلى عيالك فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم
الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة امرني بصدقتكم فادفعوها

الى فدفعوها اليه وذلك اي الاحكام المذكورة في الظهار والكفارة حدود الله فلا تجاوزوا حدوده التي حدها لكم فانه قد بين لكم ان الظهار معصية وان كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة وللكافرين الذين لا يقفون عند حدود الله ولا يعملون بما حد الله لعباده وسماه كفرا تغليظا وتشديدا للعذاب اليم وهو عذاب جهنم يوم القيامة ولما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين فقال ان الذين يحادون الله ورسوله المحادة المشاقة والمعاداة والمخالفة ومثله قوله ان الذين يشاقون الله ورسوله قال الزجاج المحادة ان تكون في حد غير حد صاحبك فهي كناية عن المعاداة لانه لازمة لها واصلها الممانعة ومنه الحديد ومنه الحداد للبواب والحادوا هل مكة فان هذه الآية وردت في غزوة الاحزاب وهي في السنة الرابعة وقيل في الخامسة والمقصود منها البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان اعداءهم المتحزبين القادمين عليهم كبتوا اي يكبتوا ويذلوا ويتفرق جمعهم وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه وقيل المعنى على الماضي وذلك ما وقع للمشركين يوم بدر فان الله كبتهم بالقتل والاسر والقهر كما كبت الذين من قبلهم اي اذلوا واخزوا يقال كبت الله فلانا اذا اذله والمردود بالذل يقال له مكبوت قال المقاتلان اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم من اهل الشرك وكذا قال قتادة وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال ابن زيد غلبوا وقال السدي لعنوا وقال الفراء غيظوا يوم الخندق والمراد بمن قبلهم كفار الامم الماضية المعادين لرسل الله وقد انزلنا آيات بينات اي والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسله من الامم المتقدمة وقيل المراد الفرائض التي انزلها الله سبحانه وقيل هي المعجزات الدالة على صدق الرسول وللكافرين بكل ما يجب الايمان به فتدخل الآيات المذكورة هنا دخولا اوليا عذاب مهين يهين صاحبه ويذله ويذهب بعزه يوم يبعثهم الله جميعا اي اذكر يوم يبعثهم مجتمعين في حالة واحدة او يبعثهم كلهم لا يبقى منهم احد غير مبعوث فينبئهم اي فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الاعمال القبيحة اما بان يصور اعمالهم تصويرا يخالفها او تكميلا للحجة عليهم او بتصويرها في صورة قبيحة هائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم احصاه الله مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف ينبئهم بذلك مع كثرته واختلاف انواعه فقيل احصاه الله جميعا ولم يفته منه شيء وهم الحال انهم قد نسوه ولم يحفظوه والله على كل شيء شهيد تذييل مقرر لاحصائه تعالى اي لا يخفى عليه

ع

شيء من الاشياء بل هو مطلع وناظر ثم اكد سبحانه بيان كونه عالما بكل شيء فقال ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض اي الم تعلم ان علمه محيط بما فيهما بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما مما يكون من نجوى ثلثة مستانفة لتقرير شمول علمه وسعته واحاطته بكل المعلومات قرأ الجمهور يكون بالتحتية وقرئ بالفوقية وكان على القراءتين تامة ومن مزيدة للتاكيد والنجوى السرار يقال قوم نجوى اي ذو نجوى وهي مصدر والمعنى ما يوجد من تناجي ثلثة او من ذوي نجوى ويجوز ان تطلق النجوى على الاشخاص المتناجين قال الفراء ثلثة نعت للنجوى فان خفضت وان شئت اضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز إلا هو رابعهم اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم كذا في الخازن ابي السعود والجملة التي بعد الا في موضع نصب على الحال يعني ما يوجد شيء من هذه الاشياء الا في حال من هذه الاحوال فالاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة إلا هو سادسهم اي جاعلهم ستة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع على تلك النجوى وتخصيص العددين بالذكر لان اغلب عادات المتناجين ان يكونوا ثلثة او خمسة او كانت الواقعة التي هي سبب النزول في متناجين كانوا ثلثة في موضع وخمسة في موضع او لان العدد الفرد اشرف من الزوج لان الله تعالى وتر يحب الوتر فخصهما بالذكر تنبيها على انه لا بد من رعاية الامور الالهية في جميع الامور قال الفراء والعدد غير مقصود كانه سبحانه مع كل عدد قل او كثر يعلم السر والجهر لا تخفى عليه خافية ولا أدنى من ذلك اي ولا اقل من العدد المذكور كالواحد والاثنين ولا أكثر منه كالستة والسبعة إلا هو معهم اي مصاحب لهم بعلمه يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه شيء منه قرأ الجمهور اكثر بالثاء وبالجر بالفتحة عطفا على لفظ نجوى وقرئ بالباء الموحدة وبالرفع عطفا على محل نجوى قال الواحدي قال المفسرون ان المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك فلما طال ذلك وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله هذه الآيات ايذانا بان ما كانوا يعدونه معاصاة احاطة علمه بكل تناج يكون معهم في اي مكان من الامكنة ولو كانوا تحت الارض فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت بقرب الامكنة وبعدها ثم ينبئهم اي يخبرهم بما عملوا يوم القيامة توبيخا لهم وتبكيتا والزاما للحجة

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه شيء كائنا ما كان ألَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ هؤلاء هم من تقدم ذكرهم من المنافقين واليهود وصيغة المضارع للدلالة على تمكن عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود مواعدة فاذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال ابن زيد كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك ويَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ قرأ الجمهور يتناجون بوزن يتفاعلون لقوله فيما بعد اذا تناجيتم فلا تتناجوا وقرئ ينتجون بوزن يفتعلون وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا ياتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا ومعنى الاثم ما هو اثم في نفسه كالكذب والظلم والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ اي مخالفته وقرئ معصيات بالجمع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل المعنى يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول رسمت معصية هذه والتي بعدها بالتاء المجرورة واذا وقف عليها فابو عمرو وابن كثير والكسائي يقفون بالهاء غير ان الكسائي يقف بالامالة على اصله والباقون يقفون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قال القرطبي ان المراد بها اليهود كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم وفي رواية وعليكم قال ابن عمر في الآية يريدون بذلك شتمه فنزلت هذه الآية اخرج احمد والبخاري والترمذي وصححه عن انس ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال هل تدرون ما قال هذا قالوا الله اعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه عليه فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك قال عليك ما قلت واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عايشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقالت عايشة عليكم السام واللعنة فقال يا عايشة ان الله لا يحب الفحش ولا المتفحش قلت الا تسمعهم يقولون السام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما سمعتني اقول وعليكم فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس قال كان المنافقون يقولون لرسول صلى الله عليه وسلم اذا حيوه سام عليك انت

ويقولون في أنفسهم اي فيما بينهم اذا خرجوا من عنده لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا بذلك ولو كان محمد نبيا لعذبنا بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به وقيل المعنى لو كان نبيا لاستجيب له فينا حيث يقول وعليكم ووقع علينا اللوم عند ذلك حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي المرجع وهو جهنم يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول لما فرغ سبحانه عن نهي اليهود والمنافقين عن النجوى ارشد المؤمنين اذا تناجوا فيما بينهم ان لا يتناجوا بما فيه اثم وعدوان ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون ظاهرا او بزعمهم واختار هذا الزجاج وقيل الخطاب لليهود والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والاول اولى قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية واغزاها التقى المنافقون فانفضوا رؤسهم الى المسلمين ويقولون قتل القوم واذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تناجوا واظهروا الحزن فبلغ ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين فانزل الله هذه الآية واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه واخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي سعيد قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرقه امرا او يأمر بشيء فكان اهل النوب والمحتسبون ليلة حتى اذا كنا انداء تحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى قلنا انا كنا يا رسول الله في ذكر المسيح فرقا منه فقال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل المكان رجل قال ابن كثير هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء ثم بين لهم ما يتناجون به في اندية هم وخلواتهم فقال وتناجوا بالبر والتقوى اي بالطاعة وترك المعصية ثم خوفهم سبحانه فقال واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيجزيكم باعمالكم ثم بين سبحانه ان ما يفعله اليهود والمنافقون من التناجي هو من جهة الشيطان فقال إنما النجوى يعني بالاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم من الشيطان لا من غيره اي من تزيينه وتسويله ليحزن الذين آمنوا اي لاجل ان يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم انها في مكيدة يكادون بها قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من احزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن يقال حزنه واحزنه بمعنى قال في القاموس واحزنه جعله حزينا والقراءة الاولى اشد في المعنى على ما في القاموس وليس بضارهم

شيئا اي وليس الشيطان او التناجي الذي يزينه الشيطان او الحزن بضار المؤمنين شيئا من الضرر
الا باذن الله اي بمشيته وقيل بعلمه وعلى الله فليتوكل المتوكلون اي يكلون امرهم اليه و
يفوضونه في جميع شئونهم ويستعيذون بالله من الشيطان ولا يبالون بما يزينه من النجوى يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا او قرئ تفاسحوا في المجالس قرئ على الجمع لان لكل واحد منهم
مجلسا وقرئ على الافراد قال الواحدي والوجه التوحيد في المجلس لانه يعني به مجلس النبي صلى الله
عليه وسلم والتفسح التوسع يقال فسح له يفسح فسحا اي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح امر الله سبحانه المؤمنين
بحسن الادب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه قال قتادة ومجاهد و
الضحاك كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس والحسن
ويزيد بن ابي حبيب هو مجلس القتال اذا اصطفوا للحرب كانوا يتشاحون على الصف الاول وقال ابو سعيد
بعضهم لبعض رغبة في القتال لتحصيل الشهادة وقال القرطبي الصحيح في الآية انها عامة في كل مجلس
اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او يوم جمعة وان كل واحد احق بمكانه
الذي يسبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذ بذلك فيخرج الضيق عن موضعه ويؤيد هذا ما خرج
ابن عمر عنه مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه
ولكن تفسحوا او توسعوا فافسحوا يفسح الله لكم اي فوسعوا يوسع الله لكم في الجنة او في كل ما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما عن مقاتل بن حيان قال انزلت هذه الآية يوم جمعة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء
ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فرد واعليهم فقاموا
على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك عليه
فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير اهل بدر قم انت يا فلان قم انت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر
الذين هم قيام من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية واذا قيل انشزوا
فانشزوا اقرأ الجمهور بكسر الشين فيهما وقرئ بضمها فيهما وهما لغتان بمعنى واحد وقراءتان سبعيتان
يقال نشز اي ارتفع ينشز وينشز كعكف يعكف ويعكف قال جمهور المفسرين اي انهضوا الى الصلوة

والجهاد وعمل الخير وبه قال ابن عباس وقال عكرمة ومجاهد والضحاك كان رجال يتثاقلون عن الصلوة فقيل لهم اذا نودي للصلوة فانهضوا وقال الحسن انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل انشزوا عن النبي فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة المعنى اجيبوا اذا دعيتم الى اعمال البر والظاهر حمل الآية على العموم والمعنى اذا قيل لكم انهضوا الى امر من الامور الدينية فانهضوا ولا تثاقلوا ولا يمنع من حملها على العموم كون السبب خاصا فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو الحق ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجا اوليا وهكذا يندرج ما فيه السياق وهو التفسير في المجلس اندراجا اوليا وقد قدمنا ان معنى ينشز ينشز ارتفع وهكذا انشز ينشز اذا تنحى عن موضعه ومنه امرأة ناشزة اي متنحية عن زوجها واصله ما خوذ من النشز وهو ما ارتفع من الارض وتنحى ذكر معناه النحاس يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ اي ويرفع العالمين منهم خاصة درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة ومعنى الآية انه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات ويرفع الذين اوتوا العلم على الذين آمنوا درجات فمن جمع بين الايمان والعلم رفعه الله بايمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات وقيل المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك بالذين اوتوا العلم وقيل المراد بالذين اوتوا العلم الذين قرأوا القرآن والاولى حمل الآية على العموم في كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع اهل هذه الملة ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض وقال ابن عباس في الآية يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات وقال ابن مسعود على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات وعنه قال ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية وعنه انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم والاحاديث والاخبار والآيات في فضيلة العلم والعلماء كثيرة جدا وقد ذكرنا طرفا صالحا في كتابنا الحطة في ذكر الصحاح الستة وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لا يخفى عليه شيء من اعمالكم من خير وشر فهو مجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ المناجاة المسارة والمعنى اذا اردتم مسارة

الرسول في امر من امورهم فقدموا بين يدي نجواكم اي مسائلكم له صدقة في هذا الامر تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا والاخرة واختلف في انه للندب او للوجوب قال الحسن نزلت بسببان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم نزلت لسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا من مناجاته وكان ذلك يشق على المؤمنين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل الله الاية الاولى فلم ينتهوا فانزل الله هذه الاية فانتهى اهل الباطل لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بالاية التي بعد هذه وقال ابن عباس ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك ضن كثير من الناس وكفوا عن المسالة فانزل الله بعد هذا اشفقتم الاية فوسع الله عليهم ولم يضيق وعن علي بن ابو طالب قال لما نزلت هذه الاية قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت اشفقتم الاية فبي خفف الله عن هذه الامة والمراد بالشعيرة هنا وزن شعيرة من ذهب وليس المراد الواحدة مرجب الشعير اخرجه الترمذي وحسنه وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وعنه رضي الله تعالى عنه قال ما عمل بها احد غيري حتى نسخت وما كانت الا ساعة يعني اية النجوى وعنه رضي الله تعالى عنه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي اية النجوى كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد فنزلت اشفقتم الاية وعن سعد بن ابي وقاص قال نزلت اية النجوى فقدمت شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد فنزلت الاية الاخرى اشفقتم الاية ذلك اي ما تقدم من تقديم الصدقة بين يدي النجوى خير لكم لما فيه من طاعة الله وتقييد الامر بكون امتثاله خيرا لهم

من عدم الامتثال وأطهر لنفوسهم ويدل على انه امر ندب لا امر وجوب قوله فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يعني من كان منكم لا يجد تلك الصدقة المامور بها بين يدي نجواه فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ اي اخفتم الفقر والعيلة ان تقدموا ذلك والاشفاق الخوف من المكروه والاستفهام للتقرير وقيل المعنى ابخلتم وجمع الصدقات هنا باعتبار المخاطبين قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليلة واحدة وقيل انه لم يعمل الا بها واحدا وقال قتادة ما كان الا ساعة من نهار فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا اما امرتم به من الصدقة بين يدي النجوى وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به ولم يفعل واما من لم يجد فقد تقدم الترخيص له بقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وإذ عاملها في الدلالة على المضي وقيل هي بمعنى اذا وقيل بمعنى ان وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رجع بكم عنها بان رخص لكم في الترك فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ المعنى اذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الامر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاشتغلوا على اقامة الصلوة المفروضة وايتاء الزكوة الواجبة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ لا يخفى عليه من ذلك شئ فهو مجازيكم وليس في الآية ما يدل على تقصير المؤمنين في الامتثال اما الفقراء منهم فالامر واضح واما من عداهم من المؤمنين فانهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل امروا بالصدقة اذا اراد المناجاة فمن لم يرد المناجاة فلا يكون مقصرا في امتثال الامر بالصدقة على ان في الآية ما يدل على ان الامر للندب كما قدمنا وقد استدل بهذه الآية من قال بانه يجوز النسخ قبل امكان الفعل وليس هذا الاستدلال بصحيح فان النسخ لم يقع الا بعد امكان الفعل وايضا قد فعل ذلك البعض فتصدق بين يدي نجواه كما تقدم أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا اي اليهود مَّا هُم مِّنكُمْ ولا منكم يا معشر المؤمنين وَلَا مِنْهُمْ ولا من اليهود وقال السدي ومقاتل هم اليهود تولوا المنافقين ويدل على الاول قوله غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قال المغضوب عليهم هم اليهود ويدل على الثاني قوله مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ فان هذا صفة المنافقين كما قال الله فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء والجملة في محل نصب على الحال او هي مستانفة وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ اي انهم مسلمون او ما قالوا الا خيرا انهم ما نقلوا الاخبار الى اليهود والجملة داخلة في حكم التعجيب من فعلهم وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ بطلان ما حلفوا عليه انه كذب لا حقيقة له

فيمينهم يمين غموس لاعذرلهم فيها اعدّ الله لهم عذابا شديدا بسبب هذا التولي والحلف على الباطل انهم ساء ما كانوا يعملون من الاعمال القبيحة في الزمان الماضي وهي حكاية ما يقال لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم جنة قرأ الجمهور ايمانهم جمع يمين وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بانهم من المسلمين توقيا من القتل فجعلوا هذه الايمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من ان يصاب بسهم اوسيف ونحوهما وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة اي جعلوا تصديقهم جنة من القتل فامنت السنتهم من خوف القتل ولم تؤمن قلوبهم فصدوا عن سبيل الله اي منعوا الناس عن الاسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط وتقوين امر المسلمين وتضعيف شوكتهم وقيل المعنى فصدوا المسلمين عن قتالهم بسبب اظهارهم الاسلام فلهم عذاب مهين اي يهينهم ويخزيهم قيل هو تكرير لقوله اعد الله لهم عذابا شديدا للتاكيد وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة ولا وجه للقول بالتكرار فان العذاب الموصوف بالشدة غير العذاب الموصوف بالاهانة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه شيئا من الاغناء قال مقاتل قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انه ينصر يوم القيامة لقد شقينا اذا فوالله لننصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت قيمة فنزلت الاية اولئك الموصوفون بما ذكر اصحاب النار لا يفارقونها هم فيها خالدون لا يخرجون منها يوم اي اذكر يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله يوم القيامة على انهم مؤمنون كما يحلفون لكم في الدنيا وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم فان يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الامور معلومة بضرورة المشاهدة فكيف يجترؤن على ان يكذبوا في ذلك الموقف ويحلفون على الكذب عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين شيطان فاذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع عليهم رجل ازرق فقال حين رآه علام تشتمني انت واصحابك فقال ذرني آتيك بهم فحلفوا واعتذروا فانزل الله هذه الاية والتي بعدها ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الكاذبة على شيء مما يجلب نفعا او يدفع ضرا كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا الا انهم هم الكاذبون اي الكاملون في الكذب المتهالكون عليه البالغون الى حد لم يبلغ اليه غيرهم باقدامهم عليه وعلى الايمان الفاجرة في موقف القيامة بين يدي الرحمن

استحوذ عليهم الشيطان اي غلب عليهم واستعلى واستولى قال المبرد استحوذ على الشيء حواه و احاط به وقيل قوي عليهم وقيل جمعهم يقال احوذ الشيء اي جمعه وضم بعضه الى بعض والتفا متقاربة لانه اذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى واحاط بهم فانسيهم ذكر الله اي اوامره والعمل بطاعاته فلم يذكروا شيئا من ذلك وقيل زواجره في النهي عن معاصيه وقيل لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم والاشارة بقوله اولئك الى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات حزب الشيطان اي جنوده واتباعه ورهطه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حتى كان خسران غيرهم بالنسبة الى خسرانهم ليس بخسران لانهم باعوا الجنة بالنار والهدى بالضلال وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الايمان الفاجرة في الدنيا والاخرة وفوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم معنى المحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في اول هذه السورة والجملة تعليل لما قبلها اولئك في الاذلين اي اولئك المحادون لله ولرسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدمة من جملة من اخلهم الله من الامم السابقة واللاحقة لا ترى احدا اذل منهم لانهم لما حاد والله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الاخرة كتب الله مستانفة لتقرير ما قبلها من كونهم في الاذلين اي كتب في اللوح المحفوظ وقضى في سابق علمه وقال الفراء كتب بمعنى قال لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما قال الزجاج معنى غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب في الحرب ومن بعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي على نصر اوليائه عزيز غالب لا عدائه لا يغلبه احد لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا صحيحا بحيث يتوافق فيه الظاهر مع الباطن يوادون من حاد الله ورسوله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له اي يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما اي من المتمنعين تجد قوما من المؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في التوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم عن عبد الله بن شوذب قال جعل والد ابي عبيدة بن الجراح يتهدد ابا عبيدة يوم بدر وجعل ابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر قصده ابو عبيدة فقتله فانزلت هذه الاية اخرجه البيهقي في سننه

والحاكم والطبراني وغيرهم ثم زاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم اي ولو كانوا المحادون لله ورسوله اباء الموادين الخ فان ايمانهم
يزجرهم عن ذلك ويمنع منه ورعايته اقوى من رعاية الابوة والبنوة والاخوة والعشيرة وقدم الاولاد
لانهم يحبط اعتهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلب ثم ثلث بالاخوان لانهم الناصرون بمنزلة العضد من
الذراع ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد افاده السمين روي عن ابن مسعود في هذه
الاية قال ولو كان اباءهم يعني ابا عبيدة قتل اباه عبد الله بن الجراح او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق
دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
متعنا بنفسك يا ابا بكر واخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم
يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب وحمزة و
ابو عبيدة قتلوا ابني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولئك يعني
الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله كتب اي خلق وقيل اثبت وقيل جعل وقيل حكم والمعاني
متقاربة في قلوبهم الايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر
منه جعل عدوهم في الدنيا وسمي نصره لهم روحا لان به يحيى امرهم وقيل هو نور القلب وقال
الربيع بن انس بالقرآن والحجة وقيل بجبريل وقيل بالايمان وقيل برحمة وقيل لكتاب انزله فيه حياة
لهم وقيل بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب وعن الثوري انه قال كانوا يرون
انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن روادانه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه
وتلاها وقيل هي في اهل البدع الاهواء ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
على الابد رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم وافاض عليهم اثار رحمته العاجلة والاجلة ورضوا
عنه اي فرحوا بما اعطاهم عاجلا واجلا اولئك حزب الله اي جنده الذين يمتثلون اوامره و
يقاتلون اعداءه وينصرون اولياءه وفي اضافتهم الى الله سبحانه تشريف لهم وتعظيم وتكريم فخيم
الا ان حزب الله هم المفلحون اي الفائزون بسعادة الدنيا والاخرة الكاملون في الفلاح الذين
صار فلاحهم هو الفرد الكامل حتى كان فلاح غيرهم بالنسبة الى فلاحهم
كلا فلاح ☆☆☆☆☆☆☆☆

ع ٩

سورة الحشر أربع وعشرون آية وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال سورة النضير يعني انها نزلت في بني النضير كما صرح به ايضا في بعض الروايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموت وما في الارض اي نزهه فاللام مزيدة وفي الاتيان بما تغليب للاكثر وهو العزيز الحكيم في ملكه وصنعه هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اللام متعلقة باخرج وهي لام التوقيت كقوله لدلوك الشمس اي عند اول الحشر قال الزمخشري وهي كاللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقيل جئت لوقت كذا والمراد من اهل الكتاب هم بنو النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل بانتظار امة محمد صلى الله عليه وسلم فغدروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان عاهدوه وصاروا عليه مع المشركين فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضوا بالجلاء قال الكلبي كانوا اول من اجلي من اهل الذمة من جزيرة العرب ثم اجلي اخرهم في زمن عمر بن الخطاب وكان جلاؤهم اول حشر من المدينة واخر حشر اجلاء عمر لهم وقيل ان اول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخر الحشر اخراجهم من خيبر الى الشام وقيل اخر الحشر هو حشر جميع الناس الى ارض المحشر وهي الشام قال عكرمة من شك ان المحشر يوم القيامة في الشام فليقرأ هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وعن ابن عباس مثله قال ابن العربي للحشر اول واوسط واخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء اهل خيبر والاخر حشر يوم القيامة وقد اجمع المفسرون على ان هؤلاء المذكورين في الاية هم بنو النضير ولم يخالف في ذلك الا الحسن البصري فقال هم بنو قريظة وهو غلط فان بني قريظة ما حشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه فحكم عليهم بان يقاتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وقد اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عايشة قالت كانت

غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على راس ستة اشهر من وقعة بدر وكان منازلهم وبساتينهم
في ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من
الامتعة والاموال الا الحلقة يعني السلاح فانزل الله فيهم سبح لله الى قوله لاول الحشر فقاتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم حتى صالحهم على الاجلاء واجلاهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا وكان الله
قد كتب عليهم ذلك ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبا واما قوله لاول الحشر فكان اجلاؤهم
ذلك اول حشر في الدنيا الى الشام وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل
مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم واوطانهم
وان يسيروا الى اذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء ما ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا هذا خطاب
للمسلمين اي ما ظننتم ايها المسلمون ان بني النضير يخرجون من ديارهم لعزتهم ومنعتهم وذلك
انهم كانوا اهل حصون مانعة وعقار ونخيل واسعة واهل عدة وعدد وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ
اللَّهِ اي وظن بنو النضير ان حصونهم تمتعهم من باس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي
جاء عليه ان في تقديم الخبر على المبتدء دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير
ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي
معها باحد يتعرض لهم او يطمع في مغازاتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم فَأَتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا اي اتاهم امر الله من حيث لم يخطر ببالهم انه ياتيهم امره من تلك الجهة
وهو انه سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقيل هو قتل
رئيسهم كعب بن الاشرف قاله ابن جريج والسدي وابو صالح فان قتل الرئيس يوهن قوة اصحابه وقيل ان الضمير
في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله من حيث لم يحتسبوا والاول اولى لقوله
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فان قذف الرعب كان في قلوب بني النضير لا في قلوب المسلمين
قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وقذفه اثباته فيه قيل وكان قذف الرعب
في قلوبهم بقتل سيدهم كعب بن الاشرف والاولى عدم تقييده بذلك وتفسيره به بل المراد بالرعب
الذي قذفه الله في قلوبهم هو الذي ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ وذلك انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين

ان يسكنوا امناظهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم قال الزجاج معنى تخريبها بايدي المؤمنين انهم عرضوها لذلك قرأ الجمهور يخربون بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال ابو عمرو انما اختارت القراءة بالتشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا وانما خربوها بالهدم وليس ما قاله بمسلم فان التخريب والاخراب عند اهل اللغة بمعنى واحد قال سيبويه ان معنى فعلت وافعلت يتعاقبان نحو اخربته وخربته وافرحته وفرحته واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم قال الزهري وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة او العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقال الزهري ايضا يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة وايدي المؤمنين بالمقاتلة وقال ابو عمرو وايديهم في تركهم لها وايدي المؤمنين في اجلائهم عنها والجملة مستأنفة لبيان ما فعلوه او في محل نصب على الحال فاعتبروا يا اولي الابصار اي اتعظوا او تدبروا وانظروا فيما نزل بهم يا اهل العقول والبصائر قال الواحدي ومعنى الاعتبار النظر في الامور ليعرف بها شيء آخر من جنسها قال الشافعي وهو دليل على جواز القياس انتهى والاعتبار ماخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينقل بواسطة عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقائق الاشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه مع الاهل والولد وقضى به عليهم لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلاء واجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما في الابعاد واحدا من جهتين احداهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد الثاني ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون لجماعة ولواحد كذا قال الماوردي ولهم في الاخرة عذاب النار مستأنفة غير متعلقة بجواب لو لاتضمنه لبيان ما يحصل لهم في الاخرة من العذاب وان نجوا من عذاب الدنيا ذلك اي ما تقدم ذكره من الجلاء في الدنيا والعذاب في الاخرة بانهم

شَاقُّوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ اي بسبب المشاقة منهم لله ولرسوله لعدم الطاعة والميل مع الكفار ونقض العهد
وَمَنْ يُّشَاقِّ اللّٰهَ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ اقتصر ههنا على مشاقة الله لان مشاقته مشاقة لرسوله قرأ
الجمهور يشاق بالادغام وقرئ يشاقق بالفك مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّيْنَةٍ اَوْ تَرَكْتُمُوْهَا قَآئِمَةً عَلٰٓى اُصُوْلِهَا فَبِاِذْنِ
اللّٰهِ قال مجاهد ان بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخل فنهاهم بعضهم وقالوا انما هي مغانم المسلمين
وقال الذين قطعوا بل هو غيظ للعدو فانزل القران بتصديق من نهى عن قطع النخل وتحليل من قطعه من
الاثم فقال ما قطعتم لينة قال قتادة والضحاك انهم قطعوا من نخيلهم واحرقوا ست نخلات وقال محمد بن
اسحق انهم احرقوا النخلة وقطعوا نخلة فقال بنو النضير وهم اهل الكتاب يا محمد الست تزعم انك نبي تريد
الصلاح افمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر وهل وجدت فيما انزل عليك اباحة الفساد وذم الارض
فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم فانزل الله الاية ومعنى الاية اي شيء قطعتم
من ذلك او تركتم فباذن الله والضمير في تركتموها عائد الى اللينة وكذا في قوله قائمة على اصولها
ومعنى اصولها انها باقية على ما هي عليه واختلف المفسرون في تفسير اللينة فقال الزهري ومالك وسعيد
بن جبير وعكرمة والخليل انها النخل كلها الا العجوة وقال مجاهد انها النخل كلها ولا يستثنى عجوة ولا غيرها وقال القتبي
هي كرام النخل وقال ابو عبيدة انها جميع الوان التمر سوى العجوة والبرني وقال جعفر بن محمد انها العجوة خاصة
وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمره اللون ثمره اجود التمر وقال الاصمعي هي الدقل واصل اللينة لونة
فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينة لِيْنٌ وقيل لِيَانٌ وقرأ ابن مسعود وما تركتم فوها على اصولها
اي قائمة على سوقها وقرئ على اصلها وقائما على اصوله وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة وفيها يقول حسان رضي الله تعالى عنه
لهان على سراة بني لؤي + حريق بالبويرة مستطير فانزل الله ما قطعتم الاية واخرج الترمذي وحسنه
والنسائي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في الاية قال اللينة النخلة قال استنزلوهم من حصونهم
وامروا بقطع النخل فجاء في صدورهم فقال المسلمون قد قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من اجر وهل علينا فيما تركنا من وزر فانزل الله ما قطعتم من لينة
الاية وفي الباب احاديث والكلام في صلح بني النضير مبسوط في كتب السير وَلِيُخْزِيَ الْفٰسِقِيْنَ اي ليذل
الخارجين عن الطاعة وهم اليهود ويغيظهم في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في امر لهم

كيف شاؤا من القطع والترك ازدادوا غيظا قال الزجاج وليخزي الفاسقين بان يريهم اموالهم يحكم فيها المؤمنون كيف احبوا من قطع وترك والتقدير وليخزي الفاسقين اذن في ذلك يدل على الجواز قوله فباذن الله وقد استدل بهذه الآية على ان حصون الكفار ودياره لا باس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونخلها وعلى جواز الاجتهاد وعلى تصويب المجتهدين والبحث مستوفى في كتب الاصول وما افاء الله على رسوله منهم اي ما رده عليه من اموال الكفار يقال فاء يفيء اذا رجع والضمير في منهم راجع الى بني النضير فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا وهو سرعة السير واوجف صاحبه اذا حمله على السير السريع ومعنى ما اوجفتم نافية والفاء جواب الشرط ان كانت معنى ما افاء الله شرطية وان كانت موصولة فالفاء زائدة ومن في من خيل زائدة للتاكيد والركاب ما يركب من الابل خاصة قال الرازي العرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى ان ما رد الله على رسوله من اموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلا ولا ابلا ولم تقطعوا اليها مسافة ولا تجشمتم لها مشقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فجعل الله سبحانه اموال بني النضير لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة لهذا السبب فانه افتتحها صلحا واخذ اموالها وقد كان يسئله المسلمون ان يقسم لهم فنزلت الآية اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على اهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله وعن ابن عباس قال جعل ما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما اراد ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب تجيف بها قال والايجاف ان يوضع السير وهي لرسول الله شكا خاصة فذلك خيبر وفدك وقرى عرينة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمل لينبع فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتواها كلها فقال ناس هلا قسمها الله فانزل الله عذره فقال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الآية وفي الكرخي وهذا وان كان كالغنيمة لانهم خرجوا اليها وقاتلوا وصالحوا لكن لقلة تعبهم اجراه الله تعالى مجرى الفيء ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائه تسلطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحرب

وفي هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب بل مشوا اليها مشيا والله على كل شيء قدير يسلط من يشاء على من اراد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان يقسمه ما افاء الله على رسوله من اهل القرى هذا بيان المصارف الفيء بعد بيان انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة والتكرير لقصد التقرير والتاكيد ووضع اهل القرى موضع منهم اي من بني النضير للاشعار بان هذا الحكم لا يختص ببني النضير وحدهم بل هو عام في كل قرية يفتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلحا ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب قيل والمراد بالقرى بنو النضير وقريظة وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلثة اميال من المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع وقد تكلم اهل العلم في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما متفق او مختلف فقيل متفق كما ذكرنا وقيل مختلف وفي ذلك كلام طويل لاهل العلم قال ابن العربي لا اشكال انها ثلثة معان في ثلث آيات اما الآية الاولى وهي قوله وما افاء الله على رسوله منهم فهي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة له وهي اموال بني النضير وما كان مثلها واما الآية الثانية وهي ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فهذا الكلام مبتدء غير الاول المستحق غير الاول وان اشتركت هي والاولى في ان كل واحدة منهما تضمنت شيئا افاءه الله على رسوله واقتضت الآية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت آية الانفال وهي الآية الثالثة انه حاصل بقتال وعريت الآية الثانية وهي ما افاء الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشأ الخلاف من ههنا فطائفة قالت هي ملحقة بالاولى وهي مال الصلح وطائفة قالت هي ملحقة بالثالثة وهي اية الانفال والذين قالوا انها ملحقة باية الانفال اختلفوا هل هي منسوخة او محكمة هذا حاصل كلامه وقال مالك ان الآية الاولى من هذه السورة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم والآية الثانية هي في بني قريظة ويعني ان معناها يعود الى اية الانفال ومذهب الشافعي ان سبيل خمس الفيء سبيل خمس الغنيمة وان اربعة اخماسه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ المراد بقوله سبحانه انه يحكم فيه بما يشاء والرسول يكون ملكا له ولذي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم قد منعوا من الصدقة فجعل لهم حقا في الفيء قيل يكون القسمة في هذا المال على ان يكون اربعة اخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسة يسهم اخماس الرسول خمس واحد صنف

من الاصناف الاربعة المذكورة خمس وقيل يقسم اسداسا السادس سهم الله سبحانه ويصرف الى ذوي القربى كعمارة المساجد ونحو ذلك وعن ابن عباس قال كان ما افاء الله على رسوله من خيبر نصف لله ورسوله والنصف الآخر للمسلمين فكان الذي لله ورسوله من ذلك الكتيبة والوطيح والسلالم ووحدوه وكان الذي للمسلمين الشق والشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة اسهم ولم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر لاحد من المسلمين الا لمن شهد الحديبية ولم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين تخلف عنه عند مخرجه الحديبية ان يشهد معه خيبر الا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخرجه ابو داود وعن عمر بن الخطاب قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفايا من النضير وخيبر وفدك فاما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه واما فدك فكان لابن السبيل واما خيبر فجزأها ثلاثة اجزاء فقسم منها جزئين بين المسلمين وحبس جزأ لنفسه ونفقة اهله فما فضل عن نفقة اهله رد على فقراء المهاجرين قال البقاعي ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الانفال فقد اخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة لكي لا يكون الفيء دولة بين الاغنياء منكم دون الفقراء والدولة اسم لشيء يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة قال مقاتل المعنى انه يغلب الاغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم قرأ الجمهور يكون بالتحتية ودولة بالنصب وقرئ بالفوقية ودولة بالرفع اي كيلا تقع او توجد دولة وكان تامة وقرأ الجمهور دولة بضم الدال وقرئ بفتحها قال عيسى بن عمر ويونس والاصمعي هما لغتان بمعنى واحد قال ابو عمرو بن العلاء الدولة بالفتح الذي يتداول من الاموال وبالضم الفعل وكذا قال ابو عبيدة وجمع المفتوح دول مثل قصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف وقيل بالضم في المال وبالفتح في الحرب والملك الايام تدال مثل دارت الايام اي دارت وزنا ومعنى وقيل بالفتح من الملك بضم الميم والضم من الملك بكسر الميم قال عمر بن الخطاب ما على وجه الارض مسلم الا وله حق في هذا الفيء الا ما ملكت ايمانكم ثم لما بين سبحانه مصارف هذا المال امرهم بالاقتداء برسوله فقال وما آتاكم الرسول اي ما اعطاكم من مال الغنيمة والفيء فخذوه وما نهاكم عنه اي عن اخذه فانتهوا عنه ولا تاخذوه قال الحسن والسدي ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اعطاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم من معصيتي فاجتنبوه والحق ان هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر او نهي او قول او فعل

ان كان السبب خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل شيء اتانا به من الشرع فقد اعطانا اياه واوصله الينا وما النفع هذه الآية والكثر فائدة مما قال الماوردي انه محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن فساد قال الفقيه في هذا يوجب ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى وان كانت الآية خاصة في الغنائم فجميع اوامره ونواهيه داخلة فيها ذكره القرطبي اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني انك لعنت كيت وكيت قال ومالي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله قالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه شيئا من هذا قال لئن كنت قرأته لقد وجدته اما قرأت ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه ثم لما امرهم باخذ ما امرهم باخذه الرسول وترك ما نهاهم عنه امرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال واتقوا الله ان الله شديد العقاب فهو معاقب من لم ياخذ ما اتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه امر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن والاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك وفي الباب احاديث تمر بك من له الحق في الفيء فقال للفقراء قيل بدل من لذي القربى وما عطف عليه قاله ابو البقاء ومقتضاه اشتراط الفقر فيه وهو مذهب الامام ابي حنيفة ومر بثم جعله الزمخشري كذلك واطال الكلام فيه ولا يصح ان يكون بدلا من الرسول وما بعده لئلا يستلزم وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالفقر وقيل التقدير لكيلا يكون دولة ولكن يكون للفقراء وقيل التقدير اعجبوا للفقراء وبه قدر المحلي وهو موافق لمذهب امامه الشافعي واصحابه من الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاده ويخالفه ولان الآية نص في ثبوت الاستحقاق تشريفا لهم فمن علله بالحاجة فوت هذه المعنى والذي يؤيد تقدير فعل التعجب كما ذكره ابو البقاء وتبعه الكواشي مجيء قوله الم تر الى الذين نافقوا يقولون الآيات مصدرا بالم تر وهي كلمة تعجيب لكون ذكرهم جاء مقابلا لذكر اضدادهم وقيل التقدير والله شديد العقاب للفقراء اي للكفار بسبب الفقراء وقيل هو عطف شيء ما مضى بتقدير الواو كما تقول المال لزيد لعمرو لبكر للمهاجرين الذين هاجروا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم رغبة في الدين ونصرة له قال قتادة هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار والاموال والاهلين كما قال تعالى الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم اي حيث اخرجهم كفار مكة منها واضطروهم الى الخروج وكانوا مائة رجل قال النسفي وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء اموال المسلمين لان الله سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار واموال يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي حال كونهم يطلبون منه ان يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا وبالغفران في الاخرة وينصرون الله ورسوله بالجهاد للكفار بانفسهم واموالهم والمراد نصر دينه واعلاء كلمته وهذا حال مقدرة اي يبتغون نصرة اذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل اولئك المتصفون بتلك الصفات هم الصادقون اي الكاملون في الصدق الراسخون فيه قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخل الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها وعن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود ثم لما فرغ من مدحهم مدح الانصار بخصال حميدة فقال والذين تبوءوا الدار والايمان وهو كلام مستأنف والمراد بالدار المدينة وهي دار الهجرة ومعنى تبوءوهم انهم اتخذوها مبلغة اي تمكنوا منها تمكنا شديدا والتبوء في الاصل انما يكون للمكان ولكنه جعل الايمان مثله لتمكنهم فيه تنزيلا للحال منزلة المحل وقيل التقدير واعتقدوا الايمان او اخلصوا الايمان كذا قال ابو علي الفارسي او تبوءوا الدار وموضع الايمان ويجوز ان يكون تبوءوا ضمنا معنى لزموا اي لزموا الدار والايمان ومعنى من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين فلا بد من تقدير مضاف لان الانصار انما آمنوا بعد ايمان المهاجرين وقيل من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء الدار واسلموا في ديارهم واثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وقد اخرج البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال اوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم احسنوا الى المهاجرين واشركوهم في اموالهم ومساكنهم ولا يجدون

اي لا يجدون الانصار في صدورهم حاجة اي حسدا وغيظا وحزازة فالمراد بالحاجة هذه المعاني واطلاق لفظ الحاجة عليها من اطلاق الملزوم على اللازم على سبيل الكناية لان هذه المعاني لا تنفك عن الحاجة غالبا وفي الكلام مضاف محذوف اي لا يجدون في صدورهم مس حاجة او اثر حاجة وكل ما يجده الانسان في صدره مما يحتاج اليه فهو حاجة ومنه حاجة الموتى اي مما اوتي المهاجرون دونهم من الفيء بل طابت انفسهم بذلك وكان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم بنى النضير دعى الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في اموالهم ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء الله علي من بني النضير بينكم وبين المهاجرين وكان للمهاجرين حين قدموا عليهم من المسكنة في مساكنكم والمشاركة لكم في اموالكم وان احببتم اعطيتهم ذلك وخرجوا من ديارهم فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين وطابت انفسهم ويؤثرون على انفسهم اي في كل شيء من اسباب المعاش والايثار تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الاخرة وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال آثرته بكذا اي خصصته به وفضلته والمعنى يقدمون المهاجرين على انفسهم في حظوظ الدنيا ولو كان بهم خصاصة اي حاجة وفقر والخصاصة ماخوذة من خصاص البيت وهي الفروج التي تكون فيه وقيل ماخوذة من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار وفي رواية فقال ابو طلحة الانصاري انا يا رسول الله فذهب به الى اهله فقال لامرأته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخري شيئا قالت والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا ارادت الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة وانزل الله فيهما هذه الآية واخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا فبعث به اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها اهل بسبعة ابيات حتى رجعت الى الاول فانزلت فيهم هذه الآية ومن يوق شح نفسه قرأ الجمهور بوق بسكون الواو وتخفيف القاف

ثم اذا ورد عليه ضيف ينبغي ان يقدم له الطعام ويجتهد في الاكل من غير ان يظهر له الامساك من غير ان يتكلف الاكل ويظهر له الرضا بما قدم له من الطعام ويحمد الله تعالى على ذلك ثم يشكر له ما فعل من غير ان يتوقع منه الشكر ويعلم ان ثواب الله تعالى له في ذلك اكثر فيكون فعله لوجه الله تعالى فقط

من الوقاية وقرئ بفتح الواو وتشديد القاف وقرأ أو اشح بضم الشين وقرئ بكسرها وهذا كلام عام في
من شرطية ويوق فعل الشرط أو الشح البخل مع الحرص كذا في الصحاح وقيل الشح اشد من البخل قال مقاتل شح
نفسه حرص نفسه قال سعيد بن جبير شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكوة قال ابن زيد من ان ياخذ
شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا امره الله باداءه فقد وقي شح نفسه قال طاؤس من البخل ان يبخل الانسان
بما في يد اخيه والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحلال والحرام لا يقنع وقال
ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم فاولئك هم المفلحون جزاء الشرط
المتقدم وفيه رعاية معنى من بعد رعاية لفظها والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب اي الفائزون بما
اراد واو الظاهر من الاية ان الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشيء من الاشياء التي يقبح الشح بها شرعا
من زكوة او صدقة او صلة رحم او نحو ذلك كما تفيده اضافة الشح الى النفس عن ابن مسعود ان رجلا
قال لابي اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اني سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج مني شيء فقال له ابن مسعود ليس ذاك بالشح الذي ذكره الله في القرآن ان تاكل مال اخيك ظلما وعن ابن عمر في الاية قال ليس الشح ان يمنع
الرجل ماله ولكنه البخل وانه لشر ما الشح ان تطمح عين الرجل الى ما ليس له وعن علي بن ابي طالب قال من
ادى زكوة ماله فقد وقى شح نفسه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محق الاسلام محق الشح
شيئا قط اخرجه ابو يعلى وابن مردويه واخرج احمد والبخاري في الادب ومسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من
كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا رواه النسائي وفي الجامع الصغير الشحيح لا يدخل الجنة ورواه
الخطيب في كتاب البخلاء عن ابن عمر وقد وردت احاديث في ذم الشح كثيرة ثم لما فرغ سبحانه من
الثناء على المهاجرين والانصار ذكر ما ينبغي ان يقوله من جاء بعدهم فقال والذين جاؤا من
بعدهم وهم التابعون باحسان الى يوم القيامة وقيل هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام و
الظاهر شمول الاية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتاخر اسلامهم في عصر النبوة ومن تبعهم من
المسلمين بعد عصر النبوة الى يوم القيامة لانه يصدق على الكل انهم جاؤا بعد المهاجرين الاولين

والانصار عن سعد بن ابي وقاص قال الناس على ثلث منازل قد مضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم كائنون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الاية يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان المراد بالاخوة هنا اخوة الدين امرهم الله ان يستغفروا لانفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والانصار قال في المصباح الاخ لامة محذوفة وهي واو وتردّ في التثنية على الاشهر فيقال اخوان وفي لغة يستعمل منقوصا فيقال اخان وجمعه اخوة واخوان بكسر الهمزة فيهما وضمها لغة وقيل جمعه بالواو والنون وعلى اخاء وزان اباء قال والانثى اخت وجمعها اخوات وهو جمع مؤنث سالم ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحقدا وبغضا وحسدا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم اي كثير الرافة والرحمة بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك امر الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والانصار ان يطلبوا من الله سبحانه ان ينزع من قلوبهم الغل للذين امنوا على الاطلاق فيدخل في ذلك الصحابة دخولا اوليا لكونهم اشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما امره الله به في هذه الاية فان وجد في قلبه غلا لهم فقد اصابه نزغ الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة اوليائه وخيرة نبيه صلى الله عليه وآله وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم ان لم يتدارك نفسه باللجاء الى الله سبحانه والاستغاثة به بان ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون واشرف هذه الامة فان جاوز ما يجده من الغل الى شتم احد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه وهذا الداء العضال انما يصاب به من ابتلي بعلم من الرافضة او صاحب من اعداء خير الامة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الاكاذيب المختلقة والاقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة وصرفهم عن كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله المنقولة الينا بروايات الائمة الاكابر في كل عصر من العصور فاشئة والضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة الى منزلة ومن تبعة الى تبعة حتى صاروا اعداء كتاب الله وسنة رسوله وخيرة من خلقه وصالحي عباده وسائر المؤمنين واهلوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين وسعوا في كيد الاسلام واهله كل السعي ورموا الدين واهله بكل حجر ومدر والله من ورائهم محيط قالت عايشة رضي الله تعالى عنها في الاية امروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه فسبوهم ثم قرأت هذه الاية

وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول في عثمان وطلحة والزبير قال اقول ما قال الله وتلى هذه الآية
واخرج ابن مردويه عن ابن عمر انه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه الآية فقرأ عليها حتى
ثم قال هؤلاء المهاجرون افمنهم انت قال لا ثم قرأ عليه والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية ثم قال
هؤلاء الانصار افانت منهم قال لا ثم قرأ عليه والذين جاؤا من بعدهم الآية ثم قال افمن هؤلاء انت قال
ارجو قال ليس من هؤلاء من سب هؤلاء ولما فرغ سبحانه من ذكر الطبقات الثلث من المؤمنين ذكر طائفة
بين المنافقين واليهود من المقاولة لتعجيب المؤمنين من حالهم فقال الم تر الى الذين نافقوا هم عبد الله
بن ابي واصحابه وقال ابن عباس ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن نبتل واوس بن قيظي واخوانهم من النضير
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له يقولون لاخوانهم اللام لام التبليغ الذين كفروا
من اهل الكتاب مستأنفة لبيان المتعجب منه والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على
الاستمرار وجعلهم اخوانا لهم لكون الكفر قد جمعهم وان اختلف نوع كفرهم فهم اخوان في الكفر
وقيل هو من قول بني النضير لبني قريظة والاول اولى لان بني النضير وبني قريظة هم يهود والمنافقون
غيرهم لئن اخرجتم اللام هي الموطية للقسم وتسمى المؤذنة ايضا اي والله لئن اخرجتم من ديارکم
لنخرجن معكم من ديارنا في صحبتكم وهذا جواب القسم ولا نطيع فيكم اي في شأنكم من اجلكم
احدا ممن يريد ان يمنعنا من الخروج معكم وان حال الزمان وهو معنى قوله ابدا او هو ظرف للنفي
لا للمنفي ثم لما وعدوهم بالخروج وعدوهم بالنصرة لهم فقالوا وان قوتلتم لننصرنكم حذف منه اللام
الموطية وهو قليل في كلام العرب والكثير اثباتها لننصرنكم على عدوكم ثم كذبهم الله سبحانه فقال
والله يشهد انهم لكاذبون فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم وفيه دليل على
صحة النبوة لانه اخبار بالغيب ووقع كما اخبر وهذا مبني على تقدم نزول الآية على الواقعة وعليه يدل النظم
فان كلمات ان للاستقبال واعجاز القرآن من حيث الاخبار عن الغيب عن ابن عباس قال ان رهطا من بني
عوف بن الحارث منهم عبد الله بن ابي بن سلول ووديعة بن مالك وسويد وداعس بعثوا الى بني
النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لا نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا بذلك
من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن
دمائهم على ان لهم ما حملت الابل الا الحلقة ففعل فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعيره

فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام ثم ما اجمل سبحانه كذبهم فيما وعدوا به فصل ما كذبوا فيه فقال لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ هذا تكذيب المقالة الاولى وقوله وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ تكذيب المقالة الثالثة واما الثانية فلم يذكر لها تكذيبا في التفصيل وقد كان الامر كذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع من اخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم ولم ينصروا من قوتل من اليهود وهم بنو قريظة واهل خيبر وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ اي جاؤا لنصرهم قاله الحسن او لو قدر وجود نصرهم اياهم لان ما نفاه الله لا يجوز وجوده قال الزجاج معناه لو تصدوا لنصر اليهود وهذا من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ منهزمين ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ يعني اليهود لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم وهم المنافقون وقيل لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك بل يذلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم وقيل معنى الاية لا ينصرونهم طائعين ولئن نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معناه لا يدومون على نصرهم والاول اولى ويكون من باب قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ اي لانتم يا معاشر المسلمين اشد خوفا وخشية في صدور المنافقين او صدور اليهود او صدور الجميع مِنَ اللَّهِ اي من رهبتهم الله والرهبة هنا بمعنى المرهوبية لانها مصدر من المبني للمفعول وفيه دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم منه ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ اي ما ذكر من الرهبة الموصوفة بسبب عدم فقههم بشيء من الاشياء ولو كان لهم فقه لعلموا ان الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم فهو احق بالرهبة منه وقيل ذلك اخبر سبحانه بمزيد فشلهم وضعف نكايتهم فقال لَا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا يعني لا يبرز اليهود والمنافقون مجتمعين لقتالكم ولا يقدرون على ذلك إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ بالدور والدروب والخنادق أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ اي من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم قرأ الجمهور جدر بالجمع وقرئ جدار بالافراد واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم لانها موافقة لقوله قرى محصنة وهما سبعيتان وقرئ جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهي لغة في الجدار بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ اي بعضهم فظ غليظ على بعض وقلوبهم مختلفة ونياتهم متباينة قال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقال عطاء بأسهم بينهم شديد بالكرم والوعيد لنفعلن كذا والمعنى انهم اذا افترقوا انسبوا انفسهم الى الشدة والبأس

واذا لاقى اعدوا ذلوا وخضعوا وانهزموا وقيل المعنى ان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم بالنسبة اليكم لما قذف الله في قلوبهم من الرعب والاول اولى لقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فانه يدل على ان اجتماعهم انما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم الموصوف بالشدة والجملة حالية او مستأنفة للاخبار بذلك والعامة على شتى بلا تنوين لانها الف تانيث ومعنى شتى متفرقة قال مجاهد يعني اليهود والمنافقين تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم وروي عنه ايضا انه قال المراد المنافقون وقال الثوري هم المشركون واهل الكتاب قال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر ورأي وقلوبهم متفرقة فاهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهاداتهم وآراؤهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقرأ ابن مسعود وقلوبهم اشت اي اشد اختلافا فقال ابن عباس في الآية هم اليهود ونحوه قول مجاهد والتحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك بانهم اي في ذلك الاختلاف والتشتت بسبب انهم قوم لا يعقلون شيئا مما فيه صلاحهم فان تشتيت القلوب يوهن قواهم ولو عقلوا العرفوا الحق واتبعوه كمثل اي ان مثل المنافقين واليهود اي بني النضير كمثل الذين من قبلهم من كفار المشركين واهل مكة قريبا يعني في زمان قريب وقيل يشبههم في زمن قريب وقيل العامل فيه ذاقوا اي ذاقوا في زمن قريب اي بين وقعة بدر ووقعة بني النضير بخمسة ونصف لانها كانت في ربيع الاول من الرابعة وبدر كانت في رمضان من الثانية وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة اشهر قاله مجاهد وغيره وقيل المراد ببني النضير سيئت كما بدا بهم قاله قتادة وقيل بنو قريظة قاله الضحاك وقيل هو عام في كل من انتقم الله منه بسبب كفره والاول اولى ولهم مع ذلك عذاب اليم في الآخرة ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلا آخر فقال كمثل الشيطان اي مثلهم في اغراء اليهود على القتال او تخاذلهم وعدم تناصرهم كمثل الشيطان والمراد به حقيقته لا شيطان الانس قيل المثل الاول خاص باليهود والثاني خاص بالمنافقين وقيل الثاني بيان للاول ثم بين سبحانه وجه الشبه فقال اذ قال للانسان اكفر اي اغراه بالكفر وزينه له وحمله عليه والمراد بالانسان هنا جنس من اطاع الشيطان من نوع الانسان كما قال مجاهد المراد بالانسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان اياهم وقيل هو ابو جهل وقيل هو عابد كان في بني اسرائيل حمله الشيطان على الكفر فاطاعه وهو برصيصا

والاول اولى عن علي بن ابي طالب ان رجلا كان يتعبد في صومعة وان امرأة كان لها اخوة تعرض لها الشيء فاتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت فجاءه الشيطان فقال اقتلها فانهم ان ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاؤه فاخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون اذ جاءه الشيطان فقال اني انا الذي زينت لك فاسجد لي سجدة انجيك فسجد له فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية اخرجه احمد في الزهد والبخاري في تاريخه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم قلت وهذا يدل على ان هذا الانسان هو المقصود بالآية بل يدل على انه من جملة من تصدق عليه وقد اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس باطول من هذا وليس فيه ما يدل على انه المقصود بالآية واخرجه بنحوه ابن جرير عن ابن مسعود وعنه قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيامة يتبرء منه مخافة ان يشاركه في العذاب كما ينبئ عنه قوله اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية وهذا تعليل لابراءته من الانسان بعد كفره قيل وليس قول الشيطان اني اخاف الله على حقيقته انما هو على وجه التبري من الانسان كذبا ورياء والا فهو لا يخاف الله فهو تاكيد لقوله اني بريء منك قرئ اني باسكان الياء وبفتحها فكان عاقبتهما انهما في النار اي فكان عاقبة الشيطان وذلك الانسان الذي كفر انهما صائران الى النار خالدين فيها وقرئ خالدان على انه خبر ان وذلك اي الخلود في النار جزاء الظالمين ويدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا ثم رجع سبحانه الى خطاب المؤمنين بالموعظة الحسنة لان الموعظة بعد المصيبة اوقع في النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي اتقوا عقابه بفعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لتنظر اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة والعرب تكني عن الزمان المستقبل بالغد وهو في الاصل عبارة عن يوم بينك وبينه ليلة وانما اطلق اسم الغد على يوم القيامة تقريبا له كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر فكانه لقربه شبه بما ليس بينك وبينه الا ليلة واحدة او لان الدنيا اي زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما باحكام واحوال متشابهة وتعقيب الثاني للاول فلفظ

الغد حينئذ استعارة وفائدة تنكير النفس بيان ان الانفس المناظرة في معادها قليلة جدا كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واين تلك النفس وفائدة تنكير الغد تعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله فالتنكير فيه للتعظيم وفي النفس للتقليل او للتعريض بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب افاده الكرخي واتقوا الله كرر الامر بالتقوى للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل فان ما قدمت لغد عبارة عن اعمال الخير والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وبحر هذا الوجه بفضل التاسيس على التاكيد وانت خبير بان التقوى تشمل كليهما فانها على ما مر في اول البقرة هي التجنب عن كل ما يوثم من فعل او ترك ولا وجه للتوزيع بل المقام مقام الاهتمام بامر التقوى فالتاكيد اولى واقوى ذكره الكرخي والمعنى لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امره وطاعته او ما قدروه حق قدره اولم يخافوه او جميع ذلك فانساهم انفسهم اي جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له فلم يشتغلوا بالاعمال التي تنجيهم من عذاب الله ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه ففي الكلام مضاف محذوف اي انساهم حظوظ انفسهم او تقديم خير لانفسهم قال سفيان نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم وقيل نسوا الله في الرخاء فانساهم انفسهم في الشدائد وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم ان يذكروا بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة ونسب انساء الله تعالى الفعل الى نفسه في انساهم ايذانا بان ذلك بسبب امره ونهيه كقوله احمدت الرجل اذا وجدته محمودا واصل نسوا نسيوا يقال نسي ينسى كرضي يرضى أولئك هم الفاسقون اي الكاملون في الخروج عن طاعة الله لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة في الفضل والمرتبة والمراد الفريقان على العموم فيدخل في فريق اهل النار من نسي الله منهم دخولا اوليا ويدخل في فريق اهل الجنة الذين اتقوا دخولا اوليا لان السياق فيهم وقد تقدم الكلام في معنى مثل هذه الاية في سورة المائدة وفي سورة السجدة وفي سورة ص وفيه مزيد الترغيب فيما يزلفهم الى الله ويدخلهم دار كرامته ويجعلهم من اصحابها ومن ثم دق ولطف استدلال الشافعية بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وحسن كلام القاضي حيث قال لا يستوي الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استهانوا نفوسهم اي استعملوها في المهنة و

الشهوات فاستحقوا النار قاله الكرخي ثم اخبر سبحانه وتعالى عن اصحاب الجنة بعد نفي التساوي بينهم وبين
اهل النار فقال اصحب الجنة هم الفائزون اي الظافرون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه و
هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة
واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان
الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه
ولما فرغ سبحانه من ذكر اهل الجنة واهل النار وبين عدم التساوي بينهم في شيء من الاشياء
ذكر تعظيم كتابه الكريم واخبر عن جلالته وانه حقيق بان تخشع له القلوب وترق له الافئدة فقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل اي من شانه وعظمته وجودة الفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله
على المواعظ التي تلين لها القلوب انه لو انزل على جبل من الجبال الكائنة في الارض وجعل فيه تمييز
كالانسان على قساوته ثم انزلنا عليه القرآن لرأيته مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة
الجرم خاشعا متصدعا اي متشققا من خشية الله سبحانه حذرا من عقابه وخوفا من ان لا يؤدي
ما يجب عليه من تعظيم كلام الله وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شان القرآن وقوة تاثيره في القلوب
قال ابن عباس في الاية يقول لو اني انزلت هذا القرآن على جبل وحملته اياه لتصدع وخشع من ثقله
ومن خشية الله فامر الله الناس اذا نزل عليهم القرآن ان ياخذوه بالخشية الشديدة والتخشع والتواضع
الذليل المتواضع وعن علي وابن مسعود مرفوعا في الاية قال هي رقية الصداع ورواه الديلمي باسناد لا بأس
كيف رجالها واخرج الخطيب في تاريخه باسناده الى الحريس بن عبد الكريم الحداد مسلسلا الى ابن مسعود مرفوعا
قال الذهبي هو باطل قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت ولتصدع
من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له وقويناك عليه فيكون على هذا من باب الامتنان على النبي
صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه ثبته لما لا تثبت له الجبال الرواسي وقيل الخطاب للامة وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ وينزجروا بالزواجر
فيه توبيخ وتقريع للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن ولا اتعظوا بمواعظه ولا انزجروا بزواجره ثم اخبر سبحانه
بربوبيته وعظمته فقال هو الله اي الموجود من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فان الشيء يستحق الوصف بهو
غيره لانه الموجود دائما ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فان ادراك المتصدع الجبل

من خشيته ولما عبر عنه بأخص اسمائه اخبر عنه لطفا بنا وتثريبا لنا باشهرها الذي هو مسمى الاسماء
كلها بقوله الله اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الا له الذي لا اله الا هو فانه لا مجانس
له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه شيء عالم الغيب والشهادة اي عالم ما غاب عن
الاحساس وما حضر وقيل عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقيل الاخرة والدنيا وقيل
للمعدوم والموجود وقدم الغيب على الشهادة لكونه متقدما وجودا هو الرحمن الرحيم وقد تقدم تفسير
هذين الاسمين هو الله الذي لا اله الا هو كرره للتاكيد والتقرير لكون التوحيد حقيقا بذلك الملك
الذي لا يزول ملكه المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته
القدوس اي الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص وقيل هو الذي اكثرت بركته والقدس بالتحريك
في لغة اهل الحجاز السطل لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاواني التي يستخرج بها الماء قرأ الجمهور
القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وكان سيبويه يقول سبوح قدوس بفتح اولهما وحكى ابو حاتم عن
يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا يقرأ القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو
مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان السلام قال ابن العربي اتفق العلماء على
ان معنى قولنا في الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلثة اقوال
الاول معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص الثاني معناه ذو السلام اي المسلم على عباده
في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث ان معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي
وبه قال الاكثر وعليه فالذي قبله يكون صفة فعل وعلى انه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة
ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده وهو مصدر وصف به للمبالغة المؤمن اي الذي وهب لعباده
الامن من عذابه وقيل المصدق لرسله باظهار المعجزات وقيل المصدق للمؤمنين بما وعدهم به من
الثواب والمصدق للكافرين بما اوعدهم به من العذاب وقيل المؤمن الذي يأمن اولياؤه من عذابه
ويأمن عباده من ظلمه يقال امنه من الامان الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى وامنهم من خوف قوئ
وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو قرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم
فاعل من امن بمعنى امن وقرئ بفتحها بمعنى المؤمن به على الحذف كقوله واختار موسى قومه وقال ابو حاتم
لا تجوز هذه القراءة لان معناه انه كان خائفا فامنه غيره المهيمن من هيمن اذا كان رقيبا على الشيء

اي الشهيد على عباده باعمالهم الرقيب عليهم كذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل قال الواحدي وذهب كثير
من المفسرين الى ان اصله مؤيمن من امن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن والاول اولى وقيل القائم على خلقه برزقه
وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو الصادق وقيل هو القاضي وقيل هو الامين والمؤتمن وقيل هو العلي وقيل
اسم من اسماء الله وهو اعلم بتاويله وقد قدمنا الكلام على المهيمن في سورة المائدة العزيز الذي لا نظير
له وقيل القاهر وقيل الغالب غير المغلوب وقيل القوي الجبار جبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة
ذات والعرب تسمي الملك الجبار ويجوز ان يكون من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير وعلى هذا هو صفة
فعل او من جبره على كذا اذا كرهه على ما اراد فهو الذي جبر خلقه على ما اراد منهم وبه قال السدي
ومقاتل واختاره الزجاج والفراء قال هو من اجبره على الامر اي قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل
الا في جبار من اجبر ودراك من ادرك قلت وقد يستعمل ثلاثيا ايضا وقيل الجبار الذي لا نطاق سطوته
وقيل هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يعجزه عنه عاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يدانى
والجبر في صفة الله مدح وفي صفة الناس ذم المتكبر اي الذي تكبر عن كل نقص وتعظم عما لا يليق به
واصل التكبر الامتناع وعدم الانقياد والكبر في صفات الله مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة
والعز والكبرياء فان اظهر ذلك كان ذلك ضم كمال الى كمال وفي صفات المخلوقين ذم لان المتكبر
هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا
اظهر الكذب كان كاذبا في فعله فكان مذموما في حق الناس قال قتادة هو الذي تكبر عن كل سوء قال
ابن الانباري المتكبر ذو الكبرياء وهو الملك وقيل هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو المتعظم
عما لا يليق بجلاله وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده ثم نزه سبحانه نفسه الكريمة عن شرك المشركين
فقال سبحان الله عما يشركون اي عما يشركونه او عن اشراكهم به هو الله الخالق اصل الخلق التقدير يقال
خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له اي المقدر للاشياء ولما يوجده على مقتضى ارادته ومشيته وهذا يرجع
الى صفة الارادة وتعلقها التنجيزي القديم البارئ اي المنشئ المبدع المخترع للاشياء والاعيان الموجد
لها والمبرز من العدم الى الوجود فيرجع لتاثير القدرة الحادث لكن في خصوص الاعيان وقيل المميز لبعضها
من بعض المصور اي الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة والتصوير اخر الايجاد والتقدير اولا والبرء بينهما
او تابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وقرأ حاطب بن ابي بلتعة الصحابي المصوّر بفتح الواو وضم الراء

على انه مفعول به للبارئ اي الذي برأ المصور اي صيغة له الاسماء الحسنى قد تقدم بيانها والكلام فيها عند تفسير قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والحسنى مؤنث الاحسن الذي هو افعل تفضيل الامؤنث احسن المقابل لامرأة حسناء في القاموس ولا تقل رجل احسن في مقابلة امرأة حسناء وعكسه غلام امرد ولا يقال جارية مرداء وانما يقال هو الاحسن على ارادة افعل التفضيل وجمعه احاسن والحسنى بالضم ضد السوأى قال الزمخشري في لله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك ووصف الجمع الذي لا يعقل بما يوصف به الواحدة كقوله وفيها مآرب اخرى وهو فصيح ولو جاء على المطابقة للجمع لكان التركيب الحسن على وزن الاخر كقوله فعدة من ايام اخر لان جمع ما لا يعقل يخبر عنه ويوصف بجمع المؤنثات وان كان المفرد مذكرا يسبح له ما في السموت والارض اي ينطق بتنزيهه بلسان الحال والمقال كل ما فيهما وهو العزيز الحكيم اي الغالب لغيره الذي لا يغالبه مغالب الحكيم في كل الامور التي يقضي بها عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر رجلا اذا اوى الى فراشه ان يقرأ اخر سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا اخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة وابن مردويه وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ثم قرأ اخر سورة الحشر بعث الله سبعين ملكا يطردون عنه شياطين الانس والجن ان كان ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي اخرجه ابن مردويه وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة اخرجه البيهقي والدارمي واحمد والطبراني وابن الضريس والترمذي وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر في ليل او نهار فمات من يومه او ليلته اوجب الله له الجنة اخرجه البيهقي في الشعب وابن عدي وابن مردويه والخطيب

سورة الممتحنة وهي ثلث عشرة اية وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع

قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله والممتحنة بكسر الحاء اسم فاعل اي المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لكشفها عن عيوب المنافقين

وعلى هذا فالاضافة بيانية اي السورة الممتحنة وقيل بفتح الحاء اسم مفعول اضافة الى المرأة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط لقوله سبحانه فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة ابراهيم بن عبد الرحمن وعلى هذا فليست الاضافة بيانية والمعنى سورة المرأة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قال المفسرون نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب المشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وسيأتي ذكر القصة واضاف سبحانه العدو الى نفسه تعظيما لجرمهم وتغليظا فيه والعدو وصف يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والاية تدل على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة او هي سببية والمعنى تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقال الزجاج تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسره بالمودة التي بينكم وبينهم والجملة في محل نصب على الحال من ضمير تتخذوا ويجوز ان تكون مستانفة لقصد الاخبار بما تضمنته او لتفسير موالاتهم اياهم او في محل نصب صفة لاولياء جملة وقد كفروا بما جاءكم من الحق في محل نصب على الحال من فاعل تلقون او من فاعل لا تتخذوا ويجوز ان تكون مستانفة لبيان حال الكفار قرأ الجمهور بما جاءكم بالموحدة وقرئ لما جاءكم باللام اي لاجل ما جاءكم من الحق على حذف المكفور به اي كفروا بالله والرسول لاجل ما جاءكم من الحق اي دين الاسلام والقرآن او على جعل ما هو سبب للايمان سببا للكفر توبيخا لهم يخرجون الرسول واياكم مستانفة لبيان كفرهم او حالية وقدم الرسول عليهم تشريفا له وقد استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج اي يخرجونكم لاجل ايمانكم او كراهة ان تؤمنوا ان كنتم خرجتم من مكة جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي جواب الشرط محذوف اي ان كنتم كذلك فلا تلقوا اليهم بالمودة فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وانتصاب جهادا وابتغاء على العلة اي ان كنتم خرجتم للجهاد في سبيلي ولاجل ابتغاء مرضاتي او حال اي ان كنتم مجاهدين ومبتغين تسرون اليهم بالمودة مستانفة للتقريع والتوبيخ اي تسرون اليهم الاخبار

بسبب المودة وقيل هي بدل من قوله تلقون ثم اخبر سبحانه بانه لا يخفى عليه من احوالهم شيء فقال وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ اي بما اضمرتم في صدوركم وما اظهرتموه على السنتكم والجملة في محل نصب على الحال والباء في بما زائدة يقال علمت كذا وعلمت بكذا هذا على ان اعلم مضارع وقيل هو افعل تفضيل اي اعلم من كل احد بما تخفون وما تعلنون وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ اي من يفعل ذلك الاتخاذ لعدوي عدوكم اولياء ويلقي اليهم بالمودة فقد اخطأ طريق الحق والصواب وضل عن قصد السبيل إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً اي ان يلقوكم ويصادفوكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة ومنه المثاقفة وهي طلب مصادفة العزة في المسابقة يقال ثقفت الشيء ثقفا من باب تعب اخذته وثقفت الرجل في الحرب ادركته وثقفته ظفرت به وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف وقيل المعنى ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والمعنيان متقاربان وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بالضرب ونحوه وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ اي بالسب والشتم وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ معطوف على جواب الشرط او على جملة الشرط والجزاء ورجحه ابو حيان على غيره من الاحتمالات والمعنى انهم تمنوا ارتدادهم ووددوا رجوعهم الى الكفر لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ اي لا ينفعكم القرابات على عمومها ولا الاولاد وخصهم بالذكر مع دخولهم في الارحام لمزيد المحبة لهم والحنو عليهم والمعنى ان هؤلاء لا ينفعونكم شيئا يوم القيامة حتى توالوا الكفار لاجلهم كما وقع في قصة حاطب بن ابي بلتعة بل الذي ينفعكم هو امركم الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم وجملة يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ مستأنفة لبيان عدم نفع الارحام والاولاد في ذلك اليوم والمعنى يفرق بينكم فيدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار وقيل المراد بالفصل بينهم انه يفر كل واحد منهم من الآخر من شدة الهول كما في قوله يوم يفر المرء من اخيه الآية قيل ويجوز ان يتعلق يوم القيامة بما قبله اي ان ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة فيوقف على يوم القيامة ويبتدء بقوله يفصل بينكم والاولى ان يتعلق يوم القيامة بما بعده كما ذكرنا قرأ الجمهور يفصل بالتخفيف وبضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة ابو عبيد وقرئ بفتح الياء وكسر الصاد مبنيا للفاعل وقرئ بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة من التفصيل وقرئ بضم الياء وكسر الصاد مخففة وقرئ بالنون وكلها سبعية وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يخفى عليه شيء من افعالكم فهو مجازيكم على ذلك وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن علي بن ابي طالب قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

انا وابن الزبير والمقداد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها
كتاب فخذوه منها فاتوني به فخرجنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي
من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب ولتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا يا حاطب قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرءا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكان من معك
من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان
اصطنع اليهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
صدق فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ونزلت هذه الآية وفي الباب احاديث مسندة ومرسلة
متضمنة لبيان هذه القصة وان هذه الآيات الى قوله اسوة حسنة في ابراهيم نازلة في ذلك
(قد كانت لكم)
ولما فرغ سبحانه من النهي عن موالاة المشركين والذم لمن وقع منه ذلك ضرب لهم ابراهيم مثلا حين
تبرأ من قومه فقال قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة تقتدون بها يقال لي به اسوة في
هذا الامر اي اقتداء فارشدهم سبحانه الى الاقتداء بابراهيم في ذلك الا في استغفاره لابيه قرأ الجمهور
اسوة بكسر الهمزة وقرئ بضمها وهما لغتان وقراءتان سبعيتان واصل الاسوة بالضم والكسر القدوة ويقال
هو اسوتك اي مثالك وانت مثله في ابراهيم اي في افعاله واقواله وفي متعلقة باسوة ومنعه ابو البقاء
او بحسنة او نعت ثان لاسوة او حال من الضمير المستتر في حسنة او خبر لكان ولكم تبيين والذين
معه هم اصحابه المؤمنون وقال ابن زيد هم الانبياء قال الفراء يقول افلا تاسيت يا حاطب بابراهيم
فتبرأ من اهلك كما تبرأ ابراهيم من ابيه وقومه اذ قالوا لقومهم خبر كان او متعلق بخبرها قالهما
ابو البقاء ويجوز في كان ان تعمل في الظرف علقه بها هذا ما في السمين وقال الحفناوي الظرف بدل اشتمال من
ابراهيم والذين معه وهذا احسن الاعاريب المذكورة هنا والمعنى وقت قولهم لقومهم الكفار وقد كانوا
اكثر من عددكم واقوى ولهم فيهم ارحام وقرابات ومع ذلك لم يبالوا بهم بل قالوا إنا برآء منكم اي من
دينكم جمع بريء مثل شركاء جمع شريك وظرفاء جمع ظريف قرأ الجمهور بضم الباء وفتح الراء والف بين
هم زتين كرماء في كريم وقرئ بكسر الباء وفتح الراء كرم كما في كريم وبضم الباء وهمزة بعد الف وهما تعبدون من

من دون الله وهي الاصنام كفرنا بكم اي بما اعتقدتموه من الاوثان او بدينكم او بافعالكم اي لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة بالافعال والبغضاء بالقلوب ابدا اي هذا دابنا معكم وما دمتم على كفركم حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فاذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك هو استثناء متصل من قوله في ابراهيم بتقدير مضاف محذوف ليصح الاستثناء اي قد كانت لكم اسوة حسنة في مقالات ابراهيم كلها الا قوله لابيه الخ او من اسوة حسنة وصح ذلك لان القول من جملة الاسوة كانه قيل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم في جميع اقواله وافعاله الا قوله لابيه وهذا عندي واضح غير محوج الى تقدير مضاف وغير محوج للاستثناء من الاتصال الذي هو اصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره او من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يواصله الا قوله ذكره ابن عطية او هو منقطع اي لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن فلا تتاسوا به فتستغفروا للمشركين فانه كان عن موعدة وعدها اياه اوان ذلك انما وقع منه لانه ظن انه قد اسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة براءة قال ابن عباس في الاية نهوا ان يتاسوا باستغفار ابراهيم لابيه وهو مشرك وما املك لك من الله من شيء هذا من تمام القول المستثنى يعني ما اغني عنك وما ادفع عنك من عذاب الله وثوابه شيئا والجملة في محل نصب على الحال من فاعل لاستغفرن فالاستثناء متوجه الى الاستغفار لا الى هذا القيد فانه اظهار للعجز وتفويض للامر الى الله وذلك من خصال الخير ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير هذا من تمام دعاء ابراهيم واصحابه ومما فيه اسوة حسنة يقتدى به فيها وقيل هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا هذا القول والتوكل هو تفويض الامور الى الله والانابة الرجوع والمصير المرجع وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا الظاهر انه دعاء متعدد لارتباط الكل بسابقه كالجمل المعدودة وليس هو وما بعده بدلا مما قبله كما قيل لعدم اتحاد المعنيين لا كلا ولا جزءا ولا ملابسة بينهما سوى الدعاء قال الزجاج لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما اصابهم ذلك وبه قال ابن عباس وقال ايضا لا تسلطهم علينا فيفتنونا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز اي الغالب الذي لا يغالب الحكيم ذو الحكمة البالغة

في ملكه وصنعه لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم والذين معه في التبري من الكفار اسوة اي قدوة حسنة ذكر هذا اللفظ المبالغة في التحريض على الحكم والتاكيد على الانسان بابراهيم وقومه ولهذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وقيل ان هذا نزل بعد الاولى بمدة قال ابن عباس اي في صنيع ابراهيم كله الا في الاستغفار لابيه وهو مشرك لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ان هذه الاسوة انما تكون لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة او يطمع في الخير من الله في الدنيا والآخرة بدل اشتمال من لكم باعادة الجار قال المحلي تبعا للكواشي وقال ابو حيان وغيره بدل بعض من كل ومن يتول الله اي يعرض عن التاسي بابراهيم وامته فان الله هو الغني عن خلقه الحميد الى اوليائه لم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به فلما نزلت هذه الآية وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ذلك بان يسلموا فيصيروا من اهل دينكم وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن اسلامهم ووقعت بينهم وبين من تقدمهم في الاسلام مودة وجاهدوا وفعلوا الافعال المقربة الى الله وقيل المراد بالمودة هنا تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فصار معاوية خال المؤمنين قاله ابن عباس ولا وجه لهذا التخصيص وان كان من جملة ما صار سببا الى المودة فان اباسفيان بعد ذلك تراخى ما كان عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم لم تحصل المودة الا باسلامه يوم الفتح وما بعده وعن ابي هريرة قال اول من قاتل اهل الردة على اقامة دين الله ابو سفيان بن حرب وفيه نزلت هذه الآية وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل اباسفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فكان اول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال وهو فيمن قال الله فيه عسى الله ان يجعل الآية وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان اباسفيان قال يا رسول الله ثلاث اعطنيهن قال نعم قال تومّرني حتى اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وعندي احسن العرب واجملها ام حبيبة بنت ابي سفيان ازوجكها الحديث قال محمد بن ابراهيم الوزير في التنقيح ما لفظه قال ابن حزم هذا موضوع لا شك في وضعه والآفة فيه عن عكرمة بن عمار قلت قد رد الحفاظ على

لان من لم يعلم موصول يطلق على المؤنث المتصف بالوجاهة من الفاضلين ولا شك ان ذلك بعض الفاضلين لكن لا بد من تقدير شيء ليتم الكلام وتقديره من كان يرجو الله واليوم الآخر منكم والتقييد بهم لبعضهم وذكر شرط في مثل هذا الاشتمال ان لا يكون بعضا فاهم جعلوا هذا بعد الاشتمال الذي يكون بين الكل والبعض فلا يستقيم الحصر والتفصيل من ذلك

الكاف والنون والهاء والميم ضمير الجمع المذكر العاقل مع الرسول والعموم وبدل الاشتمال من حيث الوصل لا من حيث صدق احدهما على الآخر لان الموصول لا يصدق على نفسه فضلا عن غيره ولا على ما يشتمل عليه وظاهر كلامهم وظاهر قاله بعضهم ولا يخفى ما فيه من بعد من الاشتمال بان من يرجو الله واليوم الآخر يتضمن التاسي بابراهيم والذين معه ان تبرأ من قاتل عمه لابيه ان تبرأ من قاتل عمه لابيه ان تبرأ من قاتل عمه لابي

ابن حزم ما ذكره وجمع ابن كثير الحافظ جزءا مفردا في بيان ضعف كلامه وفي الحديث غلط ووهم في اسم المخطوب لها النبي صلى الله عليه وسلم وهي عزة اخت ام حبيبة خطب ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته لها اختها ام حبيبة كما ثبت في الصحيحين فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بتحريم الجمع بين الاختين وقد ذكر له تاويلات كثيرة هذا اقربها والموجب للتاويل ما علم من تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة قبل اسلام ابي سفيان انتهى كلامه رحمه الله تعالى وَاللّٰهُ قَدِيرٌ اي بليغ القدرة كثيرها على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ اي بليغهما كثيرهما للمسلم من المشركين ثم لما ذكر سبحانه ما ينبغي للمؤمنين من معاداة الكافرين وترك مواددتهم فصل القول فيمن يجوز برّه منهم ومن لا يجوز فقال لا يَنْهٰكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِيْنَ لَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ اي لا ينهاكم عن هؤلاء اَنْ تَبَرُّوْهُمْ وتكرموهم وتحسنوا اليهم فهو فعل وهذا بدل من الموصول بدل اشتمال عن عبد الله بن الزبير قال قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا اضباب واقط وسمن وهي مشركة فابت اسماء ان تقبل هديتها او تدخلها بيتها حتى ارسلت الى عايشة ان سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته فانزل الله هذه الآية فامرها ان تقبل هديتها وتدخلها بيتها اخرجه احمد والبزار وابو يعلى وغيرهم وزاد ابن ابي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن اسماء بنت ابي بكر قالت اتتني امي راغبة وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم اصلها فانزل الله لا ينهاكم الآية فقال نعم صلي امك وَتُقْسِطُوْٓا اِلَيْهِمْ اي تفضوا اليهم بالقسط وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر يقال اقسطت الى الرجل اذا عاملته بالعدل قال الزجاج للمعنى وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ اي العادلين ومعنى الآية ان الله سبحانه لا ينهى عن براهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ان لا يظاهروا الكفار عليهم ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل هذا الحكم كان ثابتا في الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وقيل هي خاصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه

وبينه عهد قاله الحسن وقال الكلبي هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف وقال مجاهد هي خاصة في الذين امنوا ولم يهاجروا وقيل هي خاصة بالنساء والصبيان وحكى القرطبي عن اكثر اهل التاويل انها محكمة وهو الاولى لحديث اسماء المتقدم المتفق عليه ثم بين سبحانه من لا يحل بره ولا العدل في معاملته فقال إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وهم صناديد الكفر من قريش وعتاة اهل مكة وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ اي عاونوا الذين قاتلوكم واخرجوكم على ذلك وهم سائر اهل مكة ومن دخل معهم في عهدهم أَنْ تَوَلَّوْهُمْ بدل اشتمال من الموصول كما سلف وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اي الكاملون في الظلم لانهم تولوا من يستحق العداوة لكونه عدوا لله ولرسوله ولكتابه وجعلوهم اولياء لهم وفيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها ولما ذكر سبحانه حكم فريقي الكافرين في جواز البر والاقساط للفريق الاول دون الثاني ذكر حكم من يظهر الايمان فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة او لانهن مشارفات لاتيانهن يالامتحان مُهَاجِرَاتٍ من بين الكفار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا يوم الحديبية على ان يرد عليهم من جاءهم من المسلمين فلما هاجرت اليه النساء ابى الله ان يُرْدَدْنَ الى المشركين وامر بامتحانهن فقال فَامْتَحِنُوهُنَّ اي فاختبروهن بالحلف اي هل هن مسلمات حقيقة او لا وقد اخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء مسلمات فانزل الله يا ايها الذين امنوا حتى بلغ ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك واخرجه ايضا من حديث ما باطول من هذا وعنه وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عاتق فجاء اهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعها اليهم حتى انزل الله في المؤمنات ما انزل فقد اختلف فيما كان يمتحنهن به فقيل كان يستحلفن بالله ما خرج من بغض زوج ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا وما خرج الا حبا لله ولرسوله ورغبة في دينه فاذا حلفت كذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها اليه قال ابن عباس كان اذا جاء المرأة النبي صلى الله عليه وسلم حلفها عمر بالخطاب بالله ما خرجت رغبة بارض عن ارض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله اخرجه الطبراني وغيره باسناد حسن وقيل الامتحان ان تشهد ان لا اله

الا الله وان محمدا رسول الله فاذا علموا ان ذلك حق منهن لم يرجعن الى الكفار واعطى بعلها في الكفار الذين عقد طهر رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقها الذي اصدقوها واحلهن للمؤمنين اذا اتوهن اجورهن قال ابن عباس وقيل ما كان الامتحان الا بان يتلو عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وهي يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى اخرها واختلف اهل العلم هل دخل النساء في عهد الهدنة ام لا على قولين فعلى القول بالدخول تكون هذه الاية مخصصة لذلك العهد وبه قال الاكثر وعلى القول بعدمه لا نسخ ولا تخصيص الله اعلم بايمانهن معترضة لبيان ان حقيقة حالهن لا يعلمها الا الله سبحانه ولم يتعبدكم بذلك وانما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعواهن في الرغوب في الاسلام فان علمتموهن مؤمنات اي علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي امرتم به وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله لا تقف ما ليس لك به علم وقال الكرخي المراد بالظن العلم وسمي علما لدنوه منه كالعلم في وجوب العمل به ففي الكلام استعارة تبعية فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكافرين هذا ناسخ لشرط الرد بالنسبة للنساء على مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعضهم ليس من قبيل النسخ وانما هو من قبيل التخصيص او تقييد المطلق لان العقد اطلق في رد من اسلم فكان ظاهرا في عموم الرجال مع النساء فبين الله خروجهن عن عمومه وفرق بين الرجال والنساء بان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان او طمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته كذا في الخطيب لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن تعليل للنهي عن ارجاعهن والجملة الاولى في محل الحال والثانية لنفيه فيما يستقبل من الزمان وفيه دليل على ان المؤمنة لا تحل لكافر وان اسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها لا مجرد هجرتها والتكرير لتاكيد الحرمة والاول لبيان زوال النكاح والثاني لامتناع النكاح الجديد وانوهم خطاب لولاة الامور والامر للوجوب فيكون منسوخا او للندب كما هو مذهب الشافعي فليس منسوخا اي واعطوا ازواج هؤلاء اللاتي هاجرن واسلمن ما انفقوا اي مثل ما انفقوا عليهن من المهور قال الشافعي واذا طلبها غير الزوج من قرابتها منع منها بلا عوض عن ابن عباس قال نزلت سورة الممتحنة

بعد ذلك الصلح فكان من اسلم من نسائهم تسأل ما اخرجك فان كانت خرجت فرارا من زوجها او رغبة
رُدّت وان كانت خرجت رغبة في الاسلام امسكت ورد على زوجها مثل ما انفق ووجوب الايتاء
اوند به انما هو في نساء اهل الذمة كما هو مورد الآية فانها وردت في شأن اهل مكة الذين هادنهم
صلى الله عليه وسلم واما نساء الحربيين الذين لم يعقد لهم عهد فلا يجب ولا يسن ردّ مهورهن انفاقا وبه قال قتادة
والامر كما قال ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات فقال وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بشرط
وهو انقضاء العدة فيما اذا كانت المسلمة مدخولا بها والولي والشاهدان وبقية شروط الصحة في المدخول
بها وغيرها لانهن قد صرن من اهل دينكم وان كان ازواجهن الكفار لم يطلقوهن لانفساخ العقد بالاسلام
إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ اي مهورهن وذلك بعد انقضاء عدتهن كما تدل عليه ادلة وجوب
العدة وقال ابو حنيفة رح المهر اجر البضع فلا عدة على المهاجرة والاول اولى وبه قال الاوزاعي والليث و
الشافعي واحمد وفي الآية رد لما يتوهم من ان رد المهر الى ازواجهن الكفار مغن عن تجديد مهرهن
اذا تزوجهن المسلمون فالمهر المدفوع للكفار لا يقوم مقام المهر الذي يجب على المسلم اذا تزوجهن والمراد
بايتاء المهر التزامه وان لم يدفع بالفعل وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ قرأ الجمهور تمسكوا بالتخفيف من الامساك
واختارها ابو عبيد لقوله فامسكوهن بمعروف وقرئ بالتشديد من التمسك وهما سبعيتان والعصم
جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب والمراد هنا عصمة عقد النكاح والكوافر جمع كافرة وهي
التي بقيت في دار الحرب او لحقت بدار الحرب مرتدة اي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية
والمعنى ان من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين قال النخعي هي المسلمة
تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يزوجون المسلمين والمسلمون يزوجون المشركات ثم نسخ ذلك
بهذه الآية وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من اهل الكتاب وقيل عامة في جميع الكوافر مخصصة
باخراج الكتابيات منها وقد ذهب جمهور اهل العلم الى انه اذا اسلم وثني او كتابي لا يفرق بينهما الا
بعد انقضاء العدة وقال بعض اهل العلم يفرق بينهما بمجرد اسلام الزوج وهذا انما هو اذا كانت المرأة مدخولا
بها واما اذا كانت غير مدخول بها فلا خلاف بين اهل العلم في انقطاع العصمة بينهما بالاسلام اذ لا عدة
عليها عن ابن عباس قال اسلمت عمر بن الخطاب وتاخرت امرأته في المشركين فانزل الله ولا تمسكوا بعصم الكوافر
وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ اي اطلبوا مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها وليسألوا ما انفقوا من

مهور نسائهم للهاجرات ممن تزوجها منافقال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدة الى الكفار
من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاءت امرأة من الكفار الى المسلمين
واسلمت ردوا مهرها على زوجها الكافر قال الخطيب وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين واطال سليمان
الجمل في بيان ذلك ذلكم المذكور من ارجاع المهور من الجهتين حكم الله وقوله يحكم بينكم مستأنفة
او حالية والله عليم حكيم اي بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في اقواله وافعاله قال القرطبي
وكان هذا مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع المسلمين ولما نزلت الاية المتقدمة
قال المسلمون رضينا بحكم الله ولكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم اي فغنمتم من مهور النساء المسلمات وقيل المعنى وان افلتت منكم احد من نسائكم
الى الكفار فارتدت المسلمة واليه نحا الزمخشري فعاقبتم اي فاصبتموهم في القتال بعقوبة قال
الواحدي قال المفسرون اي فغنمتم قال الزجاج تاويله وكانت العقبى لكم اي كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم
وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهور المهاجرات
التي تزوجوها ودفعوه الى الكفار ولا تؤتوه زوجها الكافر سواء كانت الردة قبل الدخول او بعده
فكان الحكم انه يجب للزوج من الغنيمة جميع المهر قال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت
ازواجهم مثلما انفقوا من الفيء والغنيمة وهذه الاية منسوخة قد انقطع حكمها وارتفع بعد الفتح
بشقيه فلا يجب دفع مهر من جاءت مسلمة للكفار ولا مهر من ارتدت لزوجها وبه قال عطاء ومجاهد
وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ورد عليهم ما انفقوا وحاصل معناها ان من ازواجكم يجوز ان يتعلق
بفاتكم اي من جهة ازواجكم ويراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج لان التفسير ورد ان الرجل المسلم
اذا فرت زوجته الى الكفار امر الله المؤمنين ان يعطوا ما غرمه وفعله النبي صلى الله عليه وسلم مع جمع من الصحابة
المذكورين في التفاسير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لشيء تقديره في شيء ان يراد به المهر
ولكن لا بد على هذا من مضاف محذوف اي من مهر ازواجكم ليتطابقا وصفته ويجوز ان يراد
بشيء النساء اي نوع وصنف منهن وهو ظاهر قوله من ازواجكم وقوله فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
والمعنى انهم يعطون من ذهبت زوجته الى المشركين فكفرت ولحقت عليهم المشركون مهرها كما حكم الله مثل
ذلك المهر الذي انفقه عليها من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون اي احذروا ان تتعرضوا

لشيء مما أوجب العقوبة عليكم فان الايمان الذي انتم متصفون به يوجب عليكم ذلك بل اشيء
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك فان قد بايعتك على الاسلام اخرج البخاري والترمذي وغيرهما
عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية الى قوله غفور رحيم
فمن اقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما والله ما مست يده
يد امرأة قط من المبايعات ما يبايعهن الا بقوله قد بايعتك على ذلك وظاهر هذا التركيب ان النساء طلبن
المبايعة مع ان المقرر في السير انه صلى الله عليه وسلم ابتدأهن بالمبايعة شارطا عليهن الشروط الآتية وبعد
ان بايعهن الترضها ويمكن على بعد ان يقال التقدير في الآية اذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن
على ان لا يشركن بالله شيئا من الاشياء كائنا ما كان وهذا كان يوم فتح مكة فان نساء اهل مكة
اتين رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه فامره الله تعالى ان يأخذ عليهن ان لا يشركن به ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن هو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات اي دفنهن احياء خوف
العار والفقر ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن اي لا يلحقن بازواجهن ولدا ليس
منهم قال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى
بين ايديهن وارجلهن في ذلك ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها وليس المراد
هنا انها تنسب لدها من الزنا الى زوجها لان ذلك قد دخل تحت النهي عن الزنا قال ابن عباس كانت
الحرة تولد لها الجارية فتجعل مكانها غلاما وعنه قال في الآية لا يلحقن بازواجهن غيرا ولادهم ولا
يعصينك في معروف في كل امر هو طاعة لله واحسان الى الناس وكل ما امر به الشرع ونهى عنه
والمعروف ما عرف حسنه من قبل الشرع قال عطاء في كل بر وتقوى قال ابن عباس انما هو شرط شرط
الله للنساء وقال المقاتلان عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيوب وخمش الوجوه
والدعاء بالويل ولكن اقال قتادة وسعيد بن المسيب ومحمد بن السائب وزيد بن اسلم ومعنى
القرآن اوسع مما قالوه نزول النوح سبب قيل ووجه التقييد بالمعروف مع كونه صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به
التنبيه على انه لا يجوز طاعة في معصية الخالق اخرج احمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة عن
اميمة بنت رقيقة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعه فاخذ علينا ما في القرآن ان لا نشرك بالله شيئا
حتى بلغ ولا يعصينك في معروف فقال فيما استطعتن واطقتن فقلنا الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا

يارسول الله الا تصافحنا قال اني لا اصافح النساء انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة وفي الباب احاديث واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ اية النساء فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له واخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وغيرهم عن ام سلمة الانصارية قالت قالت امرأة من النسوة ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا ان نعصيك فيه قال لا تنحن قلت يارسول الله ان بني فلان اسعدوني على عمي لا بد لي من قضائهن فابى علي فعاودته مرارا فاذن لي بقضائهن فلم انح بعده ولم يبق من النسوة امرأة الا وقد ناحت غيري واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا نشرك بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت يارسول الله ان فلانة اسعدتني وانا اريد ان اجزيها فلم يقل لها شيئا فذهبت ثم رجعت فقالت ما وفت منا امرأة الا ام سليم وام العلاء وبنت ابي سبرة امرأة معاذ او بنت ابي سبرة وامرأة معاذ وقد وردت احاديث كثيرة في النهي عن النوح فبايعهن على هذا جواب اذا والمعنى اذا بايعنك على هذه الامور فبايعهن اي التزم لهن ما وعدناهن على ذلك من اعطاء الثواب في نظير ما التزمن انفسهن من الطاعات فهو بيع لغوي والبيع في اللغة مقابلة شيء بشيء على وجه العوضية وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها كان كل واحد منهم باع ما عنده بما عند الاخر لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر في بيعتهن اركان الامر وهي ستة ايضا الشهادتان والصلوة والزكوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة لوضوح كون هذه الامور ونحوها من اركان الدين وشعائر الاسلام ولان النهي دائر في كل الازمان وكل الاحوال فكان الاشتراط للتنبيه على الدائم آكد وقيل انما خص الامور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء ولا يحجزهن عنها شرف النسب قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اذ ذاك اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام بهذه الاية انتهى وعن اسماء بنت يزيد بن السكن انها قالت كنت في النسوة المبايعات فقلت يارسول الله ابسط يدك نبايعك فقال اني لا اصافح النساء ولكن اخذ عليهن ما اخذ الله عليهن رواه البخاري وقيل صافحن بحائل اي ثوب لحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء ثم غمس يده فيه

فمن ايدهن فيه والاول اولى واصح وهذا هو البيعة الثابتة بالسنة في دين الاسلام والتي احدثها الصوفية والمشائخ وجهلة المتصوفة فلا تثبت بدليل شرعي ولا اعتداد بها بل هي مصادمة لما ثبت بالكتاب والسنة كما ترى واستغفر لهن الله اي اطلب المغفرة من الله لهن بعد هذه المبايعة لهن منك مما سلف ومما يقع منهن ان الله غفور رحيم اي بليغ المغفرة بتحقيق ما سلف وكثير الرحمة لعباده بتوفيق ما التئف يا ايها الذين امنوا لما افتتح السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار اولياء ختمها بمثل ذلك تاكيدا لعدم موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عنها قاله ابو حيان وهذا على منوال رد العجز على الصدر من حيث المعنى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم جميع طوائف الكفر وقيل اليهود خاصة وقيل المنافقون خاصة وقال الحسن اليهود والنصارى والاول اولى لان جميع طوائف الكفر تتصف بان الله سبحانه غضب عليها قال ابن عباس في الاية كان عبد الله بن عمرو زيد بن الحارث يوالان رجلا من اليهود فانزل الله هذه الاية قد يئسوا من الاخرة يرد على هذا انهم طامعون في ثواب الاخرة لانهم يعتقدون انهم على حق وان تمسكهم بشريعة موسى ينفعهم فلا يكونوا ايسين ويمكن ان يقال ان المراد باليأس الحرمان اي قد حرموا من ثواب الاخرة ومن لابتداء الغاية اي انهم لا يوقنون بالاخرة البتة بسبب كفرهم قال ابن مسعود اي لا يؤمنون بها ولا يرجونها كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث وقيل كما يئس الكفار الذين قد ماتوا منهم من خير الاخرة لانهم قد وقفوا على الحقيقة وعلموا انه لا نصيب لهم في الاخرة فيكون من على الوجه الاول ابتدائية وعلى الثاني بيانية والاول اولى وقيل تبعيضية اي حال كونهم بعض اصحاب القبور اذ المقبورون فيهم المؤمن والكافر قال ابن مسعود كما يئس الكافر اذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وقال ابن عباس هم الكفار اصحاب القبور الذين يئسوا من الاخرة وعنه قال من مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا ان يرجعوا اليهم او يبعثهم الله تعالى ع ٧

سورة الصف وهي اربع عشرة اية وهي مدنية

وهو المختار ونسب الى الجمهور قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس ايضا نزلت بمكة ولعل هذا لا يصح عنه وبه قال عكرمة والحسن وقتادة وجزم به الزمخشري ويؤيد كونها

مدنية ما اخرجه احمد عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا ايكم ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله
اي الاعمال احب الى الله فلم يقم احد منا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا فجمعنا فقرأ علينا
هذه السورة يعني سورة الصف كلها واخرجه ابن ابي حاتم وقال في اخره فنزلت فيهم هذه السورة واخرجه
ايضا الترمذي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقي في الشعب والسنن

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ قد تقدم الكلام على هذا ووجه التعبير في بعض السور
بلفظ الماضي كهذه السورة وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بعضها بلفظ الامر لارشاد الى شرعية التسبيح
في كل الاوقات ماضيها ومستقبلها وحالها وقد قدمنا نحو هذا في اول سورة الحديد وأعاد الموصول
هنا وفي الحشر والجمعة والتغابن جريا على الاصل واسقط في الحديد موافقة لقوله فيها له ملك السموات
والارض وقوله هو الذي خلق السموات والارض ولم يقل سبح لله السموات والارض وما فيهما فيكون
اكثر مبالغة لان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض
وما فيها وهُوَ الْعَزِيزُ اي الغالب الذي لا يغالب الْحَكِيمُ في افعاله واقواله يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ
مَا لَا تَفْعَلُونَ هذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ على جهة الانكار اي لم تقولون من الخير ما لا تفعلونه ولم
مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية وحذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالها كما في نظائرها وهي لام الاضافة
كقولك فيم وفيم ومم ومم وعم وفي مم وعلى م وانما حذفت الالف لان ما وحرف الجر كشيء واحد ووضع استعمالها
كثير في كلام المستفهم حذفوا الالف وقد جاء استعمال الاصل قليلا كقولهم على ما قام يشتمني
جرير عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون وددنا لو ان الله اخبرنا
باحب الاعمال فنعمل به فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان احب الاعمال ايمان بالله لا شك فيه وجهاد
اهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك اناس من المؤمنين وشق
عليهم امره فقال الله لم تقولون ما لا تفعلون قال النخعي ثلاث آيات في كتاب الله منعتني ان اقضي على
الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وهذه الاية ثم ذمهم توبيخا
على ذلك فقال كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ اي عظم ذلك في المقت وهو اشد البغض
والمقت والمقاية مصدران يقال مقت ومقوت اذا لم يحبه للناس قال الكسائي ان تقولوا في موضع

رفع لان كبر فعل بئس ومقتا منتصب على التمييز وعلى هذا فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالنكرة وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل انه قصد بقوله كبر التعجب وقد عد ابن عصفور من افعال التعجب المبوب لها أفعل الى والبه نحا الزمخشري وقال هذا من افصح الكلام وابلغه ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله قال السمين وهذه قاعدة مطردة وهي ان كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى على فعل بضم العين ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام وقيل انه لا يجيء من افعال الذم ولا من افعال التعجب بل هو مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول عن الفاعل قال ابن عباس هذه الاية في القتال وحده وهم قوم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الرجل قاتلت وضربت بسيفي ولم يفعل فنزلت ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا قال المفسرون ان المؤمنين قالوا ودونا ان الله يخبرنا باحب الاعمال اليه حتى نعمله ولو ذهبت فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله هذه الاية وانتصاب صفا على المصدرية والمفعول محذوف اي يصفون انفسهم صفا وقيل هو مصدر في موضع الحال اي صافين او مصفوفين قرأ الجمهور يقاتلون على البناء للفاعل وقرأ زيد بن علي على البناء للمفعول وقرئ يقتلون بالتشديد وجملة كأنهم بنيان مرصوص في محل نصب على الحال من فاعل يقاتلون او من الضمير في صفا على تقدير انه مؤول بصافين او مصفوفين ومعنى مرصوص ملتزق بعضه ببعض يقال رصصت البناء ارصه رصا اذا ضممت بعضه الى بعض وقال الفراء مرصوص بالرصاص قال المبرد هو ما حوذ من رصصت البناء اذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة وقيل هو من الترصير وهو ضم الاشياء بعضها الى بعض والتراص التلاصق وقيل المتلائم الاجزاء المستوية وقال ابن عباس في الاية مثبت لا يزول ملصق بعضه على بعض وقيل اريد استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض والاول اولى ولما ذكر تعالى الجهاد المشتمل على المشاق وانه يحب المقاتلين في سبيله ذكر قصتي موسى وعيسى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذى قومه وبين انهما امرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وجعل العقاب لمن خالفهما مبتدئا بقصة موسى لتقدمه في الزمان فقال وإذ قال موسى لقومه اي اذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين وقت قول موسى ويجوز ان يكون وجه ذكر قصة موسى وعيسى بعد محبة المجاهدين في سبيل الله التحذير لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى وعيسى معهما يا قوم لم تؤذونني هذا مقول القول اي لم تؤذونني بخالفة ما امركم

به من الشرائع التي افترضها الله عليكم زيادة النشم والانتقاص ومن ذلك رميه بالادرة وقد تقدم بيان
هذا في سورة الاحزاب وجملة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم في محل نصب على الحال وقد لتحقيق
العلم ولتأكيده لا للتقريب ولا للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى كيف تؤذونني
مع علمكم بالملك والرسول يحترم ويعظم ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات
التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي وتفيدكم العلم بها علما يقينيا فلما زاغوا عن الايمان واصروا
على الزيغ واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم عن الهدى وصرفها عن قبول الحق وقيل صرفها عن الثواب
قال مقاتل لما عدلوا عن الحق اي بايذاء نبيهم امال الله قلوبهم عنه جزاء بما ارتكبوا والمعنى لما تركوا
اوامره نزع نور الايمان من قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم اي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع
الحق والله لا يهدي القوم الفاسقين هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها قال الزجاج لا يهدي
من سبق في علمه انه فاسق والمعنى انه لا يهدي كل متصف بالفسق وهؤلاء من جملتهم وان من اسلم
منهم لم يكن كافرا في علمه اي محتوما عليه بالكفر بحيث يموت عليه واذ قال عيسى ابن مريم معطوف
على اذ قال موسى معمول لعامله او معمول لعامل مقدر معطوف على عامل الظرف الاول يا بني اسرائيل
ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب ولا اب له فيهم فيكونوا قومه وامه مريم من اشرافهم تنسب الي
رسول الله اليكم اي ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة حال كوني مصدقا لما بين
يدي من التوراة لا لاجيء لكم بشرع يخالف التوراة بل هي مشتملة على التبشير بي فكيف تنفرون عني و
تخالفوني وذكر اشهر الكتب الذي حكم به النبيون واشهر الرسل الذي هو خاتم المرسلين ومبشرا برسول
يأتي من بعدي واذا كنت كذلك في التصديق والتبشير فلا مقتضى لتكذيبي وقرئ بعدي بفتح الياء
وباسكانها اسمه احمد هو نبينا صلى الله عليه وسلم وهو علم منقول من الصفة وهي تحتمل ان تكون مبالغة من
الفاعل فيكون معناها انه اكثر حمد الله من غيره او من المفعول فيكون معناها انه يحمد بما فيه من خصال
الخير اكثر مما يحمد غيره وبالاعتبار الاول قدم عيسى هذا الاسم على اسم محمد لان كونه حامدا لله سابق على
حمد الخلق له لانهم لم يحمدوه الا بعد وجوده في الخارج وحمده لربه كان قبل حمد الناس له وقال الكرخي
انه انما خصه بالذكر لانه في الانجيل مسمى بهذا الاسم ولانه في السماء احمد فذكر باسمه السماوي لانه احمد الناس لربه
بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لامته سابق على احمد هو له تعالى اخرج البخاري ومسلم وغيرهما

عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وفي بعض حواشي البيضاوي ان له اربعة آلاف اسم وان نحو سبعين منها من اسمائه تعالى انتهى والحق ان اسماء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم توقيفية لا يزاد عليها ولا يدعى ولا يسمى بغيرها فلما جاءهم عيسى بالبينات اي بالمعجزات والآيات قالوا هذا الذي جاء نابه سحر مبين اي واضح ظاهر وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة والاول اولى بل هو المتبادر من السياق وهما قولان حكاهما المفسرون قرأ الجمهور سحر وقرئ ساحر وهما سبعيتان ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي لا احد اكثر ظلما منه حيث يفتري على الله الكذب بنسبة الشريك والولد اليه ووصف اياته بالسحر وهو يدعى الى الاسلام اي والحال انه يدعى اي يدعوه ربه على لسان نبيه الى دين الاسلام الذي هو خير الاديان واشرفها وفيه سعادة الدارين لان من كان كذلك فحقه ان لا يفتري على غيره الكذب فكيف يفتريه على ربه قرأ الجمهور يدعى من الدعاء مبنيا للمفعول وقرئ يدّعى من الادعاء مبنيا للفاعل وانما عدي بالى لانه ضمن معنى الانتماء والانتساب والله لا يهدي القوم الظالمين جملة مقررة لمضمون ما قبلها والمعنى لا يهدي الى الصف بالظلم والمذكورون من جملتهم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم الاطفاء الاخماد واصله في النار واستعير ليجري مجراها من الظهور والمراد بالنور القرآن اي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن زيد او المراد الاسلام قاله السدي او محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك او الحجج والدلائل قاله ابن بحر نور الله استعارة تصريحية والاطفاء ترشيح وقوله بافواههم فيه تورية وكذا قوله نوره ولكن قوله متم يجرد له ترشيحا والمراد بالنور جميع ما ذكر ومعنى بافواههم باقوالهم الخارجة من افواههم التي لا منشأ لها غير الافواه دون الاعتقاد في القلوب المتضمنة للطعن مثلث حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه تهكما بهم وسخرية قال ابن عطية اللام في ليطفئوا لام مؤكدة مزيدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون ان يطفئوا واكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم كقولك لزيدا ضربت ولرؤيتك قصدت وقيل هي لام العلة والمفعول محذوف اي يريدون ابطال القرآن او دفع الاسلام او هلاك الرسول ليطفئوا وقيل انها بمعنى ان الناصبة وانها ناصبة بنفسها قال الفراء العرب تجعل لام كي في موضع ان في اراد وامر واليه ذهب الكسائي ومثل هذا قوله يريد الله

ليطفئوا ... ان يطفئوا

ليبين لكم والله متم نوره باظهاره في الآفاق وسائر البلاد من المشارق الى المغارب بما لا يحمل غيره
ومتم الحق ومبلغه غايته فرئ متم نوره بالاضافة سبعية وبتنوين ولو كره الكافرون ذلك فانه كائن
لا محالة هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي البيان للشافي بالقرآن او المعجزات ودين الحق اي الملة
المحقة وهي ملة الاسلام ليظهره على الدين كله اي ليعلمه ظاهرا على جميع الاديان المخالفة
لها عاليا عليها غالبا لها قال الخطيب فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو
كره المشركون فما الحكمة في ذلك اجيب بانه تعالى ارسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون
كلهم في كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك
فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر اليق به واما قوله ولو كره المشركون
فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء الدعوة امر بالتوحيد
بلا اله الا الله فلم يقولوا فلهذا قال ولو كره المشركون ذلك فانه كائن لا محالة ولعمري لقد فعل
فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وقال مجاهد ذلك اذا نزل عيسى ابن مريم
في الارض حين لا دين الا الاسلام والدين مصدر يعبر به عن الاديان للتعددة وجواب لو في الموضعين
محذوف لايجازه واظهره والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم الاستفهام
ايجاب واخبار في المعنى وذكر بلفظ للتشريف لكونه اوقع في النفس قيل المعنى ساد لكم وهذا خطاب لجميع
المؤمنين وقيل لاهل الكتاب على تجارة تنجيكم من عذاب اليم جعل العمل المذكور بمنزلة
التجارة لانهم يربحون فيه كما يربحون فيها وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار قرأ الجمهور تنجيكم
من الانجاء وقرئ من التنجية وهما سبعيتان عن ابي هريرة قال قالوا لو كنا نعلم اي الاعمال احب الى الله
فنزلت هذه الاية فكرهوا فنزلت لم تقولون ما لا تفعلون الى قوله بنيان مرصوص اخرجه ابن مردويه
قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون قال وددت يا نبي الله اعلم اي التجارات احب الى الله فانجر فيها
ثم بين سبحانه هذه التجارة التي دل عليها فقال تؤمنون بالله ورسوله اي تدومون على الايمان لان
الخطاب مع المؤمنين وتؤمنون خبر بمعنى الامر للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه
وقرأ ابن مسعود امنوا وجاهدوا على الامر وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر كالاختفاء ومعنى
عطف بيان لتجارة والاول ان تكون الجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم

ان الاتيان بالمضارع للاشعار بالتجدد والاستمرار والمعنى لتقصدان الايمان والجهاد بعد ما تبين ان الايمان والجهاد خير الاشياء وتجعلانهما دأبكم وشغلكم وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى دوموا على ما انتم عليه من الايمان والجهاد وقيل للمنافقين والمعنى آمنوا ظاهرا وجاهدوا في سبيل الله باخلاص النية

وانفسكم قدم ذكر الاموال على الانفس لانها هي التي يبدء بها في الانفاق والتجهز الى الجهاد ولعزتها في ذلك الوقت او لانها اقوام النفس وهذا بمنزلة الثمن الذي يدفعه المشتري ذلكم اي ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم اي هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم او من كل شيء ان كنتم تعلمون اي ان كنتم ممن يعلم فانكم تعلمون انه خير لكم اذ لا كنتم من اهل الجهل فانكم لا تعلمون ذلك وانتم يغفر لكم ذنوبكم هذا بمنزلة المبيع الذي ياخذه المشتري من البائع في مقابلة الثمن المدفوع له وهذا جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر ولهذا اجزم وقال الزجاج والمبرد تؤمنون في معنى امنوا والذي جاء يغفر لكم مجزوما وقال الفراء هذا جواب الاستفهام فجعله مجزوما لكونه جوابه وقد غلطه بعض اهل العلم قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا وقال الرازي في توجيه قول الفراء ان هل ادلكم في معنى الامر عند يقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء امر وقيل يغفر لكم مجزوم بشرط مقدر اي ان تؤمنوا يغفر لكم وقرئ بالادغام في يغفر لكم والاولى تركه لان الراء حرف متكرر فلا يحسن ادغامه في اللام ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار قد تقدم بيان كيفية جري الانهار من تحت الجنات مرارا والمعنى من تحت اشجارها وغرفها ومساكن طيبة اي قصورا من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا او وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما ياتي على ذلك كله رواه الحسن عن عمران بن حصين وابي هريرة مرفوعا ذكره الخطيب ولينظر في سنده وصحته في جنات عدن اي في جنات اقامة وخلود ذلك المذكور من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده ولا ظفر الذي لا ظفر بما نائله وله ذكر نعمة اخرى تحبونها وقال الاخفش والفراء معطوفة على تجارة اي في محل خفض اي وهل ادلكم على خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وقيل هي في محل رفع اي ولكم خصلة اخرى وقيل في محل نصب اي ويعطيكم خصلة اخرى وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل ثم بين سبحانه هذه الاخرى فقال نصر اي هي نصر من الله لكم وفتح قريب

يفتحه عليكم وقيل نصر بدل من اخرى على تقدير كونها في محل رفع وقيل التقدير ولكم نصر وفتح قريب قال الكلبي يعني النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ معطوف على محذوف اي قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون لانه في معنى الامر والمعنى وبشر يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح وهذا ما جرى عليه الكشاف اور بشرهم بالنصر في الدنيا والفتح وبالجنة في الاخرة او وبشرهم بالجنة في الاخرة ووضع الاظهار موضع الاضمار للاشعار بان صفة الايمان هي التي تقتضي هذه البشارة ثم خص سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ اي دوموا على ما انتم عليه من نصرة الدين قرئ انصار الله بالتنوين وبالاضافة والرسم يحتمل القراءتين معا واختار ابو عبيد الاضافة لقوله نحن انصار الله بالاضافة وهي سبعية واللام يحتمل ان تكون مزيدة في المفعول لزيادة التقوية او غير مزيدة والاول اظهر قال قتادة قد كان ذلك بحمد الله جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة وآووه ونصروه حتى اظهر الله دينه كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ اي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله فقالوا لنحن انصار الله والكاف في كما نعت مصدر محذوف اي كونوا كونا كما قال قاله سيبويه وفيه نظر اذ لا يؤمرون بان يكونوا كونا وقيل الكاف في محل نصب على اضمار القول اي قلنا لهم ذلك كما قال عيسى وقيل هو كلام محمول على معناه دون لفظه واليه نحا الزمخشري والمعنى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله والباء بمعنى مع اي مع الله وقيل التقدير من انصاري فيما يقرب الى الله وقيل التقدير من انصاري متوجها الى نصرة الله وقد تقدم الكلام على هذا في سورة آل عمران قَالَ الْحَوَارِيُّونَ هم انصار المسيح وخلص اصحابه واول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخاصته من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها وفي المختار التحوير تبييض الثياب نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ من اضافة الوصف الى مفعوله اي نحن الذين ينصر الله اي ينصر دينه عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفر الذين لقوه بالعقبة اخرجوا الي اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم اخرجه ابن سعد وابن اسحق وعن محمود بن لبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء انكم كفلاء على قومكم ككفالة

٦١ فان قال فان قالت اليهود نحن انصار الله كما قال عيسى لقومه من انصاري الى الله فقولوا انتم نحن انصار الله كما قال الحواريون فنحن اولى بهذا القول لانا انصار محمد وهو اقرب الى الله من عيسى فالجواب ان الله تعالى انما حكى عن الحواريين انهم قالوا نحن انصار الله على سبيل التواضع من غير تزكية لانفسهم ولا قطع لها بذلك بل على سبيل الرجاء والاستدعاء لان يجعلهم الله من انصاره ولا يلزم من ذلك ان يقطع لهم بذلك ولا يشهد لهم به فكذلك القول في امة محمد صلى الله عليه وسلم

الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل قومي قالوا نعم اخرجه ابن سعد فامنت طائفة من بني اسرائيل بعيسى عليه السلام وكفرت طائفة به وذلك لانهما لما اختلفوا بعد رفعه تفرقوا وتقاتلوا فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلعم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم اي قوينا المحقين منهم على المبطلين وقال ابن عباس اي ايدنا الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامته على عدوهم وقيل المعنى فايدنا الآن المسلمين على الفرقتين جميعا فاصبحوا ظاهرين اي صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل غالبين قاهرين في اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستخفون منه ع ٥

سورة الجمعة احدى عشرة اية بلا خلاف وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله واخرج مسلم واهل السنن عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في الجمعة سورة الجمعة واذا جاءك المنافقون واخرجوا عن ابن عباس نحوه واخرج ابن حبان والبيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرء في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرء في صلوة العشاء الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموت وما في الارض اي ينزهه فاللام زائدة وفي ذكر ما تغليب للاكثر وهو ما لا يعقل وقال النسفي التسبيح اما ان يكون تسبيح خلقة يعني اذا نظرت الى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله وتنزيهه عن الاشباء او تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يدرء به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك الملك القدوس العزيز الحكيم قرء الجمهور بالجر في هذه الصفات الاربع على انها نعت لله وقيل على البدل والاول اولى وقرئ بالرفع على اضمار مبتدء وقولوا

القدوس بضم القاف وقرئ بفتحها وقد تقدم تفسيره عن ميسرة ان هذه الآية يعني اول سورة
الجمعة مكتوبة في التوراة بسبعة اية هو الذي بعث ارسل في الاميين اي اليهم والمراد بهم العرب من
كان يحسن بالكتابة منهم ومن لا يحسنها لانهم لم يكونوا اهل كتاب والامي في الاصل الذي لا يكتب
ولا يقرأ المكتوب وكان غالب العرب كذلك وقال المسيبي الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا
يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل
الانبار انتهى وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اخرجه البخاري ومسلم
وغيرهما رسولا منهم اي من انفسهم ومن جنسهم ومن جملتهم كما في قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
وما كان حي من احياء العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه ووجه الامتنان بكونه
منهم ان ذلك اقرب الى الموافقة لان الجنس يميل الى جنسه واقرب اليه وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا
لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي ركونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على
ما اتى به من الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى
صدقه والاقتصار هنا في المبعوث اليهم على الاميين لا ينافي انه مرسل الى غيرهم لان ذلك مستفاد من دليل
اخر كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس يتلو عليهم اياته يعني القرآن مع كونه اميا لا يقرء ولا يكتب
ولا تعلم ذلك من احد بالجملة تعالى او نعت لرسولا وكذا ما قبله ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الكفر والذنوب
قاله ابن جريج ومقاتل وقيل من الشرك وخبائث الجاهلية وقال السدي يأخذ زكوة اموالهم وقيل يحملهم
ازكياء القلوب بالايمان وقال الكرخي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من حيث العقائد ويعلمهم الكتاب
والحكمة الجملة صفة ثالثة لرسولا والمراد بالكتاب القرآن والحكمة السنة كذا قال الحسن وقيل الكتاب
الخط بالقلم والحكمة الفقه في الدين كذا قال مالك بن انس وقيل المراد بالكتاب الفرائض وان كانوا
من قبل اي من قبل بعثته فيهم ومجيئه اليهم لفي ضلال مبين اي في شرك وذهاب عن الحق وكفر
جهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال واضح لا ترى ضلالا اعظم منه
وآخرين منهم مجرور عطفا على الاميين بحذف الجار والمعنى بعثه في الاميين الذين على عهده وبعثه في اخرين منهم او منصوب عطفا على
الضمير المنصوب في يعلمهم اي ويعلم اخرين وكل من يعد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الزمان فرسول الله
صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم او عطفا على مفعول يزكيهم اي يزكيهم

ويزكي آخرين والمراد بالآخرين من جاء بعد الصحابة الى يوم القيامة وقيل المراد بهم من اسلم من غير العرب
وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد الناس كلهم وكذا قال ابن زيد والسدي لما يلحقوا بهم
ذلك الوقت وسيلحقون بهم من بعد وقيل في السبق الى الاسلام والشرف الدرجة وهذا النفي
مستمر دائما لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شانهم احد من التابعين ولا ممن بعدهم فالنفي
هنا غير متوقع الحصول ولذلك لما ورد عليه ان لما النافية ما هو متوقع الحصول والنفي هنا ليس كذلك
فسرها المحلي بلم التي منفيها اعم من ان يكون متوقع الحصول او لا فلما هنا ليست على بابها والضمير في هم
ومنهم راجع الى الاميين وهذا يؤيد ان المراد بالآخرين هم من يأتي بعد الصحابة من العرب خاصة
الى يوم القيامة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وان كان مرسلا الى جميع الثقلين فتخصيص العرب هنا القصد الامتنان
عليهم وذلك لا ينافي عموم الرسالة ويجوز ان يراد بالآخرين العجم لانهم وان لم يكونوا من العرب فقد
صاروا بالاسلام مثلهم المسلمون كلهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم وعن ابي هريرة قال كنا
جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فوضع يده على سلمان الفارسي وقال والذي
نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء اخرجه البخاري وغيره واخرجه ايضا
مسلم من حديثه مرفوعا بلفظ لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجال من فارس او قال من ابناء فارس
وعن قيس بن سعد بن عبادة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لو كان الايمان بالثريا لناله ناس من اهل
فارس اخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
في اصلاب اصلاب رجال من اصحابي رجالا ونساء من امتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم اي بليغ العزة والحكمة في تمكينه رجلا اميا من ذلك
الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك اي ما تقدم ذكره او الاسلام قاله
او الوحي والنبوة قاله قتادة او الحاق العجم بالعرب او الدين قاله ابن عباس والفضل الذي اعطاه
محمد صلى الله عليه وسلم وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر قاله النسفي فضل الله يؤتيه
اي يعطيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل العظيم الذي لا يساويه فضل
ولا يدانيه وما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله لهم مثلا فقال

مثل الذين حملوا التورية اي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وقال الجرجاني حملوا من الحمالة بمعنى الكفالة لا من الحمل على الظهر والحمل هو الكفيل اي ضمنوا احكام التوراة ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بموجبها ولا اطاعوا امرها ولم يؤدوا حقها كمثل الحمار الذي هو ابلد الحيوان فخص بالذكر لانه في غاية الغباوة يحمل اسفارا حال او صفة للحمار اذ ليس المراد به حمارا معينا فهو في حكم النكرة اذ المراد به الجنس وقرأ المامون بن هارون الرشيد يحمل مشددا مبنيا للمفعول والاسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ قال ابن عباس اسفارا كتبا اي كبارا من كتب العلم قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل فهكذا اليهود وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم فتر تلا هذه الآية ترذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مضمر ومثل القوم هو المخصوص بالذم او مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بعد اعلى حذف المضاف اليه مثل الذين كذبوا ويجوز ان يكون الموصول صفة للقوم فيكون في محل جر والمخصوص بالذم محذوف والتقدير بئس مثل القوم المكذبين بين مثل هؤلاء والمراد بالآيات محمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من ايات القرآن وقيل المراد ايات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الكافرين على العموم فيدخل فيهم اليهود دخولا اوليا والمراد بهم الذين سبق في علمه انهم لا يؤمنون والا فقد هدى كثيرا من الكفار قل يا ايها الذين هادوا المراد بهم الذين تهودوا وتدينوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام وذلك ان اليهود ادعوا الفضيلة على الناس وقالوا انهم اولياء الله من دونهم كما في قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فامر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس والولي يؤثر الاخرة وصدها وطريقها الموت فتمنوا الموت لتصيروا الى ما تصيرون اليه من الكرامة في زعمكم قرأ الجمهور بضم الواو وقرئ بفتحها تخفيفا وحكى الكسائي ابدال الواو همزة ان كنتم صادقين في هذا الزعم فان من علم انه من اهل الجنة احب الخلوص من هذه الدار ثم اخبر سبحانه بما سيكون منهم في المستقبل من انهم

لا يفعلون ذلك ابدا بسبب ذنوبهم فقال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار والتحريف والتبديل قال الزمخشري ولا فرق بين الاولين في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد وثانيا لم يتمنوه مرة بغير لفظه في ولا يتمنونه قال ابو حيان وعدا رجوع منه عن مذهبه وهو ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب الجماعة وهو انها لا تقتضيه قلت ليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وشريكه بين الاولين في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن بمعنى اخر والله عليم بالظالمين يعني على العموم وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولا اوليا ثم امر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم ان الفرار من الموت لا ينجيهم وانه نازل بهم فقال قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم لا محالة ونازل بكم بلا شك والفاء في فانه داخلة لتضمن الاسم معنى الشرط قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه وقيل انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وقيل ان الكلام قد تم عند قوله تفرون منه ثم ابتدا فقال فانه ملاقيكم ولما كان المقام في البرزخ اسما مهولا لا بد منه نبه عليه وعلى طوله باداة التراخي فقال ثم ترددون الى عالم الغيب والشهادة العلانية وذلك يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون من الاعمال القبيحة ويجازيكم عليها وفيه وعيد وتهديد يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة اي وقع النداء لها والمراد به الاذان اذا جلس الامام والخطيب على المنبر يوم الجمعة لانه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه ثم كان ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا اخر فامر بالتاذين اولا على داره التي تسمى الزوراء فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس على المنبر اذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه احد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشري وقال ابو البقاء ان من بمعنى في كما في قوله اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وجمع الكوابي بينهما قرا الجمهور الجمعة بضم الميم وقرئ باسكانها تخفيفا وهما لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء يقال الجمعة بسكون الميم وبفتحها وبضمها وهي صفة لليوم اي يوم يجمع الناس وقال الفراء ايضا وابو عبيد التخفيف

ع ٨

اخف واقيس نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة عقيل وقيل انما سميت
جمعة لان الله سبحانه جمع فيها خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها
جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس فيها للصلوة وعن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله لاي شيء سمي يوم
الجمعة قال لان فيه جمعت طينة ابيكم آدم وفيه الصعقة والبعثة وفي آخره ثلاث ساعات منها ساعة
من دعا الله فيها بدعوة استجاب له اخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه وعن سلمان قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله اعلم قالها ثلاث مرات ثم قال في الثالثة
هو اليوم الذي جمع الله فيه اباكم آدم افلا احدثكم عن يوم الجمعة الحديث رواه احمد والنسائي وسعيد
بن منصور وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم
الساعة الا في يوم الجمعة اخرجه احمد ومسلم والترمذي وابن مردويه وفي الباب احاديث مصرحة
بانه خلق فيه آدم وورد في فضل يوم الجمعة احاديث كثيرة وكذلك في فضل صلوة الجمعة وعظيم
اجرها وفي الساعة التي فيها وانه يستجاب الدعاء فيها وقد اوضح شيخنا الشوكاني في شرحه للمنتقى بما لا حيف
الناظر فيه الى غيره واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار لبني سالم بن عوف وذلك انه لما قدم المدينة
نزل بقباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في تلك الدار والجمعة فريضة من فرائض الله
بهذا النص من كتاب الله وبما صح من السنة المطهرة وهي الكثير الطيب قد واظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم من
الوقت الذي شرعها الله تعالى فيه الى ان قبضه وحكى ابن المنذر الاجماع على انها فرض عين وزاد ابن
العربي ——— ومن نازع في فرضية الجمعة فقد اخطأ ولم يصب وهي كسائر الصلوات لا يجوز تركها
الا في مشروعية الخطبتين قبلها ومن تامل فيما وقع في هذه العبادة الفاضلة من الاقوال الساقطة
والمذاهب الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة
رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الامور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والامام
الاعظم والحمام ونحوها شروطا لصحة الجمعة او فرضا من فرائضها او ركنا من اركانها فيالله العجب ما يفعل
الرأي باهله ومن يخرج من رؤسهم هذه الخرعبيلات الشبيهة بالقصص والاحاديث الملفقة و
هي عن الشريعة المطهرة بمعزل وكل من ثبت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقيل والقال يعرف هذا

احسن المعرفة ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به في وجهه وتفصيل ذلك في النيل والسيل للشوكاني هذا وقد قال الشيخ الرحماني في حاشيته على التحريران افضل الليالي ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء ضعفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وافضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم يوم الجمعة والليل افضل من النهار فاسعوا الى ذكر الله قال عطاء يعني الذهاب والمشي الى الصلوة وقال الفراء المضي والسعي والذهاب في معنى واحد ويدل على ذلك قراءة عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما فامضوا الى ذكر الله كما سيجيء وقيل المراد القصد قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه قصد بالقلوب والنيات وقيل المراد به السعي على الاقدام وذلك فضيلة وليس بشرط والاول اولى وقيل هو العمل قاله ابن عباس يعني ليس المراد به السرعة في المشي كقوله من اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله ان ليس للانسان الا ما سعى وقول الداعي واليك نسعى ونحفد قال القرطبي وهذا قول الجمهور اي فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والوضوء والتوجه اليه وعن حرشة بن الحر قال رأى معي عمر بن الخطاب لوحا مكتوبا فيه فاسعوا الى ذكر الله فقال من املى عليك هذا قلت ابي بن كعب قال ان أبيا اقرأنا للمنسوخ اقرأها فامضوا الى ذكر الله رواه ابن المنذر وابن الانباري وابن ابي شيبة وابو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وروى هؤلاء غير ابي عبيد عن ابن عمر قال لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقرأ هذه الاية التي هي في سورة الجمعة الا فامضوا الى ذكر الله اخرجه عنه ايضا الشافعي في الام وعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن ابي حاتم واخرجوا كلهم ايضا عن ابن مسعود انه كان يقرأ فامضوا الى ذكر الله قال ولو كان فاسعوا السعي حتى يسقط ردائي وعن ابي انه قرأ كذلك والمراد من ذكر الله هنا صلوة الجمعة وقيل موعظة الامام والاول اولى وقال الجمهور الخطبة وبه استدل ابو حنيفة على ان الخطبة اذا اقتصر على الحمد جاز وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلوة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا اخرجه البخاري ومسلم وهذا الحديث يعم كل صلوة ويدخل فيه صلوة الجمعة فهو كالتفسير للاية وذروا البيع كليه اتركوا المعاملة به ويلحق به سائر المعاملات او اتركوا عقده بتمامه فالخطاب لكل من البائع والمشتري قال الحسن اذا اذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع عن محمد بن كعب ان رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانا يختلفان في تجارة الى الشام فوافقا يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاءا فسمعا

ويقومون فنزلت الآية وذروا البيع فحرم عليهم ما كان قبل ذلك اخرجه عبد بن حميد فالمراد بالآية ترك ما يلهى عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا بالتجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه وابرح وذروا البيع الذي نفعه يسير ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من البيع والتكسب في ذلك الوقت لما في الامتثال من الاجر والجزاء وفي عدمه من عدم ذلك اذ لم يكن من جملة العقوبة وتمسك بهذا الشافعية في ان البيع وقت اذان الخطبة الى انقضاء الصلوة صحيح مع الحرمة قال في الكشاف وعامة العلماء على ان ذلك لا يوجب الفساد كان البيع لم يحرم لعينه بل لما فيه من التشاغل عن الصلوة فهو كالصلوة في الارض المغصوبة وقال مالك ما وقع في الوقت المذكور يفسخ وكذا سائر العقود إن كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فانه لا تخفى عليكم ان ذا لكم خير لكم من مصالح انفسكم فاذا قضيت الصلوة فاذا اذا فعلتم الصلوة وادبتموها وفرغتم منها فانتشروا في الارض للتجارة فيما تحتاجون اليه من امر معاشكم والامر للاباحة وابتغوا اي اطلبوا من فضل الله اي من رزقه الذي يتفضل به على عباده بما يحصل لهم من الارباح في المعاملات والمكاسب وقيل المراد به ابتغاء ما عند الله من الاجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل وقيل هو طلب العلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله اخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا انما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين واذكروا الله ذكرا كثيرا بالشكر له على ما هداكم اليه من الخير الاخروي والدنيوي وكذا اذكروه بما يقربكم اليه من الاذكار كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقصروا اذكره على حالة الصلوة لعلكم تفلحون اي لكي تفوزوا بخيري الدارين وتظفروا بهما واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها سبب نزول هذه الاية انه كان باهل المدينة قافلة وحاجة فاقبلت عير الشام وهم يضربون لقدومها الطبل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثني عشر رجلا في المسجد كما سيجيء قال قتادة بلغنا انهم فعلوا ذلك ثلاث مرار كل مرة تقدم العير من الشام فيوافقها

Digitized by Google

قد وهما يوم الجمعة وقت الخطبة وقيل ضربه اهل المدينة على العادة في انهم كانوا يستقبلونها بالطبل
والتصفيق اوضربه اهل القادم بها الى ثلثة حكاها الخطيب ومعنى انفضوا تفرقوا خارجين اليها و
قال المبرد ما الوا اليها والضمير للتجارة وخصت بارجاع الضمير اليها دون اللهو لانها كانت اهم عندهم
وقيل التقدير واذا رأوا تجارة انفضوا اليها ولهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه
وقيل انه اقتصر على ضمير التجارة لان الانفضاض اليها اذا كان مذموما مع الحاجة اليها فكيف بالانفضاض
الى اللهو وقيل غير ذلك وتركوك في الخطبة قائما على المنبر اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن
عبد الله قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير المدينة فابتدرها اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق منهم الا اثني عشر رجلا انا فيهم وابو بكر وعمر فانزل الله واذا رأوا تجارة
الى اخر السورة وعن ابن عباس في الآية قال جاءت عير عبد الرحمن بن عوف تحمل الطعام فخرجوا من
الجمعة بعضهم يريد ان يشتري وبعضهم يريد ان ينظر الى دحية بن خليفة الكلبي وتركوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر وبقي في المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخرج كلهم لاضطرم عليهم المسجد نارا اخرجه عبد بن حميد وفي الباب روايات متضمنة لهذا اللعن
عن جماعة من الصحابة وغيرهم والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب انهم ظنوا ان
الخروج بعد تمام الصلوة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلوة لانه كان صلى الله عليه وسلم اول الاسلام يصلي
الجمعة قبل الخطبة كالعيد ين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة واخر الصلوة
وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما اخرجه الشيخان وفيه دليل على
ان الخطيب ينبغي ان يخطب قائما واتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة ثم امر الله سبحانه
ان يخبرهم بان العمل للآخرة خير من العمل للدنيا فقال قل لهم تاديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا
الفعل ما عند الله من الجزاء العظيم على الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجنة خير من اللهو ومن التجارة الذين ذهبتم اليهما وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
لاجلهما وانما كان خيرا لانه محقق مخلد بخلاف ما يتوهمونه من نفع التجارة واللهو اذ نفع اللهو ليس بمحقق
ونفع التجارة ليس بمخلد ومنه بعلم وجه تقديم اللهو فان الاعلام تقدم على الملكات والله خير
الرازقين فمنه اطلبوا الرزق واليه توسلوا بجميل الطاعة فانها من اسباب تحصيل الرزق واعظمها تحليه

وتعدادهم انما هو على سبيل المجاز من حيث انه يقال كل انسان يرزق عائلته اي من رزق الله تعالى
والا فالرازق بالحقيقة هو الله وحده ۞

سورة المنافقين هي احدى عشرة اية بلا خلاف وهي مدنية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابي هريرة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرء في صلوة الجمعة بسورة الجمعة فيحرض بها على المؤمنين وفي الثانية بسورة المنافقين
فيقرع بها المنافقين اخرجه سعيد بن منصور والطبراني في الاوسط قال السيوطي بسند حسن
واخرج البزار والطبراني عن ابي عنبة الخولاني مرفوعا نحوه

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

اذا جاءك المنافقون اي اذا وصلوا اليك وحضروا مجلسك قال ابن عباس انما سماهم منافقين
لانهم كتموا الشرك واظهروا الايمان والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه قالوا اذا جواب الشرط وقيل
محذوف قالوا حال اي جاؤك قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم وقيل الجواب اتخذوا وايمانهم جنة وهو بعيد
جدا كما لا يخفى نشهد انك لرسول الله الكلام واشهادتهم بان واللام للاشعار بانها صادرة من صميم قلوبهم
مع خلوص اعتقادهم ومعنى نشهد نحلف فهو يجري مجرى القسم ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم وانما عبر
عن الحلف بالشهادة لان كلا واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر معين ويحتمل ان يكون ذلك محمولا
على ظاهره نفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه ومثل نشهد نعلم فانه ايضا يجري مجرى القسم كما في
قول الشاعر ۞ ولقد علمت لتاتين منيتي + ان المنايا لا تطيش سهامها + والله يعلم انك لرسوله
جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وهو اما اظهروه من الشهادة وان كانت بواطنهم على خلاف
ذلك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في شهادتهم التي زعموا انها من صميم القلب وخلوص
الاعتقاد لا في منطوق كلامهم وهو الشهادة بالرسالة فانه حق يعني انهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم
من التاكيد الدال على ان شهادتهم بذلك صادرة عن خلوص اعتقاد وطمانينة قلب وموافقة باطن
لظاهر او انهم كاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف

ما عليه حال المخبر عنه اتخذوا ايمانهم جنة اي جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم به انهم لمنكم وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والاسر قال النسفي وفيه دليل على ان الشهود يبين قال ابن عباس اجنوا ايمانهم من القتل والحرب والجملة مستانفة لبيان كذبهم وحلفهم عليه قرأ الجمهور ايمانهم بفتح الهمزة وقرئ بكسرها وقد تقدم تفسير هذا في سورة المجادلة والجنة الترس ونحوه وكل ما يقيك سوء ومن كلام الفصحاء جبة البرد جنة البرد فصدوا عن سبيل الله اي منعوا الناس عن الايمان والجهاد واعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح والنبوة هذا معنى الصد الذي بمعنى الصرف ويجوز ان يكون بمعنى الصدود اي اعرضوا عن الدخول في سبيل الله واقامة احكامه انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وساء هذه هي الجارية مجرى بئس في افادة الذم ومع ذلك ففيها معنى التعجيب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اي ما تقدم ذكره من الكذب والصد وقبح الاعمال بانهم اي بسبب انهم امنوا باللسان في الظاهر نفاقا ثم كفروا بالقلب في الباطن فتم الترتيب الاخباري لا الايجادي او اظهروا الايمان للمؤمنين واظهروا الكفر للكافرين وهذا صريح في كفر المنافقين وقيل نزلت الآية في قوم امنوا ثم ارتدوا والاول اولى كما يفيده السياق فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بسبب كفرهم قرأ الجمهور طبع مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود الى الله سبحانه ويدل عليه قراءة الاعمش فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم وهو حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته وكذا رأيتهم تعجبك اجسامهم اي هيأتهم ومناظرهم يعني ان لهم اجساما يعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق قال ابن عباس كان ابن ابي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه الى الجدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حضر يعجبون بهيأتهم وان يقولوا اي يتكلموا في مجلسك تسمع لقولهم اي تستمع وتصغي وتميل اليه عدي باللام والمعنى لتحسبان قولهم حق وصدق لفصاحتهم وذلاقة السنتهم قال الكلبي المراد عبد الله بن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قيس كانت طوالا جسام ومنظر وفصاحة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يصلح له ويدل عليه قراءة يسمع على البناء للمفعول وجملة كانهم خشب مسندة خبر مبتدأ مضمر اي هم كانهم او مستانفة لتقرير ما تقدم من ان اجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر قال الزمخشري او في

محل تصديق الحال وصاحب الحال الضمير في قولهم قاله ابو البقاء او شبه اي جلوسهم في مجالس النبي صلى الله عليه وسلم مسندة بها بالحسب المنصوبة المسندة الى الحائط التي لا انفع بهم ولا تعلم وهم كذلك لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه قال الزجاج وصفهم بتمام الصورة ثم اعلم انهم في ترك الفهم والاستبصار وعظم الاجسام بمنزلة الخشب فرد الجمع بحسب بضمتين وقرئ باسكان الشين لان واحدتها خشبة كبدنة وبدن وهما سبعيتان وقرئ بفتحتين وبمعنى مسندة انها اسندت الى غيرها من قولهم اسندت كذا الى كذا والتشديد للتكثير قال ابن عباس في الآية كانهم نخل قيام وقيل انهم اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصاب الناس شدة فقال عبد الله بن ابي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى انزل الله تصديقي فاذا جاءك المنافقون فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم فلووا رؤسهم وهو قوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شيء واخرجه عنه باطول من هذا ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي ثم عاتبهم الله سبحانه بالجبن فقال يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ يسمعونها واقعة عَلَيْهِمْ نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم وفي المفعول الثاني للحسبان وجهان اولاهما انه عليهم ويكون جملة هُمُ الْعَدُوُّ مستأنفة للبيان بانهم الكاملون في العداوة لكونهم يظهرون غير ما يبطنون والوجه الثاني ان المفعول الثاني للحسبان هو قوله هم العدو ويكون قوله عليهم متعلقا بالصيحة وانما جاء بضمير الجماعة باعتبار الخبر وكان حقه ان يقال هو العدو قال مقاتل والسدي اي اذا نادى منادي العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا انهم المرادون لما في قلوبهم من الرعب وقيل كان المنافقون على وجل من ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بان ياخذ حذره منهم فقال فَاحْذَرْهُمْ ان يتمكنوا من فرصة منك او يطلعوا على شيء من اسرارك لانهم عيون الاعداء وانك من الكفار قال ابو السعود الفاء لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء وعلى صلة اجعل قوله هم العدو معترضة ثانيا مما لا يساعده

النظم الكريم اصلا لترد عليهم بقوله قاتلهم الله اي لعنهم الله وقد تقول العرب هذه الكلمة
على طريق التعجب كقولهم قاتله الله من شاعرا وما اشعره وليس بمراد هنا بل المراد ذمهم وتوبيخهم وهو طلب
من الله سبحانه طلبه من ذاته عز وجل ان يلعنهم ويخزيهم او هو تعليم للمؤمنين ان يقولوا ذلك وقيل
معناه اهلكهم وهذا ما جرى عليه ابو عيسى ومعنى اَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه
الى الكفر بعد قيام البرهان على حقية الايمان قال قتادة يعدلون عن الحق وقال الحسن معناه يصرفون
عن الرشد وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اي اذا قال لهم القائل من المؤمنين تدنوا فيكم ما نزل من القرآن فتوبوا
الى الله ورسوله وتعالوا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ لَوَّوْا رُءُوْسَهُمْ اي حركوها استهزاء بذلك قال مقاتل
عطفوا رؤسهم رغبة عن الاستغفار وقيل اعراضا عنه واستكبارا قرأ الجمهور لووا بالتشديد وقرئ
بالتخفيف واختار الاولى ابو عبيد وهما سبعيتان وَرَاَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ اي يعرضون عن قول من قال لهم
تعالوا الخ او يعرضون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملة وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ في محل نصب على الحال من فاعل
الحال الاولى وهي يصدون لان الرؤية بصرية فيصدون في محل نصب على الحال والمعنى رايتهم
صادين مستكبرين عن الاعتذار والاستغفار ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم ان يستغفر لهم
وربما ندبه الى ذلك بعض اقاربهم قال تعالى منبها له على انهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون
سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اي الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك
لاصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر وهذا تيئيس له من ايمانهم لَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ اي ما داموا على
النفاق اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ اي الكاملين في الخروج عن الطاعة والانهماك في معاصي
الله وقد دخل فيهم المنافقون دخولا اوليا ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال هُمُ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ استيناف
جار مجرى التعليل لفسقهم ولعدم هداية الله لهم والمعنى يقولون لاصحابهم من الانصار المخلصين في
الايمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال لَا تُنْفِقُوْا عَلٰى مَنْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ الظاهر انه حكاية
ما قالوه بعينه لانهم منافقون مقرون برسالته ظاهرا ولا حاجة الى انهم قالوه بهكما او لغلبته عليه
حتى صار كالعلم كما قيل ويحتمل انهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله اجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم حَتّٰى
يَنْفَضُّوْا اي لاجل ان يتفرقوا عنه بان يذهب كل واحد منهم الى اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك
يعنون بذلك فقراء المهاجرين قرأ الجمهور ينفضوا من الانفضاض وهو التفرق وقرئ ينفضوا من الفض

القوم اذا فنيت ازوادهم يتال نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عسيف لعمر بن الخطاب وقرأ زيد بن ارقم وابن مسعود حتى ينفضوا من حوله ثم اخبر سبحانه بسعة ملكه فقال ولله خزائن السموات والارض اي انه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين وغيرهم لان خزائن الرزق له فيعطي من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء لا بايديهم وهذا رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يودي الى انفضاض الفقراء من حوله والجملة حالية اي قالوا لما ذكر والحال ان الرزق بيده تعالى لا يقدر احد على منع شيء من ذلك كما في يده ولا على ما في يد غيره ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك ولا يعلمون ان خزائن الارزاق بيد الله عز وجل وانه الباسط القابض المعطي المانع ثم ذكر سبحانه مقالة شنعاء قالوها فقال يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القائل لهذه المقالة هو عبد الله بن ابي رأس المنافقين وعنى بالاعز نفسه ومن معه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه والمراد بالرجوع رجوعهم من تلك الغزوة وانما اسند القول الى المنافقين مع كون القائل فردا من افرادهم وهو ابن ابي لكونه رئيسهم وصاحب امرهم وهم راضون بما يقوله السامعون له مطيعون آخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة قال سفيان يرون انها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال المهاجري يا للمهاجرين وقال الانصاري يا للانصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوة الجاهلية قالوا رجل من المهاجرين كسع رجلا من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوها فانها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن ابي فقال اقد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه زاد الترمذي فقال له ابنه عبد الله والله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل ورسول الله العزيز ففعل وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة وقيل في السادسة ثم رد الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الجملة حالية اي قالوا ما ذكر والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان القوة والغلبة لله وحده ولمن افاضها عليه من رسله وصالحي عباده وعزة الله قهره وغلبته لاعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم عن بعض الصالحات وكانت في هيئة

رتبة السرت على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي ان رجلا
قال له ان الناس يزعمون ان فيك شيئا قال ليس بشيء ولكنه عزة وتلا هذه الآية اللهم كما جعلت
العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للمعادين من عبادك وانزل الذلة على الجائرين الظالمين
ولكن المنافقين لا يعلمون بما فيه النفع فيعملون به وبما فيه الضر فيجتنبونه بل هم كالانعام لفرط جهلهم ع ٨
ومزيد حيرتهم والطبع على قلوبهم ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لان الاول متصل
بقوله ولله خزائن السموات والارض ولان في معرفتها غموضا يحتاج الى فطنة وفقه فناسب نفي الفقه
عنهم والثاني متصل بقوله ولله العزة ولرسوله وفي معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم
فالمعنى لا يعلمون ان الله معز اولياءه ومذل اعداءه قال الكرخي والحاصل انه لما اثبت المنافقون لانفسهم
اخراج المؤمنين من المدينة اثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله
والمؤمنون وفي شرح جمع الجوامع ومن قوادح العلة القول بالموجب بفتح الجيم وهو تسليم الدليل مع بقاء
النزاع بان يظهر المعترض من عدم استلزام الدليل لمحل النزاع وشاهده ولله العزة ولرسوله في جواب
ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع الى خطاب المؤمنين مرغبا لهم في ذكره
فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم بالتصرف فيها والسعي في تدبير امرها
بالنماء وطلب النتائج والاهتمام بها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنتهم حذرهم
عن التشبه بالمنافقين في الاغترار وعن اخلاق الذين الهتهم اموالهم واولادهم عن ذكر
الله والمراد بالذكر فرائض الاسلام قاله الحسن وقال الضحاك الصلوات الخمس وقيل قراءة القرآن
وقيل الحج والزكوة وقيل ادامة الذكر وقيل هو خطاب للمنافقين ووصفهم بالايمان
لكونهم امنوا ظاهرا والاول اولى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال هم عباد من
امتي الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلوات الخمس المفروضة اخرجه
ابن مردويه ومن يفعل ذلك اي يلتهي بالدنيا عن الدين ويشتغل بها عما ذكر فاولئك هم الخاسرون
اي الكاملون الخسران في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم اخرجه الترمذي
وانفقوا مما رزقناكم الظاهر ان المراد الانفاق في الخير على عمومه وقيل المراد الزكوة المفروضة ومن

للتبعيض اي انفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير وفي التبعيض باستناد الرزق منه تعالى الى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه من قبل ان يأتي احدكم الموت بان تنزل عليه مقدماته واسبابه الملجئة وتشاهد حضور علاماته وكمائله ويتعذر عليه الانفاق وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام فيقول رب لولا اخرتني الى يقول عند نزول ما نزل به منادي اربه هلا امهلتني واخرت موتي فلولا بمعنى هلا التي معناها التحضيض وتختص بلفظه ماض وهو في تاويل المضارع كما هنا اذ لا معنى لطلب التاخير في الزمن الماضي او لارادة ولو للتمني وقضية كلام الكشاف ان لولا بمعنى هل الاستفهامية والاول اولى الى اجل اي زمن واجل قريب قصير قليل بقدر ما استدرك فيه ما فاتني فاصدق اي فاتصدق بمالي او الزكوة قرا الجمهور بادغام التاء في الصاد وانتصابه على انه جواب التمني وقيل ان لاني لولا زائدة والاصل لو اخرتني وقرئ فاتصدق بدون ادغام على الاصل واكن قرا الجمهور بالجزم على محل فاتصدق كانه قيل ان اخرتني اتصدق واكن قال الزجاج معناه هلا اخرتني وجزم اكن على موضع فاصدق لانه على معنى ان اخرتني اصدق واكن وكذا قال ابو علي الفارسي وابن عطية وغيرهم وقال سيبويه حاكيا عن الخليل انه جزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني وجعل سيبويه هذا نظير قول زهير بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا فخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذي هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه وقرئ ولاكون بالنصب عطفا على فاصدق ووجهها واضح ولكن قال ابو عبيد رايت في مصحف عثمان واكن بغير واو وقرئ بالرفع على الاستيناف اي وانا اكون من الصالحين ان اخرتني من الموت وقال ابن عباس لم يحج وقال الضحاك لا يزال الموت ياخذ الا حاج فلم يحج ولم يؤد زكوة الا سأل الرجعة وقرأ هذه الاية وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له مال يبلغه حج بيت الله او تجب عليه فيه الزكوة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكافر فقال سأتلو عليكم بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا الى اخر السورة اخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه والحسن بن ابي الحسن في كتاب منهاج الدين الى قوله الموت مرفوعا ثم اجاب الله عن هذا التمني فقال ولن يؤخر الله نفسا اية نفس كانت عن الموت اذا جاء اجلها اي اخر عمرها المكتوب في اللوح المحفوظ ومن جملة النفوس التي شملها

النبي لنفسه هذه القائل فلا يؤخر ايضا والله خبير بما تعملون قرئ بالتاء والياء ولكل وعيد لعله اورد الى الدنيا واجيب بما يسال ما حجر وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير او شر وهو الاولى واستنبط بعضهم من هذه الاية عمر النبي صلى الله عليه وسلم لان السورة راس ثلاث وستين سورة وعقبت بالتغابن اشارة لظهور التغابن بوفاته صلى الله عليه وسلم ذكره الكرخي وليس هذا من تفسير الكتاب في شيء بل من لطائف الكلام وتفنان المرام ؛

سورة التغابن هي ثماني عشرة اية بالاتفاق وهي مدنية

في قول الاكثر وبه قال عكرمة وقال الضحاك هي مكية وقال الكلبي هي مدنية ومكية وقال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس ايضا قال نزلت بمكة الا ايات من اخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء اهله وولده فانزل الله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى اخر السورة وعن عطاء بن يسار نحوه اخرج البخاري في تاريخه عن عبد الله بن عمرو قال ما من مولود يولد الا مكتوب في تشبيك راسه خمس ايات من اول سورة التغابن واخرجه ابن حبان في الضعفاء والطبراني وابن مردويه وابن عساكر مرفوعا عنه قال ابن كثير وهو غريب جدا بل منكر ؛

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع مخلوقاته التي في سمواته وارضه عن كل نقص وعيب وكررت ما هنا وفي قوله وما تعلنون تاكيدا وتعميما وللاختلاف وكان تسبيح ما في السموات مخالفا لتسبيح ما في الارض كثرة وقلة واسرارا مخالفة لعلانيتنا ولم تكرر في قوله ما في السموات والارض لعدم اختلاف علمه تعالى اذ علمه بما تحت الارض كعلمه بما فوقها وعلمه بما كان كعلمه بما يكون له الملك وله الحمد اي يختصان به ليس لغيره منهما شيء وما كان لعباده منهما فهو من فيضه وراجع اليه وتقديم الظرف يفيد الاختصاص به تعالى من حيث الحقيقة كانه مبدع كل شيء ومبدعه فكان الملك له حقيقة دون غيره وكان اصول النعم وفروعها منه تعالى

لا اما وجه اتصال قوله يا ايها الذين امنوا الخ بما قبله فظاهر واما وجه المناسبة بين اول السورة وآخر ما قبلها فلان الكفار لما قالوا لن يبعثوا قيل لهم بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك عليه يسير والفقير الى الله القدير

فالحمد لله بالحقيقة وحمد غيره انما يقع من حيث ظاهر الحال وجريان النعم على يديه والملك هو الاستيلاء والتمكن من التصرف في كل شيء على حسب ما اراد في الازل قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها يقال ملك بين الملك بالضم وملاك بين الملك بالكسر وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء هو الذي خلقكم اي قدر خلقكم في الازل وكذا قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن اي مقتضى كفره وايمانه ازلا وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفكم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الآية قالوا فانه خلقهم والمشيء فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضيل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر الخ واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ذكره الخطيب قال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم مؤمن في السر وكافر في العلانية كعمار بن ياسر ونحوه ممن اكره على الكفر وقال عطاء فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب قال الزجاج ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدر يعجز ووجود خلاف المعلوم يجهل هذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية قال القشيري وهذا احسن الاقوال وهو الذي عليه جمهور الامة وقدم الكافر على المؤمن لانه الاغلب عند نزول القرآن وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين والله بما تعملون بصير لا تخفى عليه من ذلك خافية فهو مجازيكم يا عالما عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا والعبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا وان العبد ليعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد ليعمل برهة من دهره بالشقا ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا اخرجه ابن مردويه ثم لما ذكر سبحانه خلق العالم الصغير اتبعه بخلق العالم الكبير فقال خلق السموات والارض خلقا متلبسا بالحق اي بالحكمة البالغة وقيل خلق ذلك خلقا يقينيا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلق ذلك لاظهار الحق وهو ان يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ثم رجع سبحانه الى خلق العالم الصغير فقال وصوركم فاحسن صوركم قيل المراد خلقه بيده كرامة له كذا قال مقاتل

وقيل المراد جميع الخلائق وهو الظاهر اي انه سبحانه خلقهم في اكمل صورة واحسن تقويم واجمل شكل وابهاه كما يتميز الانسان بان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور قال بعض الحكماء شبهان لا عاقل لهما الجمال والبيان والتصوير التخطيط والتشكيل قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرئ بكسرها واليه المصير في الدار الآخرة لا الى غيره عن ابي درداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مكث النبي في الرحم اربعين ليلة اتاه ملك النفوس فعرج به الى الرب فيقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي الله ما هو قاض فيقول اشقي ام سعيد فيكتب ما هو لاق وقرأ ابو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات الى قوله واليه المصير اخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لا تخفى عليه من ذلك خافية وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ اي ما تخفونه وما تظهرونه والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لمزيد التاكيد في الوعد والوعيد وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ جملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم وهي تذييلية وقال الخطيب كل واحدة من هذه الثلاث اخص مما قبلها وجمع بينها اشارة الى ان علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات لا يعزب عنه شيء من الاشياء اَلَمْ يَاْتِكُمْ استفهام توبيخ او تقرير نَبَؤُا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ اي من قبلكم وهم كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود والخطاب لكفار العرب وقوله فَذَاقُوْا وَبَالَ اَمْرِهِمْ معطوف على كفروا عطف المسبب على السبب وعبر عن العقوبة بالوبال اشارة الى انها كالشيء الثقيل المحسوس وذلك لان الوبال في الاصل الثقل والشدة ومنه الوبيل للطعام الذي يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطر والمراد بامرهم هنا ما وقع منهم من الكفر والمعاصي وبالوبال ما اصيبوا به من حذاب الدنيا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ في الآخرة وهو عذاب النار ذٰلِكَ اي ما ذكر من العذاب في الدارين وهو مبتدأ وخبره بِاَنَّهٗ اي بسبب انها كَانَتْ تَّاْتِيْهِمْ رُسُلُهُمْ اي الرسل المرسلة اليهم بِالْبَيِّنٰتِ اي بالحجج الباهرة والمعجزات الظاهرة فَقَالُوْٓا اَبَشَرٌ يَّهْدُوْنَنَا اي قال كل قوم منهم لرسولهم هذا القول منكرين ان يكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك كما قالت الامم السالفة لرسلهم ما انتم الا بشر مثلنا ولم تتبعوا مرغبا دونهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وسووا واعتقدوا ان الاله يكون حجرا واراد بالبشر الجنس ولهذا قال يهدوننا وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام كما اجمل الخطاب والامر في قوله ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فَكَفَرُوْا بالرسل وبما جاؤا به وقيل كفروا بسبب هذا القول الذي قالوه للرسل فالفاء للسببية لا للتعقيب وَتَوَلَّوْا اي اعرضوا عنهم ولم يبالوا بما جاؤا به وَّاسْتَغْنَى اللّٰهُ اي

اظهر غناه عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجئهم ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك وقال مقاتل استغنى الله بما اظهر لهم من البرهان واوضح من المعجزات وقيل استغنى بسلطانه عن طاعة عباده وقال الزمخشري اي ظهر غناه فالسين ليست للطلب والله غني حميد اي غير محتاج الى العالم والى عبادتهم له محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال زعم الذين كفروا الزعم هو القول بالظن وقد جاء العلم ويطلق على الكذب قال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وهو يتعدى الى مفعولين وقوله ان لن يبعثوا سادّ مسدهما والمعنى زعم كفار العرب وهم اهل مكة كما قاله ابو حيان ان الشان لن يبعثوا ابدا عن ابن مسعود انه قيل له ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في زعموا قال سمعته يقول بئس مطية الرجل اخرجه احمد والبيهقي وغيرهما وعنه انه كره زعموا ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم ويبطل زعمهم فقال قل بلى وربي لتبعثن اي بلى ثابت لا يحاب النفي فالمعنى بلى تبعثون ثم اقسم على ذلك بقوله وربي وجواب القسم لتبعثن اي لتخرجن من قبوركم لكدا الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شيء انكروه قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا في القلب فكانه قيل لهم ما تنكرون كائن لا محالة ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتخبرن بذلك اقامة للحجة عليكم ثم تجزون به وذلك البعث والجزاء على الله يسير اذ لا عادة اليسر من الابتداء فآمنوا بالله ورسوله الفاء هي الفصيحة الدالة على شرط مقدر اي اذا كان الامر هكذا فصدقوا يا كفار مكة بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل وباليوم الآخر على ما هو المناسب لقوله زعم الذين كفروا اكتفاء بقوله والنور الذي انزلنا فانه مشتمل على البعث والحساب وهو القرآن لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من اقوالكم وافعالكم وهو مجازيكم على ذلك يوم يجمعكم العامل في الظرف لتنبؤن قاله النحاس وقال غيره هو خبير وقيل محذوف وهو اذكروا قال ابو البقاء هو ما دل عليه الكلام اي تتفاوتون يوم يجمعكم قرأ الجمهور بفتح الياء وضم العين وروي اسكانها ولا وجه لذلك الا التخفيف وان لم يكن هذا موضعا له كما قرئ في ما يشعركم بسكون الراء وقرئ نجمعكم بالنون ومعنى يوم الجمع ليوم القيامة فانه يجمع فيه اهل المحشر للجزاء ويجمع فيه بين كل عامل وعمله وبين كل نبي وامته وبين كل ظالم ومظلومه وبين الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع اهل السماء واهل الارض ذلك يعني ان يوم

القيامة وهو يوم التغابن وذلك انه يغبن فيه بعض اهل الجنة بعضا يغبن فيه اهل الحق اهل الباطل ويغبن فيه اهل الايمان اهل الكفر واهل الطاعة اهل المعصية ولا غبن اعظم ممن غبن اهل الجنة اهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار فتركوا اسنانهم التي كانوا يستنزلون بها لو لم يفعلوا ما يوجب النار فكان اهل النار استبدلوا الخير بالشر والجيد بالردي والنعيم بالعذاب واهل الجنة على العكس من ذلك يقال غبنت فلانا اذا بايعته او شاركته فكان النقص عليه والغلبة والغبن فوت الحظ كذا قال المفسرون فالمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة فاطلاق التغابن على ما يكون فيها انما هو بطريق الاستعارة وان التفاعل ليس من اثنين وكذا المغابنة على سبيل التمريد قال ابن عباس يوم التغابن من اسمائه يوم القيامة وعنه قال غبن اهل الجنة اهل النار ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ اي من وفق منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ﴾ قرأ الجمهور بكفر ويدخله بالتحتية وقرئ بالنون وفيه التفات من الغيبة الى التكلم ﴿خَالِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا﴾ احال مقدرة فيه مراعاة معنى من كقوله اي ما ذكر من التكفير والادخال ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ﴾ اي الظفر الذي لا يساويه ظفر والعظيم اعلى حالا من الكبير الذي ذكر في سورة البروج لان ما فيها قد رتب على ادخال الجنات فقط وما هنا قد رتب على الامرين المذكورين فهو جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ﴾ المراد بالآيات اما التنزيلية او ما هو اعم منها ذكر سبحانه حال السعداء وحال الاشقياء هنا للبيان ما تقدم من التغابن وانه يكون سبب التكفير وادخال الجنة للطائفة الاولى وسبب ادخال الطائفة الثانية النار وخلودهم فيها ﴿مَآ اَصَابَ مِنْ مُّصِيْبَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾ اي بقضائه وقدره قال الفراء اي بامر الله وقيل بعلم الله قيل وسبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا قال ابن مسعود في الآية هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى ﴿وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللّٰهِ﴾ اي من يصدق ويعلم انه لا يصيبه الا ما قدره الله عليه ﴿يَهْدِ قَلْبَهٗ﴾ للصبر والرضا بالقضاء قال مقاتل بن حيان يهد قلبه عند المصيبة فيعلم انها من الله فيسلم لقضائه ويسترجع عند حلولها وقال سعيد بن جبير يهد قلبه

ثلثة الرباع ع

عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقال ابن عباس في الآية يعني يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقرأ الجمهور يهد بفتح الياء وكسر الدال اي يهد الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول ويهد النون ويهد بهمزة ساكنة ورفع قلبه اي يطمئن ويسكن والله بكل شيء عليم اي بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هو فاعلوا انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله في جميع الاوقات والعمل بكتابه العزيز وسنة رسوله المطهرة فان توليتم اي اعرضتم عن الطاعة فانما على رسولنا البلاغ المبين ليس عليه غير ذلك وقد فعل وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا باس او فلا ضرر على الرسول وفي هذه الجملة تعليل الجواب المحذوف ثم ارشد الى التوحيد والتوكل فقال الله لا اله الا هو اي هو المستحق للعبودية دون غيره فوحدوه ولا تشركوا به وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليفوضوا امورهم اليه ويعتمدوا عليه لا على غيره حث الرسول على التوكل على الله والتقوي به حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الآية يدخل فيها الذكور والانثى واكثر ما ورد في سبب النزول في الذكور يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يعني انهم يعادونكم ويشغلونكم عن الخير وعن طاعة الله او يخاصمونكم في امر الدين والدنيا ويدخل في ذلك سبب النزول دخولا اوليا فاحذروهم ان تطيعوهم في التخلف عن الجهاد والهجرة فان سبب نزول الآية في ذلك والضمير يعود الى العدو وانما جاز جمع الضمير لان العدو يطلق على الواحد والاثنين والجماعة او الى الازواج والاولاد ولكن لا على العموم بل الى المتصفين بالعداوة منهم قال مجاهد والله ما عاد وهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان اتخذوا لهم الحرام فاعطوهم اياه فحذرهم الى التجاوز فقال وان تعفوا عن ذنوبهم التي اركبوها بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معاذيرهم فيها وتسترو ها فان الله غفور رحيم بالغ للمغفرة والرحمة لكم ولهم يعاملكم بمثل ما عاملتم ويتفضل عليكم عن ابن عباس قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم الى ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ثم اخبر

سبحانه بان الاموال والاولاد فتنة فقال إنما أموالكم وأولادكم فتنة اي بلاء واختبار وشغل عن الاخرة ومحنة يحملونكم على كسب الحرام وتناوله ومنع حق الله والوقوع في العظائم وغصب مال الغير واكل الباطل ونحو ذلك فلا تطيعوهم في معصية الله وليس المراد كما ذكر في ان من ازواجكم كذا هنا كما ذكر في ان من ازواجكم لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما وقدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال اكثر وترك ذكر الازواج في الفتنة قال البقاعي لان منهن من يكن صلاحا وعونا على الاخرة وعن ابي بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فاقبل الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما واحدا من ذا الشق وواحدا من ذا الشق ثم صعد المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما نظرت الى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم اصبر ان قطعت كلامي ونزلت اليهما اخرجه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وابن مردويه وابن ابي شيبة والله عنده اجر عظيم اي الجنة وهي لمن اثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده ثم امرهم سبحانه بالتقوى الطاعة فقال فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وبلغ اليه جهدكم وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد الى ان هذه الاية ناسخة لقوله سبحانه اتقوا الله حق تقاته لان معناه ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فخفف الله عنهم وانزل هذه الاية وقال ابن عباس هي محكمة ولا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وابنائهم وقد اوضحنا الكلام على هذا في قوله فاتقوا الله حق تقاته واسمعوا ما تؤمرون به سماع قبول لانه لا فائدة في مجرد السماع واطيعوا الاوامر قال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الى ما ينزل عليكم واطيعوا الرسول فيما يامركم وينهاكم وانفقوا من اموالكم التي رزقكم الله اياها في وجوه الخير والطاعة ولا تبخلوا بها وقوله خيرا لانفسكم منتصب بفعل مضمر دل عليه اتقوا كانه قال ائتوا في الانفاق خيرا لانفسكم وقدموا خيرا لها كذا قال سيبويه وقال النسائي والفراء هو نعت لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا وقال ابو عبيد هو خبر لكان المقدرة اي يكن الانفاق خيرا لكم وقال اهل الكوفة نصبه على الحال وقيل هو مفعول به لانفقوا اي فانفقوا الاخير او الظاهر ان الاية الانفاق مطلقا من غير تقييد بالزكوة الواجبة وقيل المراد زكوة الفريضة وقيل النافلة وقيل النفقة في الجهاد

ومن يوق شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما امر به من الانفاق موقنا به مطمئنا اليه ولم يمنعه ذلك منه فاولئك هم المفلحون اي الظافرون بكل خير الفائزون بكل مطلوب وقد تقدم تفسير هذه الآية مرارا ان تقرضوا الله قرضا حسنا تتصرفون اموالكم في وجوه الخير باخلاص نية وطيب نفس وسماه قرضا من حيث التزام الله الجازاة عليه وفي ذكر القرض ايضا تلطف في الاستدعاء وترغيب في الصدقة حيث جعلها قرضا لله مع ان العبد انما يقرض نفسه لان النفع عائد عليه قال القشيري ويتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء في بذل اموالهم وعلى الفقراء في عدم اخلاءاوقاتهم عن مراد الحق ومراقبته على مراد انفسهم فالغني يقال له اثر حكمي على مرادك في مالك وغيرة الفقير يقال له اثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ذكره الخطيب يضاعفه لكم فيجعل الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة والحديد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله استقرضت عبدي فابى ان يقرضني ويشتمني عبدي وهو لا يدري يقول وادهراه وادهراه وانا الدهر ثم تلا ابو هريرة هذه الآية اخرجه ابن جرير والحاكم وصححه ويغفر لكم اي يضم الى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم والله شكور حلیم يثيب من اطاعه باضعاف مضاعفة ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وما حضر لا تخفى عليه منه خافية وقيل ما استتر من سرائر القلوب وما انتشر من ظواهر الخطوب العزيز الحكيم اي الغالب القاهر باظهار السيوف والحكمة الباهرة في الاخبار عن الغيوب وفي صنعه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء ه

سورة الطلاق وهي احدى او ثنتا او ثلاث عشرة اية

وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ الجمع تعظيما له وخطاب له لامته والتقدير يا ايها النبي وامته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه او خطاب لامته فقط

بعد نزوله عليه الصلوٰة والسلام وهو من تلوين الخطاب خاطب بالامته بعد ان خاطبه اولا له على اضمار قول اي يا ايها النبي قل لامتك او خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لمزيته بكلام حسن قاله الزمخشري قال السمين وهذا هو معنى القول الثالث الذي تقدم وقال المحلي المراد امته بقرينة ما بعده قال الحفناوي فكانه قيل يا ايها الامة اذا طلقتم الخ وهذا الاسلوب سلكه الكازروني وفي نسخة من تفسير المحلي المراد وامته بزيادة الواو يعني ان في الكلام اكتفاء على حد قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وعلى هذا لفظ النبي لا يجوز فيه بل هو منادى مع امته وهذا الوجه قرره السمين كما تقدم والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه وانما احتيج لهذا التجوز ليصح قوله فطلقوهن لعدتهن لان الشيء لا يترتب على نفسه ولا يؤمر احد بتحصيل الحاصل والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الاقراء اما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن بالكلية واما ذوات الاشهر فسياتين في قوله واللائي يئسن الخ ومعنى لعدتهن مستقبلات لعدتهن او في قبل عدتهن او لقبل عدتهن او لزمان عدتهن وهو الطهر وقال الجرجاني اللام بمعنى في اي في عدتهن وقال ابو حيان اي لاستقبال عدتهن على حذف مضاف في اللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا والمراد ان يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن فاذا طلقوهن هكذا فقد طلقوهن لعدتهن وسياتي بيان هذا من السنة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فطلقوهن في قبل عدتهن رواه عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر والحاكم وابن مردويه وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن وعن مجاهد انه قرأ كذلك وعن ابن عباس مثله وقال في الآية اي طاهرا من غير جماع وعن ابن مسعود من اراد ان يطلق للسنة كما امره الله فليطلقها طاهرا في غير جماع وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فاتت اهلها فانزل الله هذه الآية فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلا وعن ابن عمر انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض وتطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن

في قبل عدتهن اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وروي عن ابن عباس انها نزلت في قصة طلاق عبد يزيد وقد اخرجها ابن ابي حاتم اثرا طويلا قال الذهبي باسناده واه والخبر خطأ فان عبد يزيد اسلم بعد ذلك الاسلام وفي الباب احاديث واحصوا العدة اي احفظوها واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة وهي ثلثة قروء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن والخطاب للازواج لغفلة النساء وقيل للزوجات وقيل للمسلمين على العموم والاول اولى لان الضمائر كلها لهم ولكن الزوجات داخلات في هذا الخطاب بالالحاق بالازواج لان الزوج يحصيها ليراجع وينفق او يقطع وليسكن او يخرج وليحسن نسبه او يقطع وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المرأة وقيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن اي التي كن فيها عند الطلاق ما دمن في العدة واضاف البيوت اليهن وهي للازواج لتاكيد النهي وبيان كمال استحقاقهن للسكنى في مدة العدة ومثله قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقوله وقرن في بيوتكن ثم لما نهى الازواج عن اخراجهن عن البيوت التي وقع الطلاق وهن فيها نهاهن الزوجات عن الخروج ايضا فقال ولا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدة الا لامر ضروري كما سياتي بيان ذلك قال ابو السعود ولو باذن من الازواج فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقال الخطيب لان في العدة حقا لله تعالى فلا يسقط برضاهما وقيل المراد لا يخرجن من انفسهن لا اذا اذن لهن الازواج فلا باس والاول اولى وهذا كله عند عدم العذر فاما اذا كان لعذر كشراء من ليس لها على الفارق نفقة فيجوز لها الخروج نهارا قاله الخطيب واذا خرجت من غير عذر فانها تعصي ولا تنقضي عدتها قاله القرطبي الا ان يأتين بفاحشة مبينة بفتح الياء وكسرها سبعيتان وهذا الاستثناء هو من الجملة الاولى قال الواحدي اكثر المفسرين على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا وبه قال ابن عباس وذلك ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال الشافعي وغيره هي البذاء في اللسان والاستطالة بها على من هو ساكن معها في ذلك البيت وعن ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو المرأة على اهل الرجل فاذا بذت عليهم بلسانها فقد حل لهم اخراجها

لسوء محلتها ويؤيد هذا ما قال عكرمة ان في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الاستثناء من الجملة الثانية للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة قال الشوكاني وهو بعيد وقال ابن عمر خروجها قبل انقضاء العدة من بيتها هي الفاحشة المبينة وقيل الفاحشة النشوز وتلك اي ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لايذان بعلو رتبتها وبعد منزلتها حدود الله يعني ان هذه الاحكام التي بينها العباده هي حدود شتى حدها لهم لا يحل لهم ان يتجاوزوها الى غيرها ومن يتعد حدود الله اي يتجاوزها الى غيرها او يخل بشيء منها فقد ظلم نفسه بايراده موارد الهلاك واوقعها في مواقع الضرر بعقوبة الله على مجاوزته لحدوده وتعديه لرسمه وقال البيضاوي اي بان عرضها للعقاب وقال ابو السعود تفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكونه احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى والخطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه الصلوة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر نفسه فانك ولا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل بغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة واستيناف نكاح قال القرطبي قال جميع المفسرين اراد بالامر ههنا الرغبة في الرجعة والمعنى التحريض على طلاق الواحدة والثنتين والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد الى المراجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك اي بعد طلقة او طلقتين امرا بالمراجعة قال الواحدي الامر الذي يحدث ان يوقع في قلب الرجل المحبة لرجعتها بعد الطلقة والطلقتين قال الزجاج واذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قالت فاطمة بنت قيس في الآية هي الرجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيئا ابغض اليه

ومن الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلفت الا منافق انتهى اقول اما حديث ابن عمر فقد رواه ابو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب موقوفا وصححه الحاكم وغيره ورواه ابو داود ايضا والبيهقي مرسلا عن محارب بن دثار وليس فيه ابن عمر ورجح ابو حاتم الدارقطني والبيهقي ارساله وقال الخطابي انه الشبه ورواه الدارقطني عن معاذ بلفظ ما خلق الله شيئا ابغض اليه من الطلاق قال الحافظ ابن حجر واسناده ضعيف منقطع ثم اما حديث علي فرواه ابن عدي في كتابه الكامل في معرفة الضعفاء عنه رضي الله عنه باسناد ضعيف بل قيل موضوع ورواه الخطيب عن علي ايضا مرفوعا وفي اسناده عمر بن خليع يروي الموضوعات عن الاثبات واما حديث ابي موسى فغير رواه الطبراني عنه رضي الله عنه مرفوعا وكذا الدارقطني في الافراد ورواه الطبراني في الكبير ايضا عن جابر بلفظ ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات في سنده راو لم يسم وبقية رجال اسناده ثقات واما حديث انس فرواه ابن عساكر في تاريخه عن انس رضي الله عنه وسنده ضعيف جدا وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء اجل العدة وشارفن اخرها فامسكوهن بمعروف اي احسن عشرتهن وانفاقهن مناسب وبعبة فيهن من غير قصد الى مضارتهن بتطويل اخر الاجل ايجاب عدة اخرى او غير ذلك او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن نفوسهن مع ايقاعكم بما هو لكم عليهن من الحقوق وترك المضارة لهن بالفعل والقول فقد ضمنت الاية تمامها فصلها الحث على فعل الخيرات وبانواعها اجتناب المنكرات واشهدوا ذوي عدل منكم اي صاحبي عدالة فان العدل الخصلة الحسنة والامر للندب لئلا يقع بينهم التجاحد كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وقيل على الطلاق وقيل عليهما قطعا للتنازع وحسما لمادة الخصومة والامر للندب لئلا يقع بينهم التجاحد كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وقيل انه للوجوب واليه ذهب الشافعي قال لان الاشهاد والحجب في الرجعة عندنا واليه ذهب في الفرقة واليه ذهب احمد بن حنبل وفي قول للشافعي ان الرجعة لا تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وروي نحو هذا عن ابي حنيفة واحمد عن ابن سيرين ان رجلا سأل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يشهد قال اشهد على طلاق زيد عدته او راجع في غير سنة فاشهد على طلاقه وعلى مراجعته ليستقر وأقيموا الشهادة لله هذا امر للشهود بان يأتوا بها شهدوا به تقربا الى الله وانما حث على احياء الشهادة لما فيه من البعد عن الشهود لانه ربما يؤدي الى ان لا يشاء الشاهد مما تحمله ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان الشاهد عواتي وقيل الامر للاداء اي بان يقيموا الشهادة اذا دعوا اليها وعند الرجعة فيكون قوله واشهدوا اذا ذوي عدل منكم امرا لنفس الاشهاد وقوله وأقيموا الشهادة امرا لان تكون خالصة لله لا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر خالصا لوجه الله اي ما تقدم من الامر بالاشهاد واقامة الشهادة

لله وما ذكر من اول السورة الى هنا في حضانة اي يابن ويرثه ان كان ومن يؤمن بالله واليوم الآخر حصل المقصود لانه للمنتفع بذلك
دون غيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا عما وقع فيه من الشدائد والمحن والجملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعدة
ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع
في المضائق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص قال ابن مسعود مخرجه ان يعلم انه من قبل الله وان
الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه قال ابن عباس ينجيه
من كل كرب في الدنيا والآخرة وعن جابر قال نزلت هذه الآية في رجل من اشجع كان فقيرا خفيف ذات
اليد كثير العيال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال اتق الله واصبر فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء
ابن له بغنم كان العدو اصابوها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها واخبره خبرها فقال كلها
فانزلت ومن يتق الله الآية اخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبي وعن ابن عباس قال جاء عوف بن
مالك الاشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابني اسره العدو وجزعت امه فما تامرني قال
امرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت المرأة نعم ما امرك فجعلا يكثران
منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه فانزلت هذه الآية اخرجه ابن مردويه
من طريق الكلبي عن ابي صالح عنه وفي الباب روايات تشهد لهذا وعن عائشة في الآية قالت يكفيه
هم الدنيا وغمها وعن ابي ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية فجعل يرددها حتى
نعست ثم قال يا اباذر لو ان الناس كلهم اخذوا بها لكفتهم وفي الباب احاديث وقال الكلبي ومن
يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه
وقال ابو العالية مخرجا من كل شيء ضاق على الناس قال الشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة
اي من طلق كما امره الله يكن له مخرجا في الرجعة في العدة وانه يكون كاحد الخطاب بعد العدة
ويرزقه وجاء خلفا من حيث لا يحتسب قال ابن مسعود اي من حيث لا يدري يعني من وجه لا
يخطر بباله ولا يكون في حسابه وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل
له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله
ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب

وتعيل عيد ذلك وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص ويدخل في ذلك دخولا اوليا فان قيل نرى كثيرا من الاتقياء مضيقا عليه في الرزق اجيب بانه لا يخلو عن رزق والآية تدل على ان المتقي يوسع له في الرزق بل حملت على انه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا امر مطرد في الاتقياء افادة الكرخي وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ اي ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما اهمه قال ابن مسعود في الآية ليس المتوكل الذي يقول يقضي حاجتي وليس كل من يتوكل على الله كفاه ما اهمه ودفع عنه ما يكره وقضى حاجته ولكن الله جعل فضل من توكل على من لم يتوكل ان يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ فلا بد من كونه ينفذ سواء حصل توكل او لا قال ابن مسعود قاضي امره على من توكل وعلى من لم يتوكل ولكن المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قرأ الجمهور بتنوين بالغ ونصب امره وقرئ بالاضافة وهي سبعية وقرئ بتنوين بالغ ورفع امره لانه فاعل بالغ او على ان امره مبتدأ مؤخر وبالغ خبر مقدم قال الفراء في توجيه هذه القراءة اي امره بالغ وقرئ بالغا بالنصب على الحال ويكون خبر ان قوله قد جعل الله لكل شيء والمعنى على الاولى والثانية ان الله سبحانه بالغ ما يريده من الامر لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب وعلى الثالثة ان الله نافذ امره لا يرده شيء قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا لا يتعداه وان اجتهد جميع الخلائق في ان يتعداه فقد جعل سبحانه للشدة اجلا تنتهي اليه وللرخاء اجلا ينتهي اليه وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للمقدر والتوكل قال السدي هو قدر الحيض والعدة وقال ابن مسعود يعني اجلا ومنتهى ينتهي اليه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وغيرهم وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ وهن الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وايس منه عن ابي بن كعب ان ناسا من اهل المدينة لما نزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وذوات الحمل فانزل الله هذه الآية إِنِ ارْتَبْتُمْ ايها شكلكم وجهلكم كيف عدتهن وما قدرها وقيل معناه ان تيقنتم ورجح ابن جرير انه بمعنى الشك

وهو الظاهر قال المكي صفة كاشفة لان عدتهن ذلك سواء وجد شك ام لا قال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن تحيض مثلها وقال مجاهد ان ارتبتم هي لم تعلموا عدة الايسة والتي لم تحض فعدتهن ثلثة اشهر وقيل المعنى ان ارتبتم في الدم الذي يظهر منها هل هو حيض ام لا بل استحاضة فالعدة هذه وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة او بخمس وخمسين فعدتهن هذه وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي واصحاب الرأي وقال عمر انها تتربص تسعة اشهر وقال الحسن سنة فان لم تحض فتعتد بثلثة اشهر فاذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن لصغرهن وعدم بلوغهن سن المحيض او لانهن لا حيض لهن اصلا وان كن بالغات قاله الخطيب اي فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا وحذف هذا لدلالة ما قبله عليه والاولى ان يقدر مفردا اي فكذلك او مثلهن ولو قيل انه معطوف على اللائي يئسن عطف المفردات واخبر عن الجميع بقوله فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدء وما عطف عليه وهذا ظاهر قول الشيخ ابي حيان واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن اي انتهاء عدتهن وضع الحمل وظاهر الاية ان عدة الحوامل بالوضع سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وعمومها باق فهي مخصصة لاية يتربصن بانفسهن اي ما الم يكن حوامل وانما لم يعكس لان المحافظة على عموم هذه الاية اولى من المحافظة على عموم تلك لان ازواجا في اية البقرة عمومه بدلي لا يصلح لجميع الافراد في حال واحد لانه جمع منكر في سياق الاثبات واما اولات الاحمال فعمومه شمولي لان الموصول من صيغ العموم وايضا الحكم هنا معلل بوصف الحملية بخلافه هناك وايضا هذه الاية متاخرة في النزول عن اية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك فيما لو عمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم وهو نسخ والتخصيص اولى منه وقد تقدم الكلام على هذا في سورة البقرة مستوفى وحققنا البحث في هذه الاية وفي الاية الاخرى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا عن ابي بن كعب في الاية قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اهي المطلقة ثلثا او المتوفى عنها قال هي المطلقة ثلثا والمتوفى عنها اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد المسند وابو يعلى وغيرهما وروي بوجه

اخر صرفوعا عنه وعن ابن مسعود انه بلغه ان عليا قال تعتد اخر الاجلين فقال من شاء لاعنته
ان الاية التي في سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة البقرة واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
بكذا وكذا اشهرا وكل مطلقة او متوفى عنها زوجها فاجلها ان تضع حملها وروي عنه نحو هذا
من طرق وبعضها في صحيح البخاري وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ام سلمة ان سبيعة
الاسلمية توفي عنها زوجها وهي حبلى فوضعت بعد موته باربعين ليلة فخطبت فانكحها رسول
الله صلى الله عليه وفي الباب احاديث وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا اي من يتقه فامتثال
اوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه امره في الدنيا والاخرة وقال الضحاك من يتق الله فاجتنبا
معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذَٰلِكَ اي ما ذكر من الاحكام وتفاصيل
العدة أَمْرُ اللَّهِ اي حكمه الذي حكم به بين عباده وشرعه الذي شرعه لهم ومعنى أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ
انزله في كتابه على رسوله وبينه لكم وفصل احكامه واوضح حلاله وحرامه وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ بترك
ما لا يرضاه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ التي اقترفها لان التقوى من اسباب المغفرة للذنوب وَيُعْظِمْ لَهُ
أَجْرًا اي يعطيه من الاجر في الاخرة اجرا عظيما وهو الجنة أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ هذا كلام
مبتدء يتضمن بيان ما يجب للنساء المطلقات وغيرها من المفارقات من السكنى ومن للتبعيض
اي بعض مكان سكناكم قاله الزمخشري وقال الكسائي والرازي من زائدة وقال الحوفي وابو البقاء انها لابتداء
الغاية مِنْ وُجْدِكُمْ اي من سعتكم وطاقتكم وقال ابن عباس من سعيكم والوجد الحركات الثلاث
والمشهور باتفاق القراء بالضم بمعنى المقدرة قال الفراء يقول على من يجد فان كان موسعا وسع عليها
في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك قال قتادة ان لم يجد الا ناحية بيتك فاسكنها فيه
وقد اختلف اهل العلم في المطلقة ثلثا هل لها سكنى ونفقة ام لا فذهب مالك والشافعي الى ان لها السكنى ولا
نفقة لها وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان لها النفقة والسكنى وذهب احمد واسحق وابو ثور الى انه لا نفقة
لها ولا سكنى وهذا هو الحق وقد قرره الشوكاني في شرحه المنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره و
اوضحناه في الروضة الندية شرح الدرر البهية وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ نهى سبحانه
عن مضارتهن بالتضييق عليهن في المسكن والنفقة وقال مجاهد في المسكن وبه قال ابن عباس وقال
مقاتل في النفقة وقال ابو الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يوم من عدتها راجعها ثم طلقها

وان كن اي المطلقات الرجعيات او البائنات دون الحوامل المتوفى عنهن او كن ذات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن اي الى غاية هي وضعهن للحمل لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى
للحامل المطلقة فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي
وحماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس و
ابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه لا ينفق عليها الا من نصيبها و
هذا هو الحق للادلة الواردة في ذلك من السنة المطهرة قال ابن عباس في الاية فهذه المرأة يطلقها
زوجها وهي حامل فامره الله ان يسكنها وينفق عليها حتى تضع وان ارضعت حتى تفطم فان ابان
طلاقها وليس لها حمل فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة لها فان ارضعن لكم اولادكم بعد
ذلك فاتوهن اجورهن اي اجور ارضاعهن والمعنى ان المطلقات اذا ارضعن اولادا لازواج
المطلقين لهن منهن فلهن اجورهن على ذلك وائتمروا بينكم بمعروف هو خطاب للازواج
والزوجات يعني تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر وليقبل بعضكم من بعض من المعروف والجميل
قال الكسائي ائتمروا وتشاوروا وتلاقوا وله تعالى ان الملأ يأتمرون بك واصل معناه ليأمر بعضكم بعضا
بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم قال مقاتل المعنى ليتراض الاب والام على اجر مسمى قليل
والمعروف الجميل من الزوج ان يوفر لها الاجر والمعروف الجميل منها ان لا تطلب ما يتعاسره الزوج
من الاجر وان تعاسرتم في حق الولد واجر الرضاع فابى الزوج ان يعطي الام اجرا وابت الام ان ترضعه
الا بما تزيد من الاجر فسترضع له اخرى اي يستاجر مرضعة اخرى ترضع ولده ولا يجب عليه ان
يسلم ما تطلبه الزوجة ولا يجوز له ان يكرهها على الارضاع بما يريد من الاجر وقال الضحاك ان ابت
الام ان ترضع استاجر للولد اخرى فان لم تقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجر وهو خبر بمعنى الامر و
الظاهر انه على بابه وفيه معاتبة للام على المعاسرة لان المبذول من جهتها اللبن وهو غير مبتذول
ولا يضن به لا سيما على الولد بخلاف ما يبذل من الاب فانه مال يضن به عادة لينفق
ذو سعة من سعته فيه الامر لاهل السعة بان يوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم
ومن قدر عليه رزقه اي كان رزقه بمقدار القوت او مضيق ليس بموسع فلينفق مما آتاه
الله اي مما اعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك وفي الخطيب يقدر القاضي النفقة بحسب حال

المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من عسره ويسره ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة انتهى والنقد المذكور مسلم في نفقة الزوجة ونفقة المطلقة اذا كانت رجعية مطلقا او بائنا حاملا لا قاله سليمان الجمل عن ابي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن ابي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل اخشن الطعام فبعث اليه بالف دينار وقال للرسول انظر ما ذا يصنع بها اذا اخذها فما لبث ان لبس اللين الثياب واكل اطيب الطعام فجاء الرسول فاخبره فقال رحمه الله تأول هذه الآية لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها اي ما اعطاها من الرزق فلا يكلف الفقير بان ينفق ما ليس في وسعه بل عليه ما يقدر عليه ويتبلغ اليه طاقته مما اعطاه الله من الرزق سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة سعة وغنى وهذا وعد لذي العسر باليسر وقد صدق الله وعده فمن كان موجودين عند نزول الآية ففتح عليهم جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا اغنى الناس وصدق الآية دائر غيره انه في الصحابة تام لان ايمانهم اقوى من غيرهم ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الاحكام حذر من مخالفتها وذكر عتو قوم خالفوا امره فحل بهم عذابه فقال وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله يعني وكم من اهل قرية عصوا امر الله ورسله واعرضوا عن امرهما على تضمين عتت معنى اعرضت او خرجت وقد قدمنا الكلام في كاين في آل عمران وغيرها فحاسبناها حسابا شديدا اي شددنا على اهلها في الحساب بما عملوا بالمناقشة والاستقصاء قال مقاتل حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو معنى قوله فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا فذاقت وبال امرها عذابا نكرا اي عذبنا اهلها عذابا عظيما منكرا في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي عذبنا اهلها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وحاسبناهم في الآخرة حسابا شديدا قال ابن عباس يقول لم يرحم والنكر المنكر قرئ نكرا بسكون الكاف وضمها وهما سبعيتان

فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا وعذابا في الآخرة
وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وهو كائن فكان قد كان
اعد الله لهم عذابا شديدا في الآخرة وهو عذاب النار والتكرير للتاكيد فاتقوا الله يا اولي الالباب
اي يا اصحاب العقول الراجحة وقوله الذين آمنوا في محل نصب بتقدير اعني بيانا للمنادى او عطف بيان
له او نعت قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا فيه اوجه احدها واليه ذهب الزجاج والفارسي انه منصوب
بالمصدر المنون قبله لانه يحل بحرف مصدري وفعل كانه قيل ان ذكر رسولا الثاني انه جعل نفس
الذكر مبالغة فابدل منه الثالث انه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره انزل ذا ذكر
رسولا الرابع كذلك الا ان رسولا نعت لذلك المحذوف الخامس انه بدل منه على حذف مضاف
من الثاني اي ذكر ذا رسول السادس ان يكون رسولا نعت الذكر على حذف مضاف اي ذكر ذا رسول
فذا رسول نعت لذكر السابع ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تاويل
او بيانا عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله الآتي يتلو عليكم لان الرسالة
لا تتلو الا بمجاز الثامن ان يكون رسولا منصوبا بفعل مقدر اي ارسل رسولا قال الزجاج انزل الذكر
دليل على اضمار ارسل التاسع ان يكون منصوبا باعلى الاغراء اي اتبعوا الرسول ذكره السمين
وقيل ان الذكر ههنا بمعنى الشرف كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله وانه لذكر لك
ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن نفسه
او جبريل فقد ذهب الاكثرون منهم ابن عباس الى ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو
جبريل وبه قال الزمخشري والمراد بالذكر القرآن ويختلف المعنى باختلاف وجوه الاعراب السابقة كما لا
يخفى ثم نعت سبحانه الرسول المذكور بقوله يتلو عليكم آيات الله مبينات اي حال كونها واضحات
ظاهرات قرأ الجمهور على صيغة اسم المفعول اي بينها الله واوضحها وقرئ على صيغة اسم الفاعل اي
الآيات تبين للناس ما يحتاجون اليه من الاحكام ورجح الاولى ابو حاتم وابو عبيد لقوله قد بينا
لكم الآيات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد مجيء الذكر والرسول من الظلمات الى النور
اللام متعلقة بيتلو اي ليخرج الرسول الذي يتلو الآيات اياهم من ظلمات الضلالة الى نور الهداية
او من الجهل الى العلم او من الكفر الى الايمان او متعلقة بانزل فيكون المخرج هو الله سبحانه ومن

له والذكر
لقول الزمخشري
بمعنى الذكر
والرسول هو
الوجه الثاني
تامل

يؤمن بالله ويعمل صالحا اي يجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه مع اجتناب ما نهاه
عنه يدخله جنات تجري من تحتها الانهار قرأ الجمهور يدخله بالتحتية وقرئ بالنون وهي
سبعية وعليها فقد التفات من الغيبة الى التكلم وجمع الضمير في قوله خالدين فيها ابدا باعتبار
معنى من ووحده في ندخله باعتبار لفظها قد احسن الله له رزقا اي وسع له رزقه في الجنة
التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة وقال القشيري الحسن ما كان
على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق
لحرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة
لا يقدر على الاستمرار عليها ذكره الخطيب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع سبع سموات يعني بعضها فوق بعض قال النسفي اجمع
المفسرون على ان السموات سبع وقال الخطيب لا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره ومن الارض
مثلهن في العدد يعني سبعا قرأ الجمهور مثلهن بالنصب على انه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري
او على تقدير فعل اي وخلق من الارض مثلهن وقرئ بالرفع على الابتداء والجار والمجرور قبله خبره
قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية واختلف الناس في المثلية وكيفية طبقات
الارض على قولين احدهما وهو قول الجمهور انهما سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض و
ارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها مطبقة
بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه
في البخاري والترمذي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من
اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين الى آخر كلامه وفي الحديث
لم يرو قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع
وما اقللن الحديث وقد مضى في سورة البقرة قول الماوردي وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة الاسلام
باهل الارض العليا ولا تلزم في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي
مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون
الضياء منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم

فهرس جميع الرغائب
لفظا من فوق الى تحت
العبارة مرتبا على الحروف
اللفظ الاول والثاني
ثانيا على اللفظ
فوق الفاء راجع
سطر الرصيد

ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وعن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء حكاه الكلبي عن ابي صالح عنه فعلى هذا ان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم واحتمل ان لا تلزمهم لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا ذكره الخطيب في تفسيره وقال قال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى السماء الثالثة ارض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين انتهى وعن ابن عباس انه قال له رجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الى اخر السورة فقال ابن عباس ما يؤمنك ان اخبرك بها فتكفر اخرجه عبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير وعنه في قوله وفي الارض مثلهن قال سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من طريق ابي الضحى قال البيهقي بهذا الاسناد صحيح وهو شاذ بمرة لا اعلم لابي الضحى عليه متابعا وعنه قال في كل ارض مثل ابراهيم ونحوما على الارض من الخلق اخرجه ابن جرير الطبري من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى قال الحافظ في الفتح هكذا اخرجه مختصرا واسناده صحيح وقال ابن كثير هذا واسناده اذا لم يصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بذاك قال السيوطي ولم ازل اتعجب من تصحيح الحاكم له حتى رايت البيهقي قال اسناده صحيح لكن شاذ بمرة انتهى ولا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يصح الاسناد ويكون في المتن علة وشذوذ تقدح في صحته قاله القسطلاني وقال في البداية هذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس اخذه من الاسرائيليات ونحوه قال السخاوي في المقاصد الحسنة ومثله في تفسير روح البيان وزاد نقلا عن السيوطي انه قال يمكن ان يؤول على ان المراد بهم الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه انتهى ونحوه في ارشاد الساري والحاصل ان الاثر المذكور ان صح فهو موقوف شاذ والشاذ لا يحتج به كما قال الطيبي في الخلاصة وغيره في غيرها ولفظها والموقوف هو مطلق ما وقف على الصحابي من قول او فعل متصلا كان او منقطعا وهو ليس بحجة على الصحيح قال النووي في

شرح مسلم الموقوف ليس بحجة على المختار عند الغزالي وهو الصحيح انتهى قال الخفاجي الذي نعتقد ان الارض سبع وطباقا كان من خلقه يعلمهم الله تعالى انتهى وهذا اعدل الاقوال واحوطها وقال النيسابوري ذكر الثعالبي في تفسيره فصلا في خلق السموات والارض واشكالهم واسمائهم اضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات انتهى وما جاء عن كعب ووهب وامثالهما في هذا الباب فكله لا يعتد به لانهم اخذوه من الاسرائيليات وفي عن جابر بن عبد الله في حديث طويل يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الارض قال خلق قال فما تحت الارض قال الماء قال فما تحت الماء قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهوى قال فما تحت الهوى فغاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انقطع علم الخلائق ايها السائل فقال صدقت اشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا ابو بكر الحديث مختصرا اخرجه الحافظ ابن كثير بسنده واخرجه ابن مردويه ايضا عنه بطوله وهذا الحديث يرد ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كان قد صح قوله وبسط الكلام على هذا لا ياتي بفائدة يعتد بها ويكفي الاعتقاد بكون السموات سبعا والارضين سبعا كما ورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة ولا ينبغي الخوض في خلقهما وما فيهما فانه شيء استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به احد سواه ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في امثال هذه المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق واخرج ابن ابي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارضين بين كل ارض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقم طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية تحبس الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم الحديث بطوله وتفصيله قال الذهبي تعقبا للحاكم هو حديث منكر قال بعض اهل العلم لا ينبغي لاحد ان يغتر بتصحيح الحاكم للاحاديث حتى ينظر في تعقبات الذهبي له او كما قال وعن ابن عباس قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين الارض التي نحن فيها يتنزل الامر بينهن مستأنفة او صفة لما قبلها قرأ الجمهور يتنزل من التنزل ورفع الامر على الفاعلية وقرئ ينزل من الانزال ونصب الامر على المفعولية والفاعل الله سبحانه والامر الوحي وقيل القضاء والقدر والضمير عائد على السموات والارضين عند الجمهور وعلى السموات والارض عند من يقول انها ارض واحدة قاله السمين قال الخفاجي في تفسيره ينزل به جبريل من السماء السابعة الى الارض السابعة انتهى قال علي القاري لم نجد هذا القول لغيره من المفسرين اذ غاية من فسر الامر بالوحي قال في تفسير قوله بينهن

اي بين هذه الارض العليا التي هي اولاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها انتهى قال سليمان الجمل وهذا اللق قف من القاري مبني على ان المراد بالوحي وحي التكليف بالاحكام وليس بلازم لامكان حمله على وحي التصرف في الكائنات وعبارة الخطيب والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها فيجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن انتهى وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين ارض وامر وقال قتادة في كل ارض من ارضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها واوصافها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على مجاز اللغة والتساع كما يقال للموت امر الله والريح والسحاب ونحوها لتعاموا اللام متعلقة بخلق او بيتنزل او بمقدر اي فعل ذلك لتعلموا ان الله على كل شيء من غير هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة قدير اي بالغ القدرة فيأتي بعالم اخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قاله الخطيب وفي حاشية سليمان الجمل هذا كله بالنظر للامكان العقلي وهذا لا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله ليس في الامكان ابدع مما كان لان معناه انه قد تعلق علم الله في الازل بانه لا يخلق عالما غير هذا العالم وان كان خلقه جائزا ممكنا فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لانه لو وقع لخالف مقتضى العلم الازلي فيلزم انقلاب العلم جهلا فصار ايجاد عالم اخر محالا عرضيا وان كان ممكنا ذاتيا فهذا معنى قول الشيخ ليس في الامكان ابدع مما كان اي لا يمكن ان يخلق الله عالما غير هذا العالم ونفي الامكان هو الاستحالة فكأنه قال هو محال ان يخلق عالما غير هذا العالم وقد عرفت ان هذه الاستحالة عرضية لا ذاتية وبهذا تعرف سقوط ما نقل عن البقاعي هنا تأمل انتهى اقول وفي هذا كله ليس بالنظر الامكان العقلي فقط كما قال سليمان الجمل بل الكتاب العزيز والسنة المطهرة يدلان على عموم قدرته

وكمال قوته على ايجاد كل شيء فيدخل فيه ايجاد مثل هذا العالم دخولا اوليا وان امر يوجد على مقتضى العالم الازلي وقول الغزالي عبارة ساقطة ونفس فاسقية لا يليق التفوه بمثلها وان كان معناه صحيحا بالتاويل البعيد الفاسد والتوجيه البارد الكاسد ونظم الكتاب العزيز العالي يغني عن مثل عبارة كلام الغزالي وان الله قد احاط بكل شيء علما فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنا ما كان وانتصاب علما على المصدرية لان احاط بمعنى علم او هو صفة لمصدر محذوف اي احاط احاطة علما ويجوز ان يكون تمييزا محولا عن الفاعل من غير لفظ الاول ع

سورة التحريم وقال القرطبي وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة اية

وهي مدنية قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير نحوه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك المراد بالتحريم هنا الامتناع من الاستمتاع لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله له فان هذا الاعتقاد لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم لانه كفر قاله الخطيب تبتغي مرضات ازواجك استيناف او تفسير لقوله تحرم او حال والمرضاة اسم مصدر وهو الرضا وصاحبه مرضوة وهو مضاف للمفعول اي ان ترضي ازواجك او الى الفاعل اي ان يرضين هن والمعنى لا ينبغي لك ان تشتغل بما يرضي الخلق بل الملائق ان ازواجك وسائر الخلق تسعى في رضاك وتفرغ انت لما يوحى اليك من ربك قال الخطيب وفيه تنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي وقيل كان ذلك ذنبا من الصغائر فلذا عاتبه الله عليه وقيل انه لم عاتبه على ترك الاولى وقال النسفي كان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم اي بليغ المغفرة والرحمة لما فرطت منك من تحريم ما احل الله لك واختلف في سبب نزول هذه الاية على اقوال الاول قول اكثر المفسرين قال الواحدي قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فزارت اباها فلما رجعت ابصرت مارية القبطية في بيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها لا تخبري عايشة ولك علي ان لا اقربها ابدا فاخبرت

حفصة عايشة وكانتا متصافتين فغضبت عايشة ولم تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقرب
مارية فانزل الله هذه السورة وبه قال المحلي وقال القرطبي لكثرة المفسرين على ان الاية نزلت في حفصة وذكر
القصة وقال ابو السعود والنسفي روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلى بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك
حفصة فقال لها الكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امري
فاخبرت به عايشة وكانتا متصافتين انتهى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة
يطأها فلم تزل عايشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فانزل الله هذه الاية اخرجه النسائي
والحاكم وصححه وابن مردويه وعن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا قال
عايشة وحفصة وكان بدؤ الحديث في شان مارية القبطية ام ابراهيم اصابها النبي صلى الله
عليه وسلم في بيت حفصة في يومها فوجدت حفصة فقالت يا رسول الله لقد جئت الي بشيء ما جئته
الى احد من ازواجك في يومي وفي دوري على فراشي قال الا ترضين ان احرمها فلا اقربها ابدا
قالت بلى فحرمها وقال لا تذكري ذلك لاحد فذكرته لعايشة فاظهره الله عليه فانزل الله يا ايها النبي لم
تحرم الآيات كلها فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه واصاب مارية اخرجه البزار والطبراني
قال السيوطي بسند صحيح واخرجه ابن سعد وابن مردويه عنه باطول من هذا واخرجه ابن مردويه
من وجه اخر عنه باخصر منه واخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه عنه مختصرا بلفظ
قال حرم سريته وجعل ذلك سبب النزول في جميع ما روي من هذه الطرق وعن ابن عمر قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تخبري احدا وان ام ابراهيم علي حرام قالت اتحرم ما احل الله لك قال فوالله لا
اقربها فالطريق بها حتى اخبرت عايشة فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اخرجه الهيثم بن
كليب في مسنده والضياء المقدسي في المختارة من طريق نافع وعن ابي هريرة ان سبب النزول تحريم
مارية كما سلف اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وسنده ضعيف الثاني قيل السبب
انه كان صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا وهو الذي رواه الشيخان والتي شرب عندها هي زينب بنت جحش
فتواطأت عايشة وحفصة ان يقولا له اذا دخل عليهما انا نجد منك ريح مغافير فحرم العسل فانزل
هذه الاية اخرج البخاري وغيره عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت
جحش ويشرب عندها لبنا وعسلا فتواصيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم

فلتقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود فنزلت يا ايها النبي الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وقيل هي سودة كما روي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل فدخل على عايشة فقالت اني اجد منك ريحا فدخل على حفصة فقالت اني اجد منك ريحا فقال اراه من شراب شربته عند سودة والله لا اشربه ابدا فانزل الله هذه الآيه اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند صحيح وقيل هي ام سلمة كما روي عن عبد الله بن رافع قال سألت ام سلمة عن هذه الآية يا ايها النبي لم تحرم فقالت كانت عندي عكة من عسل ابيض فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبق منها وكان يحبه فقالت له عايشة نخلها الخرش عرفطا فانزلت هذه الآية اخرجه ابن سعد وذكره الخطيب والخازن وقيل هي حفصة فواطأت عايشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير تحرم العسل فانزلت الآية قاله البيضاوي الثالث قيل السبب المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فاذا كان سببان صحيحان لنزول الآية والجمع ممكن بوقوع القصتين قصة مارية وقصة العسل وان القرآن نزل فيهما جميعا وفي كل واحد منهما انه اسر الحديث الى بعض ازواجه واما الثالث فقال شيخنا الشوكاني انه ليس في ذلك الا ما روى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية للمرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي بسند ضعيف ويرد هذا ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل تلك الواهبة نفسها فكيف يصح ان يقال انه نزل في شأنها فان من رد ما وهب له لم يصح ان يقال انه حرم على نفسه وايضا لا ينطبق على هذا السبب قوله واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا الى آخر ما حكاه الله واما ما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان ما بن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره انهما عايشة وحفصة ثم ذكر قصة الايلاء كما في الحديث الطويل فليس في هذا نفي كون السبب هو ما قدمنا من قصة العسل والسرية لانه انما اخبره بالمتظاهرتين وذكر فيه ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ربما هجرن احداهن من اليوم الى الليل وان ذلك سبب لاعتزاله لا سبب نزول يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ويؤيد هذا ما قدمنا عن ابن عباس انه قال لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا فاخبره انهما

اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء تأكلون فيه الا وهو يسبح الله تعالى قال الاصمعي يعني يدل على تسبيح الله تعالى قال فسألت عنه بعض من يعرف بصر الحديث فقال معناه ان فيه دلالة على الصانع وعلى توحيده وقدرته وعلمه وحكمته وهذا معنى التسبيح

حفصة وعايشة وبين له ان السبب قصة مارية هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية ودفع الاختلاف
في شانه فاشدد عليه يديك لتنجي به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليل ايمانكم وبين لكم الخروج والخلاص منها بالكفارة وقال النسفي
او شرع لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان
شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا انتهى وتحلة اصلها تحللة فادغمت وهي من
مصادر التفعيل كالتوصية والتسمية فكان اليمين عقد والكفارة حل لانها تحل الحالف ما حرمه على
نفسه قال مقاتل المعنى قد بين الله كفارة ايمانكم في سورة المائدة امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكفر
يمينه ويراجع وليدته فاعتق رقبة وعن الحسن انه لم يكفر لانه صلى الله عليه وسلم مغفور له ذكره الحلبي
النسفي قال الزجاج وليس لاحد ان يحرم ما احل الله وهذا هو الحق ان تحريم ما احل الله لا ينعقد
ولا يلزم صاحبه فالتحليل والتحريم هو الى الله سبحانه لا الى غيره ومعاتبته لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه
السورة ابلغ دليل على ذلك والبحث طويل والمذاهب فيه كثيرة والمقالات فيه طويلة وقد حققه
الشوكاني في مؤلفاته بما يشفي وذكر رضي الله عنه في شرحه للمنتقى خمسة عشر قولا واختلف العلماء
هل مجرد التحريم يمين توجب الكفارة ام لا وفي ذلك خلاف وليس في الآية ما يدل على انه يمين
لان الله سبحانه عاتبه على تحريم ما احله له ثم قال قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم وقد ورد في القصة
التي ذهب اكثر المفسرين الى انها هي سبب نزول الآية انه حرم او لا ثم حلف ثانيا كما قدمنا عن ابن عباس
قال في الحرام يكفر وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وعنه انه جاءه رجل فقال
اني جعلت امراتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلى لم تحرم ما احل الله لك قال عليك
اغلظ الكفارات عتق رقبة وعن عايشة قالت لما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح فانزل الله قد فرض
الله لكم تحلة ايمانكم فاحل يمينه وانفق عليه اخرجه الحارث بن اسامه والله مولاكم اي وليكم و
ناصركم والمتولي لامركم وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصيحتكم انفسكم
ذكره النسفي وهو العليم بما في صلاحكم فلا حكم الحكيم في اقواله وافعاله واذ اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا قال اكثر المفسرين ومنهم النسفي والحلبي والخازن هي حفصة كما سبق والحديث
هو تحريم مارية او العسل او تحريم الفي وهبت نفسها له والعامل في الظرف فعل مقدر اي واذكر

اذا سر وقال الكلبي اسر اليهما ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي واخرج ابن عدي وابن عساكر عن عايشة في الاية قالت اسر اليهما ان ابا بكر خليفتي من بعدي واخرج ابن عدي وابو نعيم في الصحابة والعشاري في فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس قالا والله ان اماره ابي بكر وعمر لفي الكتاب واذا سر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال لحفصة ابوك وابو عايشة واليا الناس بعدي فاياك ان تخبري احدا بهذا قال الشوكاني وهذا ليس فيه انه سبب نزول قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك بل فيه ان الحديث الذي اسره النبي هو هذا فعلى فرض ان هذا اسناد يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة وهي مقدمة عليه ومرجحة بالنسبة اليه فلما انبأت به اي اخبرت به غيرها ظنا منها ان لا حرج في ذلك فهو باجتهاد منها وهي ماجورة فيه وذلك كان الاجتهاد جائزا في عصره صلعم على الصحيح كما في جمع الجوامع واصل نبأ وانبأ وخبر واخبر وحدث ان تتعدى لاثنين الى الاول بنفسها والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف لاول للدلالة عليه وقد جاء كل استعمالات الثلث في هذه الاية فقوله فلما انبأت به تعدى لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالباء وقوله فلما انبأها به ذكرهما وقوله من انبأك هذا ذكرهما وحذف الجار وأظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الاخبار لغيرها على لسان جبريل عرف بعضه اي بعض ما اخبرت به وهو تهديد بصارية او العسل قرأ الجمهور عرف مشددا من التعريف في معناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان منها وقرئ بالتخفيف اي عرف بعض الذي فعلته حفصة واختار ابو عبيد وابو حاتم الاولى لقوله وأعرض عن بعض ولو كان مخففا لقال في ضده وانكر بعضا والمعنى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به تكرما منه وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقبل اعرض عن تعريف بعض ذلك كراهة ان ينتشر في الناس وقيل الذي اعرض عنه هو حديث مارية وقيل هو ان اباها وابا بكر يكونان خليفتين بعده والمفسرين ههنا خلط وخبط وكل جماعة منهم ذهبوا الى تفسير التعريف والاعراض بما يطابق بعض ما ورد في سبب النزول وقد اوضحنا ذلك من قبل فلما نبأها به اي اخبرها بما افشت من الحديث قالت من انبأك هذا اي من اخبرك به قال نبأني العليم الخبير اي اخبرني الذي لا تخفى عليه خافية ان تثويبا الخطاب لعايشة وحفصة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما

وجواب الشرط محذوف اي ان تتوبا الى الله فهو الواجب وحمل على المحذوف قوله فقد صغت قلوبكما
اي زاغت ومالت عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه ووجد منكما ما يوجب التوبة وهو انهما احبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وعوانتا الحفة
وقيل المعنى فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال قلوبكما ولم يقل قلباكما لان العرب تستكره الجمع
بين تثنيتين في لفظ واحد ومجموع المضاف والمضاف اليه كالشيء الواحد من اجل تمام العلقة
والنسبة بينهما وان تظاهرا عليه قرأ الجمهور بحذف احدى التاءين وقرئ على الاصل وقرئ تظهرا بتشديد
الظاء والهاء بدل التاء وهي سبعية والمراد بالتظاهر التعاضد والتعاون والمعنى وان تعاضدا
وتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره وقيل كان التظاهر بين عايشة
وحفصة في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة فان الله هو مولاه ضمير فصل وموالاة تعليل لجواب
الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا ولا معينا فان الله يتولى نصره بذاته وكذلك جبريل
ايضا وليه وصالح المؤمنين اي من صلح من عباده المؤمنين وقيل من برئ من النفاق وقيل
الصحابة وقيل واحد يراد به الجمع وقيل اصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة
للفظ قال بريدة ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وعن ابن مسعود مثله وعن ابي امامة مرفوعا مثله
اخرجه الحاكم وعن علي بسند ضعيف قال هو علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعن اسماء بنت
عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب اخرجه ابن مردويه
والملائكة على تكاثر عدده هم بعد ذلك اي بعد نصر الله والملكوت ظهير اي اعوان يظاهرونه
قال ابو علي الفارسي قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسأل حميم حميما قال الواحدي وهذا من الواحد
الذي يؤدي عن معنى الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا وقد تقرر في علم النحو ان مثل جريح وصبور
وظهير يوصف به الواحد والمثنى والجمع وانما عدل عن عطف المفرد الى عطف الجملة ليؤذن
بالفرق فان نصرة الله هي النصرة في الحقيقة وانه تعالى انما ضم اليها المظاهرة بجبريل وبصالح
المؤمنين وبالملائكة للتتميم تطييبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول واظهارا للايات البينات
كما في يوم بدر وحنين قال تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند
الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله بالتخفيف والتشديد سيعيتان اي يعطيه لكن بازواجا

خيرا اي افضل منكن وقد علم الله سبحانه انه لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان وقع
منه الطلاق ابدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه اخبار
عن القدرة وتخويف لهم والممتنع بمقتضى الآية انما هو تطليق الكل فلا ينافي انه طلق واحدة وانما لم يبدله
لان التبديل انما هو للكل وانما هو مرتب على تطليق الكل وفي الخطيب قيل كل عسى في القرآن واجب
الوقوع الا هذه الآية وقيل هي من الواجب ايضا ولكن الله علقه بشرطه وهو التطليق للكل ولم يطلقهن
وفي الكرخي قال ابن عرفة عسى هنا للتخيير لا للوجوب ثم نعت سبحانه الازواج بقوله مسلمات اي
قائمات بفرائض الاسلام لما نعت او حال او منصوب على الاختصاص وقال سعيد بن جبير مسلمات
اي مخلصات مقرات وقيل معناه مسلمات لامر الله ورسوله مؤمنات اي مصدقات بالله وملائكته
وكتبه ورسله والقدر خيره وشره قانتات مطيعات لله والقنوت الطاعة وقيل مصليات بالليل
وقيل داعيات وقيل طائعات تائبات يعني كثيرات التوبة من الذنوب تاركات لها راجعات
الى الله والى امر رسوله صلى الله عليه وسلم عن المعاصي والزلات عابدات لله متذللات له قال الحسن وسعيد
بن جبير كثيرات العبادة سائحات اي صائمات قاله ابن عباس وقال زيد بن اسلم والحسن مهاجرات
وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة قال ابن قتيبة والفراء وغيرهما وسمي الصيام سياحة
لان السائح لا زاد معه وقيل المعتزل لاهله في طاعة الله من ساح الماء اذا ذهب في الارض وقيل السياحة الجري
في الارض وقيل سيحن معه حيث ساح وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة ثيبات ثنى
ابكارا اي بعضهن ثيبا وبعضهن بكرا وسط بينهما العاطف لتنافيهما دون سائر الصفات عبدات
جمع ثيب لا يقاس لانه اسم جنس مؤنث وزنها فعل من ثاب يثوب اي رجع وهي المرأة التي قد تزوجت ثم
ثابت عن زوجها فعادت كما كانت غير ذات بعل وقيل لانها تأبت الى بيت ابويها وهذا غير لائق لان ليس كل
ثيب تعود الى بيت ابويها والابكار جمع بكر وهي العذراء سميت بذلك لانها على اول حالاتها التي خلقت عليها عوذة
في الآية قال وهب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان يزوجه بالشيب لسبية امرأة فزعون وبالبكر مريم
بنت عمران ولا يقال اي مدح في كون ثيبات لان الثيب قد تمدح من جهة انها اكثر تجربة وعقلا
اسرع غضبا وغلبا والبكر تمدح من جهة انها اطهر واطيب واكثر مداعبة وملاعبة قاليا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم بفعل ما امركم به وترك ما نهاكم عنه اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي به صلى الله

المعاصي وفعل الطاعات وَأَهْلِيكُمْ من النساء والولدان وكل من يدخل في هذا الاسم بامرهم بطاعة
الله ونهيهم عن معاصيه وبان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم نصحا وتأديبا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ اي نارا عظيمة تتوقد بالناس الكفار والحجارة كالاصنام منها كما يتوقد غيرها بالحطب وقيل
الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا وقد تقدم بيان هذا في سورة البقرة قال مقاتل بن سليمان
قوا انفسكم واهليكم بالادب الصالح النار في الآخرة وقال قتادة ومجاهد قوا انفسكم بالعمل وقوا اهليكم
بوصيتكم قال ابن جرير فعلينا ان نعلم اولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب ومن هذا قوله
وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقوله وانذر عشيرتك الاقربين وعن علي بن ابي طالب في الآية قال
علموا انفسكم واهليكم الخير وادبوهم وعن ابن عباس قال اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا
اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وعنه قال ادبوا اهليكم عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ اي على النار خزنة من الملائكة
يلون امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غِلَاظٌ على اهل النار شِدَادٌ عليهم لا يرحمونهم اذا استرحموهم
لان الله سبحانه وتعالى خلقهم من غضبه وجبلهم لتعذيب خلقه وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال
وقيل الغلاظ ضخام الاجسام والشداد الاقوياء وقيل المراد غلاظ القلوب شداد الابدان من غلظ
القلب اي قسوته لا من غلظ الجسم ولا من غلظ القول عن ابي عمران الجوني قال بلغنا ان خزنة النار تسعة
عشر صابين منكب احدهم مسيرة مائة خريف ليس في قلوبهم رحمة انما خلقوا للعذاب يضرب الملك
منهم الرجل من اهل النار الضربة فيتركه ملحوما من الدون قرنه الى قدمه اخرجه عبد الله بن احمد في
زوائد الزهد لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ اي لا يخالفونه في امره وما موصولة والعائد محذوف اي
لا يعصون الله الذي امرهم به او مصدرية اي لا يعصون الله امره على ان يكون ما امرهم بدل اشتمال
من لاسم الشريف او على تقدير نزع الخافض اي لا يعصون الله في امره وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ به
اي يؤدونه في وقته من غير تراخ لا يؤخرونه عنه ولا يقدمونه وليست الجملتان في معنى واحد
اذ معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتأخرون
عنه ولا يتوانون فيه وقيل الثانية تأكيد للاولى وبه قال المحلي لان مفادها هو مفاد الاولى وقيل الاولى
فيما مضى والثانية فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي والآية تحريض للمؤمنين عن الارتداد الخ فقال
للمؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ يقال لهم هذا القول عند

٦٦ هذا جواب عن سؤال حاصله انه تعالى غلظ الكافرين فما قال فان الكافرين قد يتصفون بالرقة والانعطاف فاجاب بان هذه الرقة لا تجلب الكافرين من تلك الحيثية بل من حيث كونهم اعداء الله فلا تكون مانعة من الارتداد المؤدي الى الخلود في النار الخ منه

ع ٥

اضغالهم النار تاييسا لهم وقطعا لاطماعهم لانه يوم الجزاء وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر
الى ما صار اليه ثم قال انما تجزون ما كنتم تعملون من الاعمال في الدنيا ومثل هذا قوله فاليوم لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قرأ الجمهور بفتح النون
على الوصف للتوبة اي توبة بالغة في النصح وقرئ بضمها اي توبة نصح لانفسكم ويجوز ان يكون جمع
ناصح وان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة ونصوحا وقال المبرد اراد توبة ذات نصح اي تنصح صاحبها
بترك العود الى ما تاب عنه ووصفت بذلك على الاسناد المجازي وهو في الاصل وصف للتائبين
ان ينصحوا بالتوبة انفسهم بالعزم على الترك للذنب وترك المعاودة له قال قتادة التوبة النصوح الصادقة
وقيل الخالصة وقال الحسن التوبة النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره
وقال الكلبي التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمينان على
ان لا يعود وقال سعيد بن جبير هي التوبة المقبولة وعن النعمان بن بشير ان عمر بن الخطاب سئل
عن التوبة النصوح قال ان يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود اليه ابدا وروي عن معاذ مرفوعا
هي ان لا يحتاج بعدها الى توبة اخرى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة ان
ان يتوب منه ثم لا يعود اليه ابدا اخرجه احمد وابن مردويه والبيهقي في اسناده ابراهيم بن مسلم
الهجري وهو ضعيف والصحيح الموقوف كما اخرجه موقوفا عليه ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير
والبيهقي وابن المنذر وعن ابن مسعود قال التوبة النصوح تكفر كل سيئة وهو في القرآن ثم قرأ هذه
الآية اخرجه الحاكم وصححه وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة
وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان واختلف في معناها وذكروا في تفسيرها ثلاثة
وعشرين قولا متقاربة المعنى لا يسعها هذا الموضع وملاك الامر فيها ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب
كما لا يعود اللبن الى الضرع ولو حز بالسيف واحرق بالنار وهي واجبة من كل معصية كبيرة او صغيرة
على الفور ولا يجوز تاخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب منه
وبقي الذي لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة والجماعة وقد اخرج مسلم عن الاغر بن يسار المزني
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة وعن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة

اخرجه البخاري واخرجا عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض الفلاة الحديث وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذي وحسنه عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم بسبب تلك التوبة جنات تجري من تحتها الانهار معطوف على يكفر منصوب بناصبه بالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالجزم عطفا على محل عسى كانه قال توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم وعسى وان كان اصلها للاطماع فهي من الله واجبة تفضلا وتكرما لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وليس واجبا عقليا يوم اي يدخلكم يوم لا يخزي الله النبي او منصوب باذكروا والذين آمنوا معه اي صاحبوه في وصف الايمان معطوف على النبي وقيل الموصول مبتدأ وخبره قوله نورهم يسعى بين ايديهم ويسعى بايمانهم والاول اولى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والجملة حالية او مستانفة لبيان حالهم وقد تقدم في سورة الحديد ان النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط والمراد بايمانهم جهاتهم كلها والتقييد بالايمان لا ينفي ان لهم نورا على شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم امامن السابقين فيمشون فيما هو امامهم وامامن اهل اليمين فيمشون فيما هو عن ايمانهم عن ابن عباس في الاية قال ليس احد من الموحدين الا يعطى نورا يوم القيامة فاما المنافق فيطفأ نوره والمؤمن مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافق قال ابن مسعود يمرون على الصراط على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وادناهم نورا من نوره في ابهامه ذكره السيوطي في البدور السافرة يقولون خبر ثان او حال ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير هذا دعاء المؤمنين حين اطفأ الله نور المنافقين كما تقدم بيانه وتفصيله يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والرمح والمنافقين بالحجة والوعظ البليغ وقد تقدم الكلام على هذه الاية في سورة براءة واغلظ عليهم بالانتهار والزجر والمقت والبغض اي اشدد عليهم في الدعوة والخطاب والمقال والمحاجة باللسان واستعمل الخشونة في امرهم بالشرائع ولا تعاملهم باللين وقال الحسن اي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجباتها

الحدود وماواهم جهنم اي مصير الكفار والمنافقين اليها وبئس المصير اي المرجع الذي يصار اليه ضرب الله مثلا للذين كفروا وقد تقدم غير مرة ان المثل قد يراد به ايراد حالة غريبة تعرف بها حالة اخرى مماثلة لها في الغرابة اي جعل الله مثل الحال هؤلاء الكفار في انهم يعاقبون لكفرهم وانه لا ينفي احد عن احد امرأة نوح واسمها واهلة وقيل والهة وامرأة لوط واسمها واعلة وقيل والعة وهذا هو المفعول الاول ومثلا المفعول الثاني حسبما قدمنا تحقيقه وانما اخر ليتصل به ما هو تفسير له وايضاح لمعناه وترسم امرأة في هذه المواضع الثلثة وابنت بالتاء المجرورة ويوقف عليهن بالهاء والتاء كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام اي كانتا في عصمة نكاحهما وهذه جملة مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل ولم يؤت بضميرهما فيقال تحتهما لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة وفي ذلك مبالغة في المعنى المقصود وهو ان الانسان لا ينفعه عادة الا صلاح نفسه لا صلاح غيره وان كان ذلك الغير في اعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى فخانتاهما اي فوقعت منهما الخيانة لهما قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط ورواه ابن عساكر ومرفوعا عنه قال الا ما زنتا اما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس انه مجنون واما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فتلك خيانتهما وقال عكرمة والضحاك بالكفر وقد مضت الادلة الاجماعية على انهما ما زنت امرأة نبي قط وقيل كانت خيانتهما النفاق وقيل خانتاهما بالنميمة فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئا من النفع ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله ونبوتهما شيئا من الدفع وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل اي ويقال لهما في الاخرة او عند موتهما ادخلا النار مع الداخلين لهما من اهل الكفر والمعاصي قال يحيى بن سلام ضرب الله مثلا للذين كفروا بما صنعت به عايشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرتا عليه وما احسن ما قال فان ذكر امراتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد اتم ارشاد ويلوح بلمح تلويح الى ان المراد تحذيرهما مع سائر امهات المؤمنين وبيان انهما وان كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فان ذلك لا يغني عنهما من الله شيئا وقد عصمهما الله سبحانه عن خبث تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة

فرعون هي آسية بنت مزاحم قيل انها اسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها ابنة عم فرعون و
انها من السماقة وكانت ذات فراسة صادقة آمنت بموسى عليه السلام فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة
والكلام في هذا كالكلام في المثل الذي قبله اي جعل الله حال امرأة فرعون الى حال المؤمنين ترغيبا لهم
في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصابر في الشدة وان صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون
وقد كانت تحت اكفر الكافرين وصارت بايمانها بالله في جنات النعيم وفيه دليل على ان وصلة الكفرة لا تضر
مع الايمان اذ ظرف لمثلا او لضرب قالت رب ابن لي عندك حال من ضمير المتكلم او من بيتا لتقدمه
عليه وقوله في الجنة بدل او عطف بيان لقوله عندك او متعلق بقوله ابن وقدم عندك هنا للاشارة
الى قولهم الجار قبل الدار ومعناه بيتا قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين منك او في مكان لا يضاف
فيه الا باذنك وهو الجنة ونجني من فرعون وعمله اي من ذاته الخبيثة وشركه وما يصدر عنه
من اعمال الشر وقال ابن عباس عمله يعني جماعه وعن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب
بالشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة وعن ابي هريرة
ان فرعون وتد لامرأته اربعة اوتاد وامر ان يجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس
فرفعت راسها الى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الى قوله ونجني من القوم الظالمين
ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته وقبض الله روحها قال الكلبي هم اهل مصر وقال مقاتل
هم القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وفيه
دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير
الصالحين وديدن المؤمنين يوم الدين وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون وقيل مريم ابنة عمران
اي حالها وصفتها فمثل حال المؤمنين بامراتين كما مثل حال الكفار بامرأتين وقيل التقدير اذكر
مريم والمقصود من ذكرها ان الله سبحانه جمع لها بين كرامتي الدنيا والاخرة واصطفاها على نساء
العالمين مع كونها بين قوم كافرين التي احصنت حفظت فرجها عن الفواحش ومن الرجال فلم
يصل اليها رجل لا بنكاح ولا بزنا والمحصنة العفيفة وقد تقدم تفسير هذا في سورة النساء قال
المفسرون المراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا فيه من روحنا المخلوقة لنا وذلك ان جبريل نفخ
في جيب درعها اي طوق قميصها فحملت بعيسى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة

والاسناد في نفخنا مجازي اي فاسده الى الله من حيث انه الخالق والموجد وقيل المراد بالروح روح عيسى التي صار بها حيا فوصلت الى فرجها بواسطة نفخ جبريل واضافة الروح الى الله اضافة مخلوق لخالقه للتشريف وصدقت بكلمات ربها يعني بشرائعه التي شرعها الله لعباده وقيل المراد بالكلمات عيسى وقيل صحفه التي انزلها على ادريس وغيره قرأ الجمهور صدقت بالتشديد وقرئ بالتخفيف وقرأوا بكلمات بالجمع وقرئ بكلمة بالافراد وكتبه قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمراد على الاولى الجنس فيكون في معنى الجمع وهي الكتب المنزلة على الانبياء كابراهيم وموسى وابنها عيسى وكانت من القانتين قال قتادة من القوم المطيعين لربهم وقال عطاء من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء ويجوز ان يراد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم وكانوا مطيعين اهل بيت صلاح وطاعة ولما كان القنوت صفة تشمل من قمنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه وفيه اشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين كونها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما السلام عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن قالت ربنا ابن لي عندك الآية اخرجه احمد والطبراني والحاكم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

سورة الملك وتسمى سورة تبارك والواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة

الجزء التاسع والعشرون ٢٩

وهي ثلاثون اية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك اخرجه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن الضريس والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب والترمذي وقال هذا حديث حسن وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى ادخلته الجنة تبارك الآية اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه والضياء في المختارة وعن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر

وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر اخرجه الحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقي في الدلائل والترمذي وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك هي المانعة من عذاب القبر اخرجه ابن مردويه والنسائي وصححه الحاكم وعن رافع بن خديج وابي هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انزلت علي سورة تبارك وهي ثلثون اية جملة واحدة وهي المانعة في القبور اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس انه قال لرجل الا اتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها اهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها لقاريها وتطلب له ان ينجيه الله من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من امتي اخرجه عبد بن حميد في مسنده والطبراني والحاكم وابن مردويه

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك

تبارك تفاعل من البركة والبركة النماء والزيادة وقيل تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين وقيل دام فهو الدائم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه وقال الحسن تبارك تقدس وصيغة تفاعل للمبالغة واليد مجاز عن القدرة والاستيلاء عند المتكلمة وصفة من صفاته عند المحدثين وهو الاولى والملك هو ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويضع من يشاء وقيل المراد بالملك ملك النبوة وقيل الملك الامر والنهي والسلطان اي التمكن من سائر الموجودات يتصرف فيها كيف ما اراد قال الرازي الملك تمام القدرة واستحكامها والاول اولى لان الحمل على العموم اكثر مدحا وابلغ ثناء ولا وجه للتخصيص وهو على كل شيء قدير اي بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الاشياء يتصرف في ملكه كيف يريد من انعام وانتقام ورفع ووضع واعطاء ومنع قال ابو السعود الجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وفي الكرخي انما اقترن الشيء بقوله قدير علم ان المراد منه المعدوم الذي يدخل تحت القدرة دون غيره

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ الموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته له والحياة تعلق الروح بالبدن واتصاله به وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وقيل الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل المراد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وفيه بعد وقدم الموت على الحياة لان اصل الاشياء عدم الحياة والحياة عارضة لها وقيل لان الموت اقرب الى القهر وقال مقاتل خلق الموت يعني النطفة والمضغة والعلقة والحياة يعني خلقه انسانا وخلق فيه الروح وقيل خلق الموت على صورة كبش لا يمر على شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس لا يمر بشيء الا حيي قاله مقاتل والكلبي وقد ورد في التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وغير ذلك من الآيات وقال النسفي الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلقهما ايجاد ذلك الصحيح واعدامه اي خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون لِيَبْلُوَكُمْ اي ليعاملكم معاملة من يختبركم والا فعلمه محيط بكل شيء قال الشهاب الاختبار يقتضي عدم علم المختبر بالكسر بحال المختبر بالفتح فاجعلوه استعارة تمثيلية او تبعية على تشبيه حالهم في تكليفه تعالى لهم بتكاليفه وخلق الموت والحياة لهم واثابته لهم وعقوبته بحال المختبر مع من اختبره وجربه لينظر طاعته وعصيانه فيكرمه او يهينه أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فيجازيكم على ذلك وقيل المعنى ليبلوكم ربكم ايكم اكثر ذكرا للموت واحسن استعدادا واشده منه خوفا وقيل ايكم احسن عقلا واسرع الى طاعة الله واورع عن محارم الله وقيل اخلص عملا واصوبه والخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل الزهد في الدنيا وانت لها والعموم اولى قال الزجاج اللام متعلقة بخلق الحياة لا بخلق الموت وقال الفراء ان قوله ليبلوكم لم يقع على اي لان فيما بين البلوى واي اضمار فعل كما تقول ابلوكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم فايكم في الآية مبتدأ وخبره احسن لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لجميع اعمالهم للنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين وَهُوَ الْعَزِيزُ اي الغالب الذي لا يغالب ولا يعجزه من اساء العمل الْغَفُورُ لمن تاب واناب والستور الذي لا ييأس منه اهل الاساءة والزلل الَّذِي نعت لما قبله او بيان له او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف او نصب على المدح خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ قيل الاولى

من كذا والثانية من كذا الى السابعة ولم اقف على دليله من الكتاب العزيز والسنة المطهرة طباقا اي مطبقا بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض وهو جمع طبق نحو جبل وجبال او جمع طبقة نحو رحبة ورحاب ومصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى هذا الوصف بالمصدر للمبالغة او على حذف مضاف ليذات طباق او طويقت طباقا قال البقاعي طباقا بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة ثانية لسبع سموات او مستانفة لتقرير ما قبلها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له ومن مزيدة لتاكيد النفي واضافة خلق الرحمن من اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف تقديره لهن او لغيرهن قرأ الجمهور من تفاوت وقرئ تفوت مشددا بدون الف وهما لغتان كالتعاهد والتعهد والتحامل والتحمل والمعنى من تناقض ولا تباين ولا اعوجاج ولا تخالف بل هي مستقيمة دالة على خالقها وان اختلفت صورها وصفاتها فقد اتفقت من هذه الحيثية وقال ابن عباس من تشقق وقيل من اضطراب وقيل من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا فارجع البصر اي ارددطرفك حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقه ثم امر ثانيا بترديد البصر في ذلك لزيادة التاكيد وحصول الطمانينة هل ترى من فطور قال مجاهد والضحاك الفطور الصدوع والشقوق جمع فطر وهو الشق وقال قتادة هل ترى من خلل وقال السدي من خروق وصله من التقطر والانفطار وهو التشقق والانشقاق وعن ابن عباس قال الفطور الوهي وعنه قال من تشقق وخلل ثم ارجع البصر كرتين اي جعتين مرة بعد مرة وانتصابه على المصدر والمراد بالتثنية التكثير كما في لبيك وسعديك وحنانيك وهذا ذيك لا يريدون بهذه التثنية شفع الواحد انما يريدون التكثير اي رجعة بعد رجعة وان كثرت واجابة لك بعد اخرى ولا تناقض الغرض ووجه الامر بتكرير النظر على هذه انه قد لا يرى ما يظنه من العيب في النظرة الاولى ولا في الثانية ولهذا قال اولا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم قال ثانيا ثم ارجع البصر كرتين فيكون ذلك ابلغ في اقامة الحجة واقطع للمعذرة وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها ينقلب اليك البصر خاسئا اي يرجع اليك البصر خاسئا شعاعا متباعدا عن ان يرى شيئا من ذلك وقيل فعني خاسئا مبعدا مطرودا عن ان يبصر ما التمسه من العيب يقال خسأت الكلب اي ابعدته وطردته وقال

ابن عباس خاسئا صاغرا ذليلا وقرأ الجمهور ينقلب بالجزم جوابا للامر وقرئ بالرفع على الاستيناف
وَهُوَ حَسِيرٌ اي كليل لا يرى شيئا قاله ابن عباس اي منقطع وعنه قال عي مرتجع قال الزجاج اي وقد
اعيا من قبل ان يرى في السماء خللا وهو فعيل بمعنى فاعل من الحسور وهو الاعياء يقال حسر بصره يحسر
حسورا اي كل وانقطع وبلغ الغاية في الاعياء ولما فرغ سبحانه من تفاصيل بعض احكام الملك واثار
القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح شرع في ذكر دلائل اخرى على تمام قدرته بعد تمام الدلائل
فقال وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا اي القريبة الى الارض من بقية السموات وهي التي يراها الناس بِمَصَابِيحَ
اي بنجوم فصارت بهذه الزينة في احسن خلق واكمل صورة وابهج شكل والمجيئ بالقسم لابراز كمال
العناية والمصابيح جمع مصباح وسميت الكواكب مصابيح لانها تضيئ كاضاءة السراج ففي الكلام استعارة
تصريحية لان حقيقة المصباح كما في المختار السراج وبعض الكواكب وان كان في غير سماء الدنيا من
السموات التي فوقها فهي ترى كانها كلها في السماء الدنيا لان اجرام السموات لا تمنع من رؤية ما فوقها
مما له اضاءة لكونها اجراما صقيلة شفافة وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ هذه فائدة اخرى غير
الفائدة الاولى وهي كونها زينة للسماء الدنيا والمعنى انها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع و
الرجوم جمع رجم بالفتح وهو في الاصل مصدر اطلق على المرجوم به كما في قولهم الدرهم ضرب الامير اي مضروبه
او المعنى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار انواعه وقيل ان الضمير في جعلناها الى المصابيح على حذف مضاف
اي جعلنا شهبها وهي نارها المقتبسة منها لا هي نفسها لقوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
ووجه هذا ان المصابيح التي زين الله بها السماء الدنيا لا تزول عن مكانها ولا يرجم بها بان ينفصل شهاب
عن الكوكب فيقتل الجني او يخبله كذا قال ابو علي الفارسي جوابا لمن سأله كيف تكون المصابيح زينة
وهي رجوم قال القشيري وامثل من قوله هذا ان نقول هي زينة قبل ان ترجم بها الشياطين قال قتادة
خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر فمن تكلم
فيها بغير ذلك فقد تكلف فيما لا يعلم وتعدى وظلم وقيل معنى الاية وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب للشياطين لا نهم
المنجمون قال ابو السعود ولا يساعده المقام وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ اي للشياطين في الاخرة بعد الاحراق في الدنيا
بالشهب عَذَابَ السَّعِيرِ هو النار الموقدة واشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
من كفار بني ادم او من كفار الفريقين عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اي ما يصيرون اليه وهو جهنم

إِذَا أُلْقُوا أي طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا أي صوتا منكرا الصوت الحمير عند اول نهيقها وهو افبح الاصوات وتشهق اليهم شهقة البغل للشعير تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف وقوله لها في محل نصب على الحال اي كائنا لها لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا وقال عطاء الشهيق هو من الكفار عند القائهم في النار وَهِيَ تَفُورُ اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تَكَادُ تَمَيَّزُ اي تتميز يعني تتقطع مِنَ الْغَيْظِ على الكفار فجعلت كالمغتاظة استعارة لشدة غليانها بهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار وقال ابن عباس تميز اي تتفرق ويفارق بعضها بعضا قرأ الجمهور تميز بتاء واحدة مخففة وقرئ بتاءين على الاصل وبتشديدها بادغام احداهما في الاخرى وقرئ تمايز والاصل تتمايز وتميز من مازيميز كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ مستانفة للبيان حال اهلها والفوج الجماعة من الناس اي كلما القي في جهنم جماعة من الكفار سَأَلَهُمْ اي الفوج والجمع باعتبار معناه خَزَنَتُهَا من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع أَلَمْ يَأْتِكُمْ فِي الدُّنْيَا نَذِيرٌ ينذركم هذا اليوم ويحذركم صنه قَالُوا بَلَى مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل فما ذا قالوا بعد هذا السؤال فقال قالوا بلى قَدْ جَاءَنَا اي جاء كلا منا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا نذرنا وخوفنا واخبرنا بهذا اليوم وهذا من كلام الفوج وكل فوج له نذير فلا يحتاج الى التاويل وهذا اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وجمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المفادة به تاكيدا اذ لو اقتصروا على بلى لفهم للمعنى ولكنهم صرحوا بالمقاد ببلى تحسرا وزيادة ندم في تفريطهم وليعطفوا عليه قولهم فَكَذَّبْنَا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى وَقُلْنَا في حق ما تلاه علينا من الآيات افراطا في التكذيب مَا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ شَيْءٍ من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات على المستكم من الوعد والوعيد وغيرهما إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ اي في ذهاب عن الحق وبعد عن الصواب خطأ عظيما لا يقادر قدره وهذا يحتمل ان يكون من كلام الكفار للنذر وان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك او سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة وهذا يسمى المشاكلة في علم البيان وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكى للخزنة والاحتمال الاول هو الذي استظهره جمهور المفسرين ثم حكى الله عنهم مقالة اخرى قالوها بعد تلك المقالة فقال وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ مَا خاطبنا به الرسل أَوْ نَعْقِلُ شَيْئًا من ذلك مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ اي في عداد اهل النار ومن جملة من يعذب بالسعير وهم الشياطين كما سلف قال الزجاج لو كنا نسمع سماع من يعي

او نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على اداة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان فلما اعترفوا بهذا الاعتراف قال الله سبحانه فاعترفوا بذنبهم الذي استحقوا به عذاب النار وهو الكفر وتكذيب الانبياء فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من الله ورحمته قال ابن عباس سحقا بعدا وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق قرأ الجمهور سحقا باسكان الحاء وقرئ بضمها وهما لغتان مثل السحت والرعب وسحقا منصوب على المفعول به اي الزمهم الله سحقا وقال الزجاج وابو علي الفارسي منصوب على المصدر اي اسحقهم الله سحقا وقال ابو علي الفارسي كان القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف والالزام في اصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ولما فرغ سبحانه من ذكر احوال النار شرع في ذكر اهل الجنة فقال ان الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او من المفعول اي غائبين عنه او غائبا عنهم والمعنى انهم يخشون عذابه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه ويجوز ان يكون المعنى يخشون ربهم حال كونهم غائبين عن اعين الناس وذلك في خلواتهم فيطيعونه سرا فيكون علانية اولى والمراد بالغيب كون العذاب غائبا عنهم لانهم في الدنيا وهو انما يكون يوم القيامة والباء على هذا سببية قال ابن عباس في الآية هم ابو بكر وعمر وعلي وابو عبيدة بن الجراح اخرجه ابن مردويه لهم مغفرة عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره وهو الجنة ومثل هذه الآية قوله من خشي الرحمن بالغيب وظاهر الآية العموم ثم عاد سبحانه الى خطاب الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به مستأنفة مسوقة لبيان تساوي الاسرار والجهر بالنسبة الى علم الله سبحانه والمعنى ان اخفيتم كلامكم او جهرتم به في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل ذلك يعلمه الله لا تخفى عليه منه خافية وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى ولان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب ليتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله انه عليم بذات الصدور تعليل للاستواء المذكور وتقريره وفي صيغة التفعيل وتخلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية

وراءه كناية عن المبالغة في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها الا يعلم الاستفهام للانكار والمقصود نفي عدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر والمعنى لا يعلم السر ومضمرات القلوب من خلق ذلك واوجده فالموصول عبارة عن الخالق ويجوز ان يكون عبارة عن المخلوق وفي يعلم ضمير يعود الى الله اي لا يعلم الله المخلوق الذي هو من جملة خلقه فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه وفيه اثبات خلق الافعال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال ابو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتاج الى هذا النفي خلق الافعال وهو اللطيف الخبير اي الذي لطف علمه بما في القلوب الخبير بما تسره وتضمره من الامور لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم امتن سبحانه على عباده فقال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا اي سهلة لينة مذللة تستقرون عليها منقادة لما تريدون منها من مشي عليها وزرع وحبوب وغرس وغير ذلك ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون والمشي عليها والذلول في الاصل هو المنقاد الذي يذل لك ولا يستصعب عليك والمصدر الذل وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين ينبغي النفس مترقبة لورود ه فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن فامشوا في مناكبها استدلال او استرزاق والفاء لترتيب الامر بالمشي على الجعل المذكور والامر للاباحة قال مجاهد والكلبي ومقاتل مناكبها طرقها واطرافها ونواحيها وجوانبها وقال قتادة وشهر بن حوشب مناكبها جبالها وقيل فجاجها وقال ابن عباس وقال ايضا اطرافها واصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل ومنه الريح النكباء لانها تاتي من جانب دون جانب وكلوا من رزقه اي مما رزقكم وخلقه لكم وا لتمسوا من نعم الله تعالى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المؤمن المحترف اخرجه الطبراني وابن عدي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي واليه لا الى غيره النشور ومن قبوركم للجزاء فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم فبالغوا في شكر نعمه والائه وفي هذا وعيد شديد ثم خوف سبحانه الكفار فقال ءامنتم من في السماء قال الواحدي قال المفسرون يعني عقوبة من في السماء وقيل من في السماء عرشه وقدرته وسلطانه اي محل سلطانه ومحل قدرته

ع ١٤

وهو العالم العلوي وخص بالذكر وان كان كل موجود مملا للتصرف فيه ومقدورا له تعالى لان العالم العلوي اعجب واغرب فالتخويف به اشد من التخويف بغيره وقيل للملائكة وقيل المراد جبريل وقيل هو الله سبحانه وهو الحق ان ظاهر النظم القراني يقتضي ان الباري تعالى فوق السماء وفي بمعنى على والمعنى من ثبت واستقر فوق السماء اي على العالي وهو العرش قرأ الجمهور امنتم بهمزتين وقرئ بالتخفيف وبدلها الاولى واوا وقوله ان يخسف بكم الارض بدل اشتمال من الموصول اي امنتم خسفا او على حذف من اي من ان يخسف والمعنى يقلبها متلبسة بكم كما فعل بقارون بعد ما جعلها الكم ذلولا تمشون في مناكبها فاذا هي تمور اي تضطرب وتتحرك بكم على خلاف ما كانت عليه من السكون والاطمينان وقيل تهوي بهم وقيل تجيء وتذهب والاول اولى قال الرازي ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فتنقلب فوقهم وتخسفهم الى اسفل سافلين ثم كرر سبحانه التهديد لهم بوجه اخر فقال ام امنتم اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه اخر اي بل امنتم من في السماء وهو الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على علوه وصيانته عن خلقه باستوائه على عرشه ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قرية قوم لوط واصحاب الفيل وقيل سحاب فيها حجارة وقيل لكم فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها والكلام فيه كالكلام في ان يخسف بكم الارض فهو اما بدل اشتمال وبتقدير من فستعلمون عند معاينة العذاب كيف نذير اي انذاري بالعذاب اي انه حق قاله المحلي وقيل النذير هنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله عطاء والضحاك والمعنى ستعلمون رسولي وصدقه والاول اولى ولقد كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة من كفار الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الرس وقوم فرعون والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بما اصابتهم به من العذاب الفظيع وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تذنيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا الهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يروا واجمع القراء على قراءته بياء الغيبة لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل ففيه الغيبة والخطاب الى الطير جمع طائر ويقع على الواحد والجمع وقال ابن الانباري الطير جماعة وتانيثها اكثر من تذكيرها ولا يقال للواحد طير بل طائر وقلما يقال للانثى طائرة فوقهم في الهواء صافات حال اي صافة لاجنحتها في الهوى والجو وتبسطها عند طيرانها

صحيفة

وَيَقْبِضْنَ اي يضممن اجنحتهن الى جنوبهن اذا ضربن بها حينا فحينا للاستظهار والاستعانة على التحرك في الطيران قال النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحه صاف واذا ضمها قابض كانه يقبضها وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط وانما قال ويقبضن ولم يقل قابضات كما قال صافات لان القبض يتجدد تارة فتارة واما البسط فهو الاصل لكن اقيل وقيل المعنى قبضهن لا جنحتهن عند الوقوف من الطيران لا قبضهما في حال الطيران مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ حالية او مستانفة لتبيان كمال قدرة الله سبحانه والتفات اظهر والمعنى انه ما يمسكهن في الهوى عن الوقوع عند الطيران الا الرحمن القادر على كل شيء والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا الواو امساك وحفظة وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ لا يخفى عليه شيء كائنا ما كان يعلم كيف يخلق الغرائب وكيف يدبر العجائب فبصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ الاستفهام للتقرير والتوبيخ والالتفات عن الغيبة الى الخطاب للتشديد في ذلك التبكيت والمعنى انه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله والجند الحزب والمنعة قرأ الجمهور امن بتشديد الميم على ادغام ميم ام في ميم من وام بمعنى بل ولا سبيل الى تقدير الهمزة بعدها كما هو الغالب في تقدير ام المنقطعة ببل والهمزة لان ما بعدها ههنا من الاستفهامية فاغنى عن ذلك التقدير ومن الاستفهامية مبتدء واسم الاشارة خبره والموصول مع صلته صفة اسم الاشارة وينصركم صفة لجند ومن دون الرحمن في محل نصب على الحال من فاعل ينصركم والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم متجاوز انصر الرحمن إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ معترضة مقررة لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه من غاية الضلال والالتفات عن الخطاب الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والمعنى ما الكافرون الا في غرور عظيم من جهة الشيطان يغرهم به أَمَّنْ تكتب امن موصولة في من وكذا يقال فيما تقدم هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله اي من الذي يدد عليكم الرزق من المطر وغيره إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ اي اسباب رزقه التي ينشأ عنها كالمطر بل لو كان الرزق موجودا كثيرا سهل التناول وضع الاكل لقلة في فيه فامساك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان امساك رزقه فمن يرزقكم غيره وقوله بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ينبئ عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل بل تمادوا في التبكيت والتعجيز ولم يتأثروا

لذلك والجحود عنوا للحق بل تمادوا في عنادهم واستكبارهم عن الحق ونفورهم عنه ولم يعتبروا ولا تفكروا قال الرازي والاجتماع تضمحل الامور مع كثرة الصوارف عنه والعتو العناد والطغيان والنفور الشرود وقال ابن عباس في عتو ونفور اي في ضلال أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك الحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صدق انها هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب والمنكب الساقط على وجهه يقال كببته فاكب وانكب وقيل هو الذي يكب راسه فلا ينظر يمينا ولا شمالا ولا امامه فهو لا يامن العثور والاكتئاب على وجهه وقيل اراد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فلا يزال مشيه ينكسه على وجهه والمكب اسم فاعل من اكب اللازم المطاوع لكبه يقال كبه الله على وجهه فالنار فاكب اي سقط وهذا على خلاف القاعدة من ان الهمزة اذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا قد دخلت على المتعدي فصيرته لازما قال قتادة هو الكافر يكب على معاصي الله سبحانه في الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه والهمزة للاستفهام الانكاري والمعنى هل هذا الذي يمشي على وجهه اهدى الى المقصد الذي يريده أمن يمشي سويا قائما معتدلا ناظرا الى ما بين يديه سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم اي على طريق مستوي لا اعوجاج به ولا اشراف فيه قال ابن عباس مكبا في الضلالة وسويا مهتديا وقيل يعني بالمكب الجاهل وبالسوي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بمن يمشي مكبا من يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا من يحشر على قدميه الى الجنة وهو كقول قتادة الذي ذكرناه ومثله قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم وخبر من محذوف لدلالة خبر من الاولى وهو اهدى عليه وقيل لا حاجة الى ذلك لان من الثانية معطوفة على من الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد قائم ام عمرو وحال الخبرين ام لا حال الشيئين قل لهم يا اشرف الخلق وذكرهم بما دفع عنهم الموالي من المفاسد وجمع لهم من المصالح لير جعوا اليه ولا يعولوا في حال من الاحوال الا عليه هو الذي انشأكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا به آيات الله وتتمسكوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتبصروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل ووجه افراد السمع مع جمع الابصار انه مصدر يطلق على الكثير والقليل وقد مضى

بيان هذا في مواضع مع زيادة البيان وآلاء فيه لتتفكروا بها في عظمة قدرة الله وإتيانه التنزيلية والتكوينية
وترتقوا في معارج الايمان والطاعة وخصها بالذكر لانها الآلات العلم وقدم الله سبحانه انه قد جعل لهم
ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات ايضاحا للحجة وقطعا للمعذرة وذمهم على عدم شكر
نعم الله وهذا قال قليلا ما تشكرون اي باستعمال هذه الحواس فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة
وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد التقليل اي شكرا قليلا او زمانا قليلا فالقلة على ظاهرها وقيل
اراد بقلة الشكر عدمه وجوز منهم ان كان الخطاب للكفرة قال مقاتل يعني انكم لا تشكرون رب هذه
النعم فتوحدونه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه
وليقرء هذه الآية هو الذي انشاكم الى قوله تشكرون اخرجه الخطيب في تاريخه وابن النجار وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشتكى ضرسه فليضع اصبعه عليه وليقرء هاتين الآيتين سبع مرات هو الذي
انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع الى قوله يفقهون وهو الذي انشاكم الى تشكرون فانه يبرأ باذن
الله اخرجه الدارقطني في الافراد قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون امر الله سبحانه ورسوله
صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم ان الله هو الذي خلقهم في الارض ونشرهم فيها وفرقهم على ظهرها وبثهم وانشاهم
بعد ما كانوا كالذر وان حشرهم اليه للجزاء لا الى غيره اشتراكا واستقلالا فليبنوا امورهم على ذلك ثم ذكر
سبحانه انهم يستعجلون العذاب فقال ويقولون من فرط عتوهم استهزاء وسخرية وتكذيبا متى
هذا الوعد الذي تذكرون من الحشر والقيامة والنار والعذاب ان كنتم صادقين في ذلك
والخطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين لانهم كانوا مشاركين له في الوعد وتلاوة
الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف والتقدير ان كنتم صادقين فاخبرونا به او فبينوا
وقته لنا ثم لما قالوا هذا القول امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب عليهم فقال قل إنما العلم
اي ان وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره ومثله قوله انما علمها عند ربي ثم اخبرهم انه
مبعوث للانذار لا للاخبار بالغيب فقال وإنما أنا نذير مبين اي انذركم واخوفكم عاقبة كفركم
ابين لكم مما امرني الله ببيانه باقامة الادلة حتى يصير ذلك كانه مشاهد والانذار يكفي له العلم
بل الظن بوقوع المحذر منه ثم ذكر سبحانه حالهم عند معاينة العذاب فقال فلما رأوه زلفة الفاء فصيحة
معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه

دقيقة وجيز القاموس

وزلفة مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او حال من مفعول او ذا زلفة وقرب او رأوه في مكان ذا زلفة قال مجاهد اي قريبا وقال الحسن عيانا واكثر المفسرين على ان المراد عذاب الاخرة يوم القيامة وقال مجاهد المراد عذاب بدر وقيل رأوا ما وعدوا به من الحشر قريبا منهم كما يدل عليه قوله والبه تحشرون وقيل المراد اعم السيء قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلتها الكابة والقترة وغشيتها الذلة والسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء اذا قبح والاصل ساء وجوههم العذاب برؤيته اي احزنها وساءت هنا ليست هي المرادفة لبئس والمقام للضمير وانث بالمظهر توصلا لازمهم بالكفر وتعليل المساءة به قال الزجاج المعنى تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب فظهر عليهم بسببه في وجوههم ما يدل على كفرهم كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قرأ الجمهور سيئت بكسر السين بدون اشمام وقرئ بالاشمام وقيل لهم توبيخا وتقريعا هذا المشاهد الحاضر من العذاب هو العذاب الذي كنتم به تدعون والدعاء اي تطلبونه وتستعجلون به استهزاء على ان معنى تدعون الدعاء قال الفراء تدعون تفتعلون من الدعاء اي تتمنون وتسألون وبهذا قال الاكثر من المفسرين وقال الزجاج تدعون الاباطيل والاحاديث وقيل معنى تدعون تكذبون هذا على قراءة الجمهور تدعون بالتشديد فهو اما من الدعاء كما قال الاكثر او من الدعوى كما قال الزجاج ومن وافقه والمعنى انهم كانوا يدعون انه لا بعث ولا حشر ولا جنة ولا نار وقرئ تدعون مخففا ومعناها ظاهر وهي مؤيدة للقول بانها من الدعاء قال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية قال النحاس تدعون وتدعون بمعنى واحد كما تقول قدر واقتدر وغدى واغتدى الا ان افعل معناه مضى شيئا بعد شيء وفعل يقع على القليل والكثير قل ارأيتم ان اهلكني الله بموت او قتل كقوله وان امرؤ هلك او بالعذاب ورحمنا من المؤمنين اخر رحمنا بتاخير ذلك الى اجل او لم يعذبنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي فمن يمنعهم ويؤمنهم من العذاب والمعنى انه لا ينجيهم من ذلك احد سواء اهلك الله رسوله والمؤمنين معه كما كان الكفار يتمنونه او امهلهم وقيل المعنى انا مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وبيان انه السبب في عدم نجاتهم وتعليل نفي الاجارة به وارايتم بمعنى اخبروني كما ذكره بعض المفسرين وانها اذا كانت كذلك تنصب مفعولين الاول مفرد والثاني جملة استفهامية ولا شيء منهما هنا فكان الجملة الشرطية

سدت مسد المفعولين وقوله فمن يجير الخ جواب الشرط في تسببه على الشرط بعد ويمكن ان يقال الجواب محذوف تقديره فلا فائدة لكم في ذلك ولا نفع يعود عليكم لانكم لا مجير لكم من عذاب الله قل هو الرحمن الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها امنا به وحده لا نشرك به شيئا مما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه لا على غيره توكلنا اي فوضنا الامور اليه عز وجل لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون اذا نزل بكم العذاب من هو في ضلال مبين منا ومنكم وفي هذا تهديد شديد مع اخراج الكلام مخرج الانصاف قرأ الجمهور فستعلمون بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الخبر ثم احتج سبحانه عليهم ببعض نعمه وخوفهم سلب تلك النعمة عنهم فقال قل ارأيتم اي اخبروني ان اصبح ماؤكم الذي تعدونه في ايديكم كما نبهت عليه اضافة غورا اي غايرا في الارض بحيث لا يبقى له وجود فيها او صار ذاهبا في الارض الى مكان بعيد بحيث لا تناله الدلاء يقال غار الماء غورا اي نضب والغور الغائر ووصف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل وقد تقدم مثل هذا في سورة الكهف وكان ماؤهم من بئر زمزم و بئر ميمون قال ابن عباس غورا داخلا في الارض وعنه يرجع في الارض فمن يأتيكم بماء معين اي ظاهر تراه العيون وتناله الدلاء وقيل هو من معن الماء اذا كثر وقال قتادة والضحاك اي جار وقد تقدم معنى المعين في سورة المؤمنون وقرأ ابن عباس بماء عذب وعنه قال بماء معين اي الجاري وعنه قال معين ظاهر وعنه قال عذب والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والعناد والكبر قال المحلي ويستحب ان يقول القاري عقب معين الله رب العلمين كما ورد في الحديث وتليت بهذه الاية عند بعض المتجبرين فقال تاني به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجرأة

على الله وعلى اياته ٭٭

سورة نون وتسمى سورة القلم اثنتان وخمسون اية وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وعن ابن عباس وقتادة ان من اولها الى قوله على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله اكبر لو كانوا يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله من الصالحين مدني وباقيها مكي كذا قال الماوردي وعن ابن عباس قال كانت

اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء وكان اول ما نزل من القران اقرأ باسم ربك ثم نون ثم المزمل ثم المدثر وعنه نزلت نون بمكة وعن عايشة مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

ن قرئ بادغام النون الثانية من هجائها في الواو وقرئ بالاظهار وبالفتح على اضمار فعل وبكسرها على اضمار القسم او لاجل التقاء الساكنين وبضمها على البناء عن ابن عباس انه قال نون الدواة اخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد واخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النون السمكة التي عليها قرار الارضين وقال مجاهد والسدي ومقاتل هو الحوت الذي يحمل الارض وبه قال مرة الهمداني وعطاء الخراساني والكلبي وقيل ان نون اخر حرف من حروف الرحمن وقال ابن زيد هو قسم اقسم الله به وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقال عطاء وابو العالية هي النون من نصر وناصر وقال محمد بن كعب قسم الله بنصرة المؤمنين وقيل اسم للسورة وقيل اسم القران وقيل هو حرف من حروف الهجاء كالفواتح الواقعة في اوائل السور المفتتحة بذلك وقد اختاره المحلي حيث قال احد حروف الهجاء واراد بذلك الرد على من قال انه مقتطع من اسمه تعالى الرحمن او النصير او الناصر او النور وقال النسفي الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه مرحرف المعجم انتهى وقد عرفناك ما هو الحق في مثل هذه الفواتح في اول سورة البقرة والقلم الواو واو القسم اقسم الله بالقلم لما فيه من البيان وهو واقع على كل قلم يكتب به في الارض والسماء وقال جماعة من المفسرين ومنهم المحلي المراد به القلم الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ اقسم الله به تعظيما له قال قتادة القلم من نعمة الله على عباده وعن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن الى الابد اخرجه الترمذي وصححه وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه واخرج ابن جرير عن معاوية بن قرة عن ابيه مرفوعا نحوه وعن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة اخرجه ابن جرير وابن المنذر واخرج الحكيم الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا نحوه وعن ابن عباس

ان اول شئ خلقه الله القلم فقال الله له اكتب فقال يارب ما اكتب فقال اكتب القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن الى ان تقوم الساعة ثم طوي الكتاب ورفع القلم وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء فتفتقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الارض عليه والارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض فاثبتت الجبال فان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة ثم قرأ نون والقلم وما يسطرون اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وابو الشيخ وغيرهم وَمَا يَسْطُرُونَ ما موصولة والضمير عائد الى اصحاب القلم المدلول عليهم بذكره لان ذكر آلة الكتابة تدل على الكاتب والمعنى والذي يكتبون كلما يكتب او الحفظة الكاتبون على بني آدم قال ابن عباس يسطرون يكتبون ويجوز ان تكون ما مصدرية اي وسطرهم وقيل الضمير راجع الى القلم خاصة من باب اسناد الفعل الى الآلة واجراها مجرى العقلاء وعن ابن عباس ايضا قال وما يسطرون ما يعلمون مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ جواب القسم وما نافية اي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل قيل الباء متعلقة بمضمر هو حال كانه قيل انت بري من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة العامة وقيل الباء للقسم اي ما انت ونعمة ربك بمجنون وقيل النعمة هنا الرحمة والاية رد على الكفار حيث قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا اي ثوابا على ما تحملت من اثقال النبوة وتاسيت من انواع الشدائد غَيْرَ مَمْنُونٍ اي غير مقطوع يقال منت الحبل اذا قطعته وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وقيل غير ممنون به عليك من جهة الناس وقيل غير منقوص وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ قيل هو الاسلام والدين حكاه الواحدي عن الاكثرين قال الحفناوي اقسم اولا بالقلم ثم بسطر الملائكة او بمسطورهم فالمقسم به شيئان على ثلاثة اشياء نفي الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على دين الاسلام وقيل هو القرآن روي هذا عن الحسن والعوفي وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من امر الله وينتهي عنه من نهي الله قال الزجاج المعنى انك على الخلق الذي امرك الله به في القرآن وقيل هو لزم فقه بامته واكرامه اياهم وقيل المعنى انك على طبع كريم قال الماوردي وهذا هو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغة ما ياخذ الانسان نفسه به من الادب عن سعد بن هشام قال اتيت عايشة فقلت يا ام المؤمنين اخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن اما تقرء القرآن انك لعلى خلق عظيم اخرجه مسلم وابن المنذر والحاكم وغيرهم وعنها قالت ما كان احد

احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك فلذلك انزل الله وانك لعلى خلق عظيم اخرجه ابن مردويه وابو نعيم في الدلائل والواحدي وعن ابي الدرداء قال سئلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه اخرجه البيهقي في الدلائل وابن مردويه وابن المنذر وعن ابي عبد الله الجدلي قال قلت لعايشة كيف خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لم يكن فاحشا ولا متفاحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه ابن ابي شيبة والترمذي وصححه وابن مردويه وقيل غير ذلك مما يطول ذكره وهو في كتب الشمائل والسير مستوفى فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ اي ستبصر يا محمد ويبصر الكفار اذا تبين الحق وانكشف الغطاء وذلك يوم القيامة قال ابن عباس اي ستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل وقيل في الدنيا بظهور عاقبة امرك بغلبة الاسلام واستيلائك وعليهم بالقتل والنهب وهذا وعد له ووعيد لهم بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ قال الخطيب سهم بايكم فهنا بايا ين انتهى والباء زائدة للتاكيد اي ايكم المفتون بالجنون كذا قال الاخفش وابو عبيدة وغيرهما الا انه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدا الا في بحسبك فقط وقيل ليست الباء زائدة والمفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور والتقدير بايكم الفتون او الفتنة وقال الفراء ومجاهد ان الباء بمعنى في فهي ظرفية اي في ايكم المفتون اي الفريق الذي انت فيه ام في الفريق الآخر ويؤيد هذا قراءة ابن ابي عبلة بفي وقيل في الكلام حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه روي هذا عن الاخفش ايضا وتكون الباء سببية وقيل المفتون المعذب من قولهم العرب فتنت الذهب بالنار اذا احميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقيل للمفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه والمعنى بايكم الشيطان قال ابن عباس كانوا يقولون انه شيطان وانه مجنون وعنه قال المفتون المجنون وقال قتادة ومقاتل هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر والمعنى ستري ويرى اهل مكة اذا نزل بهم العذاب ببدر بايكم المفتون إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ تعليل للجملة التي قبلها فانها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل واختيارهم ما فيه ضررهم فيهما وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد والمعنى هو اعلم بمن ضل عن سبيله الموصل الى سعادة الدارين وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ الى سبيله الموصل الى تلك السعادة الآجلة والعاجلة فهو مجازيهم

كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تطع المكذبين الفاء لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج للتصميم على مباينتهم فحاه سبحانه عن مما يلة المشركين وهم رؤساء كفار مكة لانهم كانوا يدعونه الى دين آبائه فنهاه الله عن طاعتهم او هو تعريض لغيره عن ان يطيع الكفار والمراد بالطاعة مجرد المداراة باظهار خلاف ما في الضمير فنهاه الله عن ذلك كما يدل عليه قوله ودوا لو تدهن فيدهنون فان الادهان هو الملاينة والمساهلة والمداراة قال الفراء المعنى لو تلين فيلينوا لك وكذا قال الكلبي وقال الضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادوا على الكفر وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعونك وقال مجاهد لو تركن اليهم وتتركهم وتتركك ما انت عليه من الحق فيما يلونك قال ابن قتيبة كانوا ارادوه على ان يعبد آلهتهم مدة ويعبد الله مدة وقال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقوله فيدهنون عطف على تدهن داخل في حيز لو وهو خبر مبتدء محذوف اي فهم يدهنون قال سيبويه وزعم قالون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا بغير نون والنصب على جواب التمني المفهوم من ودوا والظاهر من اللغة في معنى الادهان هو ما ذكرناه اولا ولا تطع كل حلاف في اي كثير الحلف بالباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف مهين فعيل من المهانة وهي القلة في الراي والتمييز وقال مجاهد هو الكذاب وقال قتادة المكثار في الشر وكذا قال الحسن وقيل هو الفاجر العاجز وقيل هو الحقير عند الله وقيل هو الذليل وقيل هو الوضيع واخرج ابن مردويه عن ابي عثمان النهدي قال قال مروان لما بايع الناس ابن يزيد سنة ابي بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن ابي بكر انها ليست بسنة ابي بكر وعمر لكنها سنة هرقل فقال مروان هذا الذي انزل فيه والذي قال لوالديه اف لكما الآية قال فسمعت ذلك عايشة فقالت انها لم تنزل في عبد الرحمن ولكن نزلت في اهل بيتك ولا تطع كل حلاف مهين همّاز هو المغتاب للناس قال ابن زيد هو الذي يعمز باخيه وقيل الهماز العياب وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم كذا قال ابو العالية والحسن وعطاء بن ابي رباح وقال مقاتل عكس هذا وقيل الهماز الذي يعمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهمز الكسر ومنه همزت الجوز بالكسر وزنا ومعنى وبابه ضرب وهمزات الشيطان خطراته التي يخطرها بقلب الانسان مشاء بنميم هو الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نمّ ينمّ اذا سعى بالفساد بين الناس وقيل النميم جمع نميمة اي نقل

للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ اي بخيل بالمال لا ينفقه في وجهه وقيل هو الذي يمنع اهله وعشيرته عن الاسلام قال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد صلعم لا انفعه بشيء ابد مُعْتَدٍ اي متجاوز الحد في الظلم أَثِيمٍ كثير الاثام عُتُلٍّ قال الواحدي المفسرون يقولون هو الشديد الخلق الفاحش الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الزجاج هو الغليظ الجافي في الطبع من عتله اذا قاده بعنف وغلظة وقال الليث هو الاكول المنوع وقيل قاسي القلب وقيل الذي يعتل الناس اي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومده حذوه فاعتلوه وقيل هو الفاحش اللئيم بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ اي هو بعد ما عد من معائبه ومثالبه الثمانية دعي ملصق مستلحق بالقوم وليس هو منهم ماخوذ من الزنمة المتدلية في حلق الشاة او الماعز وقال سعيد بن جبير الزنيم المعروف بالشر وقيل هو رجل من قريش كان له زنمة كزنمة الشاة وقيل هو الظلوم وقال ابن عباس له زنمة كزنمة الشاة والعتل هو الدعي والزنيم هو المريب الذي يعرف بالشر وعنه قال الزنيم الدعي وعنه الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وعنه قال هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء وقال ايضا الزنيم الظلوم وهذه البعدية في الرتبة لا في الخارج قال الشهاب فبعد هنا اكثر للتراخي في الرتبة قال ابو السعود وفيه دلالة على ان دعوته اشد معائبه واقبح قبائحه وقد قيل ان هذه الايات نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملصق في بني زهرة وقيل في الوليد بن المغيرة وبه قال الجمهور وقيل في ابي جهل بن هشام وقيل في الاسود بن يغوث قاله ابن عباس اَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَّبَنِيْنَ متعلق بقوله تعالى ولا تطع اي لا تطع مَن هذه مثالبه لان كان صمتوا لا مستظهرا بالبنين قاله الفراء والزجاج قرئ ان كان بهمزة واحدة على الخبر وقرئ بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع حيث جعل مجازاة النعم التي خولها اياه من المال والبنين ان كفر به وبرسوله وقرئ بهمزتين مخففتين وقرأ ناضع في رواية عنه بكسر الهمزة على الشرط وجوابه مقدر اي ان كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده اِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيَاتُنَا اي القرآن قَالَ هِيَ اَسَاطِيْرُ اي الاكذوبة الاولين الجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك سَنَسِمُهٗ عَلَى

الخرطوم راي سنكويه بالكي على انفه مهانة له وعلامة تعيرها ما عاش قال ابو عبيدة وابو زيد والمبرد الخرطوم الانف وتخصيص الانف بالذكر كان الوسم عليه اشنع وفي التعبير عن الانف بالخرطوم استهجان واستهزاء باللعين كان الخرطوم انف السباع وغالب ما يستعمل في انف الفيل والخنزير وفي القاموس الخرطوم كزنبور الانف او مقدمه او ما ضمت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ وفي السمين هو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل باسم الجزء لانه اظهرها فيه واعلاه والاول اولى وقد جرح انف هذا اللعين يوم بدر فبقي اثر الجرح في انفه بقية عمره وقال مقاتل سنسمه بالسواد على الانف وذلك انه يسود وجهه قبل دخول النار وقال الزجاج سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به اهل النار من اسوداد وجوههم وقال قتادة سنلحق به شيئا لا يفارقه واختار هذا ابن قتيبة قال والعرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون الصق به عارا لا يفارقه فالمعنى ان الله الحق به عارا لا يفارقه كالوسم على الخرطوم وقيل معنى سنسمه سنخطمه بالسيف وقال النضر بن شميل المعنى سنخدعه على شر الخدم وقد يسمى الخرطوم خدا ومنه قول الشاعر

تظل يومك في لهو وفي طرب * وانت بالليل شرب الخرطيم سكران

انا بلوناهم يعني كفار مكة فان الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف والرمم والابتلاء الاختبار والمعنى لعطينا هم الاموال ليشكروا لا يبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتلينا هم ابتلاء كما بلونا اصحاب الجنة المعروف خبرهم عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن على فرسخين من صنعاء لرجل يؤدي حق الله منها فمات وصارت الى اولاده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها قال الواحدي هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا من ابيهم ضيعة فيها جنات وزرع ونخيل وكان ابوهم يجعل مما فيها من كل شيء حظا للمساكين عند الحصاد والصرام فقالت بنوه المال قليل والعيال كثير ولا يسعنا ان نفعل كما كان يفعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله في كتابه وقال الحسن كانوا كفارا قال النسفي والجمهور على الاول وقال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان حرق جنتهم وقيل هي جنة كانت بصروان وصروان بالصاد المهملة على فراسخ من صنعاء وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بزمن يسير قاله الزرقاني في شرح المواهب وذكره القرطبي ايضا ومثله في حواشي البيضاوي وقال ابن عباس هم ناس من اهل الحبشة كان لابيهم جنة وكان يطعم منها المساكين فمات ابوهم

فقال بنوه وان كان ابونا لاحمق كان يطعم المساكين اذا اقسموا حلف معظمهم والا فالاوسط فقال لهم لا تفعلوا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه ابوكم قال البقاعي وكانه تعالى طواه لانه مع الدلالة عليه بما ياتي ليرى شيئا ليصرمنها مصبحين اي ليقطعنها داخلين في وقت الصباح قبل انتشار الفقراء والصرام القطع للثمر والزرع يقال صرم العذق عن النخلة واصرم النخل ايحان وقت صرامه والاصرام الاقطاع والتصرم التقاطع والتصرم التقطع واو تعليلية او ظرفية بنوع تسمح لان الاقسام كان قبل ابتلائهم وليصرمنها جواب القسم ولا يستثنون يعني ولا يقولون ان شاء الله وهذه الجملة مستانفة لبيان ما وقع منهم او حال وقيل المعنى ولا يستثنون المساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه ابوهم اليهم قاله عكرمة وقيل المعنى لا يثنون عزمهم عن الحرمان وسمي استثناء وهو شرط لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد قاله الزمخشري فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون اي فنزل على تلك الجنة طائف من جهة الله سبحانه اي هلاك او بلاء في حال نومهم والطائف غلب في الشر قال الفراء هو الامر الذي يأتي ليلا ورد عليه بقوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقرئ طيف والطائف قيل هو نار احرقتها حتى صارت سوداء كذا قال مقاتل وقيل الطائف جبريل اقتلعها وقال ابن عباس طائف اي امر من الله واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعصية فان العبد ليذنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم فان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف عليها طائف الآية قد حرموا خير جنتهم بذنبهم وفي هذه الآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم لما مايخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به قاله القرطبي فاصبحت كالصريم فعيل بمعنى مفعول اي صارت كالشئ الذي صرمت ثماره اي قطعت وقال الفراء كالصريم كالليل المظلم والمعنى انها احرقت فصارت كالليل الاسود قال الصريم الرماد الاسود بالغة حزمة وقال الاخفش اي كالصبح لانصرام من الليل يعني انها يبست وابيضت بالاثمر وقال المبرد الصريم الليل والصريم

النهار اي ينصرم هذا عن هذا وذاك عن هذا وقيل هي الليل وحده لانه يقطع بظلمته عن التصرف
وقال الموزج الصريم الرملة لانها لا ينبت عليها شيء ينتفع به وقال الحسن صرم منها الخير اي قطع فتنادوا
مُصْبِحِينَ اي نادى بعضهم بعضا حالين في الصباح معطوف على اقسموا وما بينهما اعتراض لبيان ما
نزل بتلك الجنة قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اَنِ اغْدُوا ان هي المفسرة لان في التنادي معنى القول
او هي المصدرية اي بان اغدوا والمراد اخروجوا غدوة عَلَىٰ حَرْثِكُمْ واقبلوا عليه بالكرين والغدو يتعدى
بالى وعلى فلا حاجة الى تضمينه معنى الاقبال كما قيل والمراد بالحرث الثمار والزرع والعنب اِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ
اي قاصدين للصرم وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم مريدين صرامه فاغدوا وقيل معنى صارمين
ماضين في العزم من قولك سيف صارم فَانْطَلَقُوا اي ذهبوا الى جنتهم وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ اي يسرون الكلام
بينهم لئلا يعلم احد بهم يقال خفت يخفت اذا سكن ولم يجس قال ابن عباس الخفت الاسرار والكلام الخفي
وقيل المعنى يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم فيقصدونهم كما كانوا يقصدون الماهم وقال الحصا
والاول اولى لقوله اَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ فان اَنْ هي المفسرة للتخافت المذكور لما فيه من معنى القول
والمعنى يسر بعضهم الى بعض هذا القول وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين فيطلب منكم ان تعطوه
منها ما كان يعطيه ابوكم واوقع النهي على دخول المساكين لانه ابلغ لان دخولهم عند من ان يكون باذنهم
او بدونه وَغَدَوْا اي ساروا اليها غدوة عَلَىٰ حَرْدٍ الحرد يكون بمعنى المنع والغضب والقصد قال قتادة ومقاتل
والكلبي والحسن ومجاهد الحرد ههنا بمعنى القصد لان القاصد الى الشيء حارد يقال حرد يحرد اذا قصد
تقول حردت حردك اي قصدت قصدك وبابه ضرب وقال ابو نصر صاحب الاصمعي هو مخفف فعلى
هذا بابه فهم وقال ابن السكيت وقد يجيء فعل هذا بابه طرب فهو حارد وحردان انتهى وقال ابو عبيدة
والمبرد والقتيبي على حرد على منع من قولهم حردت الابل حردا اذا قلت البانها والحرد من النوق هي
القليلة اللبن وقال السدي وسفيان والشعبي على حرد على غضب وعن قتادة ومجاهد ايضا على حرد على
حسد وقال الحسن ايضا على حاجة وفاقة وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرد حردا وحرودا اذا تنحى
عن قومه ونزل منفردا عنهم ولم يخالطهم وبه قال الاصمعي وغيره وقد فسرت الاية الكريمة بجميع ما ذكرت
وقال الازهري حردا اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم قرأ الجمهور حرد بسكون الراء وقرئ بفتحها قال
الفراء ومعنى قَادِرِينَ قد قدروا امرهم وبنوا عليه في ظنهم واما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى

الفقراء فمن نفسه لا مر لم يمنعهم منه قال قتادة ضاقت عليهم جنتهم عند انفسهم قال الشعبي يعني قادرين على المساكين قال ابن عباس وقتادة
او من التقدير وهو التضييق اي مضيقين على المساكين فلما رأوها اي جنتهم وشاهدوا ما قد حل بها
من الآفة التي اذهبت ما فيها قالوا انا لضالون اي قال بعضهم لبعض بديهة ووصولهم قبل التامل قد
ضللنا طريق جنتنا وليست هذه قال ابن عباس اي اضللنا مكان جنتنا وقيل معنى قولهم انا لضالون
انهم ضلوا عن الصواب وبما وقع منهم ثم لما تاملوا وعلموا انها جنتهم وان الله سبحانه قد عاقبهم
باذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا مضربين اضرابا ابطاليا لكونهم ضالين بل نحن محرومون
اي حرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها فاضربوا عن قولهم الاول الى
هذا القول قيل ان الحق الذي منعه اصحاب الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه
كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم قال اوسطهم اي امثلهم واعقلهم وخيرهم رايا وعقلا ونفسا
وقال ابن عباس اعدلهم وقيل افضلهم فانكر عليهم بقوله الم اقل لكم ان ما فعلتموه لا ينبغي وان الله
لبالمرصاد لمن حاد وغير ما في نفسه لولا تسبحون اي هلا تستثنون وسمي الاستثناء تسبيحا لانه
تعظيم لله واقرار به وهذا يدل على ان اوسطهم كان امرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وقال مجاهد
وابو صالح وغيرهما كان استثناؤهم تسبيحا قال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل التسبيح
في موضع ان شاء الله لانه ينزه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده وقيل المعنى هلا تستغفرون الله من فعلكم
وتتوبون اليه من هذه النية التي عزمتم عليها وكان اوسطهم قد قال لهم ذلك وقيل المعنى هلا تتركون
شيئا للمساكين من ثمر جنتكم والاول اولى فلما قال لهم ذلك بعد مشاهدتهم للجنة على تلك الحالة
قالوا سبحان ربنا اي تنزيها له عن ان يكون ظالما فيما صنع بجنتنا ثم اكدوا قباحة فعلهم هضما لانفسهم
وتحقيقا لتوبتهم بقولهم انا كنا ظالمين اي ان ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه وقيل معنى تسبيحهم الاستغفار
اي نستغفر ربنا من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في صنعنا للمساكين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
اي يلوم بعضهم بعضا في صنعهم المساكين وحرمهم على ذلك يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا
الرأي ويقول ذاك لهذا انت خوفتنا الفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على انفسهم
بالويل حيث قالوا يا ويلنا هذا وقت حضورك الينا ومناداتك لنا فانه لا ندعى لنا الا ان غيرك انا كنا
طاغين اي عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء قال ابن كيسان اي طغينا فظلمنا

فلم نشكرها كما شكرها ابونا من قبل ثم رجعوا الى الله وسألوه ان يعوضهم بخير منها فقالوا عسى ربنا ان
يبدلنا خيرا منها قيل انهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا
فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم من ليلتهم ما هو خير منها بان امر الله جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة
فيحملها بريشة من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيحملها بمكانها قرأ الجمهور يبدلنا بالتخفيف وقرئ
بالتشديد وهما لغتان وقراءتان سبعيتان والتبديل تغيير ذات الشيء او تغيير صفته والابدال رفع
الشيء جملة ووضع اخر مكانه كما مضى في سورة سبأ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ اي طالبون منه الخير راجون
لعفوه راجعون اليه وعدي بالى وهو انما يتعدى بعن او بفي لتضمينه معنى الرجوع عن ابن مسعود
بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا
واحدا وقال اليماني ابو خالد دخلت تلك الجنة فرايت فيها كل عنقود منها كالرجل القائم الاسود قال الحسن
قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري اكان ايمانا منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم
الشدة فوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار
قال لقد كلفتني تعبا والمعنى يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ اي مثل
ذلك العذاب الذي بلوناهم به وبلونا اهل مكة عذاب الدنيا من سائر سبيلهم وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ اي اشد واعظم من عذاب الدنيا لَوْ كَانُوا اي المشركون يَعْلَمُونَ انه كذلك ولكنهم لا يعلمون
ولما فرغ سبحانه من ذكر حال الكفار وتشبيه ابتلائهم بابتلاء اصحاب الجنة المذكورة ذكر حال المتقين
وما اعد لهم من الخير فقال إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ما يوجب سخطه من الكفر والمعاصي عِندَ رَبِّهِمْ عز وجل في الدار
الاخرة جَنَّاتِ النَّعِيمِ الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال كما يشوب جنات الدنيا
أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ الاستفهام للتقريع والتوبيخ للكفار على هذا القول الذي قالوه وقد
ينجر او قرءوا بها ستفهمات سبعة اولها هذا والسابع ام لهم شركاء والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين وكان العبارة مقلوبة والاصل افنجعل المجرمين كالمسلمين
لانهم جعلوا انفسهم كالمسلمين بل افضل لانه كان صناديد كفار قريش يرون وفور حظهم في الدنيا
وقلة حظوظ المسلمين فيها فلما سمعوا بذكر الاخرة وما يعطى الله المسلمين فيها قالوا ان صح ما يزعمه
محمد ولم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا فقال الله مكذبا لهم واردا عليهم افنجعل الاية والمعنى

افنجعل المجرمين مساوين للمسلمين في العطاء لا كما ذكر في اية اخرى لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة قاله علي القاري وبعد ذلك ليس في الاية الا نفي المساواة فلو الكفار ادعوا الافضلية او المساواة لا
ان يقال اذا انتفت المساواة انتفت الافضلية بالاولى ثم قال سبحانه على طريقة الالتفات مالكم كيف
تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوضا اليكم تحكمون فيه بما شئتم ام لكم كتاب فيه
تدرسون اي تقرؤن فيه فتجدون المطيع كالعاصي ومثل هذا قوله تعالى ام لكم سلطان مبين فاتوا
بكتابكم ثم قال سبحانه ان قرأ الجمهور بالكسر على انها مصدرية لتدرسون اي تدرسون في الكتاب ان لكم فيه لما تخيرون
فلما دخلت اللام كسرت الهمزة او على الحكاية للمدروس وقيل قد تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدأ
فقال ان لكم الخ اي ليس لكم ذلك وقرئ بفتح ان على ان العامل فيه تدرسون مع زيادة
لام التاكيد ومعنى تخيرون تختارون وتشتهون ثم زاد سبحانه في التوبيخ فقال ام لكم ايمان علينا
بالغة اي عهود مؤكدة بالايمان موثقة متناهية اذ العهد كلام مؤكد بالقسم فاطلق الجزء واريد
الكل والمعنى ام لكم ايمان على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ثابتة لكم الى يوم القيامة لا يخرج عن
عهدتها حتى يحكم لكم يومئذ قرأ الجمهور بالغة بالرفع على النعت لايمان وقرئ بنصبها على الحال من ايمان
لانها قد تخصصت بالعمل او بالوصف او من الضمير في لكم او في علينا وجواب القسم قوله ان لكم
لما تحكمون به لانفسكم لان معنى ام لكم ايمان ام اقسمنا لكم وقيل قد تم الكلام عند قوله الى يوم القيامة
ثم ابتدأ فقال ان لكم الخ اي ليس الامر كذلك سلهم موبخا لهم ومقرعا ايهم بذلك الحكم الخارج عن الصواب
زعيم اي كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين فيها وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة و
الدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول ام لهم شركاء غيرهم يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم فيه
ويذهبون مذهبهم فيه وقيل معناه شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه وقيل المراد بهم الاصنام
والاول اولى واظهر وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الاخرة فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين فيما يقولون اذ لا اقل من التقليد وهو امر تعجيز وجواب الشرط محذوف قال
القاضي وقد نبه سبحانه في هذه الايات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به لدعواهم من عقل او
نقل او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لاسند له يوم ظرف لقوله
فليأتوا اي فليأتوا بها يوم يكشف عن ساق ويجوز ان يكون ظرفا لفعل مقدر اي اذكر يوم يكشف قال

الواحدي قال المفسرون في قوله عن ساق عن شدة من الامر وصعوبة الخطب قال ابن قتيبة اصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدة قال وتاويل الآية يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه الى ان يكشف عن ساق قال ابو عبيدة اذا اشتد الحرب والامر قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدة وهكذا قال غيره من اهل اللغة وقد استعملت تلك العرب في اشعارها واكثر في كلامهم حتى صار كالمثل الامر العظيم الشديد فهذا التركيب من قبيل الكناية او الاستعارة التمثيلية قال الزمخشري الكشف عن الساق والابداء عن الحزام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب وقيل ساق الشيء اصله وقوامه كساق الشجرة وساق الانسان اي يوم يكشف عن ساق الامر فظهر حقائقه وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل هو عبارة عن القرب وقيل يكشف عن ساق الرب سبحانه عن نوره وقال النسفي لا كشف ثمه ولا ساق ولكن كني به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان تعرف لانها ساق معهودة عنده انتهى وسياتي ما هو الحق قرأ الجمهور يكشف بالتحتية مبنيا للمفعول وقرأ ابن مسعود وابن عباس وغيرهما بالفوقية مبنيا للفاعل اي الشدة او الساعة وقرئ بالفوقية مبنيا للمفعول وقرئ بالنون وقرئ بالفوقية المضمومة وكسر الشين من كشف الامر اي دخل في الكشف عن ابي هريرة في الآية قال يكشف الله عز وجل عن ساقه وعن ابن مسعود قال يكشف عن ساقه تبارك وتعالى وعن ابن عباس قال يكشف عن امر عظيم وقال قال ابن مسعود يكشف عن ساقه فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكافر فيصير عظما واحدا وعن ابن عباس انه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر ع وقامت الحرب بنا على ساق + قال ابن عباس هذا يوم كرب شديد وروي عنه نحو هذا من طرق اخرى وعنه هو اشد ساعة يوم القيامة وقد اغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج البخاري وغيره عن ابي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وهذا الحديث ثابت من

طرق في الصحيحين وغيرهما وله الفاظ في بعضها طول وهو حديث مشهور معروف وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا اخرجه ابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وضعفه واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وذلك لاستلزام تجسيم والتشبيه فليس كمثله شيء ٥ دعوا كل قول عند قول محمد ٥ فما امن في دينه كمخاطر ٥ وهكذا تهيب القول فيه شيوخ الاسلام فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه والتاويل هو مذهب معظم المتكلمين ومنهم النسفي في المدارك والبيضاوي في انوار التنزيل قال الشيخ احمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة واستطال هؤلاء الخائضون على معشر اهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة وقالوا هم المستترون بالبلكفة وقد وضح على وضوح ابينا ان استطالتهم هذه ليست بشيء وانهم مخطئون فيما تهموهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم ائمة الهدى ويدعون الى السجود قال الواحدي قال المفسرون يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة ويبقى الكفار والمنافقون يريدون ان يسجدوا فلا يستطيعون لان اصلابهم تيبس فلا تلين للسجود وقال الربيع بن انس يكشف عن الغطاء فيقع من كان آمن بالله في الدنيا فيسجدون له ويدعى الآخرون الى السجود فلا يستطيعون لانهم لم يكونوا آمنوا بالله في الدنيا والدعاء الى السجود يكون امتحانا لايمانهم لا تكليفا اما السجود اذ تلك الدار ليست دار تكليف خاشعة ابصارهم حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع الى الابصار وهو الخضوع والذلة لظهور اثره فيها ترهقهم اي تغشاهم ذلة شديدة وحسرة وندامة وصغار وقد كانوا اي الذين يدعون الى السجود في الدنيا وهم سالمون اي معافون عن العلل متمكنون من الفعل فلا يجيبون قال ابراهيم التيمي يدعون بالاذان والاقامة فيأبون وقال سعيد بن جبير يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقال ابن عباس هم الكفار يدعون في الدنيا وهم امنون فاليوم يدعون وهم خائفون وعنه قال الرجل يسمع الاذان فلا يجيب الصلوة اخرجه البيهقي في الشعب فذرني ومن يكذب بهذا الحديث تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم اي خل بيني وبينه وكل امره الي فانا اكفيكه قال الزجاج معناه لا تشغل به قلبك بل كله الي فانا اكفيك امره والقاء الترتيب ما بعدها من الامر على ما قبلها من احوالهم الحكمية والمراد بالحديث القرآن قاله السدي وقيل يوم القيامة سنستدرجهم مستأنفة لبيان كيفية التعذيب لهم المستفاد من قوله فذرني الخ والضمير عائد الى من باعتبار

معناها والمعنى سنأخذهم بالعذاب على غفلة ونسوقهم اليه درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه من حيث
لا يعلمون ان ذلك استدراج لانهم يظنونه انعاما ولا يفكرون في عاقبته وما سيلقون في نهايته
قال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه
وكم من ممقوت بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل
من حال الى حال ويقال استدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درّجه الى كذا
واستدرجه يعني ادناه الى التدريج فتدرج هو ومعنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة
الامن ولا يجوز ان يسمى الله سبحانه كائدا وماكرا ومستدرجا ثم ذكر سبحانه انه يمهل الظالمين فقال وأملي
لهم اي امهلهم لازداد وانما وقد مضى تفسير هذا في سورة الاعراف والطور واصل الملاوة المدة
من الدهر يقال املى الله له اي اطال له المدة والملا مقصورا الارض الواسعة سميت به لامتدادها
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ اي قوي شديد فلا يفوتني شيء وسمى سبحانه احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه
في صورة الكيد باعتبار عاقبته ووصفه بالمتانة لقوة اثره في التسبب للهلاك أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا اعاد
سبحانه الكلام الى ما تقدم من قوله ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله
فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ المغرم الغرامة اي فهم من غرامة ذلك الاجر مُثْقَلُونَ اي يثقل عليهم حملة لشحهم ببذل
المال فاعرضوا عن اجابتك لهذا السبب والاستفهام للتقريع والتوبيخ ثم المعنى لم تسألهم ذلك ولم تطلبه
منهم أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اي اللوح المحفوظ عند الجمهور او كلما غاب عنهم فَهُمْ مِنْ ذلك الغيب يَكْتُبُونَ
ما يريدون من الحجج التي يزعمون انها تدل على قولهم ويخاصمونك بما يكتبونه من ذلك ويحكمون لانفسهم بما
يريدون ويستغنون بذلك عن الاجابة لك والامتثال لما تقوله فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ اي لقضائه الذي قد
قضاه في سابق علمه وقيل الحكم هنا هو ما لهم تأخير نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم لانهم ان امهلوا لم
يهملوا وقبل هو ما [illegible] ملية من تبليغ الرسالة قيل وهذا منسوخ بآية السيف وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ م
يعني يونس عليه [illegible] ه في الغضب والضجر والعجلة حتى ابتلي ببلائه إِذْ نَادَى اي لا يكن حالك كحاله
اوقصته [illegible] ه ويدل على الحذر من ان الذوات لا ينصب عليها النهي وانما ينصب على احوالها
وصفا [illegible] يظ اوكربا وقيل غما قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس
قال قتادة ان الله [illegible] نبيه صلى الله عليه وسلم وامره بالصبر وان لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد تقدم

ببيان قصته في سورة الانبياء ويونس والصافات وكان الندا منه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل ان المكظوم الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقيل هو المحبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه اي يحبس غضبه قال ابن جرير والاول اولى والجملة حال من صاحب ونادى وعليها يدور النهي لا على النداء لانه امر مستحسن لولا ان تداركه اي صاحب الحوت نعمة من ربه وهي توفيقه للتوبة فتاب الله عليه قال الضحاك ان النعمة هنا النبوة وقال سعيد بن جبير عبادته التي سلفت وقال ابن زيد هي ندا ؤه بقوله لا اله الا انت وقيل اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل الرحمة قرأ الجمهور تداركه على صيغة الماضي وقرئ بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التاء في الدال والاصل تتداركه بتاءين وهذه على حكاية الحال الماضية وقرئ تداركته بتاء التانيث وهو خلاف الرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقي وتداركته على لفظها لنبذ بالعراء اي لالقي من بطن الحوت على وجه الارض الخالية من النبات والاشجار والجبال وهو مذموم اي يذم ويلام بالذنب الذي اذنبه ويطرد من الرحمة وقيل مذموم صفة من كل خير وقيل مذنب وقيل معاتب قال الرازي مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب ان كلمة لولا الة على ان هذه المذمومية لم تحصل او المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين او هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتبيناه ربه اي استخلصه اصطفاه لدعائه وعذره واختاره للنبوة وهذا مبني على انه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبئ بعدها وهو احد قولين للمفسرين والثاني انه كان نبيا وقد اجتباه انه رد عليه الوحي بعد ان كان قد انقطع عنه فجعله من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح وعصمه من الذنب وقيل رد اليه النبوة وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وارسله الى مائة الف او يزيدون بسبب صبره كما تقدم وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك اي ينفذونك قاله ابن عباس وابن زيد من الزلق وهو الصرع يقال زلقته اي صرعته وقيل من الزلل وهو الخطأ يقال زللته اي اخطأته وقيل من الزلق وهو الاستلاب يقال زلقته اي استلبته ومنه قيل للمفازة زلقة لان من يسلكها يزلق عن ظهر دابته لقلة نباتها وقيل من الزلق وهو الاستمرار يقال زلق عن الشيء اي استمر عنه

اي ينظرون اليك نظرا شديدا يكادان يصرعك ويسقطك عن مكانك والباء اما للتعدية كالداخلة على الآلة اي جعلوا ابصارهم كالآلة المزلقة لك كما تقول عملت بالقدوم ولما للسببية اي بسبب عيونهم قال الزجاج في الآية مذهب اهل اللغة والتاويل اظهر من شدة بغضائهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء ان يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظر الي نظرا يكاد يصرعني ونظر ايكاد يكلني قال ابن قتيبة ليس يريد الله انهم يصيبونه باعينهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه انما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك كما قال الشاعر ؎ يتقارضون اذا التقوا في مجلس نظرا يزيل مواطئ الاقدام ؎ وقيل اراد ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش المجربة اصابتهم فعصمه الله وحماه من اعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت هذه الآية وذكر الماوردي ان العين كانت في بني اسد من العرب وفيه دليل على ان العين حق وقد رواه ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ والحديث متفق عليه واخذ بظاهر الحديث جماهير العلماء وقالوا انه حق وانه ليدخل الرجل القبر والجمل القدر وانكره طوائف من المبتدعة ولا اعتداد بهم بعد ما ورد في كلام النبوة وصح قال الحسن رقية العين هذه الآية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القرآن لكراهتهم لذلك اشد كراهة ولما ظرفية منصوبة بيزلقونك وقيل هي حرف وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ويقولون حسدا وتنفيرا عنه انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فرد الله عليهم بقوله وما هو الا ذكر للعالمين لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا والجملة مستانفة او في محل نصب على الحال من فاعل يقولون اي يقولون والحال انه تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه او شرف لهم كما قال سبحانه وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه مذكر للعالمين او شرف لهم

نعم العين

يقرأنه

ربع ع

سورة الحاقة هي احدى واثنتان وخمسون اية وهي مكية

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الفجر بالحاقة ونحوها اخرجه الطبراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة هي القيامة لان الامر يحق فيها وهي تحق في نفسها من غير شك قاله الطبري كانه جعلها من باب ليله قائم ونهاره صائم فالاسناد مجازي قال الازهري يقال حاقته فحققته احقه غالبته فغلبته اغلبه فالقيامة حاقة لانها تحاق كل محاق في دين الله بالباطل تخصم كل مخاصم وقال في الصحاح حاقه اي خاصمه في صغار الاشياء ويقال ما اله فيها حق ولا احقاق ولا خصومة والتحاق التخاصم والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى قال الواحدي هي القيامة في قول كل المفسرين وسميت بذلك لانها ذات الحواق من الامور وهي الصادقة الواجبة الصدق وجميع احكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود قال الكسائي والمبرد الحاقة يوم الحق وقيل سميت بذلك لان كل انسان فيها حقيق بان يجزى بعمله وقيل سميت بذلك لانها احقت لقوم النار واحقت لقوم الجنة وقال ابن عباس الحاقة من اسماء يوم القيامة وهي مبتدء وخبرها قوله ما الحاقة على ان ما الاستفهامية مبتدء ثان وخبره الحاقة والجملة خبر المبتدء الاول والمعنى اي شيء هي في حالها او صفاتها لا تحيط بها العبارة وما يسأل بها عن الصفة والحال والمقام للضمير اي ما هي في وضع الظاهر موضعه لتاكيد هولها وزيادة تفظيعه وقيل هذه الجملة وان كان لفظها لفظ الاستفهام فمعناها التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد ما زيد وقد قدمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة ثم زاد سبحانه في تفظيع شانها وتفخيم امرها وتهويل حالها فقال وما ادراك ما الحاقة اي اي شيء اعلمك ما هي اي كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وتشاهد ما فيها من الاهوال فكانها خارجة عن دائرة علم المخلوقين لا تبلغها درايته احد منهم ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك وكانه ليس عالما بها راسا قال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القرآن وما ادراك فقد ادراه اياه وعلمه صلى الله عليه وسلم وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه اخبره به وقال سفيان بن عيينة كل ما في القرآن قال فيه وما ادراك فانه صلى الله عليه وسلم اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبره به ذكره الخطيب وما مبتدء وخبره اداك وما الحاقة جملة من مبتدء وخبر محلها النصب باسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني وبدون الهمزة يتعدى الى مفعول واحد بالباء نحو دريت بكذا وان كان بمعنى العلم تعدى الى مفعولين والجملة معطوفة على جملة ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالقيامة وسميت بذلك لانها تقرع قلوب الناس بشدة اهوالها وتؤثر فيها خوفا فرعا كتاثير القرع المحسوس فان القرع في اللغة ضرب

من الضرب وهو امساس جسم بجسم بعنف وفي المصباح وقرعت الباب من باب نفع طرقته ونقرت عليه وقال المبرد عن بالقارعة القرآن الذي نزل في الدنيا على انبيائهم وكانوا يخوفونهم بذلك فيكذبونهم وقيل القارعة تواخذة من القرعة لانها ترضع اقواما وتحط آخرين والاول اولى ويكون وضع القارعة موضع ضمير الحاقة للدلالة على عظيم هولها وفظاعة حالها والجملة مستانفة لبيان بعض احوال الحاقة فاما ثمود هم قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز وقال ابن اسحق هو وادي القرى والمقصود من ذكر هذه القصص زجر هذه الامة عن الاقتداء بهؤلاء الامم في المعاصي لئلا يحل بها ما حل بهم فاهلكوا بالطاغية هي الصيحة التي جاوزت الحد وهي صيحة جبريل وقيل الرجفة اي الزلزلة وقيل هي الفرقة التي عقرت الناقة فاهلك قوم ثمود بسببهم وقال ابن زيد الطاغية عاقر الناقة اي اهلكوا بما اقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا وانما اهلكوا جميعا لانهم علموا بفعله ورضوا به وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم كفرهم ولكن هذا لا يطابق قوله واما عاد فهم قوم هود وقد تقدم بيان هذا وذكر منازلهم واين كانت في غير موضع وهي الاحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن فتقدم ذكر ثمود لان بلادهم اقرب الى قريش وواعظ القريب اكبر ولان اهلاكهم بالصيحة وهي اشبه بصيحة النفخ في الصور فاهلكوا بريح صرصر اي بالدبور عاتية هي الشديدة البرد ماخوذ من الصر وهو البرد وقيل الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية عن الطاعة فكأنها عتت على خزانها فلم تطقهم فلم يقدروا على ردها الشدة هبوبها او عتت على عاد فلم يقدروا على ردها بل اهلكتهم قال ابن عباس ما ارسل الله شيئا من ريح الا بمكيال وكقطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فاما يوم نوح فان الماء طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء واما يوم عاد فان الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية وعنه قال عاتية غالبة وعن علي بن ابي طالب نحوه واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن ابن عمر مرفوعا قال ما سرا لخزان على عاد الا مثل موضع الخاتم من الريح فعتت على الخزان فخرجت من نواحي الابواب فذلك قوله بريح صرصر عاتية قال حتوها عتت على الخزان اخرجه ابن ابي حاتم سخرها عليهم سبع ليال اي سلطها كذا قال مقاتل وقيل ارسلها وقال الزجاج اقامها عليهم كما شاء والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار وفيه رد على من قال

ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيته لا باتصال الكواكب ذكره الخازن والجملة مستأنفة لبيان كيفية اهلاكهم ويجوز ان تكون صفة لريح وان تكون حالا منها لتخصيصها بالصفة او من الضمير في عاتية وثمانية ايام حسوما معطوف على سبع ليال وانتصاب حسوما على الحال اي ذات حسوم او على المصدر لفعل مقدر اي تحسمهم حسوما او على انه مفعول له او على انه نعت لسبع ليال الخ ويتضح ذلك بقول الزمخشري الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشاهد وشهود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما تحسمات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الريح ما خفت ساعة تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى يحسم الى اخرها قال فهو مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسم الذي هو تتابع الكي لمطلق التتابع او استعارة بتشبيه تتابع الريح المستأصلة بتتابع الكي القاطع للداء افاده الشهاب والحسوم التتابع فاذا تتابع الشيء ولم ينقطع اوله عن اخره قيل له الحسوم قال الزجاج الذي توجبه اللغة في معنى قوله حسوما اي تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم قال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم واهلكتهم وقال الفراء الحسوم الاتباع من حسم الداء وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه وقال المبرد هو من قولك حسمت الشيء اذا قطعته وفصلته عن غيره وبه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي وقيل الحسم الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو وعما يريد من بلوغ عداوته وقال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احد وروي عنه انه قال حسمت الايام والليالي حتى استوفتها لانها بدأت بطلوع الشمس من اول يوم وانقطعت بغروب الشمس من اخر يوم وقال الليث الحسوم هي الشوم اي تحسم الخير عن اهلها كقوله في ايام نحسات وقال ابن مسعود حسوما متتابعات وقال ابن عباس تباعا وفي لفظ متتابعات واختلف في اولها فقيل غداة الاحد وقيل غداة الجمعة وقيل غداة الاربعاء قال وهب وهذه الايام هي التي تسميها العرب ايام العجوز كان فيها برد شديد وريح شديدة وكان اولها يوم الاربعاء واخرها يوم الاربعاء وكان الشهر كاملا فكان اخرها هو اليوم الاخير منه فنزل الخطاب لكل من يصلح له ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فالكلام على سبيل الفرض والتقدير اي انه لو كان حاضرا حينئذ لرأى القوم والضمير في فيها يعود الى الليالي والايام وقيل الى مهاب الريح اوالى البيوت والاول اولى واظهر صرعى جمع صريع بمعنى صوتي وهو حال وقوله كأنهم اعجاز نخل خاوية حال من القوم او مستأنف لبيان اصول نخل بلا رؤوس ساقطة او بالية وقيل

خالية لاجوف فيها قال ابن عباس اعجاز نخل هي اصولها والنخل يذكر ويؤنث ومثله كانهم اعجاز نخل منقعر وقد تقدم تفسيره وهو اخبار عن عظم اجسامهم قال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خلت من ارواحهم مثل النخل الخاوية اوان الريح كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فتحل تركى لهم مِّن بَاقِيَةٍ اي من فرقة باقية او نفس باقية او من بقية على ان باقية مصدر كالعاقبة والعافية ومن زائدة في المفعول قال ابن جرير اقاموا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ قرأ الجمهور بفتح القاف وسكون الباء اي ومن تقدمه من القرون الماضية والامم الخالية وقرئ بكسر القاف وفتح الباء اي ومن هو في جهته من اتباعه واختار ابو حاتم وابو عبيد الثانية لقراءة ابن مسعود وابي ومن معه ولقراءة ابي موسى وَمَن تِلْقَاءَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ قرأ الجمهور بالجمع وقرئ الايفاد واللام للجنس فهي في معنى الجمع وهي قرى قوم لوط وكانت خمسة صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قاله القرطبي وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا والمعنى وجاءت المؤتفكات اي المنقلبات من ائتفك اي انقلب التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها الى اقرب السماء ثم قلبها اي اهلها بِالْخَاطِئَةِ اي بالفعلة الخاطئة او الخطأ على انها مصدر او ذات الخطأ والمراد انها جاءت بالشرك والمعاصي قال مجاهد بالخطأ وقال الحرجاني بالخطأ العظيم فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ اي فعصت كل امة رسولها الرسل اليها قال الكلبي هو موسى وقيل لوط لانه اقرب قيل ورسول هنا بمعنى رسالة فَأَخَذَهُمْ اللهُ سبحانه أَخْذَةً رَّابِيَةً اي نامية زائدة على اخذات الامم كما قاله الزجاج وقال مجاهد شديدة والمعنى انها بالغة في الشدة الى الغاية يقال ربى الشيء يربو اذا زاد وتضاعف ومنه الربا اذا اخذ في الذهب او الفضة اكثر مما اعطى إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ اي تجاوز حده في الارتفاع والعلو على اعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا وذلك في زمن نوح لما اصر قومه على الكفر وكذبوه وقيل طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قاله ابو قتادة زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا قال ابن عباس طغى على خزانه فانزل ولم ينزل من السماء ماء الا بمكيال او ميزان الا زمن نوح فانه طغى فانزل بغير كيل ولا وزن حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ اي في اصلاب آبائكم او حملنا اهل سفينة نوح وحملناكم ايها اصلابهم تغليبا للمخاطبين على الغائبين والجارية سفينة نوح وسميت جارية لانها تجري في الماء وهو اول من صنع السفن وكان يعلمه جبريل صنعتها فاتخذها على هيئة

صدد الطائر ليكون ما يجري في الماء مقدار ما يجري في الهواء ومحل في الجارية النصب على الحال اي رفعناكم فوق الماء حال كونكم في السفينة ولما كان المقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول قال لنجعلها اي هذه الامور المذكورة لكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة اي عبرة وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله سبحانه وبديع صنعه او لنجعل هذه الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة او هذه السفينة حتى ادركها اوائل هذه الامة قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكر وتعيها اذن واعية اي تحفظها بعد سماعها اذن حافظة لما سمعت قال الزجاج يقال اوعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى واوعيت المتاع في الوعاء ويقال لكل ما اوعيته في غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف قال قتادة في تفسير هذه الاية اذن سمعت وعقلت ما سمعت قال الفراء المعنى لتحفظها كل اذن عظة لمن ياتي بعد وتعيها بكسر العين باتفاق القراء السبعة وقرئ باسكانها تشبيها بهذه الكلمة برحم وشهد وان لم تكن من ذلك وجعل الاذن حافظة ومستمعة ومتذكرة وعاملة تجوزا لان الفاعل لذلك صاحبها لا ينسب اليها غير السمع وانما اتى به هنا مشاكلة لقوله واعية عن علي في الاية قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي فقال علي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فنسيته اخرجه سعيد بن منصور وابو نعيم وغيرهما قال ابن كثير وهو حديث مرسل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ان الله امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق لك ان تعي فنزلت هذه الاية وتعيها اذن واعية فانت اذنها واعية لعلي اخرجه ابن جرير وغيره قال ابن كثير ولا يصح وعن ابن عمر قال اذن عقلت عن الله ولما ذكر الله سبحانه القيامة وهول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع في تفاصيل احوالها وابدأ بذكر مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة قال عطاء يريد النفخة الاولى وبه قال القاضي كالكشاف لانها التي عندها خراب العالم وقال الكلبي ومقاتل يريد النفخة الاخيرة ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لان التانيث مجازي وحسنه الفصل فقرأ الجمهور بالرفع فيهما على ان نفخة مرتفعة على النيابة وواحدة تاكيد لها وقرئ بنصبهما على ان النائب هو الجار والمجرور قال الزجاج قوله في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله وحملت الارض والجبال اي رفعت من اماكنها وقلعت عن مقارها بحر القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة او الملائكة وهذا الرفع

بعد خروج الناس من قبورهم قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بتشديد الميم للتكثير والتعدية فدكتا دكة
واحدة اي فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها او ضربتا ضربة واحدة بعضهما ببعض حتى صارتا كثيبا
مهيلا او هباء منبثا فلم يتميز شيء من اجزائهما عن الآخر وقيل بسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا سن قولهم اندك سنام البعير اذا تفرش على ظهره وبعير ادك وناقة دكاء ومنه
الدكان وهذه الدكة كالزلزلة قال ابي بن كعب في الآية تصير ان عبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين
وذلك قوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة قال الفراء ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة
الواحدة ومثله قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فيومئذ وقعت الواقعة اي قامت
القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية اي انشقت جنسها وانصدعت وتفطرت بنزول ما فيها
من الملائكة فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية ساقطة القوة من هول ذلك اليوم بعد ما كانت
محكمة قال الزجاج يقال لكل ما ضعف جدا قد وهى فهو واه وقال الفراء وهيها تشققها وقال ابن عباس
واهية متفرقة اي متساقطة خفيفة لانتماسك كالعهن المنفوش والملك على ارجائها اي جنس الملك
واقفون على اطرافها وجوانبها التي لم تسقط وهو كلام من جملة المستثنى بقوله الا من شاء الله وقال القاضي لعل
هذا الملائكة انزداك وقيل يحيون بالفتح الثانية ويقفون على ارجائها الباقية وهي جمع رجى مقصور وتثنيته رجوان
مثل قفى وقفوان والمعنى انها لما تشققت السماء وهي مساكنهم لجاوا الى اطرافها قال الضحاك اذا كان يوم
القيامة امر الله السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى
الارض ويحيطون بها ومن عليها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اذا نزلوا الى
الارض وقيل اذا صارت السماء قطعا يقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في انفسها
وقال ابن عباس على حافاتها اذا على ما هي منها ويحمل عرش ربك فوقهم اي فوق رؤسهم يومئذ اي يوم
القيامة ثمانية اي ثمانية املاك وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله عز وجل
قاله ابن عباس وقيل ثمانية اجزاء من تسعة اجزاء من الملائكة قاله الكلبي وغيره وقال ابن عباس ايضا ثمانية
املاك على صورة الاوعال رؤسهم عند العرش في السماء السابعة واقدامهم في الارض السفلى
ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين اصل قرن احدهم الى صنتهاه خمسمائة عام واليوم تحملها اربعة وعن
ابن مسعود ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وارض خمسمائة عام وفضاء كل

لا
اشار المؤلف رحمه الله
بهذا الى ان قوله وقعت
الواقعة كقولك قام
القائم فعلم القائمة
فلا حاجة الى تاويل حتى
يفيد وتاويله ان
الواقعة صارت علما
بالغلبة على القيامة
فلم يلاحظ فيها معنى
الاستحقاق ١٢ كبير
ذو الفقار عفا الله عنه

سماء وارض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود وفي الباب احاديث كثيرة صحيحة يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ اي تعرض العباد على الله لحسابهم ومثله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن علم به وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال عن ابي موسى قال قال رسول الله ﷺ يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة وغيرهم واخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعود نحوه وجملة لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ في محل نصب على الحال من ضمير تعرضون اي تعرضون حال كونكم لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم او اقوالكم وافعالكم وسرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا خافية كائنة ما كانت والتقدير اي نفس خافية او فعلة خافية قرئ بالتاء والياء وهما سبعيتان ولما ذكر سبحانه العرض ذكر تفصيل ما يكون فيه فقال فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ اي اعطي كتابه الذي كتبه الحفظة عليه من اعماله فيقول خطابا لجماعته ما سرّه او لاهله واقربائه هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ قال ابن السكيت والكسائي العرب تقول هاء يا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجمع هاؤم يا رجال قيل والاصل هاؤكم فابدلت الهمزة من الكاف قال ابن زيد ومعنى هاؤم تعالوا وقال مقاتل هلم وقيل خذ والذي صرح به النحاة انها بمعنى خذ تقول هاء بمعنى حذ وهاؤما بمعنى خذا وهاؤم بمعنى خذوا وهي اسم فعل وقد يكون فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها وفيها ثلاث لغات كما هو معروف في علم الاعراب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه هاء السكت وقرأ الجمهور بإثبات الهاء وقفا ووصلا مطابقة لرسم المصحف ولأن ذلك لحذف في الوصل كما هو شأن هاء السكت واختار ابو عبيد ان يتعمد الموقف عليها ليوافق اللغة في الحاق الهاء في السكت ويوافق الخط يعني خط المصحف وقرأ جماعة بحذفها وصلا واثباتها وقفا في جميع هذه الالفاظ واختار ابو حاتم هذه اتباع اللغة وقرئ بحذفها وصلا ووقفا تآزع في كتابيه هاؤم اقرؤا فاعمل الاول عند الكوفيين والثاني عند البصريين واضمر في الآخر اي هاؤم اقرؤا كتابيه او هاؤم اقرؤه كتابيه إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ اي علمت وايقنت في الدنيا اني احاسب في الآخرة وقيل المعنى اني ظننت ان يؤاخذني الله بسيئاتي فقد تفضل علي بعفوه ولم يؤاخذني قال الضحاك كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك قال

مجاهد ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك قال الحسن في هذه الآية ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل للآخرة وان الكافر اساء الظن بربه فاساء العمل قيل والتعبير بالظن هنا للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يجري في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا قال ابن عباس ظننت اي ايقنت قال النسفي وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه ثم هو في عيشة راضية اي مرضية لا مكروهة او ذات رضى يرضى بها صاحبها لا يضجر منها ولا يملها ولا يسأمها قال ابو عبيدة والفراء راضية اي مرضية كقوله ماء دافق اي مدفوق فقد اسند الى العيشة ما هو لصاحبها فكان ذلك من المجاز في الاسناد والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات بالاكثر من العيشة الراضية والمعتبر في كمال اللذة الرضا وقيل المعنى انه لو كان للمعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها في جنة عالية اي مرتفعة المكان لانها في السماء السابعة او مرتفعة المنازل والمباني او عظيمة في النفوس وهو خبر بعد خبر قطوفها دانية القطوف جمع قطف بكسر القاف ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح مصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف والمعنى ان ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم او قاعد او مضطجع او متكئ عن البراء بن عازب دانية قريبة يتناول الرجل من فوقها وهو قائم كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة وجمع الضمير مراعاة للمعنى وهذا امر امتنان لا امر تكليف هنيئا اي كلا طيبا لذيذا واشربا هنيئا شهيا ما يكاد فيه ولا ينغص بما اسلفتم في الايام الخالية اي بسبب ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الدنيا وقال مجاهد هي ايام الصيام وقال من اوتي كتابه بشماله قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره فيقول حزنا وكربا لما رأى فيه من سيئاته وسوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء يا ليتني لم اوت اي لم اعط كتابيه لما يرى فيه من الفضائح ولم ادر ما حسابيه اي لم اد اي شيء حسابي لان كله عليه والاستفهام للتعظيم والتهويل اي بل استمرت جاهلا كذلك كما كنت في الدنيا يا ليتها اي ليت الموتة التي متها كانت القاضية ولم احي بعدها ومعنى القاضية القاطعة للحياة والمعنى انه تمنى دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير اليه من العذاب فالضمير في ليتها يعود الى الموتة التي قد كابدها وان لم تكن مذكورة لانها الظاهرة هنا كما كانت كالمذكورة قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده اكره من الموت فلما عاين من امر الآخرة ما عاين تمنى ان لا يبعث وقيل الضمير يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب

والمعنى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني من عذاب الله شيئا على ان ما نافية او استفهامية والمعنى ايّ شيء اغنى عني مالي الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله وصنيع الخطيب يقتضي ان مالي كلمة واحدة بمعنى المال وفي ابي السعود ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه اي هلك وضلت وغابت عني حجتي كذا قال مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك وقال ابن زيد يعني سلطاني الذي في الدنيا وهو الملك لم احد له الآن نفعا وبقيت حقيرا ذليلا وقيل تسلطي على جوارحي قال مقاتل يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وحينئذ يقول الله عز وجل خذوه فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه بالاغلال والخطاب لخزنة جهنم اي زبانيتها وسيأتي في سورة المدثر ان عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا حكاه الثلاثة الرازي ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه الجحيم والمعنى لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة والترتيب بثم في الزمان فان ادخاله النار بعد غله وكذلك ادخاله في السلسلة كما يأتي بعد ادخاله النار والتراخي للمفاوتات في الرتب فكل واحد من المعطوفين بها اشد في العذاب واعلى مما قبله وفي الخطيب صلوه اي بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد مرة لانه كان يتعاظم على الناس فناسب ان يصلى اعظم النيران ثم في سلسلة عظيمة جدا والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا قال الحسن الله اعلم باي ذراع هو وقيل بذراع الملك قال نوف الشامي كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بينك وبين مكة وكان نوف في رحبة الكوفة قال مقاتل لوان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص فقال ابن جريج لا يعرف قدرها الا الله وهذا العدد حقيقة او مبالغة ومعنى فاسلكوه فاجعلوه فيها بحيث يكون كانه السلك اي الخيط الذي يدخل في ثقب الخرزات بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بان تلف عليه يقال سلكته الطريق اذا ادخلته فيه ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل لما بعدها الداخلة عليه بالظرف المتقدم وهو في سلسلة وتقديمها كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة لا للدلالة على تراخي المدة قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه قال الكلبي تسلك سلك الخيط في اللؤلؤ وقال سويد بن ابي نجيح بلغني ان جميع اهل النار في تلك السلسلة قال ابن عباس السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الخرز في العود ثم

وجملة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل لما قبلها على طريق الاستيناف وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن لا يعظمه فقد استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين اي لا يحث ولا يحرض نفسه على اطعامه من ماله او لا يحث الغير على اطعامه ووضع الطعام موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والاضافة للمفعول ويجوز ان يكون في الكلام حذف المضاف اي على بذل طعام المسكين والاضافة له لكونه مستحقه واخذه في لادنى ملابسة فالحض لبعث والحث على الفعل والحرص على وقوعه ومنه حرض التحضيض للمبوب لما في النحو لانه يطلب به وقوع الفعل وايجاده وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون على المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الاخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم وفي جعل هذا قرينا لترك الايمان بالله من الترغيب في التصدق على المساكين وسد فاقتهم وحث النفس والناس على ذلك ما لا يخفى بلاغة ودلالة ويفيد اكمل فائدة على ان منعهم من اعظم الجرائم واشد المآثم وعن ابي الدرداء قال ان لله سلسلة لم تزل تغلي منها مراجل النار منذ خلق الله جهنم الى يوم تلقى في اعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بايماننا بالله العظيم فحضنا على طعام المسكين يا ام الدرداء اخرجه ابو عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وقال الحسن ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سائلا وكان بعضهم يامر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول لعلنا نصيب السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام وقيل لعل وجه التخصيص لهذين الامرين بالذكر ان اقبح العقائد الكفر بالله تعالى واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فكأنه قيل فليس له اليوم ههنا اي يوم القيامة في الاخرة حميم اي قريب ينفعه او يشفع له ويحزن له قلبه لانه يوم يفر فيه القريب من قريبه ويهرب عنه الحبيب من حبيبه ولا طعام الا من غسلين اي وليس له طعام يأكله الا من صديد اهل النار وما ينغسل من ابدانهم من القيح والصديد وغسلين فعلين من الغسل او الغسالة فونه وياؤه زائدتان قال اهل اللغة هو ما يجري من الجراح اذا ما غسلت وقال الضحاك والربيع بن انس هو شجر يأكله اهل النار وقال قتادة هو شر الطعام وقال ابن زيد لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم الا الله تعالى وعن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا اخرجه الحاكم وصححه وعن ابن عباس ايضا قال الغسلين اسم طعام من اطعمه اهل النار وقال سبحانه في موضع اخر ليس لهم طعام الا من

ضريع فيجوز ان يكون الضريع هو الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فليس له اليوم ههنا حميم
الا من غسلين على ان الحميم هو الماء الحار ولا طعام اي ليس لهم طعام يأكلونه قاله ابو البقاء ولا يلجئ لهذا
التقديم والتاخير والتوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل آخر الا من ضريع وفي موضع آخر ان شجرت
الزقوم طعام الاثيم وفي موضع آخر ما يأكلون في بطونهم الا النار انه يجوز ان يكون طعامهم جميع ذلك
او ان العذاب انواع والمعذبين طبقات فمنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع ومنهم
اكلة الزقوم ومنهم اكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم لا يأكله الا الخاطئون المراد بهم
اصحاب الخطايا او ارباب الذنوب وقال الكلبي المراد اهل الشرك وقرأ الجمهور الخاطئون مهموزا وهو اسم
فاعل من خطئ يخطأ من باب علم اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطي من يفعله غير متعمد
وقرئ الخاطيون بالياء المضمومة بدل الهمزة وقرئ بالطاء المضمومة بدون همزة فلا اقسم
بما تبصرون من المخلوقات وما لا تبصرون منها قال قتادة اقسم بالاشياء كلها ما ابصر منها
وما لا يبصر فيدخل في هذا جميع المخلوقات والاقسام بغير الله انما نهي عنه في حقنا واما هو تعالى
فيقسم بما شاء على ما شاء وهذا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الامر كما تقولون ولا زائدة والتقدير
فاقسم بما يشاهدونه وما لا يشاهدونه وقيل ان لا ليست بزائدة بل هي اصلية لنفي القسم اي
لا احتاج الى قسم لوضوح الحق في ذلك والاول اولى وقال البيضاوي فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه
عن التحقيق بالقسم او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستأنف قال الكرخي واما حمله على معنى نفي
الاقسام لظهور الامر فيرده تعيين المقسم به بقوله بما تبصرون الخ انتهى انه لقول رسول كريم
اي ان القرآن لتلاوة رسول كريم على الله فهو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوئ الاخلاق
على ان المراد برسول محمد صلى الله عليه وسلم او انه لقول يبلغه رسول كريم قال الحسن والكلبي ومقاتل
يريد به جبريل دليله قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين وعلى كل حال
فالقرآن ليس من قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا من قول جبريل عليه السلام بل هو من قول الله عز وجل
فلا بد من تقدير التلاوة او التبليغ وفي لفظ الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله
تعالى وما هو بقول شاعر كما تزعمون لانه ليس من اصناف الشعر ولا شابهها والشاعر هو الذي
يأتي بكلام مقفى موزون بقصد الوزن قليلا ما تؤمنون اي ايمانا قليلا لو تؤمنون وتصدقون قليلا يسيرا

تصدقون وقال البغوي اراد بالقليل نفي ايمانهم وتذكرهم اصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تاتينا وانت تريد لا تاتينا اصلا ولا بقول كاهن كما تزعمون فان الكهانة امر اخر لا جامع بينها وبين هذا قليلا ما تذكرون قرئ بالتاء او قرئ بالياء التفاتا عن الخطاب الى الغيبة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما زائدة في الموضعين وذكر الايمان مع نفي الشعر والتذكر مع نفي الكهانة لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الصالم وتذكر معاني القران المنافية لطريقة الكهانة ومعاني اقوالهم قال ابو جهل ان محمدا صلى الله عليه وسلم شاعر وقال الوليد بن المغيرة ساحر وقال عقبة كاهن فنزلت هذه الاية كذا قال مقاتل تنزيل من رب العالمين اي هو تنزيل منه على لسانه ولو تقول علينا بعض الاقاويل قرأ الجمهور تقول مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مع رفع بعض وقرئ ولو يقول على صيغة المضارع والتقول تكلف القول وسمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف وكل كاذب يتكلف ما يكذب به والاقاويل جمع اقوال جمع قول فهو نظير الابيات جمع بيت وسميت الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع اقوولة من القول والمعنى ولو تقول ذلك الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل عليه السلام على ما تقدم وجاء به من جهة نفسه وادعى علينا شيئا لم نقله لاخذنا منه باليمين اي بيده اليمين قال ابن جرير ان هذا الكلام خرج مخرج الامثال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب قال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة باليمين اي بالقوة والقدرة وبه قال ابن عباس وقال ابن قتيبة انما اقام اليمين مقام القوة لان قوة كل شيء في ميامنه وقيل المعنى لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام وقيل المعنى لاذللناه واهناه ثم لقطعنا منه الوتين هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب وهو مناطه اذا قطع مات صاحبه قال الواحدي والمفسرون يقولون انه نياط القلب وقال ابن عباس عرق القلب وعنه قال نياط القلب وعن مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لاهلكناه فكان كمن قطع وتينه فما منكم من احد عنه حاجزين اي ليس منكم احد يحجزنا عنه ويدفعنا عنه

فكيف يتكلف الكذب على الله لاجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاقبناه ولا يقدر احد على الدفع عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف احد على معناه وكانه لتذكرة المتقين اي ان القران لتذكرة لاهل التقوى لانهم المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد والظاهر ان هذا وما بعده معطوف على جواب القسم السابق وهو من جملة المقسم عليه وما بينهما اعتراض وانا لنعلم ان منكم مكذبين اي ان بعضكم يكذب بالقران فنجازيهم على ذلك بما يليق به اظهارا للعدل وفي هذا وعيد شديد وانه اي القران لحسرة وندامة على الكفرين يوم القيامة عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم بان ياتوا بسورة من مثله وانه اي القران لحق اليقين اي عينه ومحضه لكونه من عند الله فلا يحول حوله ريب ولا ينطرق اليه شك وهو من اضافة الصفة الموصوف الى اليقين الحق وحق اليقين فوق علم اليقين وقيل هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم اي نزهه عما لا يليق به وقيل فصل لربك والاول اولى وقيل هو قوله سبحان الله ☆☆☆☆

سورة سال ويقال سورة المعارج وهي اربع واربعون اية وهي مكية

قال القرطبي بالاتفاق عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم ☆

سال سائل وقرا الجمهور سال بالهمزة من السؤال وهي اللغة الفاشية وهو اما مضمن معنى الدعاء فلذلك عدي بالباء كما تقول دعوت بكذا والمعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع ويجوز ان يكون على اصله والباء بمعنى عن كقوله فاسأل به خبيرا وقرئ بغير همزة وهو اما من باب التخفيف بقلب الهمزة الفا فيكون معناها معنى قراءة من همز او يكون من السيلان والمعنى سال واد في جهنم يقال له سائل كما قال زيد بن ثابت ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل وقيل ان سأل بمعنى التمس والمعنى التمس ملتمس عذابا واقعا للكافرين فتكون الباء زائدة كقوله تنبت بالدهن والوجه الاول هو الظاهر قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان قال ابو علي الفارسي واذا كان من السؤال فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما

ويتعدى اليه بحرف الجر فيكون التقدير سأل سائل بالله او النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين بعذاب وعن عذاب وهذا السائل هو النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو ممن قتل يوم بدر صبرا وعن ابن عباس مثله وقال الربيع هو ابو جهل وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وقيل انها نزلت في جماعة من كفار قريش والاول اولى وقرئ وسال سائل ونسل مال مال على ان الاصل سائل فحذفت العين تخفيفا كما قيل شاك في شانك السلاح وقيل السائل هو نوح عليه السلام سأل العذاب للكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى بالعقاب عليهم فالمراد بالعذاب الواقع اما ما في الدنيا كيوم بدر او في الاخرة وهو عذاب النار وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه وقوله للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن لهم او متعلق بواقع واللام للعلة او بسال على تضمينه معنى دعا او في محل رفع على تقدير هو للكافرين او اللام بمعنى على وتؤيده قراءة ابي على الكافرين قال الفراء التقدير بعذاب للكافرين واقع بهم فالواقع من نعت العذاب وجملة ليس لدفعه صفة اخرى لعذاب او حال منه او مستانفة والمعنى انه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به احد وقوله من الله متعلق بواقع اي واقع من جهته سبحانه ولم يمنع النفي من ذلك لان ليس فعل لا حرف فصح ان يعمل ما قبلها فيما بعدها او متعلق بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته ذي المعارج اي ذي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة وقال ابن عباس ذي العلو والفواضل وقال الكلبي هي السموات وسماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق وقيل المعارج العظمة وقيل هي الغرف وقيل الاعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب اجتماع الاداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب وقرأ ابن مسعود ذي المعاريج يقال معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام تعرج الملائكة والروح اليه اي تصعد في تلك المعارج التي جعلها الله لهم قرأ الجمهور تعرج بالفوقية وقرئ بالتحتية والروح جبريل افرد بالذكر لعلو شانه عند الملائكة لشرفه ويؤيد هذا قوله نزل به الروح الامين وقيل الروح هنا ملك آخر عظيم غير جبريل وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله سبحانه كهيئة الناس وليسوا من الناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض والاول اولى ومعنى اليه الى المكان الذي ينتهون اليه وقيل الى عرشه وقيل الى مهبط امره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي في يوم كان

مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ قال ابن اسحاق والكلبي ووهب بن منبه معناه تعرج الملائكة الى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غير هذا لو صعد خمسين الف سنة وبه قال مجاهد وقال عكرمة وروي عن مجاهد ان مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري احد كم مضى وكم بقي ولا يعلم ذلك الا الله والكلام على مدة عمر الدنيا ماضيها وباقيها مبسوط في كتابنا لقطة العجلان مما تمس اليه حاجة الانسان وقال قتادة والكلبي ومحمد بن كعب ان المراد يوم القيامة يعني ان مقدار الامر فيه لو تولاه غيره سبحانه خمسون الف سنة وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة وقيل ان مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار ثم يستقر بعد ذلك اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقيل ان مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون الف سنة وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها او لطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب ايام الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر ويشبهون اليوم القصير بايام القطاة والطويل بظل الرمح وحينئذ لا تنافي بين هذه الاية وبين اية السجدة في يوم كان مقداره الف سنة لانه ايضا مسوق على سبيل التشديد على الكافرين وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملائكة والروح اليه وقال ابن عباس في الاية منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره من فوق سبع سموات مقدار خمسين الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة قال يعني ذلك ينزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وعنه قال غلظ كل ارض خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين كل ارض الى ارض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك اربعة عشر الف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين الف عام فذلك قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وعنه في قوله في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون قال هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وفي قوله مقداره خمسين الف سنة فهذا يوم القيامة جعله الله سبحانه على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وعنه قال لو قدرتموه لكان خمسين الف سنة من ايامكم يعني يوم القيامة وعن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون

اهون عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا اخرجه احمد وابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في البعث وفي اسناده دراج عن ابي الهيثم وهما ضعيفان وعن ابي هريرة مرفوعا قال ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين الا كقدر ما بين الظهر الى العصر اخرجه ابن ابي حاتم والحاكم والبيهقي في البعث ولو كان المراد حقيقة العدد لم يعقل ان الزمان الواحد يكون مقداره خمسين الف سنة ويكون مقداره الف سنة ويكون مقداره قدر صلوة ركعتين وقيل العدد على حقيقته فان يوم القيامة خمسون موطنا كل موطن الف سنة والله اعلم بمراده بذلك وقد قيل في الجمع ان من اسفل العالم الى العرش خمسين الف سنة ومن اعلى سماء الدنيا الى الارض الف سنة لان غلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين اسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة عام كما تقدم فالمعنى ان الملائكة اذا عرجت من اسفل العالم الى العرش كان مسافة ذلك خمسين الف سنة وان عرجوا من هذه الارض التي نحن فيها الى باطن هذه السماء التي هي سماء الدنيا كان مسافة ذلك الف سنة وقد تقدم ما يؤيد هذا عن ابن عباس وقد قدمنا الجمع بين هذه الاية واية السجدة في سورة السجدة فتذكر ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال فَاصْبِرْ يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به صَبْرًا جَمِيلًا لا اجزع فيه ولا اشكو الى غير الله وهذا معنى الصبر الجميل وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري بانه مصاب قال ابن زيد وغيره هي منسوخة باية السيف قال ابن عباس في الاية لا تشكو الى احد غيري إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ اي يرون العذاب الواقع بهم ويعتقدونه او يرون يوم القيامة او يرون يوما كان مقداره خمسين الف سنة بَعِيدًا اي غير كائن لانهم لا يؤمنون به فمعنى بعيدا اي مستبعدا محالا وليس المراد انهم يرونه بعيدا غير قريب قال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يؤمنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاستحالة كما تقول لمن تناظره هذا بعيد اي لا يكون وَنَرَاهُ قَرِيبًا اي نعلمه كائنا قريبا لان ما هو آت قريب وقيل المعنى ونريه هينا في قدرتنا غير متعسر ولا متعذر والجملة تعليل للامر بالصبر ثم اخبر سبحانه متى يقع بهم العذاب فقال يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ اي يقع بهم العذاب يوم كذا والمهل ما اذيب من النحاس والرصاص والفضة وقال مجاهد هو القيح من الصديد والدم وقال عكرمة وغيره هو دردي الزيت وبه قال ابن عباس وقد تقدم تفسيره في سورة الكهف والدخان وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ اي كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا اذا كان مصبوغا قال الحسن تكون الجبال كالصوف الاحمر وهي اضعف

الصوف وقيل العهن الصوف المصبوغ والالوان فشبه الجبال به في تكون الوانا كما في قوله جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الهواء اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وهذا الاقوال في معنى العهن في اللغة واما تسيير الجبال تصيير رملا مهيلا اثر هينا منفوشا ثم هباء منثورا ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لما نزل بهم من شدة الاهوال التي اذا هلت القريب عن قريبه والخليل عن خليله كما قال سبحانه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه وقيل المعنى لا يسأل حميم عن حميم لشغله عنه فحذف الحرف ووصل الفعل فقرأ العامة يسأل مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف اي لا يسأله نصرة ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود فيه لا يسأل شيئا من حمل اوزاره وقرئ على البناء للمفعول والمعنى لا يسأل حميم احضار حميمه وقيل هذه القراءة على اسقاط حرف الجر اي لا يسأل حميم عن حميم بل كل انسان يسأل عن نفسه وعن عمله وقيل لا يطالبه ولا يؤخذ بذنبه وجملة يبصرونهم مستأنفة او صفة لقوله حميما اي يبصر كل حميم حميمه لا يخفى منهم احد عن احد وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضا لاشتغال كل احد منهم بنفسه وقال ابن زيد يبصرهم الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا وهم الرؤساء المتبوعون وقيل ان قوله يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي يعرفون احوال الناس لا يخفون عليهم وانما جمع الضميرين في يبصرونهم وهم للجميع حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق النفي قاله السمين والزمخشري قال الطيبي وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمان كما التزم في قوله والله لا اشرب ماء من اداوة انه يعم الماء والادواة خلافا لبعضهم في الاداوة قال ابن عباس يبصرونهم يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض قرأ الجمهور يبصرونهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف يود المجرم اي الكافر او كل مذنب ينبغي ان يستحق به النار لو بمعنى ان يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ قرأ الجمهور باضافة العذاب وكسر الميم من يومئذ وقرئ بالتنوين وقطع الاضافة وبفتح الميم ببنيه وصاحبته واخيه فان هؤلاء اعز الناس عليه واكرمهم لديه فلو قبل منه الفداء لفدا نفسه وخلص مما نزل به من العذاب والجملة مستأنفة لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ بحد يود معه الافتداء من العذاب بمن ذكر وقيل حال من الضمير المرفوع او المنصوب من يبصرونهم وفصيلته التي تؤويه اي عشيرته الاقربين الذين ينضمون في النسب اليه عند الشدائد ويأوي اليهم قال ابو عبيد الفصيلة دون القبيلة

وقال لعلب هما أباؤهم الادنون قال المبرد الفصيلة القطيعة من اعضاء الجسد وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيها لها بالبعض منه وقال مالك ان الفصيلة هي التي تربيه ومن اي ويود المجرم لو افتدى بمن في الارض جميعا من الثقلين وضربا من الخلائق وقوله ثم ينجيه معطوف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم ينجيه لا افتداء وكان العطف بثم لان النجاة على استبعاد النجاة وقيل ثم ينجيه جواب يود والاول اولى كلا ردع للمجرم عن تلك الوداده وبيان امتناع ما وده من الافتداء وكلا اياتي بمعنى حقا وبمعنى لا النافية مع تضمنها لمعنى الزجر والردع وهي هنا تحتمل الامرين انها للظى الضمير عائد الى النار المدلول عليها بأنذر العذاب او هو ضمير مبهم يفسره ما بعده ويترجم عنه الخبر قاله الزمخشري او ضمير القصة ولظى علم لجهنم واشتقاقها من التلظي في النار وهو التلهب ولذلك منع من الصرف للعلمية والتانيث وقيل اصله لظظ بمعنى دوام العذاب فقلبت احدى الظائين الفا وقيل لظى هي الدركة الثانية من طبقات جهنم نزاعة للشوى قرأ الجمهور نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف او تكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبر ان او على ان نزاعة صفة للظى على تقدير عدم كونها علما او يكون الضمير في انها للقصة ويكون لظى مبتدأ ونزاعة خبره والجملة خبر ان وقرئ بالنصب على الحال وقال ابو علي الفارسي حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال وقيل العامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي والنصب على الاختصاص والشوى الاطراف جمع شواة كنوى ونواة وهي جلدة الرأس وقال الحسن وثابت البناني الشوى اي الكام الوجه وحسنه وكذا قال ابو العالية وقتادة وقال قتادة تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقال ابو صالح هي اطراف اليدين والرجلين وقال ابن عباس تنزع ام الرأس وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل وقيل هو جلد الانسان تدعو لظى من ادبر عن الحق في الدنيا وتولى اي اعرض عنه قيل انها تقول الي يا مشرك الي يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الطير الحب وقيل معنى تدعوا تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقيل ليس هو الدعاء باللسان ولكن دعاؤها اياهم تمكنها من عذابهم وقيل المراد ان خزنة جهنم تدعو الكافرين والمنافقين فاسند الدعاء الى النار من باب اسناد ما هو للحال الى المحل وقيل هو تمثيل وتخييل ولا دعاء في الحقيقة والمعنى ان مصيرهم اليها والاول اولى لقوله وتقول هل من مزيد ولا موجب للصرف عن الظاهر والله على كل شيء قدير وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه وفي هذا ذم لمن جمع المال

هلوعا وكثره ولم ينفقه في سبيل الخير اولم يؤد زكوته ان الانسان اي الجنس عبر به لما فيه من الانس لنفسه والرقية لمجانسها والنسيان لربه والدينه خلق هلوعا قال في الصحاح الهلع في اللغة اشد الحرص و اسوء الجزع والخشه يقال هلع بالكسر فهو هلع هلوع على التكثير وقال عكرمة هو الضجور وقال ابن عباس هو الشره قال الواحدي والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وبه قال ابن عباس اي اذا اصابه الفقر والحاجة او المرض او نحو ذلك فهو كثير الجزع واذا اصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والامساك وسئل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله ولا يكون تفسيرا بين من تفسيره وهو الذي اذا اصابه شر اظهر شدة الجزع واذا مسه الخير بخل به ومنعه الناس والعرب تقول ناقة هلوع وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفته وقال ابو عبيدة الهلوع هو الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الشر لم يصبر وانتصاب هلوعا وجزوعا ومنوعا على الحال المقدرة لانه ليس متصفا بالصفات المذكورة وقت خلقه لا وقت ولادته او محققة لكونها طبائع جبل الانسان عليها والظرفان معمولان لجزوعا ومنوعا وقوله الا المصلين من قبيل استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع اي المؤمنين المقيمين الصلوة لان الصلوة الشرعية تستلزم الايمان يعني انهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع وانهم على صفات محمودة وخلال مرضية لان ايمانهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير فزينهم سبحانه فقال الذين هم على صلاتهم دائمون اي مواظبون اي لا يشغلهم عنها شاغل ولا يصرفهم عنها صارف لا يتركونها اداء ولا قضاء اي يفعلونها ولو قضاء وليس المراد بالدوام انهم يصلون ابدا قال الزجاج هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة وقال الحسن وابن جريج هو التطوع منها قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلوة المكتوبة وقال ابن مسعود الذين يصلونها لوقتها وعن عمران بن حصين قال الذي لا يلتفت في صلوته وعن عقبة بن عامر قال هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا والمراد بالاية جميع المؤمنين وقيل الصحابة خاصة ولا وجه لهذا التخصيص لاتصاف كل مؤمن بانه من المصلين والذين في اموالهم حق معلوم قال قتادة ومحمد بن سيرين المراد الزكوة المفروضة وقال مجاهد سوى الزكوة وقيل صلة الرحم وحمل الكل والظاهر انه الزكوة المفروضة لوصفه بكونه معلوما ولجعله قرينا للصلوة للسائل اي الذي يسئل الناس والمحروم اي الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم على حد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقد تقدم تفسير

السائل والمحروم في سورة الذاريات وفي سورة المؤمنين مستوفى والذين يصدقون بيوم الدين اي يوم الجزاء وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه وقيل يصدقونه بأعمالهم فيتعبون انفسهم في الطاعات لان التصديق به يستلزم الاستعداد له بالاعمال الصالحة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون وجلون مع ما لهم من اعمال الطاعة استحقارا لاعمالهم واعترافا بما يجب لله سبحانه عليهم وجملة ان عذاب ربهم غير مأمون مقررة لمضمون ما قبلها مبينة ان ذلك مما لا ينبغي لمن يامنه احد بجواز ان يخل به وان بلغ في الطاعة ما بلغ وان حق كل احد ان يخافه ويكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم من الاماء والشبهة في جريان التصرف عليهن عبر عنهن بما التي لغير العاقل فانهن غير مأمورين على ترك الحفظ فمن ابتغى اي طلب منكحا وراء ذلك اي غير الزوجات والمملوكات فاولئك هم العادون اي المتجاوزون عن الحلال الى الحرام والمتعدون ما حد لهم وهذه الاية تدل على حرمة المتعة ووطي الذكران والبهائم والزنا والاستمناء باليد وقد تقدم تفسيرها في سورة المؤمنين مستوفى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي لا يخلون بشيء من الامانات التي يؤتمنون عليها ولا ينقضون شيئا من العهود التي يعقدونها على انفسهم قرأ الجمهور لاماناتهم بالجمع وقرئ بالافراد وهما سبعيتان والمراد الجنس وهي تتناول امانات الشرع وامانات العباد ويدخل فيها حقوق الخلق والنذور والايمان وقيل الامانات ما تدل عليه العقول والعهود ما اتى بها الرسول والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يحملونها ويؤدونها على غاية التمام وحسن الاداء ويقيمونها عند الحكام على من كانت عليه من قريب او بعيد او رفيع او وضيع بلا ترجيح للقوي على الضعيف ولا يكتمونها ولا يغيرونها اظهارا للصلابة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين وقد تقدم القول على الشهادة في سورة البقرة قرأ الجمهور بشهاداتهم بالافراد وقرئ بالجمع قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات قال الفراء ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى واقيموا الشهادة لله وقيل اراد بالشهادة الشهادة بكلمة التوحيد والاول اولى والذين هم على صلاتهم يحافظون اي على اذكارها واركانها وشرائطها لا يخلون بشيء من ذلك قال قتادة على وضوءها وركوعها وسجودها وقال ابن جريج المراد التطوع وكرر ذكر الصلوة للدلالة على فضلها واتمامها على غيرها ولاختلاف ما وصفهم به اولا وما وصفهم به ثانيا فان معنى الدوام هو ان لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل كما سلف

ومعنى المحافظات يراعى الامور التي تكون صلوة بدونها وقيل المراد بمحافظتهن عليها بعد فعلها ان لا يفعلن ما يحبطها ويبطل ثوابها وكرر الموصولات للدلالة على ان كل وصف من تلك الاوصاف بحالة يستحق ان يستقل بموصوف مفرد وقال الكرخي في هذه الصلات مبالغات لا تخفى وهي تقديم الضمير وبناء الجملة عليه وتقديم الجار والمجرور على الفعل وجعل بعض الجمل اسمية مفيدة للدوام والثبات وبعضها فعلية تفيد الاستمرار التجددي اولئك الموصوفون بتلك الصفات مستقرون في جنات تكرمون بانواع الكرامات وهما حيران فمال الذين كفروا قبلك مهطعين اي اي شيء ثبت لهم حوليك مسرعين قال الاخفش مهطعين مسرعين وقيل المعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حوليك ولا يعملون بما تامرهم وقيل ما بالهم مسرعين الى التكذيب وقيل ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع اليك فيكذبونك ويستهزؤن وقال الكلبي ان معنى مهطعين ناظرين اليك وقال قتادة عامدين وقيل مسرعين اليك مادين اعناقهم مديمي النظر اليك عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله جماعات متفرقة وعزين جمع عزة وهي العصبة من الناس وقيل اصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الفرقة الاخرى قال في الصحاح العزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الواو والجمع عزون وقال ابن عباس عزين العصب من الناس معرضين يستهزؤن به واخرج مسلم وغيره عن جابر قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ونحن حلق متفرقون فقال ما لكم اراكم عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كالمؤمنين المسلمين قال المفسرون كان المشركون يقولون ان دخل هؤلاء الجنة لندخلن قبلهم فانزلت الآية فرد الجهور يدخل مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ثم رد الله سبحانه عليهم فقال كلا انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر الذي يعلمون به يعني من النطفة المذرة وايهم اشعارا بانه منصب يستحي من ذكره فلا ينبغي لهم هذا التكبر وهذا استدلال بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التي يريدون الطمع على فرضها فرضا محالا عندهم بعد ردعهم عنه وقيل المعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو امتثال الامر والنهي وتحصيل النفس بالعلم والعمل وتعريضهم للثواب والعقاب كما في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اخرج احمد وابن ماجة وابن سعد وابن ابي عاصم والباوردي وابن قانع والحاكم والبيهقي في الشعب والضياء عن بشير بن جحاش قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما للذين كفروا الى قوله مما يعلمون ثم بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفه ووضع عليها اصبعه وقال يقول الله ابن ادم انى تعجزني وقد خلقتك من

مثل هذه حتى تأتي سويتك وعدلك مشيد بين يدين والارض مهادك فمهد فجعت ومنعت حتى اذا بلغت الترائب
قلت آه آه اوان الصدقة قال ابن العربي في الفتوحات خلق الله تعالى الناس على اربعة اقسام قسم
لا من ذكر ولا من انثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من انثى فقط وهو عيسى
عليه السلام وقسم من ذكر وانثى وهو بقية الناس فذكر القسم الاول زائدة كما تقدم قريبا والمعنى فاقسم برب
المشارق والمغارب قرأهما الجمهور بالجمع يعني مشرق كل يوم من ايام السنة ومغربه وقال ابن عباس للشمس كل
يوم مطلع تطلع فيه وكل يوم مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالامس ولا خير مغربها بالامس وقيل مشرق وكل نجم
ومغربه قرئ بالافراد وقوله انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم جواب القسم والمعنى انا لقادرون على
ان نخلق امثل منهم واطوع لله حين عصوه ونهلك هؤلاء او نبدلهم بتحويل الوصف فيكونوا اشد بطشا
في الدنيا واكثر اموالا واولادا واعلى قدرا واكثر حشما وجاها وخدما فيكونوا عندك على قلب واحد في سيماء
قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزو والتصفير والصفير
وكل ما يضيق به صدرك وقرئ فعل سبحانه ما ذكر من هذه الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين
لهم بالاحسان مع السعة في الرزق باخذ اموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكن في الارض حتى
كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم مراتب الاخرة فرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته انفسهم
والاموال ومن جملة المقسم عليه قوله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين ان اردنا ذلك بل نفعل ما اردنا
لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر ولكن مشيتنا وسابق علمنا اقتضيا تاخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق
اخر فذرهم اي دعهم واتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم واشتغل بما امرت به ولا يعظمن عليك
ما هم فيه فليس عليك الا البلاغ وهذا تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
هو يوم كشف الغطاء الذي اوله عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره
ومحل استقراره وقيل هو يوم القيامة وهذه الاية منسوخة باية السيف كما قال البقاعي وابن عادل قرأ الجمهور
يلاقوا وقرئ يلقوا وفيه اشارة الى ان التفاعل ليس على بابه يوم يخرجون من الاجداث سراعا يوم بدل من
يومهم بدل بعض من كل على ما يقتضيه تفسيريهم بما ذكر قرأ الجمهور يخرجون على البناء للفاعل وقرئ
على البناء للمفعول والاجداث جمع جدث وهو القبر السراع جمع سريع وانتصابه على الحال من ضمير يخرجون كانهم الى نصب
يوفضون قرأ الجمهور بفتح النون وسكون الصاد وهو مفرد معناه المسرع الذي يرى الشخص يخرج من احد الوجهين وهو شبيه بالصيد يسرع اليها عند وقوع

الصيد فيها مخافة انفلاته وقرئ بضمهما وفيه ثلاثة اوجه احدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب
للعبادة وثانيها انه جمع نصاب كالكتب في كتاب وثالثها انه جمع نصب كرهن في رهن وسقف في سقف وجمع الجمع
انصاب وقرئ بفتحتين ففعل بمعنى مفعول اي منصوب كالقبض وقرئ بضم فسكون وهي تخفيف من الثانية
وقال النخاس نصب نصب بمعنى واحد قيل معنى الى نصب الى غاية وهي التي تنصب اليها ابصارك وقال الكلبي الى شيء
منصوب يعلم اورايه اي كانهم الى علم يدعون اليه اورايه تنصب لهم يوفضون قال الحسن كانوا يبتدرون
اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم قيام معنى يوفضون
يسرعون اسراع من ضل عن الطريق الى اعلامها ولا يفاض الاسراع يقال اوفض ايفاضا اي اسرع اسراعا
في القاموس وفض يفض وفضا بالسكون وبالتحريك عدا واسرع كاوفض واستوفض والاوفاض الفرق
من الناس والاخلاط والجماعة من قبائل شتى كاصحاب الصفة قال ابن عباس في الآية الى علم يستبقون وقيل
يسعون وقيل ينطلقون والمعاني متقاربة وانتصاب خاشعة على الحال من ضمير يوفضون وهو الاولى
او من فاعل يخرجون وفيه بعد والخشوع الذلة والخضوع والانكسار وهو مرتفعة به والمعنى لا يرفعونها لما
يتوقعونه من العذاب ترهقهم ذلة اي تغشاهم ذلة شديدة اضعاف ما كانوا عليه في الدنيا لان من تغير وفيها
عن الحق ذل في الآخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الآخرة قال قتادة هي سواد الوجوه ومنه غلام رهق
اذا غشيه الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا غشيه ومثل هذا قوله ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة والجملة مستانفة او حال من فاعل يوفضون او يخرجون ذلك الذي تقدم ذكره اليوم الذي
كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا على السنة الرسل قد حان وحضر ووقع بهم من عذابه ما وعدهم
الله به وان كان مستقبلا فهو في حكم الذي قد وقع لتحقق وقوعه قال الخطيب وهذا هو العذاب
الذي سألوا عنه اول السورة فقد درج اخرها على اولها

سورة نوح مكية وهي تسع او تسع وعشرون اية وهي مائة وثمان وسبعون كلمة واربعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه وكانوا جميع اهل الارض من الآدميين اهل عصره وذلك انهم كفروا فاغرق الله اهل

الارض جميعا وقد تقدم ان نوحا اول رسول ارسله الله بالنهي عن عبادة غير الله لان عبادة غيره انما احدثت في زمن نوح والافمن المعلوم ان قبله رسلا لادم وشيث وادريس وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ بن قينان بن شيث بن ادم وكان اطول الانبياء عمرا بل اطول الناس وهو اول من شرعت له الشرائع واول رسول انذر من الشرك وقد تقدم مدة لبثه في قومه وبيان جميع عمره وبيان السن التي ارسل هو فيها في سورة العنكبوت قيل النوح معناه بالسريانية الساكن أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ اي بان انذر على انها مصدرية او هي المفسرة لان في الارسال معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بدون ان اي فقلنا له انذر مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي شديد الالم وهو عذاب النار على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة وقال الكلبي هو ما نزل بهم من الطوفان قَالَ يَا قَوْمِ اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة والجملة مستأنفة استينافا بيانيا على تقدير سؤال اني لكم نذير مبين من عقاب الله وهي لكم مُبِينٌ اي بين الانذار او مبين لما فيه نجاتكم بلغة تعرفونها او امري بين في نفسه بحيث صار في شدة وضوحه كانه مطهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ان هي التفسيرية لنذير او هي المصدرية كاختها السابقة اي بان اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره واجتنبوا ما يوقعكم في عذابه واطيعوني فيما امركم فاني رسول اليكم من عند الله وانما اضاف الاطاعة الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله بخلاف العبادة يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ هذا جواب الاوامر الثلثة ومن للتبعيض اي بعض ذنوبكم وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول واجابة دعوته وقيل المراد بالبعض ما لا يتعلق بحقوق العباد فانها لا تغفر الا بالاسلام وهذا كلام ظاهري باطني انها تغفر من حيث المواخذة الاخروية بمعنى انهم لا يعاقبون عليها في الاخرة وان كانت من حيث التبعة عليها في الدنيا لا تغفر فيطالب الكافر اذا اسلم بالحدود كحد القذف وبالمال الذي ظلم به في الكفر تامل وقيل هي للبيان الجنس وقيل زائدة قاله السدي فان الاسلام يغفر ما قبله وهذا على رأي الاخفش الذي لا يشترط في زيادتها تقدم نفي ولا تنكير المجرور بها والاولى هو الوجه الاول وقيل يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى اي يؤخر موتكم الى الاجل المعلوم المعين الذي قدره الله لكم لا يزيد ولا ينقص بشرط الايمان والطاعة فوق ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان وقيل التاخير بمعنى البركة في اعماركم ان امنتم وعدم البركة فيها ان لم تؤمنوا قال مقاتل

يؤخركم الى منتهى اجالكم وقال الزجاج اي يؤخركم عن العذاب اذا تبتم وآمنتم غير ممتنة للمستأصلين بالعذاب ولا يخالف هذا قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لان النفي تأخيره فيه هو لاجل نفسه فلا تخالف بين هذين المحلين وقال الفراء المعنى لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب إِذَا جَاءَ وانتم باقون على الكفر لا يُؤَخَّرُ بل يقع لا محالة فبادروا الى الايمان والطاعة وقيل المعنى ان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يمكنكم الايمان وقيل المعنى اذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب او بغير عذاب فاضافة الاجل اليه سبحانه لانه هو الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله اذا جاء امرنا لانه مضروب لهم لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَيْئًا من العلم لسارعتم الى ما امرتكم به ولعلمتم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر قَالَ رَبِّ اي قال نوح مناجيا لربه وحاكيا له ما جرى بينه وبين قومه وهو اعلم به منه إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي الى ما امرتني بان ادعوهم اليه من الايمان لَيْلًا وَنَهَارًا اي دعاء دائما دائبا لا افتر في الليل والنهار من غير تقصير فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي شَيْئًا من احوالهم التي كانوا عليها إِلَّا فِرَارًا اعراضا عما دعوتهم اليه وبعدا عنه قال مقاتل يعني تباعدا من الايمان كانهم جمع مستنفرة واسناد الزيادة الى الدعاء لكونه سببها كما في قوله زادتهم ايمانا قرأ الجمهور دعائي بفتح الياء وقرئ باسكانها والاستثناء مفرغ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ الى سبب المغفرة وهو الايمان بك والطاعة لك لِتَغْفِرَ لَهُمْ اي لاجل مغفرتك لهم واللام للتعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب لان اصل دعوتهم التوبة التي هي سبب الغفران والطالب للغفران واريد به التوبة جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ لئلا يسمعوا صوتي وقال ابن عباس لئلا يسمعوا ما يقول وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني وقيل جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا يسمعوا كلامي فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سد الآذان وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة وقيل استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيدعوهم وقال ابن عباس لئلا ينتكروا فلا يعرفهم وعنه قال غطوا وجوههم لئلا يروا نوحا ولا يسمعوا كلامه وقد افادت هذه الآية بالتصريح انهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة لا اقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار كما قال تعالى وَأَصَرُّوا اي استمروا على الكفر ولم يقلعوا عنه وآثروا عنه وَاسْتَكْبَرُوا عن قبول الحق عن امتثال ما امر هو به اسْتِكْبَارًا شديدا وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم قال ابن عباس تركوا التوبة ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا اي مظهرا لهم الدعوة مجاهرا لهم بها واستصوب جهارا على المصدرية

لان الدعاء يكون جهارا ويكون غير جهار فالجهار نوع من الدعاء كقولهم فعل القرفصاء ويجوز ان يكون نعت مصدر محذوف اي دعاء جهارا وان يكون مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا او ذا جهار او جعل نفس المصدر مبالغة ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من السر والجمع بين الامرين اغلظ من احدهما قرأ الجمهور اني بسكون الياء وقرئ بفتحها ثم اني اعلنت لهم اي دعوتهم معلنا لهم بالدعاء واسررت لهم الدعوة اسرارا كثيرا قيل المعنى انه يدعو الرجل بعد الرجل بكلمة سرا فيما بينه وبينه والمقصود انه دعاهم على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة فلم يزدجر ذلك فيهم وهكذا يفعل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بينه بالاهون ثم بالاشد فالاشد قال مجاهد معنى اعلنت صحت وقيل معنى اسررت اتيتهم في منازلهم فدعوتهم فيها فقلت استغفروا ربكم اي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة راعيا نهاوآثارها باخلاص النية انه كان غفارا اي كثير المغفرة للمذنبين وقيل المعنى توبوا عن الكفر انه كان غفارا للتائبين يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل ماء السماء عليكم ففيه اضمار وقيل المراد بالسماء المطر والمدرار الدرار وهو التجلب بالمطر استصابه اما على الحال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا لا يؤنث بل يستوي فيه المذكر والمؤنث تقول امرأة مينات ومذكارا وعلى انه نعت لمصدر محذوف اي ارسالا مدرارا وقد تقدم الكلام عليه في سورة الانعام وجزم يرسل لكونه جواب الامر وفي هذه الآية دليل على ان الاستغفار من اعظم اسباب المطر وحصول انواع الارزاق ومن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولهذا قال ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات اي بساتين الدنيا ليكون مما وعد به عاجلا ويجعل لكم انهارا جارية قال عطاء المعنى يكثر اموالكم واولادكم وكانوا يحبونهم ففرحوا بهذا على الايمان واعلمهم نوح عليه السلام ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع احظوا في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا واعاد فعل الجعل ولم يقل وانهارا للتغاير بينهما فان الاول مما تفعلهم فيه مدخل بخلاف الثاني وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكى اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ليس اكوناك وانواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية والله دره ما افقهه قال القشيري من وقعت له حاجة الى الله لم يصل اليها الا بتقديم الاستغفار قال الشهاب وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع عن الذنوب وتطهير الالسنة والقلوب مما لكم لا ترجون لله وقارا اي اي عذر لكم في ترك الرجاء

لان قول الله تعالى ... [illegible]

والرجاء هنا الخوف اي ما لكم لا تخافون الله والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم والمعنى لا تخافون رحى عظمته فتوحدونه وتطيعونه وقيل المعنى ما لكم لا تؤمنون من الله توقير الكبرياء فتؤمنوا به فتصيروا موقرين عنده وهذا المعنى هو ما سلكه البيضاوي اولا وقال ابو السعود انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وتقاره على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد انتهى وهذا حث على رجاء الوقار لله والمراد الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله فهو من الكناية التلويحية لان من اراد رجاء تعظيم الله وتوقيره اياه امن بالله وعمل صالحا ومن عمل الصالحات رجاء ثواب الله وتعظيمه اياه في دار الثواب فان الحث على تحصيل الرجاء سبق بالحث على تحصيل الايمان فهو من باب مقدمة الواجب قال الكرخي اي انكم اذا وقرتم نوحا وتركتم استخفافه كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطاء بن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون منه عقابا وقال مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابل وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا تؤمنون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقال ابن عباس لا تعلمون لله عظمة وعنه قال لا تخافون لله عظمة ولا تحشون له عقابا ولا ترجون له ثوابا وعن علي بن ابي طالب النبوي صلى الله عليه وسلم رأى ناسا يغتسلون عراة الى ليس عليهم ازر فوقف فنادى باعلى صوته ما لكم لا ترجون لله وقارا اخرجه عبد الرزاق في المصنف وقد خلقكم اطوارا اي والحال انه سبحانه قد خلقكم على اطوار مختلفة واحوال متفاوتة والحال انكم عليه بالكلية فخلقكم تارة عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم مضغا ثم علقا ثم عظاما ولحوما ثم انشاكم خلقا اخر والطور في اللغة المرة وقال ابن الانباري الطور الحال والهيئة وجمعه اطوار وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل الاطوار اختلافهم في الاعمال والاقوال والاخلاق والمعنى كيف تقصرون في توقير من خلقكم على هذه الاطوار البديعة تارات وكرات فهذا مما لا يكاد يصدر عن العاقل ثم لما نبههم سبحانه وتعالى على ما هو الاظهر في انفسهم لانها اقرب نحوهم ثنى على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع الحكيم فقال ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا الخطاب لمن يصلح له والمراد الاستدلال بخلق السموات على كمال قدرته وبديع صنعه وانه الحقيق بالعبادة والطباق المتطابقة بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب من غير عماد قال الحسن خلق الله سبع سموات على سبع ارضين بين كل سماء

وسماء وارض خلق وامر وقد تقدم تحقيق هذا في قوله ومن الارض مثلهن وانتصاب طباقا على المصدرية
تقول طابقه طباقا وطابقا وحال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه واجاز الفراء في غير القرآن
جر طباق على النعت وجعل القمر فيهن نورا اي منورا الوجه الارض وجعل القمر في السموات مع كونه في سماء
الدنيا لانه اذا كان في احداهن فهو فيهن كذا قال ابن كيسان وابو السعود قال الاخفش كما تقول اتاني بنو تميم
والمراد بعضهم او لان كل واحدة منهما شفافة لا تحجب ما وراءها فترى الكل كانه سماء واحدة ومن ضرورة
ذلك ان يكون ما في كل واحدة منهما كانه في الكل وقال قطرب فيهن بمعنى معهن اي خلق الشمس والقمر مع خلق
السموات والارض قال ابن عباس وجهه في السماء الى العرش وقفاه الى الارض وعنه قال خلق فيهن حين
خلقهن ضياء لاهل الارض وليس من ضوءه في السماء شيء وجعل الشمس فيهن سراجا اي كالمصباح
لاهل الارض ليتوصلوا بذلك الى التصرف فيما يحتاجون اليه من المعاش عن ابن عمر وقال الشمس والقمر
وجوههما قبل السماء واقفيتهما قبل الارض وانا اقرء ذلك على كما اية من كتاب الله يعني هذه الاية
وعن ابن عمر قال في الاية تضيء لاهل السموات كما تضيء لاهل الارض وعن شهر بن حوشب قال اجتمع عبد الله
بن عمرو بن العاص وكعب الاحبار وكان بينهما بعض العتب فتعاتبا فذهب ذلك فقال ابن عمرو لكعب سلني
عما شئت فلا تسألني عن شيء الا اخبرتك بتصديقي قولي من القرآن فقال له ارأيت ضوء الشمس والقمر هو
في السموات السبع كما هو في الارض قال نعم الم تر الى قول الله يعني هذه الاية قال النسفي واجمعوا على ان الشمس
في السماء الرابعة وضوءها اقوى من نور القمر وقال الخطيب وقيل في الخامسة وقيل في الثانية في الرابعة
وفي الصيف في السابعة والله انبتكم من الارض نباتا يعني ادم خلقه الله من اديم الارض والمعنى
انشأكم منها انشاء فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكوين من الارض ونباتا
اما مصدر لانبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر ويجوز ان يكون مصدرا للمبتم مقدرا اي انبتكم
فنبتم نباتا فيكون منصوبا بالمطاوع المقدر وقال الخليل والزجاج هو مصدر محمول على المعنى لان معنى
انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل المعنى والله انبت لكم من الارض المنبات فنباتا على هذا مفعول به قال
ابن عباس انبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم في الارض بعد الموت مقبورين
فيها ويخرجكم منها بالبعث يوم القيامة اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اي فرشها
وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم ولم يجعلها مسمتة لتسلكوا منها سبلا فجاجا

ع ٢٠

اي طرقا واسعة وقال ابن عباس طرقا مختلفة والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع كذا قال الفراء وغيره و
قيل هو المسلك بين الجبلين وقد مضى تحقيق هذا في سورة الانبياء وفي سورة الحج مستوفى وفي الانبياء
تقدم الفجاج فقال فجاجا سبلا للتناسب الفواصل هنا قال نوح بعد ياسه من ايمانهم رب انهم
عصوني اي كلهم استمروا على عصياني ولم يجيبوا دعوتي شكاهم الى الله عز وجل واخبره بانهم عصوه ولم
يتبعوه وهو اعلم بذلك واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي اتبع الاصاغر رؤساءهم و
اهل الثروة منهم الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا وطغيانا وكفرا في الدنيا وعقوبة في الاخرة
واستمروا على اتباعهم لانهم احدثوا الاتباع قرئ ولده بفتح الواو واللام وبضم الواو وسكون اللام و
هما سبعيتان وبفتح الاول وسكون الثاني وهي لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا وقد تقدم تحقيقه
ومكروا اي الرؤساء مكرا كبارا قرأ الجمهور بالتشديد اي كبيرا عظيما جدا يقال كبير وكبار وكبار مثل
عجيب وعجاب وعجاب وحميل وحمال وحمال قال المبرد كبارا بالتشديد للمبالغة ومثل كبار قراء لكثير
القراءة وقرئ بالضم والتخفيف وهو بناء مبالغة ايضا دون الاول وقرئ بكسر الكاف وتخفيف الباء
قال ابو بكر هو جمع كبير كانه جعل مكرا مكان ذنوب او افاعيل فلذلك وصفه بالجمع وقال عيسى بن
عمر هي لغة يمانية قيل جمع الضمير حملا على معنى من بعد حمله على لفظها في قوله من لم يزده ماله وولده
قاله السمين واختلف في مكرهم هذا ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح واذاه وصدالناس
عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل هو تعزيزهم على الناس بما اوتوا من المال والولد حتى قالت
الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وقال
مقاتل هو قول الكبراء لاتباعهم لا تذرن الهتكم وقيل مكرهم كفرهم وقيل افتراؤهم على الله الكذب
وكذبوا رسله وقالوا لا تذرن الهتكم اي لا تتركوا عبادة الهتكم وهي الاصنام والصور التي كانت لهم ثم
عبدتها العرب بعدهم وبهذا قال الجمهور ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي لا تتركوا
عبادة هذه الاوثان قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون
بهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم
فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم فابتدأ عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت
وسميت هذه الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور اولئك القوم وقال عروة بن الزبير وغيره ان هذه

كانت اسماء اولاد آدم وكان ودّ اكبرهم وكانوا عباداً فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصوروهم فلما تقادم الزمان نزكت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئاً قالوا لو ما نعبد قال الهتكم والهة اباءكم الا ترون انها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحاً عليه السلام فقالوا لا تذرن الهتكم الاية قال الماوردي فاما ودّ فهو اول صنم معبود سمي ودّا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم

حيّا ودّ فانا لا يحل لنا ... لهو النساء وان الدين قد غربا

واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال الهدوي لمراد ثم لغطفان واما يعوق فكان لهمدان في قول قتادة وعكرمة وعطاء وقال الثعلبي كان لكهلان بن سبأ ثم توارثوه حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري ... ولا يبري يعوق ولا يريش

واما نسر فكان بذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل قال ابن عباس هذه الاصنام كانت تعبد في زمن نوح قال الواقدي كان وجه صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة النسر الطائر قال البقاعي ولا معارضة بين هذا لانهم صوروا لناس صالحين لان تصويرهم لم يمكن ان يكون منتزعاً من معانيهم فكان ودّ كاملاً في الرجولية وكان سواع امرأة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعاً وكان يعوق سابقاً قوياً وكان نسر عظيماً طويل العمر ومثله في القرطبي اخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب اما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لبني غطيف واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم الذي كانوا يجلسون فيها انصاباً وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم فعبدت وفي الصحيحين من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا مات الرجل الصالح منهم بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة قرأ البجهورودّا بفتح الواو وقرئ بضمها قال الليث في ضم الواو صنم لقريش وبفتحها صنم كان لقوم نوح وبه سمي عمرو بن ودّ آل

في الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كأنهم سكنوا التاء وادغموها في الدال وقرأ الجمهور يغوث و يعوق بغير تنوين فإن كانا عربيين فالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا عجميين فللعجمة والعلمية وقرئ يغوثا ويعوقا بالنصب مصروفين لامرين احدهما انه صرفهما للتناسب اذ قبلهما اسماء منصرفان وبعدهما اسم منصرف كما صرف سلاسلا والثاني انه جاء على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهي لغة حكاها الكسائي ذكره السمين وقال ابن عطية وذلك وهم ووجه تخصيص هذه الاصنام بالذكر مع دخولها تحت الالهة انها كانت اكبر اصنامهم واعظمها ولم يذكر النفي مع يعوق ونسر لكثرة التكرار وعدم اللبس وقد أضلوا كثيرا اي وقال نوح قد اضل اكابرهم ورؤساؤهم كثيرا من الناس وقيل الضمير راجع الى الاصنام اي ضل بسببها كثير من الناس كقول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس واجرى عليهم صيغة من يعقل لاعتقاد الكفار الذين يعبدونها انها تعقل ولا تزد الظالمين الا ضلالا معطوف على رب انهم عصوني ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وقال ابو حيان انه معطوف على قد اضلوا ومعنى لا تزد لا تعذ بالكذا قال ابن بحر واستدل على ذلك بقوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسارا وقيل الا فتنة بالمال والولد وقيل الضياع وقيل ضلالا في مكرهم وهذا دعاء عليهم من نوح بعد ان اعلمه الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن من مما مزيدة للتاكيد والمعنى من خطيئاتهم قرأ الجمهور على جمع السلامة وهي سبعة وقرئ خطاياهم على جمع التكسير وخطيئتهم على الافراد والمعنى من اجلها وبسببها أغرقوا بالطوفان قرأ الجمهور من اغرق وقرئ غرقوا بالتشديد فأدخلوا عقب الاغراق نارا وهي نار الآخرة وهذا من التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وقيل عذاب القبر وعلى هذا هو على بابه كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجدوا احدا يمنعهم من عذاب الله ويدفعه عنهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني لما ايس نوح عليه السلام من ايمانهم واقلاعهم عن الكفر دعا عليهم بالهلاك قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله دعوته واغرقهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع بن انس وابن زيد وعطية انما قال هذا حين اخبر الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم اعقم ارحام النساء واصلاب الآباء قبل العذاب بسبعين سنة وقيل بار بعين قال قتادة لم يكن فيهم حبلى وقت العذاب فقال الحسن وابو العالية لو اهلك الله اطفالهم معهم كان عذابا من الله لهم وعدلا فيهم ولكن

اهلك ذريتهم واطفالهم بغير عذاب ثم اهلكهم بالعذاب فمعنى ديارا من يسكن الديار ويدور في الارض واصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت الواو ياء واد غمت احداهما في الاخرى مثل القيام اصله قيوام وقال القتيبي اصله من الدار اي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار وديور اي احد كقيام وقيوم وهو من الاسماء المستعملة في النفي العام وقيل الديار صاحب الدار والمعنى لا تدع احدا منهم الا اهلكته وقيل وما نخوف من الدوران وهو التحرك قال سليمان الجمل انظر ما الحكمة في تاخيره عن قوله مما خطيئاتهم اغرقوا مع ان مقتضى الظاهر تقديمه عليه لكونه سببا لاغراقهم تامل ثم رايت ابا السعود قال هذا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطاياهم التي عدد ها نوح واشار الى ان استحقاقهم للاهلاك لاجلها انتهى كلام الجمل انك ان تذرهم اي ان تركتهم على الارض يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا بترك طاعتك كفارا لنعمتك اي كثير الكفران لها والمعنى الامن سيفجر ويكفر ففي الكلام مجاز الاول لانهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها بزمان طويل وقال عليه السلام هذا القول لعلمه بالتجربة من احوالهم ان اولادهم يكونون مثالهم ثم لما دعا على الكافرين اتبعه بالدعاء لنفسه ولوالديه وللمؤمنين فقال رب اغفر لي ولوالدي قرا العامة بكسر اللام وفتح الدال على انه تثنية والديريد ابويه وكانا مؤمنين وابوه لامك اولمك بفتحتين او بفتح فسكون ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس وامه شمخا بنت انوش وقيل ارادا ادم وحوى والاول اولى وقال سعيد بن جبير اراد بوالديه اباه وجده وقرئ ولولدي بكسر الدال على الافراد وعلى التثنية يعني ابنيه ساما وحاما وقرئ ولوالدي بكسر الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه الاقرب الذي ولده وخصه بالذكر لانه اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن ادم الى من ولده ولمن دخل بيتي قال الضحاك والكلبي يعني مسجده وقيل منزله الذي هو ساكن فيه وقيل سفينته وقيل لمن دخل في دينه وانتصاب مؤمنا على الحال اي لمن دخل بيتي متصفا بصفة الايمان فيخرج من دخله غير متصف بهذه الصفة كامرأته وولده الذي قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ثم عمم الدعوة فقال وللمؤمنين والمؤمنات اي واغفر لكل متصف بالايمان من الذكور والاناث ثم عاد الى الدعاء على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا مفعول ثان والاستثناء مفرغ اي لا تزد المتصفين بالظلم الا هلاكا وخسرانا ودمارا فاهلكوا وغرق معهم صبيانهم

ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باداءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم وفي الحديث يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقد يشمل دعاؤه هذا كل ظالم الى يوم القيامة كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة ❊❊❊

سورة الجن ثمان وعشرون اية وهي مكية قال القرطبي في قول الجميع

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن عايشة وابن الزبير مثله وتسمى سورة قل اوحي ❊❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا محمد للناس أوحي إلي ليعرفوا بذلك انك مبعوث الى الجن كما الانس ولتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران وعرفوا اعجازه امنوا فاقرأ الجمهور اوحي بالياء وقرئ وحي ثلاثيا وهما لغتان والمعنى اخبرت بالوحي من الله انه استمع نفر من الجن واختلف هل رأهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لم يرهم فظاهر القران انه لم يرهم لان المعنى قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر من الجن ومثله قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ليستمعون القران ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رأهم وروى ابن مسعود انه رأهم ورجحه العلماء والحق صحتهما وان الاول وقع اولا ثم نزلت السورة ثم امر بالخروج اليهم قال عكرمة والسورة التي كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي اقرأ باسم ربك الذي خلق وقد تقدم في سورة الاحقاف ذكر ما يفيد زيادة في هذا والنفر اسم للجماعة مابين الثلاثة الى العشرة قال البغوي كانوا تسعة وقيل سبعة وقد اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجودهم لكن اختلفوا في ماهيتهم وقد نطق الكتاب العزيز والسنة المطهرة بوجودهم فلا اعتداد بمنكر يهم واذا جاء خبر الله بطل نظر معقل قال الضحاك والجن هم الجان وليسوا بشياطين وقال الحسن انهم ولد ابليس وقيل هم اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من

الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة لابدانها وقد اختلف اهل العلم في دخول مؤمني الجن الجنة كما تدخل عصاتهم النار بقوله في سورة تبارك وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وقال الجن فيما سيأتي في هذه السورة وامّا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وغير ذلك من الآيات فقال الحسن يدخلون الجنة وقال مجاهد لا يدخلونها وان صرفوا عن النار والاول اولى لقوله في سورة الرحمن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفي سورة الرحمن آيات غير هذه تدل على ذلك فراجعها وقد قدمنا ان الحق انه لم يرسل الله اليهم رسلا منهم بل الرسل جميعا من الانس وان اشعر قوله قد ارسلنا اليكم رسولا منكم بخلاف هذا فهو مدفوع الظاهر بآيات كثيرة في الكتاب العزيز دالة على ان الله سبحانه لم يرسل الرسل الا من بني آدم وهذه الابحاث الكلام فيها يطول والمراد الاشارة باخصر عبارة قال ابن مسعود في الآية كانوا من جن نصيبين وقد اخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن ابن عباس قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها انظروا ما هذا الامر الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف اولئك الذين توجهوا نحو تهامة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وانما اوحي اليه قول الجن فقالوا لقومهم لما رجعوا اليهم انا سمعنا قرآنا اي كلاما مقروا عجبا في فصاحة وبلاغة وغزارة معانيه وغير ذلك وقيل عجبا في مواعظه وقيل في بركته وعجبا مصدر وصف به للمبالغة او على حذف المضاف اي ذا عجب او المصدر بمعنى اسم الفاعل اي معجبا يهدي الى الرشد اي الى مراشد الامور وهي الحق والصواب والايمان وقيل الى معرفة الله والتوحيد والجملة صفة اخرى للقرآن فآمنا به اي صدقنا بانه من عند الله ولن نشرك بعد اليوم بربنا احدا من خلقه ولا نتخذ معه الها آخر لانه المتفرد بالربوبية وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل

نصارى وقيل مجوسا ومشركين وفي سذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه وادركوا بعقولهم انه كلام الله وآمنوا به ولم ينتفع كفار الانس بسماع سائر آيه وعظمآوهم بسماعه مرارا متعددة وتلاوته عليهم في اوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلو عليهم بلسانهم لاجرم صرعهم اسا ذل مصرع وقتلهم اقبح مقتل ولعذابهم الآخرة اشد لو كانوا يعلمون وانه تعالى جد ربنا قرئ بفتحتان وكذا فيما بعدها وذلك احد عشر موضعا الى قوله وانه لما قام عبد الله وقرئ بالكسر في هذه المواضع كلها الا في قوله وان المساجد لله فانهم اتفقوا على الفتح اما من قرأ بالفتح في هذه المواضع فعلى العطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا الخ واما من قرأ بالكسر في هذه المواضع فعلى العطف على انا سمعنا اي فقالوا انا سمعنا قرآنا وقالوا انه تعالى جد ربنا الخ واختار ابو حاتم وابو عبيدة قراءة الكسر لانه كله من كلام الجن ومما هو محكي عنهم بقوله فقالوا انا سمعنا وقرئ بالفتح في ثلاثة مواضع وهي انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وانه كان رجال من الانس لانه من الوحي وكسر ما بقي لانه من كلام الجن وقرأ الجمهور وانه لما قام عبد الله بالفتح لانه معطوف على قوله انه استمع وقرئ بالكسر في هذا الموضع عطفا على فآمنا به بذلك التقدير السابق واتفقوا على الفتح في انه استمع كما اتفقوا على الفتح في ان المساجد وفي وان لو استقاموا واتفقوا على الكسر في فقالوا انا سمعنا وقال انما ادعو ربي وقل ان ادري وقل اني لا املك لكم والجد عند اهل اللغة العظمة والجلال يقال جد في عيني اي عظم فالمعنى ارتفع عظمة ربنا وجلاله وبه قال عكرمة ومجاهد وقال الحسن المراد تعالى غناؤه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود اي محظوظ والحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل انه لا ينفع ذا الغنا منك الغنا اي انما ينفعه الطاعة وقال القرظي والضحاك جده آلاؤه ونعمه على خلقه وقال ابن عباس آلاؤه وعظمته وامره وقدرته وقال ابو عبيدة ولا اخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل جد قدرته وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع بن انس ليس لله جد وانما قالته الجن للجهالة والجد ايضا ابو الاب قرأ الجمهور جد بفتح الجيم وقرئ بكسرها وهو ضد الهزل وقرئ جدك ربنا اي جدواه ومنفعته وقرئ بتنوين جد ورفع ربنا على انه بدل من جدنا اتخذ صاحبة ولا ولدا هذا بيان لتعالي جده سبحانه قال الزجاج تعالى جلال

ربنا او عظمة عن ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص وكان الجن نبهوا بهذا على خطأ الكفار الذين ينسبون الى الله الصاحبة والولد وننزهوا الله سبحانه عنهما وانه كان يقول سفيهنا اي جاهلنا على الله شططا اي غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد والضمير في انه للحديث او الامر وسفيهنا يجوز ان يكون اسم كان ويقول الخبر ويجوز ان يكون سفيهنا فاعل يقول والجملة خبر كان واسمها ضمير يرجع الى الحديث او الامر ويجوز ان تكون كان زائدة ومرادهم بسفيههم عصاتهم ومشركوهم وقال مجاهد وابن جريج وقتادة اراد وابه ابليس عن ابي موسى الاشعري مرفوعا قال ابليس اخرجه ابن مردويه والديلمي قال السيوطي بسند واه والشطط الغلو في الكفر وقال ابو مالك الجوري وقال الكلبي الكذب واصله البعد عن القصد ومجاوزة الحد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي انا حسبنا ان الانس والجن كانوا لا يكذبون على الله بان له شريكا وصاحبة وولدا فلذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق وانتصاب كذبا على انه مصدر مؤكد لان الكذب نوع من القول او صفة لمصدر محذوف اي قولا كذبا وقرئ ان تقول من التقول فعلى هذا كذبا مفعول به وانه كان رجال في الجاهلية من الانس يعوذون برجال من الجن حين ينزلون في سفرهم بخوف قال الحسن وابن زيد وغيرهما كان العرب اذا نزل الرجل بواد قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح فنزلت هذه الآية قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن عكرمة بن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي انا جارك فنادى منادي يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الآية وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند فزادوهم اي زاد رجال الجن من يعوذ بهم من رجال الانس وزاد المستعيذون من رجال الانس من استعاذوا بهم من رجال الجن رهقا لان المستعاذ بهم كانوا يقولون سدنا الجن والانس وبالاول قال مجاهد وقتادة وبالثاني قال ابو العالية وقتادة والربيع بن انس وابن زيد والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك

ومنه قوله ترهقهم ذلة اي تغشاهم وقيل الرهق الخوف اي ان الجن زادت الانس بهذا التعوذ رهقا
خوفا منهم وقيل كان الرجل من الانس يقول اعوذ بفلان من سادات العرب من جن هذا الوادي ويشد
هذا ما قيل من ان لفظ رجال لا يطلق على الجن فيكون قوله برجال وصفا لمن يستعيذون به من رجال
الانس اي يعوذون بهم من شر الجن وهذا فيه بعد واطلاق لفظ رجال على الجن على تسليم عام صحته لغة لا مانع
من اطلاقه عليهم هنا من باب المشاكلة قال ابن عباس كان القوم في الجاهلية اذا نزلوا بالوادي قالوا نعوذ
بسيد هذا الوادي من شر ما فيه فلا يكون شيء اشد ولعا منهم بهم فذلك قوله فزادوهم رهقا وانهم
ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا هذا من قول الجن للانس اي وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الناس انه
لا بعث بعد الموت وقيل المعنى وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن والمعنى انهم لا يؤمنون بالبعث كما انكم
لا تؤمنون به وهذان القولان من كلام الله تعالى معترضان في خلال كلام الجن المحكي عنهم عند بعض
المفسرين وعند بعضهم هما من جملة كلام الجن وعليه فلا اعتراض في الكلام تامل وانا لمسنا
السماء هذا من قول الجن ايضا اي طلبنا خبرها كما جربته عادتنا واللمس المس فاستعير للطلب لان
الماس طالب متعرف فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي جمعا اقوياء من الملائكة يحرسونها عن استراق
السمع والحرس جمع حارس وهو الرقيب والمصدر الحراسة وقيل اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى
الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة المقتبسة
من نار الكوكب كما تقدم بيانه في تفسير قوله وجعلناها رجوما للشياطين وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع اي وانا كنا معشر الجن قبل هذا نقعد من السماء مواضع نقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء
وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع والمقاعد جمع مقعد
اسم مكان وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة اخبار السماء فيلقونها الى
الكهنة فحرسها الله سبحانه بعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بالشهب المحرقة عن ابن عباس قال كانت الشياطين
لهم مقاعد في السماء يسمعون فيها الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما
ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن
النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلين بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض اخرجه

احمد والترمذي وصححه النسائي وغيرهم فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي رصد له ليرمى به
او لاجله لمنعه من الاستماع وقوله الآن هو ظرف للحال واستعير هنا للاستقبال لانهم لا يريدون به
وقت قولهم فقط وانتصاب رصدا على انه صفة لشهابا او مفعول له وهو مفرد ويجوز ان يكون اسم جمع
كالحرس وقد اختلف اهل العلم هل كانت الشياطين ترمى بالشهب قبل المبعث ام لا فقال قوم لم يكن
ذلك وحكى الواحدي عن مجمر قال قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله
وانا كنا نقعد منها الآية قال غلظ وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم
قد كان قبل مبعثه ولكنه لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه وكانوا يسترقون السمع في بعض الاحوال
فلما بعث منعوا من ذلك اصلا وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى
ومحمد عليهما الصلوة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب
منعت من الدنو الى السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة
ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاسترقاق اصلا وقد تقدم البحث عن هذا وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض بسبب هذه الحراسة للسماء وارتفاع الشر على الاشتغال بها وعلى الابتداء وخبره ما
بعده والاول اولى لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام واطال السمين في بيان ذلك ام اراد بهم
ربهم رشدا اي خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا
او يرسل اليهم رسولا والجملة سادة مسد مفعولي ندري الاولى ان هذا من قول الجن فيما بينهم وليس من قول
ابليس كما قال ابن زيد وانا منا الصالحون اي قال بعض لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وانا كنا قبل استماع القران منا الموصوفون بالصلاح ومنا دون ذلك اي قوم دون الموصوفين بالصلاح
وقيل اراد باهل الصلاح المؤمنين وبمن هم دون ذلك الكافرين والاول اولى وقال ابن عباس نقول
منا المسلم ومنا المشرك كنا طرائق قددا اي جماعات متفرقة وفرقا شتى واصنافا مختلفة وذوي مذاهب
متفاوتة والقدة القطعة من الشيء وصار القوم قددا اذا تفرقت احوالهم والمراد بها الطريقة واصلها
السيرة واستعيرت للسيرة المعتدلة واستعمال القدد في الفرق مجاز والمعنى كنا ذوي طرائق قددا او
كانت طرائقنا طرقا قددا او كنا مثل طرائق قددا او كنا ذوي اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة وقال

السدي والضحاك اديانا مختلفة وقال قتادة اهواء متباينة وقال ابن عباس اهواء شتى وقال سعيد بن المسيب كانوا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وكذا قال مجاهد قال الحسن الجن امثالكم قدرية ومرجية وخوارج وروافضة وشيعة وسنية وكذا قال السدي وانا ظننا انا الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي وانا علمنا وتيقنا بالتفكر والاستدلال في ايات الله ان لن نعجز الله في الارض اينما كنا فيها ولن نفوته بهرب ولا غيره ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا مصدر في موضع الحال اي فلن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم وانا لما سمعنا الهدى يعنون القرآن امنا به وصدقنا انه من عند الله ولم نكذب به كما كذبت به كفرة الانس فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي لا يخاف نقصا في عمله وثوابه ولا ظلما ومكروها يغشاه والبخس النقصان والرهق العدوان والطغيان والمعنى لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته وقد تقدم تحقيق الرهق قرأ الجمهور بجسا بسكون الخاء وقرئ بفتحها وقرئ فلا يخف جزما على جواب الشرط ولا وجه لهذا بعد دخول الفاء المقتضية لهو لا يخاف والامر ظاهر وفي الاية دليل على ان العمل ليس من الايمان قاله النسفي وانا منا المسلمون وهم الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي الجائرون الكافرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل قال ابن عباس القاسطون العادلون عن الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال للقوم ما احسن ما قال حسبوا انه بصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم خطبهم وقوله الذين كفروا بربهم يعدلون ذكره الخطيب فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه باجتهاد ومنه التحري في الشيء قال الراغب حرى الشيء يحري اليه قصد حراه اي جانبه وتحراه كذلك وقال الفراء المعنى الهدى قال النسفي طلب الاحرى اي الاولى وفيه دليل على ان الجن يثابون بالجنة واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا للنار يوقدون بهم كما يوقد بكفرة الانس فيه دليل على ان الجني الكافر يعذب في النار وانهم وان خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فصاروا لحما ودما هكذا قيل وايضا النار قوية قادرة على كل ضعيف فيكون الضعيف حطبا للقوي وان لو استقاموا على الطريقة قرأ الجمهور بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها تشبيها بواو الضمير وهذا ليس من قول الجن بل هو معطوف على

انه استمع نفر من الجن والمعنى واوحي الي ان الشأن لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة وهي طريقة الاسلام وقد قدمنا ان القراء اتفقوا على فتحات هنا قال ابن الانباري والفتح ههنا على اضمار يمين تاويلها والله ان لو استقاموا على الطريقة كما يقال في الكلام والله لو قمت قمت قال او على اوحي انه استمع وان لو استقاموا وعلى لمنابه اي لمناسبة بان لو استقاموا وعلى هذا يكون جميع ما تقدم معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه قال ابن عباس لو اقاموا على ما امروا به لاسقيناهم ماء غدقا وليس المراد خصوص السقيا بل المراد لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وقال ابن عباس معينا وقال مقاتل ماء لنثيرا من السماء وذلك بدعاء نوح فرفع عنهم المطر سبع سنين وقال ابن قتيبة المعنى لو امنوا جميعا لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله بالمطر وهذا كقوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الاية وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين الاية وقيل المعنى وان لو استقام ابوهم على عبادته وسجد لادم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم واختار هذا الزجاج والماء الغدق هو الكثير في لغة العرب قرأ العامة غدقا بفتحتين وقرئ بفتح الغين وكسر الدال وهما لغتان في الماء لغزير ومنه الغيداق الماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت عينه تغدق اي هطل دمعها وفي المصباح غدقت العين غدقا من باب تعب كثر ماؤها فهي غدقة واغدقت اغدقا لغة لذلك لنفتنهم فيه اي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم علم ظهور للخلائق والا فهو تعالى لا يخفى عليه شيء وقال الكلبي المعنى وان لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لاوسعنا الرزق عليهم مكرا بهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم في الدنيا والاخرة وبه قال الربيع بن انس وزيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن والثمالي وعمان بن ريان وابن كيسان وابو بحر واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية والاول اولى وقال عمر في الاية حيثما كان الماء كان المال وحيثما كان المال كانت الفتنة وقال ابن عباس لنبتليهم به ومن يعرض عن ذكر ربه اي ومن يعرض عن القرآن او عن العبادة او عن الموعظة او عن التوحيد او عن جميع ذلك يسلكه اي يدخله عذابا صعدا اي شاقا صعبا قرأ الجمهور نسلكه بالنون مفتوحة من سلكه

وقرئ بالياء التحتية واختار هذه القراءة ابو عبيد وابو حاتم لقوله عن ذكر ربه ولم يقل عن ذكرنا
وقرئ بضم النون وكسر اللام من اسلكه والصعد في اللغة المشقة تقول تصعد بي الامر اذا شق
عليك وهو مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب مبالغة لانه يتصعد المعذب اي
يعلوه ويقهره ويغلبه فلا يطيقه قال ابو عبيد الصعد مصدر يلي عن اذا صعد وقال عكرمة الصعد هو
صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم كما في قوله سأرهقه صعودا
والصعود العقبة الكؤود وقال ابن عباس عذابا صعدا شاقا من العذاب يصعد فيها وعنه قال جبلا
في جهنم وعنه قال لا راحة فيه وأن المساجد لله اي واوحي الي ان المساجد مختصة بالله وقال الخليل
التقدير ولان المساجد والمساجد المواضع التي بنيت للصلوة فيها جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود
قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان نأتي المساجد ونشهد معك الصلوة ونحن ناؤن فنزلت فقال
الحسن اراد بها كل البقاع كان الارض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن المسيب وطاوس
بن حبيب اراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والجبهة والانف
وهو على هذا جمع مسجد بالفتح يقول هذه اعضاء انعم الله بها عليك فلا تسجد بها لغيره فتجحد نعمة الله وكذا
قال عطاء وقيل المساجد هي الصلوة لان السجود من جملة اركانها قاله الحسن قال ابن عباس لم يكن يوم
نزلت هذه الاية في الارض مسجد الا مسجد الحرام ومسجدا ايليا يبيت المقدس وقيل المراد بها البيوت التي تبنيها
اهل الملل للعبادة والقول بانها البيوت المبنية للعبادة اظهر الاقوال ان شاء الله تعالى وهو مروي عن
ابن عباس واضافة المساجد الى الله اضافة تشريف وتكريم وقد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلوة في
مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام ذكره القرطبي فلا تدعوا اي فلا تعبدوا
مع الله احدا من خلقه كائنا من كان هذا توبيخ للمشركين في دعائهم مع الله غيره في المسجد الحرام قال
مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه والمؤمنين ان يخلصوا
لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما او غيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد
بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك
فان المساجد لم تبن لهذا وأنه اي واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل
نبي الله او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه

جيء به على ما يقتضيه التواضع أو لان عبادة عبد الله المستفادة من قوله يدعوه ليست
بمستبعد فقد كان وقوع هذا الامر ببطن نخل على ما قاله الحلبي وقال الخفاجي سياتي هذه الآية
ايضا مظهر في المرة الثانية من مرتي الجن وهي التي كانت بحجون مكة وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن نحو
عشر الفا او اكثر واما المرة الاولى التي تقدم الكلام فيها التي كانت ببطن نخل فكانوا فيها تسعة او سبعة ولا يظهر
في حكمهم ان يقال كادوا يكونون عليه لبدا كما لا يخفى فليتامل انتهى ومعنى الآية انه لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويتلو ع ١٩
القرآن كاد الجن ان يكونوا عليه صلى الله عليه وسلم متراكبين من ازدحامهم على استماع القرآن منه قال الزجاج ومعنى لبدا يركب بعضهم بعضا وهذا
اشتقاق هذه اللبدة التي تفرش قرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء وقرئ بضم اللام وفتح الباء وبضم الباء واللام
وبضم اللام وتشديد الباء مفتوحة فعلى القراءة الاولى المعنى ما ذكرناه وعلى الثانية المعنى كثيرا كما في
قوله اهلكت مالا لبدا وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال
الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الجن والانس على هذا الامر ليطفؤه فابى
الله الا ان ينصره ويتم نوره واختار هذا ابن جرير قال مجاهد لبدا اي جماعات وهو من تلبد الشيء
على الشيء اي اجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شيء الصقته الصاقا شديدا فقد لبدته
ويقال للشعر الذي على ظهر الاسد لبدة وجمعها لبد ويقال للجراد الكثير لبد ويطلق اللبد بضم اللام وفتح
الباء على الشيء الدائم ومنه قيل للسرقان لبد لطول بقائه عن ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل الهجرة الى نواحي مكة فخط لي خطا وقال لا تحدثن شيئا حتى اتيك ثم قال لا يهولنك شيء ترانا فقد
شيئا ثم جلس فاذا رجال سود كانهم رجال الزط وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا اخرجه
ابن مردويه وابو نعيم في الدلائل وعن ابن عباس في الآية قال لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن
كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى اتاه الرسول فجعل يقرأ فقال اوحي الي انه
استمع نفر من الجن اخرجه ابن جرير وابن مردويه وعنه في الآية قال لما اتى الجن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي باصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية اصحابه فقالوا القوم لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اخرجه عبد بن حميد والحاكم والترمذي وصححاه وغيرهم وعنه
قال لبدا الذي ادعوا ناقل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا للكفار انما ادعو ربي وحده واعبده ولا اشرك به
في العبادة احدا من خلقه قرأ الجمهور قال وقرئ قل على الامر وهي سبعية ففي الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب

وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع
عن هذا فنحن نجيرك قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا اى لا اقدر ان ادفع عنكم غيا ولا اسوق اليكم
خيرا لان الضار والنافع هو الله سبحانه وقيل الضر الكفر والرشد الهدى والاول اولى لوقوع النكرتين في
سياق النفي فيعمان كل ضر وكل رشد في الدنيا والدين قل انى لن يجيرني من الله احد اى لا يدفع
عني احد عذابه ان انزله بي لكوني صالحا فمن ينصرني من الله ان عصيته وهذا ابيان لعجزه عن شئون نفسه
بعد بيان عجزه عن شئون غيره ولن اجد من دونه ملتحدا اى ملجأ ومعدلا وحرزا الجأ اليه واحتوزبه
والملتحد معناه في اللغة المال اى موضعا اميل اليه القاموس الحد اليه مال كالتحد والملتحد الملجأ قال
الصباح الملتحد بالفتح اسم الموضع وهو الملجأ انتهى وقال قتادة مولى وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا
في الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا والمعنى متقاربة الا استثناء في قوله الا بلاغا هو من قوله لا املك
لكم الا املك ضرا ولا رشدا الا التبليغ من الله فان فيه اعظم الرشد او من ملتحدا اى لن اجد من دونه ملجأ
الا التبليغ وقال مقاتل ذلك الذي يجيرني من عذابه وقال قتادة الا بلاغا من الله ذلك الذي لملكه توفيق الله
فيها الكفر والايمان فلا املكهما اقال الفراء لكن ابلغكم ما ارسلت به فهو على هذا منقطع وقال الزجاج هو منصوب
على البدل من ملتحدا اى لن اجد من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما ياتي من الله ورسالاته معطوف على بلاغا
اى لا بلاغا من الله ولا رسالاته التي ارسلني بها اليكم والا ان ابلغ عن الله واعمل برسالاته فاخذ نفسي بما امرني
غيري وقيل معطوف على الاسم الشريف اى الا بلاغا عن الله ورسالاته كذا قال ابو حيان ورجحه واستظهره
الكرخي ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد ولم يؤمن لان السياق فيه فان له نار جهنم قرأ
الجمهور بكسر ان على انها جملة مستأنفة وقرئ بفتحها الان ما بعد فا الجزاء موضع ابتداء والتقدير
فجزاؤه او فحكمه ان له نار جهنم خالدين فيها اى يدخلون في النار او في جهنم مقدرا خلودهم فالجمع
باعتبار معنى من كما ان التوحيد في قوله فان له باعتبار لفظها ابدا تاكيد لمعنى الخلود اى خالدين فيها
بلا نهاية حتى اذا رأوا ما يوعدون من العذاب في الدنيا او في الاخرة والمعنى لا يزالون على ما هم عليه من
الاصرار على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى ان يروا الذي يوعدون به من العذاب وحتى
ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها اى يدل عليه الحال وهي قوله خالدين فان الخلود في النار
يستلزم استمرارهم على كفرهم وعدم انقطاعه لا ايمان اذ لو امنوا لم يخلدوا في النار ولو جعلت جارة لابتداء

من غير ملاحظة معنى الغاية كما اشار اليه القرطبي لكان اسهل واوضح فتكون جملة مستقلة بالاستفادة
فسيعلمون عند حلوله يوم بدر او يوم القيامة مَنْ اَضْعَفُ نَاصِرًا من موصولة
اي هو اضعف جندا ينتصر به او استفهامية والاول اولى وَّاَقَلُّ عَدَدًا اي اعوانا اهم ام المؤمنون قال
الخطيبي انا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا وهم اقل عددا وان كانوا الان بحيث لا
يحصيهم عدد الا الله تعالى فيا لله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون انفسهم ويذكرون
قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام
لهم الا في تعظيم انفسهم وازدراء غيرهم والظاهر ان اذا شرطية وان قوله فسيعلمون جوابها
لكن يشكل عليه الاستقبال المفاد بالسين وذلك لان وقت رؤية العذاب يحصل علم الضعيف من القوي
والسين تقتضي انه يتأخر عنه فليتامل هذا المحل فانه لم ينبه عليه احد من المفسرين ولا يخلصه منه الا ان يجعل
السين لمجرد التاكيد لا للاستقبال وله نظائر كثيرة قاله الحفناوي قُلْ اِنْ اَدْرِيْٓ اَقَرِيْبٌ اي ما ادري اقريب حصول
مَّا تُوْعَدُوْنَ من العذاب او يوم القيامة فيكون واقعا الآن او قريبا من هذا الاوان بحيث يقع عن قريب
اَمْ يَجْعَلُ لَهٗ رَبِّيْٓ اَمَدًا اي غاية ومدة امره الله سبحانه ان يقول لهم هذا القول لما قالوا له متى يكون هذا
الذي توعدنا به ولا يقال انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف
قال ههنا لا ادري اقريب الخ لان المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا
القرب معلوم واما معرفة مقدار القرب فغير معلوم لا يعلمه الا الله وهو على كل حال متوقع والكلام فيه وانما
الكلام في تعيين وقته وليس الي قال عطاء يريد انه لا يعرف يوم القيامة الا الله سبحانه وحده والمعنى ان
علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه الا الله عٰلِمُ الْغَيْبِ قرأ الجمهور بالرفع على انه بدل من ربي او بيان له او خبر
مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من عدم الدلالة وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السري علم
الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب والفاء في قوله فَلَا يُظْهِرُ عَلٰى غَيْبِهٖٓ اَحَدًا للترتيب على عدم الاظهار على تفرده سبحانه
بعلم الغيب اي لا يطلع على الغيب الذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد احد امنهم ثم استثنى فقال اِلَّا مَنِ ارْتَضٰى
مِنْ رَّسُوْلٍ اي الا من اصطفاه من الرسل او من ارتضاه منهم لاظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك
دالا على نبوته قال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل
على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم

وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس للمنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكف
ويزجر بالطير من ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه
وتخمينه وكذبه وقال سعيد بن جبير الا من ارتضى من رسول هو جبريل وفيه بعد وقيل المراد انه
يطلعه على بعض غيبه وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة واحكام التكاليف وجزاء الاعمال وما يبينه
من احوال الاخرة لا ما لا يتعلق برسالته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحوه قال الواحدي وفي هذا
دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القران قال في الكشاف
وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات اما ان يكونوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين
المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال للكهانة والسحر والتنجيم لان اصحابها بعد شيء من الارتضاء
وادخله في السخط قال الرازي وعندي ان الاية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه اذ لا صيغة عموم في غيبه
فيحمل على غيب واحد وهو وقت القيامة لانه واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الاية فان قيل فما معنى
الاستثناء حينئذ قلنا لعله اذا قربت القيامة يظهره وكيف لا وقد قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة او هو استثناء منقطع اي من ارتضاه من رسول
يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس فيدل على انه ليس
المراد انه لا يطلع احدا على شيء من المغيبات الا الرسل انه ثبت كما يقارب التواتر شقا وسطيحا كانا كاهنين
وتدعى قبا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع اليهما كسرى
فثبت ان الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات فيه ايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرؤيا
يخبر عن امور مستقبلة ويكون صادقا فيها وايضا قد نقل السلطان سنجر بن ملكشاه كاهنة من
بغداد الى خراسان وسألها عن امور مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها قال واخبرني
ناس محققون في علم الكلام والحكمة انها اخبرت عن امور غائبة بالتفصيل فكانت على وفق خبرها
وبالغ ابو البركات في كتاب التعبير في شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها
كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا وايضا فانا نشاهد ذلك في اصحاب الارواح فانها مادامت الصادقة و
قد يوجد ذلك في السحرة ايضا وقد نرى لاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو قلنا
ان القرآن دل على خلاف هذه الامور المحسوسة تطرق الطعن الى القرآن فيكون التاويل لما ذكرنا اولى كذا في الكبير بمعناه

قال محمد بن علي الشوكاني ما قوله اذ لا صيغة عموم في غيبه فباطل فان اضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به ائمة الاصول وغيرهم واما قوله او هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني واما قوله ان شقا وسطيحا الخ فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع ويلقون ما يسمعونه الى الكهان فيخالطون الصدق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح وفي قوله الا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة وانه كان طريقا لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام والتحية وقالوا انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بادلته فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من ايراد الكهانة على هذه الآية واما حديث المرأة الذي اورده في حديث خرافة ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الاخبار لكان من باب ما وقع في هذه الامة محدثون وان منهم عمر فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضا واما ما اجترى به على الله وعلى كتابه من قوله في آخر كلامه فلو قلنا ان القرآن يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن الى القرآن فيقال له ما هذه باول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك فكم لها اليك ومن اشباهك وامثال نبض بها عرق فلسفتك وركض بها الشيطان الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك يا عجبا لك ايكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجبا لتطرق الطعن الى القرآن وما احسن ما قاله بعض ادباء عصرنا

واذا رأيت الذبابة للشمس غطاك مدت عليها جناحا + وقلت من ابيات منها

مهب رياح سدة بجناح + وقابل الصباح ضوء صباح + فان قلت اذا تقرر هذا الدليل القرآني ان الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل الرسول الذي اظهره الله على ما شاء من غيبه ان يخبر به بعض امته قلت نعم ولا مانع من ذلك وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة فمن ذلك وما صح انه قام مقاما اخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه وكذلك ما ثبت من ان حذيفة بن اليمان كان قد اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحدث من الفتن بعده حتى سأله عن ذلك اكابر الصحابة ورجعوا اليه وثبت في الصحيح وغيره ان عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال ان بينك وبينها بابا فقال عمر هل يفتح او يكسر فقال بل يكسر فعلم

عمر انه الباب وان كسره قتله كما في الحديث الصحيح المعروف انه قيل لحذيفة هل كان عمر يعلم ذلك فقال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة وكذلك ما ثبت من اخباره لابي ذر بما يحدث له مما حدث لهم واخباره لعلي بن ابي طالب بخبر ذي الثدية ونحو هذا مما يكثر تعداده ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل واذا تقرر هذا فلا مانع من ان يختص بعض صلحاء هذه الامة بشيء من اخبار الغيب التي اظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم واظهرها رسوله صلى الله عليه وسلم لبعض امته واظهرها هذا البعض من الامة لمن بعدهم فتكون كرامات لصاحبها من هذا القبيل والكل من الفيض الرباني بواسطة الجناب النبوي انتهى كلامه رحمة الله تعالى عليه قال ابن عباس في الآية اعلم الله الرسول من الغيب الوحي واظهر عليه مما اوحى اليهم من غيبه وما يحكم الله فانه لا يعلم ذلك غيره اخرجه ابن المنذر وابن مردويه ثم ذكر سبحانه انه يحفظ ذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسول فقال فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا والجملة تقرير للاظهار المستفاد من الاستثناء والمعنى انه يجعل سبحانه بين يدي الرسول ومن خلفه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيب او يجعل بين يدي الوحي وخلفه حرسا من الملائكة يحوطونه من ان يسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة والمراد من جميع الجوانب قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا معه ملائكة يحفظونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك قال ابن زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه ووراءه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن المسيب هم اربعة من الملائكة حفظة وقال الفراء المراد جبريل قال في الصحاح الرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر والراصد الشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قال ابن عباس في قوله رصدا لهم معقبات من الملائكة يحفظون رسول الله من الشياطين حتى يبين الذي ارسل اليهم به وذلك حتى يقول اهل الشرك قد ابلغوا رسالات ربهم وعنده قال ما انزل الله على نبيه اية من القرآن الا ومعها اربعة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قرأ الآية لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ اللام متعلقة بيسلك والمراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والخبر الجملة والرسالات عبارة عن الغيب الذي اريد اظهاره

لمن ارتضاه الله من رسول وضمير ابلغوا يعود الى الرصد وقال قتادة ومقاتل ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف ومتعلق به اللام اي اخبر بذلك يحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ وقيل ليعلم محمد ان جبريل ومن معه قد ابلغوا اليه رسالات ربه قاله سعيد بن جبير وقيل ليعلم الرسل ان الملائكة قد بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم ابليس ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم من غير تخليط وقال ابن قتيبة ليعلم الجن ان الرسل قد ابلغوا ما انزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باسترقاق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب من الرسل ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم قرأ الجمهور ليعلم بفتح التحتية على البناء للفاعل اي ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا وقال الزجاج ليعلم الله ان رسله قد ابلغوا رسالاته اي ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيبا وقرئ بضم الياء على البناء للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر اللام وأحاط بما لديهم اي بما عند الرصد من الملائكة او بما عند الرسل المبلغين لرسالاته والجملة في محل نصب على الحال من فاعل يسلك باضمار قد اي والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال قال سعيد بن جبير ليعلم ان ربهم قد احاط بما لديهم فبلغوا رسالاته وأحصى كل شيء عددا معطوف على احاط وعددا يجوز ان يكون منتصبا على التمييز محولا من المفعول به اي واحصى عدد كل شيء كما في قوله وفجرنا الارض عيونا ويجوز ان يكون منصوبا على المصدرية او في موضع الحال اي معدودا والمعنى ان علمه سبحانه بالاشياء ليس على وجه الاجمال بل على وجه التفصيل اي احصى كل فرد من افراده التي كانت والتي ستكون على حد فلم يخف عليه منها شيء على حد ٥ ٥

سورة المزمل وهي تسع عشرة آية وقيل عشر وآيتان وهي مكية

قال الماوردي كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها وقال الثعلبي الا قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وأخرج النحاس عن ابن عباس انه قال نزلت بمكة الا آيتين ان ربك يعلم الخ وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال نزلت يا ايها المزمل بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وعن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا اسموا هذا الرجل اسما تصدق

الناس عنه تقولوا كاهن قالوا ليس كاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر اخرجه البزار والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل وقال البزار بعد اخراجه من طريق معلى بن عبد الرحمن ان معلى قد حدث عنه جماعة من اهل العلم واحتملوا حديثه لكنه اذا تفرد بالاحاديث لا يتابع عليها وعن ابن عباس قال بت عند خالتي ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فصلى تسع عشرة ركعة منها ركعتا الفجر فحزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل اخرجه ابو داود والبيهقي في السنن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي والتزمل التلفف في الثوب وفي المصباح تزملته بثوبه تزميلا فتزمل مثل لففته فتلفف وزملت الشيء حملته ومنه قيل للبعير زاملة بالهاء للمبالغة لانه يحمل متاع المسافر قرأ الجمهور بالادغام وقرأ ابي المتزمل على الاصل وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معناه فقال جماعة انه كان يتزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه في اول ما جاءه جبريل بالوحي فرقا منه حتى انس به وقيل المعنى يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وبهذا قال عكرمة وكان يقرأ يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم المشددة اسم مفعول وعنه ايضا يا ايها الذي حمل هذا الامر اي حمله فتزمل وقيل المعنى يا ايها المزمل بالقرآن وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه ونحوه عن قتادة وقيل بلغه من المشركين سوء قول فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني وكان خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب في اول نزول الوحي ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة وقال ابن عباس زملت هذا الامر فقم به وعنه قال يتزمل بالثياب قال السهيلي ليس المزمل من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعده في اسمائه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر في خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب ترك المعاتبة سمته باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب

فقال له قم يا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفا له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليلة ان يتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى كان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب قم الليل اي قم للصلوة في الليل الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر وقيل ان معنى قم صل عبر به عنه واستعير له واختلف هل كان هذا القيام الذي امر به فرضا عليه او نفلا فقيل الامر للوجوب وكان واجبا عليه وعلى امته بل وعلى سائر الانبياء قبله اول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء والانذار قيام الليل قال القرطبي والدلائل تقوي ان قيامه كان فرضا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى امته ثلثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب له والثاني قول ابن عباس والثالث قول عايشة وابن عباس ايضا كذا في الخطيب والخازن وغيرهما والعامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وابو السماك يضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح والغرض الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة حرك الاول حصل الغرض قلت الا ان الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين واما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به اخرج احمد ومسلم وابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن سعد بن هشام قال قلت لعايشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ هذه السورة يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرا ثم انزل التخفيف في اخر هذه السورة وصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه وقد روي هذا الحديث عنها من طرق وعن ابن عباس قال لما نزل اول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين اولها واخرها نحو من سنة اخرجه البيهقي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم وعن ابي عبد الرحمن السلمي قال لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم حتى نزلت فاقرؤا ما تيسر منه فاستراح الناس فاخرج ابو داود في ناسخه وابن نصر وابن مردويه والبيهقي في سننه

من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال نسختها الآية التي فيها علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله الا قليلا استثناء من الليل اي صل الليل كله الا اليسير امنه والقليل من الشيء هو ما دون النصف وقيل ما دون السدس وقيل ما دون العشر وقال مقاتل والكلبي المراد بالقليل هنا الثلث وقد اغنانا عن هذا الاختلاف قوله نصفه قال الزجاج هو بدل من الليل والاستثناء هو من النصف فقال المحلي بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل انتهى قال الحفناوي في قوله وقلته الخ جواب عما يقال ان النصف مساو والنصف الآخر فكيف يوصف بالقلة وحاصل الجواب انه يوصف بها بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر منه او انقص منه قليلا الضمير في منه وعليه عائد الى النصف المعنى ثم نصف الليل او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين فكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه والتخيير بين قيام النصف وقيام الثلثين الذي هو مفاد قوله او انقص منه قليلا وقيام الثلث الذي هو مفاد او زد عليه وقيل ان نصفه بدل من قوله قليلا فيكون المعنى قم الليل الا نصفه او اقل من نصفه او اكثر من نصفه قال الاخفش نصفه اي او نصفه كما يقال اعطه درهما درهمين ثلثة يريد او درهمين او ثلثة قال الواحدي قال المفسرون او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين جعل له سعة في مدة قيامه في الليل وخير في هذه الساعات المقيام فكان النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم فكان الرجل لا يدري كم صلى او كم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم ورحمهم ونسخ وجوب قيام الليل في حقه وحقهم وقيل الضميران في منه وعليه راجعان للاقل من النصف كانه قال قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وهو بعيد جدا والظاهر ان نصفه بدل من قليلا والضميران راجعان الى النصف المبدل من قليلا واختلف في الناسخ لهذا الامر فقيل هو قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الى آخر السورة كما تقدم وقيل هو قوله علم ان لن تحصوه الخ وقيل هو قوله علم ان سيكون منكم مرضى الخ وقيل هو منسوخ بالصلوات الخمس وبهذا قال مقاتل والشافعي وابن كيسان وقيل هو قوله فاقرؤا ما تيسر منه وليس في القرآن سورة نسخ آخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها المنسوخ وآخرها الناسخ سنة وقيل ستة عشر شهرا وهذا على القول بان السورة كلها مكية واما على القول بان قوله ان ربك يعلم الخ مدني فبين الناسخ والمنسوخ عشر

سنين لما علمت ان نزول المنسوخ كان في اول الوحي بمكة ونزول الناسخ كان بالمدينة واقل ما يتحقق
بينهما عشر سنين وقد قال به سعيد بن جبير وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة و
قيل نسخ اوله ابا خرها فانه نسخ اخرها بايجاب الصلوات الخمس وذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلوة الليل
فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة وَرَتِّلِ الْقُرْاٰنَ تَرْتِيْلًا اي اقرأه على مهل مع تدبر وقيل بين وفصل
من الثغر الرتل اي المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك اي مرتل وثغر رتل ايضا اذا كان مستوي النبيات
او اقر أعلى تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات بحيث يمكن السامع من عدها وقال
الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال الزجاج هو ان يبين جميع الحروف ويوفي حقها من الاشباع واصل الترتيل
التنضيد والتنسيق وحسن النظام وقال ابن عباس بينه تبيينا وتاكيد الفعل بالمصدر يدل على المبالغة
وايجاب الامر على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم
مع استيفاء حركته المعتبرة وانه لا بد منه للقاري عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري
وعن ام سلمة وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلوته فقالت ما لكم وصلاته
ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي والترمذي قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول
مالك يوم الدين ثم يقف وفي رواية ابي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته اية اية وعن عبد الله بن مغفل
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته اخرجه الشيخان
وعن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القران وفينا العربي والعجمي فقال اقرأوا وكل
حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود وزاد غيره في رواية
لا يجاوز تراقيهم وعن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا
به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة وفي الباب احاديث والمقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند
القراءة لا مجرد اخراج الحروف من الحلق وم بتعويج الوجه والفم والحان الغناء كما يعتاده قراء هذ الازمان من اهل
مصر وغيرة في مكة المكرمة وغيرها بل هو بدعة احدثها البطالون الاكالون والحمقاء الجاهلون بالشرائع واحلتها

الصادقة وليس هذا اول قارورة كسرت في الاسلام وقوله إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا اعتراض بين الامر بقيام الليل وبين تعليله بقوله الآتي ان ناشئة الليل والقصد بهذا الاعتراض تسهيل ما كلفه من القيام كانه يقول ان قيام الليل وان كان عليك فيه مشقة لكنه اسهل من غيره من التكاليف فانا سنلقي الخ وقال السمين هذه الجملة مستانفة وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض ويعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة والمعنى سنوحي وسننزل اليك القرآن وهو قول ثقيل وكلام عظيم ذو خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو ثقيل قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين والكفار بما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وهتك اسرارهم وبطلان اديانهم وسب آلهتهم وقال السدي ثقيل بمعنى كريم من قولهم فلان ثقل علي اي كرم علي قال الفراء ثقيلا اي رزينا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيل اي ثابت لثبوت التكليف في محله ومعناه انه ثابت لا عجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل وصفه بكونه ثقيلا حقيقة لما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسري عنه اخرجه احمد وعبد بن حميد والحاكم وصححه عن عايشة وقيل ثقيلا لا يعني ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا عن احكامه وكذا اهل اللغة والنحو والمعاني والبيان ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على استقلال بحمله فضلا كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى ان جميع هذه المعاني فيه وقال القشيري القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان انتهى

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ اي ساعاته واوقاته لانها تنشأ اولا فاولا يقال نشأ الشيء ينشأ اذا ابتدى وما قبل شيئا بعد شيء فهو ناشيء وانشأه الله فنشأ ومنه نشأت السحاب اذا بدأت فناشئة فاعلة من نشأت تنشيء فيه ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كل ما نشأ منه اي حدث فهو ناشئة قال الواحدي قال المفسرون

الليل كله ناشئة — والمراد ان ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم الموصوف وقيل ان ناشئة الليل هي النفس التي تنشأ من مضجعها للعبادة اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض وقيل انما يقال لقيام الليل ناشئة اذا كان بعد نوم فلو لم يتقدمه نوم لم يكن ناشئة وقيل ما ينشأ فيه من الطاعات قال ابن الاعرابي اخذ انمت من اول الليل ثم قمت فتلك المنشأة والنشأة ومنه ناشئة الليل قيل وناشئة الليل هي ما بين المغرب والعشاء لان معنى نشأ ابتدأ وكان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال عكرمة وعطاء هي بدو الليل وقال مجاهد وغيره هي في الليل كله لانه ينشأ بعد النهار واختار هذا مالك وقال ابن كيسان هي القيام من اخر الليل قال في الصحاح ناشئة الليل اول ساعاته وقال الحسن هي ما بعد العشاء الاخرة الى الصبح وقال ابن عباس هي قيام الليل بلسان الحبشة اذا قام الرجل قالوا انشأ قال الشيخ فعلى هذا هي جمع ناشئ اي قائم قلت يعني انها صفة لشيء يفهم الجمع اي طائفة او فرقة ناشئة والا ففاعل لا يجمع على فاعلة واخرج البيهقي عن ابن عباس قال هي اوله وعنه قال الليل كله ناشئة وعن ابن مسعود قال ناشئة الليل بالحبشية قيام الليل وعن انس بن مالك قال هي ما بين المغرب والعشاء هي أشد وطأ قرأ الجمهور بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة واختارها ابو حاتم وقرئ بكسر الواو وفتح الطاء ممدودة واختار هذه الفراء وابو عبيدة فالمعنى على الاولى ان الصلوة في ناشئة الليل اثقل على المصلي من صلوة النهار لان الليل للنوم قال ابن قتيبة المعنى انها اثقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب اشتد وطأة على القوم وطأ السلطان اذا ثقل عليهم ما يلزمهم منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر والمعنى على القراءة الثانية انها اشد مواطاة اي موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن من قولهم تواطأت فلانا على كذا مواطأة و وطأ اذا وافقته عليه قال مجاهد وابن ابي مليكة اي اشد موافقة بين القلب والسمع والبصر واللسان لانقطاع الاصوات والحركات فيها ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقال الاخفش اشد قياما قال الفراء اي اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالمعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي اشد نشاطا وأقوم قيلا اي ابين قولا واسد مقالا واثبت قراءة واصح قولا من النهار لحضور القلب فيها وهدو الاصوات وسكونها واشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات فيها هادية والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه قال قتادة ومجاهد اي اصوب

للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم قال ابو علي الفارسي اقوم قيلا اي اشد استقامة بفراغ البال بالليل قال الكلبي اي بين قولا بالقرآن وقال عكرمة اي اتم نشاطا واخلاصا واكثر بركة وقال ابن زيد اجدر ان يتفقه في القرآن وقيل اعجل اجابة للدعاء إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا قرأ الجمهور بالحاء المهملة اي تصرفا في حوائجك واشغالك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والمر السريع ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح اي شديد الجري وقد استعير من السباحة في الماء للتصرف في الحوائج وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا بالنهار لحاجاتك فصل بالليل وقال ابن عباس السبح الفراغ للحاجة والنوم قال ابن قتيبة اي تصرفا واقبالا وادبارا في حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وراحتك وقال الخليل سبحا اي نوما والسبح التمدد وقال الزجاج المعنى ان فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ للاستدراك وقرئ سبخا بالخاء المعجمة قيل ومعنى هذه القراءة الخفة والسعة والاستراحة قال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها وسبخ الحر وترخفف ومنه قول الشاعر ٥ فسبخ عليك الهم واعلم بانه + اذا قدر الرحمن شيئا فكائن + اي خفف عنك الهم والتسبيخ من القطن ما ينسبخ بعد الندف وقال ثعلب السبخ بالخاء المعجمة التردد والاضطراب والسبخ السكون وقال ابو عمرو السبخ النوم والفراغ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ اي ادعه باسمائه الحسنى وقيل اقرأ باسم ربك في ابتداء صلوتك وقيل اذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتبعد عن معصيته وقيل المعنى دم على ذكر ربك وتلاوة القرآن ودراسة العلم ليلا ونهارا واستكثر من ذلك على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن قاله القاضي كالكشاف وقال الكلبي المعنى صل لربك وقال المحلي اي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك التي تبتغي فيه سهلا وزاد عليه سهل توصلك ببركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه ذكره الكرخي ومعنى في ابتداء قراءته سواء قرأت في الصلوة او في خارجها وهذا اذا قرأ من اول سورة واما اذا قرأ من اثناء سورة فانه ان كان في غير الصلوة سن له ان يبسمل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة فتامل وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا اي انقطع اليه انقطاعا بالاشتغال لعبادته والتبتل الانقطاع يقال بتلت الشيء اي قطعته وميزته عن غيره وصدقة بتلة اي منقطعة من مال صاحبها وبقال للراهب تبتل لانقطاعه عن الناس ووضع تبتيلا لامكان تبتلا لرعاية الفواصل قال الواحدي

والتبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل المعنى اخلص اليه اخلاصا وقيل توكل عليه توكل ربُّ المشرقِ والمغربِ قرأ حمزة والكسائي وابو بكر وابن عامر بجر ربّ على النعت لربك او البدل منه او البيان له وقرأ الباقون برفعه على انه مبتدأ وخبره لا إله إلا هو او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو رب الخ وقرأ زيد بن علي بنصبه على المدح وقرأ الجمهور المشرق والمغرب مفردين وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم المشارق والمغارب على الجمع وقد قدمنا تفسير المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب فاتخذه وكيلا اي اذا عرفت انه المختص بالربوبية فاتخذه قائما بامورك وعول عليه في جميعها وقيل كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر وفائدة الفاء ان لا تلبث بعد ان عرفت في تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار قال البقاعي وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال في طلب كل ما تدعو الانسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب منتظرا للمسبب فلا يهمل الاسباب ويتركها طامعا في المسببات لانه حينئذ يكون كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب واصبر على ما يقولون في من الصاحبة والولد وغيرك من الساحر والشاعر والاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من ذلك واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم وتجازيهم وتدارءهم واتكل امرهم الى الله فالله يكفيكهم وقيل الهجر الجميل الذي لا جزع فيه وهذا كان قبل الامر بالقتال وذرني والمكذبين اي دعني واياهم ولا تهتم بهم فاني اكفيك امرهم وانتقم لك منهم قيل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم وقال يحيى بن سلام هم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر أولي النعمة اي ارباب الغناء والسعة والترفه واللذة في الدنيا والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة ومهلهم قليلا اي تمهيلا قليلا على انه نعت لمصدر محذوف او زمانا قليلا على انه صفة لزمان محذوف والمعنى امهلهم الى انقضاء آجالهم وقيل الى نزول عقوبة الدنيا بهم كيوم بدر قالت عايشة لما نزلت هذه الآية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر وقيل الى يوم القيامة والاول اولى لقوله إن لدينا أنكالا وما بعده فانه وعيد لهم بعذاب الآخرة ق الانكال جمع نكل وهو القيد كما قال الحسن ومجاهد وغيرهما قال ابن مسعود انكالا قيودا وقال الكلبي الانكال الاغلال من حديد والاول اعرف في اللغة وقال مقاتل هي انواع العذاب الشديد وقال ابو عمران

الجوني هي قيود لا تحل وَجَحِيمًا اي نارا مؤججة محرقة وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ اي لا يسوغ في الحلق بل يشب فيه فلا ينزل ولا يخرج قال ابن عباس هو شجرة الزقوم وبه قال مجاهد وقال الزجاج هو الضريع كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قال وهو شوك العوسج قال عكرمة هو شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والغصة التي في الحلق وهو ما ينشب فيه من عظم او غيره وجمعها غصص وَعَذَابًا اَلِيمًا اي نوعا آخر من العذاب غير ما ذكر وجميعا يخلص وجعه الى القلب يَوْمَ تَرْجُفُ الْاَرْضُ وَالْجِبَالُ انتصاب الظرف لما بدل في او بالاستقرار المتعلق به لدينا او هو صفة لعذاب فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف او متعلق باليم قرأ الجمهور ترجف بفتح التاء وضم الجيم مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول ماخوذ من ارجفها او المعنى تتحرك وتتزلزل وتضطرب بمن عليها وهو يوم القيامة والرجفة الزلزلة والرعدة الشديدة وَكَانَتِ الْجِبَالُ اي وتكون الجبال التي هي مراسي الارض واوتادها كَثِيبًا مَّهِيلًا وانما عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الواحدي اي رملا سائلا لا يقال لكل شيء ارسلته ارسالا من تراب او طعام اهلته هيلا قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطيته بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله اهال وقال ابن عباس المهيل الذي اذا اخذت منه شيئا تبعك اخره وعنه قال المهيل الرمل السائل

إِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ الخطاب لاهل مكة او لكفار قريش او لجميع الكفار وفيه التفات من الغيبة في قوله واصبر على ما يقولون وقوله والمكذبين والرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ليشهد عليكم يوم القيامة باعمالكم كَمَا اَرْسَلْنَا اِلٰى فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعني موسى فَعَصٰى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ الذي ارسلناه اليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به والنكرة اذا اعيدت معرفة كان الثاني عين الاول وانما خص موسى وفرعون بالذكر لان خبرهما كان منتشرا بين اهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود والمعنى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه فَاَخَذْنٰهُ اَخْذًا وَّبِيلًا اي شديدا ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقال الاخفش شديدا وبه قال ابن عباس والمعنى متقاربة ومنه طعام وبيل اذا كان لا يستمرء فَكَيْفَ تَتَّقُوْنَ اي فكيف تتقون انفسكم وتوجدون الوقاية التي تقي انفسكم والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا رايتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة اِنْ كَفَرْتُمْ اي اذا بقيتم على كفركم في الدنيا يَوْمًا اي عذاب يوم يَّجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيْبًا

لشدة هوله اي يصير الولدان شيبا خاشمطا والشيب جمع اشيب وهذا يجوز ان يكون حقيقة واهم يصيرون كذلك او تمثيلا لان من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت اعضاؤه وصار كالشيخ في الضعف وسقوط القوة قال الشاعر ٥ والهم يخترم الجسيم نحافة + ويشيب ناصية الصبي ويهرم
قال في المصباح والشيب ابيضاض الشعر المسود وشيب الحزن راسه وراسب بالتشديد واشابه بالالف واشاب به فشاب في المطاوع انتهى وفي القاموس الشيب الشعر وبياضه كالمشيب وهو الشيب ولا فعل له اي لا يقال امرأة شيباء كما في المصباح وقوم شيب وشيب بضمتين وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول والاطفال يبلغون منه الشيخوخة والشيب والاول اولى وفي هذا توبيخ لهم شديد وتقريع عظيم قال الحسن اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قرأ ابن مسعود وعطية ويوما مفعول به لتتقون قال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح والولدان الصبيان وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يجعل الولدان شيبا قال ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار قال من كم يارب قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين ويخلو واحد فاشتد ذلك على المسلمين فقال حين ابصر ذلك في وجوههم ان بني آدم كثير وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم انه لا يموت رجل منهم حتى يرثه لصلبه الف رجل ففيهم وفي اشباههم جنة لكم اخرجه الطبراني وابن مردويه واخرج ابن المنذر عن ابن مسعود نحوه باختصار منه ثم زاد سبحانه في وصف ذلك اليوم بالشدة فقال السماء منفطر به اي منشقة به لشدته وعظيم هوله فما ظنك بغيرها من الخلائق والجملة صفة اخرى ليوم والباء سببية وجوز الزمخشري ان تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبي انها بمعنى في اي منفطر فيه وهو ظاهر وقيل بمعنى اللام اي منفطر له وانما قال منفطر ولم يقل منفطرة لتنزيل السماء منزلة شيء لكونها قد تغيرت ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقال ابو عمرو بن العلاء لم يقل منفطرة لان مجازها السقف فيكون هذا كما في قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفراء السماء تذكر وتؤنث وقال ابو علي الفارسي هو من باب الحمراء المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وقال ايضا اي السماء ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع اي ذات ارضاع على طريق النسب وانفطارها النزول الملائكة كما قال اذا السماء انفطرت وقوله والسموات يتفطرن من فوقهن

وقيل منفطر به اي بالله والمراد بامره والاول اولى وقال ابن عباس منفطر به مملية بلسان الحبشة
وعنه قال مثقلة موقرة وعنه قال يعني تشقق السماء كان وعده مفعولا اي كان وعد الله عباده به من
البعث والحساب وغير ذلك كائنا لا محالة والمصدر مضاف الى فاعله او وكان وعد اليوم مفعولا فاعله
مضاف الى مفعوله ومعنى مفعولا انه مقضي نافذ لا يرد على حد من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من
الله قال مقاتل كان وعد ان يظهر دينه على الدين كله ان هذه اي ما تقدم من الايات القرانية
تذكرة اي موعظة وقيل الاشارة الى جميع ايات القران لا الى ما في هذه السورة فقط فمن شاء اتخذ
بالطاعة التي اهم انواعها التوحيد الى ربه سبيلا اي طريقا توصله الى الجنة وقال القرطبي ع ١٩
اي من اراد ان يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن
له لانه اظهر له الحجج والدلائل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى اي اقل استعير له الادنى لان
المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاخيار واذا بعدت كثر ذلك من ثلثي الليل و
نصفه معطوف على ادنى وقوله وثلثه معطوف على نصفه والمعنى ان الله يعلم ان رسوله صلى الله عليه وسلم
يقوم اقل من ثلثي الليل ويقوم نصفه ويقوم ثلثه وبالنصب قرا ابن كثير والكوفيون وقرا الجمهور ونصفه
وثلثه بالجر عطفا على ثلثي الليل والمعنى ان الله يعلم ان رسوله يقوم اقل من ثلثي الليل واقل من نصفه
واقل من ثلثه واختار قراءة الجمهور ابو عبيد وابو حاتم لقوله الاتي علم ان لن تحصوه فكيف يقومون
نصفه وثلثه وهم لا يحصونه وقال الفراء النصب اشبه بالصواب لانه قال اقل من ثلثي الليل ثم فسر نقص القلة
وطائفة معك معطوف على الضمير في تقوم وجاز من غير تاكيد للفصل اي وتقوم ذلك
القدر معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار اي يعلم مقاديرهما على حقائقها ولا يختص
بذلك دون غيره وانتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة قال عطاء يريد لا يفوته علم ما يفعلون اي انه يعلم
مقادير الليل والنهار فيعلم قدر الذي يقومونه من الليل والذي يناجون منه علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا
علم مقاديرهما على الحقيقة وقيل ان ضمير شان محذوف اي انه وقيل المعنى لن تطيقوا قيام الليل قال
القرطبي والاول اصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه فيقوم
حتى يصبح مخافة ان يخطئ فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال علم ان

ان تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكلف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم فتاب عليكم اي عاد عليكم بالعفو ورخص لكم في ترك القيام وقيل اسقط عنكم فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع بكم من التثقيل الى التخفيف ومن العسر الى اليسر قال الحفناوي المراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنب والمراد بالتخفيف الذي رجع بهم اليه ما كان قبل وجوب القيام لكن الرجوع في الجملة لانه قبل وجوب قيام الليل لم يكن عليهم قيام شيء منه وفي هذا الرجوع والتخفيف وجوب جزء مطلق يصدق بركعتين فاقرءوا ما تيسر من القرآن بيان للبدل الذي وقع النسخ اليه اي فنسخ التقدير بالاجزاء الثلثة الى جزء مطلق من الليل وسياتي ان هذا الجزء نسخ ايضا بوجوب الصلوات الخمس والمعنى فاقرؤا في الصلوة بالليل ما خف عليكم وتيسر لكم منه من غير ان تثقلوا وقتا قاله القرطبي وروي عن الحسن قال الحسن هو ما يقرأ في صلوة المغرب والعشاء وقال السدي ما تيسر منه هو مائة اية وقال الحسن ايضا من قرأ مائة اية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ في ليلة مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية وعن ابن عباس فوعا قال مائة اية اخرجه الطبراني وابن ابي حاتم وابن مردويه وعن قيس بن ابي حازم قال صليت خلف ابن عباس فقرأ في اول ركعة بالحمد لله رب العالمين واول اية من البقرة ثم ركع فلما انصرفنا اقبل علينا فقال ان الله يقول فاقرؤا ما تيسر منه اخرجه الدارقطني والبيهقي في سننه وحسناه قال ابن كثير هذا حديث غريب جدا لم يروه الا في معجم الطبراني وعن ابي سعيد عند احمد والبيهقي في سننه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر وقد قدمنا في اول هذه السورة ما روي ان هذه الايات المذكورة هنا هي الناسخة لوجوب قيام الليل وقيل المعنى فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل والصلوة تسمى قرانا كقوله وقران الفجر قيل ان هذه الاية نسخت قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه فيحتمل ان يكون ما تضمنته هذه الاية فرضا ثابتا ويحتمل ان يكون منسوخا لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال الشافعي الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلوة الا الخمس وقد ذهب قوم الى ان قيام الليل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق امته وقيل انسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب وقيل انه نسخ في حق الامة وبقي فرضا في حقه صلى الله عليه وسلم والاولى المقرون بنسخ قيام الليل على العموم في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق امته ولا يرد في قوله

فاقرؤا ما تيسر منه ما يدل على بقاء شيء من الوجوب لانه ان كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت في المغرب والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة وان كان المراد به الصلوة من الليل فقد وجدت صلوة الليل بصلوة المغرب والعشاء وما يتبعهما من التطوع وايضا الاحاديث الصحيحة الصريحة بقول السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل علي غيرها يعني الصلوات الخمس فقال لا الا ان تطوع تدل على عدم وجوب غيرها فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلوته على الامة كما ارتفع وجوب ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الواحدي قال المفسرون في قوله فاقرؤا ما تيسر منه كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس عن المؤمنين ونبت على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك قوله واقيموا الصلوة قلت في هذا نظر لان وجوب الصلوات الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل وشرط الناسخ ان يكون حكمه منافيا ومعارضا لحكم المنسوخ كوجوب العدة بالحول مع وجوبها باربعة اشهر وعشرا على الصواب ان يكون النسخ بغير ذلك كالحديث الذي قدمناه ثم ذكر سبحانه عذرهم فقال علم ان سيكون منكم مرضى فلا يطيقون قيام الليل ويشق عليهم ذلك وقال الحنفاوي هذا استيناف مبين لحكمة اخرى فالحكمة الاولى هي قوله علم ان لن تحصوه والثانية هي قوله علم ان سيكون الخ واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله اي يسافرون فيها للتجارة والارباح يطلبون من رزق الله ما يحتاجون اليه في معاشهم فلا يطيقون قيام الليل واخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين فلا يطيقون قيام الليل قال النسفي سوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين درجة المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء ثم قرأ هذه الآية وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وقال طاؤس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ثم لما ذكر سبحانه ههنا ثلثة اسباب مقتضية للترخيص ورفع وجوب القيام رفعه عن جميع الامة لاجل هذه الاعذار التي تنوب بعضهم ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال فاقرؤا ما تيسر منه وقد تقدم تفسيره قريبا والتكرير للتاكيد واقيموا الصلوة يعني المفروضة وهي الخمس بوقتها واتوا الزكوة يعني الواجبة في الاموال وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكوة الاموال قد

بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل افعال الخير وأقرضوا الله قرضا حسنا اي انفقوا ما سوى المفروض في سبل الخير من اموالكم انفاقا حسنا عن طيب قلب وانما اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا تكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه وقد مضى تفسيره في سورة الحديد قال زيد بن اسلم القرض الحسن الانفاق على الاهل وقيل الانفاق من الحلال بالاخلاص والصرف الى المستحق وقيل النفقة في الجهاد وقيل هو اخراج الزكوة المفترضة على وجه حسن فيكون تفسير القوله واقوا الزكوة والاول اولى لقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فان ظاهر العموم اي اي خير كان مما ذكر ومما لم يذكر هو خيرا وأعظم اجرا اي اجزل ثوابا مما تؤخرونه الى عند الموت او توصون به ليخرج بعد موتكم وانتصاب خيرا على انه ثاني مفعولي تجدوه وضمير هو ضمير فصل وبالنصب قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على انه خبر هو والجملة في محل نصب على انها ثاني مفعولي تجدوه قال ابو زيد وهي لغة تميم يرفعون ما بعد ضمير الفصل وقرأ الجمهور ايضا اعظم بالنصب عطفا على خيرا وقرئ بالرفع مثل خير وانتصاب اجرا على التمييز واستغفروا الله اي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم في مجامع احوالكم فانكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها ان الله غفور رحيم اي كثير المغفرة لمن استغفره كثير الرحمة لمن استرحمه ويسترعلى اهل الذنب والتقصير ويخفف عن اهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير ع ١٤

سورة المدثر هي خمس او ست وخمسون اية وهي مكية

+ في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الواحدي قال المفسرون لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي اتاه جبريل فراعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير بين السماء والارض كالنور المتلالي ففزع ووقع مغشيا عليه فلما افاق دخل على خديجة وقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة فقال يا ايها المدثر اي يا ايها الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى بها من الرعب الذي حصل له

من رؤية الملك عند نزول الوحي وأصله المتدثر فادغمت التاء في الدال لتجانسهما وقد قرأ الجمهور بالادغام وقرأ ابي على الاصل والدثار هو ما يلبس فوق الشعار والشعار هو الذي يلي الجسد وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار وسيف داثر بعيد العهد بالصقال ومنه قيل للمنزل الدارس داثر لذهاب اعلامه وقال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا اذ ذاك اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان ابا سلمة بن عبد الرحمن قال ان اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر فقال له يحيى بن ابي كثير يقولون ان اول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال ابو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت دثروني فدثروني فانزلت يا ايها المدثر الى قوله والرجز فاهجر وعن ابن عباس قال دثر هذا الامر فقم به وعنه قال المدثر النائم وسيأتي في سورة اقرأ ما يدل على انها اول سورة انزلت والجمع ممكن قال الخطيب اختلف في اول ما نزل من القرآن اختلافا طويلا وتحقيق المعتمد منه وطريق الجمع بين الاحاديث المتناقضة فيه ان اول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى ما لم يعلم واول ما نزل بعد فترة الوحي يا ايها المدثر الى فاهجر وفي صدر حاشية سليمان الجمل استيفاء الكلام على ترتيب القرآن نزولا نقلا عن الخازن فراجعه ان شئت قم فانذر اي انهض فحوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا او قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له وهو الانذار او قم قيام عزم وتصميم وقيل الانذار هنا هو اعلامهم بنبوته وقيل اعلامهم بالتوحيد وقال الفراء المعنى قم فصل وأمر بالصلوة وربك فكبر اي واخصص سيدك وسالكك ومصلح امورك بالتكبير وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة عقدا وقولا وانه اكبر من ان يكون له شريك كما يعتقده الكفار وهو اعظم من ان تكون له صاحبة او ولد قال ابن العربي المراد به تكبير التقديس والتنزيه لخلع الاضداد والانداد والاصنام ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه قال الزجاج ان الفاء في فكبر دخلت على معنى الجزاء كما دخلت في قوله فانذر وقال ابن جني هو كقولك زيدا

فاضرب اي زيدا اضرب فالفاء زائدة وعبارة الكرخي دخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل واياما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر المراد بها الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللغوي امره الله سبحانه بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات وازالة ما وقع فيها منها وقال مجاهد وابن زيد وابو رزين اي عملك فاصلح وقال قتادة نفسك وطهر من الذنوب والثياب عبارة عن النفس وقال سعيد بن جبير قلبك فطهر وقال الحسن والقرظي اخلاقك فطهر لان خلق الانسان مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال الزجاج المعنى وثيابك فقصر لان تقصير الثوب ابعد من النجاسات اذا انجر على الارض وبه قال طاؤس وذلك لان العرب كانت عادتهم تطويل الثياب وجر الذيول ولا يومن معه اصابة النجاسة وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقال ابي بن كعب معناه لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وانت بر طاهر وقال ابن عباس اي لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب باطل وعنه قال فطهر من الاثم قال وهي في كلام العرب نقي الثياب وعنه قال من الغدر لا تكن غدارا وفي لفظ لا تلبسها على غدرة ولا على فجرة لانه المعنى الحقيقي وليس في استعمال الثياب مجاز عن غيرها لعلاقة مع قرينة ما يدل على انه المراد عند الاطلاق وليس في مثل هذا الاصل اعني الحمل على الحقيقة عند الاطلاق خلاف وفي الآية دليل على وجوب طهارة الثياب في الصلوة قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته نفى الآية ثلث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود من الآية الاعلام بان الصلوة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله ان يصون ثيابه عنها وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلعم قذرا فقيل له وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات

والرجز فاهجر الرجز معناه في اللغة العذاب وفيه لغتان كسر الراء وضمها وهما قراءتان سبعيتان والزاي منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاي ومعناهما واحد وانما سمي الشرك وعبادة الاوثان رجزا لانها سبب الرجز وقال مجاهد وعكرمة الرجز الاوثان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وبه قال ابن زيد وقال ابراهيم النخعي الرجز المأثم والهجر الترك وقال قتادة الرجز اساء ونائلة وهما صنمان كانا عند البيت وقال ابو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز بضم الراء الوعيد والاول اولى وقال ابن عباس الرجز الاصنام ولا تمنن تستكثر قرئ لا تمنن بالادغام وقرأ

الجمهور بفك الادغام وتستكثر بالرفع على انه حال اي لا تمنن حال كونك مستكثرا وقيل على حذف ان والاصل ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت رفع قال الكسائي فاذا حذفت ان رفع الفعل وقرئ تستكثر بالنصب على تقدير ان وبقاء عملها ويؤيدها قراءة ابن مسعود ان تستكثر بزيادة ان وقرئ بالجزم على انه بدل من تمنن كما في قوله يلق اثاما يضاعف له العذاب والجزم لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد اعترض على قراءة الجزم لان قوله تستكثر لا يصح ان يكون بدلا من تمنن لان المن غير الاستكثار ولا يصح ان يكون جوابا للنهي عن المن الا نعام وبابه رداي لا تنعم بشيء مستكثرا اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيفما كان واختلف السلف في معنى الاية فقيل المعنى لا تمنن على ربك بما تحمله من اعباء الرسالة والنبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير وقيل لا تعط عطية تلتمس فيها اكثر منها قاله عكرمة وقتادة وقال ابن عباس لا تعط تلتمس بها افضل منها وعنه قال لا تعط الرجل عطاء رجاء ان يعطيك اكثر منه قال الضحاك هذا حرمه الله على رسوله انه مامور بالشرف الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقال مجاهد لا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا وقال الربيع بن انس لا يعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير وقال ابن كيسان لا تستكثر عملا قارنه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا الى عبادته وقيل لا تمنن بالنبوة والقران على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثره وقال محمد بن كعب لا تعط ما لك مصانعة وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك ولربك فاصبر على طاعته وفرائضه والمعنى لاجل ربك وثوابه وقال مقاتل ومجاهد اصبر على الاذى والتكذيب وقال ابن زيد حملت امرا عظيما فحاربتك العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل اصبر تحت موارد القضاء لله وقيل فاصبر على البلوى وقيل على الاوامر والنواهي فاذا نقر في الناقور فاعول من النقر كانه من شانه ان ينقر فيه للتصويت والنقر في كلام العرب الصوت ويقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه والمراد هنا النفخ في الصور والمراد النفخة الثانية وقيل الاولى وقد تقدم الكلام على هذا في سورة الانعام وسورة النحل والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة امرهم قال ابن عباس الناقور الصور اي القرن الذي هو مستطيل وفيه ثقب بعدد الارواح كلها وتجمع الارواح في تلك الثقب فتخرج من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى كما مر

غير مرة والعامل في اذا ما دل عليه قوله الآتي فذلك يومئذ الخ فان معناه عسر الامر عليهم وقيل العامل فيه ما دل عليه قوله فذلك لانه اشارة الى النقراي وقت النقر وهو النفخة يوم القيامة يومئذ بدل مما قبله وهو اسم الاشارة وبني يوم لاضافته الى غير متمكن وهو اذ ونبه بها عوض عن الجملة اي يوم اذ ينفخ في الصور وخبر ذلك يوم عسير اي شديد على الكافرين غير يسير تاكيد للعسر عليهم لان كونه غير يسير قد فهم من قوله يوم عسير وفيه ايذان بانه يسير على المؤمنين وقال الرازي يحتمل انه عسير على المؤمنين والكافرين الا انه على الكافرين اشد انتهى وما قاله الرازي يفهمه التقييد بالجار والمجرور ان جعل متعلقا بيسير وان كان مضافا اليه لانه قد اجازه بعضهم كما ذكره السمين ذرني ومن خلقت وحيدا اي دعني واتركني وهي كلمة تهديد ووعيد والمعنى دعني والذي خلقته حال كونه وحيدا في بطن امه لا مال له ولا ولد هذا على ان وحيدا منتصب على الحال من الموصول او من الضمير العائد المحذوف ويجوز ان يكون حالا من الياء في ذرني اي دعني وحدي معه فاني اكفيك في الانتقام منه والاول اولى قال المفسرون وهو الوليد بن المغيرة وبه قال ابن عباس قال مقاتل خل بيني وبينه فانا انفرد بهلكته وانما خص بالذكر لزيد كفره وعظيم جحوده لنعم الله عليه وقيل اراد بالوحيد الذي لا يعرف ابوه وكان يقال في الوليد انه دعي وعن ابن عباس قال ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك ابا جهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا ليعطوكه فانك اتيت محمدا التعرض لما قبله قال قد علمت قريش اني من اكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا اقول فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا ووالله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ذرني ومن خلقت وحيدا اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وقد اخرجه عبد الرزاق عن عكرمة مرسلا وكذا غير واحد وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا او يمد بالزيادة والنماء شيئا بعد شيء قال الزجاج مال غير منقطع عنه وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورا بكثرة المال على اختلاف انواعه كالزرع والضرع والتجارة قيل كان يحصل له من غلة امواله الف الف دينار

وقيل اربعة الاف دينار وقيل الف دينار قاله ابن عباس وعن عمر بن الخطاب انه سئل
عن هذه الاية فقال غلة شهر بشهر قيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا
وكان له عبيد وجوار كثيرة وَبَنِينَ شُهُودًا اي جعلت له بنين حضورا بمكة معه لا يسافرون
ولا يحتاجون الى التفرق في طلب الرزق لكثرة مال ابيهم قال الضحاك كانوا سبعة ولدا بمكة
وخمسة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلثة عشر ولدا وقال مقاتل كانوا
سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلثة خالد وهشام والوليد بن الوليد وقيل عمارة وفيه
نظر لان ابن حجر قال في الاصابة ان عمارة مات كافرا وقيل معنى شهودا انه اذا ذكر ذكروا معه
وقيل كانوا يشهدون ما كان يشهده من المحافل والمجامع ويقومون بما كان يباشره وَمَهَّدتُّ
لَهُ تَمْهِيدًا اي بسطت له في العيش الرغيد وطول العمر والجاه العريض والرياسة في قريش حتى
كان يدعى ريحانة قريش وهو الكمال عند اهل الدنيا والتمهيد عند العرب التوطية ومنه
مهد الصبي واصله التسوية والتهيئة وتجوز به عن بسط المال والجاه وهو المراد هنا وقال
مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ اي يطمع بعد هذا
كله في الزيادة لكثرة حرصه وشدة طمعه مع كفرانه بالنعم واشراكه بالله قال الحسن ثم يطمع ان
ادخله الجنة وكان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فرد عليه الله سبحانه و
زجره فقال كَلَّا اي لست ازيده بل انقصه فقد ورد انه بعد نزول هذه الاية مازال في نقصان
ماله وولده حتى هلك فقيرا اقتصر على ذلك على وجه الاستيناف التحقيقي بقوله إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا
عَنِيدًا اي معاندا لها كافرا بما انزلناه منها على رسولنا فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها و
كفرانها مع شيوعها مما يوجب الحرمان بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا يقال عند يعند
بالكسر اذا خالف الحق ورده وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند الذي يجوز عن الطريق ويعدل
عن القصد قال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا وقال قتادة جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال
ابن عباس جحودا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا اي سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيها وهو مثل
لما يلقاه من العذاب الصعب الذي لا يطاق وقيل المعنى انه يكلف ان يصعد جبلا من نار كلما وطئها
في كلام العرب ان يحمل الانسان الشيء قال ابو سعيد الخدري في قوله صعودا هو جبل في النار يكلفون

ان يصعد وافيه فكلما وضعوا اليديهم عليه ذابت فاذا رفعوها عادت كما كانت وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل في النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي
وهو كذلك فيه ابدا اخرجه احمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان
والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة
عن دراج قال ابن كثير وفيه غرابة ونكارة انتهى وقد اخرجه جماعة من قول ابي سعيد
وقال ابن عباس صعود صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وعنه قال جبل في النار
وحجة انه فكر تعليل لما تقدم من الوعيد اي انه فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه من
القران وقدر اي هيأ الكلام في نفسه والعرب تقول هيأت الشيء اذا قدرته وقدرت الشيء
اذا هيأته وذلك انه لما سمع القران لم يزل يفكر ماذا يقول فيه وقدر في نفسه ما يقول فذمه
الله وقال فقتل اي لعن وعذب كيف قدر اي على اي حال قدر اقدر من الكلام كما يقال في
الكلام لاضربنه كيف صنع اي على اي حال كانت منه وقيل المعنى قهر وغلب كيف قدر وقال الزهري
عذب وهو من باب الدعاء عليه والتكرير في قوله ثم قتل كيف قدر للمبالغة والتاكيد وقيل
فقتل في الدنيا ثم قتل فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة وثم يشعر بان الدعاء الثاني ابلغ من
الاول في المقاومة في الرتبة وقيل بل للتراخي في الزمان ايضا ثم نظر اي شيء يدفع القران
ويقدح فيه فالنظر بمعنى التامل وعلى هذا فتتكرر هذه الجملة مع قوله انه فكر وقدر او فكر في القران
وتدبر ما هو ثم عبس اي قطب وجهه لما لم يجد مطعنا يطعن به في القران والعبس مصدر عبس
مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب وقيل عبس في وجوه المؤمنين وقيل عبس في وجه النبي صلى الله
عليه وسلم وبسر اي كلح وجهه وتغير وقيل ان ظهور العبس في الوجه يكون بعد المحاورة وظهور البسور
في الوجه قبلها والعرب تقول وجه باسر اذا تغير واسود وقال الراغب البسر استعمال الشر قبل اوانه نحو بسر
الرجل حاجته اي طلبها في غير اوانها قال ومنه قوله عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه
وقيل وقته واهل اليمن يقولون بسر المركب وبسراي وقفه لا يتقدم ولا يتاخر وقد ابسرنا اي صرنا
الى البسور ثم ادبر وراستكبر اي اعرض عن الحق وذهب الى اهله وتعظم عن ان يؤمن فقال ان هذا
ما جرته اليه طبعه الخبيث من الكفر القائم به ان هذا الا سحر يؤثر اي ياثره عن غيره ويرويه عن السحرة

كمسيلمة واهل بابل والسحر اظهار الباطل في صورة الحق او الخديعة على ما تقدم بيانه في سورة البقرة
يقال اثرت الحديث تاثره اذا ذكرته عن غيرك اي امور تخييلية لا حقائق لها وهي المذمة بحيث
تخفى اسبابها اشيون تمويهية ان هذا الا قول البشر يعني انه كلام الانس وليس بكلام الله وهو تاليه
لما تقبله وقد تقدم ان الوليد بن المغيرة انما قال هذا القول ارضاء لقومه بعد اعترافه ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة الى اخر كلامه ولما قال هذا القول الذي حكاه الله عنه قال الله عز وجل سأصليه
سقر اي سادخله النار وسقر من اسماء النار ومن دركات جهنم ولم تنصرف للتعريف والتانيث
قال السمين هذا بدل من قوله سارهقه صعودا قاله الزمخشري فان كان المراد بالصعود المشقة
فالبدل واضح وان كان المراد صخرة في جهنم كما جاء في بعض التفاسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه
من بدل الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة ثم بالغ في وصف النار وشدة امرها فقال
وما ادراك ما سقر اي وما اعلمك اي شيء هي في العرف تقول ما ادراك ما كذا اذا اردت المبالغة
في امره وتعظيم شانه وتهويل خطبه وما الاولى مبتدأ وجملة ما سقر خبر المبتدأ ثم فسر حالها فقال
لا تبقي ولا تذر والجملة مستانفة لبيان حال سقر والكشف عن وصفها وقيل هي في محل نصب على الحال والعامل فيها
معنى التعظيم لان قوله وما ادراك ما سقر يدل على التعظيم فكانه قال استعظموا سقر في هذه الحال
والاول اولى ومفعول الفعلين محذوف قال السدي لا تبقي لحما ولا تذر لهم عظما وقال عطاء لا تبقي
من فيها حيا ولا تذره ميتا وقيل هما لفظان بمعنى واحد كرر للتاكيد كقولك صد عني واعرض عني
وقال ابن عباس لا تبقي منهم شيئا واذا بدلوا خلقا اخر لم تذرهم ان تعاودهم سبيل العذاب الاول
لواحة للبشر قرا الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل على انه نعت لسقر والاول اولى وقرئ
بالنصب على الحال او الاختصاص للتهويل يقال لاح يلوح اي ظهر والمعنى انها تظهر للبشر قال الحسن تلوح
لهم جهنم حتى يرونها عيانا كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى فقيل معنى لواحة للبشر مغيرة لهم ومسودة قال
مجاهد والعرب تقول لاحه الحر والبرد والحزن والسقم اذا غيره وهذا ارجح من الاول والية ذهب جمهور المفسرين
وقال الاخفش المعنى انها معطشة للبشر قال ابن عباس تلوح الجلد فتحرقه وتغيره لونه فيصير اسود من الليل
وعنه قال لواحة محرقة والمراد بالبشر اما جلدة الانسان الظاهرة كما قاله الاكثر او المراد به اهل النار من
الانس كما قال الاخفش عليها تسعة عشر قال المفسرون يقول سبحانه على النار تسعة عشر من الملائكة

هم خزنتها وقيل تسعة عشر صنفا من اصناف الملائكة وقيل تسعة عشر صفا من صفوفهم وقيل تسعة عشر نقيبا كل نقيب جماعة من الملائكة والاول اولى قال الثعلبي ولا ينكر هذا فاذا كان ملك واحد يقبض ارواح الخلائق كان احرى ان يكونوا تسعة عشر على عذاب بعض الخلق قرأ الجمهور عشر بفتح الشين وقرئ باسكانها عن البراء ان رهطا من اليهود سألوا بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله اعلم فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر رواه البيهقي في البعث وابن ابي حاتم وابن مردويه قال الكرخي وخص هذا العدد بالذكر لكونه موافقا لعدد اسباب فساد النفس الانسانية وهي القوى الانسانية والطبيعية اذ القوى الانسانية ثنتا عشرة الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية سبعة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر انتهى قلت وهذا ليس بتفسير للاية بل الحكمة الموجبة في هذا العدد مفوضة الى علم الله تعالى قال الرازي وتخصيص هذا العدد لحكمة اختص الله بها ولما نزل هذا قال ابو جهل لاصحابه من الاعوان الاتسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وانتم الدهم افيعجز كل مائة رجل منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فقال ابو الاشدين وهو رجل من بني جمح يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشي بين ايديكم فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر وامضي فدخل الجنة فانزل الله سبحانه وما جعلنا اصحاب النار يعني ما جعلنا المدبرين لامر النار القائمين بعذاب من فيها الا ملائكة فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم فكيف تتعاطون ايها الكفار مغالبتهم قال ابن عباس لما سمع ابو جهل عليها تسعة عشر قال لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم افيعجز كل عشرة منكم ان يبطش برجل من خزنة جهنم اخرجه ابن جرير وابن مردويه قيل جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرقة والرافة وقيل لانهم اقوم خلق الله بحقه والغضب لله اشدهم باسا واقواهم بطشا وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي سبب ضلالة للذين كفروا اي الذين استقلوا عددهم والمعنى ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن الا اضلالة ومحنة لهم حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم وقيل المعنى الا عذابا كما في قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون قال ابن عباس في الاية قال ابو الاشدين جلدا

بيني وبين خزنة جهنم انا اكفيكم مؤنتهم قال وحدثت ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف خزان جهنم فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل احدهم بالامة من الناس يسوقهم على قبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم اخرجه ابن مردويه ليستيقن الذين اوتوا الكتاب المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القران بان عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم قاله الضحاك وقتادة ومجاهد وغيرهم والمعنى ان الله سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القران لما في كتبهم ويزداد الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وقيل اراد المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا اي ايزدادوا يقينا الى يقينهم لما رأوا من موافقة اهل الكتاب لهم وجملة ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون مقررة لما تقدم من الاستيقان وازدياد الايمان والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدين اوفي ان عدة خزنة جهنم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك من المنافقين وليقول الذين في قلوبهم مرض المراد باهل المرض المنافقون والسورة وان كانت مكية ولم يكن اذ ذاك نفاق فهو اخبار بما سيكون في المدينة فهو معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بمعمة تما سيكون بالمدينة بعد الهجرة والمراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن في الكفار قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف والمراد بقوله والكافرون كفار مكة من العرب وغيرهم ماذا بمجموع الكلمتين اسم استفهام فذا لغاة اي اي شيء اراد الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل مثلا تسير به الركبان سيرها بالامثال قال الليث المثل الحديث ومنه قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها كذلك اي مثل ذلك الاضلال المتقدم ذكره وهو قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا يضل الله من يشاء من عباده ويهدي من يشاء منهم والمعنى مثل ذلك الاضلال المحكم من والهداية المتقن يضل الله من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء هدايته وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل على خلق الافعال وقيل المعنى كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء وما يعلم جنود ربك اي ما يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم الا هو وحده

لا يقدر على علم ذلك احد قال عطاء يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب اهل النار
لا يعلم عددهم الا الله وحده والمعنى ان خزنة النار وان كانوا تسعة عشر فهم من الاعوان والجنود
من الملائكة ما لا يعلمه الا الله سبحانه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عن
ليلة اسري به قال فصعدت انا وجبريل الى السماء الدنيا فاذا انا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب
سماء الدنيا وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جند مائة الف وتلى هذه الاية اخرجه
الطبراني في الاوسط وابو الشيخ وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها
ان تئط ما فيها موضع اصبع الا عليه ملك ساجد اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة قال الترمذي
حسن غريب ويروى عن ابي ذر موقوفا ثم رجع سبحانه الى ذكر سقر فقال وما هي الا ذكرى للبشر ع ٣٠
اي وما سقر وما ذكر من عدد خزنتها الا تذكرة وموعظة للعالم يتذكرون بها ويعلمون كمال قدرته
تعالى فانه لا يحتاج الى اعوان وانصار وقيل ما هي اي الدلائل والحجج والقران الا تذكرة للبشر وقال
الزجاج نار الدنيا تذكرة لنار الاخرة وهو بعيد وقيل الضمير في ومنها يرجع الى الجنود ثم رد سبحانه
المكذبين وزجرهم فقال كلا والقمر قال الفراء كلا صلة للقسم والتقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا
والقمر قال الكسائي كلا استفتاح بمعنى الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام المفيدة للتنبيه على تحقق ما بعدها
وقال النضر بن شميل حرف جواب بمعنى اي ونعم وهو مذهب البصريين وجعلها الزمخشري في الاية
للانكار والردع قال الكرخي فلا منافاة بينه وبين كلام البصريين فان مدار كلامهم على ما يتبادر
من ظاهر القول ومدار كلامه على اساس البلاغة والاعجاز وهو احسن وقال ابن جرير الطبري
المعنى رد زعم من زعم انه يقاوم خزنة جهنم اي ليس الامر كما يقول ثم اقسم على ذلك بالقمر وبما بعده
وهذا هو الظاهر من معنى الاية والليل اذ ادبر كما ولى قرأ الجمهور اذ بزيادة الالف ودبر بزنة ضرب
على انه ظرف لما يستقبل من الزمان وقرئ اذا دبر بزنة اكرم ظرف لما مضى من الزمان ودبر وادبر لغتان
كما يقال اقبل الزمان وقبل الزمان ويقال دبر الليل وادبر الليل اذا تولى ذاهبا عن مجاهد قال سألت
ابن عباس عن قوله اذا دبر فسكت عني حتى اذا كان من اخر الليل وسمع الاذان ناداني يا مجاهد هذا
حين دبر الليل وعن ابن عباس قال دبور ظلامه والصبح اذا اسفر ايا ضاء وتبين وظهر ابيضاضه
لاحدى الكبر قرأ الجمهور لاحدى بالهمزة وقرئ لحدى بدونها وهذا جواب القسم الضمير راجع الى سقر

اي ان سقر لاحدي الدواهي او البلايا الكبر والكبر جمع كبرى وقال مقاتل ان الكبر اسم من اسماء النار وقيل انها اي تلك نذير لهم محمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر والاول اولى وقال الكلبي اراد بالكبر دركات جهنم وابو بها نذيرا للبشر حال من ضمير في انها قاله الزجاج وروي عنه عن الكسائي وابي علي الفارسي انه حال من قوله قم فانذر اي قم يا محمد فانذر حال كونك نذيرا للبشر وقال الفراء هو مصدر بمعنى الانذار منصوب بفعل مقدر وقيل انه منتصب على التمييز لاحدى لتضمنها معنى التعظيم كانه قيل اعظم الكبر انذارا وقيل التقدير لاجل انذار البشر وقيل غير ذلك قرأ الجمهور بالنصب وقرئ بالرفع اي هي نذير او هو نذير وقد اختلف في النذير فقال الحسن هي النار وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو رزين المعنى انا نذير لكم منها وقيل القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد لمن شاء منكم بدل من قوله للبشر ان يتقدم يسبق الى الطاعة او يتأخر يتخلف عنها والمعنى ان الانذار قد حصل لكل من آمن وكفر وقيل فاعل المشيئة هو الله سبحانه اي لمن شاء الله ان يتقدم منكم بالايمان او يتأخر بالكفر والاول اولى وقال السدي لمن شاء ان يتقدم الى النار للتقدم ذكرها او يتأخر الى الجنة وقال ابن عباس من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تأخر عنها قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة اي ماخوذة بعملها مرتهنة به اما خلصها واما اوبقها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست صفة ولو كانت صفة لقيل رهين لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى كل نفس رهينة بكسبها غير مفكوكة كافرة كانت او مؤمنة عاصية او غير عاصية الا اصحاب اليمين فانهم لا يرتهنون بذنوبهم بل يفكون بما احسنوا من اعمالهم والاستثناء متصل لان المستثنى هو المؤمنون الخالصون من الذنوب وقوله رهينة اي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لبعض المؤمنين واختلف في تعيينهم فقيل هم الملائكة وقيل المؤمنون وقيل اولاد المسلمين واطفالهم وقيل الذين كانوا عن يمين آدم وقيل اصحاب الحق وقيل هم المعتمدون على الفضل دون العمل وقيل هم الذين اختارهم الله لخدمته وقال ابن عباس هم المسلمون وقال علي هم اطفال المسلمين قيل هو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به في جنات هو في محل رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هم في جنات

لا يكتنه وصفها والجملة استيناف جوابا عن سؤال نشأ مما قبله او حال من اصحاب اليمين او من
فاعل قوله يتساءلون ويجوز ان يكون ظرفا له اي يسأل بعضهم بعضا ويجوز ان يكون بمعنى يسألون
اي يسألون غيرهم لخود عيته وتداعيه فعلى الوجه الاول يكون عَنِ الْمُجْرِمِينَ متعلقا بيتساءلون
اي يسأل بعضهم بعضا عن احوالهم وعلى الوجه الثاني تكون عن زائدة اي يسألون المجرمين ثم المراد
بهم الكافرون وهذا التساؤل فيما بينهم قبل ان يروا المجرمين فلما يرونهم يسألونهم ويقولون في
سؤالهم مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ اي ما ادخلكم فيها تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه قال
الكلبي يسأل الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان ما سلكك في النار
وقيل ان الملائكة يسألون الملائكة عن اقرانهم فتسأل الملائكة المشركين يقولون لهم ما
سلككم في سقر قال الفراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب
وهذا سؤال توبيخ وتقريع ثم ذكر سبحانه ما اجابوا به اهل النار فقال قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ
اي من المؤمنين الذين يصلون لله في الدنيا ولم نعتقد فرضيتها وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ
اي لم نتصدق على المساكين وقيل وهذا محمولان على الصلوة الواجبة والصدقة الواجبة
لانه لا تعذيب على غير الواجب وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالشرعيات والفروع فقول صاحب
الكشاف يحتمل ان يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك وهو ترك الصلوة وترك الاطعام والخوض في
الباطل مع الخائضين والتكذيب بيوم القيامة وبعضهم بمجرد ترك الصلوة او ترك الطعام تخيل
منه كما قال صاحب الانتصاف ان تارك الصلوة يخلد في النار وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ اي نخالط
اهل الباطل في باطلهم قال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقال السدي كنا نكذب مع
المكذبين وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين في امر محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم كاذب ساحر مجنون شاعر
وعبارة الخطيب اي نشرع في الباطل مع الخائضين فنقول في القران انه سحر وشعر وكهانة وغير ذلك
من الاباطيل لا نتورع عن شيء من ذلك ولا نقف مع صريح عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فمن هذا
يحذو الذين يبادرون بالجواب في كل ما يسألون عنه من انواع العلم من غير تثبت وَكُنَّا
نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ اي بيوم الجزاء والحساب اخره لتعظيمه وهذا تخصيص بعد تعميم لان الخوض في
الباطل عام شامل للتكذيب بيوم الدين وغيره اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة والصحيح الى الاية

في الكفار اي لم نكن من اهل الصلوة وكذلك البقية ولا نضيع هذه الطاعات وانما يأتسفون على فوات
ما ينفع ذكره سليمان الجمل حتى اتانا اليقين وهو الموت كما في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
وبه قال ابن عباس وهذا غاية في الامور الاربعة فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي شفاعة الملائكة
والنبيين كما تنفع الصالحين والمعنى لا شفاعة لهم قال الحفناوي في النفي مسلط على المقيد وقيد ليس
المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كما يتوهم من ظاهر اللفظ من حيث ان الغالب في النفي اذا دخل على
مقيد يفيد ان يتسلط على القيد فقط وفيه دليل على ثبوت الشفاعة للمؤمنين وفي الحديث
ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من ربيعة ومضر قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون
والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلى قالوا الرحمن من المصلين
الآيات وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون فما لهم عن
التذكرة معرضين التذكرة التذكير بمواعظ القرآن والفاء لترتيب انكار اعراضهم عن التذكرة
على ما قبله من موجبات اه قبال عليها وانتصاب معرضين على الحال من الضمير في متعلق الجار والمجرور
اي اي شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة
العظمى ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بالحمر فقال كأنهم حمر مستنفرة اي نافرة يقال نفر واستنفر
مثل عجب واستعجب والمراد الحمر الوحشية والجملة حال من الضمير في معرضين على المتداخل قرئ في
السبع بكسر الفاء بمعنى نافرة وقرئ بفتحها اي منفرة مذعورة واختار هذا ابو حاتم وابو عبيد قال في
الكشاف المستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب المنفر من نفوسها في جمعها له وحملها عليه فرت
من قسورة حال بتقدير قد اي قد فرت من رماة يرمونها والقسور الرامي وجمعه قسورة قاله سعيد
بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن كيسان وقيل هو الاسد قاله عطاء والكلبي قال ابن عرفة
من القسر وهو القهر لانه يقهر السباع وقيل القسورة اصوات الناس وقيل القسورة بلسان الحبشة
الاسد وبلسان الجنة جماعة الرماة ولا واحد له من لفظه وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اذا
فرت من ظلمة الليل وبه قال عكرمة والاول اولى وكل شديد عند العرب فهو قسورة قال ابو موسى الاشعري
القسورة الرماة رجال القنيص وقال ابن عباس القسورة الرجال الرماة القنص وقيل هي جمال الصيادين
وعن ابي حمزة قال قلت لابن عباس القسورة الاسد فقال ما اعلمه بلغة احد من العرب الا سد هم عصبة الرجال

وعن ابن عباس قال هو ركز الناس يعني اصواتهم شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة بل يريد الخ فهو اضراب انتقالي عن محذوف هو جواب الاستفهام السابق كانه قيل فلا جواب لهم عن هذا السؤال اي لا سبب لهم في الاعراض بل يريد الخ قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسول الله والصحف الكتب واحدتها صحيفة والمنشرة المنشورة المبسوطة المفتوحة اي غير مطوية اي طرية لم تطو بل تانينا وقت كتابتها وهذا من زيادة تعنتهم ومثل هذه الاية قوله سبحانه حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قرأ الجمهور منشرة بالتشديد وقرأ سعيد بن جبير بالتخفيف وقرأ الجمهور ايضا بضم الحاء من صحف وقرأ سعيد باسكانها ثم رد عهم الله سبحانه عن هذه المقالة وزجرهم فقال كلا بل لا يخافون الاخرة يعني عذابها لانهم لو خافوا النار لما اقترحوا الايات بهذا اضراب انتقالي لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح وقيل كلا بمعنى حقا تذكر الردع والزجر لهم فقال كلا انه تذكرة او بمعنى الاستفتاحية او حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية والمعنى انه يتذكر به ويتعظ بمواعظه اوانكار لان يتذكر وانها قاله القاضي كالكشاف فمن شاء ذكره اي فمن شاء ان يذكره ولا ينساه فعل واتعظ فان نفع ذلك عائد اليه ثم رد سبحانه المشية الى نفسه فقال وما يذكرون الا ان يشاء الله قرأ الجمهور يذكرون بالياء التحتية وقرأ نافع ويعقوب بالفوقية وهما سبعيتان والفعل على التخفيف والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال قال مقاتل الا ان يشاء الله لهم الهدى وقال في الكشاف يعني الا ان يقسرهم على الذكر قال الامام انه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى عنه حال المشية المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشية يحصل الذكر فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشية فتخصيص المشية بالمشية القسرية ترك الظاهر وقال وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله تعالى ذكره الكرخي هو اهل التقوى اي هو الحقيق بان يتقيه المتقون بترك معاصيه والعمل بطاعاته واهل المغفرة اي هو الحقيق بان يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب والحقيق بان يقبل توبة التائبين من العصاة فيغفر ذنوبهم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية فقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي الله فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه احمد والدارمي والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه

والبزار وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن عدي وصححه وابن مردويه
واخرج ابن مردويه عن ابي هريرة وابن عمر وابن عباس مرفوعا نحوه

سورة القيامة وهي تسع وثلثون او اربعون اية وهي مكية بلا خلاف

عن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة قال ابو عبيدة وجماعة من المفسرين ان لا زائدة والتقدير اقسم قال السهيلي اجمع المفسرون ان معنى لا اقسم واختلفوا في تفسيره فقال بعضهم هي زائدة وزيادتها جارية في كلام العرب كقوله ما منعك ان لا تسجد يعني ان تسجد ولئلا يعلم اهل الكتاب واعترضوا هذا بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجيب بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وردّ هذا بان القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا في ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقال الزمخشري ادخال النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم وفائدتها توكيد القسم وقال بعضهم هي رد لكلامهم حيث انكروا البعث كانه قال ليس الامر كما ذكرتم اقسم بيوم القيامة وهذا قول الفراء وكثير من النحويين كقول القائل لا والله فلا ردّ للكلام قد تقدمها وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما يتلى عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه بما اقسم به حق اعظامه فانه حقيق بالكثير من ذلك وقيل انها للنفي الاقسام لوضوح الامر وقد تقدم الكلام على هذا في تفسير قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ الحسن وابن كثير في رواية عنه والزهري وابن محيصن لاقسم بدون الف على ان اللام لام الابتداء والقول الاول هو ارجح الاقوال وقد اعترض على الرازي بما لا يقدح في قوته ولا يفت في عضده سبحانه واقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه ولله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته قال سعيد بن جبير سألت ابن عباس عن قوله لا اقسم بيوم القيامة

قال يقسم ربك بما شاء من خلقه ولا أقسم بالنفس اللوامة ذهب قوم الى انه سبحانه اقسم بالنفس اللوامة كما اقسم بيوم القيامة فيكون الكلام في لا هذا كالكلام في الاولى وهذا قول الجمهور وقال الحسن اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه اقسم بهما جميعا وجرى الجلال المحلي على زيادتها في الموضعين وهو الصواب في معنى النفس اللوامة النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره او تلوم جميع النفوس على تقصيرها في الدنيا او في القيامة قال الحسن والله نفس المؤمن لا يرى المؤمن الا يلوم نفسه ما اردت بكذا ما اردت بكذا والفاجر لا يعاتب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم عمله وعلى الخير لم يستكثر منه قال ابن عباس يتلوم على الخير والشر يقول لو فعلت كذا وكذا وعنه تندم على ما فات وتلوم عليه قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازدت وان كانت عملت سوءا قالت ليتني لم افعل وعلى هذا فالكلام خارج مخرج المدح للنفس فيكون الاقسام بها حسنا سائغا وقيل اللوامة هي الملومة المذمومة قاله ابن عباس في صفة ذم وبهذا احتج من نفى ان يكون قسما اذ ليس لنفس العاصي خطر يقسم به وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله والاول اولى وقيل هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وما بعده وقال ابن عباس اللوامة المؤمن قال القاضي ضمها بيوم القيامة في القسم بها كان المقصود من اقامة القيامة مجازاة النفوس انتهى فهو من بديع القسم لتناسب الامرين المقسم بهما حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ المراد بالانسان الجنس وقيل الانسان الكافر والهمزة للانكار وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف والمعنى ايحسب الانسان ان الشان ان لن نجمع عظامه بعد ان صارت رفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها في اباعد الارض فنعيدها خلقا جديدا وذلك الحسبان باطل فانا نجمعها وما يدل عليه هذا الكلام هو جواب القسم قال الزجاج اقسم ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم وقال النحاس جوابه محذوف اي للمتعاتب والمعنى ان الله سبحانه يبعث جميع اجزاء الانسان وانما خص العظام لانها قالب الخلق بلى قادرين على ان نسوي بنانه بلى ايجاب لما بعد النفي المنسحب اليه الاستفهام والوقف على هذا اللفظ وقف حسن ثم يبتدئ الكلام

بقوله قادرين وانتصابه على الحال اي بلى نجمعها قادرين فالحال من ضمير الفعل المقدر وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين قال الفراء اي نقدر ونقوى قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا انه يصلح نصبه على التكرير اي بلى فليحسبن قادرين وقيل التقدير بلى كنا قادرين وهذا ليس بواضح وقرأ ابن ابي عبلة وابن السميفع بلى قادرون على تقدير مبتدأ اي بلى نحن قادرون ومعنى تسوية البنان نقدر على ان نجمع بعضها الى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الاعضاء فنبه سبحانه بالبنان وهي الاصابع على بقية الاعضاء وان الاقتدار على بعثها واجماعها كما كانت اول في القدرة من ارجاع الاصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والاظفار والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر وبهذا قال الزجاج وابن قتيبة وقال جمهور المفسرين ان معنى الآية ان نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار صفحة واحدة لا سوق فيها فلا يقدر على ان ينتفع بها في الاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوها ولكنا فرقنا اصابعه لينتفع بها وقيل المعنى بل نقدر على ان نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها والاول اولى قال ابن عباس لو شاء لجعله خفا او حافرا وبنان جمع واسم جمع لبنانة قولان وفي المختار البنانة واحد البنان وهي اطراف الاصابع ويقال بنان مخضب لان كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء فانه يؤنث ويذكر بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله واضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام والمعنى بل يريد الانسان ان يقدم فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان فيقدم الذنب ويؤخر التوبة قال ابن الانباري يريد ان يفجر ما امتد عمره وليس في بنيته ان يفجر عن ذنب يرتكبه قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب ولا يتوب حتى يأتيه الموت وهو على اشر احواله قال الضحاك هو الامل يقول سوف اعيش واصيب من الدنيا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يمضي قدما وعنه قال هو الكافر الذي يكذب بالحشر وعنه قال يعني الامل يقول اعمل ثم اتوب وعنه قال يقدم الذنب ويؤخر التوبة وعنه قال يقول سوف اتوب والفجور اصله الميل عن الحق فيصدق على كل من مال عن الحق بقول او فعل يسأل ايان يوم القيامة مستأنفة وقال ابو البقاء تفسير للبيان معنى يفجر فتكون مفسرة مستأنفة او بدلا من الجملة قبلها لان التفسير يكون بالاستئناف

وبالبدل وايان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر والمعنى يسأل متى يقوم يوم القيامة سؤال استبعاد واستهزاء قال ابن عباس اي يقول متى يوم القيامة فاذا برق البصر اي فزع وتحير من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره قرأ الجمهور برق بكسر الراء قال ابو عمرو بن العلاء والزجاج وغيرهما المعنى تحير فلا يطرف وقال الخليل والفراء برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المبهوت قد برق فهو برق وقرئ بفتح الراء اي لمع بصره من شدة شخوصه للموت قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقيل برق يبرق شق عينيه وفتحهما وقال ابو عبيدة فتح الراء وكسرها لغتان بمعنى قال ابن عباس يعني الموت وخسف القمر قرأ الجمهور بفتح الخاء والسين مبنيا للفاعل وقرئ بضم الخاء وكسر السين مبنيا للمفعول والمعنى ذهب ضوءه واظلم ولا يعود كما يعود اذا خسف في الدنيا ويقال خسف اذا ذهب جميع ضوئه وكسف اذا ذهب بعض ضوئه وجمع الشمس والقمر اي ذهب ضوءهما جميعا ولم يقل جمعت لان التانيث مجازي قاله المبرد وقال ابو عبيدة هو لتغليب المذكر على المؤنث وقال الكسائي حمل على معنى جمع النيران وقال الزجاج والفراء ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما في ذهاب نورهما وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين قال عطاء يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار وقرأ ابن مسعود وجمع بين الشمس والقمر يقول الانسان جواب اذا يومئذ اي يوم اذ برق البصر اين المفر اي اين يفر عند وقوع هذه الامور ابن الفرار والمراد بالانسان الكافر او المؤمن ايضا يقول ذلك من الهول والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الفراء يجوز ان يكون موضع الفرار قال الماوردي يحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله سبحانه استحياء منه والثاني اين المفر من جهنم حذرا منها قرأ الجمهور بفتح الميم والفاء مصدرا كما تقدم وقرئ بضم الميم على انه اسم مكان اي اين مكان الفرار وقال الكسائي هما لغتان مثل مذب ومذب ومصح ومصح وقرأ الزهري بكسر الميم وفتح الفاء على ان المراد به الانسان الجبد الفرار كلا للردع عن طلب الفرار او لنفي ما قبلها او بمعنى حقا لا وزر اي لا سلاح ولا جبل ولا حصن ولا ملجأ يتحصن به من الله وقال ابن جبير لا عيص ولا منعة والوزر في اللغة ما يلجأ اليه الانسان من حصن او جبل او غيرهما قال السدي كانوا اذا فزعوا في الدنيا تحصنوا بالجبال فقال لهم الله لا وزر يعصمكم مني يومئذ قال ابن مسعود لا وزر لا حصن وقال ابن عباس لا ملجأ وفي لفظ الحرز وفي لفظ لا جبل ولا حصن

وخبرا لاحدا وقال الا وزره الى ربك يومئذ المستقر اي اليه المرجع والمنتهى والمصير لا الى غيره وقيل اليه الحكم بين العباد لا الى غيره وقيل المستقر الاستقرار حيث يقره الله من جنة او نار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشر وقال قتادة بما عمل من طاعة الله وما اخر من طاعته فلم يعمل بها وقال زيد بن اسلم بما قدم من اموال ومخلف للورثة وقال مجاهد باول عمله واخره وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض قال الفقيه هذا الانباء يكون يوم القيامة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت قال القرطبي والاول اظهر قال ابن مسعود بما قدم من عمل واخر من سنة عمل بها من بعده من خير او شر وعن ابن عباس نحوه وعنه قال بما قدم من معصية واخر من طاعة فينبؤ بذلك بل الانسان على نفسه بصيرة قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل انت حجة على نفسك وقيل المعنى ان جوارحه تشهد عليه بما عمل كما في قوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون فيكون المعنى بل جوارح الانسان عليه شاهدة قال ابو عبيدة والقتيبي ان هذه الهاء في البصيرة هي التي يسميها اهل الاعراب هاء المبالغة كما في قولهم علامة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشر والتاء على هذا للتانيث وقال الحسن اي بصير بعيوب نفسه وقال ابن عباس شهيد على نفسه وجده وعنه قال سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه ولو القى معاذيره اي ولو اعتذر وتجرد من ثيابه وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذير على غير قياس كمذاكير ومذاكي جمع لقحة وذكر قال الفراء اي وان اعتذر فعليه من يكذب عذره وقال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى الستور واغلق الابواب يريد ان يخفي نفسه فنفسه شاهدة عليه وكذا قال الضحاك والسدي والستر بلغة اليمن يقال له معذار كذا قال المبرد والاول اولى به قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وابو العالية ومقاتل ومثله قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقول الشاعر

فما حسن ان يعذر المرء نفسه ... وليس له من سائر الناس عاذر

وقال النسفي والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها وبخوه المناكير في المنكر قال الشيخ وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية

جموع التكسير وهو الصحيح لا تحرك به لسانك لتعجل به اي لا تحرك بالقرآن لسانك عند القاء الوحي ليتاتى لك حفظه على عجل مخافة ان تنفلت منك ومثل هذا قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه الاية ان علينا جمعه في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي قال الفراء القراءة والقرآن مصدران فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وبيناه فاتبع قرآنه اي فاستمع قراءته وكررها حتى يرسخ في ذهنك وقال ابن عباس يقول اعمل به وقال قتادة فاتبع قرآنه اي شرائعه واحكامه ثم ان علينا بيانه اي تفسير ما فيه من الحلال والحرام وبيان ما اشكل من معانيه قال الزجاج المعنى ان علينا ان ننزله عليك قرآنا عربيا فيه بيان للناس وقيل المعنى علينا ان نبينه بلسانك وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بين كل التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو امر لا مور دين فكيف بها في غيره والمناسبة بين هذه الاية وما قبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فانزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه يقول ان علينا ان نجمعه في صدرك ثم نقرأه فاذا قرأناه يقول اذا انزلناه عليك فاتبع قرآنه فاستمع له وانصت ثم ان علينا بيانه ان نبينه بلسانك وفي لفظ علينا ان نقرأه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه جبريل اطرق وفي لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعده الله كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة كلا للردع عن العجلة والترغيب في الاناءة وقيل هي ردع لمن لا يؤمن بالقرآن وبكونه بينا من الكفار قال عطاء اي لا يؤمن او جهل بالقرآن وبيانه قرأ اهل المدينة والكوفيون تحبون وتذرون بالفوقية في الفعلين جميعا وقرأ الباقون بالتحتية فيهما وهما سبعيتان فعلى الاولى يكون الخطاب لهم تقريعا وتوبيخا وعلى الثانية يكون الكلام عائدا الى الانسان لانه بمعنى الناس والمعنى تحبون الدنيا وتختارونها وتتركون الاخرة ونعيمها فلا تعملون لها قال ابن مسعود عجلت لهم الدنيا خيرها وشرها وغيبت الاخرة

اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد الزهد وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ اي ناعمة غضة حسنة يقال شجر ناضر وروض ناضر اي حسن ناعم ونضارة العيش حسنه وبهجته قال الواحدي قال المفسرون مضيئة مسفرة مشرقة وقال ابن عباس ناعمة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل بيض يعلوها نور والاول اولى وسوغ الابتداء بالنكرة هنا العطف عليها وكون الموضع موضع تفصيل ولو لم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف النكرة بقوله ناضرة مسوغا للابتداء بها ولكن مقام التفصيل بمجرده مسوغ للابتداء بالنكرة إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ اي تنظر اليه عيانا بلا حجاب هكذا قال جمهور اهل العلم والمراد به ما تواترت به الاحاديث الصحيحة من ان العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر قال ابن كثير وهذا مما اجمع الله عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان سلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين ائمة الاسلام وهداة الانام وقال مجاهد ان النظر هنا انتظار الثواب عند الله من الثواب يروي نحوه عن عكرمة وقيل لا يصح هذا الا عن مجاهد وحده قال الازهري وقول مجاهد خطأ لانه لا يقال نظرت الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت الى فلان ليس الا رؤية عين فاذا اراد الانتظار قالوا انتظرته فاذا اراد وانظرته بعين قالوا نظرت اليه واشعار العرب وكلامهم في هذا كثيرة جدا وليشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تاويله وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسيأتي بعضها قال ابن عباس في الآية نظرت الى الخالق وعنه قال تنظر الى وجه ربها وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا احد محدود ولا صفة معلومة اخرجه ابن مردويه وعن ابي هريرة قال قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واخرج الشيخان وغيرهما من حديث ابي هريرة نحوه وقد اخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والدارقطني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل

الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واخرجه احمد في المسند من حديثه بلفظ وان افضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين واخرج النسائي والدارقطني وصححه وابو نعيم عن ابي هريرة قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا قال هل تمارون الشمس في يوم لا غيم فيه وترون القمر في ليلة لا غيم فيها قلنا لا ثم قال فانكم سترون ربكم عز وجل حتى ان احدكم ليحاضر ربه محاضرة فيقول عبدي هل تعرف ذنب كذا وكذا فيقول الم تغفر لي فيقول بمغفرتي صرت الى هذا وقد تظافرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة والاعتراضات المبتدعة من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة عليها اجوبة معروفة في كتب الكلام من اهل السنة وكذا باقي شبههم واجوبتها مستفاضة في كتب اهل الحق وليس هذا موضع ذكرها وقد ذكرنا ان احاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها وهي تاتي في مصنف مستقل ولم يتمسك من نفاها او استبعدها بشيء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله وقد اطال الحافظ الواحد المتكلم محمد بن ابي بكر القيم الجوزي رحمه الله تعالى في اثبات رؤيته تعالى يوم القيامة في كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح ومن احب النظر في ادلة الفريقين فعليه برسالة الشوكاني المسماة بالبغية في مسئلة الرؤية جمع فيها جميع ما استدل به النافون والمثبتون من الادلة العقلية والنقلية ووجوه يومئذ باسرة اي كالحة عابسة كئيبة قال في الصحاح بسر الرجل وجهه بسورا اي كلح قال السدي باسرة اي متغيرة وقيل مصفرة والمراد بالوجوه هنا وجوه الكفار تظن اي توقن ان يفعل بها فاقرة الفاقرة الداهية العظيمة يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره قال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن زيد دخول النار وقيل الحجاب عن رؤية الله تعالى والاول اولى واصل الفاقرة الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى تخلص الى العظم كذا قال الاصمعي ومن هذا قولهم قد عمل به الفاقرة كلا ردع وزجر اي بعيد ان يؤمن الكافر يوم القيامة ثم استانف فقال اذا بلغت التقس او الروح اي نفس المحتضر مؤمنا كان او كافرا وانما اضمرت وان لم يجر لها ذكر لان

السياق يدل عليها التراقي جمع ترقوة وهي عظم بين ثغرة النحر والعاتق يمينا وشمالا ولكل انسان ترقوتان ويكفي ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت ومثله قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم فقيل معنى كلا حقا اي حقا ان المساق الى الله اذا بلغت التراقي والمقصود تذكير هم بشدة الحال عند نزول الموت قال حميد بن الصمة ٥ ورب كريهة دافعت عنها + وقد بلغت نفوسهم التراقي + وقيل هذا الفعل وما بعده من الفعلين معطوف على بلغت من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه ويشتفي برقيته قال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وبه قال ابو قلابة ومنه قول الشاعر ٥ هل للفتى من بنات الموت من واق + ام هل له من حمام الموت من راق + وقال ابو الجوزاء هو من رقي يرقي اذا صعد والمعنى من يرقي بروحه الى السماء ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل انه يقول ذلك ملك الموت وذلك ان نفس الكافر تنكره الملائكة فترقيها وقال ابن عباس في قوله وقيل من راق قال تنازع نفسه حتى اذا كانت في تراقيه قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب وهذا الاستفهام يجوز ان يكون على بابه وان يكون استبعادا وانكارا وراق اسم فاعل اما من رقى يرقي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى وفي الحديث وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة وهي من اسمائها واما من رقي يرقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود يقال رقى بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي وظن اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي وسمي اليقين ظنا لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبها ولا ينقطع رجاؤه منها انه اي ما نزل به الفراق من الدنيا ومن الاهل والمال والولد والتفت الساق بالساق الى التفت ساقه بساقه عند نزول الموت به وقال جمهور المفسرين المعنى تتابعت عليه الشدائد وقال الحسن ساقاه اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقيل ماتت رجلاه ويبست ساقاه ولم تحملاه وقد كان جوالا عليهما وقال الضحاك اجتمع عليه امران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وبه قال ابن زيد قال العرب لا تذكر الساق الا في الشدائد الكبار والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق وقيل الساق الاولى تعذيب روحه عند خروج نفسه والساق الاخرى شدة البعث وما بعده وقال ابن عباس التفت علي الدنيا والاخرة فعنه

قال يقول آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة فيلقى الشر بالشر الا من رحم الله وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب احدى رجليه على الاخرى قال النحاس القول الاول احسنها الى ربك يومئذ المساق اي الى حكمه خالقك يوم القيامة المرجع وذلك جمع العباد الى الله يساقون اليه والتنوين عوض عن جمل اربع اي اذا بلغت الروح التراقي الخ فلا صدق ولا صلى اي لم يصدق الانسان المذكور في اول هذه السورة بالرسالة ولا بالقرآن ولا صلى لربه اي الصلوة الشرعية فهو ذم له بترك العقائد والفروع قال قتادة فلا صدق بالكتاب ولا صلى لله وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه وقيل صدق من التصدق اي فلا صدق بشيء يدخره عند الله تعالى قاله القرطبي قال الكسائي لا بمعنى لم وكذا قال الاخفش والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب وهذا مستفيض في كلام العرب ومنه اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين ان المراد منه خصوص التكذيب فقال ولكن كذب وتولى اي كذب بالرسول وبما جاء به وتولى عن الطاعة والايمان ولم يستدرك على نفي الصلوة لانه لا يصدق الا بصورة واحدة فلم يحتج الاستدراك عليه ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيه افتخارا بذلك وقيل هو ماخوذ من المطا وهو الظهر والمعنى يلوي مطاه وقيل اصله يتمطط وهو التمدد والتثاقل اي يتثاقل ويتكاسل عن الداعي الى الحق قال الامام هذا ذكر لما يتعلق بدنياه بعد ذكر ما يتعلق بدينه وثم للاستبعاد كان من صدد عنه مثل ذلك ينبغي ان يخاف من حلول غضب الله به فيمشي خائفا منه متطامنا لا فرحا متبخترا ذكره الشهاب اولى لك فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير مستتر يعود على ما يفهم من السياق وهو كون هذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه فاولى اي فهو اولى بك من غيرك فدلت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه ودلت الثانية على الدعاء عليه بان يكون اقرب اليه من غيره هذا ما سلكه الجلال المحلي في تقريره هذا المقام وانفرد به عن غيره من المفسرين وهو حسن جدا ثم اولى لك فاولى الاولى تاكيد للاولى والثانية تاكيد للثانية اي وليك الويل واصله اولاك الله ما تكرهه واللام من زيادتها كما في ردف لكم وهذا تهديد شديد ووعيد بعد وعيد

ع ٣٠

والتكرير للتاكيد اي يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة قال الواحدي قال المفسرون اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيد ابي جهل فقال اولى لك فاولى فقال ابو جهل باي شيء تهددني لا تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز اهل هذا الوادي فنزلت هذه الآية وقيل معناه
الويل لك وعلى هذا القول قيل هو من المقلوب كانه قيل اويل لك ثم اخر الحرف المعتل
قيل ومعنى التكرير بهذا اللفظ اربع مرات الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث
والويل لك يوم تدخل النار وقيل المعنى ان الذم لك اولى لك من تركه وقيل المعنى انت اولى
واحق واجدر بهذا العذاب قاله يحيى السنة وقال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة
الهلاك قال المبرد كانه يقول قد وليت الهلاك وقد دانيته واصله من الولى وهو القرب
قال ثعلب لم يقل احد في اولى احسن واصح مما قاله الاصمعي وعن سعيد بن جبير قال سألت ابن
عباس عن قوله اولى لك فاولى اشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهل من قبل نفسه ام من
الله به قال بل قاله من قبل نفسه ثم انزله الله اخرجه النسائي والحاكم وصححه والطبراني وغيرهم
ايحسب الانسان ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يحاسب ولا يعاقب ولا يكلف في الدنيا
ولا يبعث ولا يجازى وقال السدي معناه المهمل ومنه بل سدى اي ترعى بلا راع وقيل المعنى يحسب
ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث
ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة وهي قد لا تكون
في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة من مني يمنى مستانفة اي الم يك ذلك الانسان قطرة
من مني تراق وتصب في الرحم وسمي المني منيا لاراقته والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا
قطر ثم ألجم هو الم يك بالتحتية على ارجاع الضمير الى الانسان وقرأ الحسن بالفوقية على الالتفات اليه
توبيخا له وقرأ الجمهور يمنى ايضا بالفوقية على ان الضمير للنطفة وقرئ بالتحتية على ان الضمير
للمني وروي هذه القراءة عن ابي عمرو واختارها ابو حاتم وفائدته بعد قوله من مني الاشارة الى
حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة ثم كان علقة اي كان
بعد النطفة دما احمر شديد الحمرة فخلق اي فقدر الله منها الانسان بان جعلها مضغة مخلقة
فسوى اي فعدله وكمل بشأنه ونفخ فيه الروح وجعله بشرا سويا فجعل منه اي حصل من الانسان

وقيل من المني الزوجين اي الصنفين من نوع الانسان قال الكرخي لايخصوص الفردين
والا فقد تحمل المرأة بذكرين وانثى وبالعكس ثم بين ذلك فقال الذكر والانثى اى الرجل و
المرأة يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الاخر اخرى اليس ذلك الفعال الذي انشأ هذا الخلق البديع
وقدر عليه بقادر على ان يحيي الموتى اي يعيد الاجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا
فان الاعادة اهون من الابتداء وايسر مؤنة منه قرأ الجمهور يقادر وقرأ زيد بن علي يقدر فعلا
مضارعا وقرأ الجمهور ايضا يحيي بنصبه بان وقرئ بسكونها تخفيفا او على اجراء الوصل مجرى
الوقف كما مر في مواضع عن مسائل ابي الخليل قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ هذه الاية
قال سبحانك اللهم بلى اخرجه عبد بن حميد وابن الانباري وعن البراء بن عازب قال لما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك ربي بلى اخرجه ابن مردويه وعن ابي امامة
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند قراءته لهذه الاية بلى وانا على ذلك من الشاهدين
اخرجه ابن النجار في تاريخه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين
والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل
بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله اخرجه
احمد وابو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في اسناده رجل مجهول وعن جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ احدكم لا اقسم بيوم القيامة فبلغ اليس ذلك
بقادر الخ فقل بلى اخرجه ابن المنذر وابن مردويه قال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك
الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة الى اخرها
فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره ذكره الخطيب قال الحفناوي قوله اماما كان او
غيره يقتضي ان هذه الكلمة وهي بلى لا تبطل الصلوة وهو كذلك لانها ذكر وتقديس وتنزيه لله تعالى

سورة الانسان وتسمى سورة هل اتى وسورة الامشاج وسورة الدهر وهي احدى وثلثون اية

قال الجمهور هي مدنية قال مقاتل والكلبي هي مكية وجزم عليه البيضاوي والزمخشري وقال العلي مكية

او مدنية ولم يجزم بشيء قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير سئله وقيل فيها مكي من قوله انا نحن نزلنا عليك القران الى آخر السورة وما قبله مدني وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا اية وهي فاصبر لحكم ربك الى كفورا واخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلت علينا بالالوان والصور والنبوة افرايت ان امنت بما امنت به وعملت بما عملت به اني كائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة من مسيرة الف عام ثم قال من قال لا اله الا الله كان له عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة الف حسنة واربعة وعشرون الف حسنة ونزلت هذه السورة الى قوله ملكا كبيرا فقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة قال نعم فاشتكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلي في حفرته بيده واخرج احمد في الزهد عن محمد بن مطرف قال حدثني الثقة ان رجلا اسود كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسبيح والتهليل فقال له عمر بن الخطاب اكثرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مه يا عمر انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتى على الانسان حين من الدهر حتى اذا اتى على ذكر الجنة زفر الاسود زفرة خرجت نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مات شوقا الى الجنة واخرج نحوه ابن وهب عن ابن زيد مرفوعا مرسلا واخرج احمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وغيرهم عن ابي ذر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اتى على الانسان حتى ختمها ثم قال اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى حكى الواحدي عن المفسرين واهل المعاني ان هل هنا بمعنى قد وليس باستفهام لان الاستفهام محال على الله تعالى وقد قال بهذا سيبويه والكسائي والفراء وابو عبيدة قال

الفراء هل يكون بمعنى قد او يكون خبرا فيه معنى الخبر كانك تقول هل اعطيتك تقريرا بانك اعطيته والمعنى ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقيل هي وان كانت بمعنى قد فقد فيها معنى الاستفهام والاصل اهل اتى فالمعنى ما اقل اتى والاستفهام للتقرير والتقريب قال مكي وهو تقرير لمن انكر البعث ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه قال السمين جعلها للاستفهام التقريري لا للاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب ان يكون لان الاستفهام لا يرد من الله الا على هذا النحو وما اشبهه انتهى والاول انسب على الانسان المراد بالانسان هنا آدم قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي وغيرهم وقال ابن عباس كل انسان حين من الدهر اي طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود فانه عند الجمهور يقع على مدة العالم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين قيل اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وقيل انه خلق من طين اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هنا لا يعرف مقداره وجملة لم يكن شيئا مذكورا في محل نصب على الحال من الانسان او في محل رفع صفة لحين قال الفراء وقطرب تغلب المعنى انه كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر في السماء ولا في الارض ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما المراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا وقال يحيى بن سلام لم يكن شيئا مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيئا مذكورا وقيل ليس المراد بالذكر هنا الاخبار فان اخبار الرب عن الكائنات قديم بل هو الذكر بمعنى الخطر والشرف كما في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال القشيري ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله سبحانه قال الفراء كان شيئا ولم يكن مذكورا فجعل النفي متوجها الى القيد وقيل المعنى قد مضت ازمنة وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير تقديره هل اتى حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الاية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهو بنو آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة فان المراد بالانسان هنا بنو آدم قال القرطبي من غير خلاف والنطفة الماء الذي يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة

وجمعها نطف اي خلقناه من مادة هي شيء يسير جدا من الرجل والمرأة والنطفة ماء الرجل و
المرأة وايضا الماء الصافي قل او كثر ولا فعل للنطفة اي لا يستعمل لها فعل من لفظها امشاج
صفة لنطفة وهي جمع مشج بفتحتين او مشج كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف وهي الاخلاط
ووقع الجمع صفة لمفرد لانه في معنى الجمع او جعل كل جزء من النطفة نطفة فاعتبر ذلك فوصف
بالجمع والمراد نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما يقال مشج هذا بهذا فهو ممشوج اي خلط
هذا بهذا فهو مخلوط قال المبرد مشيج يشيج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الفراء
امشاج اختلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال مشجه هذا اذا خلط وقيل الامشاج
الحمرة في البياض والبياض في الحمرة قال القرطبي وهذا قول يختاره كثير من اهل اللغة وذلك لان ماء
الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فيخلق منهما الولد قيل وما كان من عصب وعظم
فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة حتى لو زنت المرأة مرأة واجتمع الماءان
في رحمها احدهما خلق الولد بلا عظم وقد وقع ذلك في عصر السلطان غياث الدين فلم يدر
السلطان فجمع الاطباء والعلماء فلم يدركوا شيئا من شأنه فارسل الاستفتاء الى علماء ظفر اباد
فقال محمد بن الحاج انه خلق من ماء امرأتين فتفحص السلطان فظهر انه كذلك وقيل الامشاج
اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر قال ابن السكيت
الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع يخلق الانسان منها وطباع مختلفة وقيل الامشاج
لفظ مفرد كبرمة اعشار ويؤيد هذا وقوعه نعتا للنطفة قال ابن مسعود امشاجها عروقها
وعن ابن عباس قال ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان وعنه قال نطفة الرجل بيضاء
وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وعنه قال الامشاج الذي يخرج على اثر البول كقطع الاثار
ومنه يكون الولد وجملة نبتليه في محل نصب على الحال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه
حين تأهله ويجوز ان يكون حالا من الانسان والمعنى نبتليه بالخير والشر والتكاليف قال الفراء
معناه والله اعلم فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه وهي مقدمة معناها التأخير لان الابتلاء
لا يقع الا بعد تمام الخلقة وعلى هذا هذه حال مقدرة وقيل مقارنة وقال الزمخشري لا حاجة الى
دعوى التقديم والتأخير مع صحة المعنى بدونه وقيل معنى الابتلاء نقله من حال الى حال على

فخلق الولد من النطفتين بعد مزجهما

طريقة الاستعارة والاول اولى والمراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وخصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها قال الخطيب ابي جعلناه عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحق ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه وقدم السمع لانه انفع في المخاطبات ولان الآيات المسموعة ابين من الآيات المرئية وقيل المراد بالسميع المطيع كقولهم سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال لفلان بصر في هذا الامر اي علم والاول اولى ثم ذكر سبحانه انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء فقال إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا اي بيناله وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بادلة السمع والعقل كما في قوله وهديناه النجدين قال مجاهد اي بينا السبيل الى الشقاوة والى السعادة وقال الضحاك والسدي وابو صالح السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله وانتصاب شاكرا وكفورا على الحال من مفعول هديناه اي مكناه من سلوك الطريق في حالتيه جميعا وقيل على الحال من السبيل على المجاز اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا وحكي مكي عن الكوفيين ان قوله اما هي ان الشرطية زيدت بعدها ما اي بيناله الطريق ان شكر وان كفر واختار هذا الفراء ولا يجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسماء الا ان يضمر بعدها فعل ولا يصح هنا اضمار الفعل لانه كان يلزم رفع شاكرا وكفورا ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا وكفورا وتقديره ان خلقناه شاكرا فشكور وان خلقناه كافرا فكفور وهذا على قراءة الجمهور اما بكسر الهمزة وقرأ ابو السماك وابو العجاج بفتحها وعلى الفتح هي اما العاطفة في لغة بعض العرب او هي التفصيلية وجوابها مقدر وقيل انتصب شاكرا وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به ويكثر وقوعه من الانسان بخلاف الشكر قال كفورا بصيغة المبالغة كذا في النهر وهو مراعاة لرؤوس الآي ثم بين سبحانه ما اعد للكافرين فقال إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا قرأ نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا بالتنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة بغير الف والباقون وقفوا بالالف ووجه من قرأ بالتنوين في سلاسل مع كونه صيغة منتهى الجموع انه قصد بذلك التناسب لما قبله وهو اما شاكرا واما كفورا وما بعده وهو اغلالا وسعيرا ضرورة

او على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف كما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين عن بعض العرب قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل في الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها قال الفراء هو على لغة من يجر الاسماء كلها الا الذي هو اظرف منك فانهم لا يجرونه وقيل ان التنوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فانها فيها بالالف وقيل ان هذا التنوين بدل من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والسلاسل قد تقدم تفسيرها والخلاف فيها هل هي القيود او ما يجعل في الاعناق كما في قول الشاعر ع ولكن احاطت بالرقاب السلاسل والسلاسل جمع سلسلة اي يشدون ويسحبون بها في النار والاغلال جمع غل تغل به الايدي الى الاعناق وقد تقدم تفسير السعير وهي نار مهيجة يعذبون بها ولما اوجز في جزاء الكافرين ذكر ما اعده للشاكرين واطنب تأكيدا للترغيب فقال إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ الابرار اهل الطاعة والاخلاص والصدق جمع بر او بار قال في الصحاح جمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبره اي يطيعه وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وقيل هم الصادقون في ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المحقرات فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة وقيل سماهم الابرار لانهم بروا الاباء والابناء والكاس في اللغة هو الاناء الذي فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا بل هو اناء ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة بل يكون من الزجاج ومن الذهب والفضة والصيني وغير ذلك وقد كانت كاسات العرب من اجناس مختلفة وقد يطلق الكاس على نفس الخمر كما في قول الشاعر ع وكاس شربت على لذة + واخرى تداويت منها بها + كانَ مِزاجُها كافُورًا اي ما يخالطها ويمزج به يقال مزجه يمزجه مزجا اي خلطه يخلطه خلطا ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الاخلاط والكافور قيل سواسم عين في الجنة يقال لها الكافور اي تمزج خمر الجنة بماء هذه العين وقال قتادة ومجاهد تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور في ريحها لا في طعمها وقيل انما اراد الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يسخن كما في قوله حتى اذا جعله نارا اي كنار وقال ابن كيسان طيبها المسك والكافور والزنجبيل

وقال مقاتل ليس هو كافور الدنيا وانما سمى الله ما عندهم بما عندكم حتى تهتدي له القلوب والجملة في محل جر صفة لكاس وقيل ان كان ههنا زائدة اي من كاس مزاجها كافور وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف قال السمين وهذا من التعاقب بين الحرفين وقوله عينا بدل من كافورا ان ماءها في بياض الكافور وقال مكي انها بدل من محل من كاس على حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين وقيل انها منتصبة على انها مفعول يشربون اي عينا من كاس وقيل هي منتصبة على الاختصاص قاله الاخفش وقيل باضمار فعل يفسره ما بعده اي يشربون عينا وذكر السمين في نصبها وجوها والاول اولى يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ اي اولياءه او المؤمنون والجملة صفة لعينا وقيل الباء في بها زائدة وقيل بمعنى من قاله الزجاج ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة يشرب بها وقيل ان يشرب مضمن معنى يلتذ وقيل هي متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكاس وقيل انها حالية اي ممزوجة بها وقال الفراء يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروي بها وينتفع يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا اي يجرونها الى حيث يريدون وينتفعون بها كما يشاؤن ويتبعهم ماؤها الى كل مكان يريدون وصوله اليه فهم يشقونها شقا كما يشق النهر ويفجر الى هنا وهنا قال مجاهد يقودونها حيث شاؤا ويتبعهم حيث مالت معهم اي في سهلة لا تمتنع عليهم والجملة صفة اخرى لعينا وجملة يُوفُونَ بِالنَّذْرِ مستأنفة مسوقة لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر وكذا ما عطف عليها ومعنى النذر في اللغة الايجاب والمعنى يوفون بما اوجبه الله عليهم من الطاعات قال قتادة ومجاهد يوفون بطاعة الله من الصلوة والحج ونحوها وفيه مبالغة في وصفهم بالتوفيق على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما اوجب الله عليه اوفى وقال عكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله سبحانه قال الفراء في الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود لقوله تعالى واوفوا بعهد الله وقوله اوفوا بالعقود امروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقاد هو الايمان والاولى حمل النذر هنا على ما اوجبه العبد على نفسه من غير تخصيص وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا المراد يوم القيامة ومعنى استطارة شره فشوه وانتشاره غاية الانتشار يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير

وهو استفعل من الطيران والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة اذا امتد ويقال استطار الحريق اذا انتشر وهو ابلغ من طار قال الفراء المستطير المستطيل قال قتادة استطار شرك اليوم حتى ملأ السموات والارض قال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر ونزعت الملائكة وفي الارض نسفت الجبال وغارت المياه وفي الآية اشارة لحسن عقيدتهم واجتنابهم المعاصي ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ اي يطعمون هؤلاء الثلاثة الاصناف الطعام مع حبه لديهم وقلته عندهم قال مجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له فقوله على حبه في محل نصب على الحال اي كائنين على حبه ومثله قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل على حب الاطعام لرغبتهم في الخير قال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وقيل الضمير يرجع الى الله اي يطعمون الطعام كائنا على حب الله ويؤيد هذا قوله الآتي انما نطعمكم لوجه الله والاول امدح لان فيه ايثارا على النفس والطعام محبوب للفقراء والاغنياء وهذا الوصف من باب التكميل فقد وصفهم اولا بالجود والبذل وكملهم بان ذلك عن اخلاص لا رياء فيه والمسكين ذو المسكنة وهو الفقير او من هو افقر من الفقير والمراد باليتيم يتامى المسلمين والاسير الذي يؤسر فيحبس قال قتادة ومجاهد الاسير المحبوس وقال عكرمة الاسير العبد وقال ابو حمزة الثمالي الاسير المرأة قال سعيد بن جبير نسخ هذا الاطعام اية الصدقات واية السيف في حق الاسير الكافر وقال غيره بل هي محكمة واطعام المسكين واليتيم على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام قال ابن عباس اسيرا هو المشرك وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لا ابا له واسيرا قال المملوك والمسجون اخرجه ابن مردويه وابو نعيم وعن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن مردويه وقيل عامة في كل من اطعم هؤلاء لله واثر على نفسه وجملة ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾ في محل نصب على الحال بتقدير القول اي يقولون بلسان المقال او بلسان الحال او قائلين انما نطعمكم يعني انهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك قال الواحدي قال المفسرون لم يتكلموا بهذا ولكن علمه الله من قلوبهم فاثنى عليهم وعلم ثناءه

انهم فعلوا ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي لا نطلب منكم المجازاة على هذا الاطعام ولا نريد منكم الشكر لنا بل هو خالص لوجه الله وهذه الجملة مفرغة لما قبلها كانه من اطعم لوجه الله لا يريد المكافاة ولا يطلب الشكر له ممن اطعمه إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا اي نخاف عذابه وهو متصف بهاتين الصفتين ومعنى عبوسا انه يوم تعبس وتكلح فيه الوجوه من هوله وشدته فالمعنى انه ذو عبوس قال الفراء وابو عبيدة والمبرد يوم قمطرير وقماطر اذا كان صعبا شديدا قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء قال الكسائي اقمطر اليوم وازمهر اذا كان شديدا صعبا وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلهما من صفات المتغير في ذلك اليوم بما يراه من الشدائد قال ابو عبيدة يقال قمطرير اي منقبض ما بين العينين والحاجبين قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت ضرعها ورمت بانفها ما سبقها من القطر وجعل الميم مزيدة وقال ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عبوسا قمطريرا قال يقبض ما بين الابصار وقال ابن عباس القمطرير الرجل المنقبض ما بين عينيه ووجهه فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه واطعامهم لوجهه والفاء سببية ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب بدل الخوف قال الضحاك النضرة البياض والنقاء في وجوههم وقال سعيد بن جبير الحسن والبهاء وقيل النضرة اثر النعمة وعن ابن عباس قال نضرة في وجوههم وسرورا في صدورهم وجزاهم بما صبروا اي بسبب صبرهم على التكاليف وقيل على الفقر وقيل على الجوع وقيل على الصوم والاولى حمل الآية على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير وهو لباس اهل الجنة عوضا عن تركه في الدنيا امتثالا لما ورد في الشرع من تحريمه والمراد بالجنة هنا بستان المأكولات لا ما يقابل النار وهي دار الكرامة حتى يقال اي حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه في جملة ما اعد فيها للمؤمنين وظاهر هذه الآيات العموم في كل من خاف من يوم القيامة واطعم لوجه الله وخاف من عذابه وقد السبب وان كان خاصا كما تقدم فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويدخل سبب

النزول تحت عمومها دخولا اوليا وقوله مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ منصوب على الحال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا قال الفراء وان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال وجزاهم جنة متكئين فيها وقال الاخفش يجوز ان يكون منصوبا على المدح والضمير في فيها يعود الى الجنة وجوز ابو البقاء والزمخشري ان يكون متكئين صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هي له وقد منعه مكي لما ذكر من عدم بروز الضمير ولا يجوز كونه حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا وانكاؤهم انما هو في الآخرة والأرائك جمع أريكة وهي السرر في الحجال وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور وقد تقدم تفسيرها في سورة الكهف لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا الجملة في محل نصب على الحال من مفعول جزاهم فتكون من الحال المترادفة او من الضمير في متكئين فتكون من الحال المتداخلة او صفة اخرى لجنة قال ابن مسعود الزمهرير هو البرد الشديد والمعنى انهم لا يرون في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير وعنه قول الاعشى

منعمة طفلة كالمها ... لم تر شمسا ولا زمهريرا

وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر قاله النسفي وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وانشد لشاعرهم

وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر اي ما طلع القمر وقد تقدم تفسير هذا في سورة مريم اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الصيف ونفسا في الشتاء فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون في الصيف من الحر من سمومها وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا قرا الجمهور دانية بالنصب عطفا على محل لا يرون او على متكئين او صفة لجنة وفاي وجنة دانية كانه قال وجزاهم جنة دانية وقال الزجاج هو صفة لجنة المتقدم ذكرها وقال الفراء منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مقدم وظلالها مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الحال والمعنى ان ظلال الاشجار قريبة منهم مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وان كان لا شمس هناك قال مقاتل يعني شجرها قريب منهم وقرا ابن مسعود ودانيا عليهم

قال البراء بن عازب دانية قريبة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على دانية كانه قال ومذللة ويجوز ان تكون الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم ويجوز ان تكون مستانفة والقطوف الثمار جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمعنى انها سخرت ثمارها لمتناوليها تسخيرا كثيرا بحيث ينالها القائم والقاعد والمضطجع والمتكئ ولا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قال النحاس المذلل القريب المتناول ومنه قولهم حائط ذليل اي قصير قال ابن قتيبة ذللت ادنيت من قولهم حائط ذليل اذا كان قصير السمك وقيل ثم للمراي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا عن البراء بن عازب قال ان اهل الجنة ياكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين وعلى اي حال شاؤا وفي لفظ قال ذللت فيتناولون منها كيف شاؤا وانما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم ووصف شرابهم بقوله ويطاف عليهم وقال هنا يطاف وفيما بعد يطوف لان المقصود في الاول ما يطاف به لا الطائفون بقرينة قوله بآنية من فضة وأكواب والمقصود في الثاني الطائفون فذكر في كل منهما ما يناسبه كما اشار اليه في التقرير والمعنى يدور عليهم الخدم اذا اراد والشراب بآنية الفضة والآنية جمع اناء والاصل انية بهمزتين الاولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية الفا وجوبا وهذا نظير كساء واكسية وغطاء واغطية ونظيره في الصحيح اللام حمار واحمرة قاله السمين وهو وعاء الماء والاكواب جمع كوب وهو الكوز العظيم والابريق الذي لا اذن له ولا عروة وهو من عطف الخاص على العام ولم تنف الآية انية الذهب بل نبه سبحانه بذكر احدهما على الآخر كقوله تقيكم الحر والمعنى قد يسقون في اواني الفضة وقد يسقون في اواني الذهب وقد مضى تفسيره في سورة الزخرف وكانت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين وكذا كان مزاجها كافورا قوارير من فضة اي في صفف القوارير في الصفاء وفي بياض الفضة فصفاؤها صفاء الزجاج ولونها لون الفضة قال ابن عباس انية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير وعنه قال ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اذ الذي في الجنة اشرف واعلى قرأ نافع والكسائي وابو بكر قوارير الاولى بالتنوين فيهما مع الوصل وبالوقف عليهما بالالف وقد تقدم وجه هذه القراءة في تفسير قوارير سلاسلا من هذه السورة وبينا هناك وجه صرفها فيه صيغة منتهى الجموع وقرأ حمزة بعدم التنوين فيهما وعدم الوقف بالالف ووجه هذه القراءة ظاهر لانهما ممنوعتان لصيغة منتهى الجموع وقرأهشام بعدم التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالالف وقرأ ابن كثير

بتنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف دون الثاني وقرأ ابو عمرو وحفص وابن كثير بعدم التنوين فيهما والوقف على الاول بالالف دون الثاني وبسط السمين في تكرهذه الوجوه الخمسة في القراءة والجملة في محل جر صفة لاكواب وقوارير جمع قارورة وهي ما تقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج قال ابو البقاء وحسن التكرير اتصال كل من بيان اصلها والا التكرير لم يحسن ان يكون الاول اسم اية لشدة اتصال الصفة بالموصوف قال الواحدي قال المفسرون جعل الله قوارير اهل الجنة من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال الزجاج القوارير التي في الدنيا من الرمل فاعلم الله فضل تلك القوارير ان اصلها من فضة يرى من خارجها ما في داخلها قال ابن عباس لو اخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ير ما من ورائها ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة في صفاء القوارير وعنه قال ليس في الجنة شيء الا وقد اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير من فضة وجملة قدروها تقدير صفة لقوارير قرأ الجمهور قدروها بفتح القاف على البناء للفاعل اي قدرها السقاة من الخدم الذين يطوفون عليهم على قدر ما يحتاج اليه الشاربون من اهل الجنة من دون زيادة ولا نقصان وذلك الذ الشراب لكونه على مقدار الحاجة لا يفضل عنه ولا يعجز قال مجاهد وغيره اتوا بها على قدر ريهم اي شهوتهم بغير زيادة ولا نقصان اذا عطش في الجنة قال الكلبي وذلك الذ واشهى وقيل قدرها الملائكة وقيل قدرها اهل الجنة الشاربون على مقدار شهوتهم وحاجتهم فجاءت كما يريدون في الشكل لا تزيد ولا تنقص وقرئ قُدِّرُوها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول اي جعلت لهم على قدر ارادتهم قال ابو علي الفارسي هو من باب القلب قال لان حقيقة المعنى ان يقال قدرت عليهم لا قدروها لانه في معنى قدروا عليها وقال ابو حاتم التقدير قدرت الاواني على قدرهم فمفعول ما لم يسم محذوف قال ابو حيان والاقرب في تخريج هذه الاية الشاذة ان يقال قدر بهم منها نقلا بحذف الجار فصار قدروها وقال المهدوي هذه القراءة يرجع معناها الى القراءة الاولى وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر وقال ابن عباس قدرت لكفه وقال ايضا اتوا بها على قدر الفم لا يفضلون شيئا ولا يشتهون بعدها شيئا وعنه قال قدرتها السُّقاة ويُسْقَوْنَ اي يسقيهم من اراده من خدمهم الذين لا يحصون كثرة فيها اي في الجنة او الاكواب كأسا كان مزاجها زنجبيلا

قد تقدم ان الكاس هو الاناء الذي فيه الخمر واذا كان خاليا عن الخمر فلا يقال له كاس والمعنى
ان اهل الجنة يسقون في الجنة كاسا من الخمر ممزوجة بالزنجبيل وقد كانت العرب تستلذ مزج الشراب
بالزنجبيل لطيب رائحته وقال مجاهد وقتادة الزنجبيل اسم للعين التي يشرب بها المقربون وقال مقاتل هو زنجبيل
لا يشبه زنجبيل الدنيا اي يلذع الحلق فتصعب اساغته قلت وكذلك سائر ما في الجنان من الاشجار والثمار
والقصور والنساء الحور والمأكولات والمشروبات والملبوسات لا يشبه ما في الدنيا الا في مجرد الاسم لكن
الله سبحانه يرغب الناس ويطمعهم بان يذكرهم احسن شيء والذه واطيبه مما يعرفونه في الدنيا
لاجل ان يرغبوا ويسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم عَيْنًا فِيهَا تُسَمّٰى سَلْسَبِيلًا انتصب
عينا على انها بدل من كاس ويجوز ان تكون منصوبة بفعل مقدر اي يسقون عينا ويجوز ان
تكون منصوبة بنزع الخافض اي ومن عين والسلسبيل الشراب اللذيذ ماخوذ من السلاسة
تقول العرب هذا شراب سَلِس وسلسال وسلسبيل اي طيب لذيذ قال الزمخشري وقد زيدت
الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة
اسم لما في غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ في حلوقهم ومنه قول حسان بن ثابت
يسقون من ورد البريص عليهم ٭ كأس يصفق بالرحيق السلسل ٭ وقال ابن الاعرابي لم اسمع
السلسبيل الا في القرآن وقال مكي هو اسم عجمي نكرة فلذلك صرف ووزنه مثل درديس وقيل
فعفليل لان الفاء مكررة وقيل سلسبيل منقاد لهم يصرفونها حيث شاؤا والاول اولى وقال الخازن
معنى تسمى توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيل صفة لا اسم انتهى قال مقاتل وابن حيان
سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن
الى اهل الجنان قال البغوي وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير اذى
قال مقاتل يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ولما فرغ سبحانه من وصف شرابهم
وصف آنيته ووصف السقاة الذين يسقونهم ذلك الشراب فقال وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بالشراب ولدان
بكسر الواو باتفاق السبعة اي غلمان هم في سن من هو دون البلوغ قال بعض المفسرين هم غلمان
ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم اطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال
ابن برسان وارى والله اعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من اولاد الكفار ويكون خدما لاهل الجنة

كما كانوا في الدنيا لنا سببا وخدما وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم قال سار وردا هر وفي الخازن في سورة الواقعة والصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعالى انهم لم يخلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة انتهى قلت الله اعلم بهم ولا اقول فيهم بشيء ظنا وتخمينا اذ لم يرد نص صريح صحيح في كتاب الله ولا في سنة رسوله فالوقف اولى واحوط مُخَلَّدُونَ اي باقون على ما هم عليه من الشباب والطراوة والنضارة لا يهرمون ولا يتغيرون وقيل المعنى لا يموتون وقيل التحليد التحلية اي محلون إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا اي اذا نظرت اليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء الوانهم ونضارة وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم لؤلؤا نثرا قال عطاء يريد في بياض اللون وحسنه واللؤلؤ اذا انتثر من الخيط على البساط كان احسن منه منظوما قال اهل المعاني انما شبههم بالانتثار هنا في الخدمة ولو كانوا صفا لشبههم بالمنظوم قيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع في الخدمة جوال في الجوانب فانه شبههم بالمكنون لانهم لا يمتهنون بالخدمة عن ابي عمرو قال ان ادنى اهل الجنة منزلا من يسعى عليه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وتلى اذا رايتهم حسبتهم الخ اخرجه ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد والبيهقي في البعث وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ اي واذا رصيت ببصرك هناك يعني في الجنة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يدخل الجنة ولم يرد في مكان مخصص بالبعد والعامل فيها رايت قال الفراء في الكلام ما مضمرة اي واذا ما رايت ثم تركقوله لقد تقطع بينكم اي ما بينكم قال الزجاج معترضا على الفراء انه لا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رايت يتعدى في المعنى الى ثم والمعنى اذا رايت ببصرك ثم ويعني بثم الجنة رَأَيْتَ نَعِيمًا لا يوصف والنعيم سائر ما يتنعم به وَمُلْكًا كَبِيرًا لا يقادر قدره قال السدي الملك الكبير استيذان الملائكة عليهم وكذا قال مقاتل والكلبي وقيل واسعا لا غاية له وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك واعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه كل يوم وقيل ان رايت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ قرأ نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم بسكون الياء وكسر الهاء وهي سبعية على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخرا وعلى ان عاليهم مبتدأ وثياب صرتفع بالفاعلية وان لم يعتمد الوصف كما هو مذهب الاخفش وقال الفراء هو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب اسم الفاعل

مراد به الجمع وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء للتراث ما قبلها على انه ظرف كانه قيل فوقهم ثياب قال الفراء
ان عاليهم بمعنى فوقهم وكذا قال ابن عطية قال ابو حيان حال وعالية اسم فاعل فيحتاج في كونه ناصبا ظرفا
الى ان يكون منقولا من كلام العرب وقد تقدمه الى هذا الزجاج وقال هذا مما لا نعرفه في الظرف ولكن
ظرف الحرف باسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين احدهما الهاء والميم في قوله يطوف عليهم بنى
على الابرار والدان عالين الابرار ثياب سندس اي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني ان يكون حالا
من الولدان اي اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب ابدانهم قلت قد ورد في الفاظ
من صيغ اسماء الفاعلين ظرفا نحو خارج الدار وداخلها او باطنها وظاهرها فكذلك هذا فلا وجه
للانكار وقال ابو علي الفارسي العامل في الحال اما لقاهم نضرة واما جزاهم بما صبروا قال ويجوز ان يكون
ظرفا وقرئ عليهم وهي قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة واختار ابو عبيد الاولى لقراءة ابن مسعود
عالية بهم وقرأ الجمهور ثياب سندس بالاضافة على معنى من وقرأ ابو حيوة وابن ابي عبلة بنفكها ورفع سندس
وخضر واستبرق على ان السندس نعت للثياب لان السندس رفع منها وعلى ان خضر نعت لسندس
لا يكون الخضر وغير الخضر وعلى ان استبرق معطوف على سندس اي وثياب استبرق والجمهور من
القراء اختلفوا في خضر واستبرق مع اتفاقهم على جر سندس باضافة ثياب اليه فقرأ ابن كثير و
ابو بكر عن عاصم وابن محيصن بجر خضر نعتا للسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب اي عليهم ثياب
سندس وعليهم استبرق وقرأ ابو عمرو وابن عامر برفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نعتا للسندس
واختار هذه القراءة ابو حاتم وابو عبيد لان الخضر احسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة والاستبرق
من جنس السندس وقرأ نافع وحفص برفع خضر واستبرق لان خضر نعت للثياب واستبرق عطف
على الثياب وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي بجر خضر واستبرق على ان خضر نعت للسندس واستبرق
معطوف على سندس وقرأوا كلهم بصرف استبرق الا ابن محيصن فانه قرأ بعدم صرفه قال لانه اعجمي
ولا وجه لهذا لانه نكرة الا ان يقول انه علم لهذا الجنس من الثياب ووصف اسم الجنس بالجمع شائع
فصير على حد وينشئ السحاب الثقال والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد
تقدم تفسيرهما في سورة الكهف وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ما ض لفظا مستقبل
معنى وابرزه بالماضي لتحقق ذكر سبحانه هنا انهم يحلون باساور الفضة وفي سورة الفاطر يحلون فيها

من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولا تعارض
بين هذه الآيات لامكان الجمع بان تجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ لتجتمع لهم محاسن
الجنة ويقال ان المراد انهم يلبسون سوارات الذهب تارة وسوارات الفضة تارة وسوارات اللؤلؤ تارة
وانه يلبس كل احد منه ما تميل اليه نفسه من ذلك او حلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب
وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان في سورة الذهب للنسوان وقيل هذا بحسب الاوقات والاعمال
وسقاهم ربهم شرابا طهورا هذا نوع آخر من الشراب الذي يمن الله عليهم به ليفوق على الذي
المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله ووصفه بالطهورية فانه يطهرشاربه عن الميل الى
اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيخلص لمطالعة جماله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو
منتهى درجات الصديقين قال الفراء يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا موصوفا بالنجاسة
اي لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل وقيل لا يستحيل بولا وطهور صيغة مبالغة في الطهارة
والنظافة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا فشتان ما بين الشرابين والكأسين والمنزلتين
قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد
قال ابو قلابة وابراهيم النخعي يؤتون بالطعام فاذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بطونهم
من ذلك ويفيض عرق من ابدانهم مثل ريح المسك ثم يقال لهم بعد دخولهم في الجنة ومشاهدة
نعيمها ان هذا الذي ذكر من انواع النعم كان في علم الله لكم جزاء بما عملتم اي ثوابا لها اعد لكم
الى هذا الوقت وكان سعيكم مشكورا اي كان عملكم في الدنيا بطاعة الله مرضيا مقبولا لديه
بالثواب وشكر الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
اي فرقناه في الانزال ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين
قيل المعنى نزلناه عليك ولم تات به من عندك كما يدعيه المشركون والمقصود من ذلك
تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزل عليه وحي ليس بكهانة ولا
سحر لتزول الوحشة الحاصلة له من قول الكفار انه كهانة او سحر فاصبر لحكم ربك اي لقضائه
من حكمة وقضائه تاخير نصرك الى اجل اقتضته حكمته قيل هذا منسوخ بآية السيف ولا
تطع منهم اثما او كفورا اي لا تطع كل واحد من مرتكب لاثم وغال في كفره فنهاه الله سبحانه عن ذلك

ع ١ ٢٢

قال الزجاج ان الالف هنا اكد من الواو وحدها لانك اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانك امرته ان لا يطيع الاثنين فاذا قال منهم اثما او كفورا دل ذلك على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف الحسن او ابن سيرين فقد قلت انهما اهل ان يتبعا وكل واحد منهما اهل ان يتبع وقال الفراء او هنا بمنزلة الا كانه قال ولا كفورا وقيل المراد بقوله اثما عتبة بن ربيعة وبقوله او كفورا الوليد بن المغيرة لانهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي دم على ذكره في جميع الاوقات وقيل المعنى صل لربك اول النهار واخره فاول النهار صلوة الصبح واخره صلوة العصر وقيل الشفا تناول الاصيل للعصر ظاهر واما تناوله للظهر فباعتبار اخره اذ الزوال وما يقرب منه لا يسمى اصيلا ومن الليل فاسجد له اي صل المغرب والعشاء وقيل المراد الصلوة في بعضه من غير تعيين ومن للتبعيض على كل تقدير والفاء دالة على معنى الشرطية والتقدير مهما يكن من شيء فصل من الليل وهو يفيد ايضا بتاكيده الاعتناء التام وسبحه ليلا طويلا اي نزهه عما لا يليق به فيكون المراد الذكر بالتسبيح سواء كان في الصلوة او في غيرها وقيل المراد التطوع في الليل قال ابن زيد وغيره ان هذه الاية منسوخة بالصلوات الخمس وقيل الامر للندب وقيل هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على عدم ما قاله بعض اهل علم المعاني والبيان ان الجمع بين الحاء والهاء مثلا يخرج الكلمة عن فصاحتها وجعلوا من ذلك قول ابي تمام ٥ كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي + ويمكن ان يفرق بين ما انشده وبين الاية الكريمة بان التكرار في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا تكرار فيها ذكره السمين ان هؤلاء يعني كفار مكة ومن هو موافق لهم يحبون العاجلة وهي دار الدنيا ويذرون وراءهم يوما ثقيلا اي يتركون ويدعون خلفهم او بين ايديهم وامامهم يوما شديدا عسيرا وهو يوم القيامة وسمي ثقيلا لما فيه من الشدائد والاهوال ووصفه بالثقل على المجاز لانه من صفات الاعيان لا المعاني ومعنى كونهم يذرونه وراءهم انهم لا يستعدون له ولا يعبئون به فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاونا به واستخفافا بشانه وان كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو امامهم نحن خلقناهم اي ابتدأنا خلقهم من تراب فمن نطفة ثم من بضعة ثم من علقة الى ان كمل خلقهم ولم يكن لغيرنا في ذلك

عمل ولا سعي للشتاكا ولا استقلالا وشددنا اسرهم الاسر شدة الخلق يقال شد الله اسره فلان اي قوى خلقه قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم شددنا خلقهم قال الحسن شددنا وربطنا اوصالهم بعضا البعض بالعروق والعصب قال ابو عبيدة يقال فرس شديد الاسر اي الخلق وقال ابن زيد الاسر القوة واشتقاقه من الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب قال ابن عباس اسرهم خلقهم وقال ابو هريرة هي المفاصل وقيل المراد بالاسر عجب الذنب لانه لا يتفتت في القبر والاسر بالضم احتباس البول كالحصر في المثانة واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي لو شئنا اهلكناهم وجئنا باطوع الله منهم وقيل المعنى مسخناهم الى اسمج صورة واقبح خلقة ان هذه تذكرة يعني ان هذه السورة تذكير وموعظة للخلق لان في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن القى سمعه واحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما القى اليه سمعه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا يتوصل به اليه وذلك بالايمان والطاعة والمراد اتى ثوابه او الى جنته لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وازلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشية العبد وما تشاؤن ان تتخذوا الى الله سبيلا وفيه التفات عن الغيبة في خلقناهم الى الخطاب وقرئ بالياء التحتية لمناسبة قوله خلقناهم وقوله الا ان يشاء الله منصوب على الظرفية واصله الا وقت مشية الله فالامر اليه سبحانه ليس اليكم والخير والشر بيده لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع فمشية العبد مجردة لا تاتي بخير ولا تدفع شرا وان كان يثاب على المشية الصالحة ويوجر على قصد الخير كما في حديث انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى قال الزجاج اي لستم تشاؤن الا بمشية الله والاية حجة على المعتزلة والقدرية ان الله كان عليما اي بليغ العلم بما يكون من الاحوال حكيما بليغ الحكمة في امره ونهيه مصيبا في جميع الاقوال والاحوال يدخل من يشاء في رحمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها او يدخل في جنته من يشاء من عباده لانها بر رحمته تنال وهو حجة على المعتزلة قال عطاء من صدقت نيته ادخله الله تعالى جنته والظالمين اعد لهم عذابا اليما انتصاب الظالمين بفعل مقدر يدل عليه ما قبله اي يعذب الظالمين نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اليه يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم تفسير الهذا المضمر والاختيار النصب وان جاز الرفع وبالنصب قرأ الجمهور وقرأ ابان بن عثمان

ع ٢

بالرفع على الابتداء ووجهه انه لم يكن بعده فعل يقع عليه ۞

سورة المرسلات وهي خمسون آية ومكية في قول الحسن وعكرمة

وعطاء وجابر قال قتادة الا آية منها وهي قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فانها مدنية وروي هذا عن ابن عباس اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت سورة والمرسلات عرفا فانه ليتلوها واني لاتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ ونبت علينا حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها وآخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس ان ام الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

والمرسلات عرفا قال جمهور المفسرين هي الرياح روي عن ابن مسعود قال انه الريح وقيل هي الملائكة وبه قال مقاتل وابو صالح والكلبي وقال ابو هريرة هي الملائكة ارسلت بالعرف وعن ابن مسعود مثله وقيل هم الانبياء فعلى الاول اقسم سبحانه بالرياح المرسلة لما يأمرها به كما في قوله وارسلنا الرياح لواقح وقوله ويرسل الرياح وغير ذلك وعلى الثاني اقسم سبحانه بالملائكة المرسلة لوحيه وامره ونهيه وعلى الثالث اقسم برسله المرسلة الى عباده لتبليغ شرائعه وقيل المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نقمة ونعمة وانتصاب عرفا اما على انه مفعول لاجله اي المرسلات لاجل العرف وهو ضد النكر او على انه حال بمعنى متتابعة يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول العرب ساد الناس الى فلان عرفا واحدا اذا توجهوا اليه وهم على فلان كعرف الضبع اذا ثار عليه او على انه مصدر كانه قال والمرسلات ارسالا اي متتابعة او على انه منصوب بنزع الخافض اي والمرسلات بالعرف قرأ الجمهور عرفا بسكون الراء وقرأ عيسى بن عمر بضمها فالعاصفات عصفا وهي الرياح الشديدة الهبوب قال القرطبي بغير اختلاف يقال عصف بالشيء اذا ابادهم اهلكه قتادة

عصوف اي تعصف بما تحملها فتمضي كانها تريح في السرعة ويقال عصفت الحرب بالقوم اذا ذهبت بهم وقيل هي الملائكة الموكلون بالريح يعصفون بها وقيل يعصفون بروح الكافر وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل ونحوها وقال ابن مسعود هي الريح وعن علي قال هي الرياح وبه قال ابن عباس والناشرات نشرا يعني الرياح تاتي بالمطر وهي تنشر السحاب نشرا قال ابن مسعود هي الريح او الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها او ينشرون اجنحتهم في الجو عند النزول بالوحي او هي الامطار لانها تنشر النبات وقال الضحاك يريد ما ينشر من الكتب واعمال بني آدم وقال الربيع انه البعث للقيامة ينشر الارواح وجاء بالواو هنا لانه استيناف قسم اخر فالفارقات فرقا يعني الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقال مجاهد هي الريح تفرق بين السحاب فتبددها وروي عنه انها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل وقيل هي الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهى عنه وقال الحسن قال ابن عباس هي الملائكة فرقت بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا هي الملائكة قال القرظي باجماع اي تلقي الوحي الى الانبياء وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع تعظيما له وقيل هي الرسل يلقون الى امهم ما انزله الله عليهم قاله قطرب قال ابن عباس فالملقيات ذكرا قال بالتنزيل قرأ الجمهور ملقيا بسكون اللام وتخفيف القاف اسم فاعل وقرأ ابن عباس بفتح اللام وتشديد القاف من التلقية وهي ايصال الكلام الى المخاطب اقسم سبحانه بصفات خمسة موصوفها محذوف فجعله بعضهم الرياح في الكل وبعضهم جعله الملائكة في الكل وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة وجعل الجلال المحلي الصفات الثلث الاول لموصوف واحد وهو الرياح وجعل الرابعة لموصوف ثان وهو الآيات وجعل الخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة ولم يسلك هذه الطريق غيره من المفسرين وعبارة النهر ولما كان للمقسم به موصوفات قد حذفت واقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تلك الموصوفات والذي يظهر ان المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير واما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد واذا تقرر هذا فالظاهر انه اقسم اولا بالرياح ويدل عليه عطف الصفة بالفاء والقسم الثاني فيه ترق الى اشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون قوله فالفارقات فالملقيات من صفاتهم والقاؤهم للذكر وهو ما انزل الله تعالى صحيحا اسنادا اليهم وما ذكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الاوصاف ينبغي ان يحمل على التمثيل لا على

التعيين والراجح ان الاوصاف الثلثة الاول للرياح والرابع والخامس للملائكة وهو الذي اختاره الزجاج والقاضي وغيرهما عذرا او نذرا انتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعولية والعامل فيهما المصدر المنون كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او على المفعول لاجله اي للاعذار والانذار او على الحال بالتاويل المعروف اي معذرين او منذرين قرأ الجمهور باسكان الذال فيهما وقرئ بضمهما وبسكونها في عذرا وضمها في نذرا وقرأ الجمهور عذرا او نذرا على العطف بأو وقرئ بالواو والمعنى ان الملائكة تلقي الوحي اعذارا من الله الى خلقه وانذارا من عذابه كذا قال الفراء وقيل عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين قال ابو علي الفارسي يجوز ان يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر والانذار وقال المبرد هما بالتثقيل جمع الواحد عذير ونذير وقيل الاعذار محو الاساءة والانذار التخويف والاول اظهر ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ اي ان الذي توعدونه من مجيء الساعة والبعث كائن لا محالة ما اسم موصول والقاعدة انها اذا كانت كذلك ترسم مفصولة من ان ورسمت هنا موصولة تبعا لرسم المصحف الامام ثم بين سبحانه متى يقع ذلك فقال فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ اي محي نورها وذهب ضوءها يقال طمس الشيء اذا درس وذهب اثره وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ اي فتحت وشقت ومثله قوله وفتحت السماء فكانت ابوابا وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ اي قلعت من مكانها بسرعة يقال نسفت الشيء وانسفته اذا اخذته بسرعة وقال الكلبي سويت بالارض والعرب تقول نسفت الناقة الكلاء اذا رعته وقيل جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ومنه قوله وبست الجبال بسا والاول اولى قال المبرد نسفت قلعت من مواضعها وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ الهمزة بدل من الواو المضمومة وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة يجوز ابدالها بالهمزة وقد قرئ بالواو والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء الموخر اليه والمعنى جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كما في قوله سبحانه يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي جمعت للرسل لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العذاب بمن كذبها والاول اولى قال ابو علي الفارسي اي جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل اقتت ارسلت لاوقات معلومة على ما علم الله به لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ هذا الاستفهام للتعظيم والتعجيب لاي يوم عظيم تعجب العباد منه

لشدته ومزيد اهواله ضرب لهم الاجل لجمعهم والجملة مقول قول مقدر هو جواب اذا او في محل نصب على الحال من الضمير في اقتت قال الزجاج المراد بهذا التاقيت بين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم ثم بين هذا اليوم فقال لِيَوْمِ الْفَصْلِ قال قتادة يفصل فيه بين الناس باعمالهم الى الجنة والنار ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ابي وما اعلمك بيوم الفصل يعني انه امر بديع هائل لا يقادر قدره وما مبتدء وادراك خبره او العكس كما اختاره سيبويه ثم ذكر حال الذين كذبوا بذلك اليوم فقال وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اي ويل لهم في ذلك اليوم الهائل قال الزمخشري ويل اصله مصدر سادمسد فعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على الثبات قلت سوغ الابتداء به كونه دعاء كما ذكره الزمخشري ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به الويل الهلاك او هو اسم واد في جهنم قال ابن مسعود يسيل فيه صديد اهل النار فجعل للمكذبين وكررت هذه الاية في هذه السورة عشر مرات لانه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء عذابا سوى تكذيبه بشيء آخر وكل شيء كذب به هو اعظم جرما من التكذيب بغيره فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب وقال الكرخي التكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسن لا سيما اذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا ثم ذكر سبحانه ما فعل بالكفار من الامم الخالية فقال أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ اخبر سبحانه باهلاك الكفار من الامم الماضية من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود قال مقاتل يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم والاستفهام انكاري وهو داخل على نفي ونفي النفي اثبات ويعبر عنه بالاستفهام التقريري والمراد به طلب الاقرار بما بعد النفي ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ يعني لكفار مكة ومن وافقهم حين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم قرأ الجمهور نتبعهم بالرفع على الاستيناف اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقاء وقال ليس بمعطوف لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعنا هم الاخرين في الهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد ويدل على الرفع قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم الآخرين بسين التنفيس وقرئ بالجزم عطفا على نهلك قال شهاب الدين على جعل الفعل معطوفا على مجموع الجملة من قوله ألم نهلك والمراد بالآخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد وثمود كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ اي مثل

ذلك الفعل الفظيع نفعل بهم يريد من يهلكه فيما بعد والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف
اي مثل ذلك الاهلاك نفعل بكل مشرك اما في الدنيا او في الاخرة وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اي ويل
يوم ذلك الاهلاك للمكذبين بكتب الله ورسله قيل الويل الاول العذاب الاخرة وهذا العذاب الدنيا
والتكرير للتوكيد شائع في كلام العرب أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ اي ضعيف حقير قذر مهين
ذليل وهو النطفة قال ابن عباس مهين ضعيف هذا نوع اخر من تخويف الكفار ونظيره قوله
سبحانه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ اي مكان حريز وهو
الرحم يحفظ فيه المني من الآفات المفسدة له كالهواء إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ اي الى مقدار قدره الله تعالى
للولادة وهو مدة الحمل وهو تسعة اشهر او ما فوقها او ما دونها وقيل الى ان يصور فَقَدَرْنَا
قرأ الجمهور بالتخفيف من القدرة ويدل عليه فنعم القادرون وقرئ بالتشديد من التقدير وهو موافق
لقوله من نطفة خلقه فقدره قال الكسائي والفراء وهما لغتان بمعنى قدرت كذا وقدرته فَنِعْمَ
الْقَادِرُونَ اي نعم المقدرون نحن قيل المعنى قدرناه قصيرا او طويلا وقيل قدرنا اي ملكنا
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بقدرتنا على ذلك او على الاعادة وبنعمة الفطرة ثم بين لهم بديع صنعه
وعظيم قدرته ليعتبروا فقال أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا معنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال
كفت الشيء اذا ضمه وجمعه ومن هذا يقال للجراب والقدر كفت والكفات بالكسر الموضع الذي
يكفت فيه شيء اي يضم ذكره المختار والقاموس وقال المحلي مصدر كفت وفيه نظر لان كفت من
باب ضرب فالحق انه اسم مكان وقيل جمع كافت كصيام وقيام وقيل مصدر كالكتاب
الحساب وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعت بالجمع وقال الخليل
التكفت تقليب الشيء ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم اي ذهبوا والمعنى
الم نجعل الارض ضامة للاحياء على ظهرها والاموات في بطنها تضمهم وتجمعهم قال الفراء
يريد تكفتهم احياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها اي تحوزهم
وهو معنى قوله أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا والتنكير فيهما للتفخيم اي تكفت احياء لا يعدون واموتا
لا يحصرون وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية وقيل معنى جعلها كفاتا انه يدفن فيها ما يخرج
من الانسان من الفضلات وقال ابن عباس كفاتا كنا وقال الاخفش وابو عبيدة الاحياء الاموات

وصفان للارض اي الارض منقسمة الحي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت
قال الفراء انتصاب احياء وامواتا لوقوع الكفات عليها اي الم نجعل الارض كفات احياء واموات فاذا
نوّن نصب ما بعده وقيل نصبا على الحال من الارض اي منها كذا ومنها كذا وقيل هو مصدر
نعت به للمبالغة وجعلنا فيها رواسي شامخات اي جبالا مرتفعات طوالا والرواسي الثوابت
والشامخات الطوال وكل عال فهو شامخ وقال ابن عباس جبالا مشرفات وقيل ثوابت عاليات
وأسقيناكم ماء فراتا اي عذبا قاله ابن عباس والفرات الماء العذب يشرب منه ويسقى به
قال مقاتل وهذا كله اعجب من البعث ذكرهن في الارض من الجنة سيحان وجيحان والفرات
والنيل كلها من انهار الجنة ويل يومئذ للمكذبين بما انعمنا عليهم من نعمنا التي هذه
من جملتها انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا يقول لهم ذلك خزنة جهنم توبيخا
وتقريعا اي سيروا اليه من العذاب وهو عذاب النار انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب
ايها الى ظل من دخان جهنم قد سطع ثم افترق ثلث فرق يكونون فيه حتى يفرغ من الحساب
وهذا شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب شعبا قرأ الجمهور انطلقوا في الموضعين على صيغة
الامر على التاكيد وقرئ بصيغة الماضي في الثاني اي لما امروا بالانطلاق امتثلوا ذلك وفانطلقوا
وهو توكيد لانطلقوا الاول وقيل المراد بالظل هنا هو السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم ثم
تتشعب ثلث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم ثم يصيرون الى النار وقيل هو الظل من
يحموم كما في قوله في سموم وحميم وظل من يحموم على ما تقدم وقيل ان الشعب الثلث هي
الضريع والزقوم والغسلين لانها اوصاف النار ثم وصف سبحانه هذا الظل تهكما بهم فقال
لا ظليل لكنين يظلهم من حر ذلك اليوم وهذا تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني
اي لا يرد عنهم شيئا من اللهب اي النار قال الكلبي لا يرد حر جهنم عنكم ثم وصف سبحانه
النار فقال انها ترمي بشرر كالقصر العظيم اي كل شررة من شررها التي ترمي بها كالقصر
من القصور في عظمها والشرر ما تطاير من النار متفرقا والقصر البناء العظيم وقيل القصر
جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة وهي الواحدة من جزل الحطب الغليظ
قال سعيد بن جبير والضحاك وهي اصول الشجر العظام وقيل اعناقه قرأ الجمهور كالقصر بالسكون

الصاد وهو واحد القصور كما تقدم وقرئ بفتحها اي اعناق النخل والقصرة العنق جمعه قصر وقصرات وقال قتادة اعناق الابل وقرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد وهي جمع ايضا القصرة مثل بدر وبدرة وقصع وقصعة وقرأ الجمهور بشرر بفتح الشين وقرأ ابن عباس وابو مقسم شرار بكسرها مع الفين بين الراءين وقرأ عيسى كذلك الا انه بفتح الشين وهي لغات قال ابن عباس قصر النخل يعني الاعناق وعنه قال كانت العرب في الجاهلية تقول اقصر والنا الحطب فيقطع على قدر الذراع والذراعين وقال ابن مسعود انها ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون تشبه الشرر باعتبار لونه فقال كأنه جمالة صفر قرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة جمع جمل وقرأ الجمهور جمالات بكسر الجيم وهي جمع جمال وهي الابل او جمع جمالة وقرئ بضم الجيم وهي حبال السفن قال ابن عباس جمالات صفر قطع النحاس عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس يسأل عن قوله بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقدر ثلثة اذرع او اقل فنرفعه للشتاء فنسميه القصر قال وسمعته يسأل عن قوله كانه جمالات صفر قال حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال ولفظ البخاري كنا نعمد الى الخشبة ثلثة اذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر كانه جمالات صفر حبال السفن تجمع حتى تكون كاوساط الرجال وعنه قال هي الابل قال الواحدي الصفر معناها السود في قول المفسرين قال الفراء الصفر سود الابل لا يرى اسود من الابل الا وهو مشرب صفرة لذلك سمت العرب سود الابل صفرا قيل والشرر اذا تطاير وسقط ففيه بقية من لون النار اشبه شيء بالابل السود قيل وهذا القول محال في اللغة ان يكون شيء يشوبه شيء قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالعجب لمن قال بهذا وقد قال تعالى جمالات صفر واجيب بان وجهه ان النار خلقت من النور في مضيئة فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار حشي ذلك الموضع بتلك النار وبعث اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت سوادا وصارت اشد سوادا من كل شيء فيكون شررها اسود لانه من نار سوداء قلت وهذا الجواب المبارد لا يدفع ما قاله القائل لان كلامه باعتبار ما وقع في الكتاب العزيز هنا من وصفها بكونها صفرا فلو كان الامر كما ذكره المجيب من اسوداد النار واسوداد شررها لقال الله تعالى كانها جمالات سود ولكن اذا كانت اورث تسمى

الاسود اصفر لم يبق اشكال لان القرآن نزل بلغتهم وقد نقل الثقات عنهم ذلك ويدل عليه الحديث في صفة جهنم وفي آخره فهي سوداء مظلمة فكان ما في القرآن هنا واردا على هذا الاستعمال العربي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لرسل الله وآياته ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ اي لا يتكلمون قرأ الجمهور برفع يوم على انه خبر لاسم الاشارة وقرأ زيد بن علي والاعرج والاعمش وغيرهم بالفتح على البناء لاضافته الى الفعل ومحله الرفع على الخبرية وقيل هو منصوب على الظرفية قال الواحدي قال المفسرون في يوم القيامة مواقف ففي بعضها يتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم فلا يتكلمون وقد قدمنا الجمع بهذا في غير موضع وقيل ان هذا اشارة الى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون لان مواقف السؤال والحساب قد انقضت فقال الحسن لا ينطقون بحجة نافعة وان كانوا ينطقون والاشارة بهذا الى ما تقدم من الوعيد كانه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وعن عكرمة قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع لهم الا همسا واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرؤا كتابيه فقال له ويحك هل سألت عن هذا احدا قبلي قال لا قال اما انك لو كنت سألت هلكت اليس قال الله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال بلى قال فان لكل مقدار يوم من هذه الايام لونا من الالوان ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قرأ الجمهور يؤذن على البناء للمفعول وقرأ زيد بن علي لا يأذن على البناء للفاعل اي لا يأذن الله لهم اي لا يكون لهم اذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب قال الفراء الفاء في فيعتذرون تنسق على يؤذن واجيز ذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب في الكل صواب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بما دعتهم اليه الرسل وانذرتهم عاقبته ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ اي يقال لهم هذا يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلائق ويتميز فيه الحق من الباطل والخطاب في جمعناكم للكفار في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم والمراد بالاولين كفار الامم الماضية ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ اي ان قدرتم على حيلة في دفع العذاب عنكم الان ﴿فَكِيدُونِ﴾ اي فافعلوها وهذا تقريع لهم وتهكم وتوبيخ قال مقاتل يقول ان كان لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم وقيل المعنى فان قدرتم على حرب فحاربون وقيل ان هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقوله هو فكيدوني

جميعا ثم لا ينظرون ويل يومئذ للمكذبين بالبعث لانه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا عليه
في الدنيا ثم لما ذكر سبحانه في سورة الدهر احوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار واطنب في الحالي
المؤمنين فيها ذكر في هذه السورة احوال الكفار على سبيل الاطناب واحوال المؤمنين على سبيل الايجاز
فوقع بذلك التعادل بين السورتين فقال ان المتقين في ظلال وعيون اي في ظلال الاشجار
وظلال القصور لا كالظل الذي للكفار من الدخان ومن النار كما تقدم قال المحلي اي تكاثف اشجار
وعبارة الكازروني اي تحت اشجار وقرئ الجمهور في ظلال وقرئ في ظل جمع ظلة قال مقاتل والكلبي المراد
بالمتقين الذين يتقون الشرك بالله لان السورة من اولها الى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم قال الرازي فيجب ان
تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بان يكون
الوعد للمؤمنين بسبب ايمانهم فاما جعله سببا للطاعة فلا يليق بالنظم لكذا قال والمراد بالعيون الانهار
اي نابعة من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن الخ وفواكه مما يشتهون
المراد بالفواكه ما يتفكه به مما تطلبه انفسهم وتستدعيه شهواتهم فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها
حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في انواع فاكهة الدنيا كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك والقائل لهم الملائكة اكراما لهم ويقال لهم من قبل الله فالجملة مقدرة
بالقول والباء للسببية اي بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك اي مثل
ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين في اعمالهم وعقائدهم ويل يومئذ للمكذبين حيث صاروا في
شقاء عظيم وصار المؤمنون في نعيم مقيم كلوا وتمتعوا خطاب للكفار اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك وتذكيرا
لهم بما لهم في الدنيا او يقال لهم هذا في الدنيا وانما قال قليلا لان متاع الدنيا وزمانه قليل لانه زائل مع قصر مدته
في مقابلة مدة الآخرة وذلك الى منتهى اجلهم قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها
من افعال الظالمين والاطمينان اليها من افعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ
منها على قدر الحاجة من افعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من افعال الزاهدين واهل الحقيقة
اجل خطرا من ان يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها انكم مجرمون اي المشركون بالله
هذا وان كان في اللفظ امر انهم في المعنى تهديد وزجر عظيم ويل يومئذ للمكذبين حيث
عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اي لهؤلاء المجرمين من اي

قائل كان اذا دعوا لا يركعون اي اذا امروا بالصلوة لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلوة بعد ان امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها فقالوا لا تحنى فانها مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل انما يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون من اجل انهم لم يكونوا يسجدون في الدنيا لله سبحانه قاله ابن عباس وفي هذه الآية دليل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وسميت الصلوة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلوة المسلمين ويل يومئذ للمكذبين اوامر الله سبحانه ونواهيه فبأي حديث بعد قاله ابن عباس اي بعد القرآن يؤمنون اي يصدقون اذا لم يؤمنوا به مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية قرأ الجمهور يؤمنون بالتحتية على الغيبة قرأ ابن عامر في رواية عنه ويعقوب بالفوقية على الخطاب

سورة عمّ مكية وهي اربعون آية وتسمى سورة النبأ وسورة التساؤل وسورة النبأ العظيم

وقيل احدى واربعون آية وهي مكية عند الجميع وقال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله

بسم الله الرحمن الرحيم

عمّ يتساءلون

اصله عن ما فادغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة كذا قال الزجاج وحذفت الالف ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم وبم ونحو ذلك والمعنى عن اي شيء يسأل بعضهم بعضا قرأ الجمهور عم بحذف الالف لما ذكرنا وقرئ باثباتها ولكنه قليل لا يجوز الا للضرورة وقرئ بها اذا سكت عوضا عن الالف قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى تفخيم القصة كما تقول اي شيء تريد اذا عظمت شأنه قال الشهاب وهذا الاستفهام لا يمكن حمله على حقيقته لان المطلوب به لا بد ان يكون مجهولا عند الطالب فلذا اجعل مجازا عن الفخامة لانه ورد على طريق مخاطبات العرب فالاستفهام بالنسبة الى الناس فقال في النهر هذا الاستفهام فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب قال الواحدي قال المفسرون لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم بوحدانية

والبعث بعد الموت وتلي عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد وما الذي اتى به فانزل الله عم يتساءلون قال الفراء التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل ايضا في ان يتحدث وان لم يكن بينهم سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون الاية وهذا يدل على انه التحدث ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر في قوله فبأي حديث بعده اي بعد هذا الحديث وهو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عما ذا وبينه فقال عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ اورده سبحانه اولا على طريقة الاستفهام مبهما لتتوجه اليه اذهانهم وتلتفت اليه افهامهم ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وانما كان ذلك النبأ اي القرآن عظيما لانه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول وقوع البعث والنشور قال الضحاك يعني نبأ يوم القيامة كذا قال قتادة وقد استدل على ان النبأ هو القرآن بقوله الاتي الذي هم فيه مختلفون فانهم اختلفوا في القرآن فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم كهانة وبعضهم قال هو اساطير الاولين واما البعث فقد اتفق الكفار اذ ذاك على انكاره ويمكن ان يقال انه قد وقع الاختلاف في البعث في الجملة فصدق به المؤمنون وكذب به الكافرون فقد وقع الخلاف فيه من هذه الحيثية وان لم يقع الاختلاف فيه بين الكفار انفسهم على التسليم والتنزل ومما يدل على انه القرآن قوله سبحانه قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ومما يدل على انه البعث انه اكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه عقولهم السخيفة وايضا فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم في البعث فاثبتت النصارى المعاد الروحاني واثبتت طائفة من اليهود المعاد الجسماني وفي التوراة التصريح بلفظ الجنة باللغة العبرانية بلفظ جَنْعِيذ بالجيم مفتوحة ثم نون ساكنة ثم عين مهملة مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم ذال معجمة بعدها الف وفي الانجيل في مواضع كثيرة التصريح بالمعاد وانه يكون فيه النعيم للمطيعين والعذاب للعاصين وقد كان بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد كما حكى الله عنهم بقوله ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وكانت طائفة منهم غير جازمة بنفيه بل شاكة فيه كما حكى الله عنهم بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن

بمستيقنين وما حكاه الله عنهم بقوله وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فقد حصل الاختلاف بين طوائف الكفر على هذه الصفة وقد قيل ان الضمير في قوله يتساءلون يرجع الى المؤمنين والكفار لانهم جميعا كانوا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا واستعدادا وبصيرة في دينه واما الكافر فاستهزاء وسخرية قال الرازي ويحتمل انهم يسألون الرسول ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من امر الاخرة قال ابن عباس النبأ العظيم القرآن وهذا مروي عن جماعة من التابعين الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ الموصول صفة للنبأ بعد وصفه بكونه عظيما فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ردع لهم وزجر وهذا يدل على ان المختلفين فيه هم الكفار وبه يندفع ما قيل ان الخلاف بينهم وبين المؤمنين فانه انما يتوجه الردع والوعيد الى الكفار فقط وقيل كلا بمعنى حقا ثم كرر الردع والزجر فقال ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ للمبالغة في التاكيد والتشديد في الوعيد قرا الجمهور بالياء التحتية في الفعلين على الغيبة وقرئ بالفوقية على الخطاب وقرا الضحاك الاول بالفوقية وقرا الثانية بالتحتية قال الضحاك ايضا كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس وقيل هو وعيد بعد وعيد وقيل المعنى كلا سيعلمون عند النزع ما يحل بهم ثم كلا سيعلمون عند البعث لانه يكشف لهم الغطاء حينئذ وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقال ابن مالك تاكيد لفظي ولا يضر توسط حرف العطف قال السمين والنحويون يأبون هذا ولا يسمونه الا عطفا وان افاد التاكيد قال زاده ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي كما هنا تنزيلا لتباعد الرتبة بتباعد الزمان ثم ذكر سبحانه بديع صنعه وعظيم قدرته على البعث واشار الى الادلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ليعرفوا توحيده ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا اي قد رتنا على هذه الامور المذكورة اعظم من قدرتنا على الاعادة بالبعث فما وجه انكارهم لانه قد تقرر ان الاجسام متساوية الاقدام في قبول الصفات والاعراض وهذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق غير انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وقيل الجعل بمعنى التصيير والمهاد والوطاء والفراش كما في قوله الذي جعل لكم الارض فراشا قرا الجمهور بالجمع وقرئ مهدا والمعنى انها كالمهد

للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه وسمي المهود بالمهد تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والاوتاد جمع وتد اي جعلنا الجبال اوتادا للارض لتسكن ولا تتحرك كما ترسى الخيام بالاوتاد وفي هذا دليل على ان التساؤل الكائن بينهم هو عن امر البعث لا عن القرآن ولا عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما قيل لان هذا الدليل انما يصلح للاستدلال به على البعث وخلقناكم ازواجا معطوف على المضارع المنفي داخل في حكمه فهو في قوة اما خلقناكم والمراد بالازواج هنا الاصناف اي الذكور والاناث وقيل المراد بها الالوان وقيل يدخل في هذا كل زوج من المخلوقات من قبيح وحسن وطويل وقصير وجعلنا نومكم سباتا قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه اي جعلنا نومكم راحة لكم قال ابن الانباري جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان اصل السبت القطع قيل اصله التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حللته وارسلته ورجل مسبوت الخلق اي ممدوده والرجل اذا اراد ان يستريح تمدد فسمي النوم سباتا وفي المختار السبات النوم واصله الراحة وبابه نصر وفي المصباح السبات كغراب النوم الثقيل واصله الراحة يقال سبت يسبت من باب قتل وسبت بالبناء للمفعول عشي عليه وانضمامات ومرهنا قيل المعنى وجعلنا نومكم موتا والنوم احد الموتين فالمستوي شبه الميت ولكنه لم يفارقه الروح ومن هذا قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية وقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وجعلنا الليل لباسا اي نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس فشبه الليل باللباس لان في كل منهما استرا فهو استعارة وقال سعيد بن جبير والسدي اي سكنا لكم وقيل المراد ما يستر عند النوم من اللحاف ونحوه وهو بعيد لان الجعل وقع على الليل لا على ما يستر به النائم عند نومه وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش والمعاش مصدر ميمي بمعنى المعيشة وقع هنا ظرفا وكل شيء يعاش به فهو معاش والمعنى ان الله جعل لهم النهار مضيئا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه الله لهم من الرزق وبنينا فوقكم سبعا شدادا يريد سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور الزمان ولهذا وصفها بالشدة وغلظ كل واحدة منها مسيرة خمسمائة عام كما ورد ذلك وجعلنا سراجا منيرا وهاجا وقادا يعني الشمس والوهاج المضيء المتلالئ من قولهم وهج الجوهر اي تلألأ ويقال وهج يوهج كوجل يوجل وكوعد يعد قال الزجاج الوهاج الوقاد وهو الذي وهج يقال وهجت النار توهج وهجا ووهجها لما قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحرارة وقال ابن عباس وهاجا مضيئا

وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا المعصرات هي السحاب التي تعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعصرة التي قد دنى حيضها كذا قال سفيان والربيع وابو العالية والضحاك وقال مجاهد ومقاتل وقتادة والكلبي هي الرياح والرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت العجاج قال الازهري هي الرياح ذوات الاعاصير وذلك ان الرياح تستدر المطر وقال الفراء المعصرات السحاب التي يحلب منها المطر قال النحاس وهذه الاقوال صحاح يقال للريح التي تاتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ويجوز ان تكون هذه الاقوال قولا واحدا ويكون المعنى وانزلنا من ذوات المعصرات قال في الصحاح والمعصرات السحاب تعتصر بالمطر وعصرت القوم اي مطرتهم قال المبرد يقال سحاب معصراي ممسك للماء ويعتصر منه شيء بعد شيء وقال ابي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان المعصرات السموات وقال ابن عباس السحاب وقال ابن مسعود يبعث الله الريح فتحمل الماء فتمر به السحاب فتدره كما تدر اللقحة وقرأ ابن عباس وانزلنا من المعصرات بالرياح وقيل المعصرات الغيثات والعاصر هو الغيث والثجاج هو المنصب بكثرة على وجه التتابع يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله فيكون لازما ومتعديا وبابه ردّ ومطر ثجاج اي منصب جدا والثج ايضا سيلان الدماء الهدي وفي الحديث احب العمل الى الله الحج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدي قال الزجاج الثجاج الصباب وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا وقال ابن عباس منصبا وقيل مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا وقال ابن مسعود الثجاج ينزل من السماء امثال العزالي فتصرفه الرياح فينزل متفرقا لنخرج به حبا ونباتا اي لنخرج بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما والنبات ما تاكله الدواب من الحشيش والتبن وسائر النبات والحلاء وجنات الفافا اي بساتين ملتف بعضها ببعض تتشعب اغصانها واحدها لف كالاوزاع والاخياف وقيل واحدها لف بكسر اللام وضمها ذكره الكسائي وقال ابو عبيدة واحدها لفيف كشريف واشراف وروي عن الكسائي انها جمع الجمع يقال جنة لفاء وبنت لف والجمع لف بالضم مثل حمر ثم يجمع هذا الجمع على الفاف وقيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد وقال ابن عباس الفافا ملتفة وقال يقول التف بعضها ببعض قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والقردوس ما فيه الكرم ولما اثبت الله البعث بالادلة التسعة المتقدمة كان سائلا سأل عن وقته ما هو فقال ان يوم الفصل بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل

والمدة بان لانه عما اذا تأتى فيه كان في حلمه وحكمه ميقاتا اي وقتا او مجمعا وميعادا للاولين والآخرين يصلون فيه الى ما وعدوا من البعث وقيل معنى ميعاد انه حد توقت به الدنيا وتنتهي عنده وقيل حد الخلائق ينتهون اليه او منتهى معلوما لوقوع الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله وان كان الفصل متأخرا عن النفخ في الصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل والمراد هنا النفخة الثانية التي تكون للبعث فتأتون من قبوركم الى الموقف افواجا اي زمرا زمرا وجماعات جماعات وهي جمع فوج والفاء في فتأتون فصيحة تدل على محذوف والمعنى فتأتون الى موضع العرض عقيب ذلك افواجا اي امما مع كل امة امامهم وفتحت السماء معطوف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع اي فتحت لنزول الملائكة وقال علي القارئ عطف على فتأتون او حال اي والحال انها قد فتحت وقرئ بالتخفيف والتشديد وهما سبعيتان قال الشهاب المراد بالفتح ليس ما عرف من فتح الابواب وهو موافق لقوله اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت فان القرآن يفسر بعضه بعضا وعبر عن التشقيق بالفتح اشارة الى كمال قدرته حتى كان تشقيق هذا الجرم العظيم كفتح الباب سهولة وسرعة فكانت ابوابا كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل معنى فتحت قطعت فصارت قطعا كالابواب وقيل ابوابها طرقها وقيل تتحلل وتتناثر حتى تصير فيها ابواب وطرق وقيل ان لكل عبد بابين في السماء باب لرزقه وباب لعمله فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وظاهر قوله فكانت ابوابا انها صارت كلها ابوابا وليس المراد ذلك بل المراد انها صارت ذات ابواب كثيرة وسيرت الجبال عن اماكنها في الهوى كالهباء الذي هو الغبار وقلعت عن مقارها وقيل معنى سيرت انها نسفت من اصولها ومثل هذا قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فكانت سرابا اي هباء منبثا يظن الناظر انها سراب تخيل الشمس انها ماء والمعنى ان الجبال صارت كلا شيء كما ان السراب يظن الناظر انه ماء وليس بماء ذكر سبحانه احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول احوالها الانزكاك وهو قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وثاني احوالها ان تصير كالعهن المنفوش كما في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وثالث احوالها ان تصير كالهباء وهو قوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ورابع احوالها ان تنسف وتحملها الرياح كما في قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وخامس احوالها

ان تصير سرابا اي شيئ كما في هذه الاية فرشرع سبحانه في تفصيل احكام الفصل فقال ان جهنم
كانت مرصادا قال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو وقال المبرد مرصادا
يرصدون به اي هو معد لهم يرصد به خزنتها الكفار قال الحسن ان على الباب صراطا لا يدخل احد
الجنة حتى يجاز عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حبس وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا ومرا قال
في الصحاح الراصد للشيء الراقب له يقال رصده يرصده رصدا والرصد الترقب والمرصد موضع الرصد
قال الاصمعي رصدته ارصده ترقبته ومعنى الاية ان جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها او هي في نفسها مستطلعة لما يأتي اليها من الكفار كما
يستطلع الرصد لمن يرصدهم ويأتي اليهم والمرصاد مفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكانه يكثر
من جهنم انتظار الكفار ثم ذكر من هي مرصد له فقال للطاغين مآبا اي مرجعا يرجعون اليه
والمآب المرجع يقال اب يؤوب اذا رجع والطاغي من طغى بالكفر والطاغين نعت لمرصادا متعلق
بمحذوف ومآبا بدل من مرصادا ويجوز ان يكون للطاغين في محل نصب على الحال من مآبا قدمت
عليه لكونه نكرة وانتصاب لابثين فيها احقابا على الحال المقدرة من الضمير المستكن في الطاغين
قرأ الجمهور لابثين بالالف وقرئ لبثين بالف وانتصاب احقابا على الظرفية اي ماكثين في النار احقابا
الاحقاب وهي لا تنقطع وكلما مضى حقب جاء حقب وهي جمع حقب بضمتين وهو الدهر والاحقاب
الدهور والحقب بضم الحاء وسكون القاف قيل هو ثمانون سنة وحكى الواحدي عن المفسرين انه
بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا وقال السدي
الحقب سبعون سنة وقال بشير بن كعب ثلثمائة سنة وقال ابن عمر اربعون سنة وقيل ثلثون الف
سنة قال الحسن الاحقاب لا يدري احد كم هي ولكن ذكروا انها ماءة حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها
كالف سنة قال ابن عباس احقابا سنين وعن سالم بن ابي الجعد قال سأل علي بن ابي طالب هلال
الهجري ما تعدون الحقب في كتاب الله قال نجد ثمانين سنة كل سنة منها اثني عشر شهرا كل شهر ثلثون
يوما كل يوم الف سنة وعن ابن مسعود في الاية قال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابي هريرة رفعه
قال الحقب ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها الف سنة مما تعدون فالحقب
ثلثون الف سنة اخرجه ابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها احقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة مما تعدون قال ابن عمر فلا يتكل احد انه يخرج من النار اخرجه البزار وابن مردويه والبيهقي وعن ابن عمر وقال الحقب الواحد ثمانون سنة وعن ابن عباس مثله وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقب اربعون سنة اخرجه ابن مردويه وقيل الاحقاب مدة شرب الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العذاب وعن خالد بن معدان في الآية وفي قوله الا ما شاء ربك انهما في اهل التوحيد من اهل القبلة وقيل ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدة قد ارتفع والخلود قد حصل والاول اولى وقيل الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار والاولى ما ذكرناه اولا من ان المقصود بالآية التابيد لا التقييد وفي حكى الواحدي عن الحسن انه قال والله ما هي الا انه اذا مضى حقب خلد اخر كذلك الى الابد لا يذوقون فيها حال من الضمير في لابثين او صفة لاحقابا او مستانفة لبيان ما استقرت عليه امرهم اي لا يذوقون في جهنم في الاحقاب برد ينفعهم ولا شرابا ينفعهم عطشهم الا حميما هو الماء الحار وغساقا هو صديد اهل النار وقيل هو ما يسيل من صديد اهل النار والاستثناء منقطع عند من جعل البرد النوم وبه قال الزمخشري ويجوز ان يكون متصلا على قوله ولا شرابا وبه قال ابو حيان وقضية كلام الكواشي تجويز الامرين وقيل انه بدل من شرابا وهو الاحسن لان الكلام غير موجب وقال مجاهد والسدي وابو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي البرد المذكور في هذه الآية هو النوم قال الزجاج اي لا يذوقون فيها بردا يريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد يشمل هذه الامور واطلاق البرد على النوم لغة هذيل ويسمى بذلك لانه يقطع سورة العطش لان العطشان اذا نام سكن عطشه ولانه يبرد صاحبه والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها وكذلك النار وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقيل البرد البرد الشراب والشراب الماء وجعل الزجاج البرد برد كل شيء له راحة وهذا ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد يتاذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال الحسن وعطاء وابن زيد بردا اي روحا وراحة قرأ الجمهور غساقا بالتخفيف وقرأ حمزة والكسائي بتشديد السين وهما سبعيتان وتقدم تفسيره وتفسير الحميم والخلاف فيهما في سورة ص عن ابن مسعود قال زمهرير جهنم يكون لهم من العذاب لان الله يقول لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما قال قلت حره وغساقا قال قلت حره وان الرجل اذا ادني اناءه من فيه سقط فروة وجهه حتى يبقى عظما تقعقع جزاء وفاقا اي موافقا لاعمالهم على ان وفاقا صفة لجزاء بتاويله

باسم الفاعل ويصح ان يكون على حذف مضاف اي ذا وفاق او باق على المصدرية لفصل المبالغة قال الفراء والاخفش جازينا هم جزاء وافق اعمالهم وقال الزجاج جوزوا جزاء وافق اعمالهم قال الفراء الوفاق جمع الوفق وهو الموافق واحد قال مقاتل وافق العذاب الذنب فالذنب اعظم من الشرك والعذاب اعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله بما يسوءهم انهم كانوا لا يرجون حسابا اي ثوابا حساب قال الزجاج كانوا لا يؤمنون بالبعث ويرجون حسابهم فالجملة مستانفة وتعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور وكذبوا بآياتنا كذابا اي كذبوا بالآيات القرآنية او كذبوا بما هو عندهم اكذب الاشياء وهو قال من مصادر التفعل قال الفراء هي لغة فصيحة يمانية تقول كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا قال في الصحاح هو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل مزقناهم كل ممزق قرأ الجمهور كذابا بالتشديد وقرأ علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بالتخفيف قال ابو علي الفارسي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة وقرأ ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قال ابو حاتم ونصبه على الحال قال الزمخشري وقد يكون بمعنى على هذه القراءة بمعنى الواحد البليغ في الكذب تقول رجل كذاب كقولك حسان وثمال وقرأ الجمهور وكل شيء بالنصب على الاشتغال اي واحصينا كل شيء احصيناه وقرأ ابو السماك برفعه على الابتداء وما بعده اخباره وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا وفي انتصاب قوله كتابا اوجه احدها انه مصدر من معنى احصينا اي احصاء فالتجوز في نفس المصدر والثاني انه مصدر لاحصينا لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل اي لتلقاء الاحصاء والكتب في معنى الضبط والتحصيل والثالث ان يكون منصوبا على الحال اي مكتوبا في اللوح لتعرفه الملائكة وقيل اراد ما كتبته الحفظة على العباد من اعمالهم وقيل المراد به العلم لان ما كتب كان ابعد من النسيان والاولى الاول لقوله وكل شيء احصيناه في امام مبين فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا هذه الجملة مسببة عن كفرهم وتكذيبهم بالآيات والامر امر اهانة وتحقير قال الرازي هذه الفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم ومن الزيادة في عذابهم انها كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت النار زادهم الله سعيرا قيل هذه الاشد اية في القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها التاكيد بان ومنها الالتفات فيها

اعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب إن للمتقين مفازا فهذا شروع في بيان حال المؤمنين وما اعد الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما اعد الله لهم من الشر والمفاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالنعمة والطلوب والنجاة من النار ومنه قيل للفلاة مفازة تفاؤلا بالخلاص منها ويصلح ان يراد به الجنة على انه مصدر ميمي بمعنى المكان او بمعنى الحدث ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم وفي المختار الفوز النجاة وهو الهلاك ايضا وعلى هذا فاطلاق المفازة على الفلاة الخالية من الماء حقيقي لانها مهلكة ومن معاني الفوز الهلاك كما رايت وبهما قال ثم فسر سبحانه هذا المفاز فقال حدائق وأعنابا واتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازا او بدل كل من كل على طريق المبالغة بجعل نفس هذه الاشياء مفازا ويجوز ان يكون النصب باضمار اعني فاذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف اي فوز حدائق وهي جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه فيها انواع الشجر المثمر والاعناب جمع عنب الكروم اعنابا والتكرير لبيان تعظيم شان العنب قال العلي واعنابا عطف على مفازا اي ذكر بعد الحدائق تنويها بعظم شانها والا فهي من جملة الحدائق القاري وهذا بعيد جدا والظاهر عطفه على حدائق وكذا كواعب وكاسا انتهى وكواعب اترابا الكواعب جمع كاعبة وهي الناهدة قال ابن عباس اي نواهد يقال كعبت الجارية تكعب تكعيبا وكعوبا وهذه تنهد نهودا والمراد ان لهن نساء كواعب تكعبت ثديهن وتفلكت حتى صارت كالكعب في صدورهن اي استدارت مع ارتفاع يسير قال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد تقدم تحقيقه في سورة البقرة وقال ابن عباس اي لداات مستويات وكاسا دهاقا قال الحسن وقتادة وابن زيد اي مترعة مملوة يقال ادهقت الكاس اي ملاتها وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد دهاقا متتابعة يتبع بعضها بعضا وقال زيد بن اسلم دهاقا صافية قال ابن عباس دهاقا ممتلية وعنه قال هي الممتلية المتريبة المتتابعة وربما سمعت العباس يقول يا غلام اسقنا وادهق لنا وعنه قال دهاقا دارة وعنه قال اذا كان فيها خمر فهي كاس واذا لم تكن فيها خمر فليس بكاس لا يسمعون حال من المتقين فيها اي في الجنة عند شرب الخمر وغيره من الاحوال لغوا وهو الباطل من الكلام وكذابا اي لا يكذب بعضهم بعضا قرا الجمهور وكذابا مشددا وقرا الكسائي هنا مخففا ووافق الجماعة على التشديد في الاية المتقدمة للتصريح بفعله المشدد هناك وقد قدمنا الخلاف في كذابا هل هو من مصادر التفعيل او من مصادر المفاعلة جزاء من ربك اي جازاهم بما تقدم ذكره جزاء قال الزجاج المعنى جزاهم جزاء اي بمقتضى وعده

وكذا عطاءً اي واعطاهم عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء بدل من جزاء اي بدل كل من كل وفي ابدال منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة له حسابا قال ابو عبيدة كافيا فهو مصدر اقيم مقام الوصف او باق على مصدريته مبالغة او هو على حذف مضاف وقال ابن قتيبة كثيرا يقال احسبت فلانا اي اكثرت له العطاء قال الزجاج حسابا اي ما يكفيهم قال الاخفش يقال احسبني كذا اي كفاني قال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشرا وقال مجاهد حسابا بما عملوه فالحساب بمعنى القدر اي بقدر ما وجب له في وعد الرب سبحانه فانه وعد للحسنة عشرا ووعد لقوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرأ ابو هاشم حسابا بفتح الحاء وتشديد السين اكفانا قال الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وفي القاموس حسبك درهم كفاك وشيء حسابك وفيه عطاء حسابا واحسبه ارضاه وعبارة المصباح واحسبه كفاه وقرأ ابن عباس حسانا بالنون رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ قرئ بخفض رب والرحمن على ان يبدل من رباك والرحمن صفة له وقرئ برفعهما على ان رب مبتدأ والرحمن خبره او على ان رب خبر مبتدأ مقدر اي هو رب والرحمن صفته ولا يملكون خبر رب على ان رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول وقرأ ابن عباس وحمزة والكسائي بخفض الاول ورفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو الرحمن واختار هذه القراءة ابو عبيد وقال هذه اعدلها تخفض رب لقربه من ربك فيكون نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستيناف وخبره قوله لا يَمْلِكُوْنَ اي الخلق مِنْهُ تعالى ان يسألوا الا فيما اذن لهم فيه خِطَابًا بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام اي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه خوفا الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار واما المؤمنون فيشفعون والجملة مستأنفة مقررة لما تقيده الربوبية العامة من العظمة والكبرياء يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ وَالْمَلٰٓئِكَةُ الظرف منتصب بلا يملكون او بلا يتكلمون وقوله صَفًّا منتصب على الحال اي مصطفين او على المصدرية اي يصفون صفا والجملة حالية او مستأنفة لتقرير ما قبله واختلف في الروح على اقوال ثمانية فقيل انه ملك من الملائكة اعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وقيل هو جبريل قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وقيل الروح جند من جنود الله ليسوا بملائكة قاله ابو صالح ومجاهد عن ابن عباس مثناه مرفوعا وزاد الحسن

والاظهر انهم في ذلك الوقت ذكروا لليل اذا عسعس اي اقبل بظلامه او ادبر قال اهل اللغة هو من الاضداد يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا ادبر ويدل على ان المراد هنا ادبر قوله الاتي والصبح اذا تنفس قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر كذا حكاه عنه الجوهري وقال الحسن اقبل ظلامه وقال الفراء العرب تقول عسعس الليل اذا اقبل واذا ادبر وهذا لا ينافي ما تقدم عنه لانه حكى عن المفسرين انهم اجمعوا على حمل معناه في هذه الاية على ادبر وان كان في الاصل مشتركا بين الاقبال والادبار قال المبرد هو من الاضداد قال والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في اوله وادباره في اخره قال ابن عباس عسعس ادبر وعنه قال اقبال سواده والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا بينا والتنفس في الاصل خروج النسيم من الجوف وتنفس الصبح اقبل لانه يقبل بروح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له مجازا او شبه الليل المظلم المكروب المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة وههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس قال الواحدي تنفس اي امتد ضوءه حتى يصير نهارا ومنه يقال للنهار اذا اذا تنفس وقيل المعنى اذا انشق وانفلق ومنه تنفست القوس اي تصدعت قال ابن عباس اذا تنفس اذا بدى النهار حين طلوع الفجر قال الشهاب رضي نسبته لقرينه ظاهرة على التفسيرين لان ما قبله ان كان للاقبال فهو اول الليل وهذا اول النهار وان كان للادبار فهذا ملاصق له فبينهما مناسبة الجوار فلا وجه لما قيل من انه على الاول انسب انتهى ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال انه اي القرآن لقول رسول كريم على الله تعالى يعني جبريل وبه قال ابن عباس لكونه نزل به من جهة الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم واضاف القول الى جبريل لكونه مرسلا به وقيل المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم والاول اولى ثم وصف الرسول المذكور بأوصاف محمودة فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين اي في قوة شديدة في القيام بما كلف به كما في قوله شديد القوى ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في اسرع من رد الطرف والمعنى انه ذو رفعة عالية ومكانة مكينة عند الله سبحانه وهو في محل نصب على الحال من مكين واصله الوصف فلما قدم صار حالا ويجوز ان يكون نعتا لرسول يقال مكن فلان عند فلان مكانة اي صار ذا منزلة عنده ومكانة قال ابو صالح من مكانته عند ذي العرش انه يدخل سبعين سوادقا بغير اذن ومعنى قوله مطاع انه مطاع بين الملائكة يرجعون اليه ويطيعونه ومن طاعتهم اياه

انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة لها بقولها قال الحسن فرض الله على اهل السموات طاعة جبريل كما فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم امين قرأ الجمهور بفتح الهاء على انها ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع او ما بعده والمعنى انه مطاع في السموات او امين فيها اي مؤتمن على الوحي وغيره وقرئ بضمها على انها عاطفة وكان العطف بها للتراخي في الرتبة لان ما بعدها اعظم مما قبلها ومن قال ان المراد برسول محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى انه ذو قوة على تبليغ الرسالة الى الامة مطاع يطيعه من اطاع الله امين على الوحي وما صاحبكم بمجنون الخطاب لاهل مكة والمراد بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما محمد باهل مكة بمجنون وذكره بوصف الصحبة للاشعار بانهم عالمون بامره وانه ليس بما يرمونه به من الجنون وغيره في شيء وانهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم بانه اعقل الناس واكملهم وهذه الجملة داخلة في جواب القسم فاقسم سبحانه بان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كما يقولون من انه مجنون وانه يأتي بالقرآن من جهة نفسه وقصد رد قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لاعداد فضلهما والموازنة بينهما تراك اذا امعنت النظر وقفت على ان اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه بلغ من المكانة وعلو المنزلة عند ذي العرش بان جعل السفير بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين فالقول في هذه الصفات بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعة منزلة له كالقول في قوله ذي العرش بالنسبة الى رفعة منزلة جبريل عليه السلام كما ذكره الكرخي ولقد رآه بالافق المبين اللام جواب قسم محذوف اي تالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين لان من جهته ترى الاشياء وهذه الرؤية هي الواقعة في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها وانما قال سبحانه ذلك مع انه قد رآه غير مرة لانه رآه هذه المرة في صورته له بستمائة جناح فقال سفيان الرؤية في افق السماء الشرقي اي لانه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وقال ابن جرير في افق السماء الغربي فقال مجاهد رآه بناحية اجياد وهو مشرق مكة والمبين صفة للافق قاله الربيع وقيل صفة لمن رآه قاله مجاهد وقيل معنى الآية ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وقد تقدم القول في هذا في سورة والنجم قال ابن عباس في هذه الآية انما عنى جبريل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رآه في صورته عند سدرة المنتهى والافق المبين السماء السابعة وما هو اي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

بالغيب اي بما غاب عنه من امر السماء والوحي وغيرهما بضنين ببخيل عليكم بما يعلمه بل يعلمكم ويبذله لكم بلا جعل وهو جواب القسم وقرئ بالظاء اي بمتهم من الظنة بمعنى التهمة وقرئ بهما والضاد اظهر لان الظاء قريبة المخرج من الذال والتاء والصاد من السين والزاي فيكون فيه ترشيح للمجاز المشهور فيه وهو البخل فان البخيل على العلم يضن به ويكتمه ويمنع اهله وقرئ بالهمز من الضنء بمعنى الولد اي بولد على القراءة المشهورة وبالظاء المعجمة من الظهارة اي بمعين من قولهم ظهر عليه اذا قواه وعاونه وبالضاد المعجمة من الضرر اي بمضنون به على ان الباء زائدة وعلى القراءة المشهورة هي للتعدية وعلى هذه القراءات هي للسببية وعلى القراءة المشهورة يكون المعنى ان ما يأتيكم به من القرآن ليس بسبب ان الضن به حاصل له فيمنعكم منه بل هو يبذله لكم ويعلمكم اياه وعلى القراءات الاخر يكون المعنى ان ما يأتيكم به من القرآن ليس بسبب ان به ظهارة او ضررا فيمنعكم منه بل هو يبذله لكم ويعلمكم اياه

على الغيب يعني خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا علمه عن اهل مكة بِظَنِينٍ اي بمتهم اي هو ثقة فيما يؤدي عن الله سبحانه وقيل بضنين بالضاد اي بخيل قاله ابن عباس اي لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظاء اي عنهم الظنة التهمة واختارها ابو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه واتهموه وقرأ الباقون بالضاد من ضننت بالشيء اضن ضنا اذا بخلت قال مجاهد اي لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه وقيل المراد جبريل انه ليس على الغيب بضنين والاول اولى وقرأ ابن مسعود بالظاء عن نبيهم وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأها بالظاء اخرجه الدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب فان البخل وما في معناه لا يتعدى بعلى وانما يتعدى بالباء وَمَا هُوَ اي القرآن بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ طريد مرمي الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب قال الكلبي يقول ان القرآن ليس باشعر ولا كهانة كما قالت قريش كقوله وما تنزلت به الشياطين قال عطاء يريد ان الشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه ثم بكتهم الله سبحانه ووبخهم فقال فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء اي اين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته قاله قتادة وقال الزجاج معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا اوذهابا في بنات الطريق اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفراء عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلثة يريد الى اي ارض تذهب فحاف الى اين هُوَ اي ما إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ اي ما القرآن الا موعظة للخلق اجمعين وتذكير لهم وقوله لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ بدل من العالمين بإعادة الجار ومفعول المشية أَنْ يَسْتَقِيمَ اي لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والايمان والطاعة وَمَا تَشَاءُونَ الاستقامة إِلَّا أَنْ اي بان يَشَاءَ اللَّهُ تلك المشية فاعلمهم سبحانه ان المشية في التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشية الله وتوفيقه ومثل هذا قوله سبحانه وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والايات القرآنية في هذا المعنى كثيرة والخطاب هنا ليس للمخاطبين في قوله فاين تذهبون بل هو لمن عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم ان يستقيم

رب العالمين اي ملك الخلق اجمعين عن ابي هريرة قال لما نزلت لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فهبط جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذبوا يا محمد وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه

سورة الانفطار وهي تسع عشرة اية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله واخرج النسائي عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء فطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتان انت يا معاذ اين انت عن سبح اسم ربك والضحى واذا السماء انفطرت واصل الحديث في الصحيحين ولكن بدون ذكر اذا السماء انفطرت وقد تفرد بها النسائي وقد تقدم في سورة التكوير حديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت السماء فاعل فعل محذوف يدل عليه المذكور قال الواحدي قال المفسرون انفطارها انشقاقها كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير اذا طلع قيل والمراد بها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها وقيل انفطرت لهيبة الله عز وجل واذا الكواكب انتثرت اي انقضت وتساقطت متفرقة يقال نثرت الشيء فانتثر نثرا والانتثار استعارة لازالة الكواكب حيث شبهت بجواهر قطع سلكها وهي مصرحة او مكنية واذا البحار فجرت اي فجر بعضها من اعلاها او اسفلها في بعض فصارت بحرا واحدا او اختلط العذب منها بالملح وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وقال الحسن معنى فجرت ذهب ماؤها وبيست قال ابن عباس فجرت بعضها في بعض وقيل فاضت العامة على بناء فجرت للمفعول شقلا وقرأ مجاهد مبنيا للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا وقرأ مجاهد ايضا والربيع بن خيثم والزعفراني والثوري مبنيا للمفعول مخففا واذا القبور بعثرت اي قلب ترابها الذي اهيل على الاموات وقد الدفن واخرج الموتى الذين هم فيها يقال بعثر بعثر بعثرة اذا قلب التراب ويقال بعثر المتاع قلبه ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت اعلاه اسفله قال الفراء بعثرت اخرجت ما في بطنها

من الذهب والفضة وذلك من اشراط الساعة ان تخرج الارض ذهبها وفضتها وقال ابن عباس اي بحثت وكررت اذالة تهويل ما في حيزها من الدواهي قال الرازي المراد من هذه الآيات انه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي اشراط الساعة فهناك يحصل الحشر والنشر وهي هنا اربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان يتعلقان بالسفليات والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الارض التي فيها الاموات واشار لذلك بقوله واذا القبور بعثرت ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال علمت نفس ما قدمت واخرت والمعنى انها علمته عند نشر الصحف لا عند البعث لانه وقت واحد من عند البعث الى عند مصير اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار والكلام في افراد نفس هنا كما تقدم في السورة الاولى في قوله علمت نفس ما احضرت ومعنى ما قدمت واخرت ما قدمت من عمل خيرا وشرا واخرت من سنة حسنة او سيئة لان لها اجر من سنها من السنن الحسنة واجر من عمل بها وعليها وزر من سنها من السنن السيئة ووزر من عمل بها وقال قتادة ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله واخره وقيل ان النفس تعلم عند البعث ما قدمت واخرت علما اجماليا لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند نشر الصحف عن ابن مسعود قال ما قدمت من خير وما اخرت من سنة صالحة يعمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا او سنة سيئة يعمل بها بعده فان عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيئا وعن ابن عباس نحوه واخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استن خيرا فاستن به فله اجره ومثل اجور من اتبعه من غير منتقص من اجورهم ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ومثل اوزار من اتبعه من غير منتقص من اوزارهم وتلا حذيفة علمت نفس ما قدمت واخرت فلما اخبر سبحانه وتعالى في الآية الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الآية ما يدل عقلا على وقوعه فقال يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم هذا خطاب للكفار وقال بعضهم المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن العاصي قال الشهاب وهذا ارجح كما في الكشف وغيره والمعنى ما الذي غرك وخدعك واجملك اغرارا حتى كفرت

بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا باكمال خلقك وسواك وجعلك عاقلا فاهما ورزقك وانعم عليك بنعمه التي لا تقدر على حمد شيء منها قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه وقال الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل غره حمقه وجهله وقيل غره عفو الله اذ لم يعاجله بالعقوبة اول مرة كذا قال مقاتل وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغتر ابكرمه وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية وقال غره والله جهله الذي خلقك من نطفة ولم تك شيئا فسواك رجلا تسمع وتبصر وتعقل فعدلك اي فجعلك معتدلا قال عطاء جعلك قائما معتدلا احسن الصورة وقال مقاتل عدل خلقك في العينين والاذنين واليدين والرجلين والمعنى عدل بين ما خلق لك من الاعضاء قرأ الجمهور فعدلك مشددا وقرئ بالتخفيف واختار الاولى ابو عبيد وابو حاتم قال الفراء وابو عبيد يدل عليها قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومعنى القراءة الاولى انه سبحانه جعل اعضاءه متعادلة لا تفاوت فيها ومعنى الثانية انه صرفه واماله الى اي صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا في اي صورة ما شاء ركبك في اي صورة متعلق بركبك وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ركبك حاصلا في اي صورة ونقل ابو حيان عن بعض المفسرين انه متعلق بعدلك واعترض عليه بان اي لها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قال مقاتل والكلبي ومجاهد في اي شبه من اب او ام او خال او عم وقال مكحول ان شاء ذكرا وان شاء انثى كلا ردع وزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر به والمعاصي او بمعنى حقا بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجاوزونه الى ما هو اعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء او بدين الاسلام قال ابن الانباري الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك وعلى كلا قبيح والمعنى بل تكذبون يا اهل مكة بالدين اي بالحساب وبل لنفي شيء تقدم وتحقيق غيره وانكار البعث قد كان معلوما عندهم وان لم يجر له ذكر قال الفراء كلا ليس الامر كما غرر ربه قرأ الجمهور تكذبون بالفوقية

على الخطاب وقرأ الحسن وابو جعفر وشيبة بالتحتية على الغيبة وحملا وان عليكم لحافظين في محل نصب على الحال من فاعل تكذبون اي تكذبون والحال ان عليكم من يدفع تكذيبكم او مستأنفة مسوقة لبيان ما يبطل تكذيبهم والحافظون الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على انعبادا عمالهم ويكتبونها وفي الصحف قال ابن عباس جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل والنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره وهذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع بحمل ان يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بني آدم ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة فقيل الا ان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى في هذه الآية وقوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وان عليهم حفظة ثم وصفهم سبحانه فقال كراما كاتبين اي انهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من اعمال العباد يعلمون على التجدد والاستمرار ما تفعلون في الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونون عالمين عند اداء الشهادة قال الرازي المعنى التعجيب من حالهم كانه قال انكم تكذبون بيوم الدين وملائكة الله موكلون يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها على الغافلين ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال ان الابرار لفي نعيم اي جنة وان الفجار لفي جحيم اي نار والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذي سيقت له وهي كقوله سبحانه فريق في الجنة وفريق في السعير ولفظ الفجار عائد على الكافرين الذين تقدم ذكرهم وليس شاملا لعصاة المؤمنين لانا لا نسلم ان مرتكب الكبيرة من المؤمنين فاجر على الاطلاق قال في الفجار المعهد الذكري بدليل قوله بل تكذبون بالدين يصلونها يوم الدين صفة لجحيم او مستأنفة جواب سؤال

مقدر كانه قيل ما حالهم فقيل يصلونها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به ويجوز ان يكون في محل نصب على الحال من الضمير في يصلونها والعامل الجار والمجرور ومعنى يصلونها انهم يلازمونها مقاسين لوهجها وحرها ابو مسلم قرأ الجمهور يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وقرئ بالتشديد مبنيا للمفعول وما هم عنها بغائبين اي لا يفارقونها ابدا ولا يغيبون عنها بل هم فيها وقيل المعنى وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون حرها في قبورهم ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال وما أدراك ما يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب ثم ما أدراك ما يوم الدين كرره تعظيما لشانه وتفخيما لقدره وتهويلا لامره كما في قوله القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة والحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة والمعنى اي شيء جعلك دريا بما يوم الدين قال الكلبي الخطاب للانسان الكافر ثم اخبر سبحانه عن اليوم فقال يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس اخرى شيئا من النفع او الضر ومالك الشفاعة لبعض الناس اذ ذاك انما هو باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ذكره الحفناوي قرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه بدل من يوم الدين او خبر مبتدا محذوف وقرأ ابو عمرو في رواية عنه يوم بالتنوين والقطع عن الاضافة وقرأ الباقون بفتحه على انها فتحة اعراب بتقدير اعني او اذكر فيكون مفعولا به او على انها فتحة بناء لاضافته الى الجملة على رأي الكوفيين وهو في محل رفع على انه خبر مبتدا محذوف او على انه بدل من يوم الدين قال الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه بني على الفتح لاضافته الى قوله لا يملك وما اضيف الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع وهذا الذي ذكره انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي واما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما وقد وافق الزجاج على ذلك ابو علي الفارسي والفراء وغيرهما والامر يومئذ لله وحده لا يملك شيئا من الامر غيره كائنا من كان قال مقاتل اي لنفس كافرة شيئا من المنفعة قال قتادة ليس ثم احد يقضي شيئا او يصنع شيئا الا الله رب العالمين والمعنى ان الله لا يملك احد في ذلك اليوم شيئا من الامور كما ملكهم في الدنيا ومثل هذا قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

ع ١٩ الربع

سورة المطففين بمكة ست وثلاثون آية قال القرطبي وهي مكية بلا خلاف

ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة وقال مقاتل ايضا هي اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية الا ثمان آيات من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها

وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابن عباس قال آخر ما نزل بمكة سورة المطففين وعنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك اخرجه ابن مردويه والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين ويل مبتدء وسوغ الابتداء به كونه دعاء ولو نصب لجاز قال مكي والمختار في ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان مضافا او معرفا كان الاختيار فيه النصب كقوله ويلكم لا تفتروا والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ في الكيل او الوزن شيئا طفيفا اي قليلا حقيرا خفيفا حقيرا قال اهل اللغة المطفف ماخوذ من الطفف وهو القليل فالمطفف هو المقلل حوصاله بنقصانه عن الحق في كيل او وزن قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف قال ابو عبيدة والمبرد المطفف الذي يبخس في الكيل والوزن والمراد بالويل هنا شدة العذاب او نفس العذاب او الشر الشديد او هو واد في جهنم قال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فانزلت هذه الآية وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان بها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية قال القراء هم بعد نزول هذه الآية احسن الناس كيلا الى يومهم هذا وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم العدو ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا قليلا او كثيرا الا ان يتوب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن ثم بين سبحانه المطففين من هم فقال الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاكتيال الاخذ بالكيل قال الفراء يريد اكتالوا من الناس وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان يقال اكتلت منك اي استوفيت منك وتقول اكتلت عليك اي اخذت ما عليك قال الزجاج

اذا اكتالوا من الناس لستوفوا عليهم الكيل قال الزمخشري لما كان الكيل لهم اليا لا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من الدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها قال السمين وهو حسن وكرر يزن كراتزنوا لان الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فاحدهما يدل على الآخر فالواحدي قال المفسرون يعني الذين اذا اشتروا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن واذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا وهو معنى كالوهم او وزنوهم يخسرون اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف اللام فتعدي الفعل الى المفعول بباب الحذف والايصال ومثله نصحتك ونصحت لك كذا قال الاخفش والكسائي والفراء وقال الفراء سمعت ابية تقول اذا صدر الناس اتينا التاجر فيكيلنا المد والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ومن الناس من يجعله تاكيدا اي توكيدا للضمير المستكن في الفعل فيجيز الوقف على كالوا اووزنوا قال ابو عبيدة وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين ويقف على كالوا ووزنوا ثم يقول هم يخسرون قال واحسب قراءة حمزة كذلك قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة واحدة من جهتين احداهما الخط وذلك انهم كتبوهما بغير الف وتوكانتا مقطوعتين لكانتا كالوا ووزنوا بالالف الاخرى ايضا يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي كما يقال صدقتك وصدقت لك ونصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وتحوذلك وقيل هو على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف المكيل والموزون اي واذا كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم يخسرون ينقصون كقوله ولا تخسروا الميزان والعرب تقول خسرت الميزان واخسرته ثم وعظهم سبحانه فقال الا يظن اولئك انهم مبعوثون مستانفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتفظيعه والتعجيب من حالهم في الاجتراء عليه والاشارة باولئك الى المطففين وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد والمعنى انهم لو خطروا ببالهم انهم مبعوثون فسئلوا عما يفعلون قبل والظن هنا بمعنى اليقين اي الا يوقن اولئك ولو ايقنوا لما نقصوا الكيل والوزن وقيل الظن على بابه والمعنى ان كانوا لا يستيقنون البعث فهلا ظنوه حتى يتأملوا ويراقبه ويحترزوا عنه ويتركوا ما يخشون من عاقبته ويأخذوا بالاحوط لانهم عظيم هو يوم القيامة ووصفه بالعظم لكونه زمانا لتلك الامور العظام من البعث والحساب والعقاب ودخول

اهل الجنة واهل النار النار عن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال
الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك
وانت تأخذ اموال المسلمين بالكيل والوزن تنزجر عن ذلك اليوم فقال يوم يقوم الناس لرب
العالمين اي يوم يقومون من قبورهم لامر رب العالمين او لجزائه او لحسابه او لحكمه وقضائه وفي
وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة
على عظم ذنب التطفيف ومزيد اثمه وفظاعة عقابه وفيما كان مثل حاله من الحيف وترك القيام
بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ وعطاء بل في كل قول وعمل وحال وقيل المراد بقوله
يوم يقوم الناس قيامهم في رشحهم الى انصاف اذانهم واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقيل
المراد قيامهم مما عليهم من حقوق العباد وقيل المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء والاول اولى
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية فكيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة
خمسين الفسنة لا ينظر اليكم اخرجه الطبراني وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في
البعث وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين بمقدار نصف يوم من خمسين
الفسنة فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس الى الغروب الى ان تغرب اخرجه ابو يعلى وابن حبان
وابن مردويه وعن ابن مسعود قال اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه
ابن مردويه من حديثه مرفوعا وعن ابن عمر انه قال يا رسول الله كم مقام الناس بين يدي رب
العالمين يوم القيامة قال الف سنة لا يؤذن لهم اخرجه الطبراني وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة
فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها كلا هي الردع والزجر للمطففين الغافلين عن البعث
وما بعده او بمعنى حقا ثم استأنف فقال ان كتاب الفجار اظهر في موضع الاضمار تنبيها وتعليقا للحكم
بالوصف يعني ان كتب اعمال الكفار لفي سجين وهو ما فسره به سبحانه من قوله وما ادراك ما سجين كتاب
مرقوم فاخبر بهذا انه كتاب مرقوم اي مسطور بين هو كتاب جامع لاعمال الشر الصادرة من الشياطين
والكفرة والفسقة ولفظ سجين علم له وقال قتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب انه صخرة تحت الارض
السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها وبه قال مجاهد فيكون في الكلام على هذا القول مضاف محذوف

والتقدير محل كتاب مرقوم وقال ابو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج لفي حبس وضيق شديد
والمعنى كانهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم وهوانهم قال الواحدي ذكر قوم ان قوله
كتاب مرقوم تفسير لسجين وهو بعيد لانه ليس السجين من الكتاب في شيء على ما حكيناه عن المفسرين و
الوجه ان يحمل بيانا الكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير هو كتاب مرقوم اي مكتوب
قال بينت حروفه اتحد والاولى ما ذكرناه ويكون المعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون
اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون للقبائح المختص بالشر وهو سجين ثم
ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه فقال وما ادراك ما سجين ثم بينه بقوله كتاب مرقوم قال الزجاج
معنى قوله وما ادراك ما سجين ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك اي في الدنيا قبل نزول الوحي
عليك وانما علمته بالوحي قال قتادة ومعنى مرقوم رقم لهم بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر
وكذا قال مقاتل وقد اختلفوا في نون سجين فقيل هي اصلية واشتقاقه من السجن وهو الحبس
وهو بناء مبالغة كخير وسكير وفسيق من الخمر والسكر والفسق وكذا قال ابو عبيدة والمبرد والزجاج قال
الواحدي وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا ويجاب عنه بان رواية هؤلاء الائمة تقوم
بها الحجة وتدل على انه لغة العرب ومنه قول ابن مقبل ٥ ورفقة يضربون البيض ضاحية
ضربا تواصت به الابطال سجينا وقيل النون بدل من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو
الكتاب قال ابن عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف وهو قوله
لفي سجين ملغى ومن جعله عبارة عن الكتاب فكتاب خبر مبتدا محذوف والتقدير هو كتاب ويكون
هذا الكلام مفسر السجين ما هو كذا قال الضحاك وقوله مرقوم مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة
وقال كعب الاحبار في الآية ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها فتهبط بها الى
الارض فتابى ان تقبلها فيدخل بها تحت سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج
لها من تحت خد ابليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد ابليس وعن ابن عباس قال سجين اسفل
الارضين واخرج ابن جرير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى و
اما سجين فمفتوح قال ابن كثير هو حديث غريب منكر لا يصح واخرج ابن مردويه عن عايشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سجين الارض السابعة السفلى واخرج هو عن جابر نحوه مرفوعا وعن

عبد الله بن كعب بن مالك قال لما حضرت كعبا الوفاة اتته ام بشر بنت البراء فقالت ان لقيت ابني فاقرأه مني السلام فقال غفر الله لك يا ام بشر نحن اشغل من ذلك فقالت اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت وان نسمة الكافر في سجين قال بلى قالت فهو ذاك اخرجه ابن ماجة والطبراني والبيهقي في البعث وعبد بن حميد ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ هذا متصل بقوله يوم يقوم الناس وما بينهما اعتراض والمعنى ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاءت به الرسل ثم بين سبحانه هؤلاء المكذبين فقال ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ اي بيوم القيامة لانه يوم الجزاء والحساب والموصول بدل من المكذبين او صفة وما ﴿يكذب به﴾ ﴿إلا كل معتد أثيم﴾ اي فاجر جائر متجاوز في لا ثم منهمك في اسبابه ﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم ﴿قال أساطير الأولين﴾ اي احاديثهم واباطيلهم التي زخرفوها والحكايات التي سطرت قديما جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر ﴿كلا﴾ ردع وزجر للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له وقال الحسن بمعنى حقا وقوله ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ بيان للسبب الذي حملهم على قولهم بان القرآن اساطير الاولين قال ابو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها رينا وريونا وكما اغلبك وغلاك فقد ران بك وران عليك قال الفراء هو انها كثرت منهم المعاصي والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب قال مجاهد القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب انقبض وضم اصبعه فاذا اذنب ذنبا اخر انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها ثم يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الآية قال ابو زيد يقال قد رين الرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا اقبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والإقفال اشد من الطبع قال الزجاج الرين هو كالصدإ يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العبد اذا اذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن كلا بل ران على قلوبهم الخ اخرجه احمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وغيرهم ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال ﴿كلا﴾ وقيل كلا بمعنى حقا ﴿إنهم

إنهم يعني الكفار عن ربهم اي عن رؤيته يومئذ اي يوم القيامة لمحجوبون لا يرونه ابدا قال مقاتل يعني انهم بعد العرض والحساب لا ينظرون الى ربهم نظر المؤمنين اليه قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته قال الزجاج في هذه الآية دليل على ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة وقال جل ثناؤه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاعلم سبحانه ان المؤمنين ينظرون واعلم ان الكفار محجوبون عنه وقيل هو تمثيل لاهانتهم بإهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وقال قتادة وابن ابي نجيح هو ان لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم وقال مجاهد محجوبون عن كرامته وكذا قال ابن كيسان والاولى الاول ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار وملازموها غير خارجين منها وثم لتراخي الرتبة لان صلي الجحيم اشد من الاهانة وحرمان الكرامة ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اي يقول لهم خزنة جهنم تبكيتا وتوبيخا هذا ما كذبتم به في الدنيا وانكرتموه فانظروه وذوقوه وقوله كلا للردع والزجر عما كانوا عليه والتكرير للتاكيد وجملة ان كتاب الابرار لفي عليين مستانفة لبيان ما تضمنته ويجوز ان تكون كلا بمعنى حقا فتلخص ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في هذه السورة قولين والابرار هم المطيعون وكتابهم صحائف حسناتهم قال الفراء عليين ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له ووجه هذا انه منقول من جمع علي من العلو قال الزجاج هو اعلى الاماكن قال الفراء والزجاج فاعربا عليين بالياء لانه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلثين وعشرين وقنسرين قيل هو علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عملته الصالحون وحكى الواحدي عن المفسرين انه السماء السابعة قال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها ارواح المؤمنين وقال الضحاك ايضا هو سدرة المنتهى ينتهي اليه كل شيء من امر الله لا يعدوها وقيل هو الجنة وبه قال ابن عباس وقال قتادة ايضا هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقيل ان عليين صفة للملائكة فانهم في الملأ الاعلى كما يقال فلان في بني فلان اي في جملتهم وقيل هو لوح من زبرجد خضراء معلق تحت العرش مكتوبة فيه اعمال البر وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واعلاها وما أدراك ما عليون اي اي شيء اعلمك يا محمد اي شيء عليون على جهة التفخيم والتعظيم لعليين اخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شهر بن عطية ان

ابن عباس سأل كعب الاحبار عن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين قال روح المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء ففتح لها ابواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهى بها الى العرش وتعرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر صلوة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه احمد وابو داود والطبراني وابن مردويه ثم فسر سبحانه بقوله كِتَابٌ مَّرْقُومٌ اي مسطور وقيل مكتوب فيه اعمالهم واسماء اهلها في الآخرة من الكرامة وهذا التفسير الاخير ينبغي عن تفاسير الخلق قال الخطيب مكتوب فيه ان فلانا امن من النار رقما بالله من رقم ما ابهاه واجله والكلام في هذا كالكلام المتقدم في قوله وما ادراك ما سجين الخ وجملة يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ صفة اخرى لكتاب والمعنى ان الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويحفظونه وقيل يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه والاول من الشهود والثاني من الشهادة قال وهب وابن اسحق المقربون هنا اسرافيل فاذا عمل المؤمن عملا البر صعدت الملائكة بالصحيفة وطها نور بياض لا أفى السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهى بها الى اسرافيل فيختم عليها وقال ابن عباس المقربون اهل السماء ثم ذكر سبحانه حال الفجرة في الجنة بعد ذكر كتابهم فقال إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ اي ان اهل الطاعة لفي تنعم عظيم لا يقادر قدره عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ الارائك الاسرة التي في الحجال وقد تقدم انها لا تطلق الاريكة على السرير الا اذا كان في حجلة قال الحسن ما كنا ندري ما الارائك حتى قدم علينا رجل من اليمن فزعم ان الاريكة عندهم الحجلة اذا كان فيها سرير قال الشهاب الحجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى في عرف الناس بالناموسية والمعنى انهم ينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات كذا قال عكرمة ومجاهد وغيرهما وقال مقاتل ينظرون الى اهل النار وقيل ينظرون الى وجهه وجلاله تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ اي اذا رايتهم عرفت انهم من اهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والتنعم والرونق اخرج ابن المنذر عن علي بن ابي طالب في الآية قال عين في الجنة يتوضؤن منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وطراوته والخطاب لكل راء يصلح لذلك يقال النضرة النباتة اذا زهر ونور قال عطاء وذلك ان الله زاد في جمالهم في الوانهم ما لا يصفه واصف والجمهور تعرف بفتح الفوقية وكسر الراء ونصب نضرة وقرئ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ورفع نضرة بالنيابة

قال الجوهري الحجال جمع حجلة بيت كالقبة له ازرار وستور والجمع حجال قال الزوزني وهو سرير يزين بالثياب والستور فالحجلة هي السرير مع ما عليه

يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ خمر خالصة من الدنس فهي بيضاء مَّخْتُومٍ على اناءها لا يفك ختمها الا هم قال الربيع
ولا خفش والمبرد والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده والمختوم الذي له ختام
وقال الخليل الرحيق اجود الخمر وفي الصحاح الرحيق صفوة الخمر وقال مجاهد هو الخمر العتيقة المصفاة
الصافية قال مجاهد مختوم مطين كانه ذهب الى معنى الختم بالطين ويكون المعنى انه ممنوع ان تسعيد
الى ان يفك ختمه للابرار وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فطريق
الجمع بينهما ان المذكور في هذه الاية في اوان مختوم عليها الشريفها ونفاستها وهي غير تلك الخمر التي في
الانهار خِتَامُهُ مِسْكٌ اي اخر طعمه ريح المسك اذا رفع الشارب فاه من اخر شرابه وجد ريحه كريح
المسك وقيل مختوم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطين وكانه تمثيل لكمال نفاسته
وطيب رائحته والحاصل ان المختوم والختام اما ان يكون من ختام الشيء وهو اخره او من ختم الشيء وهو
جعل الخاتم عليه كما تختم الاشياء بالطين ونحوه وقال ابن مسعود الرحيق الخمر والمختوم يجدون عاقبتها طعم
المسك وعنه مختوم ممزوج ختامه مسك قال طعمه في ريحه وقيل يمزج طهرا بالكافور ويختم لهم
بالمسك وقال ابن عباس رحيق خمر ومختوم ختم بالمسك وعن ابن مسعود قال ليس بخاتم يختم به
ولكن خلطه بمسك الحر تالي المرأة من نسائكم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا وعن ابي الدرداء ختامه
مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل
اصبعه فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريحها قرأ الجمهور ختامه وقرئ خاتمه بفتح التاء قال
علقمة ما رايت المرأة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا اي اخره والخاتم والختام يتقاربان في المعنى الا ان
الخاتم الاسم والختام المصدر كذا قال الفراء قال في الصحاح والختام الطين الذي يختم به وكذا قال ابو زيد
وَفِي ذَٰلِكَ الرحيق الموصوف بتلك الصفة فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ اي فليرغب الراغبون وقيل ان
في بمعنى الى اي والى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل كما في قوله لمثل هذا فليعمل العاملون واصل
التنافس التشاجر على الشيء والتنازع فيه بان يحب كل واحد ان ينفرد به دون صاحبه يقال نفست الشيء
عليه نفاسة اي ضننت به ولم احب ان يصير اليه قال اللغوي اصله من الشيء النفيس الذي تحرص
عليه نفوس الناس فيريد كل واحد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به قال عطاء المعنى
فليستبق المستبقون وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون وذلا يكون الا بالمسارعة

الى الخيرات والانتهاء عن السيئات وقال الزمخشري فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد وهذا جملة معطوفة على ختامه مسك صفة اخرى لرحيق اي مزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو اشرف شراب الجنة واصل التسنيم في اللغة الارتفاع في مكان يجري من علو الى اسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ومنه تسنيم القبور قال ابن عباس تسنيم اشرف شراب اهل الجنة وهو صرف للمتقين ويمزج لاصحاب اليمين وسائر اهل الجنة وقال ابن عباس لما سئل عن هذا هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن مسعود عين في الجنة تمزج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا فقربين سبحانه ذلك فقال عينا يشرب بها المقربون انتصاب عينا على المدح وقال الزجاج على الحال وانما جاز ان يكون عينا حالا مع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله يشرب بها وقال الاخفش انها منصوبة بيسقون وقال الفراء بتسنيم والاول اولى وبه قال المبرد قيل والباء في بها زائدة اي يشربها او بمعنى من اي يشرب منها قال ابن زيد بلغنا انها عين تجري من تحت العرش ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال ان الذين اجرموا وهم كفار قريش كابي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل واصحابهم من اهل مكة ومن وافقهم على الكفر حكى الله عنهم اربعة اشياء من العلامات القبيحة اولها كانوا من الذين امنوا كعمار وبلال وخباب وصهيب واصحابهم من فقراء المؤمنين يضحكون اي يستهزؤن بهم في الدنيا ويسخرون منهم وآخرها قولهم ان هؤلاء لضالون وتقدير الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا او لمراعاة الفواصل واذا مروا بهم اي واذا مر المؤمنون بالكفار وهم في مجالسهم يتغامزون من الغمز وهو الاشارة بالجفون والحواجب اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم وجمعهم طعنا فيهم وعيبا لهم وقيل يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به واذا انقلبوا اي اذا انقلب الكفار من مجالسهم الى اهليهم انقلبوا فكهين اي معجبين بما هم فيه متلذذين به يتفكهون بذكر المؤمنين والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم والانقلاب الانصراف قرأ الجمهور فاكهين وقرئ فكهين بغير الف قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم بيانه في سورة الدخان ان الفاكه الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم واذا رأوهم اي واذا رأى الكفار المسلمين في اي مكان كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون في اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بما جاء به وتركهم التنعم الحاضر يعنون خدع محمد هؤلاء

فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال او المعنى واذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول والاول اولى وما ارسلوا عليهم حافظين اي والحال انهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم واعمالهم يشهدون برشدهم وضلالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع عورات غيرهم وتسفيه احلامهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجتراوا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى ويجوز ان يكون ذلك من جملة قول المؤمنين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكار الصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام قاله ابو السعود والاول اولى واظهر فاليوم اي يوم الآخرة الذين آمنوا من الكفار يضحكون يعني ان المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد نزل بهم ما نزل من العذاب كما ضحك الكفار منهم في الدنيا على الارائك ينظرون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الحال الفظيع والهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وقد تقدم تفسير الارائك قريبا قال الواحدي قال المفسرون ان اهل الجنة اذا اراد وا نظروا من منازلهم الى اعداء الله وهم يعذبون في النار فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم في الدنيا وقال ابو صالح يقال لاهل النار اخرجوا ويفتح لهم ابوابها فاذا رأوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم على الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الخ وجملة هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون مستأنفة لبيان انه قد وقع الجزاء للكفار كان يقع منهم في الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى اثيب والمعنى هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين وقيل الجملة في محل نصب بينظرون وقيل هي على اضمار القول اي يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الكفار والثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويطلق على الخير والشر قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام لام هل في ثاء ثوب وقرأ الباقون بتركه للادغام ☆

سورة الانشقاق وهي ثلث او خمس وعشرون اية وهي مكية

بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن ابي رافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة

فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت له فقال سجدت خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واخرج مسلم واهل السنن وغيرهم عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق وعن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر اذا السماء انشقت ونحوها اخرجه ابن خزيمة والروياني في مسنده والضياء المقدسي في المختارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت اي انصدعت وتفطرت فيه حذف والتقدير اذا انشقت السماء انشقت لان اذا الشرطية تختص دخولها بالجمل الفعلية وما جاء من هذا ونحوه فهو قليل محافظة على قاعدة الاختصاص فالسماء فاعل لفعل محذوف قال الواحدي قال المفسرون انشقاقها من علامات القيامة ومعنى انشقاقها انفطارها بالغمام الابيض كما في قوله ويوم تشقق السماء بالغمام وقيل تتشقق من المجرة وبه قال علي بن ابي طالب والمجرة باب السماء واهل الهيئة يقولون انها نجوم صغار مختلطة غير متميزة في الحس واختلف في جواب اذا فقال الفراء انه اذنت والواو زائدة وكذلك القتبي قال ابن الانباري هذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ولا تقحم مع غيرهن وقيل ان الجواب قوله فملاقيه اي فانت ملاقيه وبه قال الاخفش وقال المبرد ان في الكلام تقديما وتأخيرا اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقال المبرد ايضا ان الجواب قوله فاما من اوتي كتابه وبه قال الكسائي والتقدير اذا السماء انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا وقيل هو يا ايها الانسان على اضمار الفاء او على اضمار القول اي يقال له يا ايها الانسان وقيل الجواب محذوف تقديره بعثتم او لاقى كل انسان عمله وقيل هو ما صرح به في سورة التكوير اي علمت نفس هذا على تقدير ان اذا شرطية وقيل ليست بشرطية وهي منصوبة باذكر المحذوف وهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة وتقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض ومعنى اذنت لربها وحقت انها اطاعته في الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع مشتق من الاذن وهو الاستماع للشيء والاصغاء اليه وحق لها ان تطيع وتنقاد وتسمع وقد استعمل الاذن في الاستماع في لسان العرب وفي الحديث ما اذن الله لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرآن قال الشاعر صم اذا سمعوا خيرا ذكروا به

وان ذكرت بسوء عندها اذنت وقال المجاهد حقيق ع اذنت لكم لما سمعت هدير كثير في المختار اذن لها استمع وبالحري طرب وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق اي جعلها حقيقة بذلك قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا اي معنى طاعتها انها لا تمتنع مما اراده الله بها قال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومن هذا قول كثير ع فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا + وحقت لها العتبى لدينا وقلت وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ اي بسطت كما تبسط الاديم ودكت جبالها وكل امت فيها حتى صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال مقاتل سويت كمد الاديم فلا يبقى عليها بناء ولا جبل الا دخل فيها وقيل مدت زيد في سعتها من المد وهو الزيادة قال ابن عباس تمد يوم القيامة واخرج الحاكم قال السيوطي بسند جيد عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تمد الارض يوم القيامة مد الاديم ثم لا يكون لابن ادم فيها الا موضع قدميه وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا اي اخرجت ما فيها من الاموات والكنوز وطرحتهم الى ظهرها وَتَخَلَّتْ من ذلك قال ابن عباس اخرجت ما فيها من الموتى وتخلت من على ظهرها من الاحياء ومثل هذا قوله واخرجت الارض اثقالها والمعنى تخلت غاية التخلي لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في التخلي يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه وذلك يوذن بعظم الامر وقيل القت ما استودعته وتخلت مما استحفظته ووصفت الارض بالالقاء والتخلية توسعا والا فالتحقيق ان المخرج لتلك الاشياء هو الله تعالى وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا اي سمعت واجابت واطاعت لما امرها به من الالقاء والتخلي وقال ابن عباس سمعت حين كلمها وعنه قال ادلعت وحقت بالطاعة وعنه قال سمعت واطاعت وَحُقَّتْ اي وجعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى وقد تقدم بيان معنى الفعلين قبل هذا وليس تكرارا لان الاول في السماء وهذا في الارض وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ المراد جنس الانسان فيشمل المؤمن والكافر وقيل هو الانسان الكافر والاول اولى لما سيأتي من التفصيل إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا الكدح في كلام العرب السعي في الشيء يجهد من غير فرق بين ان يكون ذلك الشيء خيرا او شرا والمعنى انك ساع الى ربك في عملك اوالى لقاء ربك ما خوذ من كدح جلده اذا خدشه قال قتادة والضحاك والكلبي عامل لربك عملا في المختار الكدح العمل

والسعي والكدح والكسب وهو الخدش ايضا وباب الكل قطع فملاقيه اي فملاق عملك وبه قال ابن عباس والمعنى انه لا محالة ملاق لجزاء عمله وما يترتب عليه من الثواب والعقاب قال الشهاب اي ملاق كدحه بنفسه من خير تقدير لوجوده في صحيفه وعلى هذا فما بعده تفصيل له قال القتيبي معنى الآية انك كادح اي عامل ناصب في معيشتك الى لقاء ربك لا مفر لك منه والملاقاة بمعنى اللقاء اي تلقى ربك بعملك وقيل فملاق كتاب عملك لان العمل قد انقضى فاما من اوتي كتابه اي كتاب عمله بيمينه وهم المؤمنون فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا مناقشة فيه قال مقاتل لانها تغفر ذنوبه ولا يحاسب عليها وقال المفسرون هو ان تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله فهو الحساب اليسير وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد يحاسب الا هلك فقلت اليس يقول الله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وعنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب هلك اخرجه احمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وفي بعض الفاظ الحديث الاول وهذا الحديث عذب مكان هلك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمته تعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وتصل من قطعك اخرجه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي والحاكم وينقلب اي يرجع وينصرف بنفسه بعد الحساب اليسير من غير مزعج برغبة وهو الى اهليه الذين اهل بهم في الجنة من عشيرته او الى اهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوجات والاولاد وقد سبقوه الى الجنة او الى من اعده الله له في الجنة من الحور العين والولدان المخلدين او الى جميع هؤلاء مسرورا مستبشرا فرحا بما اوتي من الخير والكرامة واما من اوتي كتابه بشماله وراء ظهره قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه ويكون يده اليسرى خلفه وقال قتادة ومقاتل تغل يداه الى صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك فسوف يدعو ثبورا اي ينادي هلاكه ويتمنى فان نداء ما لا يعقل يراد به التمني فالدعاء بمعنى الطلب بالمنادى هو المعنى اخذ كتابه قال ياويلاه يا ثبوراه والثبور الهلاك وقال ابن عباس ثبورا الى سيل

ويصلى سعيرا اي يدخلها ويقاسي حرنارها وشدتها قرأ ابو عمرو وحمزة وحاصم يصلى بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديدها وقرئ بضم الياء واسكان الصاد من اصلى يصلى انه كان في اهله اي عشيرته في الدنيا مسرورا باتباع هواه وركوب شهوته بطرا اشر العدم خطور الاخرة ببالها اي كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا والجملة تعليل لما قبلها انه ظن اي علم وتيقن ان لن يحور تعليل لكونه كان في الدنيا بين اهله مسرورا والمعنى ان سبب ذلك السرور ظنه بانه لا يرجع الى الله ولا يبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجحده الدار الاخرة وان هي المخففة من الثقيلة سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي ظن والحور في اللغة الرجوع يقال حار يحور اذا رجع وقال الراغب الحور التردد في الامر ومحاورة الكلام مراجعته والمحار المرجع والمصير قال عكرمة وداود بن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع قال القرطبي الحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار اي نقصان في نقصان والحور ايضا الهلكة قال ابن عباس يحور يبعث ويرجع بلى ان ربه كان به بصيرا اي كان به وباعماله عالما لا يخفى عليه منها خافية وبلى ايجاب للنفي بلن اي بلى ليحورن وليبعثن وان ربه جواب قسم مقدر فالجملة بمنزلة التعليل لما افادته بلى قال الزجاج كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه اليه فلا اقسم بالشفق لا زائدة كما تقدم في امثال هذه العبارة وقد قدمنا الخلاف فيها في سورة القيامة فارجع اليه اتسر بخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس الى وقت صلوة العشاء الاخرة قال الواحدي هذا قول المفسرين واهل اللغة جميعا قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان احمر وحكاه القرطبي عن اكثر الصحابة والتابعين والفقهاء وقال اسد بن عمرو وابو حنيفة رح في احدى الروايتين عنه انه البياض ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الاخرة قال في الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قرب العتمة وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا وقال مجاهد الشفق النهار كله الا بقاءه قال والليل وما وسق وقال عكرمة هو ما بقي من النهار وانما قالا هذا القول لانه بعده والليل وما وسق اي جمعه

تعالى اقسم بالضياء والظلام ولا وجه لهذا على انه قد روي عن عكرمة انه قال الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وروي عن اسد بن عمرو الرجوع وعن عمر بن الخطاب قال الشفق الحمرة وعن ابن عباس نحوه وعن ابي هريرة الشفق النهار كله وقال الراغب الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وقال الزمخشري الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروى اسيد بن عمرو انه رجع عنه انتهى وسمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهي رقة القلب عليه والليل وما وسق اي جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها والوسق عند اهل اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض يقال استوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي يسقها اي يجمعها قال الواحدي المفسرون يقولون وما جمع وضم وحوى ولف والمعنى انه جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه وقال عكرمة وما وسق اي وما ساق من شيء الى حيث يأوي فجعله من السوق لا من الجمع وقيل وما وسق اي وما جن وما ستر وقيل وما حمل وكل شيء حملته فقد وسقته والعرب تقول لا احمله ما وسقت عيني الماء اي حملته ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت قال قتادة والضحاك ومقاتل بن سليمان وما وسق وما حمل من الظلمة او حمل من الكواكب قال القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يحمل بظلمته كل شيء وقال سعيد بن جبير وما وسق اي وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالاسحار والاول اولى قال ابن عباس ما وسق ما دخل فيه وعنه ما جمع والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتكامل قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثالث عشرة ورابع عشرة الى ست عشرة وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع قال الحسن اتسق امتلأ واجتمع وقال قتادة استدار يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال امر فلان متسق اي مجتمع منتظم ويقال اتسق الشيء اذا تتابع قال ابن عباس اتسق استوى وعنه قال ليلة ثلث عشرة لتركبن ايها الناس طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا جواب القسم ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او على الحال من ضمير لتركبن اي مجاوزين او مجاوزا قرئ بفتح الموحدة على انه خطاب للواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له وقرئ بضم الموحدة خطابا للجمع وهم الناس قال الشعبي مجاهد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء قال الكلبي يعني تصعد فيها وهذا على القراءة الاولى وقيل درجة بعد درجة

ورتبة بعد رتبة في القرب من الله ورفعة المنزلة وقيل المعنى لتركبن حالا بعد حال كل حالة منها مطابقة لاختها في الشدة وقيل المعنى لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا واختار ابو حاتم وابو عبيد القراءة الثانية قالا لان المعنى بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عمر رضي الله عنه ليركبن بالتحتية وضم الموحدة على الاخبار وروي عنه وعن ابن عباس انهما قرءا بالفوقية وفتح الموحدة اي ليركبن الانسان وروي عن ابن مسعود وابن عباس انهما قرءا بكسر حرف المضارعة وهي لغة وقرئ بفتح حرف المضارعة وكسر الموحدة على انه خطاب للنفس وقيل ان معنى الاية ليركبن القمر احواله من سرار واستهلال وهو بعيد قال مقاتل طبقا عن طبق يعني الموت والحياة وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم شاب ثم شيخ وعن ابن مسعود قال يعني السماء تنفطر ثم تنشق ثم تحمر وعنه قال السماء تكون كالمهل وتكون وردة كالدهان وتكون واهية وتنشق فتكون حالا بعد حال وقيل يعني الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل لتركبن سنن من كان قبلكم كما ورد في الحديث الصحيح فما لهم لا يؤمنون الاستفهام للانكار والفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيامة الموجبة للايمان والسجود او من غيرها على الاختلاف السابق والمعنى اي شيء للكفار لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الايمان بذلك من التغيرات العلوية والسفلية الدالة على خالق عظيم القدرة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون الجملة في محل نصب على الحال اي اي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن قال الحسن وعطاء الكلبي ومقاتل ما لهم لا يصلون وقال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود المعروف ليسجدوا عند التلاوة وقد وقع الخلاف هل هذا الموضع من مواضع السجود عند التلاوة ام لا وقد تقدم في فاتحة هذه السورة الدليل على السجود وهذه السجدة اخر سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه بل الذين كفروا يكذبون اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الكتاب المشتمل على اثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب والله اعلم بما يوعون اي بما يضمرونه في انفسهم من التكذيب وقال مقاتل بما يكتمون من اعمالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة والسيئة ما خوذ من وعاء الذي يجمع فيه ويقال وعاه حفظه وعيت الحديث اعيه وعيا ومنه اذن واعية وقال ابن عباس يوعون يسرون

السجدة

فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم لان علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم ولا اليم المولم الموجع والكلام خارج مخرج التهكم ثم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لاستثناء منقطع لان الموصول مبتدأ والجملة خبره والاستثناء من قبيل المفردات اي لكن الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح لهم اجر عند الله غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته قال المبرد المنين الضعيف لانه يقطعه ورأيها وكل ضعيف منين وممنون وقيل المعنى انه لا يمن عليهم به وقيل متصل وليس بذاك لان الضمير راجع الى الذين كفروا والذين كفروا قد وضع موضع المظهر للاشعار بانهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم لانهم كافرون مكذبون قال ابو السعود استيناف مقرر لما افادته الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته الثواب العظيم ١٢ ع ١٥

سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون اية

بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق اخرجه احمد وعن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج اخرجه احمد والدارمي وابو داود والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج قد تقدم الكلام في البروج عند قوله هو الذي جعل في السماء بروجا قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك هي النجوم والسماء ذات النجوم وقال عكرمة ومجاهد ايضا هي قصور في السماء وبه قال ابن عباس وقال المنهال بن عمرو ذات الخلق الحسن وقال ابو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما هي المنازل للكواكب وهي اثنا عشر برجا لاثني عشر كوكبا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة للمريخ وله الحمل والعقرب وللزهرة وله الثور والميزان وعطارد وله الجوزا والسنبلة وللقمر وله السرطان وللشمس ولها الاسد وللمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو +

والبروج في كلام العرب القصور ومنه قوله ولو كنتم في بروج مشيدة شبهت منازل هذه النجوم بالقصور لكونها تنزل فيها وقيل هي ابواب السماء وقيل هي منازل القمر واصل البرج الظهور سميت بذلك لظهورها وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السماء ذات البروج فقال الكواكب وسئل عن قوله جعل في السماء بروجا قال الكواكب وعن قوله في بروج مشيدة قال القصور اخرجه ابن مردويه واليوم الموعود اي الموعود به وهو يوم القيامة قال الواحدي في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وشاهد ومشهود نكرهما دون بقية ما اقسم به لاختصاصهما من بين الايام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب ايضا عما يقال لم خصصهما بالذكر دون بقية الايام وانما لم يعرفا بلام العهد لان التنكير ادل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والله واحد والمراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق اي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم من العجائب وذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الشاهد يوم الجمعة وانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه والمشهود يوم عرفة لانه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة قال الواحدي وهذا قول الاكثر قال ابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج الاكبر فيوم الجمعة جعله الله عيد المحمد صلى الله عليه وسلم وامته وفضله بها على الخلق اجمعين وهو سيد الايام عند الله واحب الاعمال فيه الى الله وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه اخرجه ابن مردويه وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وقال النخعي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد هو الله سبحانه وبه قال الحسن وسعيد بن جبير لقوله وكفى بالله شهيدا وقوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله يا ايها الرسول انا ارسلناك شاهدا وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الشاهد جميع الانبياء لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل هو عيسى بن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود على هذه الاقوال الثلثة امامة محمد صلى الله عليه وسلم وامم الانبياء امامة عيسى وقيل الشاهد آدم والمشهود ذريته وقال محمد بن كعب الشاهد الانسان لقوله كفى

بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اعضاؤه لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل الايام والليالي وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عز وجل بالوحدانية والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه وسيأتي بيان ما هو الحق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه منه اخرجه الترمذي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه وعن ابي هريرة رفعه قال الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهود هو الموعود يوم القيامة اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وعن علي بن ابي طالب اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم النحر والشاهد يوم الجمعة وعن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة اخرجه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة اخرجه ابن عساكر وابن مردويه وعن ابي هريرة مثله موقوفا وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيله اخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة اخرجه ابن ماجة والطبراني وابن جرير وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال في الآية الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رجلا سأله عن قوله وشاهد ومشهود قال هل سألت احدا قبلي قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة قال لا ولكن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مشهود وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما في الآية قال الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلى انا ارسلناك شاهدا ذلك يوم مشهود وعن ابن عباس

قال اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة ثم تلى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعنه قال الشاهد الله والمشهود يوم القيامة قلت وهذه التفاسير عن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفت كما ترى وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم واستدل من استدل منهم بآيات ذكر الله فيها ان ذلك الشيء شاهد ومشهود فجعلها دليلا على المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة وليس ذلك بدليل يستدل به على ان الشاهد والمشهود المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية اخرى ولا يلزم ان يكون قوله هنا وشاهد ومشهود هو جميع ما اطلق عليه في الكتاب العزيز والسنة المطهرة انه يشهد او انه مشهود وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه باولى من بعض ولم يقل قائل بذلك فان قلت هل في الموضوع الذي ذكرته من حديثي ابي هريرة وحديث مالك الاشعري وحديث جبير بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود والشاهد والمشهود قلت اما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التي ذكرتها بل اتفقت على انه يوم القيامة واما الشاهد ففي حديث ابي هريرة الاول انه يوم الجمعة وفي حديثه الثاني انه يوم عرفة ويوم الجمعة وفي حديث الاشعري انه يوم الجمعة وفي حديث جبير انه يوم الجمعة وفي مرسل سعيد انه يوم الجمعة فاتفقت هذه الاحاديث عليه ولا تضر زيادة يوم عرفة عليه في حديث ابي هريرة الثاني واما المشهود ففي حديث ابي هريرة الاول انه يوم عرفة وفي حديثه الثاني انه يوم القيامة وفي حديث ابي مالك انه يوم عرفة وفي حديث جبير انه يوم عرفة وكذا في حديث سعيد فقد تعين في هذه الروايات انه يوم عرفة وهي ارجح من تلك الرواية التي صرح فيها بانه يوم القيامة فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب اليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة واما اليوم الموعود فقد قدمنا انه وقع الاجماع على انه يوم القيامة قتل اصحاب الاخدود وفي هذا جواب القسم واللام فيه مضمرة وهو الظاهر وبه قال الفراء وغيره وقيل تقديره لقد قتل فحذف اللام وقد وعلى هذا تكون الجملة خبرية والظاهر انها دعائية لان معنى قتل لعن قال الواحدي في قول الجميع والدعائية لا تكون جوابا للقسم فقيل الجواب قوله ان الذين فتنوا المؤمنين وقيل قوله ان بطش ربك لشديد وبه قال المبرد واعترض عليه بطول الفصل وقيل هو مما يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود

كانه قال اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم وقيل تقدير الجواب ان الامر
حق في الجزاء وقيل تقدير الجواب لتبعثن واختاره ابن الانباري وقال ابو حاتم السجستاني وابن الانباري
ايضا في الكلام تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج واعترض عليه
بانه لا يجوز ان يقال والله قام زيد وعن ابن مسعود قال والسماء ذات البروج الى قوله شاهد و
مشهود هذا قسم على ان بطش ربك لشديد الى آخرها والاخدود جمع خد وهو الشق العظيم
المستطيل في الارض كالخرق وجمعه اخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع والمخدة لان الخد يوضع
عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح اخرج عبد الرزاق وابن ابي شيبة
واحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي والطبراني عن صهيب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال له
ذلك الكاهن انظروا لي غلاما فهما او قال فطنا لقنا فاعلمه علمي فاني اخاف ان اموت فينقطع
منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه قال فنظروا له على ما وصف فاءروه ان يحضر ذلك
الكاهن وان يختلف اليه فجعل الغلام يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة
فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى اخبره فقال انما اعبد الله فجعل
الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطئ على الكاهن فارسل الكاهن الى اهل الغلام انه لا يكاد
يحضرني فاخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك اين كنت فقل عند اهلي
واذا قال لك اهلك اين كنت فاخبرهم اني كنت عند الكاهن فبينما الغلام على ذلك اذ مر بجماعة من الناس كثير
قد حبستهم دابة يقال انها كانت اسدا فاخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول ذلك
الراهب حقا فاسألك ان اقتل هذه الدابة وان كان ما يقول الكاهن حقا فاسألك ان لا تقتلها
ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها قالوا الغلام ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما
لم يعلمه احد فسمع اعمى فجاءه فقال له ان انت رددت علي بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام لا اريد
منك هذا ولكن ارايت ان رجع عليك بصرك اتؤمن بالذي رده عليك قال نعم فدعى الله فرد
عليه بصره فآمن الاعمى فبلغ الملك امرهم فبعث اليهم فاتي بهم فقال لاقتلن كل واحد منكم

قتلة لا اقتل بها صاحبه فامر بالراهب والرجل الذي كان اعمى فوضع المنشار على مفرق احدهما فقتله وقتل الآخر بقتلة اخرى ثم امر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فاقلقوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذي اراد وان يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردّون حتى لم يبق منهم الا الغلام ثم رجع الغلام فامر به الملك ان ينطلقوا به الى البحر فيلقوه فيه فانطلقوا به الى البحر فغرقوا الله الذين كانوا معه وانجاه فقال الغلام للملك انك لن تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول اذا رميتني بسم الله رب الغلام فامر به فصلب ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه احد فانا نؤمن برب هذا الغلام فقيل للملك اجزعت ان خالفك ثلثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك قال فخد اخدودا ثم القى فيها الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع القيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الاخدود فقال يقول الله قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد فاما الغلام فانه دفن ثم اخرج فيذكر انه خرج في زمن عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ولهذه القصة الفاظ فيها بعض اختلاف وقد رواها مسلم في اواخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب واخرجها احمد من طريق عفان عن حماد به واخرجها النسائي عن احمد بن سليمان عن حماد بن سلمة به واخرجها الترمذي عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت به وعن علي بن ابي طالب في قوله اصحاب الاخدود قال هم الحبشة اخرجه ابن المنذر وابن ابي حاتم وعن ابن عباس قال هم ناس من بني اسرائيل خدوا اخدودا في الارض اوقدوا فيه نارا ثم اقاموا على ذلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها اخرجه ابن جرير وقال مقاتل كانت الاخاديد ثلثة واحدة بنجران باليمن واخرى بالشام واخرى بفارس حرق احيرا بها النار فاما التي بالشام فهو ابطانوس الرومي واما التي بفارس فبخت نصر ويزعمون انهما اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرانا وانزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكرها الله تعالى لاصحاب رسوله يحملهم بذلك على الصبر وتحمل الكارة في الدين النار ذات الوقود قرأ الجمهور النار بالجر على ابدال اشتمال من الاخدود لان الاخدود

مشتمل عليها وح فلا بد فيه من ضمير مقدر اي النار فيه وذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة والوقود الحطب الذي توقد به وقيل هو بدل كل من كل وقيل ان النار مخفوضة على الجوار حكاه سيبويه عن الكوفيين قرأ الجمهور بفتح الواو من الوقود وقرئ بضمها وبرفع النار على انها خبر مبتدا محذوف اي هي النار او على انها فاعل فعل محذوف اي احرقتهم النار اذ هم عليها قعود العامل في الظرف قيل اي لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها ويقرب اليها قال مقاتل يعني عند النار قعود يعرضون هم على الكفر وقال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود قال زائدة عبر على القعود على حافة النار بالقعود على اريكة من النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤه ويخلون سبيل من شاؤه وهم اي الذين خدوا الاخدود وهم الملك واصحابه على ما يفعلون بالمؤمنين بالله تعالى من عرضهم على النار ليرجعوا الى دينهم شهود اي حضور او يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به وقيل يشهدون بما فعلوا يوم القيامة او تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل على بمعنى مع والتقدير وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق شهود لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستند عليه النظم وتنطق به الروايات المشهورة قال الزجاج اعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم الى ان صبروا على ان يحرقوا بالنار في الله وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى اهل الكفر والعناد روي ان الله انجى المؤمنين الملقين في النار وكانوا سبعة وسبعين بقبض ارواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى من ثم فاحرقتهم وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة او احد عشر ولم يرد نص بتعيين عدد اصحاب الاخدود وما نقموا منهم قرأ الجمهور ينقموا بفتح النون وقرئ بكسرها والفصيح الفتح في المختار نقم الامر كرهه وبابه ضرب ونقم من باب علم لغة اي ما انكروا عليهم ولا عابوا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد اي الا ان صدقوا بالله الغالب المحمود في كل حال قال الزجاج ما انكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بآياتنا وهذا من تاكيد المدح بما يشبه الذم كما في قوله ولا عيب فيهم سوى ان سيوفهم + بهن فلول من قراع الكتائب ثم وصف سبحانه بما يدل على العظم

والفخامة فقال الذي له ملك السموات والارض ومن كان هذا شانه فهو حقيق بان يؤمن به ويوحد والله على كل شيء شهيد من فعلهم بالمؤمنين لا يخفى عليه منه خافية وفي هذا وعيد شديد لاصحاب الاخدود ووعد خير لمن عذبوه على دينه من اولئك المؤمنين ثم بين سبحانه ما اعد لاولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التحريق فقال ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي حرقوهم بالنار والعرب تقول فتنت الشيء اي احرقته وفتنت الدرهم والدينار اذا ادخلته النار لتنظر جودته ويقال دينار مفتون وسمي الصائغ الفتان ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون وقيل معنى فتنوا المؤمنين محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه قال الرازي ويجوز ان يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا اولى لان اللفظ عام والحكم بالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل ثم لم يتوبوا من قبيح صنعهم ولم يرجعوا عن كفرهم وفتنتهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب اخر زائد على عذاب كفرهم وهو عذاب الحريق الذي وقع منهم للمؤمنين وقيل ان الحريق اسم من اسماء النار كالسعير وقيل انهم يعذبون في جهنم بالزمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب البرد والثاني عذاب بحرها وقال الربيع بن انس ان عذاب الحريق اصيبوا به في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود الى الملك واصحابه فاحرقتهم وبه قال الكلبي ومفهوم الاية انهم لو تابوا لتوجه عليهم هذا الوعيد وانما عبر سبحانه باداة التراخي لان التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان ثم لما ذكر سبحانه وعيد المجرمين اتبعه بذكر ما اعده للمؤمنين الذين احرقوا بالنار فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وظاهر الاية العموم فيدخل في ذلك المحرقون في الاخدود بسبب ايمانهم دخولا اوليا والمعنى ان الجامعين بين الايمان وعمل الصالحات لهم بسبب الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها اي تحت اشجارها وغرفها وجميع اماكنها الانهار يتنعمون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا وقد تقدم كيفية جري الانهار من تحت الجنات في غير موضع واوضحنا انها قد تريد بالجنات الاشجار فتجري الانهار من تحتها واضح وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر لانها ساترة لساحتها وارضها ذلك اي ما تقدم ذكره مما اعده الله لهم الفوز الكبير الذي لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه والفوز الظفر بالمطلوب وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو درجته في الفضل والشرف ان بطش ربك بالكفار لشديد بحسب ادائه قاله الجلال المحلي

وفيه اشارة الى الرد على الفلاسفة القائلين بانه موجب بالذات وقد نطق القرآن بانه فعال لما يريد والجملة مستأنفة لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لما عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه والمغفرة لمن اطاعه والمعنى ان اخذه تعالى للجبابرة والظلمة شديد والبطش الاخذ بعنف ووصفه بالشدة يدل على انه قد تضاعف وتفاقم ومثل هذا قوله ان اخذه اليم شديد إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ اي يخلق الخلق اولا في الدنيا ويعيدهم احياء بعد الموت كذا قال الجمهور وقيل يبدئ للكفار عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده لهم في الآخرة واختار هذا ابن جرير والاول اولى وقال ابن عباس يبدئ العذاب ويعيده انتهى ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة اذا بطش كان بطشه في غاية الشدة وبهذا ظهر التعليل بهذه الجملة لما سبق من شدة البطش وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ اي بالغ المغفرة للذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها بالغ المحبة للمطيعين من اوليائه قال مجاهد الودود الوالي لاوليائه فهو فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد معنى الودود الرحيم وحكى المبرد عن اسمعيل القاضي ان الودود هو الذي لا ولد له وقيل الودود بمعنى الموَدود اي يوده عباده الصالحون ويحبونه كذا قال الازهري قال ويجوز ان يكون فعولا بمعنى فاعل اي يكون محبا لهم قال وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره ان احب عباده المطيعين فهو افضل منه وان احبه عباده العاصون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه قال ابن عباس الودود الحبيب وقالت المعتزلة غفور لمن تاب وقال اصحاب السنة غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لان الاية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم فالحمل عليه اولى ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قاله زاده ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ قرأ الجمهور برفع المجيد على انه نعت لذو واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لان المجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وقرئ بالجر على انه نعت للعرش ومجده علوه وعظمته وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم كما في آخر سورة المؤمنين قال ابن عباس المجيد الكريم قيل ان العرش احسن الاجسام وقيل هو نعت لرب ولا يضر الفصل بينهما لانها صفات لله سبحانه وقال مكي هو خبر بعد خبر والاول اولى ومعنى ذو العرش ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وقيل المراد خالق العرش فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ من الابداء والاعادة قال عطاء لا يعجز عن شيء يريده ولا يمتنع منه شيء طلبه وأراد تفاعل فعال على انه خبر مبتدا محذوف قال الفراء هو رفع على التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة

قال ابن جرير رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والارادة هنا تكوينية فيكون فيه دلالة على خلق افعالهم وختم بالصفات لانه كالنتيجة للاوصاف السابقة قال الكرخي نكره لضرب من التعظيم تتلاشى عنده الاوهام والعقول قال بعضهم وفيه دلالة على انه لا يجب عليه شيء لانها دالة على ان فعله بحسب ارادته ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ وهي مستأنفة مقررة لما تقدم من بشارة بطشه سبحانه وكونه فعالا لما يريد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي هل اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة الطاغية في الامم الخالية الماكنة لانبيائهم المتخذة عليها ثم بينهم فقال فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ وهو بدل من الجنود فالمراد بفرعون هو وقومه والمراد بثمود القوم المعروفون والمراد بحديثهم ما وقع منهم من الكفر والعناد والضلال وما وقع عليهم من العذاب والنكال وقصتهم مشهورة وقد تكرر في الكتاب العزيز ذكرها في غير موضع واقتصر على الطائفتين لاشتهار امرهما عند اهل الكتاب وعند مشركي العرب ودل بهما على امثالهما ثم اضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصره صلى الله عليه وسلم اضرابا انتقاليا ممن تقدم ذكرهم وبين انهم اشد منهم في الكفر والتكذيب فقال بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ شديد لك ولما جئت به ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بأولئك لا عاصم لهم منه والاحاطة بالشيء الحصر له من جميع جوانبه فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعد ما فوت المحاط به على المحيط ثم رد سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ اي متناه في الشرف والكرم والبركة والنفع معجز بنظمه عال الطبقة من بين الكتب وجيد في النظم والمعنى لكونه بيانا لما شرعه الله لعباده من احكام الدين والدنيا وليس هو كما يقولون انه شعر وكهانة وسحر فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ اي مكتوب في لوح وهو ام الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين اليه قرأ الجمهور لوح بفتح اللام واتفق عليها القراء وقرأ الجمهور محفوظ بالجر على انه نعت للوح وقرئ برفعه على انه نعت للقرآن اي بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح قيل والمراد باللوح بضم اللام الهواء والفضاء الذي فوق السماء السابعة وبه قال ابو الفضل وكذا قال ابن خالويه وقال في الصحاح اللوح بالضم الهواء بين السماء والارض وعن ابن عباس قال اخبرت ان لوح الذكر لوح واحد فيه الذكر وان ذلك اللوح نور وانه مسير ثلثمائة سنة اخرجه ابن المنذر وعن ابن

ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية في جبهة اسرافيل واخرج ابو الشيخ قال السيوطي بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كسير قيمته عام فقال للقلم قبل ان يخلق الخلق اكتب علمي في خلقي فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش ٥٥٥

سورة الطارق وهي سبع عشرة اية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن خالد العدواني انه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق ثقيف وهو قائم على قوس او عصا حين اتاهم يبتغي النصر عندهم فسمعه يقرأ والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية ثم قرأتها في الاسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا لما ذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها فقال من معهم من قريش نحن اعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه اخرجه احمد والبخاري في تاريخه والطبراني وابن مردويه +

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق اقسم سبحانه بالسماء والطارق وقد اكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة والطارق هو النجم الثاقب كما صرح به التنزيل قال الواحدي قال المفسرون اقسم الله بالطارق يعني الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار قال الفراء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما اتاك ليلا فهو طارق وكذا قال الزجاج والمبرد وقد اختلف في الطارق هل هو نجم معين او جنس النجم فقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل هو الذي ترمى به الشياطين وقيل هو جنس النجم قال في الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي اصل الطرق الدق فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق ثم اتسع به في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع كل التوسع حتى اطلق على الصور الخالية البادية بالليل وقال قوم ان الطارق قد يكون نهارا والعرب تقول اتيتك اليوم طرقتين اي مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير قال ابن عباس اقسم ربك بالطارق وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق ثم بين سبحانه ما هو الطارق تفخيما لشانه بعد تعظيمه بالاقسام به فقال وما ادراك ما الطارق وفيه تنبيه على ان رفعته قد بلغت بحيث لا ينالها الادراك

الخلق فلا بد من تلقيها من الجلالي العليم النجم الثاقب اي المضيئ ومنه يقال ثقب النجم ثقوبا اذا اضاء وثقوبه ضوءه قال مجاهد الثاقب المتوهج وقيل المرتفع العالي قال سفيان كل ما في القرآن وما ادراك فقد اخبره وكل شيء قال ما يدريك لم يخبره به وقيل هو نجم في السماء السابعة وهو زحل لا يسكنها غيره من النجوم واذا خلت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد ولم يقل والنجم الثاقب مع انه احصر واظهر فعدل عنه تفخيما لشانه فاقسم اولا بما يشترك فيه هو وغيره وهو الطارق ثم فسره بالنجم اذ لا لة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر نشأ مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم الثاقب

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ هذا جواب القسم وما بينهما اعتراض جيء به لتاكيد فخامة القسم المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وقد تقدم في سورة هود اختلاف القراء في لما من قرأ بتخفيفها كانت ان هنا هي المخففة من الثقيلة وفيها ضمير الشان المقدر وهو اسمها واللام هي الفارقة وما مزيدة وهذا كله تفريع على قول البصريين اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ بالتشديد فان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ قيل والحافظ هو الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها ويحصون ما تكسب من خير وشر وقيل الحافظ هو الله عز وجل وعدي حافظ بعلى لتضمينه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم وقيل هو العقل يرشدهم الى المصالح ويكفهم عن المفاسد والاول اولى لقوله وان عليكم لحافظين وقوله ويرسل عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه والحافظ في الحقيقة هو الله عز وجل كما في قوله فالله خير حافظا وقوله وكان الله على كل شيء رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته في وجودها تحتاج اليه في بقائها وحفظ الملائكة من حفظه لانهم يحفظونه بامره فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ الفاء للدلالة على ان كون حافظ على كل نفس يوجب على الانسان ان يتفكر في مبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث قال مقاتل يعني المكذب بالبعث ثم خوفهم بايّ شيء خلقه والمعنى فلينظر نظر التفكر والاستدلال حتى يعرف ان الذي ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم بين سبحانه ذلك فقال خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر والماء هو المني والدافق الصب قال دفق الماء اي صبه ويقال ماء دافق اي مدفوق مثل عيشة راضية اي مرضية

قال الفراء والاخفش اي مصبوب في الرحم قال الفراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم كقولهم سر كاتم اي مكتوم وهو ناصب له منصوب فليل ناقة ونحو ذلك قال الزجاج من ماء ذي اندفاق يقال دارع وقايس ونابل اي ذو درع وقوس ونبل يعني من صيغ النسب كلابن وتامر وهو صاد وعمل الفاعل والمفعول او هو مجاز في الاسناد فاسند الى الماء ما لصاحبه مبالغة او هو استعارة مكنية وتخييلية او مصرحة بحاله دافقا لانه لتتابع قطراته كأنه يدفع بعضه بعضا اي يدفعه كما اشار له ابن عطية واراد سبحانه ماء الرجل والمرأة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما ثم وصف هذا الماء فقال يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر والولد لا يكون الا من الماءين قرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول وفي الصلب وهو الظهر لغات قرأ الجمهور بضم الصاد وسكون اللام وقرأ اهل مكة بضمهما وقرأ اليماني بفتحهما ويقال صالب على وزن قالب ومنه قول العباس بن عبد المطلب ع تنقل من صالب الى رحم+ في ابيات له المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم كلام في هذا عند تفسير قوله الذين من اصلابكم وقيل الترائب ما بين الثديين وقال الضحاك ترائب المرأة اليدان والرجلان والعينان وقال سعيد بن جبير هي الجيد وقال مجاهد هي ما بين المنكبين والصدر وروي عنه انه قال هي الصدر وعنه قال هي الترقوتان وحكى الزجاج ان الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور في اللغة انها عظام الصدر والنحر عكرمة الترائب الصدر قال في الصحاح التريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر قال ابو عبيدة جمع التريبة تريب وحكى الزجاج ان الترائب اربع اضلاع من يمنة الصدر واربع اضلاع من يسرة الصدر قال قتادة والحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وحكى الفراء ان مثل هذا يأتي في العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ولا يخالف هذا ما في الآية لانه اذا نزل من الدماغ نزل من بين الصلب والترائب وقيل ان المني يخرج من جميع اجزاء البدن ولا يخالف هذا ما في الآية لان نسبة خروجه الى ما بين الصلب والترائب بأنه يكثر ان اكثر اجزاء البدن هي الصلب والترائب وما يجاورها وما فوقهما مما يكون تنزله منها قال ابن عباس في الآية ما بين الجيد والنحر وعنه قال تريبة المرأة تربي موضع القلادة وعنه الترائب ما بين ثديي المرأة وعنه الترائب اربع اضلاع من كل جانب من اسفل الاضلاع قال ابن عادل ان الولد يخرج

من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم رانه على رجعه لقادر الضمير في انه يرجع الى الله سبحانه بركاكة قوله خلق عليه وان الذي خلقه هو الله سبحانه والضمير في رجعه عائد الى الانسان والمعنى ان الله سبحانه على اعادة الانسان بالبعث بعد الموت لقادر وهكذا قال جماعة من المفسرين وقال مجاهد على ان يرد الماء في الاحليل وقال عكرمة والضحاك على ان يرد الماء في الصلب وقال مقاتل بن حيان يقول ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر والاول اظهر ورجحه ابن جرير والثعلبي والقرطبي قال ابن عباس على ان يجعل الشيخ شابا والشاب شيخا يوم تبلى السرائر العامل في الظرف على التفسير الاول هو رجعه وقيل لقادر واعترض عليه بانه يلزم تخصيص القدرة بهذا اليوم وقيل العامل فيه مقدر اي يرجعه او اذكر فيكون مفعولا به واما على قول من قال ان المراد رجع الماء فالعامل فيه اذكر والمعنى تختبر وتعرف وتكشف السرائر التي تستر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وقيل يظهر الخبايا وقيل يبدي كل سر فيكون دينا في وجوه وشينا في وجوه والمراد هنا عرض الاعمال ونشر الصحف فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح والغث من السمين وفي المختار السر الذي يكتم وجمعه اسرار والسريرة مثله والجمع سرائر فما له من قوة ولا ناصر اي فما للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره مما نزل به قال عكرمة هؤلاء الملوك ما لهم من منعة ولا قوة من قوة ولا ناصر قال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف والاول اولى والسماء ذات الرجع اي التي ترجع بالرد وذلك الى الموضع الذي تجيء منه قال الزجاج الرجع المطر لانه يجيء ويرجع ويتكرر قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع نبات الربيع قال الواحدي الرجع المطر في قول جميع المفسرين وفي هذا نظر فان ابن زيد قال الرجع الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في ناحية وقال بعض المفسرين ذات الرجع ذات الملائكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وقال بعضهم معناه ذات النفع ووجه تسمية المطر رجعا ما قاله القفال انه ماخوذ من ترجيع الصوت وهو اعادته وكذلك المطر لكونه يعود مرة بعد اخرى وقيل ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب تحمل الماء من بحار الارض ثم ترجعه الى الارض وقيل سمته العرب رجعا لان الملائكة ترجع عليهم وقيل لان الله يرجعه وقتا بعد وقت قال ابن عباس الرجع المطر بعد المطر والصدع شق الصدع هو ما تتصدع عنه الارض من النبات والثمار والشجر والانهار والعيون والصدع

الشق كانه يصدع الارض فتصدع له قال ابو عبيدة والفراء تتصدع بالنبات قال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها المياه وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم عند البعث والحاصل ان الصدع ان كان اسما للنبات فكانه قال والارض ذات النبات وان كان المراد به الشق فكانه قال والارض ذات الشق الذي يخرج منه النبات ونحوه وقال ابن عباس صدعها عن النبات وعنه قال تصدع الاودية وعن معاذ بن انس مرفوعا قال تصدع باذن الله عن الاموال والنبات اخرجه ابن مندة والديلمي قال الرازي انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدء والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك وجواب القسم الثاني قوله انه لقول فصل اي ان القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما كما قيل له فرقان ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجازم ويقال هذا قول فصل اي قاطع للشر والنزاع وقال ابن عباس فصل حق وما هو بالهزل اي ليس القرآن الكريم باللعب فهو جد كله ليس بالهزل والهزل ضد الجد فيجب ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قاريه وسامعه عن ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وقال ابن عباس بالهزل بالباطل انهم يكيدون كيدا اي يمكرون في ابطال ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين الحق قال الزجاج يحتالون النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون ما هم على خلافه وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وقيل الكيد القاء الشبهات كقولهم اني الاحياء الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا وما اشبه ذلك وأكيد كيدا اي استدرجهم من حيث لا يعلمون واجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله لهم نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعلاء درجته تسمية لاحدى المتقابلين بالاسم الاخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمهل الكافرين اي انوهم ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم والدعاء عليهم باهلاكهم فانه لا تعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته اللائق به نقص وارض بما يريده الله في امورهم امهلهم بدل من مهل ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل والامهال الانظار وتمهل في الامر اتأد وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير وانتصاب رويدا على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور او نعت لمصدر محذوف اي امهالا رويدا

ع

اي قليلا او وبرويدا وقد احتج هؤلاء بقوله تعالى ونسخ الامهال بآية السيف والامر بالقتال والجهاد قال ابو عبيدة الرويد في كلام العرب تصغير الرود وانرود المهل وقيل تصغير اراد مصدر اراد ورويد تصغير الترخيم وياتي اسم فعل نحو رويد زيدا اي امهله وياتي حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين فتكر معنى هذا الجوهري والبحث مستوفى في علم النحو

سورة الأعلى ويقال سورة سبح وهي تسع عشرة اية وهي مكية في قول الجمهور

وقال الضحاك مدنية وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله واخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال اول من قدم علينا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يقرأنا القران ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رايت اهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رايت الوائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى وسورة مثلها وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى اخرجه احمد والبزار وابن مردويه اي لكثرة اشتمالها على من العلوم والخيرات الحسان واخرج احمد ومسلم واهل السنن عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وان وافق يوم جمعة قرأهما جميعا وفي لفظ وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما وفي الباب احاديث واخرج مسلم وغيره عن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر سبح اسم ربك الاعلى واخرج ابو داود والنسائي وابن ماجة والدارقطني والحاكم والبيهقي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد واخرج ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الاولى بسبح وفي الركعة الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد والمعوذتين وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته واسمائه وافعاله واحكامه
قال السدي اي عظمه قيل والاسم هنا مقحم لقصد التعظيم قال ابن جرير المعنى نزه اسم ربك ان يسمى به
احد سواه فلا تكون على هذا ممحوة وقيل المعنى نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع
معظم لذكره محترم وقال الحسن معنى سبح صل له وقيل المعنى صل باسماء الله كما يصلي المشركون بالمكاء
والتصدية وقيل المعنى ارفع صوتك بذكر ربك ومنه قول جرير ٥ قبح الاله وجوه تغلب كلما ٥
سبح الحجيج وكبروا تكبيرا وقال جماعة من الصحابة والتابعين قل سبحان ربي الاعلى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه
الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة والاعلى صفة الرب وقيل للاسم والاول اولى وعن عقبة
بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في
ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه احمد وابو داود وابن
ماجة وابن المنذر وابن مردويه ولا مطعن في اسناده وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى اخرجه احمد والطبراني وابن مردويه و
البيهقي وقال ابو داود خولف فيه وكيع فرواه شعبة عن ابي اسحق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا اخرجه
موقوفا ايضا عبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير عنه انه كان اذا قرأ سبح اسم
ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وفي لفظ لعبد بن حميد عنه قال اذا قرأت سبح اسم ربك الاعلى
فقل سبحان ربي الاعلى وعن علي بن ابي طالب انه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى
وهو في الصلوة فقيل له اتزيد في القرآن قال لانما امرنا بشيء فقلناه وعن ابي موسى الاشعري انه قرأ
في الجمعة سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عمر يقرأ
سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وكذلك هي في قراءة ابي بن كعب وعن عمر انه كان اذا
قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى وعن ابن الزبير انه قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان
ربي الاعلى وهو في الصلوة وقوله الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب قال الزجاج خلق الانسان
مستويا ومعنى سوى عدل قامته وحسن خلقه قال الضحاك خلقه فسوى خلقه وقيل خلق
الاجساد فسوى الافهام وقيل خلق الانسان وهيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقيل خلق في
احسن تقويم لا يأبى وسوى في ارحام الامهات وقيل خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية وليرات

مبتقا وتاعير ملت ثم ولكن على احكام وانساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على مافيه منفعة ومصلحة وقيل خلق كل ذي روح ذوي اليدين والرجلين والعينين وقوله والذي قدر فهدى صفة اخرى للرب او معطوف على الموصول الذي قبله قرئ قدر مخففا ومثقلا قال الواحدي قال المفسرون قدر خلق الذكر والانثى من الدواب فهدى الذكر للانثى كيف ياتيها وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وروي عنه ايضا انه قال قدر السعادة والشقاوة وهدى الرشد والضلالة وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر ارزاقهم واقواتهم وهداهم لمعايشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة اشهر وافل واكثر ثم هداه للخروج من الرحم قال الفراء اي قدر فهدى واضل فاكتفى باحدهما وفي تفسير الاية اقوال غير ما ذكرنا والادلة على عدم تعيين فرد او افراد مما يصدق عليه قدر وهدى كالادلة الدالة على عدم تعيين فرد او افراد مما يصدق عليه معنى الفعلين اما على البدل او على الشمول والمعنى قدر اجناس الاشياء وانواعها وصفاتها وافعالها واقوالها واجالها فهدى كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له ويسره لما خلق له والهمه الامور دينه ودنياه ثم لما ذكر ما يختص بالناس اتبعه بما يختص بالحيوان فقال والذي اخرج المرعى صفة اخرى للرب اي انبت العشب وما ترعاه الدواب من النبات الاخضر فجعله غثاء اي فجعل المرعى بعد ان كان اخضر هشيما يابسا جافا باليا كالغثاء الذي يكون فوق السيل وفي القاموس الغثاء القماش والزبد والهالك البالي من ورق الشجر قال قتادة الغثاء الشئ اليابس يقال للمهمل والحشيش اذا انحطم ويبس غثاء وهشيم قال الكسائي غثاء سحالا من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك احوى اي اسود بعد اخضرار وذلك ان الكلاء اذا يبس اسود والاحوى ما اخوذ من الحوة وهي سواد يضرب الى الخضرة وقيل خضرة عليها سواد وفي القاموس الحوة سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد حوي كرضي حوى قال في الصحاح والحوة اي بالضم حمرة الشفة قال ابن عباس غثاء هشيما احوى متغيرا وقال ابن زيد وهذا مثل ضربه الله للكفار يذهبها الدنيا بعد نضارتها سنقرئك اي سنجعلك قارئا بان نلهمك القراءة والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى الله اليه حينئذ وقد سبق الى ذلك فهو وعد باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء فلا تنسى ما تقراه والحكمة فيه

(ف) على ان الضمير والكسائي وابن كثير بالتخفيف وفتح السين

لبيان هدايته صلى الله عليه وسلم الخاصة به بعد بيان الهداية العامة لكافة خلقه وهو هدايته صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن وتلقي الوحي وهدايته للناس اجمعين قيل هو نهي وقيل نهي والالف اشباع ومنع مكي ان يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا غير لازم اذ المعنى ان النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شائع فسقط ما قاله قال مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة ان ينساها فنزلت هذه الآية فلم ينس شيئا بعد ذلك وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يستذكر القرآن مخافة ان ينسى فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت هذه الآية وعن سعد بن ابي وقاص نحوه وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزة الثاني ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة فهذا اخبار عن امر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا فيكون معجزا وقوله الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرأه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه قال ابن عباس يقول الا ما شئت انا فانسيك قال الفراء وهو لم يشأ سبحانه ان ينسي محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله وقيل الا ما شاء الله ان تنسى ثم تذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئا نسيانا كليا وقيل هو بمعنى النسخ اي الا ما شاء الله ان ينسخه مما نسخ تلاوته وحكمه معا واما ما نسخت تلاوته فقط او حكمه فقط فلا يصح ان تنساه للاحتياج الى تلاوته في الاول والى حكمه في الثاني وقيل النعي فلا تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه ورفع حكمه وقيل الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشية على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن والاعلان والاسرار وظاهرة العموم فيندرج تحته ما قيل ان الجهر ما حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وما يخفى هو ما نسخ من صدره ويدخل تحته ايضا ما قيل من ان الجهر هو اعلان الصدقة وما يخفى هو اخفاؤها ويدخل تحته ايضا ما قيل ان الجهر جهره صلى الله عليه وسلم بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة ان يتفلت عليه وما يخفى ما في نفسه مما يدعوه الى الجهر ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية فهو داخل في حيز التفسير وما بينهما اعتراض وارد للتعليل قال مقاتل ان نهون عليك عمل الجنة وقيل نوفقك للطريقة التي هي

ايسر واسهل وقيل للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة البيضاء التي ليلها كنهارها وقوله
فهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به والاولى حمل الآية على العموم اي فهيئ الطريقة اليسرى
في الدين والدنيا في كل امر من امورهما التي تتوجه اليك ولهذه النكتة قال نيسرك ولم يقل تيسر لك
اي فائدة انك موفق لها وقال ابن عباس لليسرى للخير وقال ابن مسعود للجنة فذكر ان نفعت
الذكرى اي عظ يا محمد الناس بما اوحينا اليك وارشدهم الى سبل الخير واهدهم الى شرائع الدين
قال الحسن تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر وقال الواحدي ان نفعت او لم تنفع لان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث مبلغا للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع او لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية
كقوله سرابيل تقيكم الحر قال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى ان نفعت الذكرى
او لم تنفع وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى لان
الذكرى نافعة بكل حال وقيل انها بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد جدا وقيل انها بمعنى
اذ وما قاله الواحدي والجرجاني اولى وقد سبقهما الى القول به الفراء والنحاس والزهراوي قال الرازي
قوله ان نفعت الذكرى للتنبيه على اشرف الحالين وهو وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى والعلم
بان على الشيء لا يلزم ان يكون علما عند عدم ذلك الشيء ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها
قوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه ومنها قوله ولا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا
ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم ومنها
البعث على الانتفاع بالذكر كما يقول الرجل لمن يرشده قد وضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي
صلى الله عليه وسلم على انها لا تنفعهم الذكرى او يكون هذا في تكرير الدعوة فاما الدعاء الاول فهو عام
انتهى ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه فقال سيذكر اي سيتعظ
بوعظك والسين بمعنى سوف وسوف من الله واجب كقوله سنفرغ لكم فلا تنسى من يخشى الله
فيزدجر بالتذكير خشية وصلاحا ويجتنبها اي ويتجنب الذكرى ويبعد عنها فلا يقبلها الا اشقى من
الكفار لاصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه ثم وصف الاشقى فقال الذي يصلى النار
الكبرى اي العظيمة الفظيعة لانها اشد حرا من غيرها قال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى

نار الدنيا وقال الزجاج هي السفلى من طباق النار وقيل ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة كما ان الكفار اشقى العصاة فكذا يصلى اعظم النيران ثم لا يموت فيها فيستريح مما هو فيه من العذاب ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومنه قول الشاعر ألا النفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيى حيوة لها طعم ثم التراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من صلي النار الكبرى وما ذكر تعالى وعيد من اعرض عن النظر في دلائل الله اتبعه بالوعد لضده فقال قد افلح من تزكى اي نال الفوز من تطهر من الشرك فامن بالله ووحده وعمل بشرايعه قال عطاء والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال قتادة تزكى بعمل صالح وقال عطاء وقتادة وابو العالية نزلت في صدقة الفطر فاعلمه كان الرجل يقول اقدم زكوتي بين يدي صلوتي واصل الزكا في اللغة النما وقيل المراد بالآية تزكية الاموال كلها وقيل المراد بها زكوة الاعمال لان زكوة الاموال لان الزكا كثيرا ان يقال في الاموال زكى لا تزكى قال ابن عباس من تزكى من قال لا اله الا الله وعن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يامر بزكوة الفطر قبل ان يصلي صلوة العيد ويتلو هذه الآية اخرجه البزار وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم في الكنى والبيهقي في سننه وابن مردويه وفي لفظ قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن زكوة الفطر فقال قد افلح من تزكى قال هي زكوة الفطر وكثير بن عبد الله ضعيف جدا قال ابو داؤد هو ركن من الاركان الكذب وقد صحح الترمذي حديثا من طرقه وخطئ في ذلك ولكن يشهد له ما اخرجه ابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ثم يقسم الفطرة قبل ان يغدو الى المصلى يوم الفطر وليس في هذين الحديثين ما يدل على ان ذلك سبب النزول بل فيهما انه صلى الله عليه وسلم تلا الآية وقوله هي زكوة الفطر يمكن ان يراد انها مما يصدق عليه التزكي وقد قدمنا ان السورة مكية ولم يكن في مكة صلوة عيد ولا فطرة وعن ابي سعيد الخدري في الآية قال اعط صدقة الفطر قبل ان يخرج الى العيد وخرج الى العيد فصلى وعن ابن عمر قال انما انزلت هذه الآية في اخراج صدقة الفطر قبل صلوة العيد وعن عطاء قال قلت لابن عباس ارايت قوله قد افلح من تزكى للفطر قال لم اسمع بذلك ولكن الزكوة كلها ثم عاودته فقال لي والصدقات كلها وذكر اسم ربه فصلى قبل المعنى ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلاه وقيل ذكر اسم ربه بلسانه وكبر للافتتاح فصلى اي فاقام الصلوات الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة

لان الصلوة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل قاله السيفي وفيه نظر وقيل ذكر موقته وميعاده فعيد وهو كالقول الاول وقيل وذكر اسم ربه بالتكبير في اول الصلوة كذا لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وقيل ذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى وقيل هو ان يتطوع بصلوة بعد زكوة وقيل المراد بالصلوة هنا صلوة العيد كما ان المراد بالتزكي في الآية الاولى زكوة الفطر ولا يخفى بعد هذا القول لان السورة مكية ولم تفرض زكوة الفطر وصلوة العيد الا بالمدينة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله قد افلح من تزكى قال من شهد ان لا اله الا الله وقطع الانداد وشهد اني رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها اخرجه ابن مردويه وقال البزار لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وعن ابن عباس قال من تزكى من الشرك وذكر اسم ربه قال وحد الله فصلى قال الصلوات الخمس بل تؤثرون الحيوة الدنيا هذا اضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق اليه الكلام اي انكم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة الكائنة في الدنيا على الدار الآخرة الاجلة الباقية فلا تفعلون ما به تفلحون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب للكفار فقط او لمطلق الناس ويؤيدها قراءة ابي بل انتم تؤثرون وقرئ بالتحتية على الغيبة وعلى هذا يكون الضمير لمطلق الانس قيل والمراد بالآية الكفرة والمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضاء بها والاطمينان اليها والاعراض عن الآخرة بالكلية وقيل المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر والمراد بايثارها هو اعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من تأثير جانب الدنيا على الآخرة والتوجه الى تحصيل مناصبها والاهتمام بها اهتماما زائدا على اهتمامه بالطاعات وعن عمرو فجة الثقفي قال استقرأت ابن مسعود سبح اسم ربك الاعلى فلما بلغ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ترك القراءة واقبل على اصحابه فقال اثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال اثرنا الدنيا لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخذنا هذا العاجل وتركنا الآجل وقال بل يؤثرون الحياة الدنيا بالياء قال عمرو فجة كذا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا اندرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاصبنا العاجل وتركنا الآجل والآخرة خير وابقى اي لحال اهل الآخرة التي هي الجنة افضل واد وم من الدنيا لانها تشتمل على السعادة

الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك ولان الدنيا الذاتها مخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني قال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب ان يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى ان هذا اي ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده وقيل انه اشارة الى جميع السورة إلى الصحف الأولى اي ثابت فيها قال النسفي وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلوة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة انتهى قال الخطيب لم يرد تعالى ان هذه الالفاظ بعينها كانت في تلك الصحف بل معناه ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف وفيه بعد لان ابا حنيفة قد رجع عنه وعليه الاعتماد عند الحنفية وعليه الفتوى منهم وقد وصف الله سبحانه القرآن بكونه عربيا فلا يتم هذا الاستدلال صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ بدل من الصحف الاولى ع ١٩ قال قتادة وابن زيد يريد بقوله ان هذا والآخرة خير وابقى وقالا تتابعت كتب الله عز وجل ان الآخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن تتابعت كتب الله عز وجل ان هذا في الصحف الاولى وهو قوله قد افلح الى آخر السورة قرأ الجحدري صحف بضم الحاء في الموضعين وقرئ بسكونها فيهما وقرأ الجحدري ابراهيم بالالف بعد الراء وبالياء بعد الهاء وقرئ بحذفهما وفتح الهاء وقرأ ابو موسى وابن الزبير ابراهام بالفين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها في صحف ابراهيم وموسى اخرجه البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وعنه في الاية قال نسخت هذه السورة من صحف ابراهيم وموسى وفي لفظ هذه السورة في صحف ابراهيم وموسى وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة كتاب واربعة كتب الحديث اخرجه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية وهي مكية بلا خلاف

وعن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله قد تقدم حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ سبح اسم ربك الاعلى والغاشية في صلوة العيد ويوم الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ قال جماعة من المفسرين هل هنا بمعنى قد وبه قال قطرب الى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وهي القيامة لانها تغشى الخلائق باهوالها وقيل ان بقاء هل على معناها الاستفهامي المتضمن للتعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه اولى وقد ذهب الى ان المراد بالغاشية هنا اكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله وتغشى وجوههم النار وقيل الغاشية اهل النار لانهم يغشونها ويقتحمونها والاول اولى قال الكلبي المعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك قال ابن عباس الغاشية من اسماء القيامة وعنه قال الغاشية الساعة وقال المصبح الغشاء الغطاء ويقال ان الغشي يعطل القوى المحركة والمدركة حساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد او برد او جوع مفرط وقيل الغشي هو الاغماء وقيل الاغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغم بارد غليظ وقيل الاغماء سهو يلحق الانسان مع فتور الاعضاء لعلة وغشيته اغشاه من باب تعب اتيته والاسم الغشيان بالكسر وحملة وجوه يومئذ خاشعة مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل ما هو او مستانفة استينافا نحويا بالبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفات المذكورة ووجوه مرتفع على الابتداء وان كان نكرة لوقوعه في مقام التفصيل وقد تقدم مثل هذا في سورة القيامة وفي سورة النازعات والتنوين في يومئذ عوض عن المضاف اليه اي يوم غشيان الغاشية والخاشعة الذليلة الخاضعة وكل متضائل ساكن يقال له خاشع يقال خشع الصوت اذا خفي وخشع في صلاته اذا تذلل ونكس راسه والمراد بالوجوه هنا اصحابها قال الجبائي عبر بها عن الذوات في الموضعين اي بالجزء عن الكل وخص الوجه لانه اشرف اعضاء الانسان ولان الذل يظهر عليه اولا دون غيره قال مقاتل يعني الكفار لانهم تكبروا من عبادة الله قال قتادة وابن زيد خاشعة في النار وقيل اراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص والاول اولى وفي البحر الاية نزلت في القسيسيين وعباد الاوثان وفي كل مجتهد في كفر عاملة اي انها تعمل عملا شاقا قال اهل اللغة يقال للرجل اذا اتعب في سيره عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا قبيل وهذا العمل هو جر السلاسل والاغلال والخوض في النار والصعود والهبوط في تلاطما ووهادها ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا تعب والمعنى انها في الاخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله وقيل ان قوله عاملة في الدنيا اذا عملت فيما لا اجر فيه اي تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي فتنصب بذلك فعلى هذا يكون معنى عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة والاول اولى

قال قتادة عاملة ناصبة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب فاعملها وانصبها في جهنم قال الكلبي يجرون على وجوههم في جهنم وقال ايضا يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم فينصبون فيها اشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال ابن عباس عاملة ناصبة تعمل وتنصب عنه قال يعني اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها عملها قرأ الجمهور عاملة ناصبة بالرفع فيهما على انهما خبران أخران للمبتدأ أو على تقدير مبتدأ وهما خبران له وقرئ بنصبهما على الحال او على الذم وقوله تصلى نارا حامية خبر اخر للمبتدأ اي تدخل نارا متناهية في الحر يقال حمي النهار وحمي التنور اي اشتد حرهما قال الكسائي يقال اشتد حمي النهار وحموه بمعنى والمعنى قد احميت واوقد عليها مدة طويلة وفي الحديث احمي عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قرأ الجمهور تصلى بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول وبضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام والضمير راجع الى الوجوه على جميع هذه القراءات السبعية والمراد اصحابها كما تقدم وهذا الضمير تسقى من عين آنية اي متناهية في الحر والاني الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التاخير يقال اناه يونيه ايناء اي اخره او حبسه كما في قوله يطوفون بينها وبين حميم ان قال الواحدي قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لماعت قال ابن عباس هي التي قد طال اينها وقال ايضا قد اتى عليها اوعنه قال انتهى حرها واما ذكر سبحانه شرابهم عقبه بذكر طعامهم فقال ليس لهم طعام الا من ضريع هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه يقال له الشبرق في لسان قريش اذا كان رطبا فاذا يبس فهو الضريع كذا قال مجاهد وقتادة وغيرهما من المفسرين قيل وهو سم قاتل واذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه وقيل هو شيء يرمي به البحر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس فاذا رعت منه الابل لا تشبع وهذا قول الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وجمهور اهل اللغة والتفسير قالوا بالاول وقال سعيد بن جبير الضريع الحجارة وقيل هو شجرة في نار جهنم وقال الحسن هو بعض ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده اذى ويبلون ويتضرعون الى الله بالخلاص منه فسمي بذلك لان آكله يتضرع الى الله في ان يعفي عنه لكراهته وخشونته

قال النخاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي من شربه تلحقه ضراعة وذلة وقال الحسن ايضا هو الزقوم وقيل هو واد في جهنم وقد تقدم في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين والغسلين غير الضريع كما تقدم وجمع بين الآيتين بان النار دركات والعذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الزقوم فلا تناقض بين هذه الآيات قال ابن عباس الضريع الشبرق وقال ايضا شجر من نار وعنه قال الشبرق اليابس ثم وصف سبحانه الضريع فقال لا يسمن ولا يغني من جوع اي لا يسمن الضريع اكله ولا يدفع عنه مابه من الجوع يعني هما منفعتا الغذاء وكلاهما منتفيان عنه قال المفسرون لما نزلت ليس لهم طعام الا من ضريع قال المشركون ان ابلنا لتسمن من الضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وكذبوا في قولهم هذا فان الابل اذا اكلت الضريع لا تقربه وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه كغيره من النبات النافع قال ابو السعود وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم لسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما والتذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فيها وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة في الجملة وهو المعني بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما ثم شرع سبحانه في بيان حال اهل الجنة بعد الفراغ من بيان حال اهل النار فقال وجوه يومئذ ناعمة اي ذات نعمة وبهجة في اين العيش وهي وجوه المؤمنين صارت ناعمة لما شاهدوا من عاقبة امرهم وما اعده الله لهم من الخير الذي يفوق الوصف ومثله قوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم والمراد بالوجوه هنا اصحابها كما تقدم ثم قال لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية لانها قد اعطيت من الاجر ما ارضاها وقرت به عيونها في جنة عالية اي عالية المكان مرتفعة

على غيرها من الامكنة او عالية القدر كان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين لا تسمع فيها لاغية
قرأ الجمهور بفتح الفوقية ونصب لاغية اي لا تسمع انت ايها المخاطب او لا تسمع تلك الوجوه وقرئ بضم
التحتية مبنيا للمفعول ورفع لاغية وقرئ بالفوقية مضمومة ورفع لاغية وقرئ بفتح التحتية مبنيا
للفاعل ونصب لاغية واللغو الكلام الساقط قال الفراء والاخفش اي لا تسمع فيها كلمة لغو قيل المراد بذلك
الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة وقال مجاهد اي الشتم وقال الفراء لا تسمع فيها حالفا يحلف
بكذب قال الكلبي لا تسمع في الجنة حالفا يمين برة ولا فاجرة وقال الفراء ايضا لا تسمع في كلام اهل
الجنة كلمة تلغى لانهم لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا
ارجح الاقوال لان النكرة في سياق النفي من صيغ العموم ولا وجه لتخصيص هذا النوع من اللغو خاصة
لا بمخصص يصلح للتخصيص ولاغية اما صفة موصوف محذوف اي كلمة لاغية او جماعة لاغية
او نفس لاغية او مصدر اي لا تسمع فيها لغوا قال ابن عباس لا تسمع اذى ولا باطلا فيها عين جارية
قد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا والعين هنا بمعنى العيون كما في قوله علمت نفس ومعنى جرى
العين انها تجري مياهها على وجه الارض في غير اخدود وتتدفق بانواع الاشربة المستلذة
لا ينقطع جريها ابدا قال الكلبي لا ادري بماء او بغيره فيها سرر مرفوعة اي عالية مرتفعة السمك
او عالية القدر اوشريفة الذات قال ابن عباس بعضها فوق بعض واكواب موضوعة قال ابو عبيدة
ان الاكواب جمع كوب وانه القدح الذي لا عروة له ولا خرطوم اي بانها موضوعة بين ايديهم لشربهم
منها او معدة لاهلها او موضوعة على حافات العين الجارية او موضوعة عن حد الكبر اي هي اوساط
بين الكبر والصغر كقوله تقدروها تقديرا ونمارق مصفوفة هي الوسائد قال الواحدي في قول
الجميع واحدتها نمرقة بضم النون وزاد الفراء سماعا عن العرب نمرقة بكسرها وهما لغتان اشهرهما الاولى قال
الكلبي وسائد مصفوفة بعضها الى بعض ومنه قول الشاعر كهول وشبان حسان وجوههم
على سرر مصفوفة ونمارق + قال في الصحاح النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر
حكاها يعقوب وقال ابن عباس نمارق مجالس وعنه قال مرافق وقيل مساند ومطارح اينما
اراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى قال الواحدي مصفوفة اي فوق الطنافس
وزرابي مبثوثة يعني البسط العراض الفاخرة واحدها زربي وزربية قال ابو عبيدة والفراء

الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها زربية وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط او كل ما يبسط ويتكأ عليه الواحد زربي بالكسر ويضم والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقال عكرمة بعضها فوق بعض قال الواحدي ويجوز ان يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وبه قال القتيبي وقال الفراء مبثوثة كثيرة والظاهر ان معنى البث التفريق مع كثرة ومنه وبث فيها من كل دابة قال القرطبي وغيره وهذا اصح افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الاستفهام للتقريع والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يجافي نظائره مما غير مرة والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير امر البعث والاستدلال عليه وكذا ما بعدها وقيل الجملة في محل جر على انها بدل اشتمال من الابل والمعنى اينكرون امر البعث ويستبعدون وقوعه افلا ينظرون الى الابل التي هي غالب مواشيهم واكثر ما يشاهدونه من المخلوقات كيف خلقت بعد ولا عن سائر خلق سائر انواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع اوصافها قال ابو عمرو بن العلاء انما خص الابل لانها من ذوات الاربع تبرك فتحمل عليها الحمولة وغيرها من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم قال الزجاج نبههم على عظيم من خلقه فاذا الله الصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقل حمله وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره فاراهم عظيما من خلقه ليدل بذلك على توحيده وسئل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم خلقا والعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يوكل لحمه ولا يحلب وره والابل من اعز مال العرب وانفسه يأكل النوى والقت ويخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها وقال المبرد الابل هنا هي القطع العظيمة من السحاب وهو خلاف ما ذكره اهل التفسير واللغة وروي عن الاصمعي انه قال من قرأ خلقت بالتخفيف عنى به البعير ومن قرأ بالتشديد عنى به السحاب قال ابو السعود بدأ بالابل لكثرة منافعها كاكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد البعيدة وعيشها باي نبات اكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة ايام فاكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صبيا صغيرا وهضمها وهي باركة بالاحمال الثقيلة وتالفها بالصوت الحسن مع غلظ اكبادها ولا شيء من الحيوان جمع هذه الاشياء غيرها ولكونها افضل ما عند العرب جعلوها اثمان القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وانما واحده بعير وناقة وجمل وفي السماء كيف

رُفِعَتْ فوق الارض بلا عمد على وجه لا ينا له الفهم ولا يدركه العقل وقيل رفعت فلا ينالها شيء
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ على وجه الارض مرساة راسخة لا تميد ولا تميل ولا تزول وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ بسطت والسطح بسط الشيء يقال لظهر البيت اذا كان مستويا سطح قرأ الجمهور ببنيا للمفعول
مخففا وقرأ الحسن مشددا وقرأ علي بن ابي طالب وغيره خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل
وضم التاء فيها كلها قال المحلي قوله سطحت ظاهر في ان الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله
اهل الهيئة وان لم ينقض ركنا من اركان الشرع قال الكرخي هي كرة بطبعها وحقيقتها لكن الله اخرجها
عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها فاخرجها عما يقتضيه طبعها انتهى
وفي التكميل للشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي رح اهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى
والارض فراشا ودحاها وسطحناها سطح مستو والحكماء يثبتون كرويتها بالادلة الصحيحة فيتوهم
الخلاف ويدفع بان القدر المحسوس منها في كل بقعة سطح مستو فان الدائرة كلما عظمت قل انجذاب
اجزائها فاستوت اوهابا عتبار محسوسية اجزائها وكرويتها باعتبار معقولية جملتها انتهى ثم لما ذكر
تعالى دليل توحيده ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه وامره بان يذكرهم فقال فَذَكِّرْ
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فعظهم يا محمد وخوفهم ثم علل الامر بالتذكير فقال إِنَّمَا
أَنْتَ مُذَكِّرٌ اي ليس عليك الا ذلك وَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ حتى تكرههم على الايمان مصيطر
بالصاد والسين المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله كذا في الصحاح قال ابن عباس رضي
بجبار وعنه قال ثم نسخ ذلك فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ استثناء
منقطع من الهاء في عليهم اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكير فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ وهو
عذاب جهنم الدائم وقيل هو استثناء متصل من قوله فذكر اي فذكر كل احد الا من انقطع طمعك
عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر والاول اولى وانما قال الاكبر لانهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط
والقتل والاسر وقرأ ابن مسعود فانه يعذبه الله وقرأ ابن عباس وقتادة الا من تولى على انها الا التي للتنبيه
والاستفتاح إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ اي رجوعهم بعد الموت بالبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا
وقائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار للقدرة على الانتقام قال
ابن عباس اي مرجعهم يقال آب يؤب اذا رجع قرأ الجمهور ايابهم بالتخفيف وقرئ بالتشديد قال ابو حاتم

لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى قال الواحدي وأما أياهم بتشديد الياء فانه شاذ لم يجز احد غير الزجاج ثم ان عليا حسابهم يعني جزاءهم بعد بعثهم الينا بالبعث في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان لبعده منزلة الحساب في الشدة عن منزلة الاياب وعلى لتاكيد الوعيد لا الوجوب اذ لا يجب على الله شيء وجمع الضمير في اياهم وحسابهم باعتبار معنى من كما ان افراده في يعذبه باعتبار لفظها وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية التخط الموجب لمزيد العذاب ما لا يخفى

ع ٢ النصف

سورة الفجر هي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون وهي مكية بلا خلاف

في قول الجمهور قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله ومدنية في قول علي بن ابي طلحة اخرج النسائي عن جابر قال صلى معاذ صلوة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جئت اصلي معه فطول علي فانصرفت فصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتان انت يا معاذ ابن انت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم سبحانه بهذه الاشياء كما اقسم بغيرها من مخلوقاته واختلف في الفجر الذي اقسم الله به هنا فقيل هو الوقت المعروف وسمي فجرا لانه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وقال قتادة انه فجر اول يوم من شهر محرم لان منه تنفجر السنة وقال مجاهد يريد يوم النحر قال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله قرن الايام به فقال وليال عشر اي ليالي عشر من ذي الحجة وهو قال السدي والكلبي وقيل المعنى وصلوة الفجر او ورب الفجر والاول اولى وقال ابن عباس فجر النهار وعنه قال يعني صلوة الفجر وعنه قال هو المحرم فجر السنة وقد ورد في فضل صوم شهر محرم احاديث صحيحة ولكنها لا تدل على انه المراد بالآية لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله ان ربك لبالمرصاد قاله ابن الانباري وقيل محذوف لدلالة السياق عليه اي ليجازين

كل احد بما عمل او ليعذبن وقدره ابو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التي قبله اي والفجر الخ لايابهم الينا وحسابهم علينا وهذا ضعيف جدا واضعف منه قول من قال ان الجواب قبله هل في ذلك قسم لذي حجر وان هل بمعنى قد لان هذا لايصح ان يكون مقسما عليه ابدا وليال عشر هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها لانها افضل ليال السنة ولو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير فنكرت من بين ما اقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها وقال الضحاك انها العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم والعاشر هو يوم عاشوراء قرأ الجهوري ليال بالتنوين وعشر صفة لها وقرأ ابن عباس بالاضافة قيل والمراد ليالي ايام عشر وكان حقه على هذا ان يقال عشرة لان المعدود مذكر واجيب عنه بانه اذا حذف المعدود جاز الوجهان وعن جابر مرفوعا مي ليالي العشر من ذي الحجة اخرجه احمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن طلحة بن عبد الله انه دخل على ابن عمر هو وابو سلمة بن عبد الرحمن فدعاهم ابن عمر الى الغد يوم عرفة فقال ابو سلمة اليس هذه الليالي العشر التي ذكرها الله تعالى في القرآن فقال ابن عمر وما يدريك قال ما اشك قال بلى فاشكك فقد ورد في فضل هذه العشر احاديث وليس فيها ما يدل على انها المرادة بما في القرآن هنا بوجه من الوجوه قال ابن عباس هي العشر الاواخر من رمضان والشفع والوتر هما يعم كل الاشياء كلها شفعها ووترها كالكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس وقيل شفع الليالي ووترها وقال قتادة الشفع والوتر شفع الصلوة ووترها منها شفع ومنها وتر وقيل الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وعطية العوفي الشفع الخلق والوتر الله الواحد الصمد وبه قال محمد بن سيرين ومسروق والاصم وقتادة وقال الربيع بن انس وابو العالية هي صلوة المغرب فيها ركعتان والوتر الركعة وقال الضحاك الشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وبه قال عطاء وقيل هما آدم وحوى لان آدم كان وترا فشفع بحوى وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمان والوتر دركات النار وهي سبع وبه قال الحسين بالفضل وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر هو الله سبحانه وهو الشفع ايضا لقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم اية وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد

لا يخلو عنهما وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع جمع القران والوتر الافراد وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما سمي والوتر ما لم يسم وكل ذلك ما في غالب هذه الاقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطي والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير اليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهما معروفان واضحان فالشفع عند العرب الزوج والوتر الفرد فالمراد بالآية اما نفس العدد او ما يصدق عليه من المعدودات بانه شفع او وتر واذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية فان كان الدليل يدل على انه المراد نفسه دون غيره فذاك وان كان الدليل يدل على انه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعا من تناولها لغيره عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هو الصلوة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه احمد والترمذي وغيرهما وفي اسناده رجل مجهول وهو الراوي له عن عمران وقد روي عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين باسقاطه الرجل المجهول وقال الترمذي الرواية الاولى غريب لا نعرفه الا من حديث قتادة قال ابن كثير وعندي ان وقفه على عمران اشبه والله تعالى اعلم قال ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير هذا الحديث موقوفا على عمران فهذا يقوي ما قاله ابن كثير وعن جابر مرفوعا ان العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر اخرجه احمد والنسائي والبزار والحاكم وصححه وغيرهم وعن ابن عباس قال كل شيء شفع فهو اثنتان والوتر واحد وعن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الشفع والوتر فقال يوم ان وليلة يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة النحر وليلة جمع اخرجه الطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث اخرجه ابن جرير وعن ابن الزبير قال الشفع قول الله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والوتر اليوم الثالث وفي لفظ الوتر اوسط ايام التشريق وعن ابن عباس قال الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة قرأ الجمهور الوتر بفتح الواو وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسرها وهي قراءة ابن مسعود واصحابه وهما لغتان والفتح لغة قريش واهل الحجاز والكسر لغة تميم قال الاصمعي كل فرد وتر واهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد وحكى يونس عن ابن كثير انه قرأ بفتح الواو وكسر التاء

فيحتمل ان يكون لغة ثالثة ويحتمل انه نقل كسرة الراء الى التاء اجراء للوصل مجرى الوقف والليل
إذا يسر قرأ الجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ نافع وابو عمرو بحذفها
في الوقف واثباتها في الوصل وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب باثباتها فيهما قال الخليل تسقط
الياء منها موافقة لرؤس الآي قال الزجاج والحذف احب الي لانها فاصلة والفواصل تحذف منها اليات
قال الفراء قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسرة قبلها قال المبرد سألت الاخفش عن العلة في
اسقاط الياء من يسري فقال لا احيبك حتى تبيت على باب داري سنة فبت على باب داره
سنة فقال الليل لا يسري وانما يسرى فيه فهو مصروف عن جهته وكل ما انصرف عن جهته بخسته مراعاة له
الا ترى الى قوله وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها عن باغية وفي كلام الاخفش
هذا نظر فان صرف الشيء عن معناه بسبب من الاسباب لا يستلزم صرف لفظه عن بعض ما
يستحقه ولو صح ذلك للزم في كل المجازات العقلية واللفظية واللازم باطل فالملزوم مثله والاصل
ههنا اثبات الياء لانها لام الفعل المضارع المرفوع ولم تحذف لعلة من العلل الا لاتباع رسم
المصحف وموافقة رؤس الآي اجراء للفواصل مجرى القوافي ومعنى والليل اذا يسر اذا مضى كقوله
والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس وقيل معنى يسر يسار فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم وبهذا
قال الاخفش والقتيبي وغيرهما من اهل المعاني وعلى هذا نسبة السرى الى الليل مجاز والمراد
يسر فيه فهو مجاز في الاسناد باسناد ما للشيء للزمان كما يسند للمكان والظاهر انه مجاز مرسل
او استعارة وبالاول قال جمهور المفسرين وقال قتادة وابو العالية والليل اذا يسر اي جاء وقبل
وقال النخعي اي استوى قال عكرمة وقتادة والكلبي ومحمد بن كعب هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها
باجتماع الناس فيها لطاعة الله سبحانه وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها
بزيادة الثواب والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون اخرى قال ابن عباس اذا يسر اذا ذهب
ويسر ماخوذ من السرى وهو خاص بسير الليل يقال سريت الليل وسريت به وقد استعملت العرب
سرى في المعاني تشبيها لها بالاجسام مجازا واتساعا نحو طاف الخيال وذهب الهم واخذه الكسل والنشاط
وقول الفقهاء سرى الجرح الى النفس معناه دام المه حتى حدثت منه الموت وقطع كفه فسرى الساعد
اي تعدى اثر الجرح وسرى التحريم وسرى العتق بمعنى المتعدية وهذه الالفاظ جارية على السنة الفقهاء

وليس لها ذكر في الكتب المشهورة لكنها موافقة لما تقدم قال الفارابي سرى فيه السم والخمر ونحوها وقال السرقسطي سرى عرق السوء من الانسان وقال ابن القطاع سرى عليه الهم ليلا وسرى نهارا ذهب هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ هذا الاستفهام لتقرير تعظيم ما اقسم الله سبحانه به وتفخيمه من هذه الامور المذكورة والاشارة بقوله ذلك الى تلك الامور والتذكير بتاويل المذكور اي هل في ذلك المذكور من الامور التي اقسمنا بها قسم اي مقنع ومكتفى في القسم او مقسم به حقيق بان يؤكد الاخبار واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف لِّذِي حِجْرٍ اي عقل ولب فمن كان ذا عقل ولب علم ان ما اقسم الله به من هذه الاشياء حقيق بان يقسم به ومثل هذا قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الحسن لذي حجر اي لذي حلم وقال الزجاج لذي ستر من الناس وقال الجوهري الحجر العقل قال الفراء الكل يرجع الى معنى واحد لذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه قال والعرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها قال ابن عباس لذي حجر اي حجى وعقل وهي تذكر سبحانه على طريق الاستشهاد بما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار بسبب كفرهم وعنادهم لتكذيبهم للرسل تحذيرا للكفار في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم وتخويفا لهم ان يصيبهم ما اصابهم فقال أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ اي الم تعلم يا محمد علما يرقى العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قرأ الجمهور بتنوين عاد على ان يكون قوله إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ عطف بيان لعاد والمراد بعاد اسم ابيهم وارم اسم القبيلة او بدل منه وامتناع صرف ارم للتعريف والتانيث وقيل المراد بعاد اولاد عاد وهم عاد الاولى ويقال لمن بعدهم عاد الاخرى فيكون ذكر ارم على طريقة عطف البيان او البدل للدلالة على انهم عاد الاولى لا عاد الاخرى ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين اي اهل ارم او سبط ارم فان ارم هو جد عاد كما انه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقرأ الحسن وابو العالية باضافة عاد الى ارم وقرأ الجمهور ارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم وكرئ بفتح الهمزة والراء وقرأ معاذ بسكون الراء تخفيفا وقرئ باضافة ارم الى ذات العماد وقال مجاهد من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالارم التي هي الاعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتاخير اي والفجر وكذا لوكذا ان ربك لهالمرصاد الم تر اي الم

ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي

ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له وقد كان امر عاد وثمود مشهورا عند العرب لان ديارهم متصلة بديار العرب وكانوا يسمعون من اهل الكتاب امر فرعون وقال مجاهد ايضا ارم امة من الامم وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال معمر ارم اليه مجتمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت القبيلتان تنتسبان الى ارم قال ابو عبيدة هما عادان فالاولى ارم ومعنى ذات العماد ذات القوة والشدة ماخوذ من قوة الاعمدة كذا قال الضحاك وقال قتادة ومجاهد انهم كانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج الذبت رجعوا الى منازلهم وقال مقاتل ذات العماد يعني طولهم وكان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعا يقال رجل طويل العماد اي القامة قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا وقال مجاهد وقتادة ايضا كان عماد القوم هم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وقال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعمد قال في الصحاح والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث وقال عكرمة وسعيد المقبري هي دمشق وعن مالك مثله وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية قال ابن عباس يعني بالارم الهالك الا ترى انك تقول ارم مولد وذات العماد يعني طولهم مثل العماد وعن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم يأتي الى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على اي حي اراد فيهلكهم اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه وفي اسناده رجل مجهول لان معاوية بن صالح رواه عن حدثه عن المقدام الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ هذه صفة لعاد اي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة او صفة للقرية على قول من قال ان ارم اسم لقريتهم او للارض التي كانوا فيها والاول اولى ويدل عليه قراءة ابي بن كعب التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل الارم الهلاك قال الضحاك ارم ذات العماد اي اهلكهم فجعلهم رميما وبه قال شهر بن حوشب وقد ذكر جماعة من المفسرين ان ارم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وان حصباءها جواهر وترابها مسك وليس بها انيس ولا فيها ساكن من بني آدم وانها لا تزال تنتقل من موضع الى موضع تارة تكون باليمن وتارة تكون بالشام وتارة تكون بالعراق وتارة تكون بسائر البلاد وهذا الكذب بحت لا يخفى على من له ادنى تمييز وزاد الثعلبي في تفسيره فقال ان عبد الله

بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء وقد اصيب الاسلام واهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى من امثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترون على الكذب تارة على بني اسرائيل وتارة على الانبياء وتارة على الصالحين وتارة على رب العالمين وتضاعف هذا الشر وازداد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فادخلوا هذه الخرافات المختلقة والاقاصيص المخترعة والاساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا ومن اراد ان يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني قال الحافظ ابن كثير لا تغتر باذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد فان ذلك كله من خرافات الاسرائيليين من وضع الزنادقة منهم ليتخذ بوا بذلك عقول الجهلة من الناس فهذا ومثاله مختلق لا حقيقة له واما قوله تعالى فالمراد من الآية انما هو الاخبار عن هلاك القبيلة المسماة بعاد الذين ارسل الله فيهم هودا فكذبوه فاهلكهم الله وارغم عطف بيان لعاد او بدل منه للاعلام بانهم عاد الاولى فسموا باسم جدهم ارم كما يقال لبني هاشم هاشم لان عاد هو ابن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقيل ارم اسم بلادهم وارضهم فالتقدير بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسأل القرية اي اهلها وذات العماد ان كان صفة للقبيلة فمعناها انهم اصحاب خيام لها اعمدة يظعنون بها وهو كناية عن طول اجسامهم وتشبيهها بالاعمدة وان كان صفة للبلدة فمعناه انها ذات عمد من الحجارة وتعقب هذا القول بانه لو كان ذلك مرادا لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال لم يخلق فالقول الاول هو الصواب انتهى وبه قال شيخ الاسلام نجم الدين محمد الغيطي رحمه الله تعالى قال عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر بعد ذكر اغلاط المؤرخين وابعد من ذلك واعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة والفجر في قوله تعالى ارم ذات العماد فيجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بانها ذات عماد اي اساطين وبنى كذا وكذا ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين ويتقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها الخ وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت لها هي في وسط اليمن ومنازل عمرانه متعاقبا والاد لاء تقص طرقه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد

لعله كما قال ابن وهبان عن مالك والشيخ عبد العزيز الدباغ في تفسيره

من الاحاديث ولا من الامم ولو قالوا انها دست فيما درس من الاثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم
انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتمي الهذيان ببعضهم
الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسحر مزاعم كلها اشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين
على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين
فتعين ان يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا
على تلك الحكايات التي هي اشبه بالاقاصيص الموضوعة التي هي اقرب الى الكذب المنقولة في عداد
المضحكات والاقالعماد هي عماد الاخبية بل الخيام وان اريد بها الاساطين فلا يدع وصفهم بانهم
اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر عن قومهم لانه بناء خاص في مدينة معينة كما تقول
قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار واي ضرورة الى هذا المحمل البعيد الذي تمحل لتوجيهه
لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله تعالى عن مثلها البعد هاعن الصحة انتهى كلامه
ثم عطف سبحانه القبيلة الاخرة وهي ثمود على قبيلة عاد فقال وَثَمُودَ هم قوم صالح سموا باسم
جدهم ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف على انه اسم القبيلة ففيه التانيث
والتعريف وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لابيهم الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ اي قطعوه وقال ابن عباس
خرقوه والجوب القطع ومنه جاب البلاد اذا قطعها ومنه سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال
المفسرون اول من نحت الجبال والصخور ثمود فبنوا من الدنا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
ومنه قوله سبحانه وتنحتون من الجبال بيوتا امنين وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها ويجعلون تلك
الاثقاب بيوتا يسكنون فيها وقوله بِالْوَادِ متعلق بجابوا ويجوز ان يكون على انه حال من الصخر وهو واد
القرى وهو موضع بقرب المدينة من جهة الشام وقيل الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في
تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل منفرج بين جبال او تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا
فهو واد وقرأ الجمهور بالواد بحذف الياء وصلا ووقفا اتباعا لرسم المصحف وقرأ ابن كثير باثباتها فيهما
وقرئ باثباتها في الوصل دون الوقف وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ اي ذي الجنود الذين لهم خيام كثيرة
يشدونها بالاوتاد وجعل الجنود والجيوش والجموع انفسهم او تاد الانهم يشدون الملك كما تشد
الاوتاد الخيام وقيل كان له اوتاد يعذب الناس بها ويشدهم اليها والوتد بكسر التاء في لغة الحجاز

ص
بالواو بالياء
نقل الاسماء
لانها من باب
الواو ثم قال
الخفاجي ٢٠

وهي الفصحى وجمعه اوتاد وفتح التاء لغة واهل نجد يسكنون التاء فيقولون اوتاد كذا
في المصباح وقد تقدم بيان هذا في سورة ص قال ابن عباس الاوتاد الجنود الذين يشدون له
امره وقال ابن مسعود تلك فرعون لامرأته اربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ الموصول صفة لعاد وثمود وفرعون اي طغت كل طائفة منهم في بلادهم
وتمردت وعتت والطغيان مجاوزة الحد ويجوز ان يكون الموصول في محل رفع على انه خبر مبتدأ
محذوف اي هم الذين طغوا وفي محل نصب على الذم فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ بالكفر ومعاصي الله والجور
على عباده فَصَبَّ اي افرغ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ والقى على تلك الطوائف سَوْطَ عَذَابٍ وهو ما عذبهم به
قال الزجاج جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه ومعنى
سوط عذاب نصيب عذاب ونوع من العذاب فاهلكت عادا بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق
فكلا اخذنا بذنبه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم هو
بالنسبة الى ما اعده لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وقيل ذكر السوط
للدلالة على شدة ما نزل بهم وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به قال الفراء هي كلمة تقولها
العرب لكل نوع من انواع العذاب فحاصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى
لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم
ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض والاولى انه مجاز واستعارة
عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه واكملها اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام
اي عذبوا عذابا مولما دائما وقوله إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ تعليل لما قبله ايذانا بان كفار قومه
عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقد مر ما قيل من قال ان هذا جواب القسم وبه
قال ابن مسعود والاولى ان الجواب محذوف والمعنى انه يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه
عليه بالخير خيرا وبالشر شرا ففيه استعارة تمثيلية قال الحسن وعكرمة اي عليه طريق
العباد لا يفوته احد والمرصد والمرصاد الطريق وقد تقدم بيانه في سورة براءة وقد تقدم ايضا
عند قوله ان جهنم كانت مرصادا وقال ابن عباس بالمرصاد اي يسمع ويرى وقال ابن مسعود في

في الآية من وراء الصراط جسور جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل ولما ذكر سبحانه انه بالمرصاد ذكر ما يدل على اختلاف احوال عباده عند اصابة الخير وعند اصابة الشر وان مطمح انظارهم ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ اي اختبره وامتحنه بالنعم فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ بما اكرمه بالمال ووسع عليه رزقه فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ فرحا بما نال وسرورا بما اعطي غير شاكر لله على ذلك ولا خاطر ببال له ان ذلك امتحان له من ربه واختبار لحاله وكشف ما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها وأما هنا فالمجرد التأكيد لا التفصيل المجمل مع التأكيد وما في اذا ما زائدة وقوله فاكرمه ونعمه تفسير للابتلاء ومعنى اكرمن اي فضلني بما اعطاني من المال واسبغه علي من النعم ليزيدا ستحقاقي لذلك وكوني موضعا له وَدخلت الفاء فيه لتضمن اما معنى الشرط اي فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام قال الكلبي الانسان هنا هو الكافر ابي بن خلف وقال مقاتل نزلت في امية بن خلف وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وابي حذيفة بن المغيرة وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ اي اختبره وعامله معاملة من يختبره فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ اي ضيقه ولم يوسعه له ولا بسط له فيه فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث لانه لا كرامة عنده الا الدنيا والتوسع في متاعها والاهانة عنده الا فوتها وعدم وصوله الى ما يريد من زينتها فاما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته ويوفقه لعمل الآخرة ويحتمل ان يراد الانسان على العموم لعدم تيقظه ان ما صار اليه من الخير وما اصيب به من الشر في الدنيا ليس الا للاختبار والامتحان وان الدنيا باسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ولو كانت تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قرئ باثبات الياء في اكرمن واهانن وصلا ووقفا وقرئ باثباتها فيهما وقرئ بحذفها في الوصل والوقف اتباعا للرسم المصحف وموافقة لرؤس الآي والاصل اثباتها لانها اسم وقرأ الجمهور فقدر بالتخفيف وقرئ بالتشديد وهما لغتان وقرئ ربي بفتح الياء في الموضعين وبسكونها فيهما وقوله كَلَّا ردع للانسان القائل في الحالتين ما قال وزجر له فان الله سبحانه قد يوسع الرزق ويبسط النعم للانسان لا لكرامته ويضيقه عليه لا لاهانته بل للاختبار والامتحان كما تقدم ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال الفراء كلا في هذا

الوضع بمعنى انه لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله على الغناء والفقر ثم انتقل سبحانه من بيان سوء اقوال الانسان الى بيان سوء افعاله فقال كلا لا تكرمون اليتيم والالتفات الى الخطاب لقصد التوبيخ والتقريع على قراءة الجمهور بالفوقية وقرئ بالتحتية على الخبر وهكذا اختلفوا فيما بعد هذا من الافعال فقرأ الجمهور تحضون وتاكلون وتحبون بالفوقية على الخطاب فيها وقرئ بالتحتية فيها والجمع في هذه الافعال باعتبار معنى الانسان لان المراد به الجنس اي بل الكم افعال هي اقبح مما ذكر وهي انكم تتركون اكرام اليتيم فتاكلون ماله وتمنعونه من فضل اموالكم قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف ولا تحاضون على طعام المسكين قرأ الجمهور تحضون من حضه على كذا اي اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك ولا يامر به ولا يرشد اليه وقرئ تحاضون واصله تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا وقرئ تحاضون بضم التاء من الحض وهو الحث والطعام اما اسم مصدر اي على اطعام المساكين او اسم للمطعوم على حذف مضاف اي على بذل او على اعطاء طعام المسكين وتاكلون التراث اصله الوراث فابدلت التاء من الواو المضمومة كما في تجاه ووجاه والمراد به اموال اليتامى الذين يرثونه من قرابتهم وكذلك اموال النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون اموالهم اكلا لما اي اكلا شديدا او قيل معنى لما جمعا من قولهم لممت الطعام اذا اكلته جميعا قال الحسن ياكل نصيبه ونصيب اليتيم وكذا قال ابو عبيدة واصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشيء الممه لما جمعته ومنه قولهم لم الله شعثه اي جمع ما تفرق من امره قال الليث اللم الجمع الشديد ومنه جحفل ملموم وكتيبة ملمومة والاكل يلم الثريد فيجمعه ثم ياكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال ابن زيد هو اذا اكل ماله المال غيره فاكله ولا يفكر فيما اكل من خبيث وطيب قال ابن عباس لما سفا وعنه قال شديدا وكان حكم الارث عندهم من بقايا شريعة اسمعيل او ما هو معلوم لهم وثابت عندهم بطريق عاداتهم فلا يقال السورة مكية وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة الا من الشرع وتحبون المال حبا جما اي حبا كثيرا والجم الكثير يقال جم الماء في الحوض اذا كثر واجتمع والجمة المكان الذي يجتمع فيه الماء وقال ابن عباس حبا شديدا تزكر سبحانه الردع لهم والزجر فقال كلا ليس ما هكذا ينبغي ان يكون عملكم ثم استانف سبحانه فقال اذا دكت الارض دكا دكا اي هيه وعيد لهم بعد الردع والزجر والدك الكسر والدق والمعنى هنا انها زلزلت وحركت

تحريكا بعد تحريك قال ابن قتيبة دكت جبالها حتى استوت قال الزجاج اي تزلزلت فدك بعضها بعضا قال المبرد اي بسطت وذهب ارتفاعها قال والدك حط المرتفع بالبسط وقد تقدم الكلام على الدك في سورة الاعراف وفي سورة الحاقة والمعنى انها دكت مرة بعد اخرى ونصب دكا الاول على انه مصدر وكرر للفعل ردكا الثاني تاكيد للاول كذا قال ابن عصفور ويجوز ان يكون النصب على الحال والمعنى حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة كما يقال علمته الحساب بابا بابا وعلمته الخط حرفا حرفا والمعنى انه كرر الدك عليها حتى صارت هباء منبثا قال ابن عباس يعني تحريكها وجاء ربك اي جاء امره وقضاؤه وظهرت آياته وقيل المعنى انها زالت الشبه في ذلك اليوم وظهرت المعارف وصارت ضرورية كما يزول الشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقيل جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالامر والتدبير من دون ان يحمل الى احد من عباده شيئا من ذلك وقيل تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه وقيل جاء امر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل غير ذلك والحق ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة سلف الامة وائمتها وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها بل اجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تاويل ولا تحريف ولا تعطيل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها والتاويل ديدن المتكلمين ودين المتاخرين وهو خلاف ما عليه جمهور السلف الصالحين وقوله والملك صفا صفا منتصب على الحال اي مصطفين او ذوي صفوف قال عطاء يريد صفوف الملائكة واهل كل سماء صف على حدة قال الضحاك اهل كل سماء اذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكونون سبعة صفوف وجاء يومئذ منصوب بجهنم والقائم مقام الفاعل قوله بجهنم وجوز مكي ان يكون يومئذ هو القائم مقام الفاعل وليس بذاك قال الواحدي قال جماعة المفسرين جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه يقول يارب نفسي نفسي وهذا الذي نقله عن جماعة المفسرين قد اتى مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام

مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وعلى هذا فالاية مجرية على ظاهرها وقيل المعنى انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين والاول اولى يومئذ بدل من يومئذ الذي قبله اي يوم جيء بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ ويذكر ما فرط منه ويندم على ما قدمه في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ان قوله يومئذ الثاني بدل من قوله اذا دكت والعامل فيهما هو قوله يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي ومن اين له التذكرة والاتعاظ وقيل هو على حذف مضاف اي ومن اين له منفعة الذكرى قال الزجاج يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي بدل اشتمال من يتذكر او مستانف جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا يقول الانسان فقيل يقول الخ والمعنى انه يتمنى انه قدم الخير والعمل الصالح لاجل حياته والمراد حياة الاخرة فانها الحيوة بالحقيقة لانها دائمة غير منقطعة وقيل ان اللام بمعنى في والمراد حيوة الدنيا اي يا ليتني قدمت الاعمال الصالحة في وقت حياتي في الدنيا انتفع بها يوم القيامة والاول اولى قال الحسن علم الله انه صادف حيوة طويلة لا موت فيها فيومئذ اي يوم يكون زمان ما ذكر من الاحوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد ولا يوثق كوثاقه لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له والضميران في عذابه ووثاقه لله عز وجل وهذا على قراءة الجمهور يعذب ويوثق مبنيين للفاعل وقرئ على البناء للمفعول فيهما فيكون الضميران راجعين الى الانسان اي لا يعذب كعذاب ذلك الانسان احد ولا يوثق كوثاقه احد والمراد بالانسان الكافر اي لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر وقيل المراد به ابي بن خلف قال الفراء هيه المعنى انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لمتانته في الكفر والعناد وقيل المعنى انه لا يعذب مكانه احد ولا يوثق مكانه احد فلا تؤخذ منه فدية وهو كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى التوثيق واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة المبني للمفعول وقالا تكون الهاء في الموضعين ضمير الكافر لانه معروف انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر احد وقال ابو علي الفارسي يجوز ان يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة اي لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا الكافر ولما فرغ سبحانه من حكاية احوال الاشقياء ذكر بعض احوال السعداء فقال يا ايتها النفس المطمئنة والقائل هو الله سبحانه اكراما للمؤمن كما كلم

موسى او الملك وانما يقال لها ذلك عند الموت او البعث او عند دخول الجنة والنفس المطمئنة هي الساكنة الموقنة بالايمان وتوحيد الله الواصلة الى نور اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب قال الحسن هي المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما اخطأها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطئها وقال مقاتل هي الآمنة المطمئنة وقال ابن كيسان المطمئنة بذكر الله تعالى وقيل المخلصة قال ابن زيد المطمئنة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث وقال ابن عباس المطمئنة المؤمنة ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ راضية بالثواب الذي اعطاك مَّرْضِيَّةً عنده والمعنى ارجعي الى الله وقيل الى موعده وقيل الى امره وقال عكرمة وعطاء الى جسدك الذي كنت فيه واختاره ابن جرير ويدل على هذا قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي بالافراد والاول اولى قال العقيلي هذا وان كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت في القيامة الى الله بسبب هذا الامر قال ابن عباس نزلت هذه الآية وابو بكر جالس فقال يا رسول الله ما احسن هذا فقال اما انه سيقال لك هذا اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة وعن سعيد بن جبير نحوه مرسلا وعن ابي بكر الصديق نحوه واخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله يا ايتها النفس المطمئنة قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وعنه قال المطمئنة المصدقة وعنه قال ترد الارواح يوم القيامة في الاجساد وعنه قال راضية بما اعطيت من الصواب مرضية عنها بعملها فَادْخُلِي فِي عِبَادِي المؤمنين اي في زمرة عبادي الصالحين وكوني من جملتهم وانتظمي في سلكهم وهذا يشعر بان النفس بمعنى الذات ويجوز ان تكون بمعنى الروح كما اشار له البيضاوي وَادْخُلِي جَنَّتِي معهم قيل انه يقال لها ارجعي الى ربك عند خروجها من الدنيا ويقال لها ادخلي في عبادي وادخلي جنتي يوم القيامة واتى بالفاء فيما لم يتراخ عن الموت وبالواو فيما يتراخى عنه والمراد بالآية كل نفس مطمئنة على العموم وان السورة مكية ولا ينافي ذلك نزولها في نفس معينة فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس في الطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا ادري من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الآية اخرجه ابن ابي حاتم والطبراني وعن عكرمة نحوه اخرجه ابو نعيم في الدلائل

ع ٣

سورة البلد ويقال سورة لا اقسم وهي عشرون اية وهي مكية بلا خلاف

عن ابن عباس قال نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد قد تقدم الكلام على هذا في تفسير لا اقسم بيوم القيامة ولا زائدة ومن زيادة لا في الكلام في غير القسم قول الشاعر ۞ ذكرت ليلى فاعترتني صبابة + وكاد عميد القلب لا يتصدع + اي يتصدع ومن ذلك قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد قال الواحدي اجمع المفسرون على ان هذا اقسم بالبلد الحرام وهو مكة وبه قال ابن عباس وقرأ الجمهور لا اقسم وقرئ لاقسم من غير الف وقيل هو نفي للقسم والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذ لم تكن فيه بعد خروجك منه وقال مجاهد ان لا رد على من انكر البعث ثم ابتدأ فقال اقسم والمعنى ليس الامر كما تحسبون والاول اولى والمعنى اقسم بالبلد الحرام وقال الواسطي ان المراد بالبلد المدينة وهو مع كونه خلاف اجماع المفسرين هو ايضا مدفوع بكون السورة مكية لا مدنية ومكة جعلها الله تعالى حرما امنا ومثابة للناس وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب وشرفه بمقام ابراهيم وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل وغيرها لما اجتمعت في مكة دون غيرها اقسم بها وانت حل بهذا البلد يذكر ويؤنث والجمع بلدان وبلاد البلد وجمعها بالاحد مثل كلبة وكلاب وقال الواحدي الحل والحلال والمحل واحد وهو ضد المحرم احل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقد قال صلى الله عليه وسلم لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وقال والمعنى ان الله تعالى لما ذكر القسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع كونها حراما فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحلها له حتى يقاتل فيها وفتحها على يديه فهذا وعد من الله تعالى بان يحلها له حتى يكون بها حلالا انتهى فالمعنى وانت حل بهذا البلد في المستقبل كما في قوله انك ميت وانهم ميتون قال النسفي رح وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة مكية بالاتفاق وان الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى قال مجاهد المعنى ما صنعت فيه من شيء فانت حل قال قتادة انت

حل به لست بآثم يعني انك غير مرتكب في هذا البلد ما يجرم عليك ارتكابه لانك المشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصي وقيل المعنى لا اقسم بهذا البلد وانت حال به ومقيم فيه وهو محلك فعلى القول بان لا نافية غير زائدة يكون المعنى لا اقسم به وانت حال به فانت احق بالاقسام بك وعلى القول بانها زائدة يكون المعنى اقسم بهذا البلد الذي انت مقيم به تشريفا لك وتعظيما لقدرك لانه قد صار باقامتك فيه عظيما شريفا وزاد على ما كان عليه من الشرف والعظم ولكن هذا اذا تقرر في لغة العرب ان لفظ حل يجيء بمعنى حال وكما يجوز ان تكون الجملة معترضة يجوز ان تكون في محل نصب على الحال قال ابن عباس في الآية يعني بذلك النبي صلى الله عليه وسلم احل الله له يوم دخل مكة ان يقتل من شاء ويستحيي من شاء فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو آخذ باستار الكعبة فلم يحل لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل فيها ما فعل حراما حرمه الله فاحل الله ما صنع باهل مكة وعنه فيها قال انت يا محمد يحل لك ان تقاتل فيه وما غيرك فلا وعن ابي برزة الاسلمي قال نزلت هذه الآية في خرجت فوجدت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام اخرجه ابن مردويه وقوله ووالد وما ولد عطف على البلد قال قتادة ومجاهد والضحاك والحسن وابو صالح ووالد اي آدم وما ولد اي وما تناسل من ولده ومثله عن ابن عباس اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والعقل والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والاولياء والصالحون والدعاة الى الله والانتصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لاجلهم وامر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها فيكون قد اقسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته اما الطالحون فكانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهائم وفائدة التنكير في والد التعجب والمدح قاله الرازي وقال ابو عمران الجوني الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد ذريته قال الفراء ان ما عبارة عن الناس كقوله ما طاب لكم وقيل الوالد ابراهيم والولد اسمعيل ومحمد صلى الله عليهم وسلم وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وكانهما جعلا ما نافية وهو بعيد ولا يصح ذلك الا باضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد ولا يجوز اضمار الموصول عند البصريين وقال عطية العوفي هي عام في كل

والد ومولود من جميع الحيوانات واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس الوالد الذي يلد وما ولد العاقر لا يلد من الرجال والنساء وقد استدل بعض الجهال بهذه الآية على جواز الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا تحريف لمعاني كتاب الله لم يذهب اليه احد من المفسرين بل هو خلاف اجماع المسلمين لقد خلقنا الانسان في كبد هذا جواب القسم والانسان هو هذا النوع الانساني والكبد الشدة والمشقة يقال كابدت الامر قاسيت شدته والانسان لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت قال ذو النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء واصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن اذا اشتد وغلظ ويقال كبد الرجل اذا وجعت كبده ثم استعمل في كل مشقة وشدة قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال ايضا يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لا يخلو عن احدهما قال الكلبي نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يقال له ابو الاشدين وكان يأخذ الاديم العكاظي ويجعله تحت رجليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته ويكون معنى في كبد على هذا في شدة خلق وقيل معنى في كبد انه جرئ القلب غليظ الكبد وقال ابن عباس في كبد في اعتدال واستقامة وعنه قال في نصب وعنه قال في شدة وقال ايضا في شدة خلق ولادته ونبت اسنانه ومعيشته وختانه وقال ايضا خلق الله كل شيء يمشي على اربعة الا الانسان فانه خلق منتصبا وقال ايضا منتصبا في بطن امه انه قد وكل به ملك اذا نامت الام او اضطجعت يرفع رأسه لولا ذلك لغرق في الدم والكبد الاستواء والاستقامة فهذا المتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل جلاله دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا قال اليماني لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال العلماء اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا اقمط قماطا وشد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت اسنانه وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام التي هو اشد من الفطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتجمل فيه والترويح ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدار

وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها أو نوائب يطول ايرادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في جنة واما في نار فلو كان الانسان المسكين عاقلا اختار هذه الشدائد ودل على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره ذكره القرطبي

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ اي أيظن ابن آدم ان لن يقدر عليه ولا ينتقم منه احد او يظن ابو الاشدين ان لن يقدر عليه احد وأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مقدر ثم اخبر سبحانه عن مقال هذا الانسان فقال يَقُولُ مفتخرا أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا اي كثيرا مجتمعا بعضه على بعض قال الليث مال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته قال الكلبي ومقاتل يقول اهلكت في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا كثيرا وفي ابي السعود يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالي ومفاخر وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم قرأ الجمهور لبدا بضم اللام وفتح الباء مخففا وقرئ بضمهما بالتخفيف وقرئ بضم اللام وفتح الباء مشددا قال ابو عبيدة لبد بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال القراء واحدته لبدة والجمع لبد وقد تقدم بيان هذا في سورة الجن أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ استفهام على سبيل الانكار اي يظن انه لم يعاينه احد قال قتادة يظن ان الله سبحانه لم يره ولا يسأله عن ماله من اين كسبه واين انفقه وقال الكلبي كان كاذبا لم ينفق ما قال فقال الله ايظن ان الله لم ير ذلك منه فعل او لم يفعل انفق او لم ينفق ثم ذكر سبحانه ما انعم عليه ليعتبر فقال أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ يبصر بهما المرئيات شققناها وهو في الرحم في ظلمات ثلث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيئا وقدرنا البياض والسواد والسمرة والزرقة وغير ذلك على ما ترون وأودعناها البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها وَلِسَانًا ينطق به ويعبر عما في ضميره وَشَفَتَيْنِ

ل نفخ الفرد وهو الشين المعجمة وبه تشريف الرأس للاصبهاني والاشدين بالاضافة كما في القاموس ومن يقال فيه الحارث بن نوفل بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب النسابون وفي بعض نسخ تقريب الحافظ ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب بحذف التفاصيل والاشدين بصيغة التثنية وفي بعض نسخ الاشدين بصيغة الجمع والاسم لا يتعدد كله من القاري ١٢ منه

ليستر بهما ثغره وفاه وليستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال الزجاج المعنى
المرتفعل به ما يدله على ان الله قادر على ان يبعثه والشفة محذوفة اللام واصلها شفهة
بدليل تصغيرها على شفيهة وجمعها على شفاه نظيره سنة في احدى اللغتين وشافهته
اي كلمته من غير واسطة ولا تجمع بالالف والتاء استغناء بتكسيرها عن تصحيحها وهَدَيْنَٰهُ
النَّجْدَيْنِ النجد الطريق فان ارتفاع قال المفسرون بينا له طريق الخير وطريق الشر قال الزجاج المعنى
المرغبه طريق الخير وطريق الشر وبينتين كتبين الطريقين العاليتين وقال ابن عباس وعكرمة
وسعيد بن المسيب والضحاك النجدان الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه والاول
اولى واصل النجد المكان المرتفع وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة
فالنجدان الطريقان العاليان قال ابن مسعود في الاية سبيل الخير والشر وقال ابن عباس الهدى
والضلالة وعنه نحو قول ابن مسعود وعن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم هما نجدان فما جعل نجد الشر احب
اليكم من نجد الخير اخرجه ابن ابي حاتم تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه
يحيى بن معين وقال الامام احمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث وقال احمد تركت حديثه
لاضطرابه وقد روى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما اعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه محمد
البصري لا يشبه حديث انس وروي نحوه عن الحسن وقتادة مرسلا ويشهد له ما اخرجه الطبراني عن ابي امامة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس انهما نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل نجد الشر احب اليكم من
نجد الخير ويشهد له ايضا ما اخرجه ابن مردويه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما هما نجدان
نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال الشهاب لا يخفى انه ذكره في سياق
الامتنان والمراد الامتنان عليه بان هداه وبين له الطريق فسلكها تارة وعدل عنها اخرى فلا امتنان
عليه بالشر فلذا جعله الامام بمعنى قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ووسط مكان
الخير بالرفعة والنجدية ظاهر جدا لان الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضيض الشقوة فهو على
سبيل التغليب او على توهم المخيلة ان فيه صعودا فتدبر انتهى قلت الامتنان بالهداية الى سبيل الشر
يصح بمعنى ان الله عرف الانسان طريق الشر ليجتنبه وطريق الخير ليسلكه ولو لم يعرفه سبيل الشر لما
اجتنبه والاشياء تعرف باضدادها فالامتنان بهدايته اليه ثابت عقلا والمعنى بينا وعرفنا

ان سلوك الاول ينجي وان سلوك الثاني يردي وان سلوك الاول ممدوح وان سلوك الثاني
مذموم فالذي ذكره الشهاب تدفعه الاحاديث المرفوعة المتقدم ذكرها فلا اقتحم العقبة
الاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية يقال منه قحم في الامر قحوما اي رمى بنفسه في
الامر من غير روية وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه من غير رؤية والقحمة بالضم المهلكة والعقبة
في الاصل الطريق الصعب التي في الجبل سميت بذلك لصعوبة سلوكها وهو مثل ضربه الله سبحانه لمجاهدة
النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة قال الفراء والزجاج ذكر سبحانه
هنا لامرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام اخر
كقوله فلا صدق ولا صلى وانما افرد ههنا لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين
امنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن قال المبرد وابو علي الفارسي ان لا ههنا بمعنى لم
اي فلم يقتحم وروي نحو ذلك عن مجاهد فلهذا احتج الى التكرير وقيل هو جار مجرى الدعاء كقولهم لا نجى
قال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام هنا الاستفهام الذي بمعنى الانكار تقديره افلا
اقتحم العقبة او هلا اقتحم العقبة قال ابن عمر في العقبة جبل زلال في جهنم وقال ابن عباس العقبة
النار وعنه قال عقبة بين الجنة والنار وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله
وقال الحسن هي والله عقبة شديدة مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشيطان وقيل العقبة
خلاصه من هول المعرض وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط الذي يضرب على جهنم
كحد السيف وعن عايشة قالت لما نزل فلا اقتحم العقبة قيل يا رسول الله ما عند احدنا ما يعتق
الا ان عند احدنا الجارية السوداء تخدمه فلو امرناهن بالزنا فجئن بالاولاد فاعتقناهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امتنع بسوط في سبيل الله احب الي من ان امر بالزنا ثم اعتق الولد اخرجه
الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي واخرجه ابن جرير عنها بلفظ العلاقة سوط في سبيل الله اعظم
اجرا من هذا ثم بين سبحانه العقبة فقال وما ادراك ما العقبة اليها اي شيء اعلمك ما
اقتحامها والمعرف باللام اذا اعيد كان الثاني عين الاول فتكون الجملة معترضة مقحمة لبيان
العقبة مقررة لمعنى الابهام والتفسير فان فلا اقتحم العقبة مفسرة بقوله فك رقبة والمفسر مشفع
والمفسر كذلك لاتحادهما في الاعتبار كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا قال مجي السنة

ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة قال صاحب الفرائد هذا تنبيه على ان النفس لا توافق صاحبها في الانفاق لوجه الله البتة فلا بد من التكليف وتحمل المشقة والذي توافقه النفس هو الافتخار والمباهاة فكأنه تعالى ذكر هذا المثل بازاء ما قال اهلكت مالا لبدا والمراد الانفاق المفيد وان ذلك الانفاق لم يصر انتهى وفي التمثيل بالعقبة بعد ذكر النجدين ترشيح ثم التقريع عليه بالاقتحام قرينة لتلك المبالغة ذكره الكرخي ومعنى فك رقبة اعتاق رقبة وتخليصها من اسار الرق وكل شيء اطلقته فقد فككته ومنه فك الرهن وفك الكتاب فقد بان سبحانه ان العقبة هي هذه القرب المذكورة التي تكون بها النجاة من النار قرئ فك رقبة على انه فعل ماض وهكذا اطعم وقرئ فك واطعام على انهما مصدران وعلى الاولى المعنى فلا فك ولا اطعم والفك في الاصل حل القيد سمي العتق فكا لان الرق كالقيد وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب باحاديث كثيرة منها ما في الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من النار حتى الفرج بالفرج أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع قال الراغب يقال منه سغب الرجل سغبا وسغبا فهو سغبان وسغبان والمسغبة مفعلة منه قال النحاس في يوم ذي مسغبة اي عزيز فيه الطعام قال ابن عباس مسغبة مجاعة وعنه جوع وقيد الاطعام بكونه في هذا اليوم لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر قرأ الجمهور بالجر على انه صفة ليوم ويتيما هو مفعول اطعام وقرأ الحسن بالنصب على انه مفعول اطعام اي يطعمون ذا مسغبة ويتيما بدل منه يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ اي قرابة قاله ابن عباس يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي واليتيم في الاصل الضعيف يقال يتم الرجل اذا ضعف واليتيم عند اهل اللغة من لا اب له وقيل هو من لا اب له ولا ام وفي قول قيس بن الملوح شكوت الى الله اشكو فقد ليلى كما اشكو الى الله فقد الوالدين يتيم + أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ اي لا شيء له كأنه لصق بالتراب لفقره وليس له ماوى الا التراب يقال ترب الرجل يترب ربا ومترية اذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرا قال مجاهد هو الذي لا بقيه من التراب لباس ولا غيره

وقرئ فك رقبة او اطعام على انهما مصدران

وقال قتادة هوذ والعيال وقال عكرمة هو المديون وقال ابو سنان هوذ والزمانة وقال ابن جبير هو الذي ليس له احد وقال عكرمة ايضا هو البعيد التربة الغريب عن وطنه وبه قال ابن عباس والاول اولى وعليه قول الهذلي ؎ وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا + سفكنا دماء البدن في تربة الحال + وعن ابن عباس ايضا قال هو المطروح الذي ليس له بيت وفي لفظ هو الذي لا يقيه من التراب شيء وفي لفظ هو اللازق بالتراب من شدة الفقر وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال هو الذي مأواه المزابل اخرجه ابن مردويه والمترية والمقربة والمسغبة مفعلات اي كل واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة ثم كان من الذين امنوا عطف على المنفي بلا وجاء بثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله وفيه دليل على ان هذه القرب انما تنفع مع الايمان وقيل التراخي في الذكر وقيل المعنى ثم كان من الذين امنوا بان هذا نافع لهم وقيل المعنى انه اتى بهذه القرب لوجه الله وتواصوا بالصبر معطوف على امنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على عباد الله فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين واستلزم من فعل الخير بالصدقة ونحوها قال ابن عباس يعني بذلك رحمة الناس اولئك الموصوفون بتلك الصفات هم اصحاب الميمنة اي اصحاب جهة اليمين او اصحاب اليمن او الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل غير ذلك مما قدمنا ذكره في سورة الواقعة والذين كفروا بايتنا اي بالقرآن او بما هو اعم منه فتدخل الايات التنزيلية والايات التكوينية التي تدل على الصانع سبحانه هم اصحاب المشأمة اي اصحاب الشمال او اصحاب الشوم او الذين يعطون كتبهم في شمائلهم او غير ذلك مما تقدم عليهم نار مؤصدة اي مطبقة مغلقة يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته واطبقته قرأ الجمهور مؤصدة بالواو وقرئ بالهمزة وهما لغتان والمعنى واحد قال ابن عباس مغلقة الابواب وقال ابو هريرة مطبقة

سورة الشمس وهي خمس عشرة اية ومكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه

كان يقرأ في صلوة العشاء والشمس وضحيها واشباهها من السور اخرجه احمد والترمذي وحسنه والنسائي وقد تقدم حديث جابر في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحيها والليل اذا يغشى وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يقرأ في صلوة الصبح بالليل اذا يغشى والشمس وضحيها اخرجه الطبراني وعن عقبة بن عامر قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بالشمس وضحيها والضحى اخرجه البيهقي في الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها اقسم سبحانه بهذه الامور وله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته وقال قوم ان القسم بهذه الامور ونحوها مما تقدم ومما سيأتي هو على حذف مضاف اي ورب الشمس وهكذا سائرها ولا محوج الى هذا ولا موجب له وقوله وضحيها هو قسم ثان وقال الرازي المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي وقد اقسم تعالى بانواع مخلوقاته المشتملة على المنافع العظيمة لبني آدم المكلف فيها ويشكر عليها لان ما اقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب واقسم الله في هذه السورة بسبعة اشياء الى قوله قد افلح من زكيها فاقسم بالشمس وضحيها فان اهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر اثر الصبح صارت الاموات احياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه احوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار اهل الجنة فيها انتهى وقال مجاهد اي ضوءها واشراقها واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون عند ارتفاعها وكذا قال الكلبي وقال قتادة ضحيها نهارها كله قال الفراء الضحى هو النهار وقال المبرد اصل الضحى الصبح وهو نور الشمس وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك قال القرطبي الضحى مؤنثة ويقال ارتفعت الضحى فوق الضحوة وقد تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انها اسم فعل نحو صه ومه وتغر قال ابو الهيثم الضحى نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض واصله الضحي فاستثقلوا الياء فقلبوها الفا فقيل والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعد ذلك قليلا فاذا ازداد فهو الضحاء بالمد قال المبرد الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فابدلت الالف والواو من الحاء واختلف في جواب القسم ما هو فقيل هو قوله قد افلح من زكيها قاله الزجاج وغيره وحذفت اللام لان الكلام قد طال فصار طوله عوضا منها وقيل محذوف اي لتبعثن

وقيل تقديره ليبعثن الله على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قوله قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو على التقديم والتأخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها والشمس وضحاها والاول اولى والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك بان طلع بعد غروبها يقال تلى يتلو تلوا اذا تبع قال المفسرون وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور قال الزجاج تلاها حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور يعني اذا كمل ضوءه فصار تابعا للشمس في الانارة يعني كان مثلها في الاضاءة وذلك في الليالي البيض وقيل اذا تلى طلوعه طلوعها قال قتادة ان ذلك ليلة الهلال اذا سقطت رُئي الهلال قال ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء تلاها اخذ منها يعني ان القمر يأخذ من ضوء الشمس قال ابن عباس تلاها تبعها والاولى ان يفسر تلوه لها بكون ضوئه يخلفها ويجيء بعد مغيبها سواء كان ذلك من غير تراخ وهو في النصف الاول من الشهر او بعد مدة وذلك في النصف الثاني من الشهر فان القمر اذا طلع في نصف الليل يقال انه تلاها في ظهور الضوء اي خلفها فيه ولو بعد تخلل مدة ظلمة قليلة تأمل والنهار اذا جلاها اي اضاءها قاله ابن عباس وذلك ان الشمس عند انبساط النهار تجلي تمام الانجلاء فكانه جلاها مع انها التي تبسطه وقيل الضمير عائد الى الظلمة اي جلى الظلمة وان لم يجر للظلمة ذكر لان المعنى معروف قال الفراء تقول اصبحت باردة اي اصبحت غداتنا باردة والاول اولى ومنه قول قيس بن الخطيم تجلت لنا كالشمس تحت غمامة + بدى حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل المعنى جلى ما في الارض من الحيوانات وغيرها بعد ان كانت مستترة في الليل وقيل جلّى الدنيا وقيل جلى الارض والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس فيذهب بضوءها فتغيب وتظلم الآفاق وقيل يغشى الآفاق وقيل الارض وان لم يجر لهما ذكر لان ذلك معروف والاول اولى قال الخطيب وجيء به مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتى به ماضيا لكان التركيب اذا غشيها انتهى فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع والمعنى يغطيها بظلمته اي فيزيل ضوءها فالنهار يجليها او يظهرها والليل يغطيها ويزيل ضوءها فالضمير في الفواصل من اول السورة الى هنا للشمس وهذه

الاقسام الاربعة ليست الا الشمس في الحقيقة لكن بحسب اربعة اوصاف اولها الضوء الحاصل منها
عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان وتصرف الانسان للمعاش ومنها
تلو القمر للشمس باخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بحيث يعم النهار ومنها خروجها
في اثناء الليل وتمامها قليلا في عظمة الشمس انتقل منها الى عظمة خالقها فسبحانه ما اعظم شانه والسماء وما بنيها يجوز ان تكون
ما مصدرية اي والسماء وبنيانها ويجوز ان تكون موصولة وبه قال ابو البقاء اي والذي بناها
وايثار ما على من لارادة الوصفية لقصد التفخيم كانه قال والقادر العظيم الشان الذي بناها
ورجح الاول الفراء والزجاج ولا وجه لقول من قال ان جعلها مصدرية مخل بالنظم ورجح الثاني
ابن جرير قال ابن عباس الله بنا السماء والارض وما طحيها الكلام في ما هذه كالكلام في التي قبلها
ومعنى طحيها بسطها على الماء كذا قال عامة المفسرين كما في قوله دحيها قالوا طحيها ودحيها واحد
اي بسطها من كل جانب والطحو البسط وقيل معنى طحيها قسمها وقيل خلقها
والاول اولى والطحو ايضا الذهاب قال ابو عمرو بن العلا يطحى الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري
اين طحى ويقال طحى به قلبه اذا ذهب به ونفس وما سويها الكلام في ما هذه كما تقدم ومعنى سويها
خلقها وانشأها وسوى اعضاءها وعدلها على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من
الجواهر والاعراض والمعاني وغير ذلك قال عطاء يريد جميع ما خلق من الانس والجن والتنكير للتفخيم او
للتكثير وقيل المراد نفس آدم فالهمها فجورها وتقواها اي عرفها وافهمها حالها وما فيها من الحسن
والقبح والالهام القاء الشيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن فاطلاقه على الفجور
تسامح وقد دفع بجعل الالهام على مطلق البيان قال مجاهد عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة
والمعصية قال الفراء فالهمها عرفها طريق الخير والشر كما قال وهديناه النجدين قال محمد بن كعب
اذا اراد الله بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا اراد به الشر الهمه الشر فعمل به قال ابن زيد جعل
فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار هذا الزجاج وحمل الالهام على
التوفيق والخذلان قال الواحدي وهذا هو الوجه لتفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف
دون الالهام والالهام ان يوقع في قلبه ويجعل فيه واذا اوقع الله في قلب عبد شيئا فقد الزمه
ذلك الشيء قال وهذا صريح في ان الله خلق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره قال ابن عباس في الآية

علمها الطاعة والمعصية وعنه قال الهمها من الخير والشر وعنه قال الزمها فجورها وتقواها
واخرج احمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمران بن حصين
ان رجلا قال يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شئ قد قضي عليهم ومضى
قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم واتخذت عليهم به الحجة قال بل شئ قد قضي
عليهم قال فلم يعملون اذن قال من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها وتصدق
ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وسيأتي في السورة التي بعد هذه
نحو هذا الحديث واخرج ابن ابي شيبة واحمد والنسائي عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اتي نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها و
اخرجه ابن المنذر والطبراني وابن مردويه من حديث ابن عباس وزاد كان اذا تلا هذه
الاية ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قال فذكره وزاد ايضا وهو في الصلوة واخرج
حديث زيد ارقم مسلم ايضا واخرج نحوه احمد من حديث عايشة قد افلح من زكاها اي قد
فاز من زكى نفسه وانماها واعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب وقد قدمنا
ان هذا جواب القسم على الراجح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام اي والاصل
فيه لقد وتبعه القاضي قال الشهاب وعند النحاة ان الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم
معموله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد لا يجوز الاقتصار على احداهما الا عند طول الكلام
او في ضرورة واصل الزكاء النمو والزيادة ومنه زكى الزرع اذا كثر قال ابن عباس يقول قد
افلح من زكى الله نفسه اي بالطاعة وقد خاب من دسّاها اي خسر من اضلها واغواها
بالمعصية قال اهل اللغة دسّاها اصله دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشئ في الشئ
فمعنى دسسها في الاية اخفاها واخملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح وكانت اجواد
العرب تنزل الاماكنة المرتفعة ليشتهر مكانها فتقصدها الضيوف وكانت لئام العرب
تنزل الهضاب والاماكنة المنخفضة ليخفى مكانها عن الوافدين وقال ابن الاعرابي المعنى دس
نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قال ابن عباس قد خاب من دس الله نفسه
وعنه قال دسّاها يعني مكرها وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الاية افلح نفس

زكيها الله وخابت نفس خيبها الله من كل خير اخرجه ابو حاتم وابو الشيخ وابن مردويه الا انهما
من طريق جويبر عن الضحاك وجويبر ضعيف وتكرير فعل فيه لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونها و
الايذان بتعلق القسم به ايضا الصالة كذبت ثمود رسولها صالحا بطغوها اثر الفعل لضعف اثر
تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيته والطغوى اسم من الطغيان كالدعوى
قال الواحدي قال المفسرون معنى الطغيان حملهم على التكذيب والطغيان مجاوزة الحد في المعاصي
والباء للسببية كما قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وقيل بطغوها اي بعذابها الذي وعدت به
وسمي العذاب طغوى لانه طغى عليهم فتكون الباء على هذا للتعدية وتبدل في الكشاف بانها
للاستعانة مجازا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقال محمد بن
كعب بطغواها اي بأجمعها قرأ الجمهور بفتح الطاء وهو مصدر بمعنى الطغيان وانما قلبت الياء واوا
للفرق بين الاسم والصفة لانهم يقلبون الياء في الاسماء كثيرا نحو تقوى وسروى وقرئ بضم
الطاء وهو مصدر ايضا كالرجعى والحسنى ونحوهما وقيل هما لغتان واختير التعبير بالطغوى
لانه اشبه برؤس الآيات قال ابن عباس اسم العذاب الذي جاءها الطغوى فقال اذ
ثمود بدل اشتمال من اذ الاولى او ظرف كذبت او بطغوها اي حين قام اشقى ثمود
وهو قدار بن سالف عقر الناقة ومعنى انبعث انتدب لذلك وقام به يقال بعثته على
الامر فانبعث به ويضرب بقدار المثل فيقال اشأم من قدار وهو اشقى الاولين وكان رجلا
اشقر ازرق قصيرا ومعنى قدار في الاصل الجزار وقد تقدم بيان هذا في الاعراف فقال
لهم رسول الله يعني صالحا بسبب الانبعاث او التكذيب الذي دل على تصدهم لها بالاذى
ناقة الله قال الزجاج اي ذروا ناقة الله وقال الفراء احذروها اياها وكل تحذير فهو نصب اي
ذروا عقرها والاضافة للتشريف كبيت الله واحذروا سقياها وهو شربها من الماء وكان
لها يوم ولهم يوم قال الكلبي ومقاتل قال لهم صالح ذروا ناقة الله فلا تعقروها وذروا سقياها
وهو شربها من النهر فلا تعرضوا لها يوم شربها فكذبوه بتحذيره اياهم واستمروا على تكذيبه
بعقرها بعد ذلك فعقروها اي عقرها الاشقى وانما اسند العقر الى الجميع لانهم رضوا بما فعله قال قتادة انه لم يعقرها
حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم قال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول فعل

افضل الناس وهذان عبد الناس فلهذا المريقل اشقيا هما اخرج البخاري ومسلم وغيرهما
عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال
اذا انبعث اشقاها قال انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل ابي زمعة وعن عمار بن
ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي الا احدثك باشقى الناس قال بلى قال رجلان احمر
ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا يعني قرنه حتى يبتل منه هذه يعني لحيته
اخرجه احمد وابن ابي حاتم والبغوي والطبراني وابن مردويه والحاكم وابو نعيم في الدلائل
فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بِذَنْبِهِمْ الذي هو الكفر والتكذيب والعقر
وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشيء اي اطبقت عليه
ودمدم عليه القبر اي اطبقه وناقة مدمومة اذا لبسها الشحم والدمدمة اهلاك باستيصال
كذا قال المورج قال في الصحاح دمدمت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم
اي اهلكهم ودمدمت على الميت التراب اي سويته عليه قال ابن الانباري دمدم اي
غضب فالدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال ابن الاعرابي دمدم اذا عذبهم عذابا
تاما والضمير في فَسَوّٰىهَا يعود الى الدمدمة اي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت
على صغيرهم وكبيرهم وقيل يعود الى الارض اي فسوى الارض عليهم فجعلهم تحت التراب
وقيل يعود الى الامة اي ثمود قال الفراء سوى الامة انزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى
بينهم فلم يفلت منهم احد الا من آمن مع صالح وكانوا اربعة آلاف قرأ الجمهور فدمدم بميم
بين الدالين وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاء بينهما قال القرطبي وهما لغتان كما يقال امتقع
لونه واهتقع لونه وفي القاموس دهم الارض سواها كدهدم ودمدم عليهم فتلخص ان
دمدم ودهدم بالدال والذال المعجمة واحدة ودمدم بالدالين معناها واحد وَلَا يَخَافُ عُقْبٰهَا اي فعل الله بهم ذلك
غير خائف من عاقبة ولا تبعة والضمير في عقبها يرجع الى الفعلة او الى الدمدمة المدلول
عليها بدمدم قال السدي والضحاك والكلبي ان الكلام يرجع الى العاقر اذ الى الله سبحانه اي لم يخف
الذي عقرها عقبى ما صنع وقيل لا يخاف رسول الله صالح عليه الصلوة والسلام عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى
ضررا يعود عليه من صلاتهم لانه قد انذرهم والاول اولى قرأ الجمهور وَلَا يَخَافُ بالواو وقرئ بالفاء

ع ١٥

وهما قراءتان سبعيتان اما الواو فيجوز ان تكون للحال او لاستيناف الاخبار والفاء للتعقيب وهو ظاهر والمعنى لا يخاف عاقبتها كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم وانهم اذلاء عند الله وفي القاموس اعقبه الله بطاعته جازاه والمعقبة جزاء الامر

سورة والليل هي احدى وعشرون آية وهي مكية عند الجمهور

وقيل مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله عن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر والليل اذا يغشى ونحوها اخرجه البيهقي في سننه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة فرفع صوته فقرأ والشمس وضحاها والليل اذا يغشى فقال له ابي بن كعب يا رسول الله امرت في هذه الصلوة بشيء قال لا ولكن اردت ان اوقتكم اخرجه الطبراني في الاوسط وقد تقدم حديث فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى وعن ابن عباس انه قال ان هذه السورة نزلت في السماحة والبخل قال الرازي نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين وفي امية بن خلف وبخله وكفره بالله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغطي بظلمته ما كان مضيئا قال الزجاج يغشى الليل الافق وجميع ما بين السماء والارض فيذهب ضوء النهار وقيل يغشى النهار وقيل يغشى الارض والاول اولى قال ابن عباس اذا يغشى اذا اظلم وعن ابن مسعود قال ان ابا بكر الصديق اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشر اواق فاعتقه فنزلت والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني ابا بكر وامية وابي الى قوله وكذب بالحسنى قال لا اله الا الله الى قوله فسنيسره للعسرى قال النار اخرجه ابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن عساكر اقسم سبحانه بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه وتسكن الحلق فيه عن التحراء ويغشاهم النوم الذي جعله الله راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم بالنهار فقال والنهار اذا تجلى اي ظهر وانكشف وصحت زوال الظلمة التي كانت في الليل بطلوع الشمس لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعايشهم

وتتحرك الطير من اوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة فكانت المصلحة في تعاقبهما وما خلق الذكر والأنثى ما هنا هي الموصولة اي الذي خلقهما وعبر عن من بما للدلالة على الوصفية ولقصد التفخيم اي والقادر العظيم الذي خلق صنفي الذكر والانثى قال الحسن والكلبي معناه الذي خلق الذكر والانثى فيكون قد اقسم بنفسه الكريمة قال ابو عبيدة وما خلق اي ومن خلق وقال مقاتل يعني وخلق الذكر والانثى فتكون ما على هذا مصدرية قال الكلبي ومقاتل يعني آدم وحوى والظاهر العموم قرأ الجمهور وما خلق الذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذكر والانثى بدون ما خلق قال المحلي والخنثى المشكل عندنا ذكر او انثى عند الله تعالى فيحتج بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا انثى انتهى وعبارة الحطيب الخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة انتهت وقال الكرخي يحتج بتكليمه لان الله تعالى لم يخلق من ذوي الارواح من ليس ذكرا ولا انثى والخنثى انما هو مشكل بالنسبة الينا خلافا لابي الفضل الهمداني فيما حكاه وجها انه نوع ثالث ويدفعه قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ونحو ذلك قاله الاسنوي إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ هذا جواب القسم اي ان عملكم مختلف فمنه عمل الجنة ومنه عمل النار او منكم مؤمن وكافر او منكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار او منكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال جمهور المفسرين السعي العمل فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها وشتى جمع شتيت كمرضى جمع مريض وقيل المختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض والشتات هو الافتراق وسعيكم مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى وان كان مفردا في اللفظ ولذا اخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ اي بذل ماله في وجوه الخير وَاتَّقَىٰ محارم الله التي نهى عنها وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ اي ايقن بالخلف الذي من الله قال المفسرون فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله الذي عليه وقال الحسن اعطى الصدقة من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله وبه قال الضحاك والسلمي وابن عباس وقال مجاهد بالحسنى بالجنة وقال زيد بن اسلم بالصلوة والزكوة والصوم والاول اولى قال قتادة بالحسنى اي بموعود الله الذي وعده ان يثيبه قال الحسن بالخلف من عطائه واختار هذا ابن جرير وقال ابن عباس اعطى من الفضل واتقى ربه و

صدق بالخلف من الله فسنيسره لليسرى اي فسنهيئه للخصلة التي هي حسنى وهي عمل الخير حتى يسهل عليه فعله والمعنى فسنيسر له الانفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة لله والسين في الموضعين للتسويف وهو من الله محقق وذكر القسطلاني ان هذه السين للتاطيف قال الشريف الصغوي مراده بها ترقيق الكلام يعني ان لا يكون نصا في المقصود بل يكون محتملا لغير المقصود فهو كالشيء الرقيق الذي يمكن تغييره وتسهل وبقابله الكثيف يعني ان يكون نصا في المقصود لانه لا يمكن تغييره وتبديله فهو كالشيء الكثيف الذي لا يمكن فيه ذلك فالمقصود ههنا ان التيسير حاصل في الحال لكن اتى بالسين الدالة على الاستقبال والتاخير لتلطيف الكلام وترقيقه باحتمال ان لا يكون التيسير حاصلا في الحال لنكات تقتضي ذلك والله اعلم قال الواحدي قال المفسرون نزلت هذه الآيات في ابي بكر الصديق اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في ايدي اهل مكة يعذبونهم في الله قال ابن عباس لليسرى للخير من الله وقال زيد بن اسلم للجنة وعن عامر وعبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام بمكة وكان يعتق عجائز ونساء اذا اسلمن فقال له ابوه اي بني اراك تعتق ناسا ضعفاء فلو انك تعتق رجالا جلدا يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك قال اي ابت انما اريد ما عند الله قال فحدثني بعض اهل بيتي ان هذه الآية نزلت فيه وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بماله فلم يبذله في سبل الخير وَاسْتَغْنَى اي زهد في الاجر والثواب او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة قال ابن عباس بخل بماله واستغنى عن ربه وعنه قال يقول من اغناه الله فبخل بالزكوة وعنه هو ابو سفيان بن حرب وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى اي بالخلف من الله عز وجل وقال مجاهد بالجنة وعنه قال بلا اله الا الله فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى اي فسنهيئه للخصلة العسرى ونسهلها له حتى يتعسر عليه اسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك الى النار قال مقاتل ييسر عليه ان يعطي خيرا قيل العسرى الشر وذلك ان الشر يؤدي الى العذاب والعسرة في العذاب والمعنى سنهيئه للشربان نجريه على يديه قال الفراء سنيسره سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت اوتهيأت للولادة قال ابن عباس للعسرى للشر من الله وقيل للنار واخرج البخاري ومسلم واهل السنن وغيرهم عن علي بن ابي طالب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من الجنة

ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاء فييسر لعمل اهل الشقاء ثم قرأ فاما من اعطى الى قوله للعسرى واخرج احمد ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله في اي شيء نعمل او في اي شيء نثبت فيه المقادير وجرت به الاقلام ام في شيء يستقبل فيه العمل قال بل في شيء ثبتت فيه المقادير وجرت فيه الاقلام قال سراقة ففيم العمل اذن يا رسول الله قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فاما من اعطى الخ وقد تقدم حديث عمران بن حصين في السورة التي قبل هذه وفي الباب احاديث من طريق جماعة من الصحابة قال الفراء لقائل ان يقول كيف قال ذلك وهل في العسرى تيسير انتهى وايضاح الجواب عن هذا ما ورد في الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي عليكم بشان العبودية وما خلقتم لاجله وامر تعبد به وكلوا امور الربوبية الغيبية الى صاحبها فلا عليكم بشانها ونظيره الرزق المقسوم مع الامر بالكسب لاجل المضروب في العلم مع المعالجة بالطب فانك تجد الغيب فيها معلومة موجبة للظاهر المبادي سببا تخيلا وقد اصطلح الناس خاصتهم وعامتهم على ان الظاهر فيما لا يترك بسبب الباطن قاله الكرخي وما اي لا يغني عنه شيئا ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى آخرته التي هي موضع فقره وحاجته شيء او اي شيء يغني عنه اذا تردى اي هلك يقال ردى الرجل يردى ردى وتردى اذا هلك وقال قتادة وابو صالح وزيد بن اسلم اذا تردى اذا سقط في جهنم يقال ردى في البير وتردى اذا سقط فيها ويقال ما ادري اين ردى اي اين ذهب وجملة ان علينا للهدى مستانفة مقررة لما قبلها اي ان علينا البيان بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة قال الزجاج علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلال اي وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا قال قتادة على الله البيان بيان حلاله وطاعته ومعصيته قال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقول العرب على الله قصد السبيل يقول من اراد الله فهو على السبيل القاصد قال الفراء ايضا المعنى ان علينا الهدى والاضلال فحذف الاضلال لكقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد

وقيل المعنى ان علينا ثواب الهدى الذي هدينا ه والاول اولى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ اي لنا كل ما في الآخرة وكل ما في الدنيا نتصرف به كيف نشاء فمن اراد هما او احدهما فليطلب ذلك منا وقيل المعنى ان لنا ثواب الآخرة وثواب الدنيا فمن طلبها من غيرنا فقد اخطأ الطريق فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ اي حذرتكم وخوفتكم نارا تتوقد وتتوهج واصله تتلظى فحذفت احدى التاءين تخفيفا وقرئ على الاصل لا يَصْلَاهَا صليا لازما على جهة الخلود إِلَّا الْأَشْقَى وهو الكافر وان صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه والمعنى يدخلها ويجد صلبها وحرها ثم وصف الاشقى فقال الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ اي كذب بالحق الذي جاءت به الرسل واعرض عن الطاعة والايمان قال الفراء الا الاشقى الا من كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وقال ايضا لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع عن اتباعه قال الزجاج هذه الآية هي التي من اجلها قال اهل الارجاء بالارجاء فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر فقالوا هل النار منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله سبحانه كلما وعد عليه بجنس من العذاب فجدير ان يعذب به وقال الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائدة وقال في الكشاف الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وبالاتقى ابو بكر الصديق قال النيسابوري وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلي المؤبد اي يصر عن ظاهره فلا يرد الفاسق لانه اما ان لا يدخلها ان عفي عنه او يدخلها ويخلص منها فالمعنى لا يدخلها دخولا مؤبدا الا الكافر الذي هو شقي لانه كذب النبي والاولى ان يقال مؤول بجعل الصلي على التابيد والخلود وعن ابي هريرة قال لتدخلن الجنة الا من ياب قالوا ومن ياب ان يدخل الجنة فقد الذي كذب وتولى اخرجه ابن جرير وعن ابي امامة لا يبقى احد من هذه الامة الا ادخله الله الجنة الا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على اهله فمن لم يصدق في قال الله يقول

لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتولى عنه اخرجه سعيد بن منصور وغيره وعنه انه سئل عن الذين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول لا كلكم يدخل الله الجنة الا من شرد على الله شراد البعير على اهله اخرجه احمد والحاكم والضياء وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا الاشقى قيل ومن الشقي قال الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية اخرجه احمد وابن ماجة وابن مردويه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخل الجنة يوم القيامة الا من ابى قالوا ومن يابى يا رسول الله قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى اخرجه احمد والبخاري

وسيجنبها الاتقى اي سيباعد عنها المتقي للكفر اتقاء بالغا قال الواحدي الاتقى ابو بكر الصديق في قول جميع المفسرين انتهى والاولى حمل الاشقى والاتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين ويكون المعنى انه لا يصلاها صليا تاما لازما الا الكامل في الشقى وهو الكافر ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيدا كاملا بحيث لا يحوم حولها فضلا عن ان يدخلها الا الكامل في التقوى فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولا غير لازم ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيدا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها والحاصل ان من تمسك من المرجئة بقوله لا يصلاها الا الاشقى زاعما ان الاشقى الكافر لانه الذي كذب وتولى ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين فيقال له فماذا تقول في قوله وسيجنبها الاتقى فانه يدل على انه لا يجنب النار الا الكامل في التقوى فمن لم يكن كاملا فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار فان اولت الاتقى بوجه من وجوه التاويل لزمك مثله في الاشقى فخذ اليك هذه مع تلك وكن كما قال الشاعر ؎ على انني راض بان احمل الهوى + واخرج منه لا علي ولا ليا + وقيل اراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي كما قال طرفة بن العبد ؎ فمن رجال ان اموت وان امت + فتلك سبيل لست فيها باوحد اي بواحد ولا يخفاك انه ينافي هذا وصف الاشقى بالتكذيب فان ذلك لا يكون الا من الكافر فلا يتم ما اراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين عن عروة ان ابا بكر الصديق اعتق سبعة كلهم يعذب في الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وام عبيس وامة بني المؤمل وفيه نزلت وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة اخرجه ابن ابي حاتم وفي الباب روايات

ثم ذكر سبحانه صفة الاتقى فقال الذي يؤتي ماله اي يعطيه ويصرفه في وجوه الخير
وقوله يتزكى في محل نصب على الحال من فاعل يؤتي اي حال كونه يطلب ان يكون عند الله كيا
لا يطلب رياء ولا سمعة ويجوز ان يكون بدلا من يؤتي داخلا معه في حكم الصلة قرأ الجمهور يزكى
مضارع تزكى قرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما بادغام التاء في الزاي وما لاحد عنده من
نعمة تجزى قال ابو السعود اي من شانها ان تجازى وتكافأ والجملة مستانفة لتقرير ما قبلها من
من كون الاتقى على جهة الخلوص غير مشوب بشائبة تنافي الخلوص اي ليس من يتصدق
بماله ليجازى بصدقته نعمة لاحد من الناس عنده ويكافيه عليها وانما يبتغي بصدقته
وجه الله تعالى ومعنى الاية انه ليس لاحد من الناس عنده نعمة من شانها ان يجازي عليها
حتى يقصد بايتاء ما يؤتي من ماله مجازاتها وانما قال تجزى مضارعا مبنيا للمفعول لاجل
الفواصل والاصل يجزيها اياه او يجزيه اياها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى قرأ الجمهور بالنصب على
الاستثناء المنقطع لعدم اندراجه تحت جنس النعمة اي لكن ابتغاء وجه ربه ويجوز ان يكون
منصوبا على انه مفعول له على المعنى اي لا يؤتي الا لابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة قال الفراء هو
منصوب على التاويل اي ما اعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله وقرئ بالرفع على البدل
من محل نعمة لان محلها الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء او من مزيدة والرفع لغة تميم لانهم يجيزون البدل
في المنقطع في غير الايجاب ويخرجونه مجرى المتصل قال مكي واجاز الفراء الرفع في ابتغاء على البدل
من موضع نعمة وهو بعيد قال شهاب الدين كانه لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد
فانها لغة فاشية وقرأ الجمهور ايضا ابتغاء بالمد وقرئ بالقصر والاعلى نعت لربه وأسوف يرضى
اللام هي الموطئة للقسم اي والله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم وهو وعد
من الكريم تعالى لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واتمها
اذ به يتحقق الرضا قاله ابو السعود قرأ الجمهور يرضى مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول
من ارضاه الله وهو قريب من قوله تعالى في اخر طه لعلك ترضى وتر ٩٣ ٩٣ ٩٣ ٩٣

سورة الضحى هي احدى عشرة اية وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس نزلت بمكة واخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق ابي الحسن المقري قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسمعيل ابن قسطيطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم واخبره عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبره مجاهد ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب اخبره بذلك واخبره ابي ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك وابو الحسن المقرى المذكور هو احمد بن محمد بن عبد الله بن ابي بزة المقري قال ابن كثير فهذه سنة تفرد بها ابو الحسن المقري وكان اماما في القراءات واما في الحديث فقد ضعفه ابو حاتم الرازي وقال لا احدث عنه وكذلك ابو جعفر العقيلي قال هو منكر الحديث قال ابن كثير ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل اذا يغشى وقال آخرون من آخر الضحى وكيفية التكبير عند بعضهم ان يقول الله اكبر ويقتصر ومنهم من يقول الله اكبر لا اله الا الله الله اكبر وذكر وافي مناسبة التكبير من اول الضحى انه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفترتلك المدة ثم جاء الملك فاوحى اليه والضحى كبر فرحا وسرورا ولم يروا ذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وآخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جندب البجلي قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فاتته امرأة فقالت يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك لم يقربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله والضحى وعن جندب قال ابطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله عليه وسلم فانزلت ما ودعك وعنه قال احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت بعض بناته يا محمد ما ارى صاحبك الا قد قلاك فانزلت والضحى

قيل في سبب نزولها غير ذلك وما ذكرناه هو الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى المراد الضحى هنا النهار كله لقوله والليل اذا يغشى فلما قابل الضحى بالليل دل على ان المراد به النهار كله لا بعضه وهو في الاصل اسم لوقت ارتفاع الشمس كما تقدم في قوله والشمس وضحاها وعلى هذا يكون في الكلام مجاز من اطلاق اسم الجزء وارادة الكل والظاهر ان المراد به الضحى من غير تعيين وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد به الضحى الذي كلم الله فيه موسى والمراد بقوله الآتي والليل اذا يغشى ليلة المعراج وقيل المراد بالضحى هو الساعة التي خر

فيها السجرة سجدا كما في قوله وان يحشر الناس ضحى وقيل المقسم به مضاف مقدر كما تقدم
في نظائره اي ورب الضحى وقيل تقديره وضحاوة الضحى ولا وجه لهذا فالله سبحانه ان يقسم
بما شاء من خلقه وقيل الضحى نور الجنة والليل ظلمة النار وقيل الضحى نور قلوب العارفين والليل
سواد قلوب الكافرين والاول اولى وقدم هنا الضحى على الليل وفي السورة قبلها قدم الليل لان
لكل منهما اثرا في صلاح العالم والليل فضيلة السبق والنهار فضيلة النور فقدم هذا تارة
وهذا اخرى او انه قدم الليل في سورة ابي بكر لان ابا بكر سبق له كفر وقدم الضحى في سورة محمد كانه
نور محض ولم يتقدمه ذنب ولم يفصل بين السورتين اشارة الى انه لا واسطة بين النبي صلى الله عليه
وابي بكر قلت هذه الاقوال من قبيل لطائف النكات وليس من تفسير كتاب الله في شيء والليل اذا
سجى اي سكن كذا قال قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة وغيرهم يقال ليلة ساجية اي ساكنة
ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشيء يسجو سجوا اذا سكن قال عطاء اذا سجى اذا
غطى بالظلمة وروى ثعلب عن ابن الاعرابي سجى امتد ظلامه وقال الاصمعي سجى الليل تغطيته
النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشي بظلامه كل شيء وقال سعيد بن جبير اقبل
وقال مجاهد ايضا استوى والاول اولى وعليه جمهور المفسرين واهل اللغة ومعنى سكونه استقراره
ظلامه واستواؤه فلا يزاد بعد ذلك وقال ابن عباس اذا اقبل وعنه قال اذا ذهب ما ودعك
ربك اي ما تركك قاله ابن عباس وهذا جواب القسم اي ما قطعك قطع الودع قرأ الجمهور بتشديد
الدال من التوديع وهو ترديع المفارق وقرئ بتخفيفها من قولهم ودعه اي تركه والتوديع ابلغ
من الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك قال المبرد لا يكادون يقولون ودع
ولا وزر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قال ابو عبيدة ودعك من التوديع كما
يودع المفارق وقال الزجاج لم يقطع الوحي والتوديع مستعار استعارة تبعية للترك فان الوداع
انما يكون بين الاحباب ومن تعز مفارقته هذه الحقيقة لا تتصور هنا وما قلى اي ما ابغضك
قاله ابن عباس والقلاء البغض يقال قلاه يقليه قلا وقال وما قلى ولم يقل وما قلاك لموافقة
رؤس الآي وللآخرة خير لك من الاولى اللام جواب قسم محذوف اي الجنة خير لك من الدنيا
مع انه صلى الله عليه وسلم قد اوتي في الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف وتتضاءل بالنسبة اليه

كل مكرمة في الدنيا ولكنها لما كانت الدنيا باسرها مشوبة بالاكدار منغصة بالعوارض البشرية وكانت الحياة فيها كاحلام نائم او كظل زائل لم تكن بالنسبة الى الاخرة شيئا ولما كانت طريقا الى الاخرة وسببا للنيل ما اعده الله لعباده الصالحين من الخير العظيم بما يفعلونه فيها من الاعمال الموجبة للفوز بالجنة كان فيها خير في الجملة من هذه الحيثية وانما قيد بقوله لك لانها ليست خيرا لكل احد قال البقاعي ان الناس على اربعة اقسام منهم من له الخير في الدارين وهم اهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الاخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الاخرة وهم الفقراء المؤمنون ذكره الخطيب وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي ما هو مفتوح لامتي بعدي فانزل الله والاخرة خير لك من الاولى اخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الدلائل وعنه قال عرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته من بعده فسر بذلك فانزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل هي لام الابتداء دخلت على الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وليست للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وقيل هي للقسم قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لافوم ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قال ولنعطينك اي ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة قيل والمعنى ولسوف يعطيك ربك الفتح في الدنيا والثواب في الاخرة فترضى وقال البيضاوي هذا وعد شامل لما اعطاه له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه وقيل الحوض والشفاعة في الامة وقيل الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك وبه قال ابن عباس وزاد في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضاه ان يدخل امته كلهم الجنة واخرج ابن جرير عنه قال من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يدخل احد من اهل بيته النار واخرج الخطيب في التلخيص من وجه اخر عنه قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم واحد من امته في النار ويدل على هذا ما اخرجه مسلم عن ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله في ابراهيم فمن تبعني فانه مني وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الاية فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى

فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك واخرج ابن البلد وابن مردويه وابو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ارايت هذه الشفاعة التي يتحدث بها اهل العراق احق هي قال اي والله حدثني محمد بن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشفع لامتي حتى ينادين ربي ارضيت يا محمد فاقول نعم يا رب رضيت ثم اقبل علي فقال انكم تقولون يا معشر اهل العراق ان ارجى اية في كتاب الله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا لنقول ذلك قال فكنا اهل البيت نقول ان ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى اخرجه ابن ابي شيبة وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر اليها قال يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الاخرة فانزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى اخرجه العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار وقيل في الاية غير ذلك والظاهر انه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والاخرة ومن اظهر ذلك عنده واقدمه قبول شفاعته لامته الم يجدك يتيما هذا شروع في تعداد ما افاضه الله سبحانه عليه من النعم الثلاث والقصد من تعداد هذه النعم تقوية قلبه صلى الله عليه وسلم بخلاف قوله الم نربك فينا وليدا لانه في معرض الذم ثم امره بعد ذلك ان يذكر نعم ربه كانه قال له فالطريق في حقك ان تفعل مع عبيدي مثل ما فعلت في حقك والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه فكانه قال قد وجدك يتيما والوجود بمعنى العلم وقيل بمعنى المصادفة والمعنى وجدك يتيما لا اب لك قبل ولادتك اي بعد حمله بشهرين وهو الاظهر وقيل غير ذلك والتفصيل في المواهب وشرحه وكانت وفاة ابيه بالمدينة ودفن في دار التابعة وقيل بالابواء من اعمال الفرع وتوفت امه وهو ابن اربع او خمس او ست او سبع او ثمان او تسع او اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة ايام وكانت وفاتها بالابواء وقيل بالحجون ومات جده وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثمان فاوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه قرأ الجمهور فاوى بالالف بعد الهمزة رباعيا من اواه يؤويه وقرئ ثلاثيا وهو اما بمعنى الرباعي او هو من اوى له اذا رحمه وعن مجاهد قال معنى الاية الم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فاوى

الله باصحاب يحفظونك ويحوطونك فجعل يتيما من قولهم درة يتيمة وهو بعيد جدا
ووجدك ضالا فهدى معطوف على المضارع المنفي وقيل على ما يقتضيه الكلام الذي قبله كما
ذكرنا اي قد وجدك يتيما الخ والضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله لا يضل ربي ولا ينسى و
كما في قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين والمعنى انه وجدك غافلا عما يراد بك من امر النبوة
واختار هذا الزجاج وقيل معنى ضالا لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع فهداك لذلك يعني
ليس المراد به الانحراف عن الحق فهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان تامل وقال
الكلبي والسدي والفراء وجدك في قوم ضلال فهداهم الله بك او فهداك الى ارشادهم اوضالا
عما انت عليه الآن من الشريعة فهداه الله تعالى اليها وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك
اليها وقيل ناسيا شان الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح
فذكرك كقوله تعالى ان تضل احدهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كما في قوله
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ويكون الضلال بمعنى الطلب لان
الضال طالب وقيل وجدك ضائعا في قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى الضياع
وقيل وجدك محبا للهداية فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة كقوله تعالى انك
لفي ضلالك القديم وقيل وجدك ضالا في شعاب مكة فهداك اي ردك الى جدك وعبد المطلب
وعن ابن عباس قال وجدك بين الضالين فاستنقذك من ضلالتهم وقيل ضل في طريق
الشام حين خرج ابو طالب في احدى القوافل ولا يجوز ان يضيفه احد الى عدو عن حق ووقوع في باطل
فقد كان صلى الله عليه وسلم من اول حاله الى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات
اهل الفسق والعصيان وقيل ضالا نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل
ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقيل
معناه لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق وقيل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وفيه بعد وايضا اباه العظم الكريم وعندي ان الضلال والهدى عاما ان في
هذه الاية فيشملان كل نوع من انواع الضلالة والهداية بيد الكفر والشرك لان العبرة بالعموم لا بخصوص
السبب ووجدك عائلا فاغنى اي وجدك فقيرا لا مال لك فاغناك يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر

قال الكلبي فاغنى اي رضاك بما اعطاك من الرزق واختار هذا الفراء قال لانه لم يكن غنيا من كثرة ولكن الله سبحانه رضاه بما اتاه وذلك حقيقة الغنى وقيل باعانة الانصار حين الهجرة وقيل فاغنى بما فتح لك من الفتوح والغنائم وفيه نظر لان السورة مكية وقيل بمال خديجة بنت خويلد وقيل بمال ابي طالب اولا وبمال ابي بكر ثانيا وقيل وجدك فقيرا من الحج والبراهين فاغناك بها وفيه بعد قرأ الجمهور عائلا وقرئ عيلا بزنة سيد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي مسألة وددت اني لم اكن سألته قلت قد كانت قبلي انبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فقال تعالى يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك الم نضع عنك وزرك الم نرفع لك ذكرك قلت بلى يا رب اخرجه ابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي وابو نعيم وابن عساكر واخرج ابن مردويه عنه قال لما نزلت والضحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن علي ربي واهل ان يمن ربي فتواصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائنا ما كان قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما قال الاخفش لا تتسلط عليه بالظلم لدفع اليه حقه واذكر يتمك قال الفراء والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في حق اليتامى تأخذ اموالهم وتظلمهم حقوقهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن الى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى قرأ الجمهور فلا تقهر بالقاف وقرئ بالكاف والعرب تعاقب بين القاف والكاف قال النحاس انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر قال ابو حيان هي لغة يعني قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما اخرجه البخاري وفي الباب احاديث واليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدمت تقهر على لا امتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره قاله السمين واما السائل فلا تنهر يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره فهو نهي عن زجر السائل والاغلاظ له ولكن يبذل اليسير القليل او يرده بالجميل قال ابو احمد قال المفسرون

يريد السائل على الباب يقول تنهره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترد
ردا لينا قال قتادة معناه رد السائل برحمة وابن وقيل المراد بالسائل طالب العلم والذي يسأل
عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة واجبه برفق وابن كذا قال سفيان والسائل منصوب
بتنهر والتقدير مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل وهذه النواهي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم نواهي له ولامته صلى الله عليه وسلم لانهم اسوته فكل فرد من افراد هذه الامة منهي بكل فرد من
افراد هذه النواهي وأما بنعمة ربك فحدث امره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه واظهارها للناس ع ١٢
واشهارها بينهم والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من افرادها او نوع من انواعها
وقال مجاهد والكلبي المراد بالنعمة هنا القرآن قال الكلبي وكان القرآن اعظم ما انعم الله به عليه فامر
ان يقرأه قال الفراء وكان يقرأه ويحدث به وقال مجاهد ايضا المراد بالنعمة النبوة التي اعطاه الله
واختار هذا الزجاج فقال اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اعطاك الله وبي اجل النعم
وقال مقاتل يعني اشكر ما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة وجبر
اليتيم والاغناء بعد العيلة فاشكر هذه النعم والتحدث بنعمة الله شكر وهذا الامر له صلى الله عليه وسلم هو امر
له ولامته لانهم اسوته في كل ما يأتي ويذر قال الحسن بن علي في الآية ما عملت من الخير وعنه
قال اذا اصبت خيرا فحدث اخوانك وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر
وتركه كفر والجماعة رحمة اخرجه عبد الله بن احمد في زوائد المسند والبيهقي في الشعب والخطيب
في المتفق قال السيوطي بسند ضعيف وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابلي بلاء
فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره اخرجه ابو داود والترمذي وحسنه وابو يعلى وابن حبان
والبيهقي والضياء واخرج البخاري في الادب وابو داود والضياء عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعطي عطاء فوجد فليجزئه فان لم يجد فليثن به فمن اثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره
ومن تحلى بما لم يعط فانه كلابس ثوبي زور وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اولي
معروفا فليكافئ به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره اخرجه احمد والطبراني في الاوسط
والبيهقي قال الكرخي والجار والمجرور متعلق بحدث والفاء غير مانعة من ذلك لانها كالمزالة والتحدث

نشرها بالشكر والثناء عليه تعالى وفيه اشعار بان قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر مقابل لقوله الم يجدك يتيما فاوى وقوله واما السائل الخ مقابل لقوله ووجدك عائلا فاغنى واما قوله واما بنعمة ربك الخ فيجيئ به على العموم وفي حكمة تاخير حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل وجوه احدها ان الله غيرهما محتاجان وتقديم للمحتاج اولى وثانيها انه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول وثالثها ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله فختمت به واوتر فحدث على الخبر ليكون عنده حديثا لا ينساه ٥

سورة الم نشرح لك وهي ثمان آيات وهي مكية بلا خلاف

عن عايشة قالت نزلت سورة الم نشرح بمكة ومثله عن ابن عباس وزاد بعد الضحى ٥ ٥ ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك معنى شرح الصدر فتحه باذهاب ما يصد عن الادراك والاستفهام التقرير اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا لك صدرك حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائصا عنهم بروحه وحاضرا معهم بجسده الشريف والمعنى الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسوءك من تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك قال الراغب اصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وسكينته من جهة الله وروح منه وانما خص الصدر لانه محل احوال النفس من العلوم والادراكات وقيل لان الصدر محل الوسوسة كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بداعي الخير هي الشرح والقلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فيجيئ اولا الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الغموم والهموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا لم يجد له مسلكا وطرد حصل الامن والصدر والشرح وتيسر القيام باداء العبودية ولم يقل نشرح صدرك تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم كانه يقول انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلنا والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم بفتح صدره وتوسيعه

حتى قام بما قام به من الدعوة وقدر على ما قدر عليه من حمل اعباء النبوة وحفظ الوحي وقد مضى القول في هذا عند تفسير قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قال ابن عباس في الاية شرح الله صدره للاسلام قرأ الجمهور نشرح بسكون الحاء بالجزم وبفتحها قرأ ابو جعفر المنصور العباسي قال الزمخشري قالوا العلة بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها وقال ابن عطية ان الاصل المرنشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدل الفا ثم حذفها تخفيفا وهذا مبني على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا وخرجها بعضهم على لغة بعض العرب الذين ينصبون بلم ويجزمون بلن وهذه ما اظنها تصح وان صحت فليست من اللغات المعتبرة فانها جاءت بعكس ما عليه لغة العرب باسرها وعلى كل حال فقراءة هذا الرجل مع شذوذها جرأة ومزيد ظلمه وكثرة جبروته وقلة علمه ليست بحقيقة بالاشتغال بها ووضعنا عنك ووزرك معطوف على معنى ما تقدم لا على لفظه اي قد شرحنا لك صدرك ووضعنا الخ والوزر الذنب اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل المعنى حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وعنك متعلق بوضعنا او بتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في صفته نوع طول فناسب الجار والمجرور عنه محل يتجاوب اطراف النظم الكريم ثم وصف هذا الوزر فقال الذي انقض ظهرك قال المفسرون اي ثقل ظهرك قال الزجاج انقله حتى سمع له نقيض اي صوت وهذا اشارة معناه انه لو كان حملا لا يحمل لسمع نقيض ظهره واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمع له صوت من شدة الحمل قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم يذنب ذنبا او يرى انه اثقلته فغفرها الله له وقد مر ذاهبون الى ان هذا تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها سهل الله ذلك عليه حتى يكون له وكذا قال ابو عبيدة وغيره وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وقيل معناه عصمناك من الوزر الذي ينقض ظهرك ولو كان ذلك الوزر حاصلا قاله الرازي وفيه استعارة تمثيلية حيث مثل العصمة وضعا مجازا ثم ذكر سبحانه منته وكرامته عليه فقال ورفعنا لك ذكرك وزيادة لك في الموضعين وعنك في موضع تفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم توضيحه والايضاح بعد الابهام اوقع في الذهن قال الحسن وذلك ان الله لا يذكر في موضع الا ذكر صلى الله عليه وسلم معه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب

صلوة الاينادي فيقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله قال مجاهد يعني
بالتاذين وعبارة الخطيب تذكر معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر
ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارق الارض
ومغاربها ولواني جلا عبدا لله وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله
لم ينتفع بشيء وكان كافرا انتهى وقيل المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء تبشارة وامرناهم
بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين
في الارض ورفع ذكرك في الاخرة بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وجلائل المراتب
قال الضحاك لا تقبل صلوة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين
والزامهم الايمان به والاقرار بفضله والظاهر ان هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه
يتناول جميع هذه الامور فكل واحد منها من اسباب رفع الذكر وكذلك امره بالصلوة والسلام
عليه واخباره صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا وكم
من موضع في القران يذكر فيه النبي صلى الله مع الله سبحانه من ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق
ان يرضوه وامر الله بطاعته صلى الله عليه وسلم كقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقوله ما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وغير ذلك
وبالجملة فقد ملا ذكره الجميل السموات والارضين وجعل الله له من لسان الصدق والذكر
الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لاحد من عباده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى اله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان
في كل زمان وما احسن قول حسان رضي الله تعالى عنه ؎ اغر عليه للنبوة خاتم + من الله
مشهور يلوح ويشهد + وضم الاله اسم النبي مع اسمه + اذا قال في الخمس المؤذن اشهدا
وشق له من اسمه ليجله + فذو العرش محمود وهذا محمد + عن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك فلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي اخرجه ابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان
وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل وقد روي بطرق وقال ابن عباس في الاية لا يذكر الله الا ذكر

فهو الذي يطوى به الذكر الجميل ويبدأ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا اي ان مع الضيقة سعة ومع الشدة رخاء ومع الكرب فرجا وفي هذا وعد منه سبحانه بان كل عسير يتيسر وكل شديد يهون وكل صعب يلان ومع بمعنى بعد وفي التفسير بها اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحياله بحر فقال العسر ولو دخل العسر هذا البحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله ان مع العسر يسرا الخ ولفظ الطبراني وتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا واخرج الطبراني ـــ وابن مردويه عنه مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف وعن ابن مسعود مرفوعا لو كان العسر في حجر لتبعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه ولن يغلب عسر يسرين ان الله يقول ان مع العسر يسرا الخ اخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في الشعب قال البزار لا نعلم رواه عن انس الا عائذ بن شريح قال فيه ابو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معوية بن قرة عن رجل عن ابن مسعود ثم زاد سبحانه هذا الوعد تقريرا وتوكيدا فقال مكررا للفظ اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا اي ان مع ذلك العسر المذكور سابقا يسرا آخر لما تقرر من انه اذا اعيد المعرف يكون الثاني عين الاول سواء كان المراد به الجنس او العهد بخلاف المنكر اذا اعيد فانه يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالفرد الاول في الغالب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في معنى هذه الآية انه لن يغلب عسر يسرين قال الواحدي وهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والمفسرين على ان العسر واحد واليسر اثنان قال الزجاج ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى ان مع العسر يسرين قيل والتنكير في اليسر للتفخيم والتعظيم وهو في مصحف ابن مسعود غير مكرر قرأ الجمهور بسكون السين في العسر واليسر في الموضعين وقرئ بضمها في الجميع وفيه خلاف هل هو اصل او منقل من المسكن وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرحا مسرورا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اخرجه عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي وهذا مرسل وروي نحوه مرفوعا مرسلا عن قتادة ولما عدد سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ اي اذا فرغت من صلوتك او من

التبليغ او من الغزو فاجتهد في الدعاء واطلب من الله حاجتك او فانصب في العبادة او تعب في الدعاء قبل السلام وبعده والنصب التعب يقال نصب ينصب نصبا اي تعب قال قتادة والضحاك ومقاتل والكلبي اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك وكذا قال مجاهد قال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وكذا قال الزهري وقال الكلبي ايضا اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب الى استغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة وزيد بن اسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك وفيه نظر لان السورة مكية والامر بالجهاد انما كان بعد الهجرة فلعله تفسير الذاهب الى ان السورة مدنية وقال مجاهد ايضا اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك قال ابن عباس اذا فرغت من الصلوة فانصب في الدعاء واسأل الله وارغب اليه وعنه قال قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اذا فرغت من الصلوة وتشهدت فانصب الى ربك واسأله حاجتك وعن ابن مسعود قال فانصب الى الدعاء والى ربك فارغب في المسئلة وعنه قال اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل قال عمر بن الخطاب اني اكره ان ارى احدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الاخرة وقال ربك المحسن اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين فارغب اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه قال الزجاج اي اجعل رغبتك الى الله وحده وقال عطاء يريد انه يضرع اليه راهبا من النار راغبا في الجنة والمعنى انه يرغب اليه سبحانه لا الى غيره كائنا من كان فلا يطلب حاجاته الا منه ولا يعول في جميع اموره الا عليه قرأ الجمهور فارغب وقرأ زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغب بتشديد الغين اي فرغب الناس الى الله وشوقهم الى ما عنده من الخير

سورة والتين هي ثمان آيات وهي مكية في قول الجمهور

وروى القرطبي عن ابن عباس انها مدنية ويخالف هذه الرواية ما اخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال لما نزلت سورة التين بمكة واخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله واخرج البخاري ومسلم واهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فصلى العشاء فقرأ في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا

ولا قراءة منه وعنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فقرأ بالتين اخرجه الخطيب وعن عبد الله بن يزيد نحوه عند الطبراني وابن ابي شيبة وعن زرعة بن خليفة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة فعرض علينا الاسلام فاسلمنا فلما صلينا الغداة قرأ بالتين والزيتون وانا انزلناه في ليلة القدر اخرجه ابن قانع وابن السكن والشيرازي في الالقاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ قال اكثر المفسرين هو التين الذي ياكله الناس وانما اقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيها اعظم عبرة لدلالتها على من هيأها لذلك وجعلها على مقدار اللقمة قال كثير من اهل الطبائع التين انفع الفواكه للبدن واكثرها غذاء وذكروا له فوائد كما في كتب المفردات والمركبات وهو غذاء ودواء اما كونه غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم يمكث في المعدة يابس الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد وسدده والطحال ويقطع البواسير ويزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو اما ان من الفالج واما كونه دواء فلانه سبب في اخراج فضلات البدن وهو ماكول الظاهر والباطن دون غيره كالجوز والتمر والتين في النوم رجل خير جبار ومن نالها في المنام نال مالا ومن اكلها منا مارزقه الله اولادا وتسترادم بورق التين حين فارق الجنة ويشبه قوله الجنة لانه بلا عجم وفاكهة طيبة لا فضل له ينفع من النقرس وقال الضحاك التين المسجد الحرام وقيل مسجد اصحاب الكهف وقال ابن زيد مسجد دمشق وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق وقال عكرمة وكعب الاحبار التين دمشق وعن ابن عباس قال التين بلاد الشام وفي سنده مجهول وعنه قال مسجد نوح الذي بنى على الجودي وعنه قال الفاكهة التي ياكلها الناس وَالزَّيْتُونِ وهو الذي يعصرون منه الزيت الذي هو ادام غالب البلدان ودهنهم ويدخل في كثير من الادوية وقال الضحاك المسجد الاقصى وقال ابن زيد مسجد بيت المقدس وقال قتادة الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وكعب الاحبار بيت المقدس وعن ابن عباس قال بلاد فلسطين وفي سنده مجهول وقال ايضا بيت المقدس وليت شعري ما الحامل لهؤلاء الائمة على العدول عن المعنى الحقيقي في اللغة العربية والعدول الى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى المبنية على خيالات

لا ترجع الى عقل ونقل واعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منهما مع طول باعه في علم الرواية والدراية قال الفراء سمعت بعض العلماء يقول التين جبال حلوان الى همذان والزيتون جبال الشام قلت هب ابك سمعت هذا الرجل فكان ماذا فليس بمثل هذا تثبت اللغة ولا هو نقل عن الشرع وقال محمد بن كعب الزيتون مسجد ايليا وقيل انه على حذف مضاف اي ومنابت التين والزيتون قال النحاس لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قال الرازي اما الزيتون فهو فاكهة من وجه ودواء من وجه ويستصبح به ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى وَطُورِ سِينِينَ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام اسمه الطور ومعنى سينين المبارك الحسن بلغة الحبشة قاله قتادة وقال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال مجاهد والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط قال الاخفش طور جبل وسينين شجر احدرته سينة قال ابو علي الفارسي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سينا لانه جعل اسما للبقعة واما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة كما في قوله الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله واعظم بركة تعلقت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه السلام قرأ الجمهور سينين بكسر السين وقرئ بفتحها وهي لغة بكر وتميم وقرئ سيناء بالكسر والمد وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء العجمية وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ يعني مكة سماه امينا لانه امن كما قال انا جعلنا حرما امنا يقال امن الرجل اماة فهو امين قال الفراء وغيره الامين بمعنى الامن او فعيل بمعنى مفعول من امنه لانه يأمن الغوائل قال ابن عباس اي مكة يعني لامن الناس فيها جاهلية واسلاما لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هذا جواب القسم اي خلقنا جنس الانسان كائنا في احسن تقويم وتعديل لصورته وقال ابن عباس في احسن خلق قال الواحدي قال المفسرون ان الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والنطق والعقل والتمييز والادب فهو احسن الخلق بحسب الظاهر والباطن ومعنى التقويم التعديل يقال قومته فاستقام واراد القوام لان التقويم فعل الباري تعالى قال القرطبي

هو اعتداله واستواء شأنه كذا قال عامة المفسرين قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله خلقه حياً عالماً قادراً مُريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً وهذه صفات الرب سبحانه وعليها حمل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي تقدم ذكرها قلت وينبغي ان يضم الى كلامه هذا قوله سبحانه ليس كمثله شيء وقوله ولا يحيطون به علماً ومن اراد ان يقف على حقيقة ما اشتمل عليه الانسان من بديع الخلق وعجيب الصنع فلينظر في كتاب العبر والاعتبار للجاحظ وفي الكتاب الذي عقده النيسابوري على قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وهو في مجلدين ضخيمين ذُكر ان رجلاً قال لامرأته ان لم تكوني احسن من القمر فانت طالق فافتى بعض اهل العلم بانها صارت مطلقة وقال الشافعي لم تطلق لانها من جنس الانسان والله تعالى يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فلو كان القمر احسن صورة من الانسان لم يصفه الله سبحانه باحسن تقويم ولنعم ما قيل

ما انت مادحها يا من يشبهها ... بالشمس والبدر لا بل انت هاجيها
من اين للشمس خال فوق وجنتها ... وضحك من نظام الدر في فيها
من اين للبدر اجفان مكحلة ... بالسحر والغنج تجري في حواشيها

ثم رددناه اسفل سافلين اي رددناه الى ارذل العمر قاله ابن عباس وهو الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي فيخرف وينقص عقله كذا قال جماعة من المفسرين قال الواحدي والسافلون هم الضعفاء والزمناء والاطفال والشيخ الكبير اسفل هؤلاء جميعاً لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله قاله الخازن وقال مجاهد وابو العالية والحسن المعنى ثم رددناه الكافر الى النار وذلك ان النار دركات بعضها اسفل من بعض فالكافر يرد الى اسفل الدركات السافلة ولا ينافي هذا قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الاسفل وقوله اسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمقدر محذوف اي مكاناً اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هذا الاستثناء منقطع على القول الاول اي لكن الذين آمنوا الخ ووجهه ان الهرم والرد الى ارذل العمر يصاب به المؤمن كما يصاب به الكافر فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه الاتصال معنى

وعلى القول الثاني متصل من ضمير رددناه فانك في معنى الجمع اي رددنا الانسان اسفل سافلين من النار الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقال الشهاب الاستثناء منقطع لانه لم يقصد اخراجهم من الحكم وهو مدار الاتصال والانقطاع كما صرح به في الاصول لا الخروج و الدخول كما توهم فلا يرد عليه انه كيف يكون منقطعا مع انهم مردودون ايضا فهو للاستدراك لدفع ما يتوهم من ان التساوي في ارذل العمر يقتضي التساوي في غيره ويكون الذين حينئذ مبتدء والفاء داخلة في خبره لا للتفريع كما في الاتصال وقيل المعنى رددناه الى الضلال كما قال ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الاهوياء فلا يردون الى ذلك فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع فلهم ثواب اثر غير منقطع على طاعاتهم فهذه الجملة على القول الاول مبينة لكيفية حال المؤمنين وعلى الثاني مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد قال ابن عباس في الآية اجر غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن ارذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل بعد ما يبلغ ارذل العمر وعنه قال من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه الى قوله الصالحات قال لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئا وعنه قال يقول الى الكبر وضعفه فاذا كبر وضعف عن العمل كتب له مثل اجر ما كان يعمل في شبيبته واخرج احمد والبخاري وغيرهما عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب الله له من الاجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما فما يكذبك بعد بالدين الخطاب للانسان الكافر والاستفهام للتقريع والتوبيخ والزام الحجة اي اذا عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في احسن تقويم وانه يردك اسفل سافلين فما يحملك على ان تكذب بالبعث و الجزاء وعليه ينبغي ان يذهب الالتفات من الغيبة الى الخطاب لما جرى من قوله ولقد خلقنا الانسان وعليه جرى في الكشاف وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اي شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة فاستيقن مع ما جاءك من الله انه احكم الحاكمين والى هذا ذهب القاضي وقدمه على القول الاول قال الفراء المعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذا البيان بالدين كأنه قال من يقدر على ذلك اي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا

اخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وحاكم وابن مردويه

على خلق الانسان ما ظهر واختار هذا ابن جرير وقال الجزاء أليس الله أي اليس الذي
فعل ما فعل مما ذكرنا بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واقضى القاضين واصحهم انفذهم حكما ع
وقضاء حتى تتوهم عدم الاعادة والجزاء وفيه وعيد شديد للكفار والمعنى اتقن الحاكمين
في كل ما يخلق وقيل احكم الحاكمين قضاء وعدلا والاستفهام اذا دخل على النفي صار الكلام ايجابا
وتقريرا كما تقدم في الم نشرح وعن ابي هريرة مرفوعا من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله باحكم
الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي وابن مردويه وعن جابر
مرفوعا اذا قرأت التين فقرأت أليس الله الخ فقل بلى اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس
انه كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحانك اللهم فبلى اخرجه ابن جرير وابن المنذر

سورة اقرأ ويقال لها سورة العلق وسورة القلم وهي تسع عشرة اية وقيل عشرون اية

وهي مكية بلا خلاف وهي اول ما نزل من القرآن قاله ابن عباس وعن ابي موسى الاشعري قال
هو اول سورة انزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها نحوه ويدل على هذا
الحديث الطويل الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما من حديثها وفيه فجاءه الحق وهو في غار حراء
فقال له الملك اقرأ الحديث وفي الباب احاديث واثار عن جماعة من الصحابة وقد ذهب الجمهور الى
ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن ثم بعدها نون والقلم ثم المزمل ثم المدثر الى اخر ما ذكره
الخازن في اول تفسيره فانه استوفى الكلام على ترتيب السور من جهة النزول بمكة ثم بالمدينة
قال القاضي ابو بكر بن الطيب ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد
من الصحابة وذكر ذلك مكي في تفسير سورة براءة وذكر ان ترتيب الايات ووضع البسملة في الاوائل
هو من النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يوم بذلك في اول سورة براءة تركت بلا بسملة وهذا اصح ما قيل في ذلك
فقال قوم ان ترتيب السور عن توقيف من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واما ما روي من اختلاف مصحف ابي وعلي و
عبد الله فانما كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الاخيرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم رتبه هو اليف السور
بعد ان لم يكن فعل ذلك روى يونس عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما الف القرآن على ما كانوا
يسمعون به من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابو بكر الانباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان ان الله انزل القرآن جملة الى سماء

الدنيا ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة فكانت السورة تنزل في امر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عليه الصلوة والسلام عن رب العلمين فمن اخر سورة مقدمة او قدم اخرى مؤخرة كمن افسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات والحجة على اهل الحق في تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت قبل البقرة لان رسول الله صلى الله اخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن و كان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ اقرأ الجمهور بسكون الهمزة امرا من القراءة وقرئ بفتح الراء وكانه قلب الهمزة الفا ثم حذفها للامر والامر بالقراءة يقتضي مقروءا فالتقدير اقرأ ما يوحى اليك او ما نزل عليك او ما امرت بقراءته وقوله باسم ربك متعلق بمحذوف هو حال اي اقرأ متلبسا باسم ربك ومبتدئا به او مفتتحا والباء زائدة اي اقرأ اسم ربك قاله ابو عبيدة وقال ايضا والاسم صلة اي اذكر ربك وقيل الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم ربك يقال افعل كذا باسم الله وعلى اسم الله قاله الاخفش وقيل الباء للاستعانة اي مستعينا به وبسم الله تكتب من غير الف استغناء عنها بباء الالصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانها لم تحذف فيه لقلة الاستعمال عن عبد الله بن شداد قال اتى جبريل محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اقرأ فقال وما اقرأ فضمه ثم قال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم اخرجه ابن ابي شيبة وابن جرير وابو نعيم في الدلائل وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عايشة فجاءه الملك فقال اقرأ قال قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرأ باسم ربك الخ ثم الظاهر ان هذه الجملة ليست من القرآن لان الامر تحصيل الشيء غير ذلك الشيء ولكن قام الاجماع على انها من جملة القرآن خصوصا مع اثباتها في المصاحف بخطها اسلفا وخلفا من غير نكير فعلم منه

انها من جملة القرآن تامل قال السيوطي في اتقانه ان اول سورة اقرأ مشتمل على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها اول ما نزل من القرآن فان فيها الامر بالقراءة وفيها البداءة باسم الله وفيها الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته و صفاته من صفة ذات وصفة فعل وفي هذا الاشارة الى اصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم وهذا قيل انها حديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في اوله انتهى ذكره ابن لقيمة في حاشية البيضاوي والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلعم للاشعار بتبليغه صلعم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية قاله ابو السعود ثم وصف الرب بقوله الذي خلق لتذكير اول النعم الفائضة عليه منه تعالى لان الخلق هو اعظم النعم وعليه يترتب سائر النعم قال الكلبي يعني الخلائق وفيه تنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات قادر على تعليم القراءة خلق الانسان من علق يعني بني آدم والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق يجمع على ان المراد بالانسان الجنس والمعنى خلق جنس الانسان من جنس العلق واذا كان المراد بقوله الذي خلق كل المخلوقات فيكون تخصيص الانسان بالذكر تشريفا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع واذا كان المراد بالذي خلق الذي خلق الانسان فيكون الثاني تفسير الاول والنكتة ما في الابهام ثم التفسير من التفاف الذهن وتطلعه الى معرفة ما ابهم اولا ثم فسر ثانيا وقال من علق لما يقل من نطفة مراعاة للفواصل تكرر الامر بالقراءة للتاكيد والتقرير فقال اقرأ اي افعل ما امرت به من القراءة وجماله وربك الاكرم مستانفة لازاحة ما اعتذر به صلى الله عليه وسلم من قوله ما انا بقارئ يعني ان القراءة شان من يكتب و يقرأ وهو امي فقيل له اقرأ وربك الذي امرك بالقراءة هو الاكرم قال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم وقيل انه امره بالقراءة اولا لنفسه ثم امره بالقراءة ثانيا للتبليغ فلا يكون من باب التاكيد والاول اولى الاكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم لانه ينعم بالنعم التي لا تحصى قال في البحر ومن غريب ما رايناه تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة الله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السداء وسعيد السعداء في ديار مصر ويدعون بها المسلمون

ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيالها من خزي
يوم عرض الاقوال والافعال على الله تعالى الذي علم بالقلم اي علم الانسان الخط بالقلم فكان بواسطة ذلك
يقدر على ان يعلم كل مكتوب قال الزجاج علم الانسان الكتابة بالقلم قال قتادة القلم نعمة من الله
عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا و
نقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط
بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة
الا بالكتابة ولولاها ما استقامت امور الدين ولا امور الدنيا ولو لم يكن في علم دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره
دليل الا القلم والخط الكفى به وسمي قلما لانه يقلم اي يقطع واول من خط به ادريس وقيل آدم وقد
حققنا احوال القلم وما يتعلق به في كتابنا الاكسير في اصول التفسير فان شئت فارجع اليه وجملة
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ بدل اشتمال من التي قبلها اي علمه بالقلم من الامور الكلية والجزئية ما لم يعلمه
منها قيل المراد بالانسان هنا آدم كما في قوله وعلم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان هنا هو رسول الله صلى الله عليه
والاولى حمل الانسان على العموم والمعنى ان من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد
علمه ما لم يعلم كَلَّا ردع وزجر لمن كفر نعم الله عليه بسبب طغيانه وان لم يتقدم له ذكر وقيل
معناه حقا وهو مذهب الكسائي ومن تبعه لانه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له
كما قالوا في كلا والقمر ومذهب ابي حيان انها بمعنى الا الاستفتاحية وصوبه ابن هشام لكسر همزة ان
بعدها اي لكونه مبطنة جملة كما بعد حروف التنبيه نحو الا انهم هم المفسدون ولو كانت بمعنى
حقا لما كسرت ان بعدها لكونها مظنة مفرد وفي الكواشي يجوز في كلا ان تكون تنبيها فيقف
على ما قبلها وردعا فيقف عليها ومعنى إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى انه يجاوز الحد ويستكبر على ربه قيل
المراد بالانسان هنا ابو جهل وهو المراد بهذا وما بعده الى آخر السورة وانه تأخر نزول هذا وما بعده
عن الخمس الآيات المذكورة في اول هذه السورة وقوله أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى علة ليطغى اي ليطغى ان رأى
نفسه مستغنيا والرؤية هنا بمعنى العلم ولو كانت بصرية لامتنع الجمع بين الضميرين في فعلها
لشيء واحد لان ذلك من خواص باب علم ونحوه قال الفراء لم يقل رأى نفسه كما قيل فقل نفسه
لان رأى من الافعال التي تريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد

لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتهدني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت فليدع ناديه قال ابن عباس لئن
ناصره سندع الزبانية اي الملائكة الغلاظ الشداد وهم خزنة جهنم كذا قال الزجاج وقال
الكسائي والاخفش وعيسى بن عمر واحدهم زابن وقال ابو عبيدة زبنية وقيل زباني بتشديد الياء
وقيل هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وابابيل وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب
واصل الزبن الدفع والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قرأ الجمهور سندع بالنون وندع
الواو كما في قوله يوم يدع الداع وقرئ سيدعى على البناء للمفعول ورفع الزبانية على النيابة والسين
في سندع ليست للتسويف فانه من الله واجب لانه ينتقم لرسوله من عدوه وعن عباس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك وعن هذا انك لتعلم ان مابها رجل اكثر نادي مني
فانزل الله هذه الاية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقيل ما يمنعك فقال قد اسود ما بيني وبينه قال
ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه اخرجه احمد والترمذي وصححه
وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم واخرج احمد ومسلم والنسائي والبيهقي وغيرهم عن ابي
هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رايته
يصلي كذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه في التراب فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم
على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك فقال ان بيني و
بينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضوا
عضوا قال وانزل الله كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة يعني ابا جهل فليدع ناديه يعني
قومه سندع الزبانية يعني الملائكة ثم كرر سبحانه الردع والزجر فقال كلا لا تطعه فيما دعاك
اليه من ترك الصلوة واسجد اي صل لله عز وجل واقترب به ولا تبال بنهيه واقترب الى تقرب اليه
سبحانه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء وقال زيد بن اسلم
واسجد انت يا محمد واقترب انت يا ابا جهل من النار والاول اولى والسجود هذا الظاهر ان المراد به الصلوة
وعبر عنها بالسجود لانه افضل اركانها بعد القيام وقيل سجود التلاوة ويدل على هذا ما ثبت
عنه صلى الله عليه وسلم من السجود عند تلاوة هذه الاية وقد قدمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسجد في اذا
السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذي خلق وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون

بلم اواو وسكون
تاتيه وكسر الشين
تخفيض الياء من
الزبن وهو الدفع او
واصله زبي على القلب
واصل زباني بتشديد
الياء قال ابو عبيدة
وفي الصحاح واحد الزبانية
زبان او زبن ١٢
ع
١٩
٢٠

العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء اخرجه مسلم

سورة القدر وهي خمس ايات في العجلي وست ايات

قال سليمان الجمل ولم يذكر غيره هذا القول من المفسرين فيما رأينا بل اقتصروا على كونها خمسا ولعل قائل هذا القول يعد تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم اية مستقلة ثم رأيت في السمين ما يشير اليه انتهى وهي مكية عند اكثر المفسرين كذا قال الماوردي وقال الثعلبي هي مدنية في قول اكثر المفسرين وهو الاصح وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وعن ابن عباس وابن الزبير وعايشة انها نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه الضمير للقران وان لم يتقدم له ذكر عظمه حيث اسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع محل الوقت الذي انزله فيه والمعنى في انا للتعظيم روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما على حسب الحاجة وكان بين نزول اوله واخره على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث وعشرون سنة وفي اية اخرى انا انزلناه في ليلة مباركة وهي ليلة القدر وفي اية اخرى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وليلة القدر في شهر رمضان قال مجاهد في ليلة القدر ليلة الحكم وقد اخرج ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن ابن عباس انزل القران في ليلة القدر حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ثم جعل جبريل ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد واعمالهم ومعلوم ان الانزال مستعار للمعاني من الاجرام شبه نقل القران من اللوح الى السماء وتبوئته فيها بنزول جسم من علو الى سفل فعلى هذا هو مجاز مرسل قيل سميت ليلة القدر لان الله سبحانه يقدر فيها ما شاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجال والرزق وغير ذلك وقيل انها سميت بذلك لعظم قدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة كذا قال الزهري وقيل سميت بذلك لان الطاعات فيها قدر اعظيم وثواب اجزيل وقال الخليل سميت ليلة القدر لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله

ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وقد الاحاديث في فضل ليلة القدر كثيرة وكذا في تعيينها وليس هذا موضع بسطها وقد اختلف في تعيين ليلة القدر على اكثر من اربعين قولا قد ذكرناها بادلتها وبينا الراجح منها في شرحنا لبلوغ المرام المسمى بسبل السلام وذكرها الشوكاني في شرحه لمنتقى الاخبار المسمى بنيل الاوطار وما ادراك ما ليلة القدر في هذا الاستفهام تفخيم لشانها حتى كانها خارجة عن دراية الخلق لا يدريها الا الله سبحانه والمعنى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها قال سفيان كل ما في القرآن من قوله وما ادراك فقد اداه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فلم يدره وكذا قال الفراء والمعنى اي شيء يجعله داريا بها ثم بين فضلها من ثلثة اوجه اولها قوله ليلة القدر خير من الف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر قال كثير من المفسرين اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر واختار هذا الفراء والزجاج وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع فلما جعل الله الخير الكثير في ليلة كانت خيرا من الف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما في هذه الليلة وقيل اراد بقوله الف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف في كثير من الاشياء على طريق المبالغة وقيل وجه ذكر الف الشهران العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله الف شهر فجعل الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من عبادة الف شهر كانوا يعبدونها وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى اعمار امته قصيرة فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته عن انس في الاية قال العمل في ليلة القدر والصدقة والصلوة والزكوة افضل من الف شهر وعن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري بني امية على منبره فساءه ذلك فانزلت انا اعطيناك الكوثر يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله الف شهر يملكها بعدك بنو امية قال القاسم فعددنا فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما والمراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور في اسناده اخرجه الترمذي وضعفه وابن جرير والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي قال الترمذي ان يوسف هذا مجهول يعني يوسف بن سعد الذي رواه عن الحسن بن علي قال ابن كثير فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم

حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور وفي رواية
عنه هو ثقة ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن قال ابن كثير ثم هذا
الحديث على كل تقدير منكر جدا قال المزي هو حديث منكر وقول القاسم بن الفضل انه حسب مدة
بني امية فوجدها الف شهر الخ ليس بصحيح فان جملة مدتهم من عند ان استقل بالملك معاوية
وهي سنة اربعين الى ان سلبهم الملك بنو العباس وهي سنة اثنتين وثلثين ومائة مجموعها
اثنتان وتسعون سنة وعن ابن عباس نحو ما روي عن الحسن بن علي وعن سعيد بن المسيب
مرفوعا مرسلا نحوه تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ وهي مستأنفة مبينة لوجه
فضلها موضحة للعلة التي صارت بها خيرا من الف شهر وهذا هو الوجه الثاني والمعنى متلبسين
باذن ربهم والاذن الامر ومعنى تنزل تهبط من السموات الى الارض والروح هو جبريل عند
جمهور المفسرين اي ومعهم جبريل ووجه ذكره بعد دخوله في الملائكة التعظيم له والتشريف
لشانه وقيل الروح صنف من الملائكة هم اشرافهم وقيل هو جند من جنود الله من غير الملائكة
وقيل الروح الرحمة وقد تقدم الخلاف في الروح عند قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا
قرأ الجمهور تنزل بفتح التاء وقرئ بضمها على البناء للمفعول مِنْ اجل كُلِّ اَمْرٍ من الامور التي
قضى الله بها في تلك السنة وقيل ان من بمعنى اللام اي لكل امر وقيل هي بمعنى الباء اي بكل امر فهي
للتعدية قاله ابو حاتم قرأ الجمهور امر وهو واحد الامور وقرئ اَمْرِ امْرَأٍ مذكرا امرأة اي من اجل
كل انسان وتاولها الكلبي على ان جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل انسان فمن على
هذا بمعنى على والاول اولى وقد تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدئ بفضلها الثالث فقال
سَلَامٌ هِيَ اي ما هي الا سلامة وخير كلها لا شر فيها وقيل هي ذات سلامة من ان يؤثر فيها
شيطان في مؤمن او مؤمنة قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا
ولا اذى وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر
يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك ايها المؤمن وقيل يعني سلام الملائكة بعضهم على
بعض وقال عطاء يريد سلام على اولياء الله واهل طاعته وعن ابن عباس في الاية قال في
تلك الليلة تصفد مردة الشياطين وتغل عفاريت الجن وتفتح فيها ابواب السماء كلها ويقبل الله فيها

التوبة لكل تائب فلذا قال سلام هي حتى مطلع الفجر قال وذلك من غروب الشمس الى ان يطلع الفجر اي حتى وقت طلوعه قرأ الجمهور مطلع بفتح اللام وقرئ بكسرها فقيل هما لغتان في المصدر والفتح اكثر نحو المخرج والمقتل وقيل بالفتح اسم مكان وبالكسر المصدر وقيل العكس وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفرة

سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية

هي ثمان ايات او تسع ايات وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية اخرج ابن مردويه عن ابن عباس نزلت بالمدينة واخرج ابن مردويه عن عايشة قالت نزلت سورة لم يكن بمكة واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك لم يكن قال وسماني لك قال نعم فبكى وفيه فضيلة عظيمة لابي حيث امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرأ عليه وعن ابي حية البدري قال لما نزلت لم يكن الى آخرها قال جبريل يا رسول الله ان الله يامرك ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل امرني ان اقرئك هذه السورة فقال ابي وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى اخرجه احمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه قيل ان ابيا كان اسرع اخذ الالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته صلى الله عليه وسلم عليه ان ياخذ الفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وبعلم غيره وعن اسمعيل بن ابي حكيم المزني احد بني فضل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يستمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول ابشر عبدي وعزتي وجلالي لامكانن لك في الجنة حتى ترضى اخرجه ابو نعيم في المعرفة قال ابن كثير حديث غريب جدا واخرجه ابو موسى المديني عن مطر المزني او المدني بنحوه

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان والمشركين المراد بهم مشركو العرب وهم عبدة الاوثان وقرا ابن مسعود لم يكن المشركون

واهل الكتاب قال ابن العربي وهي قراءة في معرض البيان لا في معرض التلاوة وقرأ ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركون وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على الموصول وسمي اهل الكتاب كفارا مع ايمانهم بكتابهم ونبيهم لانهم عدلوا عن الطريق المستقيم في التوحيد فكفروا بذلك فانه قيل ان اليهود مجسمة وكذلك النصارى لقولهم بالتثليث وهذا يقتضي كفر جميع اهل الكتاب قبل النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر خلافه ولذا قال الماتريدي ان من تبعيضية لان منهم من امن منفكين يقال فككت الشيء فانفك اي انفصل والمعنى انهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا منتهين عما هم عليه حتى تأتيهم اي اتتهم البينة اي الحجة الواضحة وقيل الانفكاك بمعنى الانتهاء وبلوغ الغاية التي لم يكونوا يبلغون نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة وقيل منفكين زائلين اي لم تكن مدتهم لتزول حتى تأتيهم البينة يقال انفك فلان قائما اي ما زال فلان قائما واصل الفك الفتح ومنه فك الخلخال وقال الازهري ليس هو من باب ما انفك وما برح وانما هو من باب انفكاك الشيء عن الشيء وهو انفصاله عنه وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة وقال ابن كيسان المعنى لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يبعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وعلى هذا فيكون معنى قوله والمشركين انهم ما كانوا يستثقلون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبعث فانهم كانوا يسمونه الامين فلما بعث عادوه واساؤا القول فيه وقيل منفكين هالكين من قولهم انفك صلبه اي انفصل فلم يلتئم فيهلك والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم وقيل ان المشركين هم اهل الكتاب فيكون وصفهم لانهم قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قال ابو السعود منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم انتهى ملخصا قال الواحدي ومعنى الآية اخبار الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فبين لهم ما لم يتبين لهم وجهالتهم ودعاهم الى الايمان وهذا بيان عن النعمة والانقاذ به عن الجهل

والضلالة والاية فيمن امن من الفريقين قال وهذه الاية من اصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء وسلكوا في تفسيرها طرقا لا تفضي بهم الى الصواب والوجه ما اخبرتك فاحمد الله اذ انالك بيانها من غير لبس ولا اشكال قال ويدل على كون البينة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فسرها وابدل بقوله الاتي رسول من الله يتلو صحفا مطهرة يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن ويدل على ذلك انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب انتهى كلامه وقيل الاية حكاية لما كان يقوله اهل الكتاب والمشركون انهم لا يفارقون دينهم حتى يبعث النبي الموعود به فلما بعث تفرقوا كما حكاه الله عنهم في هذه السورة والمراد بالبينة على ما قاله الجمهور هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه سراجا منيرا وقد فسر الله سبحانه هذه البينة المجملة بقوله رسول من الله فاتضح الامر وتبين انه المراد بالبينة وقال قتادة وابن زيد البينة هي القرآن كقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى وقال ابو مسلم المراد بها مطلق الرسل والمعنى حتى تاتيهم رسل من الله وهذه الملائكة والاقرب الاول قرأ الجمهور برفع رسول على انه بدل كل من كل على سبيل المبالغة او بدل اشتمال قال الزجاج رسول رفع على البدل من البينة وقال الفراء رفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هي رسول او هو رسول وقرأ ابن مسعود وابي رسولا بالنصب على القطع وقوله من الله متعلق بمحذوف هو صفة لرسول اي كائن من الله ويجوز تعلقه بنفس رسول يتلو صحفا مطهرة صفة اخرى لرسول او حال وقال ابو البقاء التقدير يتلو صحفا مطهرة منزلة من الله ومعنى يتلو يقرأ يقال تلا يتلو تلاوة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومعنى مطهرة انها منزهة من الزور والضلال قال قتادة مطهرة من الباطل قال الشهاب تطهير الصحف كناية عن كونها ليس فيها باطل على الاستعارة المصرحة او المكنية وقيل مطهرة من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد وقيل معظمة وقيل لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون والاول اولى والمعنى انه يقرأ ما تتضمنه الصحف والقراطيس من المكتوب فيها فالكتب بمعنى المكتوبات في القراطيس فالقرآن جمع ثمرة كتب الله المتقدمة عليه والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا ما في الصحف كان كالتالي لها فصح نسبة تلاوة الصحف اليه وهو امي لم يكتب ولا يقرأ من كتاب وانما يقرأ التوراة عن ظهر قلب فيها كتب صفة لصحفا او حال من ضميرها والمراد الايات والاحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه قيمة اي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام الشيء اذا استوى

قال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي حكم وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله تقرضى بالرجم وليس الرجم في كتاب الله فالمراد اقضاء بينكما بحكم الله وبهذا يندفع ما قيل ان الصحف هي الكتب فكيف قال صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال الحسن يعني بالصحف التي في السماء يعني في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وما تفرق الذين اوتوا الكتب الا من بعد ما جاءتهم البينة مستانفة لتوبيخ اهل الكتاب وتقريعهم وبيان ما نسب اليهم من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الامر بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب وايضا تصريح بما افادته الغاية قبله وانفراد اهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى فاقتصر عليهم لانهم اشد جرما او انه يعلم حال غيرهم بالطريق الاولى فهو من باب الاكتفاء فالمعنى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب ولا المشركون الا من بعد الخ قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون والاستثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة وهي بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشريعة الغراء والمحجة البيضاء او هو صلى الله عليه وسلم وقيل البينة القرآن وقيل البينة هو البيان الواضح الذي في كتبهم انه نبي مرسل كقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم قال القرطبي قال العلماء من اول السورة الى قوله لكتب قيمة حكمها فيمن آمن من اهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق الذين الخ فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج وجملة وما امروا الا ليعبدوا الله حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا وتقريعهم وتوبيخهم بما فعلوا من التفرق بعد مجيء البينة اي في الحال التي ظهر ما امروا في كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله ويوحدوه وقيل ان اللام في ليعبدوا بمعنى ان اي ما امروا الا بان يعبدوا كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين وقوله يريد ليطفئوا نور الله اي ان يطفئوا والعبادة هي التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا المسيح والملائكة والاصنام وما اطاعوهم لكنها في الشرع صارت اسما لكل طاعة اديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم مخلصين له الدين اي حال كونهم جاعلين دينهم خالصا له

سبحانه اوجاعلين انفسهم خالصة له فى الدين قرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام وقرأ الحسن بفتحها وهذه الآية من الادلة الدالة على وجوب النية فى العبادات لان الاخلاص فى العمل من عمل القلب قال الكرخي الاخلاص ان لا يطلع على عملك الا الله سبحانه ولا تطلب منه ثوابا وقال الشهاب الاخلاص عدم الشرك وانه ليس بمعنى الاخلاص المتعارف وانتصاب حُنَفَاءَ على الحال من ضمير مخلصين فيكون من باب التداخل ويجوز ان يكون من فاعل يعبدوا والمعنى مائلين عن الاديان كلها الى الدين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم وقيل حجاجا وقيل محتوين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذي امن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم والاول اولى واصل الحنف فى اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وهو الميل الى الشرائع واحاد والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرأ عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقاد وعن توابعها من الخطأ والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني الى ما يعني وهو المقام الثاني من الورع عما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامي الاخلاص الناظر احدهما الى الحق والثاني الى الخلق وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ اي يفعلوا الصلوات فى اوقاتها ويعطوا الزكوة عند محلها وخص الصلوة والزكوة لانهما من اعظم اركان الدين قيل ان اريد بالصلوة والزكوة ما فى شريعة اهل الكتاب من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما فى شريعتنا فمعنى امرهم بها فى الكتابين امرهم باتباع شريعتنا وهما من جملة ما وقع الامر به فيها وذلك المذكور من عبادة الله واخلاصها واقامة الصلوة وايتاء الزكوة دِينُ الْقَيِّمَةِ اي دين الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة قاله الزجاج فالقيمة صفة لموصوف محذوف قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم القائم قال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة رد الى الملة وقال الفراء ايضا هو من اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وفى الاشارة من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته وسمو مكانته ثم بين سبحانه حال الفريقين فى الآخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا فقال اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ وَالْمُشْرِكِيْنَ عطف على الموصول والمجرور وخبر اِنَّ فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ اي انهم يصيرون اليها يوم القيامة

وبدأ باهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته فجاءتهم اعظم الايات الكونية مع العلم بانه خاتم النبيين فما حال من المستكن في الخبر ولم يقل خالدين فيها ابدا كما قال بعد في صفة اهل الثواب لان رحمته ازيد من غضبه فلم يتفق الخلود ان في الابدية اولئك المذكورون من اهل الكتاب والمشركين المتصفين بالكون في نار جهنم والخلود فيها هم شر البرية يقال برأ اي خلق والباري الخالق والبرية الخليقة قرأ الجمهور البرية في الموضعين بغير همز وقرئ بالهمز فيهما قال الفراء ان اخذت البرية من البراء وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ وان اخذتها من بريت القلم اي قدرته دخلت وقيل ان الهمز هو الاصل لانه يقال برء الله الخلق بالهمز اي ابتدعه واخترعه ومنه قوله من قبل ان نبرءها ولكنها خففت الهمزة والتزم تخفيفها عند عامة العرب في ظاهر الاية العموم وقيل المراد الذين عاصروا الرسول اذ لا يبعد ان يكون في كفار الامم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح عليه السلام وشر البرية افعل تفضيل اي لانهم يحرفون من كتاب الله صفة محمد واشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق دين الحق على الخلق واشر من الجهال لان الكفر مع العلم يكون عنادا وهذا فيه تنبيه على ان وعيد علماء السوء اعظم من وعيد كل احد ثم بين سبحانه حال الفريق الاخر فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح اولئك الممنوعون بهذا هم خير البرية اي في عصره صلى الله عليه وسلم ولا يبعد ان يكون في مؤمني الامم السالفة من هو خير منهم وعن ابي هريرة قال التعجبون من منزلة الملائكة من الله والله تعالى يقيم عبده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة اعظم من منزلة ملك واقرؤا ان شئتم ان الذين امنوا الاية وعن عايشة قالت قلت يا رسول الله من اكرم الخلق على الله قال يا عايشة اما تقرين ان الذين امنوا الاية اخرجه ابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة وبيان ان الذين امنوا الاية فكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا اقبل قالوا قد جاء خير البرية اخرجه ابن عساكر وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله لعلي هو انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين اخرجه ابن مردويه واخرج الضياء عن علي مرفوعا نحوه واخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابي سعيد مرفوعا علي خير البرية وعن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل احب بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه الا اخبركم بشر البرية قالوا بلى قال الذي يسأل بالله ولا يعطي به اخرجه احمد جزاؤهم عند ربهم اي ثوابهم عند الله بمقابلة ما وقع منهم من الايمان والعمل الصالح جنات عدن هذا من مقابلة الجمع بالجمع وهو يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وقيل الجمع باق على حقيقته وان لكل واحد جنات كما يدل عليه قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات واد تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات فالمراد بجنات عدن هي اوسط الجنات وافضلها يقال عدن بالمكان يعدن عدنا اي اقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره تجري من تحتها الانهار الاربعة وهي الخمر والماء والعسل واللبن وقد قدمنا في غير موضع انه ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد مجموع قرار الارض والشجر فجري الانهار من تحتها باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر خالدين فيها ابدا لا يخرجون منها ولا يظعنون عنها بل هم دائمون في نعيمها مستمرون في لذاتها وجملة رضي الله عنهم ورضوا عنه مستأنفة لبيان ما تفضل الله به عليهم من الزيادة على مجرد الجزاء وهو رضوانه عنهم حيث اطاعوا امره وقبلوا شرائعه ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتجوز ان تكون الجملة خبرا ثانيا وان تكون في محل نصب على الحال باضمار قد ذلك لمن خشي ربه اي ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له لا مجرد الخشية مع الانهماك في معاصي الله سبحانه فانها ليست بخشية على الحقيقة

سورة الزلزلة هي ثمان او تسع ايات وهي مدنية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر عن عبد الله بن عمر قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول الله قال اقرأ ثلثا من ذوات الراء فقال الرجل كبرسني واشتد قلبي وغلظ لساني قال اقرأ ثلثا من ذوات حم فقال مثل مقالته الاولى فقال اقرأ ثلثا من المسبحات فقال مثل مقالته الاولى وقال ولكن اقرئني يا رسول الله سورة جامعة فاقرأه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق لا ازيد

قال احمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثنا ابو معشر عن ابي وهب مولى ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وفيه العذري الشوكاني رح

ع ٢

عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح الرويجل افلح الرويجل اخرجه احمد وابو داود والنسائي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت الارض عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن اخرجه الترمذي وابن مردويه و البيهقي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي قال الترمذي غريب لا نعرفه الا من حديث يمان بن المغيرة واخرج الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اصحابه هل تزوجت يا فلان قال لا والله يا رسول الله ولا عندي ما اتزوج به قال اليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ثلث القرآن قال اليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك قل يا ايها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج قال الترمذي هذا حديث حسن وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ في ليلة اذا زلزلت كان له عدل نصف القرآن اخرجه ابن مردويه

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا اي اذا حركت حركة شديدة وجواب الشرط تحدث والمراد تحركها عند قيام الساعة فانها تضطرب من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل شيء عليها قال مجاهد وهي النفخة الاولى لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وفي الخازن في وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول اكثر المفسرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيامة انتهى ويؤيد القول الثاني قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها فان الاخراج انما هو في النفخة الثانية وكذا شهادتها انما هو بعد النفخة الثانية وكذا اصدار الناس من الموقف انما يكون بعد الثانية تامل وذكر المصدر للتاكيد وقد اضافه الى الارض فهو مصدر مضاف الى فاعله والمعنى زلزالها المخصوص الذي يستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها قرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاي وقرىء بفتحها وهما مصدران بمعنى وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوساس والقلقال

قال ابن عباس في الآية اي تحركت من اسفلها واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الموتى والدفائن والاثقال جمع ثقل قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقلها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها قال مجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية وقد قيل للجن والانس الثقلان واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير قال ابن عباس اثقالها الموتى والكنوز واخرج مسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا وقال الانسان مالها اي قال كل فرد من افراد الانسان مالها زلزلت لما يدهمه من امرها ويبهره من خطبها وقيل المراد بالانسان الكافر وقوله مالها مبتدء وخبر وفيه معنى التعجب اي اي شيء لها اولاي شيء زلزلت واخرجت اثقالها قال ابن عباس للكافر يقول ما لها وقوله يومئذ بدل من اذا والعامل فيهما قوله تحدث اخبارها ويجوز ان يكون العامل في اذا محذوفا والعامل في يومئذ تحدث والمعنى يوم اذ زلزلت واخرجت تخبر باخبارها وتحدث خبر ما عمل عليها من خير وشر وذلك اما بلسان الحال حيث يدل على ذلك دلالة ظاهرة او بلسان المقال بان ينطقها الله سبحانه وقيل هذا متصل بقوله وقال الانسان مالها اي قال ما لها تحدث اخبارها متعجبا من ذلك وقال يحيى بن سلام تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها وقيل تحدث بقيام الساعة وانها قد اتت وان الدنيا قد انقضت قال ابن جرير تبين اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى والمفعول تحدث الاول محذوف والثاني هو اخبارها اي تحدث الخلق اخبارها عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد امة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا فهذا اخبارها اخرجه احمد والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الارض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت الارض زلزالها حتى بلغ يومئذ تحدث اخبارها اخرجه ابن مردويه والبيهقي وعن بسيعة الجرشي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحفظوا من هذه ارض فانها اسكر وانه ليس من احد

عامل عليها خيرا او شرا الا وهي مخبرة اخرجه الطبراني بان ربك اوحى لها متعلق بتحدث او بنفس اخبارها والباء زائدة وقيل سببية اي بسبب ايحاء الله اليها قال الفراء تحدث اخبارها بوحي الله واذنه لها واللام في لها بمعنى الى واما اوثرت على الى لموافقة الفواصل والعرب تضع لام الصفة موضع الى كذا قال ابو عبيدة وقيل ان اوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى وقيل ان اللام على بابها من كونها للعلة والموحى اليه محذوف وهو الملائكة والتقدير اوحى الى الملائكة لاجل الارض اى لاجل ما يفعلون فيها والاول اولى وقوله يومئذ اما بدل من يومئذ الذي قبله ولها منصوب بمقدر هو اذكروا واما منصوب بما بعده والمعنى يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا اي متفرقين والصدر الرجوع وهو ضد الورود وقيل يصدرون من موضع الحساب الى الجنة او النار وانتصاب اشتاتا على الحال والمعنى ان بعضهم آمن وبعضهم خائف وبعضهم يلون اهل الجنة وهو البياض وبعضهم يلون اهل النار وهو السواد وبعضهم ينصرف الى جهة اليمين وبعضهم الى جهة الشمال مع تفرقهم في الاديان واختلافهم في الاعمال ليروا اعمالهم متعلق ببصدر وقيل فيه تقديم وتاخير اي تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم يومئذ يصدر الناس اشتاتا قرأ الجمهور ليروا مبنيا للمفعول وهو من رؤية البصر اي ليريهم الله اعمالهم وقرئ مبنيا للفاعل والمعنى ليروا جزاء اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اي وزن نملة وهي اصغر ما يكون من النمل قرأ الجمهور يره في الموضعين بضم الهاء وصلا وسكونها وقفا وقرأ هشام بسكونها وصلا ووقفا وقرأ الجمهور ايضا يره مبنيا للفاعل في الموضعين وقرئ على البناء للمفعول فيهما اي يريه الله اياه وقرئ يره على توهم ان ما موصولة او على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة في الفعل قال مقاتل فمن يعمل منكم مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه ففرح به وكذلك من يعمل مثقال ذرة في الدنيا شرا يره يوم القيامة فيسوءه ومثل هذه الآية قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال بعض اهل اللغة ان الذرة هو ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق من التراب فهو ذرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء والاول اولى ومن الاولى عبارة عن السعداء ومن الثانية عبارة عن الاشقياء وقال محمد بن كعب فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا وفي نفسه وماله واهله

وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر والاول اولى قال مقاتل نزلت في رجلين كان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله النار على الكافرين قال ابن مسعود هذه الآية احكم آية في القرآن واصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية قال كعب الاحبار لقد انزل على محمد آيتان احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل الخ وروى محي السنة عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا كان او شرا الا اراه الله تعالى فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيئاته وهذا الاحتمال يساعد النظم والمعنى عن انس قال بينما ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه فمن يعمل الخ فرفع ابو بكر يده وقال يا رسول الله اني لارى ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال يا ابا بكر ارايت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن ابي اسماء قال بينا ابو بكر يتغدى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت هذه الآية فامسك ابو بكر وقال يا رسول الله ما عملنا من شر رايناه فقال ما ترون مما تكرهون فذلك مما تجزون ويدخر الخير لاهله في الآخرة اخرجه اسحق بن راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال انزلت اذا زلزلت وابو بكر الصديق قاعد فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ابا بكر قال تبكيني هذه السورة فقال لولا انكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله قوما يخطئون ويذنبون فيغفر لهم اخرجه ابن ابي الدنيا وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل لثلثة لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر الحديث قال وسئل عن الحمر فقال ما انزل علي الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ☆☆

سورة العاديات احدى عشرة اية ومدنية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن وهو مرسل اخرجه ابو عبيد في فضائله وعن ابن عباس مرفوعا مثله اخرجه محمد بن نصر من طريق عطاء بن ابي رباح وزاد وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كالغازيات من الغزو والمراد بها الخيل العادية في الغزو نحو العدو وضبحا مصدر مؤكد لاسم الفاعل فان الضبح نوع من السير ونوع من العدو ويقال ضبح الفرس اذا عدى بشدة ماخوذ من الضبح وهو الدفع وكان الحاء بدل من العين قال ابو عبيدة والمبرد الضبح من اضياعها في السير ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي ضابحات او ذوات ضبح ويجوز ان يكون مصدرا لفعل محذوف اي يضبحن ضبحا وقيل الضبح صوت حوافرها اذا عدت وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدت قيل كانت تكعم لئلا تصهل فيسلم العدو وكانت تنفس في هذه الحالة بقوة وقيل الضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وقد ذهب الجمهور الى ما ذكرنا من ان العاديات ضبحا هي الخيل وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي هي الابل ونقل اهل اللغة ان اصل الضبح للثعلب فاستعير للخيل قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فاستمرت شهرا لا ياتينا منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا فاخبره الله خبرها وما كان من امرهم فقال والعاديات ضبحا هي الخيل تضبح والضبح تخرج الخيل حين تخرج وعنه قال هي الخيل في القتال وضبحها حين ترخي مشافرها اذا عدت وعن ابن مسعود قال هي الابل قال ابراهيم التيمي قال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل ضبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس انما كانت تلك في مرتعث وعن عامر الشعبي قال تماري علي وابن عباس في العاديات ضبحا فقال ابن عباس هي الخيل وقال علي

فقال السائل عنها الحبشي
قال فهم سالت عنها ابن
عباس فقال ما اجعل
حين تقرن سبيل الشغل
او سرقا فعدو افما اقدت
على ما سوقال فتى الناس
بالاعلم لكن البراذين كما
غزوة في الاسلام بدرو
كان منشا الافراس في
لتغير فرس للفداء ابن الاكوع
فكيف يكون العاديات ضبحا
انما العاديات ضبحا
الى الكرة فاذا آوه الى الاخرة
وقد كان ابن الغير رضي الله عنه
من الغزو فصلى الغداة
فنزلت جمع واما قوله
فاثرن به نقعا
تعاقدوا ما خلفا فما
فاثرن به نقعا قال ابن عباس
اثرت به قتالا
الشوكاني
في التقرير الكبير
ذو القعدة ١٢

على كذبت يا ابن فلانة والله ما كان معنا يوم بدر فارس الا المقداد كان على فرس ابلق قال وكان يقول هي الابل فقال ابن عباس الا ترى انها تثير نقعا فما شئ يثير الا بحوافرها وعن ابن عباس قال هي الخيل في القتال وعن ابن مسعود قال في الحج وعن ابن عباس ليس شئ من الدواب يضبح الا الكلب او الفرس وقد روي عنه بطرق انها الخيل وعنه قال الخيل ضبحها از حمحمة الفرس اذا عدى قال الراجز فذلك ضبحها وعن علي قال الضبح من الخيل المحمحة ومن الابل النفس فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا هي الخيل حين تورى النار بسنابكها والايراء اخراج النار والقدح الصك فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد قال الزجاج اذا عدت الخيل بالليل واصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النيران والكلام في انتصاب قدحا كالكلام في انتصاب ضبحا والخلاف في كونها الخيل او الابل كالخلاف الذي تقدم في العاديات والراجح انها الخيل كما ذهب اليه الجمهور وكما هو الظاهر من هذه الاوصاف المذكورة في هذه السورة ما تقدم منها وما سيأتي فانها في الخيل اوضح منها في الابل وتقدم ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة قال ابن عباس في الاية قدحت بحوافرها الحجارة وعنه قال حين تجري الخيل تورى نارا اصابت سنابكها الحجارة وعنه قال الرجل اذا اورى زندة وعنه قال هو مكر الرجل قدح فاورى وقال ابن مسعود اذا سفت الحصى بمناسمها فضرب الحصى بعضه بعضا فتخرج منه النار فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا اي التي تغير على العدو وقت الصباح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لقتال او اسر او نهب واسند الاغارة اليها وهي لاهلها للاشعار بانها عادتهم فهي اغاراتهم وصبحا منتصب على الظرفية قال ابن عباس صبحت القوم بغارة وعنه قال هي الخيل اغارت فصبحت العدو وعنه قال اذا اصبحت العدو وعنه قال الخيل تصبح العدو وقال ايضا غارت الخيل صبحا وقال ابن مسعود حين يفيضون من جمع وانما اقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا معطوف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى والاتي غدون فاثرن او على اسم الفاعل نفسه لكونه في تاويل الفعل لوقوعه صلة للموصول فان الالف واللام في الصفات اسماء موصولة فالكلام في قوة والاتي غدون فاورين فاغرن فاثرن والنقع الغبار الذي اثرنه في وجه العدو عند الغزو وتخصيص اثارته بالصبح لانه وقت الاغارة ولكونه لا يظهر اثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح فتقييل المعنى فاثرن بمكان عدوهن نقعا يقال ثار النقع واثرته

اي هاج وهيجته قرأ الجمهور فاثرن بتخفيف الثاء وقرئ بتشديدها اي فاظهرن غبارا وقال ابو عبيدة النقع رفع الصوت وعلى هذا رايت قول اكثر اهل العلم انتهى والمعروف عند جمهور اهل اللغة والمفسرين ان النقع الغبار وهذا هو المناسب لمعنى الآية وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى فان قولك اغارت الخيل على بني فلان صبحا فاثرن به صوتا قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المعجزة وقيل النقع شق الجيوب وقال محمد بن كعب النقع ما بين مزدلفة الى منى وقيل انه طريق الوادي قال في الصحاح النقع الغبار والجمع انقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء قال ابن عباس في الآية اثارت بحوافرها التراب وقال ايضا هي الخيل اثرن بحوافرها يقول بعد والخيل والنقع الغبار وعنه قال التراب وقال ايضا نقعا غبارا وقال ابن مسعود اذا سرن يثرن التراب فوسطن به جمعا اي توسطن بذلك الوقت او توسطن متلبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء او صرن بعدوهن وسطا جمع الاعداء والباء اما للتعدية او الحالية او زائدة يقال وسطت القوم والمكان اسط وسطا من باب علا اذا توسطت بين ذلك و الفاعل واسط وبه سمي البلد المشهور بالعراق لانه توسط الاقليم تقول جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم لما يكتنفه غيره من جهاته وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك وربما سكن وليس بالوجه وجمعا مفعول به والفاء ان في المواضع الاربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ما قبلها قرأ الجمهور فوسطن بتخفيف السين وقرئ بالتشديد قال ابن عباس في الآية صبحن القوم جميعا وفي لفظ الجمع العدو وفي لفظ اذا توسطت العدو وفي لفظ جمع العدو إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ هذا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده وهو الكافر والكنود الكفور للنعمة وقوله لربه متعلق بكنود قدم لرعاية الفواصل وقيل هو الجاحد للحق وقيل الكنود ما خوذ من الكند وهو القطع كانه قطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر يقال كند الحبل اذا قطعه وقيل الكنود البخيل بلغة بني مالك وقيل الحسود وقيل الجهول لقدره وقيل العاصي بلغة كندة وتفسير الكنود بالكفور للنعمة اولى بالمقام والجاحد للنعمة كافرها ولا يناسب المقام سائر ما قيل وعن ابن عباس قال الكنود بلسان اهل البلد الكفور وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكنود الكفور اخرجه ابن عساكر وعنه قال الكنود الذي يمنع رفده ويبخل وحده ويضرب عبده وروي نحوه

مرفوعا عنه وسنده ضعيف والموقوف اصح وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه به لظهور اثره عليه وقيل المعنى وان الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد وبه قال الجمهور قال الاول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وهو ارجح من قول الجمهور لقوله وانه لحب الخير لشديد فان الضمير راجع الى الانسان والمعنى انه لحب المال قوي مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ومنه قوله تعالى ان ترك خيرا وقيل المعنى وان الانسان من اجل حب المال لبخيل والاول اولى واللام في لحب متعلقة بشديد قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا ولكن الناس يحمدونه خيرا فسماه خيرا قال الفراء اصل نظم الآية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما قدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤس الاي كقوله في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كانه قال في يوم عاصف الريح قال ابن عباس لخير المال أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور لاستفهام الانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم وهذا تهديد ووعيد وبعثر معناه نثر وبحث اي نثر ما في القبور من الموتى وبحث عنهم واخرجوا قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه وقال الفراء ألقيت بعض العرب من بني اسد يقول بحثرت بالحاء مكان العين وقد تقدم الكلام على هذا في قوله واذا القبور بعثرت وحصل ما في الصدور اي ميز وبين ما فيها من الخير والشر والتحصيل التمييز كذا قال المفسرون وقيل حصل ابرز قرأ الجمهور حصل بضم الحاء وتشديد الصاد مكسورا مبنيا للمفعول وقرئ حصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد مبنيا للفاعل اي ظهر قال ابن عباس بعثر بحث وحصل ابرز والمعنى اخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خير وشر مما يظن بمضمره انه لا يعلمه احد اصلا وظهر مكتوبا في صحائف الاعمال وهذا يدل على ان الانسان يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وخص اعمال القلوب بالذكر وترك ذكر اعمال الجوارح لانها تابعة لاعمال القلوب فانه لو لا تحقق البواعث والارادات في القلوب لما حصلت افعال الجوارح ان ربهم اي بهم المبعوثين لهم يومئذ بالخير لخبير لا تخفى عليه خافية فيجازيهم بالخير خيرا وبالشر شرا قال الزجاج الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم ومثله قوله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم معناه اولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم قال الامام دلت الآية على انه تعالى عالم بالجزئيات الزمانيات وغيرها لانه تعالى نص على كونه عالما بكيفية احوالهم في ذلك اليوم ففيما لا يكون مذكورا كان اولى ذكره الكرخي قرأ الجمهور بكسر ان وباللام في لخبير وقرأ ابو السماك بفتح الهمزة واسقاط اللام ع

سورة القارعة وهي ثمان آيات وقيل لحدى عشرة آية وقيل عشر آيات

وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة هي من اسماء القيامة قاله ابن عباس لانها تقرع القلوب بالفزع وتقرع اعداء الله بالعذاب والعرب تقول قرعتهم القارعة اذا وقع بهم امر فظيع وقيل اصل القرع الضرب الشديد ومنه قوارع الدهر وسميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور يسمع جميع الخلائق من شدة صوته نفخته وهي مبتدأ وخبره ما القارعة قرأ الجمهور بالرفع وقرئ بنصبها على تقدير احذر والقارعة والاستفهام للتفخيم والتعظيم لشانها كما تقدم بيانه في قوله الحاقة ما الحاقة وقيل معنى الكلام على التحذير قال الزجاج والعرب تحذر وتغري بالرفع كالنصب والحمل على معنى التفخيم والتعظيم اولى ويؤيده وضع الظاهر موضع المضمر فانه ادل على هذا المعنى ويؤيده ايضا قوله وما أدراك ما القارعة فانه تاكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها حتى كانها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تنالها دراية احد منهم وما الاستفهامية مبتدأ وادراك خبرها وما القارعة مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب على انها المفعول الثاني والمعنى واي شيء اعلمك ما شان القارعة ثم بين سبحانه متى تكون القارعة فقال يوم يكون الناس كالفراش المبثوث انتصاب الظرف بفعل محذوف تدل عليه القارعة اي تقرعهم يوم يكون الخ ويجوز ان يكون منصوبا بتقدير اذكر وقال ابن عطية وملكي ابو البقاء هو منصوب بنفس القارعة وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وانما نصب لاضافته الى الفعل فالفتحة فتحة بناء لا فتحة اعراب اي هي يوم يكون الخ وقيل التقدير ستاتيكم القارعة يوم يكون الخ وقرأ زيد بن علي برفع يوم على الخبرية للمبتدأ المقدر والفراش الطير الذي تراه يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة كذا قال ابو عبيدة وغيره قال الفراء الفراش هو الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد قال وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة والمراد بالمبثوث المتفرق المنتشر يقال بثه اذا فرقه ومثل هذا قوله سبحانه في اية اخرى كانهم جراد منتشر وقال المبثوث ولم يقل مبثوثة لان الكل جائز كما في قوله اعجاز نخل منقعر اعجاز نخل خاوية وقد تقدم بيان وجه ذلك وفي تشبيه الناس بالفراش

مبثوثات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة و الضعف والتذلل واجابة الداعي من كل جهة والتطاير الى النار وتكون الجبال بعد ان تفتت كالرمل السائل كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة الذي ينفش بالندف والعهن عند اهل اللغة الصوف المصبوغ بالالوان المختلفة وقد تقدم بيان هذا في سورة سأل سائل وقد ورد في الكتاب العزيز اوصاف للجبال يوم القيامة وقد قدمنا بيان الجمع بينها ثم ذكر سبحانه احوال الناس وتفرقهم فريقين على جهة الاجمال فقال فأما من ثقلت موازينه باتباعه الحق وقد تقدم القول في الميزان في سورة الاعراف وسورة الكهف وسورة الانبياء وقد اختلف فيها هنا فقيل هي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله وبه قال الفراء وغيره وقيل هي جمع ميزان وهو الآلة التي توضع فيها صحائف الاعمال وعبر عنه بلفظ الجمع كما يقال للكل حادثة ميزان وقيل المراد بالموازين الحجج والدلائل فهو في عيشة حياة راضية طيبة او مرضية فهو اسناد مجازي او استعارة مكنية وتخييلية او هي بمعنى المفعول على التجوز في الكلمة نفسها قال الزجاج اي ذات رضى يرضاها صاحبها يعني انها للنسب وقيل المعنى فاعلة للرضاء وهو اللين والانقياد لاهلها والعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة وأما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته اولم تكن له حسنات يعتد بها فأمه هاوية اي فمسكنه جهنم وسماها امه لانه يأوي اليها كما يأوي الولد الى امه والهاوية من اسماء جهنم وهي اخر الطبقات السبع وسميت هاوية لانه يهوي فيها مع بعد قعرها والتهوي والمهواة ما بين الجبلين وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض قال قتادة يعني فمصيره الى النار قال عكرمة لانه يهوي فيها على ام راسه قال الاخفش امه مستقره قال ابن عباس هاوية كقوله هوت امه وعن عكرمة قال ام راسه هاوية في جهنم قال الخطيب اي نار نازلة ساقطة جدا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالاية من الاحتباك وذكر العيشة اولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها اولا واخرج ابن مردويه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات المؤمن تلقته ارواح المؤمنين يسألون ما فعل فلان ما فعلت فلانة فاذا كان مات ولم يأتهم قالوا خلف به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية واخرج ابن مردويه من حديث ابي ايوب الانصاري نحوه واخرج ابن المبارك من حديثه

عمر ايضا وبقي قسم ثالث غير مذكور في الآية وهو من استوت حسناته سيئاته قال المناوي من رجحت حسناته بسبب زيادتها على السيئات فهو في الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته و سيئاته فيحاسب حسابا يسيرا ومن رجحت سيئاته على حسناته اي بسبب زيادتها فيشفع فيه او يعذب وما أدراك ماهية هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان انها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ولا تدري كنهها والضمير يعود الى الهاوية والهاء للسكت ثم بينها سبحانه بقوله نار حامية اي قد انتهى حرها وبلغ في الشدة الى الغاية وارتفاع نار على انها خبر مبتدء محذوف اي هي نار حامية نعوذ بالله منها

سورة التكاثر ثمان آيات وهي مكية عند الجميع

وروى البخاري انها مدنية قال ابن عباس نزلت بمكة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف اية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف اية في كل يوم قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر اخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب قال المنذري رجال اسناده ثقات الا ان عقبة لا اعرفه وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة الف اية لقي الله وهو ضاحك في وجهه قيل يا رسول الله من يقوى على الف اية فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر الى اخرها ثم قال والذي نفسي بيده انها لتعدل الف اية اخرجه الخطيب في المتفق والمفترق والديلمي واخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن عبد الله بن الشخير قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر وفي لفظ وقد انزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول يقول ابن ادم مالي مالي و هل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت واخرجه مسلم وغيره من حديث ابي هريرة ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة وكانزولها بلفظ يقول العبد مالي مالي انما له من ماله ثلثة ما اكل فافنى او لبس فابلى او تصدق فامضى وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وعن جرير بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقرأ عليكم سورة الهاكم التكاثر فمن بكى فله الجنة فقرأها فما من منا من بكى منا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا قد جهدنا يا رسول الله ان نبكي فلم نقدر عليه فقال اني اقرأها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة او ما يعدل ان يبكي قلت بكل اخرجه البيهقي في الشعب وضعف الحكيم الترمذي في نوادر الاصول

ع ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اي شغلكم التهاري في التكاثر بالاموال والاولاد والتباهي والتفاخر بكثرتها عن طاعة الله تعالى والتغالب فيها يقال الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله وقال الحسن معناه انساكم حتى ادركتكم الموت وانتم على تلك الحال وقال قتادة ان التكاثر التفاخر بالقبائل والعشائر قال الضحاك الهاكم التشاغل بالمعاش وقيل المعنى متم تموتون فتتم في المقابر والمقابر جمع مقبرة وقال مقاتل وقتادة ايضا وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا وقال الكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر قائدا فاكثرهم بنو عبد مناف بنو سهم ثم تكاثروا بالاموات فكاثرتهم بهم فانزلت الهكم التكاثر فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات عن ابي بردة في الاية قال نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما فيكم مثل فلان وفلان وقال الاخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون الى القبر ومثل فلان وفعل الاخرون مثل ذلك فانزل الله هذه الاية اي لقد كان لكم فيما زرتم عبرة وشغل اخرجه ابن ابي حاتم وفي الاية دليل على ان الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة والشرع دل على ان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته وحسن اخلاقه ان كان يظن ان غيره يقتدي به وقال سبحانه الهاكم التكاثر ولم يقل عن كذا بل اطلقه لان الالهاء ابلغ في الذم لانه يذهب فيه الوهم كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام ولان حذف المتعلق مشعر بالتعميم كما تقرر في علم البيان والمعنى انه شغلكم التكاثر عن كل شيء يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله والعمل للاخرة وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لان الميت قد صار الى قبره كما يصير الزائر الى الموضع الذي يزوره هذا على قول من قال ان معنى زرتم المقابر متم واما على قول من قال ان معنى زرتم المقابر ذكرتم الموتى وعددتموهم للمفاخرة والمكاثرة فيكون ذلك على طريق التهكم

بهم وقيل انهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ردع وزجر عن التكاثر وتنبيه على انهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم
القيامة وفيه وعيد شديد قال الفراء اي ليس الامر على ما انتم عليه من التكاثر والتفاخر ثم كرر
الردع والزجر والوعيد فقال ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول و
قيل الاول عند الموت او في القبر والثاني يوم القيامة قال الفراء هذا التكرار على وجه التغليظ والتاكيد
قال مجاهد هو وعيد بعد وعيد وكذا قال الحسن ومقاتل وجعله الشيخ جمال الدين بن مالك
من التوكيد اللفظي مع توسط حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والردع عليهم و
نقل عن علي كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر
لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال
الثلاثة لان الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد قاله السمين
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ اي لو تعلمون الامر الذي انتم صائرون اليه علما يقينيا لعلمكم ما
هو متيقن عندكم في الدنيا وجواب لو محذوف ولهى لشغلكم ذلك وعن التكاثر والتفاخر او لفعلتم ما
ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما انتم فيه وقال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم وكلا في
هذا الموضع الثالث للردع والزجر كالموضعين الاولين وقال الفراء هي بمعنى حقا وقيل هي في الموضع
الثالث بمعنى الا قاله ابن ابي حاتم قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه قال هو البعث وعنه كنا نحدث
ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت واضافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف
الى صفته وفي السمين وعلم اليقين مصدر قيل واصله العلم اليقين وقيل لا حاجة الى ذلك
لان العلم يكون يقينا وغير يقين فاضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على ان اليقين
اخص وقوله لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد اي والله لترون الجحيم
في الآخرة قال الرازي وليس هذا جواب لو لان جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت ولانه عطف عليه
ثم لتسألن وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال وحذف جواب لو كثير والخطاب للكفار وقيل عام كقوله
وان منكم الا واردها قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرئ بضمها مبنيا للمفعول والرؤية
هنا بصرية فلذلك تعدت الى مفعول واحد ثم كرر الوعيد التهديد للتاكيد فقال ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

اليقين اي لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة وقيل المعنى لترون الجحيم بابصاركم على البعد منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب وقيل المراد بالاول رؤيتها قبل دخولها وبالثاني رويتها حال دخولها وقيل هو اخبار عن دوام بقائهم في النار اي هي روية دائمة متصلة وقيل المعنى لو تعلمون اليوم علم اليقين وانتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم وهو ان تتصوروا امر القيامة واهوالها ثم لتسألن يومئذ عن النعيم اي عن نعيم الدنيا الذي الهاكم عن العمل للاخرة وثم للترتيب الاخباري لا المعنوي لان السؤال قبل رؤية الجحيم قال قتادة يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره واشركوا به قال الحسن لا يسأل عن النعم الا اهل النار وقال قتادة ان الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما انعم عليه وهذا هو الظاهر ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الافراد او نوع من الانواع لان تعريف الجنس او للاستغراق ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسؤل على النعمة التي سئل عنها فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التي انعم بها عليه فيم صرفها وبم عمل فيها ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر قيل السؤال عن الامن والصحة وقيل عن الصحة والفراغ وقيل عن الادراك بالحواس فقيل عن ملاذ المأكول والمشروب وقيل عن الغذا والعشاء وقيل عن بارد الشراب وظلال المساكن وقيل عن اعتدال الخلق وقيل عن لذة النوم وقيل غير ذلك والاولى العموم كما ذكرنا وعن ابن عباس في الاية قال صحة الابدان والاسماع والابصار وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن بريدة بن اسلم عن ابيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يعني عن الطاعة حتى زرتم المقابر يقول حتى ياتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على امر الكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك ان الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسألن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم واخرج ابن مردويه عن عياض بن غطيف مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاية قال الامن والصحة رواه عبد الله بن احمد في زوائد الزهد

وابن ابي حاتم وغيرهما وعن علي قال النعيم العافية وعنه قال من اكل خبز البر وشرب ماء الفرات
مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسأل عنه وعن ابي الدرداء قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الآية اكل خبز البر والنوم في الظل وشرب ماء الفرات مبردا اخرجه ابن مردويه
ولعل رفع هذا لا يصح فربما كان من قول ابي الدرداء وعن ابي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية
قال ناس من امتي يعقدون السمن والعسل بالنقي فيأكلونه اخرجه احمد في الزهد وابن مردويه
وهذا مرسل وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله اي نعيم نحن فيه وانما نأكل
في انصاف بطوننا خبز الشعير فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لهم اليس تحذون النعال وتشربون
الماء البارد فهذا من النعيم اخرجه عبد بن حميد وابن ابي حاتم وعن محمود بن لبيد قال لما نزلت
الهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله اي نعيم نسأل عنه وانما هما الاسودان الماء و
التمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فمن اي نعيم نسأل قال اما ان ذلك وسيكون اخرجه ابن ابي شيبة
وهناد واحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب واخرجه الترمذي وغيره من حديث ابن هريرة
واخرجه احمد والترمذي وحسنه وغيرهما من حديث الزبير بن العوام وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم ان يقال له الم نصح لك جسمك
ونرويك من الماء البارد اخرجه احمد والترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم وعن جابر بن عبد الله قال
جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فاطعمناهم رطبا وسقيناهم ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي
تسألون عنه اخرجه احمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم واخرج مسلم واهل
السنن وغيرهم عن ابي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما
الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فقوما فقاما معه فاتى
رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت
انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما
احد اليوم اكرم اضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا واخذ المدية فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا وروا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة وفي الباب احاديث

سورة العصر وهي ثلاث آيات وهي مكية عند الجميع وقال قتادة هي مدنية

قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابي مزينة الداري وكانت له صحبة قال كان الرجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ احدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلم احدهما على الآخر اخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بالعصر وهو الدهر لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وتعاقب الظلام والضياء فان في ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده ويقال الليل عصر والنهار عصر ويقال للغداة والعشي عصران قال الرازي اقسم تعالى بالدهر لما فيه من الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت النفوس فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللحظة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة ابد الآباد فعلمت ان اشرف الاشياء حياتك في تلك اللحظة فكان الدهر والزمان من جملة اصول النعم ولان الزمان اشرف من المكان فاقسم به لكونه نعمة خالصة لا عيب فيه وقال قتادة والحسن المراد به في الآية العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها وعن قتادة ايضا انه آخر ساعات من ساعات النهار وقال مقاتل ان المراد به صلاة العصر وهي الصلوة الوسطى التي امر الله سبحانه بالمحافظة عليها وقيل هو قسم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قال بعضهم معناه ورب العصر والاول اولى وبه قال ابن عباس وعنه هو ساعة من ساعات النهار وقال ايضا هو ما قبل مغيب الشمس من العشي واخرج الفريابي وابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف عن علي بن ابي طالب انه كان يقرأ والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وعن ابن مسعود ايضا انه كان يقرأ ان الانسان لفي خسر وانه لفيه الى آخر الدهر اخرجه عبد بن حميد ان الانسان لفي خسر هذا جواب القسم والخسر والخسران النقصان وذهاب راس المال والمعنى ان كل انسان في المتاجر والمساعي مصروف الاعمار في اعمال الدنيا الفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت وقيل المراد بالانسان الكافر وقيل جماعة من الكفار وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود

قال الرازي اقسم سبحانه بكل ما يصلح في قوله الا اقسم بهذا البلد والاقسم بعمره في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وبحياته في قوله انهم لفي سكرتهم يعمهون قال وعصر ظرف للمظروف فاقسم بهذا الظرف لتعظيم المظروف من باب اولى

عبد المطلب بن اسد والاول اولى لما في لفظ الانسان من العموم ولذلك الاستثناء عليه قال الاخفش في تحسر في هلكة وقال الفراء في عقوبة وقال ابن زيد في شر وقيل في نقص والمعاني متقاربة قرأ الجمهور والعصر بسكون الصاد وقرئ بكسر الصاد وقرأ الجمهور ايضا خسر بضم الخاء وسكون السين وقرئ بضمهما والتنكير في خسر يفيد التعظيم اي في خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله فقد جعل الانسان مغمورا في الخسر للمبالغة وانه احاطه من كل جانب لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسران كانت مشغولة بالمباحات فالخسران ايضا حاصل وان كانت مشغولة بالطاعات في غير متناهية وترك الاعلى والاقتصار على الادنى نوع خسران فلا ينفك قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم لان الكلام تارة في احوال البدن وهنا في احوال النفس

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي جمعوا بين الايمان بالله والعمل الصالح فانهم في ربح لا في خسر لانهم عملوا للاخرة ولم تشغلهم اعمال الدنيا عنها والاستثناء متصل ومن قال ان المراد بالانسان الكافر فقط فيكون منقطعا ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة وعلى اي وجه لما قيل ان المراد الصحابة او بعضهم فان اللفظ عام لا يخرج عنه احد ممن يتصف بالايمان والعمل الصالح وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ اي وصى بعضهم بعضا بالحق الذي يحق القيام به وهو الايمان بالله والتوحيد والقيام بما شرعه الله واجتناب ما نهى عنه قال قتادة بالحق اي بالقرآن وقيل بالتوحيد والحمل على العموم اولى وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ عن معاصي الله سبحانه وعلى فرائضه وعلى البلايا وفي جعل التواصي بالصبر قرينا للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ان الله مع الصابرين وايضا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق فافراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من اعظم الادلة الدالة على انافته على اخصال الحق ومزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها وكرر الفعل لاختلاف المفعولين

سورة الهمزة هي تسع آيات وهي مكية بلا خلاف

قال ابن عباس انزلت بمكة وقال المحلي ومدنية والاول اولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ هو مرتفع على الابتداء وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم وخبره لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ والمعنى خزي أو عذاب أو هلكة او واد في جهنم لكل همزة لمزة والتاء فيهما للمبالغة في الوصف وقد اطرحت بناء فعلة لمبالغة الفاعل اي المكثر لما خذ الاشتقاق واذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه قال ابو عبيدة والزجاج الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس وعلى هذا هما بمعنى وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب الرجل في وجهه واللمزة الذي يغتابه من خلفه وقال قتادة عكس هذا وروي عن قتادة ومجاهد ايضا ان الهمزة الذي يغتاب الناس في انسابهم وعن مجاهد ايضا ان الهمزة الذي يهمز الناس بيده واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وقال سفيان الثوري يهمزهم بلسانه ويلمزهم بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بيده وبراسه وبحاجبه وقيل هو المشاء بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون العيب للبريئ وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب يدخل في ذلك من يحاكي الناس في اقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه والاول اولى واصل الهمز الكسر يقال همز راسه كسره وقيل اصل الهمز واللمز الضرب والدفع يقال همزه يهمزه همزا ولمزه يلمزه لمزا اذا دفعه وضربه قرأ الجمهور همزة لمزة بضم اولهما وفتح الميم فيهما وقرئ بسكون الميم فيهما وقرأ ابو وائل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة والآية تعم كل من كان متصفا بذلك وكانت نزولها على سبب خاص فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس انه سئل عن همزة لمزة قال هو المشاء بالنميمة المفرق بين الجمع المغري بين الاخوان وعنه قال همزة طعان ولمزة مغتاب ثم بين الذي جمع مالا وعدده بدل من كل او في محل نصب على الذم وهذا ارجح لان البدل يستلزم ان يكون المبدل منه في حكم الطرح او تعليل لما قبله وانما وصفه سبحانه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه انه الفضل فلاجل ذلك يستصغر غيره قرأ الجمهور جمع مخففا وقرئ مثقلا قال الرازي الفرق ان التشديد يفيد انه جمعه من ههنا وههنا ولم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين ولا في شهر ولا في شهرين وان التخفيف لا يفيد ذلك وذكر ماله تفضيلا اي مالا بالغ في الخبث والفساد اقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر به وقرأ ثم رد وعدده

مشددا وقرئ بالتخفيف والتشديد في الكلمتين يدل على التكثير وهو جمع الشيء بعد الشيء و تعديده مرة بعد اخرى قال الفراء معنى عدده احصاه فهو ما خوذ من العدد وقال الزجاج وعدده لنوائب الدهور يقال اعددت الشيء وعددته اذا امسكته قال السدي احصى عدده وقال الضحاك اعد ماله لمن يرثه وقيل المعنى فاخر بكثرته وعدده والمقصود ذمه على جمع المال وامساكه وعدم انفاقه في سبيل الخير وقيل المعنى على قراءة التخفيف في عدده انه جمع عشيرته واقاربه قال الهذلي من خفف وعدده فهو معطوف على المال اي وجمع عدده وحمله يحسب ان ماله اخلده مستانفة لتقرير ما قبلها ويجوز ان تكون في محل النصب على الحال من فاعل جمع اي يعمل عمل من يظن ان ماله يتركه حيا مخلدا لا يموت واخلده ماض معناه المضارع اي يخلده وقال عكرمة يحسب ان ماله يزيد في عمره والاظهار في موضع الاضمار للتقريع والتوبيخ وقيل هو تعويض بالعمل الصالح وانه الذي يخلد صاحبه في الحيوة الابدية لا المال والخلد بالضم البقاء والدوام وبابه دخل واخلده الله وخلد تخليدا.

كَلَّا ردع له عن ذلك الحسبان اي ليس الامر كما يحسبه هذا الذي جمع المال وعدده او معنى حقا لَيُنْبَذَنَّ في الْحُطَمَةِ اللام جواب قسم محذوف اي ليطرحن في النار وليلقين فيها قرأ الجمهور لينبذن وقرئ لينبذان بالتثنية اي لينبذ هو وماله في النار وقرئ لَيُنْبَذَنَّ اي لينبذن ماله في النار والمعنى تحطم وتكسر كل ما القي فيها ففي الحطمة مماثلة لمعناها لفظا ومعنى لانها على وزن همزة لمزة وفيهما كسر كما فيها وحطمه من باب ضرب والتحطيم التكسير والحطمة من اسماء النار لانها تحطم ما تلتقم وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كانها ليست مما تدركه العقول فتبلغه الافهام قيل هي الطبقة السادسة من طبقات جهنم وقيل الطبقة الثانية منها وقيل الطبقة الرابعة ثم بينها سبحانه فقال نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ باضافته سبحانه التي لا تخمد ابدا ووجب تحتم ايقادها وفي اضافتها الى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم وكذلك في وصفها بالايقاد الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ اي يخلص حرها الى القلوب فيعلوها ويغشاها وخص الافئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع ابدانهم لانها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة او لكون الالم اذا وصل اليها مات صاحبها كان الفؤاد الطف ما في الجسد واشد تالما بادنى اذى يسري اليه فهي في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى انها تعرف عقد الم يستحق كل واحد من العذاب وذلك وما ارادت عن بها

الله بها انها عليهم مؤصدة اي مطبقة مغلقة كما تقدم بيانه في سورة البلد يقال اصدت الباب اذا اغلقته وقال ابن عباس مطبقة وجمع الضمير في عليهم حملا على معنى كل في عمد ممددة في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم اي كائنين في عمد ممددة موثقين فيها او في محل رفع على انه خبر بعد خبر وقيل هو في عمد او صفة لمؤصدة اي مؤصدة بعمد ممددة قال مقاتل الطبقة الابواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح ومعنى كون العمد ممددة انها مطولة وهي ارجح من القصيرة وقيل العمد اغلال في جهنم وقيل القيود وقال قتادة المعنى هم في عمد يعذبون بها واختار هذا ابن جرير وقرأ الجمهور عمد بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقيل جمع له قال الفراء هي جمع لعمود كاديم وادم وقال ابو عبيدة هي جمع عماد وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال الفراء هما جمعان صحيحان لعمود واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة الجمهور قال الجوهري العمود عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما وهما سبعيتان قال ابو عبيدة العمود كل مستطيل من خشب او حديد قال ابن عباس عمد من نار وقال ابن مسعود هي الادهر وعن ابن عباس ايضا الابواب الممددة وعنه قال اذا دخلهم في عمد فمدت عليهم في اعناقهم فشدت بها الابواب قال ابن جزي المعنى ان ابواب جهنم اغلقت عليهم ممدودة على ابوابها عمد تشديدا في الاغلاق وقيل معناه في دهر ممدود اي لا انقطاع له قال القشيري ان النعم اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار تشد تلك الاطباق حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح

سورة الفيل هي خمس آيات وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك الاستفهام لتقرير رؤيته صلى الله عليه وسلم بإنكار عدمها والمراد برؤية هنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وحذفت الالف من ترى للجازم قال الفراء المعنى الم تخبر وقال الزجاج الم تعلم وهو تعجيب له صلى الله عليه وسلم مما فعله الله بأصحاب الفيل الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة وكيف

كيف منصوب بالفعل الذي بعدها ومعناه التعجب

منصوب على المصدرية او الحالية واختار الاول ابن هشام في المغني والمعنى اي فعل فعلا واما نصبه على الحالية من الفاعل فممتنع لان فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز والجملة تسد مسد مفعولي ترى والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون لكل من يصلح له والمعنى قد علمت يا محمد او علم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من الاخبار المتواترة من قصة اصحاب الفيل وما فعل الله بهم فما لكم لا تؤمنون وصاحب الافيال ابرهة ملك اليمن واسمه الاشرم سمي بذلك لان اباه ضربه بحربة فشرم انفه وجبينه قاله الطيبي وابرهة لقب لكل من فيه بياض وكان نصرانيا والفيل هو الحيوان المعروف وجمعه فيول وافيال وفيلة قال ابن السكيت ولا تقول افيلة وصاحبه فيال وكانت الفيلة ثلثة عشر وانما وحد لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وهو الذي برك وضرب في راسه وقيل انما وحده موافقة لرؤس الاي وعن ابن عباس قال جاء اصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح فاتاهم عبد المطلب فقال ان هذا بيت الله لم يسلط عليه احد قالوا لا نرجع حتى نهدمه وكانوا لا يقدرون فيلهم الا تاخروا فدعى الله الطير الابابيل فاعطاها حجارة سوداء عليها الطين فلما حاذوهم رمتهم فما بقي منهم احد الا اخذته الحكة وكان لا يحك انسان منهم جلده الا تساقط لحمه اخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد وابو نعيم والبيهقي الم يجعل كيدهم اي بكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة وهدمها واستباحة اهلها في تضليل اي في خسار وهلاك حيث قصدوا اليه حتى لم يصلوا الى البيت ولا الى ما اراد وابكيدهم للتقرير كما مر وقد جعل كيدهم في تضليل والكيد هو ارادة المضرة بالغير لانهم اراد والان يكيدوا قريشا بالقتل والسبي ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم قال ابن عباس اقبل اصحاب الفيل حتى اذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم ما جاء بك الينا الا بعثت فيك بكل شيء فقال اخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله احد الا امن فجئت اخيف اهله فقال انا نايتك بكل شيء تريد فارجع فابى الا ان يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام عند جبل فقال لا شهد مهلك هذا البيت واهله فاقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى اظلتهم طيرا ابابيل التي قال الله ترميهم بحجارة من سجيل فجعل الفيل يبرع فجعلهم كعصف ماكول

اخرجه البيهقي وابن المنذر والحاكم وغيرهم وقصة اصحاب الفيل مبسوطة في كتب التفسير والتاريخ والسير فلا نطول بذكرها وأرسل عليهم عطف على لم يجعل لان الاستفهام في التقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل طيرا هو اسم جنس يذكر ويؤنث أبابيل نعت لطيرا لانه اسم جمع اي اقاطيع يتبع بعضها بعضا كالابل المؤبلة فرجعها هاربين يتساقطون بكل طريق وكان ملكهم قد سار عرفة قبل دخول الحرم على الاصح وقال جماعة بوادي محسر بين مزدلفة ومنى قاله ابن حجر قال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل اي جماعات من ههنا وههنا قال النحاس وحقيقته انها جماعات عظام يقال فلان يؤبل على فلان اي يعظم عليه ويكبر وهو مشتق من الابل وهو من الجمع الذي لا واحد له وقال بعضهم واحده ابول بكسر الهمزة مثل عجول وقال بعضهم ابيل كسكين قال الواحدي ولم نر احدا يجعل لها واحدا قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرواسي وكان ثقة انه سمع في واحدها ابالة مشددا وحكى الفراء ايضا ابالة بالتخفيف قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه وقيل كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وقيل كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل انها العنقاء المغرب التي تضرب بها الامثال وقيل في صفتها غير ذلك والعرب تستعمل الابابيل في الطير وفي غير الطير ولما تؤهد كهم رجعت الطير من حيث جاءت ترميهم بحجارة من سجيل قرأ الجمهور بالفوقية وقرأ ابو حنيفة وابو معمر وعيسى وطلحة بالتحتية واسم الجمع يذكر ويؤنث وقيل الضمير في القراءة الثانية لله عز وجل والجملة في محل نصب صفة اخرى لطيرا قال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم العذاب به مشتقا من السجل قال في الصحاح قالوا هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم واصله سنك وكل وقيل السجيل الشديد وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الجحيم التي هي سجين ثم ابدلت النون لاما قال عكرمة كانت ترميهم بحجارة معها فاذا اصاب احدهم حجر منها خرج به الجدري وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة وقد قدمنا الكلام في سجل في سورة هود وعن ابن عباس قال حجارة كالبندق وهي النضح حمرة مختمة مع كل طائر ثلثة احجار

قال مسروق الكتابة على كل الطائر الذي يحمل بمنقاره فيضرب به الغلام بخصوصي لا يسمى للفوق وإذا كان ذلك فعل كان ادراكه لذلك المعنى من الكتابة المذكورة او بوحي الالهام بحسبه

حجران في رجليه وحجر في منقاره حلقت عليهم من السماء ثم ارسلت عليهم تلك الحجارة فوقعت عسكرهم وعنه ان ابرهة الاشرم قدم من اليمن يريد هدم الكعبة فارسل الله عليهم طيرا ابابيل يرمونه مجتمعة لها خراطيم تحمل حصاتين في رجليها وحصاة في منقارها ترسل واحدة على راس الرجل فيسيل لحمه ودمه ويبقى عظاما خاوية لا لحم عليها ولا جلد ولا دم فجعلهم كعصف ماكول اي جعل الله اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت به من اسفل شبه لقطع اوصالهم بتفرق اجزائه وقيل المعنى انهم صاروا كورق زرع قد اكلت منه الدواب وبقي منه بقايا او اكلت حبه وبقي بدون حبه والعصف جمع عصفة وعصافة وعصيفة وقد قدمنا الكلام في العصف في سورة الرحمن فارجع اليه قال ابن عباس يقول كالتبن وعن عائشة قالت لقد رايت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان ويحوه عن اسماء بنت ابي بكر وعن ابن عباس قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل قال القرطبي اي قبل مولده بخمسين يوما قال الخازن وهذا هو القول الاصح فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخا لمولده صلعم وعن قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلعم باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وقيل غير ذلك

سورة قريش ويقال سورة لايلاف وهي اربع ايات وهي مكية عند الجمهور

وقال الضحاك والكلبي هي مدنية والاول اصح قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خصال لم يعطها احدا قبلهم ولا يعطيها احدا بعدهم اني فيهم وفي لفظ النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش اخرجه البخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي قال ابن كثير هو حديث غريب ويشهد له ما اخرجه الطبراني في الاوسط وابن مردويه وابن عساكر عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الله قريشا سبع خصال فضلهم بانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده الا قرشي وفضلهم بانه

ع ١٥

قال الشهاب ويؤيده ان لفظ الرواية من ولد النبي صلعم ولفظ الرواية من ولد النبي صلعم

نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بانها نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها احد من العالمين غيرهم وهي لايلاف قريش وفضلهم بان فيهم النبوة والخلافة والسقاية واخرج الخطيب في تاريخه عن سعيد بن المسيب مرفوعا نحوه وهو مرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلافِ قُرَيْشٍ اللام قيل متعلقة باخر السورة التي قبلها كانه قال سبحانه اهلكت اصحاب الفيل لاجل تالف قريش قال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر سبحانه اهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال لإيلاف قريش اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية يقولون هم اهل بيت الله عز وجل حتى جد صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن فجاء الناس اليه فاهلكهم الله عز وجل فذكرهم نعمته اي بفعل ذلك لإيلاف قريش اي ليألفوا الخروج ولا يحتزأ عليهم وذكر نحو هذا ابن قتيبة قال الزجاج والمعنى فجعلهم كعصف ماكول لإيلاف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش وما قال الفراء من رحلة الشتاء والصيف وله هذا اجعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما وقال في الكشاف ان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلاف الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه وقد تقدم صاحب الكشاف الى هذا القول الخليل بن احمد ومعنى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقال الكسائي والاخفش اللام لام التعجب اي اعجبوا لإيلاف قريش وقيل هي بمعنى الى وقرئ لألف وقرئ ليالف بفتح اللام على انها لام الامر وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة معروفة قال سليمان الجمل قرأ ابن عامر لآلاف قريش دون ياء قبل اللام الثانية والباقون لإيلافِ بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو إيلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الادراج مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثباتها

قال الشارح واجمع من مذهب من كتب في علم السور على ان سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة لاتصال اجزائه بعضها ببعض وارتباط بعضه ببعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانها سورتان اه

قوله وقد جمع بين القراءتين بالشاطبي فقال سدى نعم ان خوى كفر قريش هو الهدى وليس لكم الا ايلاف ٢

الياس الثاني مع انه ان ثبت ما حفظ على سقوطها من خط فهو اول دليل على ان القراء متبعون
للاثر والرواية لا يجر الخط اتفق وقريش هم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ومن اعرب اولاد النضر فليس بقرشي وقريش بأي معنى صرفا
ان اريد به الحي وغير منصرف ان اريد به القبيلة وقيل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر
والاول اصح وقوله إِلٰفِهِمْ تأكيد لفظي لان الثاني اتصل بضمير ما اضيف اليه الاول وقيل هو بدل
لانه اطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو قوله رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ لما فيه من
الابهام في المبدل منه ثم التبيين في البدل وانما افرد الرحلة ولم يقل رحلتي الشتاء لامن الالباس
وقيل ان رحلة منصوبة بمضمر اي ارتحالهم رحلة الشتاء وقيام منصوبة على الظرفية
والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حارة والرحلة الاخرى
الى الشام في الصيف لانها بلاد باردة وروي انهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون في الطائف والاول
اولى فان ارتحال قريش للتجارة معلوم معروف في الجاهلية والاسلام قال ابن قتيبة لما كانت
تعيش قريش بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء الى اليمن ورحلة في الصيف
الى الشام ولولاها لكان الرحلتان لم يمكن بها مقام ولولا الامن بجوارهم البيت لم يقدروا على
التصرف قال ابن عباس في الآية نعمتي على قريش إلافهم رحلة الشتاء والصيف كانوا يشتون بمكة
ويصيفون بالطائف وعنه قال ايلافهم ازوه بمعنى قيل رحلة اسم جنس وكانت لهم اربع رحلات
وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك فلو لم سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف فَلْيَعْبُدُوا
رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ امرهم سبحانه بعبادته بعد ان ذكرهم ما انعم به عليهم اي ان لم يعبدوه
لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة والبيت الكعبة وعرفهم سبحانه بأنه رب
هذا البيت لانها كانت طهرا وان يعبدوها فيزيد نفسه شرفا وقيل لانهم شرفوا البيت على سائر
العرب وذكرهم ذلك تذكير النعمة الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ اي اطعمهم بسبب تينك
الرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل ان هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبي صلعم
دعى عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله
لنا فانا مؤمنون فدعى فاخصبوا وزال عنهم الجوع وارتفع القحط قال ابن عباس يعني قريشا

اهل مكة بدعوة ابراهيم حيث قال وارزق اهله من الثمرات وآمنهم من خوف اي من خوف شديد كانوا فيه قال ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان امنهم من خوف الحبشة مع الفيل وقال ابن عباس من الجذام وعنه في الاية قال امنهم من خوف حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا قال ابن عباس نهاهم عن الرحلة وامرهم ان يعبدوا رب هذا البيت وكفاهم المؤنة وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف فلم تكن لهم راحة في شتاء ولا صيف فاطعمهم الله بعد ذلك من جوع وامنهم من خوف وكان ذلك من نعمة الله عليهم وعنه قال امروا ان يلفوا عبادة رب هذا البيت كالفهم رحلة الشتاء والصيف وقد وردت احاديث في فضل قريش وان الناس تبع لهم في الخير والشر وان هذا الامر يعني الخلافة لا يزال فيهم ما بقي منهم اثنان وهي في دوس ابن الاسلا

سورة ارايت ويقال لها سورة الدين وسورة الماعون وسورة اليتيم وهي سبع ايات

وهي مكية في قول عطاء وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول قتادة واخرين وعن ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقيل نصفها الاول مكي ونصفها الثاني مدني والاول في العاص بن وائل والثاني في عبد الله بن ابي بن سلول وقال مقاتل والكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال الضحاك في عمرو بن عائذ وقال ابن جريج في ابي سفيان وقيل في رجل من المنافقين ☆☆

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولكل من يصلح له والاستفهام لقصد التعجيب من حال الذي يكذب بالدين اي بالجزاء والحساب في الاخرة وقال ابن عباس بحكم الله قرا الجمهور ارايت باثبات الهمزة الثانية وقرئ باسقاطها قال الزجاج لا يقال في رايت ديت ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا والرؤية بمعنى المعرفة قيل هي البصرية فتتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول اي ابصرت المكذب وقيل انها بمعنى اخبرني فتتعدى الى مفعولين الثاني محذوف اي هو والاول الذي

قيل وفي الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطئ فذلك الذي
يدع اليتيم الفاء جواب شرط مقدر اي ان تاملته او طلبته فذلك الخ ويجوز ان تكون عاطفة
على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة فعلى الاول يكون اسم الاشارة مبتدا
وخبره الموصول او خبر لمبتدا محذوف اي فهو ذلك والموصول صفته وعلى الثاني يكون في
محل نصب لعطفه على الموصول الذي هو في محل نصب ومعنى يدع يدفع دفعا بعنف وجفوة
اي يدفع اليتيم عن حقه دفعا شديدا ومنه قوله سبحانه يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد
كانوا لا يوذون النساء والصبيان قال ابن عباس يدفعه عن حقه ولا يحض على طعام
المسكين اي لا يحض نفسه ولا اهله ولا غيرهم على ذلك بخلا بالمال او تكذيبا للجزاء وهو مثل
قوله في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الفاء جواب شرط محذوف
كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين فويل لهم ووضع المصلين موضع
ضميرهم للتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر والمعنى عذاب لهم او هلاك او واد في جهنم
لهم كما سبق الخلاف في معنى الويل ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من
قبائحهم الذين هم عن صلاتهم ساهون اي غافلون غير مبالين وانما عبر بعن دون في
لان صلاة المؤمن لا تخلو عن سهو ما لقلة وقوعه للانبياء ولان المراد السهو عن الصلاة بتاخيرها
عن وقتها لا السهو فيها قال الواحدي نزلت في المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثوابا ان
صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها واذا كانوا مع المؤمنين
صلوا رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلوا قال النخعي الذين هم عن صلاتهم ساهون هو الذي
اذا سجد قال براسه هكذا وهكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا يقرا ولا يذكر الله وقرا ابن مسعود
لاهون مكان ساهون قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلوة في السر ويصلون في العلانية
عن مصعب بن سعد قال قلت لابي ارايت قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون اينا لا يسهو
اينا لا يحدث نفسه قال انه ليس كذلك انه اضاعة الوقت وعن سعد بن ابي وقاص قال سالت النبي
صلى الله عليه وسلم عن الاية قال هم الذين يؤخرون الصلوة عن وقتها قال الحاكم والبيهقي الموقوف اصح اسنادا
قال ابن كثير ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وعن ابي برزة الاسلمي قال لما نزلت

هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر هذه الآية خير لكم من ان يعطى كل رجل منكم جميع الدنيا هو الذي ان صلى لم يرج خير صلاته وان تركها لم يخف به رواه ابن جرير وابن مردويه قال السيوطي بسند ضعيف في اسناده جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه سيهم لم يسم وعن ابن عباس قال هم الذين يؤخرونها عن وقتها الذين هم يراؤن الناس بصلاتهم ان صلوا اويراؤن الناس بكل ما عملوه من اعمال البر ليثنوا عليهم قال ابن عباس هم للمنافقون يراؤن الناس بصلاتهم اذا حضروا ويتركونها اذا غابوا قال الخازن اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه من الرياء فلا باس بذلك وليس بمراء ويمنعون الناس اي والطالبين الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل يقال مال معن اي قليل قاله قطرب او اسم مفعول من اعانه يعينه والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمصون ومقول اسمي مفعول من صان وقال ولكنه قلبت الكلمة بان قدمت عينها قبل فائها فصار موعون ثم قلبت الواو الاولى الفا فوزنه الان معقول قال اكثر المفسرين الماعون اسم لما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفاس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح وقيل هو الزكوة اي يمنعون زكوة اموالهم قال الزجاج وابو عبيد والمبرد الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وقال ايضا الماعون في الاسلام الطاعة والزكوة وقال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وقيل الماعون هو الحق على العبد على العموم وقيل هو المستغل من منافع الاموال ماعون من المعن وهو القليل قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعن الشيء القليل فسمى الله الصدقة والزكوة ونحو ذلك من المعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل هو ما لا يبخل به كالماء والملح والنار وعن ابن مسعود قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر والفاس والميزان ونحو ذلك نتعاطون بينكم وعنه قال كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القدر والفاس وشبهه فيمنعونهم فانزل الله ويمنعون الماعون وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ما تعاون الناس بينهم الفاس والقدر والدلو واشباهه اخرجه ابو نعيم والديلمي وابن عساكر وعن فروة بن مجاهد الغساني انهم وفدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما تشهد لنا قال لا نمنعوا ع

الماعون قالوا وما الماعون قال في الحجر والحديدة وفي الماء قالوا فاي الحديدة قال قدوركم النحاس وحديد الفاس الذي تمتهنون به قالوا وما الحجر قال قدوركم الحجارة اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه قال ابن كثير غريب جدا ورفعه منكر وفي اسناده من لا يعرف وعن سعيد بن عياض عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الماعون الفاس والقدر والدلو وقال ابن عباس عارية متاع البيت وعن علي بن ابي طالب قال الماعون الزكوة المفروضة يراؤن بصلاتهم ويمنعون زكاتهم ❊❊

سورة الكوثر وتسمى سورة النحر هي ثلث ايات وهي مكية

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وعن ابن عباس وابن الزبير وعائشة انها نزلت سورة الكوثر بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر قرأ الجمهور هكذا وقرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني انطيناك بالنون قيل هي لغة العرب العاربة اي قضينا لك وخصصناك به فهو لك ولامتك من قبل وجودك وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا في القيامة فالعطاء ناجزوا التمكن والاستيلاء مستقبل والكوثر فوعل من الكثرة وصف به للمبالغة في الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد او القدرة او الخطر كوثرا فالمعنى على هذا انا اعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية وذهب اكثر المفسرين كما حكاه الواحدي الى ان الكوثر نهر في الجنة وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف قاله عطاء وقال عكرمة الكوثر النبوة وقال الحسن هو القرآن وقال الحسن بن الفضل هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال ابو بكر بن عياش هو كثرة الاصحاب والامة وقال ابن كيسان هو الاثار وقيل هو الاسلام وقيل رفعة الذكر وقيل نور القلب وقيل الشفاعة وقيل المعجزات وقيل اجابة الدعوة وقيل لا اله الا الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس وسيأتي بيان ما هو الحق وعن انس قال اغفى رسول الله اغفاءة فرفع راسه متبسما فقال انه انزل علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قال الله ورسوله اعلم قال هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتي يوم القيامة

انيته كعدد الكواكب يختلج العبد منهم فاقول يارب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك اخرجه احمد وابوداود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه واخرجه ايضا مسلم في صحيحه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلت الجنة فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى ما يجري فيه الماء فاذا مسك اذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك الله اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روي عن انس من طرق كلها مصرحة بان الكوثر هو النهر الذي في الجنة وعن عايشة قالت هو نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم في بطنان الجنة وعن ابن عباس انه نهر في الجنة وعن حذيفة قال نهر في الجنة وحسن السيوطي اسناده وعن اسامة بن زيد مرفوعا انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك اعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر فقال احل واياضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ اخرجه ابن جرير وابن مردويه وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا قال يارسول الله ما الكوثر قال هو نهر من انهار الجنة اعطانيه الله اخرجه ابن مردويه فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير اليها وعدم التعويل على غيرها وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب فمن فسره بما هو اعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو تفسير ناظر للمعنى اللغوي كما اخرج احمد والترمذي وصححه وابن ماجة وغيرهم عن عطاء بن السائب قال قال محارب بن دثار قال سعيد بن جبير في الكوثر قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق انه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال نزلت انا اعطيناك الكوثر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل اخرجه البخاري وابن جرير والحاكم من طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال في الكوثر هو الخير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه وهذا التفسير من حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ناظر الى المعنى اللغوي كما عرفناك ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فسره فيما صح عنه انه النهر الذي في الجنة واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل قال القرطبي اصح هذه الاقوال انه النهر او الحوض لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اعطي الكوثر قال القاضي عياض احاديث الحوض صحيحة

والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة وقد جمع ذلك كله البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة وذهب صاحب القوت وغيره الى ان حوض النبي صلعم انما هو بعد الصراط والصحيح ان له صلعم حوضين وكلاهما يسمى كوثرا واختلف في الميزان والحوض ايهما قبل الاخر فقيل الميزان وقيل الحوض قال ابو الحسن الفاسي والصحيح ان الحوض قبل قلت وللعمل يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيقدم قبل الصراط والميزان والله اعلم

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وكان الظاهر ان يقول لنا فانتقل الى الاسم المظهر على طريق الالتفات لانه يوجب عظمة ومهابة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والمراد الامر له صلعم بالدوام على اقامة الصلوات المفروضة قال ابن عباس الصلوة المكتوبة وقيل صلوة عيد النحر وهذا بناء سبب كونها مدنية والاول بناء سبب كونها مكية وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب قال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلعم ان يكون صلاته ونحره له وقال قتادة وعطاء وعكرمة المراد صلوة العيد ونحر الاضحية وقال سعيد بن جبير صل لربك صلوة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن في منى وقيل النحر وضع اليمنى على اليسرى في الصلوة حذاء النحر قاله محمد بن كعب وقيل هو ان يرفع يديه في الصلوة عند التكبيرة الى حذاء نحره وقيل هو ان يستقبل القبلة بنحره قاله الفراء والكلبي وابو الاحوص قال الفراء سمعت بعض العرب تقول ننتاحراي نتقابل نحرهذا الى نحرهذا اي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلوة باداء المحارب من قولهم مناز لهم تتناحراي تتقابل وروي عن عطاء انه قال امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال سليمان التيمي المعنى وارفع يديك بالدعاء الى نحرك وظاهر الاية الامر له صلعم بمطلق الصلوة ومطلق النحر وان يجعلهما لله عز وجل لا لغيره وما ورد في السنة من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو في حكم المقيد له عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلعم قال لجبريل ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي فقال انها ليست بنحيرة ولكن يامرك اذا احرمت للصلوة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع فانها صلاتنا وصلوة الملائكة الذين هم في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلوة رفع اليدين عند كل تكبيرة قال النبي صلعم رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله فما استكانوا لربهم وما يتضرعون اخرجه ابن

ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه وهو من طريق مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة
عن علي وعن ابن عباس في الاية قال امان الله اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ارفع يديك حذاء نحرك واذا
كبرت للصلوة فذلك النحر وعن علي في الاية قال وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضعهما
على صدره في الصلوة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله اخرجه ابو الشيخ والبيهقي في سننه وعن
ابن عباس ايضا اذا صليت فرفعت راسك من الركوع فاستو قائما وعنه قال هو الذبح يوم الاضحى يقول الله
يوم النحر ان شانئك هو الابتر اي ان مبغضك هو المنقطع عن الخير على العموم فيعم خيبي الدنيا والاخرة
او الذي لا عقب له او الذي لا يبقى ذكره بعد موته وظاهر الاية العموم وان هذا شان كل من يبغض
النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل كما سياتي فالاعتبار بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب كما مر غير مرة قيل كان اهل الجاهلية اذا مات الذكور من اولاد الرجل قالوا بتر فولد
فلما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزلت الاية وقيل القائل
بذلك عقبة بن ابي معيط قال اهل اللغة الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل
امر انقطع من الخير اثره فهو ابتر واصل البتر القطع يقال بترت الشيء بترا قطعته وفي المختار بتره
قطعه قبل التمام وبابه نصر والابتتار الانقطاع والابتر المقطوع الذنب بابه طرب عن ابن عباس قال
قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش انت خير اهل المدينة وسيدهم الا ترى الى هذا الصابي
المنتبر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه فنزلت
ان شانئك هو الابتر ونزلت الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله فلن تجد له نصيرا اخرجه
البزار وابن ابي حاتم وابن مردويه قال ابن كثير وباسناده صحيح وعن ابي ايوب قال لما مات ابراهيم ابن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المشركون بعضهم الى بعض فقالوا ان هذا الصابي قد بتر الليلة فانزل الله انا اعطيناك
الكوثر الى اخر السورة اخرجه الطبراني وابن مردويه واخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس قال كان اكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم ام كلثوم ثم
فاطمة ثم رقية رضي الله تعالى عنهم فمات القاسم وهو اول ميت من اهله ولد بمكة ثم مات عبد الله
فقال العاص بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو ابتر فانزل الله ان شانئك هو الابتر وفي اسناده الكلبي
وعنه قال هو ابو جهل وعنه قال يقرب عدوك وقيل ولد القاسم ثم زينب ثم عبد الله قال ابن الكلبي

ع ٣٠

قبل من ابراهيم كان بعد هذا الزلزلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد ١٢ منه

ولدت زينب ثم القاسم ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر قال وهذا هو الصحيح وغيره تخليط

سورة الكافرون وهي ست آيات وهي مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وعن ابن الزبير انها نزلت بالمدينة وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله احد في ركعتي الطواف وفي مسلم ايضا من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر وعن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة او بضع عشرة مرة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه احمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه واخرج الحاكم وصححه عن ابي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن وكان يقرأ بهما في ركعتي الفجر اخرجه محمد بن نصر والطبراني في الاوسط وعن نوفل بن معاوية الاشجعي انه قال يا رسول الله علمني ما اقول اذا اويت الى فراشي قال اقرء قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك اخرجه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرؤن قل يا ايها الكافرون عند منامكم اخرجه ابو يعلى والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي الله بسورتين فلا حساب عليه قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه ابن مردويه وعن خباب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك فاقرأ قل يا ايها الكافرون وان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ذات فراشه قط الا اقرأ قل يا ايها الكافرون حتى ختمها اخرجه البزار والطبراني وابن مردويه وفي الباب احاديث كثيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون الالف واللام للجنس ولكنهما لما كانت الاية خطابا لمن سبق في علم الله انه يموت

على كفره كان المراد بهذا العموم خصوص من كان كذلك لان من الكفار عند نزول هذه الاية من اسلم
وعبد الله سبحانه وسبب نزول هذه السورة ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعبد الهتهم
سنة ويعبد الهه سنة فامره الله سبحانه ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في
الحال ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الاصنام قيل والمراد فيما يستقبل من الزمان لان لا النافية
لا تدخل في الغالب الا على المضارع الذي في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى
الحال وذكر الحافظ ابن القيم في بدائع الفوائد عشر مسائل تحت هذه الاية قال وقع ما فيها ابدا لا غير
من ومعناه انتم لا تعبدون معبودي فالمقصود المعبود لا العبادة ولا يصح في النظم البديع والمعنى
الرفيع الا نظمه الا يهامها ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الاية انتهى عن ابن عباس ان قريشا عرضت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه ما لا فيكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء فقالوا
هذا لك يا محمد وكف عن شتم الهتنا ولا تذكرها بسوء فان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة
ولك فيها صلاح قال ما هي قالوا تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة قال حتى انظر ما يأتيني من ربي
فجاء الوحي من عند الله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الى اخر السورة وانزل الله قل افغير
الله تامروني اعبد ايها الجاهلون الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم
والطبراني وعن سعيد بن مينا مولى ابي البختري قال لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
بن عبد المطلب وامية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما
نعبد ولنشترك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي نحن عليه اصح من الذي انت عليه كنت
قد اخذت منه حظا وان كان الذي انت عليه اصح من الذي نحن عليه كنا قد اخذنا منه
حظا فانزل الله هذه السورة اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن الانباري وعن ابن عباس ان
قريشا قالت لو استلمت الهتنا نعبد الهك فانزل الله هذه السورة كلها ولا انتم عابدون ما اعبد
اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهي قال الحافظ ابن القيم في البدائع استئناف
هذه على النفي للمحض خاصة هذه السورة العظيمة فانها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها
فمقصودها الاعظم هو البراءة المطلقة بين الموحدين والمشركين وهذا اتى بالنفي في الجانبين تحقيقا
للبراءة المطلوبة هذا مع انها متضمنة لاثبات ضد ما نفوه لا اعبد ما تعبدون براءة محضة

ولا انتم عابدون ما اعبد اثبات ان له معبودا يعبده وانهم بريئون من عبادته فتضمنت النفي والاثبات فطابقت قول امام الحنفاء اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وطابقت قول الفئة الموحدين واذا عنت لتمور وما يعبدون الا الله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وبقل هو الله احد في سنة الفجر وسنة المغرب فانهما ان السورتان سورتا الاخلاص وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح الا بهما وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد وانه اله واحد صمد لم يلد ولم يولد والثاني توحيد القصد والارادة وهو ان لا يعبد الا اياه فلا يشرك به في عبادته سواه بل يكون وحده هو المعبود وهذه السورة مشتملة على هذا التوحيد انتهى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولا انا قط فيما سلف عابد ما عبدتموه والمعنى انه لم يوجد مني ذلك ولا انتم عابدون ما اعبد اي ما اعبده تم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته كذا قيل وهذا على قول من قال انه لا تكرار في هذه الآيات لان الجملة الاولى لنفي العبادة في المستقبل لما قدمنا من ان لا اذا دخل لا على مضارع في معنى الاستقبال والدليل على ذلك ان لن تأكيد لما ينفيه لا قال الخليل في ان اصله لا فالمعنى لا اعبد ما تعبدون في المستقبل ولا انتم عابدون في المستقبل ما اطلبه من عبادة الهتكم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي لست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل بعكس هذا وهو ان الجملتين الاوليين للحال والجملتين الاخريين للاستقبال بدليل قوله ولا انا عابد ما عبدتم كما لو قال القائل انا ضارب زيدا وانا قاتل عمرا فانه لا يفهم منه الا الاستقبال قال الاخفش والفراء المعنى لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل ما عبدتموه ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد قال الزجاج نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السورة عبادة الهتهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وقيل ان كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال ولكنا نخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال رفعا للتكرار وكل هذا فيه من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف فان جعل قوله لا اعبد ما تعبدون للاستقبال وان كان صحيحا على مقتضى اللغة العربية ولكنه لا يترجح قوله ولا انتم عابدون ما اعبد للاستقبال لان الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبات في كل الاوقات فدخول النفي عليها يرفع ما دلت عليه من الدوام والثبات في كل الاوقات ولو كان حملها على الاستقبال صحيحا للزم مثله في قوله ولا انا عابد ما عبدتم وفي قوله ولا انتم

عابدون ما اعبد فلا يتوهم قبل من حمل الجملتين الأخيرتين على الحال وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس لان الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي للمبتدأ في كل واحد منها المخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده منفية كلها بحرف واحد وهو لفظ لا في كل واحد منها فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بان معانيها في الحال والاستقبال مختلفة واما قول من قال ان كلا منها يصلح للحال والاستقبال فهو اقرار منه بالتكرار لان حمل هذا على معنى وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدل عليه دليل فاذا تقرر لك هذا فاعلم ان القرآن نزل بلسان العرب ومن مذاهبهم التي لا تجحد واستعمالاتهم التي لا تنكر انهم اذا اراد والتاكيد كرروا كما ان من مذاهبهم انهم اذا اراد والاختصار وجزوا هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب وهذا انما لا يحتاج الى اقامة البرهان عليه لانه انما يستدل على ما فيه خفاء ويبرهن على ما هو متنازع فيه واما ما كان من الوضوح والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه شاك ولا يرتاب فيه مرتاب فهو مستغن عن التطويل غير محتاج الى تكثير القال والقيل وقد وقع في القرآن الكريم من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن وربما يكثر في بعض السور كما في سورة الرحمن وسورة المرسلات وفي اشعار العرب من هذا ما لا يأتي عليه الحصر وقد ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهو افصح من نطق بلغة العرب انه كان اذا تكلم بالكلمة اعادها ثلاث مرات واذا عرفت هذا ففائدة قصد وقوع في السورة من التاكيد هو قطع اطماع الكفار عن مجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سألوه من عبادة آلهتهم وانما عبر سبحانه بما التي لغير العقلاء في المواضع الاربعة لانه يجوز ذلك كما في قوله سبحان ما سخركن لنا ونحوه والنكتة في ذلك ان يجري الكلام على نمط واحد ولا يختلف وقيل انه اراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما في المواضع الاربعة هي المصدرية لا الموصولة اي لا اعبد عبادتكم ولا انتم عابدون عبادتي الخ وجملة لكم دينكم مستانفة لتقرير قوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله ولي دين تقرير لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد في الموضعين اي ان رضيتم بدينكم وشركم فقد رضيت بديني وتوحيدي كما في قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي كما تطمعون وديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي ان الدين الجزاء قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل ليست بمنسوخة لانها اخبار والاخبار لا يدخلها النسخ

وقيل السورة كلها منسوخة وقال القاضي ولي ديني الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد فلا يكون منسوخا بآية القتال وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والعبادة وقال الحافظ ابن القيم في البدائع وقد غلط في السورة خلائق وظنوا انها منسوخة بآية السيف كما تقدم ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظن آخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم اهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عامة لم يدخلها نسخ محفوظ وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ فيها وهذه السورة اخلصت للتوحيد ولهذا تسمى سورة الاخلاص والآية اقتضت البراءة الخاصة وان ما انتم عليه من الدين لا اوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختصر بحر لا تشركوا فيه ولا تشركونا في ديننا الحق فهذا غاية البراءة والتفصيل من موافقتهم في دينهم فاين الاقرار حتى يدعى النسخ والتخصيص لفترى اذا جهد وا بالسيف كما جهد وا بالحجة لا يصح ان يقال لهم لكم دينكم ولي دين بل هذه الآية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى ان يظهر الله منهم بلاده وعباده كذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل سنته وبين اهل البدع المخالفين لما جاء به الداعين الى غير سنته اذ قال لهم خلفاء الرسول وذريته لكم دينكم ولنا ديننا هذا فلا يقتضي اقرارهم على بدعهم بل يقولون لهم هذا براءة منها وهم مع ذلك منتصبون للرد عليهم وجهادهم بحسب الامكان انتهى جا صله قرأ الجمهور ولي باسكان الياء وحذف الياء من ديني وصلا ووقفا وقرئ بفتح الياء من قوله لي وإثباتها من ديني وصلا ووقفا وقالوا لانها اسم فلا تحذف ويجاب بان حذفها لرعاية الفواصل سائغ وان كانت اسما ويجاب ايضا بانها من يا ات الزوائد فيراعى فيه اتباع رسم المصحف وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة

سورة النصر وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وهي مدنية بالاجماع ولا خلاف

قال ابن عباس انزل بالمدينة اذا جاء نصر الله والفتح وعن ابن عمر قال هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط ايام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختمها فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الوداع اخرجه البزار وابو يعلى والبيهقي وغيرهم وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الي نفسي اخرجه احمد وغيره وزاد ابن مردويه

في لفظ وقرب الي اجلي وفي لفظ لما نزلت نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين انزلت فاخذ في اشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وعن ام حبيبة قالت لما انزل اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا عمر في امته شطر عمر النبي الماضي قبله فان عيسى بن مريم كان اربعين سنة في بني اسرائيل وهذه اثني عشرون سنة وانا ميت في هذه السنة فبكت فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت اول اهلي بي لحوقا فتبسمت اخرجه ابن ابي حاتم وابن مردويه وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت اخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت فقال اصبري فانك اول اهلي لحاقا بي فضحكت اخرجه البيهقي وقد تقدم في سورة الزلزلة ان هذه السورة تعدل ربع القرآن وهي اخر سورة نزلت جميعا

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح النصر العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان على نباتها ومنع عن قحطها يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اذا اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اذا سأله ان ينصره عليه قال الواحدي قال المفسرون اذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش وقيل المراد نصره صلى الله عليه وسلم على قريش من غير تعيين وقيل نصره على من قاتله من الكفار وقيل اذا بمعنى قد وقيل بمعنى اذ ومعنى جاء حصل وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة فتقترب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن متقبلا لوروده مستعدا لشكره قاله القاضي وهو استعارة تبعية لكن قول الراغب المجيء الحصول ويكون في المعاني والاعيان يقتضي خلافه وفي الخطيب جاء بمعنى استقر وثبت وفي المستقبل يجيء وقته المضروب له في الازل واذا منصوبة بسبح الذي هو جوابها ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اي نصره اياك والمؤمنين والفتح اي فتح مكة وقيل هو فتح سائر البلاد وقيل هو ما فتح الله عليه من العلوم والاول اظهر والثاني انسب والثالث ابعد عن ابن عباس ان عمر سأل الناس عن قول الله اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا فتح المدائن والقصور قال فما تقول قال قلت مثل ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نعيت له نفسه واخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر وكان بعضهم وجد

في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فادخله معهم فما رأيت انه دعاني فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذاك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر لا اعلم منها الا ما تقول قال الرازي الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان منغلقا او النصر كالسبب للفتح فلهذا ابدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة او يقال النصر الظهر والفتح الجنة هذا معنى كلامه ويقال الامر اوضح من هذا واظهر فان النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الاعداء وغلبتهم والاستعلاء عليهم والفتح هو فتح مساكن الاعداء ودخول منازلهم ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا اي انصرف الناس من العرب وغيرهم يدخلون في دين الله الذي بعثك به وهو الاسلام جماعات فوجا بعد فوج قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال العرب اما اذ ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم وقد اجارهم الله من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات كثيرة بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل باسرها في الاسلام قال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين وانتصاب افواجا على الحال من فاعل يدخلون ومحل يدخلون النصب على الحال ان كانت الرؤية بصرية وان كانت بمعنى العلم فهو في محل نصب على انه المفعول الثاني وعن ابي هريرة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اهل اليمن هم ارق قلوبا الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال اتيما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة اذ قال الله اكبر قد جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه الطبراني وابن مردويه وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا اخرجه ابن مردويه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الناس يدخلون

في دين الله افواجا قال ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه افواجا اخرجه الحاكم وصححه فسبح بحمد ربك هذا جواب الشرط وهو العامل فيه والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله كما مر وقال مكي العامل في اذا هو جاء ورجحه ابو حيان وضعف الاول بان ما جاء بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها وقوله بحمد ربك في محل نصب على الحال اي فقل سبحان الله متلبسا بحمده او وحامدا له وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتنجيه عما يسوءه الله له ما لم يكن يخطر بباله ولا بال احد من الناس وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بهذه النعمة التي هي النصر والفتح لام القرى التي كان اهلها قد بلغوا في عداوته الى اعلى المبالغ حتى اخرجوه منها بعد ان اقتروا عليه من الاقوال الباطلة والاكاذيب المختلقة ما هو معروف من قولهم هو مجنون هو ساحر هو شاعر هو كاهن ونحو ذلك فترضى سبحانه الى ذلك امره نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال واستغفره اي اطلب منه المغفرة لذنبك وسله الغفران هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من ترك ما هو الاولى وقد كان صلى الله عليه وسلم يرى قصوره عن القيام بحق الله ويكثر من الاستغفار والتضرع وان كان قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقيل ان الاستغفار منه صلى الله عليه وسلم ومن سائر الانبياء هو تعبد اتعبدهم الله به لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم وقيل انما امره الله سبحانه بالاستغفار تنبيها لامته وتعريضا بهم فكانهم هم المامورون بالاستغفار وقيل ان الله سبحانه امره بالاستغفار لامته لا لذنبه وقيل المراد بالتسبيح هنا الصلوة والاولى حمله على معنى التنزيه مع مباشرتها اليه من كون فيه معنى التعجب سرورا بالنعمة وفرحا بما جاءه الله من نصر الدين وكبت اعدائه ونزول الذلة بهم وحصول القهر لهم قال الحسن اعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم انه قد اقترب اجله فامره بالتسبيح والتوبة ليختم له في اخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي انك انت التواب قال قتادة ومقاتل وعاش صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحان الله وبحمده واستغفره واتوب اليه فقلت يا رسول الله ارك تكثر من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقال اخبرني ربي اني سارى علامة من امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا اخرجه ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه واخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه

وغيرهم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران تعني اذا جاء نصر الله والفتح وفي الباب احاديث وقوله انه كان توابا تعليل لامره سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار اي من شانه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم وتواب من صيغ المبالغة ففيه دلالة على انه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين وقد حكى الرازي في تفسيره اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل غير ذلك وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلعم في ربيع الاول على راس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت لشهرين وشيء مضت من الحادية عشر اذا اعتبر التاريخ من اول السنة الشرعية وهو المحرم فلما هاجر صلعم الى ثني عشر من ربيع الاول حسبوا الباقي من هذه السنة سنة مع انها ناقصة شهرين واثني عشر يوما فلما كانت وفاته لاثني عشر من ربيع الاول كان الماضي من هذه السنة وهو شهران و اثنا عشر يوما مكملا ومتمما لما نقصته السنة الاولى فصح قولهم انه توفي في العاشرة اي على راسها وحين كمالها بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة ويصحان يقال توفي في الحادية عشر بالنظر لجعل التاريخ من اول السنة الشرعية تامل والله تعالى اعلم

سورة تبت وتسمى سورة ابي لهب كما في البحر

هي خمس ايات وهي مكية بلا خلاف وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعايشة

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابي لهب قال مقاتل وابن عباس خسرت وقيل خابت وقال عطاء ضلت وقيل

صفرت من كل خير ومنه قولهم شابة ام تابة اي هالكة من الهرم وقيل المعنى هلكت
الاول اولى وخص اليدين بالتباب لان اكثر العمل يكون بهما وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر
باليد عن النفس كما في قوله بما قدمت يداك اي نفسك والعرب تعبر كثيرا ببعض الشيء
عن كله كقولهم اصابته يد الدهر واصابته يد المنايا قرأ العامة لهب بفتح الهاء وقرئ بسكونها
فقيل لغتان بمعنى كالنهر والنهر والشعر والشعر وقال الزمخشري هو من تغيير الاعلام ولم
يختلف القراء في قوله ذات لهب انها بالفتح والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل
وابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وذكره سبحانه بكنيته لاشتهاره بها
ولكون اسمه كما تقدم عبد العزى واسم صنم ويكون في هذه الكنية ما يدل على انه ملابس النار
لان اللهب هو لهب النار وان كان اطلاق ذلك عليه في الاصل لكونه كان جميلا وان وجهه
يتلهب لمزيد حسنه كما تتلهب النار قال القرطبي اولان الله اراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار
فيكون ابا لهب تحقيقا للنسب وامضاء للفال الطيرة التي اختارها لنفسه وقيل اسمه كنيته و
روى صاحب الكشاف انه قرئ تبت يدا ابو لهب وذكر وجه ذلك وتب اي هلك قال الفراء
الاول دعاء عليه والثاني خبر كما تقول اهلكه الله وقد هلك والمعنى انه قد وقع ما دعي به
عليه وتدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وقيل كلاهما اخبار اراد بالاول هلاك عمله
وبالثاني هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه ويكون في هذا شبه من مجيء العام بعد
الخاص وان كان حقيقة اليدين غير مرادة وقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن
عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف
يا صباحاه فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم
مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك انما جمعتنا لهذا ثم قام فانزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله
وما كسب اي ما دفع عنه ما حل به من التباب وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال
ولا ما كسب من الارباح والجاه او المراد بقوله ماله ما ورثه من ابيه وما كسب الذي كسبه بنفسه
قال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه ويجوز ان تكون ما في قوله ما اغنى استفهامية

اي اي شيء اغنى عنه وكذا في قوله وما كسب اي واي شيء كسب او مصدرية اي وكسبه والظاهر ان ما الاولى نافية والثانية موصولة عن عايشة قالت ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ابنه من كسبه ثم قرأت ما اغنى عنه ماله وما كسب قالت وما كسب ولده اخرجه ابن ابي حاتم وعن ابن عباس قال كسبه ولده اي عتيبة بالتصغير واما عتبة فقد اسلم وفسر الكسب بالولد ليغاير ما قبله فيسلم من التكرار ومات ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال قال الشهاب العدسة قرحة تعتري الانسان كانت العرب تهرب منها لانها بزعمهم تعدي اشد العدوى ثم اوعده سبحانه بالنار فقال سَيَصْلَىٰ نَارًا قرأ الجمهور بفتح اللام واسكان الصاد وتخفيف اللام اي سيصلى هو بنفسه النار ويحترق بها وصلى من باب تعب وقرئ بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام والمعنى سيصليه الله ومعنى ذات لهب ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ معطوف على الضمير في يصلى وجاز ذلك للفصل اي وتصلى امرأته نارا ذات لهب ومنه ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت عوراء تحمل الغضا والشوك والسعدان فتطرحها بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن انس ومرة الهمداني وقال مجاهد وقتادة والسدي انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس والعرب تقول فلان يحطب على فلان اذا نم به وقال سعيد بن جبير معنى حمالة الحطب انها حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره كما في قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حمالة الحطب في النار قرأ الجمهور حمالة بالرفع على الخبرية على انها جملة مسوقة للاخبار بان امرأة ابي لهب حمالة الحطب واما على ما قدمنا من عطف وامرأته على الضمير في يصلى فيكون رفع حمالة على النعت لامرأته والاضافة حقيقية لانها بمعنى المضي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي حمالة وقرأ عاصم بالنصب على الذم او على انه حال من امرأته وقرئ حاملة الحطب وعن ابن عباس في الآية قال كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم لتعقره واصحابه وقال حمالة الحطب نقالة الحديث فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ الجيد العنق والمسد الليف الذي تفتل منه الحبال قال ابو عبيدة المسد هو الحبل من صوف وقال الحسن هي حبال تكون من شجر ينبت باليمن يسمى بالمسد وقد تكون الحبال من جلود الابل او من اوبارها والمسد اينما الليف المقل او مطلق الليف والمقل شجر الدوم

كما في المصباح والمختار وفي القاموس المسد بسكون السين مصدر بمعنى الفتل ويفتح المفتول من الحديد او حبل من ليف او كل حبل محكم الفتل والجمع مسد وامساد قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها فخنقها الله به فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار وقال مجاهد وعروة بن الزبير هو سلسلة من نار يدخل في فيها ويخرج من اسفلها وقال قتادة هو قلادة من ودع كانت لها قال الحسن انما كان خرز اتي عنقها قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك عذابا في جسدها يوم القيامة والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اجاد فتله قال ابن عباس هي حبال تكون بمكة ويقال المسد المعصى التي تكون في البكرة وتخرج ابن ابي حاتم وابو نعيم عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب قبلت العوراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول ؎ مذ مما ابينا + ودينه قلينا وامره عصينا + ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرانا اعتصر به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اني اخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها اخرجه البزار بمعناه وقال لا نعلمه يروى باحسن من هذا الاسناد

سورة الاخلاص وفيها اسماء كثيرة

ذكرها الخطيب وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى وهذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاصنام والاوثان والقائلين بالثنوية والتثليث هي اربع او خمس آيات وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الخ ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث

سورة الفيل وسورة قريش وسورة الماعون وسورة الكوثر وسورة الكافرون وسورة النصر وسورة تبت وسورة الاخلاص وسورة الفلق وسورة الناس وسورة الاعلى وسورة الغاشية وسورة الفجر وسورة البلد وسورة الشمس وسورة الليل وسورة الضحى وسورة الم نشرح وسورة التين وسورة العلق وسورة القدر وسورة لم يكن وسورة الزلزلة وسورة العاديات وسورة القارعة وسورة التكاثر وسورة العصر وسورة الهمزة وسورة الفيل وسورة لايلاف وسورة الماعون وسورة الكوثر وسورة الكافرون وسورة النصر وسورة تبت وسورة الاخلاص وسورة الفلق وسورة الناس

ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم ورواه الترمذي من طريق اخرى عن ابي العالية مرسلا ولم يذكر ابيا ثم قال وهذا اصح وعن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله الى آخر السورة اخرجه الطبراني والبيهقي وابو نعيم وغيرهم وحسن السيوطي اسناده وعن ابن مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزلت هذه السورة اخرجه ابو الشيخ في العظمة والطبراني وعن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد فيخرج منه الولد ولم يولد فيخرج من شيء رواه البيهقي وغيره وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن اخرجه احمد والنسائي وغيرهما وعن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني احب هذه السورة قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك اياها ادخلك الجنة رواه احمد والترمذي وابن الضريس والبيهقي في سننه وقد وردت احاديث كثيرة في ان من قرأ هذه السورة كذا غفر له ذنوب كذا وكذا في السنن وغيرها ولكنها ضعيفة غريبة وفيها من هو متهم بالوضع وقد روي من غير وجه انها تعدل ثلث القرآن وفيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن فمن ذلك ما اخرجه احمد والبخاري وغيرهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن يعني قل هو الله احد قيل ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية دالة على ما في الحديث فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص وما في الكشاف من انها تعدل القرآن كله قال الدواني لم اره في شيء من كتب التفسير والحديث انتهى ولم يرد في فضل هذه السورة الا ما روته عائشة عند البخاري ومسلم وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا في سرية فكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان اقرأ بها فقال اخبروه ان الله تعالى يحبه هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد واخرج البخاري ايضا في كتاب الصلوة من حديث انس قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قبا

فكان كلما افتتح سورة فقرأ بها معه في الصلوة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرء بالاخرى فاما ان تقرء بها واما ان تدعها وتقرأ باخرى قال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من افضلهم وكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ان تفعل ما يامرك به اصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال اني احبها قال حبك اياها ادخلك الجنة وقد روي بهذا اللفظ من غير وجه عند غير البخاري وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات وفيه دليل على شرف علم التوحيد وكيف لا والعلم يشرف بشرف المعلوم وتتضع بصعته ومعلوم هذا ان العلم هو الله سبحانه وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فسبحانك بشرف منزلته وجلالة محله وفي التوحيد وصفاته سبحانه كتب ورسائل مستقلة مفردة تصدى لجمعها وتاليفها عصابة من اهل العلم بالكتاب العزيز والسنة المطهرة منهم شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني وتلميذه الحافظ محمد بن ابي بكر بن القيم وغيرهما من سلف الائمة وخلفها كالمقريزي والشوكاني ومحمد بن اسمعيل الامير اليماني ومحمد اسمعيل الدهلوي وامثالهم رحم الله ايا هم اجمعين اللهم اجعلنا من الموحدين اياك واحشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وتقبل ضراعتنا انك انت السميع العليم

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير يجوز ان يكون عائدا الى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول وان المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فيكون مبتدأ والله مبتدأ ثان واحد خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الاول ويجوز ان يكون الله بدلا من هو والخبر احد ويجوز ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا ويجوز ان يكون احد خبر المبتدأ محذوف اي هو احد ويجوز ان يكون هو ضمير شان لانه موضع تعظيم والجملة بعده مفسرة له وخبر عنه والاول اولى قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله والمعنى ان ما سالتموني عن نسبته هو احد قيل وهمزة احد بدل من الواو واصله

واحد ومن جملة القائلين بالقلب الخليل وقال ابو البقاء همزة احد اصل بنفسها غير مقلوبة وذكر
ان احد يفيد العموم دون واحد ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الازهري بانه لا يوصف بالاحدية
غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد ودرهم واحد قيل والواحد
يدخل في الاحد والاحد لا يدخل فيه فاذا قلت لا يقاومه واحد جاز ان يقال لكنه يقاومه اثنان
بخلاف قولك لا يقاومه احد وفرق ثعلب بين واحد وبين احد بان الواحد يدخل في العدد
واحد لا يدخل فيه ورد عليه ابو حيان بانه يقال احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد وهذا
كما ترى انتهى وذكر احد في الاثبات مع ان المشهور انه يستعمل بعد النفي كما ان الواحد لا يستعمل الا
بعد الاثبات يقال في الدار واحد وما في الدار احد فالجواب عنه ما قال ابن عباس انه لا فرق بينهما
في المعنى واختاره ابو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم وعليه فلا يختص احدهما
بمحل دون آخر وان اشتهر استعمال احدهما في النفي دون الآخر في الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن
المشهور هنا رعاية للفاصلة بعد فدل بقوله الله على جميع صفات الكمال وهي الثبوتية كالعلم
والقدرة والارادة وبالاحد على صفات الجلال وهي الصفات السلبية كالقدم والبقاء كذا قال
الكرخي قرأ الجمهور قل هو الله احد باثبات قل وقرأ ابن مسعود وابي الله احد بدون قل وقرئ
قل هو الله الواحد وقرأ الجمهور بتنوين احد وهو الاصل وقرئ بحذفه للخفة وقيل ان ترك التنوين
لملاقاته لام التعريف فيكون الترك لاجل الفرار من التقاء الساكنين ويجاب عنه بان الفرار
من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بتحريك الاول منهما بالكسر الله الصمد الاسم الشريف
مبتدأ والصمد خبره والصمد هو الذي يصمد اليه في الحاجات اي يقصد لكونه قادرا على قضائها
فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض لانه مصمود اليه اي مقصود اليه قال الزجاج الصمد
السيد الذي انتهى اليه السودد فالسيد فوقه وقيل معنى الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل
ولا يزول وقيل معنى الصمد ما ذكر بعده من انه الذي لم يلد ولم يولد وقيل هو المستغني عن كل
احد والمحتاج اليه كل احد وقيل هو المقصود في الرغائب والمستعان به في المصائب وهذان
القولان يرجعان الى معنى القول الاول وقيل هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقيل هو الكامل
الذي لا عيب فيه وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد

وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفي والسدي الصمد هو المصمت الذي لا جوف له وهذا لا ينافي القول الاول لجواز ان يكون هذا اصل معنى الصمد ثم استعمل في السيد المصمود اليه في الحوائج وهذا اطلق على القول الاول اهل اللغة وجمهور اهل التفسير وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك الشرف بمعزل عن استحقاق الالوهية وحذف العاطف من هذه الجملة لانها كالنتيجة للجملة الاولى وقيل ان الصمد صفة الاسم الشريف والخبر هو ما بعده والاول اولى لان السياق يقتضي استقلال كل جملة وعن بريدة قال الصمد الذي لا جوف له وروي عنه مرفوعا لا يصح رفعه وعن ابن مسعود مثله وفي لفظ ليس له احشاء وعن ابن عباس مثله وعنه قال الصمد الذي لا يطعم وهو المصمت وقد روي عنه انه الذي يصمد اليه في الحوائج وفي لفظ الصمد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والغني الذي قد كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي الا له ليس له كفوا ليس كمثله شيء وعن ابن مسعود قال الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده فالاشياء اسود منه وعن ابن عباس قال الصمد الذي تصمد اليه الاشياء اذا نزل بهم كربة او بلاء لم يلد ولم يولد اي لم يصدر عنه ولد كما ولدت مريم ولم يصدر هو عن شيء كما ولد عيسى وعزير لانه لا يجانسه شيء ولاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا وقد دل على هذا قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة قال قتادة ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله فقال لم يلد ولم يولد قال الرازي قدم ذكر نفي الولد مع ان الوالد مقدم للاهتمام لاجل ما كان يقوله الكفار من المشركين الملائكة بنات الله واليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع احد ان له والدا فلهذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اشار الى الحجة فقال ولم يولد كانه قيل الدليل على امتناع الولد انتفاؤه على انه ما كان ولد الغيره وانما عبر سبحانه بما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد في الماضي ولم يذكر ما يفيد انتفاء كونه كذلك في المستقبل لانه ورد جوابا عن قولهم لد الله كما حكى الله عنهم بقوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب

قولهم وهم انما قالوا ذلك بلفظ يفيد النفي فيما مضى ورجحت الآية لدفع قولهم هذا ولم يكن له كفوا احد هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها لانه سبحانه اذا كان متصفا بالصفات المتقدمة كان متصفا بكونه لم يكافئه احد ولم يماثله ولا يشاركه في شيء وآخر اسم كان لرعاية الفواصل وقوله له متعلق بقوله كفوا قدم عليه لرعاية الاهتمام لان المقصود نفي المكافأة عن ذاته وقيل انه في محل نصب على الحال والاول اولى وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية لان سيبويه قال انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وههنا لم يجعل خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه لم يجعل ذلك حتما بل جوزه والثاني انا لا نسلم كون الظرف ههنا ليس بخبر بل يجوز ان يكون خبرا ويكون كفوا منتصبا على الحال وحكى في الكشاف عن سيبويه ان الكلام العربي الفصيح ان يجيء الظرف الذي هو لغو غير مستقر واقتصر في هذه الحكاية على نقل اول كلام سيبويه ولم ينظر الى آخره فانه قال في آخر كلامه والتقديم والتاخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير انتهى قال الشهاب ولعل الوصل بين هذه الجمل الثلث وهي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد بالعاطف دون ما عداها من هذه السورة لانها سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه وهذه اقسامها لان المماثل اما ولد او والد او نظير فلتغاير الاقسام واجتماعها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني وترك العطف في الصمد لانه محقق ومقرر لما قبله وكذا ترك العطف في لم يلد لانه مؤكد للصمدية لان الغني عن كل شيء المحتاج اليه كل ما سواه لا يكون والدا ولا مولودا انتهى قرأ الجمهور كفوا بضم الكاف والفاء وتسهيل الهمزة وقرأ الاعرج وسيبويه ونافع في رواية عنه باسكان الفاء مع ابدال الهمزة واوا في الوقف وابدالت الواو وصلا ووقفا ايضا وقرئ كفأ بكسر الكاف وفتح الفاء من غير مد وكذلك مع المد والكفو في لغة العرب النظير تقول هذا كفوك اي نظيرك والاسم الكفاءة بالفتح قال ابن عباس ليس له كفو ولا مثل ومن زعم ان نفي الكفو هو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والاستقبال يدعونه في الحال فقد ناه في غيره لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة فاتحاد لا يكون كفوا للقدير وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة الكريمة تدفع الكل اخرج البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك

وشتمني ولم يكن له ذلك شغلت فلم اتكذبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا احد

سورة الفلق هي خمس آيات وهي مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة قيل وهو الصحيح وعن ابن مسعود انه كان يحك المعوذتين في المصحف يقول لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله انما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما اخرجه احمد والطبراني وابن مردويه من طرق قال السيوطي صحيحة قال البزار لم يتابع ابن مسعود احد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ بهما في الصلوة واثبتتا في المصحف واخرج احمد والبخاري والنسائي وغيرهم عن زر بن حبيش قال اتيت المدينة فلقيت ابي بن كعب فقلت له يا ابا المنذر اني رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال اما والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما وما سألني عنهما احد منذ سألته غيرك قال قيل لي قل فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرطبي زعم ابن مسعود ان هاتين السورتين دعاء يتعوذ به وليستا من القرآن وقد خالف الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب ابن مسعود المعوذتين في مصحفه لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين بهما فقدرانهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابو بكر بن الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما الخ من كلام البشر وكلام الخالق الذي هو اية تحدى صلى الله عليه وسلم وحجة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين فضلا عن مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه واخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي الليلة ايات لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس واخرج الترمذي وحسنه وابن جرير

والبيهقي عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الانس فلما نزلت سورة المعوذتين اخذ بهما وترك ما سوى ذلك وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال ومنها انه كان يكره الرقى الا بالمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي والحاكم وصححه وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب السور الى الله قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس اخرجه ابن مردويه وعن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح بيده عليه لجاء بركتها اخرجه مالك في الموطأ وهو في الصحيحين من طريق مالك وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال ان رجلا من اليهود سحرك والسحر في بير فلان فارسل عليا فجاء به فامره ان يحل العقد ويقرأ اية ويحل حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال اخرجه عبد بن حميد في مسنده واخرجه ابن مردويه من حديث عايشة مطولا وكذلك من حديث ابن عباس قيل وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل عاما قال الحافظ ابن حجر وهو المعتمد قال الراغب تاثير السحر في النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان او بشر كما كان ياكل ويتغوط ويغضب ويشتهي ويمرض فتاثيره فيه من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي وانما يكون ذلك قادحا في النبوة لو وجد للسحر تاثير في امر يرجع للنبوة كما ان جرحه وكسر ثنيته يوم احد لم يقدح في ما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وكما لا اعتداد بما يقع في الاسلام من غلبة بعض المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الاسلام في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال القاضي ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم اراد وا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى ومذهب اهل السنة ان السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل وقد يمرض ويقتل ويفرق بين الزوجين وقد تمام الكلام على هذا في حاشية سليمان الجمل فارجع اليه وقد ورد في فضل المعوذتين وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما في الصلوة وغيرها احاديث وفيما ذكرناه كفاية

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ الفلق الصبح يقال هو ابين من فلق الصبح وسمي فلقا لانه يفلق عنه الليل وهو فعل بمعنى مفعول قال الزجاج لان الليل يفلق عنه الصبح ويكون بمعنى مفعول وهذا قول جماعة المفسرين وقيل هو سجن في جهنم وقيل هو اسم من اسماء جهنم وقيل شجرة في النار وقيل هو الجبال والصخور لانها تفلق بالمياه اي تشقق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تتشقق من خوف الله قال النحاس يقال لكل ما اطمأن من الارض فلق وقيل هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره قاله الحسن والضحاك قال القرطبي هذا القول ليشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق يقال فلقت الشيء فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق قال الله سبحانه فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى انتهى والقول الاول اولى لان المعنى وان كان اعم منه واوسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الاطلاق وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الايماء الى ان القادر على ازالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر ايضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال المجيئ الفرج فكما ان الانسان في الليل يكون منتظر الطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبا الطلوع صباح النجاح وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير عن عمرو بن عبسة قال صليت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل اعوذ برب الفلق وقال يا ابن عبسة اتدري ما الفلق قلت الله ورسوله اعلم قال بئر في جهنم اخرجه ابن مردويه واخرجه ابن ابي حاتم موقوفا عليه غير مرفوع وعن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قل اعوذ برب الفلق هل تدري ما الفلق باب في النار اذا فتح سعرت جهنم اخرجه ابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل قل اعوذ برب الفلق فقال هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمستكبرون وان جهنم لتتعوذ بالله منه اخرجه ابن مردويه والديلمي وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم اخرجه ابن جرير وهذه الاحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان المصير اليها واجبا والقول بها متعينا وعن ابن عباس قال الفلق سجن في جهنم وعن جابر بن عبد الله قال الفلق الصبح وعن ابن عباس ايضا الفلق الخلق من شر ما خلق متعلق باعوذ

اي اعوذ بالله من شر كل ما خلقه من جميع مخلوقاته فيعم جميع الشرور فهذا عام وما بعده من الشرور الثلثة خاص فهو من ذكر الخاص بعد العام وقيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم ولا وجه لهذا التخصيص كما انه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله فقرأ بتنوين شر على ان ما نافية والمعنى من شر ما خلقه ومنهم عمرو بن عبيد وعمرو بن فائد وفي المدارك قرأ ابو حنيفة رحمه الله تعالى من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شر اي من شر خلقه اي من خلق شر وما زائدة انتهى وفيه ايضا بعد وضعف كما ترى ومن شر غاسق اذا وقب الغاسق الليل والغسق الظلمة قال الفراء يقال غسق الليل واغسق اذا اظلم وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من اجامها والهوام من اماكنها ويبعث اهل الشر على العبث والفساد كذا قال وهو قول بارد فان اهل اللغة على خلافه وكذا جمهور المفسرين ووقوبه دخول ظلامه يقال وقبت الشمس اذا غابت وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وبه قال ابن زيد وهذا محتاج الى نقل عن العرب انهم يصفون الثريا بالغسوق وقال الزهري هو الشمس اذا غربت وكانه لاحظ معنى الوقوب ولم يلاحظ معنى الغسوق وقيل هو القمر اذا خسف وقيل اذا غاب وبهذا قال قتادة وغيره واستدلوا بحديث اخرجه احمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن عايشة قالت نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى القمر لما طلع فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال الترمذي بعد اخراجه حسن صحيح وهذا لا ينافي قول الجمهور لان القرابة الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وهكذا يقال في جواب من قال انه الثريا قال ابن العربي في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريب يتحينون وجبة القمر وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وقيل الغاسق كل هاجر يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها وقيل الغاسق هو السائل وقد عرفناك ان الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله اهل القول الاول ووجه تخصيصه ان الشر فيه اكثر والتحرز من الشر فيه اصعب منه فيما لم الليل اخفى للويل وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال النجم هو الغاسق وهو الثريا اخرجه ابن جرير وابو الشيخ وغيرهما وروي من وجه

اخر عنه غير مرفوع وقد بين معناه وتاويل هذا وتاويل ما ورد ان الغاسق القمر واخرج ابو الشيخ عنه ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتفخت النجوم رفعت عن كل عاهة عن كل بلاء وهذا الوعد لم يكن
فيه دليل على ان الغاسق هو البحر او النجوم وعن ابن عباس في الاية قال الليل اذا اقبل ومن شر النفثت
في العقد النفاثات هن السواحر ليلي واعوذ برب الفلق من شر النفوس النفاثات او النساء
النفاثات والنفث النفخ كما يفعل ذلك من يرقي ويسحر قيل مع ريق وقيل بدون ريق وهو دليل
على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور اثره والعقد جمع عقدة وذلك انهن كن
ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن الاعصم اليهودي
سحرن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الجمهور النفاثات جمع نفاثة على المبالغة وقرئ النافثات جمع نافثة
والنفاثات بضم النون والنفثات بدون الف وقال ابن عباس الساحرات وعنه قال هو ما خاط
السحر من الرقى واخرج النسائي وابن مردويه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عقد عقدة
ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه وعنه قال جاء النبي صلى الله
عليه وسلم يعودني فقال الا ارقيك برقية رقاني بها جبريل فقلت بلى بابي انت وامي قال بسم الله ارقيك
والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد ورقى بها
ثلث مرات اخرجه ابن ماجة وابن سعد والحاكم وغيرهم واختلفوا في جواز النفخ في الرقى والتعاويذ
الشرعية فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل
والنفث في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا بعة ل قال
النسفي جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بما كان بالسريانية
والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ومن شر حاسد اذا حسد تمني زوال
النعمة التي انعم الله بها على المحسود ومعنى اذا حسد اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه
وحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود قال عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد وقد
نظم الشاعر هذا المعنى فقال ٥ قل للحسود اذا تنفس طعنة ... يا ظالما كانه مظلوما وتذكر
الله سبحانه في هذه السورة ارشاد رسوله صلى الله عليه وسلم الى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم

ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره وهو الغاسق و النفاثات والحاسد فكان هؤلاء ما فيهم من مزيد الشر حقيقون بافراد كل واحد منهم بالذكر وختم بالحسد لبيان انه اشد واشر وهو اول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر بل حاسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات ذكره النسفي وفي المدارك عن ابن عباس في قوله ومن شر حاسد اذا حسد قال تقول اعينه

سورة الناس هي ست آيات

والخلاف في كونها مكية او مدنية كالخلاف الذي تقدم في سورة الفلق قال ابن عباس انزل بمكة قل اعوذ برب الناس وعن ابن الزبير قال انزل بالمدينة وقد قدمنا في سورة الفلق ما ورد في سبب نزول هذه السورة وبينا ورد في فضلها فارجع اليه وان الحافظ ابن القيم في البدائع بفوائد بديعة كثيرة تتعلق بالمعوذتين وكتب عشرين ورقة في بيان ذلك لا يتسع هذا المقام لبسطها ان شئت فراجعه

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ قرأ الجمهور بالهمزة وقرئ بحذفها ونقل حركتها الى اللام **برب الناس** قرأ الجمهور بترك الامالة في الناس وقرئ بالامالة والمعنى مالك امرهم ومربيهم ومصلح احوالهم وانما قال رب الناس مع انه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم وقوله **ملك الناس** عطف بيان جيء به لبيان ان ربوبيته سبحانه ليست كربوبية سائر الملاك لما تحت ايديهم من ممالكهم بل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر وقد اجمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف من ملك بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى **اله الناس** ايضا عطف بيان لبيان ان ربوبيته وملكه قد انضم اليهما المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالايجاد للاعدام وايضا الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا كما يقال رب الدار ورب المتاع وسنذكر قوله

اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله فبين انه ملك الناس ثم الملك قد يكون الملك وقد لا يكون فبين انه اله لان اسم الاله خاص به لا يشاركه فيه احد وايضاً بدأ باسم الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه من اوائل عمره الى ان صار عاقلاً كاملاً فحينئذ عرف بالدليل انه عبد مملوك فذكر انه ملك الناس ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وانه عبد مخلوق وان خالقه الهه معبوده بين سبحانه انه اله الناس وكرر لفظ الناس في الثلثة المواضع لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار والبيان ولان التكرير يقتضي مزيد شرف الناس وقيل اراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه ذكره النسفي ولا وجه لهذا التخصيص وانما هذا الكلام من لطائف البيان مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ قال الفراء هو بفتح الواو بمعنى الاسم اي الموسوس وبكسرها المصدر اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وقيل هو بالفتح اسم لمعنى الوسوسة والوسوسة هي حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة اي حدثته حديثاً واصلها الصوت الخفي ومنه قيل لاصوات الحلي وسواس قال الزجاج الوسواس هو الشيطان اي ذي الوسواس ويقال ان الوسواس ابن لابليس وسمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانها شغله الذي هو عاكف عليه وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة في تفسير قوله فوسوس لهما الشيطان ومعنى الخناس كثير الخنس وهو التأخر يقال خنس يخنس اذا تأخر قال مجاهد اذا ذكر الله خنس وانقبض واذا لم يذكر انبسط على القلب ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها كما تقدم وقيل الخناس اسم لابن ابليس كما تقدم في الوسواس وعن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس قال مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب فوسوس اليه فان ذكر الله خنس وان سكت جاء اليه فهو الوسواس الخناس وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسيه التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس اخرجه ابن ابي الدنيا في مكائد الشيطان وابو يعلى وابن شاهين والبيهقي في الشعب وعن ابن عباس في الآية قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله

خنس وعنه قال ما من مولود يولد الا على قلبه الوسواس فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس
فذلك قوله الوسواس الخناس وقد ورد في معنى هذا غيره وظاهره ان مطلق ذكر الله يطرد
الشيطان وان لم يكن على طريق الاستعاذة ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز
بخيري الدنيا والاخرة الذي يوسوس في صدور الناس قال قتادة ان الشيطان له خطوم
كخطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له واذا ذكر العبد ربه
خنس قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في عروقه
سلطه الله على ذلك ووسوسته هي الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل الى القلب من غير سماع
صوت والجملة في محل الجر على الصفة او الرفع والنصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن
الوقف على الخناس ثم بين سبحانه الذي يوسوس بانه ضربان جني وانسي فقال من الجنة
والناس اما شيطان الجن فموسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فوسوسته في صدور ع ٦
الناس انه يري نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي اخرجه مخرج النصيحة ما
يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون متعلقا بيوسوس
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس ويجوز ان يكون بيانا للناس قال الزجاج
وقال قوم من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله في صدور الناس لان القدر المشترك
بين الجن والانس سمي انسانا والانسان ايضا سمي انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على الجنس و
النوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه لفظ الانس والجن ما روي انه جاء
نفر من الجن فقيل لهم من انتم قالوا ناس من الجن وايضا قد سماهم الله تعالى رجالا في قوله
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وقيل يجوز ان يكون المراد اعوذ برب الناس
من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ومن الجنة والناس كانه استعاذ
ربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ بربه من جميع الجنة والناس وقيل المراد بالناس الناسي
وسقطت الياء كسقوطها في قوله يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس لان كل فرد من افراد
الفريقين في الغالب يبتلى بالنسيان وأحسن من هذا ان يكون قوله والناس معطوفا على الوسواس
اي من شر الوسواس ومن شر الناس كانه امران يستعيذ من شر الجن والانس قال الحسن اما شيطان الجن

فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فيأتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس وواحد الجنة جني كما ان واحد الانس انسي والقول الاول هو ارجح هذه الاقوال وان كان وسوسة الانس في صدور الناس لا تكون الا بالمعنى الذي قدمنا ويكون هذا البيان تذكيرا للثقلين للامر شاد الى ان من استعاذ بالله منهما ارتفعت عنه محن الدنيا والاخرة وعن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي

يقول العبد الضعيف الخامل التواري مؤلف هذا التفسير صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ختم الله له بالحسنى اذا قرأ حلاوة رضوانه الاسنى

وهو الى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين في الرواية والدراية الرافع من الهوية التحقيق والتنقيح اعظم راية وكان الفراغ منه في ضحوة يوم الجمعة لعله التاسع والعشرون من شهر ذي الحجة احد شهور سنة تسع وثمانين بعد مائتين والف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام والتحية وقد تم بقيامه وانتهى بانتهائه الاسبوع والشهر والسنة اللهم كما منت علي باكمال هذا التفسير واعنتني على تحصيله وتفضلت علي بالفراغ منه على ما اردت فامنن علي بقبوله واجعله لي ذخيرة خير عندك واجزل لي المثوبة بما صرفت الوقت في تحريره كما قلت في كتابك اني لا اضيع عمل عامل منكم وكما قلت في هذا الباب ﴿ كل يجيء بكسبه وكتابه ﴾ يوم القيامة اخر الازمان في حضرة الرحمن جل جلاله + عم الورى بالعفو والغفران + ويجيء هذا العبد وهو مقصر + بكتابه التفسير فتح بيان + ثم اللهم انفع به من اخلفه من بعدي من ولدي ومن شئت من عبادك المؤمنين ليدوم لي الانتفاع به بعد موتي فان هذا هو المقصد الجليل والمطلب الجميل من هذا الجمع والتاليف واجعله خالصا لوجهك الكريم وتجاوز عني اذا خطر لي من خواطر السوء ما يفيه شائبة تخالف الاخلاص والتوحيد واغفر لي ما لا يطابق مرادك فاني لم اقصد في جميع ابحاثي فيه الا اصابة الحق وموافقة ما ترضاه فان اخطأت فانت غافر الخطيات ومسبل

ذيل الستر على الهفوات وان اصبت فانت قابل الطاعات ومانح العطيات يا باري البريات
وقد جمعته في زمن اهله بغير الكتاب والسنة يخرصون وصنعته كما صنع نوح عليه السلام
الفلك ومنه يسخرون وله در من يقول ٥ اذا رضيت عني كرام عشيرتي ٥ فلا زال
غضبانا علي لئامها ثم اللهم واحمدك على ما اوليتني من نعمك الوافرة من الاموال و
الاولاد والعلم النافع من الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا احصي حمدا لك واشكرك
على ما رزقتني من خلوص النية في القول والعمل والاعتقاد لا احصي شكرا لك انت كما اثنيت
على نفسك وقد رويت في صحيح مسلم بن الحجاج بسنده المتصل الى ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله
الا من ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له اللهم فهذا علم انتفع
به وقد علمت نيتي وعلمي انتصاري في تفسير كتابك لمذهب ذاهب او قول قائل ما عدا
قولك وما صح عن رسولك صلى الله عليه وسلم فانفعني به في الحيوة الدنيا وفي الاخرة واجزني بما انت له
اهل يا اهل التقوى واهل المغفرة وهذه اولادي فاجعلهم من عبادك الصالحين وممن
يدعو لي بعد مماتي ووفقهم للعلم النافع والعمل الصالح واحفظهم من بين ايديهم ومن
خلفهم مما لا تحبه ولا ترضاه واجعل لي ولهم لسان صدق في الاخرين رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني
تبت اليك واني من المسلمين وقد طعنت في العشر الخامس من عمري ورهن العظم مني
واشتعل الراس شيبا فلم اكن بدعائك رب شقيا ولنختم الكلام بالحمد لله رب العالمين
كما بدأنا به اول مرة وصلى الله تعالى وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه كرة بعد كرة

خاتمة الطبع لنخبة السادة وعمدة القادة الجامع بين العلم الاشرف والعمل الاجود السيد محمد الفقار احمد سلمه الله الصمد

وعليه نعمه جدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي الهم ما ارتضاه دينا لخيرته من عباده + ونور بصائر خاصته بانوار الهدى حتى اهتدوا الى ما اودعه في كتابه من مراده + فنظموا درر البلاغة في سلك البيان ونسجوا حلل الفصاحة على منوال الاتقان والاتقان في الصلوة والسلام على من جاز قصب السبق في مضمار المباراة بجوامع البراهين والحجج وسلم من التلاعم في ميدان المجاراة بالاعتصام بقران عربي غير ذي عوج وعلى آله الذين انقادت لهم معارف الهدى في اغنة الخلوص طوعا وسمعا وصحبه الذين جمعوا من الفضائل العليا والمناقب العظمى جمعا وبعد فان لكل عمل قواما ولكل امر مراما وقوام كل عمل ومرام كل امر معرفة كتاب الله المنزل على النبي المعصوم من الزيغ والزلل اذ هبوب نسائم معانيه تهتز معاطف العقول وبالاحاطة لبشول امانيها يجمع المقاصد تفتح الخطى وبشروق شموس نصوصه تتضح سبل الهدى والرشاد وبزوغ بدور حكمه يدرك كل مرام ومراد وبقطف ثمار حقائقه من افنان الايات البينات يعرف ان هذا غراس اليقين وليس بغراس الاوهام وبدوحنا جنان دقائقه من النصوص النيرات يعلم انه كلام الخالق المعجز وليس بنظام الانام ولا سبيل الى الكشف القناع عن هذه المخدرات والتمتع بتلك الرافلات في حلل الايات الكريمات الا بممارسة علوم التفسير ومقالات الائمة المفسرين والعثور على حقائق ما سطره وحرره سلف الامة وائمتها في طروس اليقين وان هذا التفسير المبارك واسطة عقدها واكليل تاجها ومثالة سعدها قد دخل جامعه على حقائق التحقيق الحقيق بالقبول من مجازها وغاص في بحر حقائق التدقيق الحري بالسمع والطاعة من فنون التفسير حتى اخرج كل عويصة الى معالم ابرازها احيى ليله في تدبر الايات واحكامها حتى امات اشباح الاراء الصرفة والاوهام وجرد سيف السنة المطهرة ففتح مدن القيل والقال الزائف بجرد ذات الصمصام فعلا براعته في هذا العلم كان الناس امة واحدة وعلى توحيده في هذا العلم ضرب سرادق الاجماع وجمعه

لكل فائدة فسد ره حيث اجرى انهار الحجج والبراهين الصحيحة من تحت جنان النصوص والآيات فزفت عاقبة الشر من كوثرها حلاوة تسنيم الكرام وحقق لنا حق التحقيق في كل دقيق وجليل والحق احق ان يتبع وهو القول على كل كلام في كل مقام ٥ ما كنت احسب ان النيران غلت + بصيدها شرك الاهام والفكر القي عصى تحريره البالغ في المعنى والمبنى فانقضت حبال سحرة الاباطيل وتحدى بباهر تحقيقه مصاقع المفسرين من القدماء والمتاخرين فالقوا السمع وتركوا غيره من كتب الاقاويل فلهذا ترى عصابة اهل العلم وسادتهم عكفوا على ابواب حقائقه وطائفة اولى الفهم وقافتهم يتسكوا بذيول دقائقه كيف وقد اورد عطاش الافهام على جلة اولى علوم التفسير الفائقة من غير مقاساة الايام وسهل حزن تناولها بعد احتفالها باشواك الاشكال الخاص والعام وجمع بين الرواية والدراية من علم التفسير على وجه لم يسبق اليه ورد مائه وهم نيامهم ونظم عقود هذا الفن المبارك العزيز الوجود في هذا الزمان بعد تبديد لمن قصده باحسن اسلوب والطف نظام وذب عن الكتاب العزيز ما لم يكن منه واذاع اسرار لفظه ومعناه بعد ان لم يستطع احد عليه خبرا ولم يبق منه في هذا الزمان الاخير الحاضر بين يدي الساعة الكبرى عين ولا اثر الا ذكرا ٥ فكساه ثوب العلى ثوب بهاء وسقاه الجمال ماء شباب + فهذا التفسير بحمد الله تعالى قد جاء جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محليا بالاحاديث النبويه مطرزا بالاحكام الشرعية موشيا بالفصل الصحيحة واخبار الماضيين الصريحة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح لفظ وابلغ مقال ومهذبا جامعا لمعاني التفسير ولباب التاويل والتعبير حاويا للتلخيص ماثوره ومنقوله متضمنا لنكته واصوله ولم يجعل لنفسه تصرفا فيه سوى النقد والانتخاب مجتنبا حد التطويل الممل والايجاز المخل وفضول الاسباب فهو كتاب مبارك وسط في التاويلات جامع لوجوه الاعراب والقراءات متضمن لحقائق السنن ومقالات اهاليها موشح بتفاسير سلف الامة وائمتها وموالیها خال عن اباطيل الاراء الفاسدة واكاذيب العقول الكاسدة ساقه بابلغ ما قدر عليه من الايجاز وحسن التهذيب ما جاله بالكتاب العزيز مع التسهيل والتقريب وكانت بداية تحريره في اوائل شهر صفر من تسع وثمانين من القرن الثالث عشر ونهاية ترقيمه في اواخر شهر شعبان من العام المذكور الحاضر وقد حال بين تلك المدة مدة التحرير والكتابة حائل

ومنعه عن تبيره وتسطيره الى اربعة اشهر كاملة شاغل فكان تمام امد جمعه ثمانية اشهر لا اقل منه وكثر وهذا من فضل الله تعالى على جامعه حيث سهل له صعاب المرام في تاليف هذا التفسير المبارك العالي المقام ومن اعجب العجائب واغرب الغرائب انه كما تم بتمامه الاسبوع والشهر والسنة انتهى بانتهاء تبييضه الى بيضه هذا العبد الجاني لاجل طبعه الاسبوع والشهر والسنة فانه كان تمام تبييضي يوم الجمعة بعد العصر التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وثلث وتسعين وايضا قد وقع ختام تحريره وتمام تسطيره لاجل الطبع بتمام الشهر وكان بعد العصر لثلثين من ربيع الاول سنة الف ومائتين واربع وتسعين على يد كاتبه وسياتي اسمه وما هذا الا من بركة هذا التفسير المبارك والحمد لله الذي تعالى وتبارك وكرم لتاليف هذا التفسير من كتب ورسائل مدونة في الحديث والفقه والعقائد والاصول والطبقات الناسخ والمنسوخ واثبات الاتباع وذم الكلام التي لم ينسج على منوالها احد من المعاصرين ولم يحوها جماهير جل المتاخرين والله يختص برحمته من يشاء والفضل العظيم وصلى الله وسلم وبارك على رسوله محمد سيد الخلق والمرسلين جمعين ومن تبعهم بالاحسان الى يوم ما ناح حمام وفاح مسك وختام هذا وقد تم طبع هذا الجزء الرابع من التفسير المسمى بفتح البيان في مقاصد القرآن في عهد حكومة من هي نخبة الزمان ونسخة الاوان وعين الانسان وزينة المكان قد جمعت من الفضائل العلمية ادانيها وقاصيها واخذت من الفواضل الحسنى ناصيتها جلت عن المدح وعلت من القدح الى ان صارت بحيث كان مدحها قدحا وعلا قدرها مدحا اعني بذلك والية الملك وولية النعم حضرتنا **نواب شاه جهان بيگم** ادام الله تعالى ظلها وطابت ايامها وليالها وكان بيمن ثمره وارتفاع وضعه بالمطبع الصديقي الواقع ببلدة الامارة العلية وروض الرياسة البهية **بهوپال** التحمية حرسها الله تعالى واهلها من كل رزية وبلية في اوائل شهر ربيع الاخر سنة الف ومائتين واربع وتسعين الهجرية القدسية بكتابة الحافظ الكتاب الله الصالح الاواه **علي حسين** الكنوي سلمه الله العلي القوي وتصحيح هذا العبد المقصر الجاني عفا الله عنه ما جناه ووفقه لما يحبه ويرضاه وذي الفضل الاظهر والمجد الاثر المولوي محمد **عبد الصمد** القشاوري تحت ادارة ذي الخلق الوسيع والفضل المنيع المولوي محمد **عبد الحميد خان** ثم مطابع دار الرياسة البوفالية وباصلاح حجر الطبع من الحافظ **كرامة الله** عافاه الله وابقاه ولما عم نفعه وشاعت نسخه في الديار الشاسعة واجتلاها اهل العلم ضوؤه الساطعة قيض الله اصحابه من ارباب الفضل الاشاعة وحاجة من اهل الدين السماحة في كل ساعة فجاد وابكل ثناء جيد وافاد وايما يهتدي به المؤلف السيد تفسير المبارك من الشهرة والصحة والقبول الازيد

فمنهم الاديب الفقيه اللبيب النبيه عالي العلوم والمعارف سحاب الفنون المركوم الاعلام السيد محمد الكتبي الحنفي الخطيب الامام المدرس بالمسجد الحرام البلد بمزيد حضه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من فتح ينابيع البيان بالاسرار القرانية * وفجر عيون التبيان بالاذكار الصمدانية * واظهر بدائع المعارف والحقائق * واشهر صنائع العوارف والدقائق * واضاء انوار بدور العلوم * واشرق شموس الفهوم * على كل صديق اختاره من عباده ونسب للحسن على التحقيق من عباده حتى اباح له لشرما انطوى من الفضل بين اعيان الانام * واراح عنه بحجاب الجهل واحيى به ما اندرس من مآثر الافاضل الاعلام * لعليائك الحمد الذي يوافي نعمك ويكافي مزيدك ولكبريائك الشكر الذي يليق بوافر امتنانك ويقضي بان استزيدك * وابتهل اليك في اوقات الاستجابة واتضرع اليك في اماكن الاجابة ان تولي صلاتك الصلوات وموصولات التسليمات على سيد العجم والعرب * صاحب السيف والقلم واشرف من قرأ وكتب * المستفيد من مدرسة وعلمك ما لم تكن تعلم * المنزل عليه في الذكر المحكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وعلى اله واصحابه واتباعه واحزابه وعلى من انتمى اليهم باحسان الى يوم الدين وعلينا معهم اجمعين امين * **اما بعد** فان العبد المأسوف الملتجئ الى حرم ربه الرؤوف مغيث الملهوف للعروف بالمعروف لما انظر في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن تاليف نخبة الافاضل خلاصة الاماثل **بيت** علامة العلماء والبحر الذي * لا ينتهي ولكل بحر ساحل * العالم العلامة الكامل الفهامة افضل المتبحرين اكمل المحررين صاحب المناصب العلية * والمراتب السنية والمناقب المشهورة والفضائل المأثورة والاخلاق الزكية والسيرة المرضية الذي قرن بين الكمالات النفسية والرياضات الانسية وجمع مع التوغل في نظم المصالح الدنيوية مراعاة الدقائق الدينية باسمه السامي ولقبه المنامي تتباهى الاحساب * بذاته الملكية استغنى المادح عن الاطراء والاطناب **شعر**

له مناقب تسري مسرى قسمر * وسيرة سار فيها اعدل السير *

علم وحلم وعدل شامل وتقى وعفة ونوال غير منحصر + خلائق في العلا لما سمت وبنت
فاحت ولاحت لنا كالزهر والزهر ياكامل الاصل حاز الفضل والفرع بسيط فضل العطايا غير منبتر
ياسيدا في المعالي طال مطلبه ملكتها عنوة بالحق فاقتصر + ان فهت بالعلم فقت الاقدمين فكا
وصلت بالحق صول الصارم الذكر وان تكلمت في الاصلين فاعل وطا وقل ولا فخر ما الرازي بمفتخر
وان تقشر تحقق كل مشتبه وسيف ذهنك شفاق على الطرر وليس يرفع راسا سيبويه اذا
نصبت للنحو طرفا غير منكسر ومن قدير زمان للحديث لقد رقيت في الحفظ والعليا الى الزهر

اعني النواب عالي الجناب الفخم المهاب ابا الطيب **السيد محمد صديق بن حسن بن علي القنوجي** اسبغ الله تعالى سبحانه محاسنه على العالمين وادام افضاله ميامنه على المسترشدين وهذا دعاء بالاجابة قرين فانه سبحانه لا يضيع اجر المحسنين **شعر**

حاز الكمال صبيا منذ مولده + وقام بالفضل طفلا قبل ينفصل يمد نحو العلا والمكرمات يدا
خطوطها بالمنايا والمنى سبل يدلي الى كل مصر من انامليها ترى الايادي وفيها ينزل الامل
كان خاتمه يوم النوال بها قوس السحاب الغوادي حين ينهمل نفس من القدس في ذات مجردة
بالعرف جاز عليها يصدق الرجل وحين سرح الطرف في التاليف المذكور وتامل فيما حواه من الجواهر التي
تفوق جواهر النحور وعد درر البحور وجده تفسير الريسمي الدهر اله بمثيل + ولم يقدر صدع ان ياتي له
بقبيل لو اطلع عليه ابو حيان لشهد بانه الذي ظهر او ان فضله وحسان ولو تامل الزمخشري
فيما احتوى عليه لا عزل عن اعتزاله ورجع اليه ولو شاهده الغزالي لقال نعم هذا الغزال لا يبالي
ولوطا لعه المفتي ابو السعود لقال يا لهذا الطالع المسعود ولو قرأ البغوي فوائده لشهد له بفائدة
اي فائدة حتى انه لو فرض وقدر **بيت** حلف الزمان ليأتين بمثله + حنثت يمينك يا زمان فكفر + ولو تخيلنا
امرا وسعيا **بيت** ان قاسه بالاذرعي مقايس + منعنا وقلنا لا نسلمه قطعا + اذ عباراته في غاية الفصاحة
والفاظه في نهاية الرشاقة والملاحة احتوت على افادة المعاني الوافرة وانطوت على مباني التفاسير المتكاثرة منها
تهللت على وجنات الطباع انسليمة لمعات الحقائق + وتلالات على صفحات الاذهان المستقيمة انوار الحقائق محصل
ما لخصه لسان التحقيق وملخص ما حرره بنان التدقيق فالله ينفع به اهل الاسلام ويبقي مؤلفه مقصد الخاص

والعام بجاه سيد الانام محمد المرسل الكرام ختام +

ومنهم شيخ الادباء وتاج الاذكياء الجهابذة وخبة الاصدقاء الشيخ امين بن حسن المدني الحلواني اعانه الله تعالى بنيل الامانى

بسم الله الرحمن الرحيم

خير الكلام كلام الرب جل وعلا واعظم الاثار ثناءه على عروس الملا اللهم اجعل افضل صلواتك واتم تحياتك على من انزلت عليه كلامك المجيد وائتمنته على حلي معرفة الوحي الجديد محمد سيد البدو والحضر وافضل من وفى ووفى وامر صلى الله عليه وعلى من والاه ما دعى داع فحيث اما بعد فان علم التفسير هو في نفسه خطير بيد انه العلة الاولى لجميع العلوم والسبب الاقصى للمنطوق والمفهوم جدير وان كان السلف يتوافيه القصور للمناظر الا انه كم ترك الاول للاخر وان في الخمر معنى ليس في العنب وبينما كان الناس يخبطون خبط عشواء ويهيمون بليل عيماء في غبار المجاريات بين الفخر الزمخشري الاوقيض الله لهم السري بن السري الاوهو النواب السيد محمد صديق حسن خان بهادر امير بوفال احسن الله له المآل فانه وان ظهر بعد المجد الا انه اتى بما لم يجره زبر الاولين وهاك تفسيره المسمى بفتح البيان فانه احسم دليل واقطع برهان واوضح صباح وابلج تبيان في حل منازعات المتقدمين وكشف اشكالات العلماء المتاخرين وبيان اسرار كلام رب العالمين ولتعلمن نبأه بعد حين وهذه التفاسير الوف على وجه الغبراء فاطرح التقليد واهجر المراء تعالوا ان في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل وانه لا عطر بعد عروس وقد وضح الصبح لذي عينين واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وما طلعت شمس طبعه على الوجود ولم تمنع منها الغصن واورق العود انشدت مؤرخا ومادحا ولاعدائه صادما وكابحا

شعر

اجريت يا بوفال طرف بياني ... وسلوت فيك محاسن الاوطان

بديع مهدك الاوان من اتقى ... في سيره ماسنه العمران

نواب بوفال رعاها الله كم ... تسمو به شرفا على كيوان

صديقها حسن امام العصر من ... شرفت به الاباء من عدنان

هو حيدر في فتكه بل يوسف ... في حسنه في درعه القمران

يا بدر افق العلم يا شمسه ... يا غوثه يا ديمة الظمآن

اسديت في بوفال ثوب تدالة ما حاكه كسرى انوشروان وغرستها شجر الفهوم فاصبحت
تزهو على بلد به الهرمان ومنحتها سبل السلام فاينعت زهر الربيع وروضة النعمان
يا حسن روض بالمعارف مونق اروى به الوسمي غصن البان سل عنده دار العلوم كما اسدى بها
درر انقوف قلائد العقيان سل عنه اهل الزيغ كم ارداهم ببيانه وجنانه وسنان
وسل العلوم واهلها هل عابوا بحر اينظم سبحة المرجان والشذر هم مستفسر اهل شاهدوا
صبحا كصبح مقاصد الفرقان لله ما ابديته من معجز لآ زاري والانوار والتبيان
وجليت في الفرقان ايات لها في كل فقرة اية بحران واللتها زهر البديع مفوفا
ازرى البديع وخطتي سجان ونسجته في الطبع احسن مطرف يكسو الانام ملاحف العرفان

لما انتهت في طبعه ارّخت في فتح البيان مفصّل القرآن

وكتبه فقير ربه واسير ذنبه امين (١٣٠٢) بن حسن الحلواني المدني عفي عنه ٩٤ ١٢ھ

هذه قصيدة بديعة وكلمة رفيعة سمح بها طبع الاديب وخاطر اللبيب تاج البلغاء الكرام وامام الفصحاء العظام الشيخ المكرم السهار نفوري فيض الحسن حفظه الله عن كل ما يكره في السر والعلن عند ما وقف على تاليف هذا التفسير وجد في حين النظر اليه نظير نسخة الاكسير

بسم الله الرحمن الرحيم

ما سمعنا بمثل فتح البيان في المباني ولا ولا في المعاني فمعانيه عين عذب فرات
ومبانيه جنة من جنان اي الالفاظ لا ولا ثم لا ولا مثل شيء منه شيء من الكبار الثنان
من رأى مثله رآه واني مثله عز مثله في زماني انظر فيه فانظر فيه تنظر
فيه ما ليس في الحسان السماني يا لها من جميلة ذات حسن تتمناه ناعمات غوان
احب الحسان حبا شديدا بعدها وبك من محبان كل ما فيه نضرة وسرور
لذي بات عنده في مكان حسبه انه على كل حال كاشف عن لطائف القرآن

ان وضعناه فوق سبع شداد ... اجاز اذ حل فيه سبع المثاني
وقد جل مدحه عن بيان ... امره بين غني عن المدح
يكشف المعضلات سهلا يسيرا ... فكان حلها ذوات اللبان
مرتع مونق ومرعى مريع ... منهل حوله القلوب الصوادي
منظر رونه العيون الرواني ... لذة للعيون والآذان
بيت حسن من المعاني منيف ... لم ازره وكيف زورة بيت
فيه شيء يقول لي لن ترآني ... ولمن اسس المناخ يربان
كيف يكفي له نظير ولما ... يؤلف فيما مضى لبانيه ثان
ذو سمو ورا سخ البنيان ... بيته المجد وهو قصر مشيد
هاشمي له مكارم قوم ... ثم هم عامروا بلاد الامالي
ماجدات واوجه غران ... خيرقوم ربوا بيوت المعالي
ذاك فخم ردونه كل فخر ... لم يكن مثلهم بعيد وداني
ثم يمضي فيه كسيف يمان ... بلغوا المجد والعلى بنفوس
لذة في نواظر الناس طرا ... ال زهراء ثم ال علي
في صغار وذلة وهوان ... اكرم الناس اشجع الشجعان
ثم لله دره من كريم ... نالها من علا من الفتيان
لخشوع ورحمة وحنان ... وجنى المجد بعد نضج ويفع
كيف لا وهو حق عرق كريم ... لذة في نواظر الناس طرا
اسواء لديه باق وفان ... في حسود وهم على ما اصابوا
يعرف المرء حيث كان ولا ... من علي له على كل شان
مستعان وحب من مستعان ... فيه عز كانه ذل عز
كل فضل له وما كان فضل ... ذو وقار كانه ذو توان
كجواد ين ارسلا في رهان ... لم تغره نعمة وشراء
صلة الله من شرور الدنا ... وكلا المبدأين للخير بان
وضفي كلاءة وامان ... عارف بالعلى مكين امين
فادعاء له بخير ولا ... لا يدانيه رب فضل مدان
يذهب ما كان من سقيم الجمان ... كاتب ويد وايد يداه
صباح الندى على الاغصان

قد زاره بعد تم هذه الكلمة فوجده قد بلغ ١٢

ع ١٢ من الكمال

ومنهم الشيخ العلامة والمفسر المحدث الفهامة والفضل السامي الشيخ علي بن عبد الله الشامي الكناني خصه الله تعالى بمراحمه

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الفاتح المانح اللهم اني اسالك التوفيق لما تحب وترضى واستمحك حامد الك باسمائك على جلائل الآلائك ودقائق نعمائك الباهرة الغراء حمدا تتعطر مجارى الانفاس بنفحة من نفحاته وتتفجر انهار انوار الاسرار بلمحة من لمحاته وتتدفق مناهل الافكار برشحة من رشحاته * واصلي واسلم على سيدنا محمد العظيم الشان المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الباهرات الذي محى ظلم الشرك والطغيان * وسل سيف عزمه فاستنار منار الاسلام والايمان واقام دلائل التوحيد بالسيف والبرهان * وعلى اهل بيته خزنة اسراره وعلى اله واصحابه وانصاره الذين كشفوا عن مخدرات مكنونات الكتاب النقاب وخاضوا عبابه واستخرجوا درر فرائده وجواهر قلائده وفتحوا لطالبيه الباب **وبعد** فلا يخفى ان العلوم وان عظمت اخطارها وتباينت اقدارها فعلم التفسير هو الجدير بان يشمر له ساق الجد والعناية * يعتنى في تحصيله باتقان الرواية والدراية وقد بذل الائمة والسلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من الخلف الفالح همتهم العلية وافكارهم الوقادة المرضية في استخراج دقائقه وبث كنوز حقائقه مستضيئين من انوار مشكاة النبوة الزاهرة فضاءت واشرقت على صفحات قلوبهم اسرار انواره الباهرة فهنا اول من صلى وجلى في ذلك الميدان فجزاهم الله احسن الجزاء وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ليعلم ان من اجل ما طالع الحقير من التفاسير العظيمة الحسان وافضل واحسن ما الف في هذا الشان ما جمعه المولى الهمام جامع فضائل الانام السيد العلامة الامام الحافظ السند ذو الجاه المعتمد الاواب **محمد صديق حسن خان** صاحب هذا النواب فرأيته مؤلفا حاويا للباب مشتملا على غرر دراري العباب تبهر جزالة معاني الفاظه عقول اولي الالباب مع احكام قواعد وايجاز مبانٍ وتقييد اوابد وتنقيح لطائف شوارد وثمرات اسرار لم تنسق قبل خلك في تفسير ولا كتاب جامعا ما تفا مظاهر الانوار الساطعة التي لا يحويها خطاب كيف لا وجامعه مرتضع لبان الفضائل والعلوم ومرضع حواهر

المنطوق والمفهوم دري بفنون انواع الدراية امام متقن لمدارك الرواية لازال محروسا بعين العناية ولقد اتفق به الحقير لما رحل الى بيت الله سنة خمسة وثمانين ومائتين والف فلما وقع نظر الحقير عليه رايته اية من ايات الله وايقنت انه يجمع الفضل والفضائل اولى واحرى فاجريت سوابق فكري اليه فانقلب اصف فمهي قائلا ايها اوان وجدناه لبحر الآل محفوظا ومعين الله تعالى ملحوظا جامع الفنون العلوم موضح ابديع بيانه ما ارتبك على القوم امين اللهم امين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي انزل عليه الكتاب والشفيع يوم المآب كتب ذلك تجلا الحقير علي بن عبد الله الشامي الكناني تاب الله عليه ورحم والديه والمسلمين امين

لعله واختلط عليه امره ١٢ قاموس

ومنهم الشيخ المحترم النبيه والعلامة المفسر الفقيه يحيى بن محمد المفتي بحديدة عظمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد فان من نعم الله على عبده الحقير الفقير خلو الكسل والتقصير ان اوقفه الله على هذا التفسير الخطير الذي لاحد لفضائله ولا تقدير تاليف الملك الهمام والعلامة الامام الذي فاق اهل زمانه ولم يفقه من تقدمه من العلماء الاعلام ابي الطيب السيد محمد صديق حسن خان نواب والاجاه وقد سرحت النظر في ربعه الاول فرايته الغاية في فنه وجنسه محكم الوضع والترتيب في بنائه واسه حاويا جميع مباحث العلوم سهل التناول لاريب العقول والفهوم سلك فيه مسلكا باهرا عجيبا وطريقا واضحا قريبا اتضح فيه للناظر المراد باول وهلة ولا يحتاج لكثير تامل له بخلاف غيره من التفاسير المتقدمة فان غالب مباحث اكثرها صعب فهمها على هذه الافهمة ولعمري لقد اوضح بحسن تقريره اسرار الكتاب العزيز ونظم في سلك تحريره جواهر الابريز وكشف عن عجائبه واسراره وانفرد من ذلك بما لم يجره شي من كتب التفسير واسفاره فجزى الله مؤلفه خير الجزاء وثوبا بجميل صنعه دار الكرامة والرضى وادام النفع به للمسلمين الى يوم القضاء والقضاء امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وآله ملوة والسلام على رسوله محمد الذي هدى الناس كافة الى خير الهدى وعن الضلالة ذبهم وعلى آله واصحابه ومن تبعهم بالاحسان واحبهم **وبعد** فيقول الراجي عفو ربه الرحمن **محمد عبد المجيد خان** خصه الله تعالى بالغفران وعفى عنه ما جناه باللسان والجنان والاركان مهتمم مطابع الرياسة العلية **بهوپال** المحمية والعامل على تلك الصنعة البهية أن هذا التفسير المبارك الميمون والزبور الكريم المصون عن ريب المنون قد ألفه مؤلفه السيد العلامه وحرره جامعه الشريف الفهامه بحسب استبداد جماعة من اهل العلم بالقران نخبتهم الطبيب الماهر الحاجي فوري الحكيم **محمد احسن** انعم الله عليه واليه احسن في ثمانية اشهر ونظر عليه النظر الثاني في اربعة اشهر فكان مدة تاليفه الكامل عام واحد تقريضه نخبة البررة وزبدة الخبرة السيد **ذو الفقار احمد** البهوپالي رقاه الله الى مدارج المعالي في سنتين تم صدر الامر المطاع بطبعه في تاج المطابع وراس المصانع فكتبه الحافظ لكتاب الله المجيد والتالي له بالحق السديد **حبي حسين** اللكنوي اصانه الله عما شانه فطبع كما تراه مطبوعا لاهل العمل والعلم وعاد احسن المصاحف موضوعا لدى اصحاب الفضل والحلم وكان ذلك في مدة اربعة اعوام وصحح حروفه واصلح فروفه الشيخ الصالح العالم النبيه واللوذعي الالمعي الفقيه **محمد عبد الصمد** بن الفاضل الاريب الكامل الاديب المهوي **عبد الرب** الفشاوري احسن الله اليهما وانعم عليهما فلما تم طبعه ونفد وضعه حسب المصروف عليه من المعلوم الذي بذله المؤلف لحفظه الحي القيوم على تصحيحه وكتابته واجرة العاملين على طبعه وغير ذلك مما لا بد منه في طبع الكتب واشاعتها وزبر الصحف المطولة واذاعتها فكان جملة النفقة في ذلك زهاء خمس عشرة الف ربية وقد طار خبره قبل تمامه وتضوع مسك نفاسه الى البلدان واستطلبه كل من سمع به او نظر من الاعيان من اهل صنعاء واهل عدن وزبيد وبيت الفقيه وبلاد الحجاز ومصر والشام والقدس والغار

ومن حل بها من بقية علماء الديار وكرام الامصار واستحسنوه استحسانا بالغا ورجحوه على
جميع دفاتر التفاسير المتقدمة والمتاخرة وقالوا من ظفر به وفهمه فقد صار في العلماء نابغا
وهو حري بذلك فانه لم يؤلف مثله في هذه المسالك والمدارك وقد اولم عليه حضرة النواب
الرفيع الخطاب وليمة حسنة واطعم كل من له المام بعلم الكتاب والسنة واضافهم ضيافة مستحسنة
وخلع على اهل المطابع والمصححين يا حسن خلاع تنبغي للمحسنين كما صنع الحافظ ابن حجر
العسقلاني دم وليمة عند ختم فتح الباري شرح صحيح البخاري في جمادى الرئيسة المكرمة
وملكة هذه الديار المعظمة تاج العروس وبهجة النفوس من يباهي بها الدهر ويفتخر بها الفخر
عادلة الزمان ومكرمة الانام ونسخة الامان وحسنة الايام ونخبة رؤساء الديار
الهندية وحامية حمى الشريعة الحقة الصادقة السنية حضرتنا **نواب شاهجهان**
بيگم والية المملكة البوفالية رفع الله قدرها وافخم امرها وانجح مرامها واوسع نظامها
وبارك عليها وفيها وخضع لجنابها رقاب من في نواحيها وضواحيها ببذل نسخ كثيرة من
هذا الكتاب الكريم والتفسير الشريف العظيم على اهل الفضائل والعلوم الساكنين بالهند
والحجاز وحديدة والحرمين الشريفين ومصر والقدس والروم اشاعة لاحكام رب
العالمين واذاعة لمقاصد هذا الوحي الكريم وتبليغا للدين القيم القويم وهداية
لهم الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
عم الله تعالى نفعه لعصابة المؤمنين وزمرة المتبعين لسنة سيد المرسلين صلى الله
تعالى عليه وعلى اله وصحبه اجمعين ابصعين اكتعين وقد اتخ لتاليف هذا الكتاب و
طبعه جماعة من اهل الدين بعبائر رشيقة وحمل انيقة يتضح منها زمان الطبع و
التاليف من غير مشقة لذلك وتكلف وتكليف وهي هذه

تاريخ التاليف للسيد العالم الحبر ابي الحامد محمد صديق حسن علي
المولوي الكوپاموي انعم الله عليه في الدنيا والاخرة

وحبا بنعمة الذاخرة الفاخرة

اسوة الاعلام صديق الحسن — فسر الذكرى بتفسير فريد
التمست القلب عن تاريخه — قال ايضاح لقران المجيد

سنه ۱۲۸۹ هجري

تاريخ التاليف للناسخ الراسخ القوي الحافظ لكتاب الله

العلي الشيخ الصالح علي حسين اللكنوي كمانب هذا التفسير

سلمه الله وعافاه واوصله الى ما يتمناه

وانه لهدى وبشرى للمتقين

سنه ۱۲۸۹ هجري

وله لعام الطبع

قدوة الاعيان تاج الاذكيا — ناصر الاسلام بالفكر السديد
مجمع الاوصاف ذو الفضل الجلي — منبع الخيرات بالمجد المزيد
حضرة النواب صديق الحسن — الف التفسير بالطرز الجديد
قال عام الطبع قلبي ملهما — انه تفسير فرقان مجيد

ايضا سنه ۱۲۹۴ هجري

قد تم الجزو الرابع بحمد القدير

۹۴ ۱۲ هـ قدسي

بسم الله الرحمن الرحيم

اصلاح الكتروقع من الاغلاط في طبع الجزء الرابع من تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن

صفحه	سطر	خطا	صواب
٤	٠	من قرن	من قرن
٥	١	ليلي	ليلى
″	١٣	بنت	بنت
٩	٢٣	السحلة	السجلة
١٠	١٣	والافاقة	والافاقة
١١	٢	نصلينا	نصيبنا
″	″	نيبه	نبيه
″	١٠	اسلام	السلام
″	١٤	عنه و	عنه
″	٢٢	حما	عما
١٣	٨	بهذوبه	يهذوبه
١٥	١٤	الزوج	زوج
١٨	٩	روج	زوج
١٦	١٦	وعني	وعنى
٢٥	٤	على	الى
٢٧	١٦	الجبال	الحبال
٣١	٩	التابيد	التابيد
″	١٣	باكايدي	باكايدي
٣٢	١٦	قا	وقد

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٣	٢	شيه	المرأة
٣٤	٢١	انسعب	انسب
٣٥	٠	قال	قال هو
٣٩	١٥	الروح	الروح
٤٣	٢٣	اواما	اوما
٤٥	١٣	للدين	الدين
٤٦	٥	الهة	الهة
″	١٠	ولم يتأت	ولم يتأت
٤٨	١١	انما	وانما
٤٩	٤	يني	ينهى
″	٢٢	لئن	ولئن
٥٤	٥	رغبهم	رغبهم
″	٦	نتبو	نتبوء
٦١	١٢	اومثى	اومشى
″	١٤	استقلالا	استقلالا
٦٢	٣	جذره	جلده
″	١٩	بنقسه	بنفسه
٦٤	٢٢	اخلص	خلص
٦٧	″	النجاة	النجاة

صفحه	سطر	خطا	صواب
٧١	٥	اذاوى	اذا أوى
٧٣	١٤	اخشي	اخشى
٧٥	٢٣	عظيمها	عظيمها
٧٨	١٦	بة	به
٧٩	١٢	رضي	رضى
٨٠	٢٠	النجاءة	النجاة
٨٢	١٢	ليخبطن	ليخبطن
٨٤	٢	المطوي	المطوى
٨٥	٥	قتيلهما	قتيلهما
٨٦	١٢	فسألوا	فسئلوا
٨٩	٢٣	باقامتهم	باقامتهم
٩٢	٣	جادلتنا	جادلتنا
″	١٢	البلاد	البلاد
″	٢١	كقولهم	كقوله
٩٧	١٨	الله	الا الله
٩٩	٢	الازقة	الازقة
١٠٠	″	الخلق	الخلق
١٠٣	٢٠	وبه	به و
١٠٩	٣	للاية	الاية

صفحه	سطر	خطا	صواب
١١٢	١٦	للعرض	العرض
″	٢٣	الملل	المال
١١٤	٥	عنهم	منهم
١١٥	٢	لاولى	الاولى
١١٦	١	امر	امره
١١٧	٤	لانه	ولانه
″	″	ولكن	ولكن
١٢١	٦	صلسل	سلسل
١٢٠	٥	انكار	انكارا
١٢٤	١	التفرق	التفرقة
″	٢٠	نوحوا	نفرحوا
١٢٥	٨	اشبه	اشبهه
١٢٦	٦	بنيه	″
″	١٠	فقال	فقال لهم
١٢٧	٢٠	واغطيته	واغطية
١٢٨	٥	ولدعوكم	ولمدعكم
١٣١	٨	سواأوقرا	سواء وقرء
١٣٢	١٠	وجثيا	وجينا
١٣٣	٦	في ساعة	في اخر ساعة
″	١٧	وقع و	وقع
١٣٤	١٣	الحق	الحق مرة
١٣٥	١٠	ضعفا	ضعفا

صفحه	سطر	خطا	صواب
١٣٧	٣	تحتيق	تحقيق
″	١١	البينة	البنية
١٣٩	١٩	واستعتبته	واستعتبته
١٤١	١٥	سببا	سببا
″	٢١	قتل	قتل
١٤٢	١	منهم	منهما
١٤٤	٣	ودعا	ودعا
١٤٥	٢	الحس	الحسنة
″	٦	يعاذيه	يعاديه
١٤٨	٢١	الطاغون	الطاغين
١٥٠	١٩	مختصر بقومك	مختصر بقومك
١٥٦	١	الكناية	الكفاية
″	٢	مّا	مَا
١٥٨	١٢	اللّٰهُ	اللّٰهُ
١٥٩	١٠	هذا	هذا حديث
″	١٣	في يده	وفي يده
١٦٣	٤	لتفخير	لتفخير
١٦٦	٢٣	دخوضا	دحوضا
″	″	الادخاض	الادحاض
١٦٧	١٥	بعرها	بقربها
١٦٩	١٩	المعاولة	المعادلة
١٧٢	١٠	عوضا	عرضا

صفحه	سطر	خطا	صواب
١٧٢	١٥	أتيتكربه	اتيتكربه
١٧٤	١٠	القول	الفعل
″	١٣	والرسول	والرسل
١٧٧	٥	ثبتت الادلة	ثبتت بالادلة
١٧٨	٦	فانه	فان
١٨٠	١	والربا	والنميمة
١٨١	٥	موديا	مؤديا
″	١٢	ببينا	بينا
١٨٢	٦	الحوتي	الحوفي
١٨٦	١	فبلمه	فيلمه
″	١٦	وهو	ادهو
١٨٩	١٠	الادب	الادب انتهى
″	١٧	اي الذي	الذي
٢٠١	٢٠	الدنيا	اهل الدنيا
٢٠٨	٢	عهداه	عهده
″	٤	يتلكؤن	يتلكؤن
″	٥	النكث	النكث
″	١٠	بالاها	بالاهار
″	١١	قوه	قوة
″	١٣	ظاهر	طاهر
٢١٢	١١	واحيائه	واحيائه
″	١٢	علما	علما الساعة

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٩٢	٩٠	بثفة	نبقة
〃	١٦	اوى	اوى
٣٩٣	٣	وتكثير	والتكثير
		للقواشي	للغواشي
٣٩٤	٥	هذا الرجل	هذ الرجل
〃	٢٣	والعزى	والعزى الاخرى
٣٩٧	٤	مالهم	ومالهم
〃	٥	لايغني	لاينني شيئا
〃	١١	العمل	العمليه
〃	١٩	يتنسخ	ينسخ بها
٣٩٩	١٢	ونجاسة	نجاسة
		المسجد اذا	
		كان يغلب	
		تنجيسهم له	
		واستعمال	
		نجاسة	
〃	١٣	الواقعة	الوقعة
٤٠١	〃	اموالكم	امورکم
٤٠٢	٧	التقوى له	التقوى
٤٠٣	١٥	الاتزر	لاتزر
٤٠٥	٦	مؤمنات	من مؤمنات
〃	٨	ببعض	ببعض

صفحه	سطر	خطا	صواب
٤٠٥	١٢	نتاول	تناول
٤٠٦	٩	الطبائعين	الطبائعيين
〃	١٩	يقني	يقنى
〃	〃	يغني	يغنى
٤٠٨	١١	نماء	نعما
〃	١٤	فانه	فانه
〃	١٨	للتفخيم	للتفخيم
٤٠٩	١٢	المسموح	السموح
٤١٤	١٤	والراع	والراعي
٤١٧	٣	بمديد	مديد
〃	١٥	الاذكار	الاذتكار
٤١٨	١٢	كالشئ	كالشئ
٤٢١	٤	قيل	قبل
٤٢٢	٤	هنا	ههنا
٤٢٣	١٥	خير	خيرا
〃	٢٠	او	والمعنى
٤٢٤	٢	والهزيمة	والهزيمة
٤٢٦	١١	المهاء	الهاء
٤٢٧	٧	لاشئ	لاشئ
٤٢٨	٢٢	معهما	معها
٤٣١	٢٠	فكسوتك	

صفحه	سطر	خطا	صواب
٤٣٢	١٩	الخذف	الخزف
〃	٢١	من	من ماء مهين
٤٣٣	١٧	مطلعهما	مطلعها
〃	〃	مغربهما	مغربها
٤٣٤	٧	كلما	كلما
〃	١٣	صغاره	صغار الدر
٤٣٨	٩	وفتح الراء	وفتح الراء وقرئ بكسر النون وفتح الراء
〃	١١	وقرئ بكسر النون وفتح الراء	
٤٤١	١٥	الزانية	الزبانية
٤٤٢	٨	ثلثة	ثلاث
〃	١٨	لتضاعف	ليتضاعف
٤٤٤	٢	منهما	منها
٤٤٩	١٥	عليها	عليها
٤٥٠	٣	واخرج	واخرجه
٤٥٨	٧	بكسر الزاي	بكسر الزاي وفتحها ويفتحها
〃	١٧	خبرهم	خبر
٤٦٤	٢	حسناته	حسناته فانه
٤٦٥	١٠	يكون	يكون

صفحه	سطر	خطا	صواب
٤٦٥	١٣	لعشق	العشق
٤٦٦	٢٣	لكل لكم	لكلكم
٤٦٧	٥	نيذرون	تثيرون
″	١٢	او	و
٤٧٠	٢١	يتقوي	يتقوى
٤٧١	٧	لاهية	لاناهية
″	١٢	الاحدات	الاحداث
٤٧٢	٥	اسانيدها	اسانيده
٤٧٥	٢٣	ربك	ربك العظيم
٤٧٧	٢٠	قيل	وقيل
٤٩٣	١٢	الباء	الباء
″	١٦	فَانَّ	فَانَّ اللهَ
٤٩٥	١٣	وليعلم	وليعلم الله
٤٩٨	٩	كتبنا	كتبناها
٤٩٩	١٨	عنه قال	عنه
٥٠٠	١١	المجوز	العجوز
٥٠٨	٩	مَعْصِيَتِهِ	مَعْصِيَتِ
٥١٠	١٢	لربتاذى	لربتاذ
″	٢٠	يافلان	يافلان و
			انت يافلان
٥١٤	١٣	قيمة	قيامة
٥١٦	١	تشريد	تشريدا

صفحه	سطر	خطا	صواب
٥١٦	١٣	سمي	سمى
٥١٧	١٥	للحشر	الحشر
٥٢٠	١١	اصولها	حل اصولها
٥٢٤	١٥	الامر	الامام
٥٢٥	١٠	يطنه	بطنه
٥٣٠	٢٠	ترى	ترى
٥٣٨	٨	والعد	والعدد
٥٤٠	١	ابن الزبير	الزبير
″	٨		عنقه
″	٢٢	ككرمام	اكرام
٥٤٣	١٣	كان	كانت
٥٤٧	١٤	مثلما	مثلما
٥٥٠	٥	لما	ولما
″	١٢	المراد	المراد
٥٥١	٩	واسقط	واسقطه
٥٥٢	″	ودونا	وددنا
٥٦٥	″	لاتخفى	لايخفى
٥٧٧	١٣	الابتداء	الابداء
٥٨٠	٥	يكن	تكون
″	٢٠	وقرموا	اوقدوا
٥٨٥	٧	وضوع	موضوع
″	١٨	عن ابن	وعن ابن

صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٨٨	١٢	لاحمال	الاحمال
٥٩٨	١٧	تحلة	تحلة
٦٢٤	٢٠	لرفقه	رفقه
٦٢٥	٥	امر	لمر
٦٢٦	٢	مباينتهم	مباينتهم
″	٩	ويعبد	ويعبدوا
٦٢٩	١	حلف	اي حلف
٦٣١	″	السالين	المسالين
٦٤٨	٢٣	اطعمه	اطعمة
٦٤٩	١٣	يشاهدونه	تشاهدونه
″	″	يشاهدونه	تشاهدونه
٦٥٠	٣	اوتى	وتى
٦٥١	١	ولايقدرون	ولاتقدرون
٦٥٢	٩	لسأل	بسأل
٦٥٥	٧	مفقوق قيل	مفقود قيل
٦٥٥	١٥	والادوات	وادوات
٦٥٩	١٤	مالكم	مالي
٦٦٦	٣	طبان	طباق
″	٢١	ابن بحر	ابن بحر
٦٦٧	١٥	تعزيرهم	تعزيرهم
٦٦٩	١١	ابن بحر	ابن بحر

صفحه	سطر	خطا	صواب
٢١٩	٢	مستحق	المستحق
٢٢٠	١٣	لربه	لربه
٢٢٣	٢٠	حيات	حيوة
٢٢٧	١٧	التكثير	التكثير
٢٢٨	١٧	وان	وان لم
٢٣٥	١٤	فواوه	فرأه
٢٣٩	١٣	يخمس	يخمسون
٢٤٢	١٣	شاريه	شاربيه
٢٤٤	٧	الحيوت	الحيوة
٢٤٥	١	حسن	احسن
٢٥٧	٣	ماسبقنا	ماسبقتنا
″	١٩	لتنذ	لينذر
٢٥٩	١٧	التحتن	التحنن
٢٦٤	١٨	جمة	جمهه
٢٦٥	١٢	شئ	شيئا
٢٦٧	١١	احدها	احدهما
٢٦٨	″	الاول	الثاني
″	١٢	والثاني	والاول
٢٧٠	١١	هداهم الله	هدى الله
٢٧١	١٠	تعاد سبحانه	سبحانه وتعالى
٢٧٣	١٥	دعى	دعي
٢٧٦	١٩	قنطرة	قنطرة

صفحه	سطر	خطا	صواب
٢٧٧	٣٠	تثبيت	تثبيت
٢٧٩	٦ حاشيه	الزحول	الزحل
٢٨٦	٥	الفشاد	الفساد
٢٩٠	١٧	وحل	وجل
٢٩٣	٣	كانت	كانت منهم
″	١٦	القران	قران
٢٩٤	٣	جيئ	جيئ
″	٨	ويؤيد	ويؤيده
٢٩٥	١٢	ولكنه	ولكنها
٣٠٠	٣	الحفظ	الحفظ
٣٠٢	٣	انفقت	اتفقت
″	١٥	ابطاء	ابطا
″	١٩	ومزينية	ومزينة
٣٠٦	١٨	ازان	ان
″	١٩	انه	ان
٣٠٧	٣	لقرير	تقرير
٣٠٨	١٢	الاخرى	لاخرى
٣٠٩	٨	حل	بل
″	١٢	هزله	هزمه
″	١٨	غزة	غرة
″	″	فدعي	فدعي
٣١١	١٩	ودفع	دفع

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣١٦	٢٣	فتحدث	فتحدث
٣١٢	١٢	دينينا	دينا
″	″	يابن	يا ابن
٣١٨	١٨	القعقاع	القعقاع
″	٢١	بالرأي	بالراء
٣٢٠	٨	المراد	قوله
٣٢٣	١١	خشيت	خشية
٣٢٥	٦	احدي	احدى
″	٢٢	زال	ازال
٣٢٦	١٨	فنة	الفئة
٣٢٧	١٤	علينه	عينه
٣٢٨	١٢	ابى جبيرة	ابى جبيرة
٣٢٩	٤	يخطره	يخطره
٣٣٠	٩	ولاتحسسوا	ولاتجسسوا
″	١١	سطرها	سطرها
″	١٦	تتبع	تتبع
٣٣١	٤	اغتبته	اغتبته
٣٣٢	١	غالبا	غاثيا
٣٣٤	″	جهنية	جهينة
″	″	ومزنية	ومزينة
٣٣٥	١٣	خضراخضرت	خضراخضرت
٣٣٨	٧	يبقي	يبقي

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٣٩	٤	دم	ذم
٣٤٠	٨	و	أو
٣٤١	١٦	اعرف	تعرف
»	٢٢	وجبرهم	وحيرهم
٣٤٣	١٣	لدي	لدى
٣٤٤	١٥	تَحِيدُ	تَحِيدُ
»	٢٣	يوم الوعيد	يوم الوعد والوعيد
٣٤٥	١٩	وتدارك	وتدرك
٣٤٧	٥	قرناؤهم	قرناءهم
٣٤٨	٩	امتلت	امتلأت
»	»	لم يتلي	لم يتلئ
»	١٣	تزين حينه	تزيد زينه
٣٥٣	١٤	عز	عزى
»	١٧	غبته	غلبة
٣٥٧	٤	اخبر	فاخبر
٣٥٨	»	استغفار	الاستغفار
»	٧	أدفو	لوفو
٣٦٠	٢٠	فبنى	فبني
٣٦١	١٦	كلاما	فقالوا كلاما
٣٦٢	٦	حنيئذ	حنيذ
»	١٠	احسن	احسّ

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٦٥	١٨	يركان	تركان
»	»	يفيران	تفيران
٣٦٦	٢١	اجاهم	أجاهم
٣٦٧	٧	أخر	أُخر
»	١٥	كحلقه	كحلقة
٣٦٩	١٠	محمولة	محمولة
»	١٣	لامرهم و الهائهم	لامرهم و الهائهم
٣٧٠	٧ و ٨	وتعليل العدم	ذو القوة و تعليل العدم
»	»	ارادة الرزق	المتين في الجملة
»	»	منهم ذو القوة	تعليل العدم
»	»	المتين تعليل لعدم	ارادة الرزق منهم و عدم
»	٢٠	فلا تطلبوا	فلا يطلبوا
»	٢١	لكم	لهم
»	٢٣	اع	اع
٣٧١	١٨	اذا	واذا
٣٧٣	١٢	واقع	دافع
٣٧٥	٦	بالمعطي	بالمعطى
»	١٥	شتوة	شنوءة
»	١٣	تخييل	تخيل
٣٧٦	٢٠	دونه	دونه في العمل

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣٧٧	٢٢	حبان	حيان
٣٧٩	٥	جره	حره
٣٨٢	١٢	بان	بان مركان
»	١٥	المغرم	المغرم
»	٢٠	اليه	اليهم
٣٨٣	٦	أهلكه	اهلكهم
»	١٣	سبحانه	سبحان الله
٣٨٤	٥	يؤمر	يؤمر
»	١٢	بالذي	بالذي
»	١٤	بمرائ	بمرأى
»	٢١	والاول	فالاول
٣٨٥	٩	سالتني	سالتني
٣٨٦	١٠	قال مجاهد	قال ابن عباس وغيرهم
٣٨٧	»	ماهو	ماهذا
»	١٥	حسن	الحسن
»	٢٣	اذافع	دافع
٣٨٨	١	ارتفع	اي ارتفع
»	١٣	فراه	زاراه
٣٩٠	٢	الوجاء	الوجا
»	٣	وقيل	قيل
٣٩٢	٧	الروية	الروبتين

صفحه	سطر	خطا	صواب
٦٧٢	٢٣	على	على ان
٦٧٧	١٩	طلب	القرم لطلب
٦٧٨	٣	ادعي	ادعي الي
٦٧٩	٣	بل	به
٦٨٠	٢	يستبعد	يستبعدة
٦٨٢	١٣	فخذا	فخذ القرن
٦٨٣	〃	كاهتين	كاهنين
٦٨٣	١٣	عنق	عنق
٦٩٢	١٥	وطاء	وطأة
〃	١٦	وطأتك	وطأتك
〃	٢٣	هاوية	هادية
٦٩٤	١٤	والنكل	وكل
٦٩٦	٥	الشيب	اشيب
٦٩٧	١٠	الاحياز	الاحيازة
٧٠٣	٥	لان	بان
٧٠٤	١١	خل	يقول خل
٧١٠	٨	بغ	ابغ
٧١٣	٣	يسالون	يسألون
〃	١٢	وهذا	وهذان
٧١٣	١٨	ماله	قاله
٧١٤	١٢		

صفحه	سطر	خطا	صواب
٧١٤	١٣	لها	بها
٧١٦	٧	لكم	لمن
٧١٧	١٨	ذنب	ذنب
٧٢٣	٧	راقي	راق
〃	٨	راقي	راق
〃	〃	يرقي	يرقى
٧٢٥	٩	امره	امامره
〃	١٣	بل	ابل
〃	١٥	لا	الا
٧٢٦	٥	الابتداء	الابداء
٧٣٠	٣	الرئية	المرية
٧٣٥	〃	والتاشرة	والناشرات
٧٣٧	٣	بين	تبيين
٧٣٩	٢٠	اثني عشر	اثناعشر
٧٦٠	٨	اخر	اخرم اخر
٧٦١	١	المصدرية	مصدرية
٧٦٥	١٢	يتمني	يتمنى
٧٦٧	٢	يرج	يرج
٧٦٩	١٩	بارجائه	بارجائها
٧٧٢	١٣	هل	هل لك
٧٧٨	١	لايخفى	لاتخفى
〃	١٧	ينتهي	تنتهي

صفحه	سطر	خطا	صواب
٧٨٠	١٨	الصدي	الصدى
٧٨٤	٢٣	اتجارا	اشجار
٧٨٧	١٥	بفعل	لفعل
٧٩٠	٦	فلايبقي	فلايبقى
٧٩٠	٩	امتالت	امتلأت
〃	١٧	الجن	الجن
٧٩١	٣	احشرو	احشروا
٧٩٣	١٦	الظباء	الظباء
٧٩٤	١٩	صحة	صحيحة
٧٩٦	١٧	تذكير	تذكيرا
٧٩٧	١٣	اثرة	اثرة
٧٩٨	١٦	يعمل بها	يعمل بها من غير
٨٠٠	١١	كتابا	كتابا
٨٠٦	١٩	والاثقال	والاثقال
٨٠٨	حاشية ٢	جس	جمع
٨٠٩	٣	الضحاح	الصحاح
٨١٦	٥	يروي	يروى
٨١٨	٦	وداءها	وداءه
٨٢٤	٥	قا	قاعدين على
٨٣٠	١٧	وقيل	قيل

صفحه	سطر	خطا	صواب
٨٣٣	٥	تسع	تسع عشرة
٨٣٤	٣	ولا تكونوا لفظة اسم علم	فلا تكون
″	٦	كبروا	كبرو
٨٤١	٩	اغشاء	اغشاه
″	″	الخاشنة	الخاشعة
٨٤٢	١٤	اناه	اناء
″	″	اوجسه	وجسه
٨٤٣	٢	هصنا	هبنا
٨٤٥	١٥	وزره	دره
٨٤٩	١١	الترمذي	الترمذي
٨٥٠	١٣	اذا ادبر	اذا دبر
٨٥٤	١٢	عامر	عابر
٨٥٧	٢١	تجتمع	يجتمع
٨٦٠	١٧	سع	سع
٨٦٣	٢١	اللفظ الذي	اللفظ الذي
″	″	للفظام	اللطام
٨٦٦	٤	رؤية	رويّة
٨٦٨	١٨	سع	بع
٨٦٩	١٧	الضوة	الضوء
″	١٨	وثغر	ونغر
٨٧٠	٢٢	والمقاطع	والمقاطع
٨٧١	٣	ياخذ	باخذ

صفحه	سطر	خطا	صواب
٨٨٣	٢٠	هزه	وهزع
٨٨٦	٨	فهذاه	فهداه
″	١٩	فهذاك	فهداك
″	٢٢	باللفظ	بعموم اللفظ
٨٩١	١٣	ما	وما
٨٩٧	٢ حاشيه	ابن ابي	ابن
″	٣ حاشيه	ابن	ابن ابي
٩٠٠	١٢	لجمع علق	بجمع علقة
″	١٦	طق	علق
٩٠٣	٤	اي	اي الم
٩١١	١	بيان	بيان ان
٩١٣	″	البراء	البرا
٩١٤	٨	مستقرة	مستقره
٩١٥	٢٠	ليكون	يكون
٩١٩	٣	تعزل	تعدل
″	٢٨ حاشيه	أووا	ادوا
٩٢١	٤	الجدي	الجدوى
″	٧	اثارث	اثارت
٩٢٤	٢٢	قالوا	قالوا
٩٣٤	١٢	المردة	المردده
٩٣٦	٩ حاشيه	لا فوقه	الا فوقه
٩٣٧	٤	وبقي	وبقى
″	٩	بتت	بنت

صفحه	سطر	خطا	صواب
″	١١	يجعلونه	يجعلونه
٩٣٩	٢٣	فاخضبوا	فاخضبوا
٩٤٢	١٤	وقال	وقالوا
″	١٦	المستغل	المستقل
٩٤٣	١٤	القدر	القدرة
٩٤٧	١٢	أويت	أويت
٩٤٨	١٩	نعبد	لعبدنا
٩٥٦	٨	والعزى	والعزى
٩٥٨	١٩	والتثليث	والتثليث
٩٦٠	٩	بصعته	بضعته
٩٦١	٣	تعال	تعالى
٩٦٣	٦	الخير	الخبر
″	١٦	مولود	مولود
٩٦٤	٥	في	من
٩٦٥	٩	يجعل	يكل
٩٦٧	١١	غايت	غابت
٩٦٨	٧	بينن	ينفثن
″	٩	خائط	خالط
″	١٦	النقل	النقل
٩٧٠	٣	فحينئذ	فحينئذ
٩٧٧	١٨	الكمات	الكمات
٩٧٨	١١	بالمنايا	للمنايا
٩٨٣	٢	خمسة	خمس

ل قال الحلبي وقال الشهاب جوامع جمع جمعي انتهى واطلاق الجمع عليه اما لتصور الآلوف بجمع الجمع كما قال سليمان بجمل ٢ لنفسي